

الأخطار في أخبار غزناطية

لِذِي الْوَزَارَتَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ

حَقَّقَ لَصْهَ وَوَضَعَ مَقْلَمَتَهُ وَحَوَّاشِيَهُ

مُحَمَّدُ عَبْدُ اللَّهِ عَمَّانِي

المجلد الثاني

الناشر مكتبة النخاسي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1974

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » نقدمه إلى القراء والباحثين، بعد أن تم بحمد الله ، تحقيقه ، وتزويده بمختلف الحواشي التفسيرية ، وبعد أن تم كذلك إخراج الطبعة الثانية من المجلد الأول ، من هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

ونود أن نبدأ هنا بالإشارة إلى بعض حقائق تتعلق بالأصول المخطوطة ، التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » ، فقد رجعنا في ذلك إلى الأصول الآتية :

أولاً — مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد (مخطوط العلامة جاينجوس) المحفوظ بها برقم CXLII .

ثانياً — مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم 8135

ثالثاً — مخطوط الإسكوريال المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال برقم ١٦٦٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

رابعاً — مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ بها برقم 1840

وقد اتخذنا مخطوط جاينجوس ، حسبنا فعلنا بالنسبة للمجلد الأول ، أساساً ، لتدوين نص المجلد الثاني ومقارنته . والواقع أنه لا يوجد بين هذه الأصول المخطوطة ، ما يتضمن المجلد الثاني من كتاب الإحاطة بصورة مستقلة ، سوى مخطوط جامع الزيتونة ، الذي يقدم إلينا كتاب الإحاطة في ثلاثة أجزاء متتالية ، والذي يوصف خطأً بأنه هو النسخة الوحيدة الكاملة من الإحاطة في العالم . وقد سبق أن وصفنا هذا المخطوط وخصائصه وأحجام أجزائه بإفاضة ، في مقدمة المجلد

الأول . وبيننا بوضوح ما يعتوره من ضروب النقص والتصحييف . وكيف أن القول بأنه هو النسخة الكاملة الوحيدة من الإحاطة ، لا يطابق الواقع ، فلا حاجة بنا هنا إلى التكرار .

هذا ، وقد سلكتنا في تنظيم محتويات هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » وتبويه مسلكاً جديداً ، راعينا فيه نظام « الأسفار » التي جعلها ابن الخطيب أساساً لتبويب كتابه ، ومن ثم فإننا لم نتخذ مخطوط جامع الزيتونة ، بالرغم من وصفه المتقدم ، أساساً وحيداً لتصنيف هذا المجلد الثاني من الإحاطة . ذلك أن الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة ، يتضمن عقب نهاية ترجمة (محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى) ابن زمرك - الإشارة الآتية : (انتهى السفر السادس هنا ، والحمد لله رب العالمين)

ويتضمن مخطوط جاينجوس ، عقب ترجمة محمد بن يوسف الصريحى - ابن زمرك المذكور - نفس هذه العبارة . ويتضمن مخطوط الإسكوريال السالف الذكر ، رقم ١٦٧٣ ديرنبور ، في رأس صفحة العنوان العبارة الآتية :

(تملك هذا السفر الثانى من مختصر الإحاطة .. بن جعفر بن محمد القيت لطف الله بهم ونفعهم) .

ومن الواضح أن « السفر الثانى » يقصد بها هنا « الجزء الثانى » . ذلك لأنه قد وردت في الصفحة التالية في بداية المخطوط هذه الإشارة :

(ومن السفر السابع المفتتح بقوله : ومن الطارين منهم في هذا الباب) . وإذا فإن مخطوط الإسكوريال ، يبدأ وفقاً لترتيب نظام الأسفار الذى اتخذ أساساً لتبويب كتاب « الإحاطة » ، عقب انتهاء السفر السادس من المخطوطين السابقين ، مخطوط الزيتونة ، ومخطوط جاينجوس ، بالسفر السابع . وعلى ذلك وبعد دراسة مقارنة عميقة ، لختلف المخطوطات التى بين أيدينا ، رأينا أن نتخذ نظام الأسفار قاعدة لتبويب « الإحاطة » ، وأن نبدأ بعد نهاية السفر السادس من مخطوطى الزيتونة وجاينجوس ، في تدوين تراجم السفر السابع الذى يفتح به مخطوط الإسكوريال .

ويجب أن نعلم بهذه المناسبة ، أن كتاب «الإحاطة» يشغل وفقاً لنظام الأسفار المشار إليه ، والذي اتخذ المؤلف قاعدة لتقسيمه وتبويبه ، إثني عشر سफراً ، يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار ، من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر ، وبلى هذا السفر الأخير ، ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه . وهذه الأسفار فيما يبدو — عدا السفر الأخير — متقاربة الأحجام ، يحتوى كل منها على نحو أربعين ترجمة ، وهذا عدا السفر الأخير الذى يضم ثمان تراجم فقط . ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال يمثل بحجمه وعدد أسفاره ، نصف المؤلف الأصيل ، وتكون نسخة الإسكوريال هذه ، مكونة من جزئين كبيرين ، وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثانى ، الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه (السفر الثانى) من مختصر الإحاطة ، وهو من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التى استولى عليها الإسبان فى عرض البحر فى أوائل القرن السابع عشر ، وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال ، وذلك حسبما فصلناه فى مقدمة المجلد الأول .

هذا وقد رأينا أن نفتح المجلد الثانى ، بترجمة السلطان محمد بن يوسف ابن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجى (السلطان محمد الغنى بالله) سلطان ابن الخطيب . هذا فى حين أن النصف الأول من ترجمة هذا السلطان ، يرد فى نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فى اللوحات الخمس عشرة الأخيرة (ص ٣٠٦ — ٣٣٥) . ونحن قد وقفنا بالمجلد الأول عند ترجمة السلطان (محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى) ثانى الملوك النصريين .

وقد أحصينا التراجم التى وردت بالمجلد الثانى من مخطوط الزيتونة عقب الانتهاء من (السفر السادس) حتى نهايته ، فوجدناها سبعمائة وأربعين ترجمة ، تبدأ بترجمة (محمد بن أحمد بن عبد الله الإستجى) وتنتهى بترجمة (محمد بن على بن عبد الله اللخمى) وهى آخر التراجم الواردة بالمجلد المذكور ، وكلها من حرف الميم (المحمدون) . ووجدنا بالمراجعة الدقيقة أنه قد ورد منها فى مخطوط الإسكوريال سبع وثلاثون ترجمة ، وردت متباعدة تتخللها تراجم كثيرة أخرى من (المحمدين) أيضاً ، وتنتهى بترجمة ، محمد بن على بن عبد الله اللخمى فى اللوحة رقم ١٤٦ .

ونود أن ننوه بأنه إلى جانب البواعث النظامية والفنية ، التي حملتنا على انتهاج هذه الخطوة ، توجد ثمة بواعث علمية هامة ، تتلخص في أن مخطوط الإسكوريال ، يتناول كثيراً من التراجم المذكورة بتوسع وإفاضة ، ويقرنها بكثير من مختارات المنظوم والمثنو ، التي لم ترد في مخطوط الزيتونة ، ومنها تراجم كثيرة لشخصيات أدبية بارزة ، أمثال ابن الخداد الوادي آشى ، وابن مرج الكحل ، وابن الجنان ، وابن أبي الحصال ، وذى الوزارتين ابن الحكيم ، وابن طفيل ، ومحمد بن عبد العزيز التجيبي البرشاني ، وابن قرمان ، وابن القصيرة ، وابن خميس الحجري ، وابن جزى ، وغيرهم . وقد وردت معظم هذه التراجم في مخطوط الزيتونة في نصوص موجزة ، ينقصها الكثير من مختارات الشعر والنثر ، التي يوردها مخطوط الإسكوريال ، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بأن مخطوط الإسكوريال ، هو أقرب المخطوطات التي انتهت إلينا ، إلى نص كتاب الإحاطة المطول ، وهذا بالرغم من كونه يوصف في صفحة العنوان ، وفي نهايته بأنه « مختصر الإحاطة » . وهذا كله إلى أن نص مخطوط الإسكوريال ، يمتاز بسلامته ، وخلوه من كثير من الأخطاء وضروب التصحيف ، التي ترد خلال نص مخطوط جامع الزيتونة .

وهناك إلى جانب ما تقدم فارق التاريخ . ذلك أن مخطوط الإسكوريال قد نص في نهايته ، على أنه قد تم نسخه في أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ، وذلك بمدينة غرناطة ، هذا في حين أن مخطوط الزيتونة قد تم نسخه حسبما ورد في نهاية الجزء الثالث منه ، في شهر جمادى الثانية عام 1273 ، فهو إذن مخطوط حديث . وميزة القدم بالنسبة لمخطوط الإسكوريال ، وكونه قد كتب في غرناطة موطن مؤلف « الإحاطة » ، وبعد وفاته بنحو قرن وربع فقط ، تسع عليه أهمية خاصة ، من حيث الاطمئنان إلى سلامة النص ، وإلى أنه قد نقل من أصول معتبرة يعول عليها .

ولسنا بحاجة إلى أن نعيد هنا شيئاً مما ورد في مقدمتنا للمجلد الأول ، من البيانات والشروح عن كتاب « الإحاطة » ، وعن مصادره وتاريخ تأليفه ، أو عن مؤلفه ابن الخطيب ، وعن حياته ، وخلالها الفكرية والأدبية اللامعة ، فكل ذلك قد استوفيناه في مقدمتنا بإفاضة ، يرجع إليها في المجلد الأول .

ويحتوى المجلد الثانى من كتاب « الإحاطة » على إحدى وثمانين ترجمة ، ويضم طائفة من الرسائل الهامة ، التى دمجها ابن الخطيب بلسان سلطانه ، فى الحث على الجهاد ، وجمع كلمة الأمة فى الذود عن الدين والوطن ، كما يضم طائفة كبيرة من تراجم مشاهير رجالات الأندلس ، مثل المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن هود ومحمد بن سعد بن مردنيش أمير الشرق ، والمنصور بن أبى عامر ، ومحمد بن الأحمر الكبير ، مؤسس مملكة غرناطة ، ومحمد الغنى بالله ، سلطان ابن الخطيب . ومن أكابر الكتاب والأدباء والشعراء ، مثل ابن جبير ، وابن زمرك ، وابن مرج الكحل ، وابن شلبطور ، وابن أبى الخصال ، وأبى عبد الله بن الحكيم ، وابن غالب الرصافى ، وأبى بكر بن القصيرة ، وابن قزمان ، وابن خميس الحجرى ، وغير هؤلاء وهؤلاء .

وتتضمن هذه التراجم كثيرا من الحقائق والتفاصيل التاريخية والأدبية الهامة . هذا فضلا عما تقرن به من مختار المنشور والمنظوم .

وقد عنيانا فى هذا المجلد أسوة بالمجلد الأول ، بشرح وتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، فى حواشى خاصة ، وربما حدث خلال ذلك بعض تكرار فى التعريف بأعلام أو بلاد سبق التعريف بها فى المجلد الأول . ولكن ذلك لا ينتقص من أهميتها ، لأنها فى مكانها أقرب إلى التناول والإفادة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المجلد الثانى من « الإحاطة » سوف يصدر بعون الله ، فى ربيع أو صيف هذا العام - سنة ١٩٧٤ . وتوافق هذه السنة الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب ، وتقع هذه الذكرى فى خريف العام المذكور . وقد أشرنا فى ختام مقدمة المجلد الأول ، إلى أهمية إحياء هذه الذكرى والإحتفاء بها ، وأهنا بالدوائر العلمية والأدبية فى مختلف البلاد العربية ، ولاسيما المغرب ، الذى قضى فيه ابن الخطيب أنصب فترات حياته ، ومازال يثوى النواء الأخير بأرضه ، أن تقوم بتنظيم الاحتفاء بهذه الذكرى العلمية الجليلة ، وقد علمنا مع الغبطة أن الحكومة المغربية . تعنى الآن بالعمل لإحياء هذه الذكرى فى موعدها . ونحن نرجو لها من الله العون والتوفيق فى تحقيق هذه الأمانة النبيلة .

رموز المخطوطات

وأينما وفقاً لما تم في المجلد الأول ، أن نرّمز إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » على النحو الآتي :

١ — مخطوط أكاديمية التاريخ بمدرّيد (مخطوط جاينجوس) بحرف «ج» .

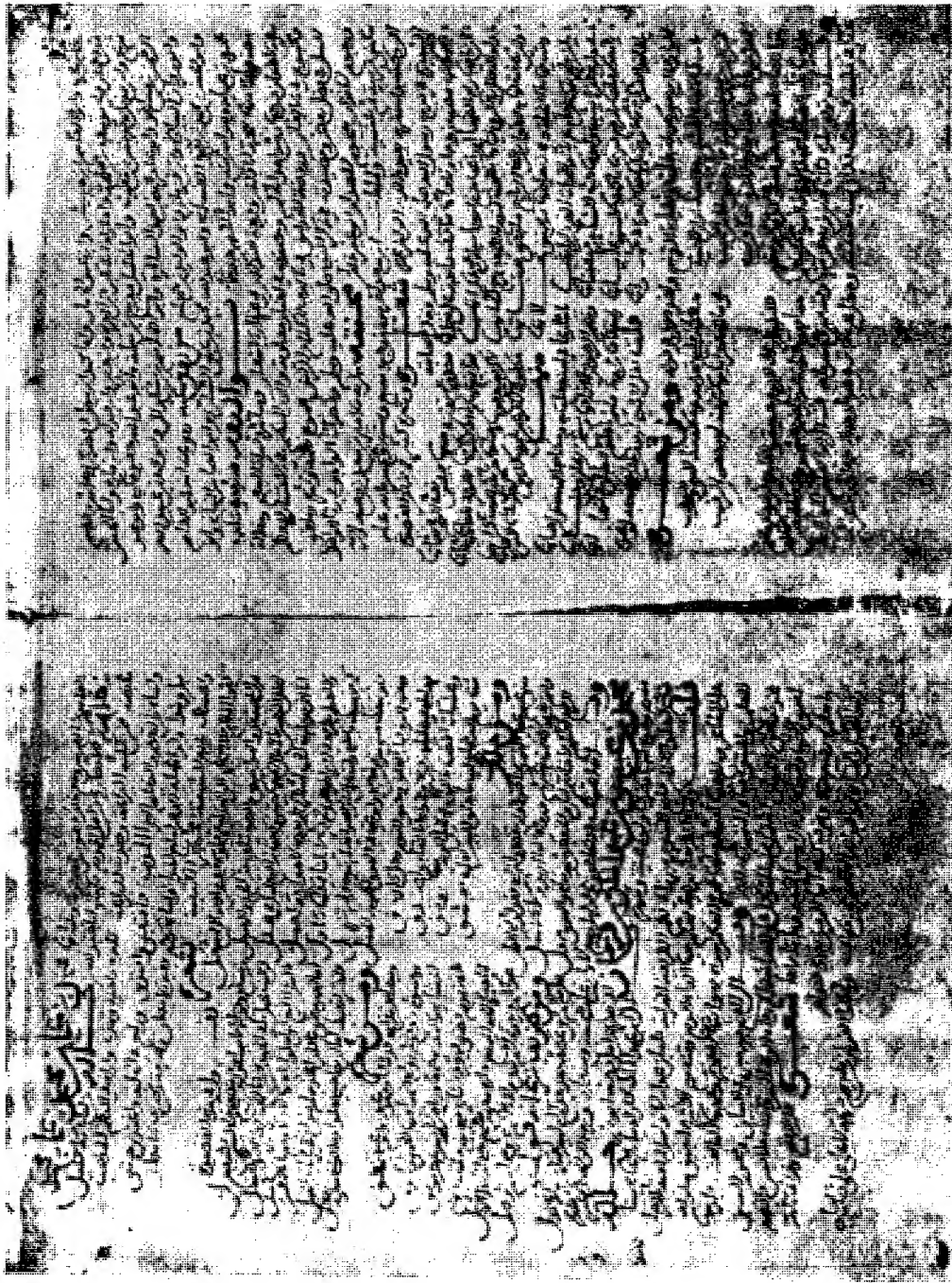
٢ — مخطوط جامع الزيتونة بتونس بكلمة « الزيتونة » .

٣ — مخطوط الخزانة الملكية بالرباط بكلمة « الملكية » .

٤ — مخطوط مكتبة الإسكوريال بكلمة « الإسكوريال » .

٥ — وجرينا في التعبير عن مخطوطي جاينجوس والزيتونة ، بكلمة « المخطوطين » .

٦ — وفي التعبير عن جاينجوس والزيتونة والملكية « بالمخطوطات الثلاثة » .



الإحاطة في أخبار غرناطة

المجلد الثاني

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج
ابن يوسف بن نصر الخزرجي^(١)

أميرُ المسلمين لهذا العهد بالأندلس ، صدرُ الصدور ، وعلمُ الأعلام ، وخليفةُ
الله ، وعمادُ الإسلام ، وقدوةُ هذا البيت الأصيل ، ونيرُ هذا البيت الكريم ،
ولُبَّابُ هذا المجد العظيم ، ومعنى السكّال ، وصورة الفضل ، وعنوانُ السعد ،
وطائرُ اليُسْن ، ومحوّلُ الصُّنْع ، الذي لا تبلغ الأوصاف مداه ، ولا تُوفى العبارة
حقه ، ولا يَجْرِي النظم [والنثر]^(٢) في ميدان ثَنَائِهِ ، ولا تنتهى المدائحُ إلى
عَلَيَّاهُ .

أُولَيْتُهُ

أشهرُ من إمتناع الضُّحَى ، مستوليةٌ على المدا ، بالغةٌ بالسَّعةِ بالانتساب^(٣) إلى
مَعْد بن عبادة عَنان السماء ، مُبْتَدِئَةٌ^(٤) في جهادِ العدا ؛ بحالةٍ من مَلَك جزيرة
الأندلس ، وحَسْبُكُ بها ، وهى بها فى أَسْنَى^(٥) المَزَاينِ والحَلَى ، وَقُدُماً فيه بحسَب
لن مَمَع ورَأَى .

(١) وردت فى الزيتونة إزاء اسم هذا السلطان العبارة الآتية فى الهامش الأيسر (ترجمة
سلطان المصنف) . هذا وقد وردت بداية هذه الترجمة فى نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فرأينا
أن نبداً منها بالمراجعة عليه .

(٢) هذه الكلمة زائدة فى الزيتونة .

(٣) هذا فى «ج» . وفى «الملكية» والزيتونة (عل الانتساب) .

(٤) هكذا فى «ج» و «الملكية» من ابتجع ، أى افتخر وتباهى .

(٥) فى الملكية ، والزيتونة ، أبهى .

حاله

هذا السلطان أيمن أهل بيته نقيباً ، وأسعدهم ميلاداً وولاية ، قد جمع الله له بين حسن الصورة ، واستقامة البنية ، واعتدال الخلق ، وصحة الفكر ، وثقوب الذهن ، وفؤاد الإحراك . ولطافة المسایل ، وحسن التأني ؛ [وجمع له من الظرف] ^(١) ما لم يجمع لغيره ، إلى الحلم ، والأناة اللذين يحبهما ^(٢) الله ، وسلامة الصدر ، التي هي من علامة الإيمان ، ورقة الحاشية ، وسرعة العبارة ، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة ، إلى ضخامة التنجيد ، واستجادة الآلات ، والكلف بالجهاد ، وثبات القدم ، وقوة الجأش ، ومشهور البسالة ، وإينار الرفق ، وتوخي السداد ، ونجح المحاولة . زاده الله من فضله ، وأبقى أمره في ولده ، وأتمتع المسلمين بعمره . ساق الله [إليه] الملك طواعية واختياراً ، إثر صلاة عيد الفطر على بقتة ^(٣) وفاة المقدس أبيه ، من عام خمسة وخسين وسبعائة ، لخايل الخير ، ومزية السن ، ومظنة البركة ، وهو يافع ، قريب العهد بالمرأهة ، فأنبتته الله النيات الحسن ، وسدال ^(٤) به الستر ، وسوغ العافية ، وهنأ العيش ، فلم تسح في مدته السماء ، ولا كلب ^(٥) الأعداء ، ولا تبدلت الألقاب ، ولا غونيت الشدائد ، ولا عرف الخوف ، ولا فودق الخصب ، إلى أن كانت عليه الحادثة ، ونابه التمهيص ، الذي أ كبه الحنكة ، وأفاده العبرة ، فشهد بصناية الله في كف الأيدي العادية ، وأخطأ [ألم] ^(٦) السهام الراشقة ، وتخيب الآمال

(١) وردت في «ج» (وجمال الظرف) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة ، يحجم . والتصويب لازم لاستقامة السياق .

(٣) كذا في «ج» و «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة ، وسيل .

(٥) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٦) الزيادة من «الملكية» ، والزيتونة .

المكايـدة ، وانـسـدال أزـوقـة السـتر والعـصـمة ، ثم العـودـة ، الـذـى عـرف الإـسـلام ،
[بـدار الإـسـلام] (١) قـدـرـها ، وتـمـلأ عـزـها ، ورـجـح (٢) وزـنـها ، كـما اخـتـبر ضـيـدهـا
فرصـة المـلـك ، وشـاع العـدل ، وبـعد الصـيـت ، وانتـشر الذـكـر ، وفاض الخـيـر ،
وغـزـر القـطـر ، فظـهـرت البـركـات ، وتـوالـت الفـتـوح ، وتـخـلـلت الأناـر . وسـيـرد من
بـيـان هـنـه الجـل ، ما يـسـمـعـه التـرتـيب بـحـول الله .

ترتيب دولته الأولى

إذ هو ذو دولتين ، ومُسُوغ ولايتين ، عزَّزها الله ، بملك الآخرة ، بعد
العمر الذي يملأ صحايف البر ، ويخلد حُسن الذِّكر ، ويعرف إلى الوسيلة ، ويرفع
في الرفيق الأعلى الدرجة ، عند الله خير وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون .

وزرائه وحجابه

انتدب إلى النيابة عنه ، والتشهير إلى الحجابة ببابه ، الشيخ القايـد المعتمد
بالثَّجَلَة ، المتحول من الخُدَّام الثَّبَـهـاء ، المتسود الأبوة ، المخصوص بالفـدح المـلـعى
من المزية ، المسلم له في خُصُوصِيَّة الملك والتربية ، ظهير العلم (٣) والأدب ، وأمين
الجـد ، ومولى السلف ، ومُفـرِغ الرأى إلى هذا العهد ، وعِقد سَفَرَة (٤) السلطان ،
وبقية رجال الكمال من مشيخة المالـيك ، وخيار الموالى ، أبا النـعـيم رضوان رحـمـه
الله ، فحمد الكل ، وخلف السلطان ، وأبقى الرُتـب ، وحفظ الألقاب ، وبذل
الإنصاف ، وأوسع السكـنـف ، واستدعى النصيحة ، ولم يأل جهداً في حُسن

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي «ج» و «الملكية» (هذه الاسلام) .

(٢) هكذا في «الملكية» والزيتونة ، وفي «ج» واسترجح . والأولى أفضل .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» ، العمر ، والتصويب أرجح .

(٤) هكذا في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» سفراً .

السيرة ، وتظاهر المحض ، وأفردني بالمرية^(١) وعاملني بما يرتد عنه جسر أطرف الموالاة والصحبة ، ووفى لي الكيل الذي لا يقتضيه السن ، والقربة من الاشتراك في الرتبة^(٢) ، والتزحزح عن الهضبة ، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر والغيبة ، والمحافظة على التشيع والقدمة ، بلغ في ذلك أقصى الغايات . مدارج النخلق المأثور عن الحلة ، والتودد إلى [المرأة بعد المرأة]^(٣) ، واختصت بفوت المدّة بالسلطان ، فكنت المنفرد بسرّه دونه ، ومقضى همه ، وشفاه نفسه ، فيما يُنكره من فتنة تقع في سيرته . أو تصير توجيه السداجة في معاملاته ، وصالح ما يتغير عليه من قلبه ، إلى أن لحق بربه .

شيخ الفزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره

أقر على الفزاة شيخهم على عهد أبيه ، أبا زكريا يحيى بن عمر بن وحو بن عبد الله بن عبد الحق ، مطمح الطواف^(٤) ، وموفى الاختيار ، ولباب القوم ، وبقية السلف . حزماً ودهاء ، وتجربة [وحسكة وجداً وإدراكاً]^(٥) [ناهيك]^(٦) من رجل فذلّ المنازع ، غريبها ، مستحقّ التقديم ، شجاعة وأصالة ، ورأياً ومباحثة ، نسيان قبيله ، وأضحى قسهم ، وكسرى ساستهم ، إلى لطف السجية ، وحسن التأني ، لغرض السلطان ، وطرق التزلزلات . ورقة غزل الشفاعات . وإمتاع المجلس ، وثقوب الذهن والفهم ، وحسن الهيئة . وزاده خصوصية ملازمته

(١) وردت في «ج» و «الملكية» بالزبدة ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» وفي «الملكية» بالزينة ، والتصويب أرجح .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (المدة بعد المدة) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «الزيتونة» ، وفي «ج» و «الملكية» (الطرف) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (وحركة وجدا) .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضها السياق .

مجلس الرُّفَاع المَعْرُوضَة ، والرُّشْل الوارِدَة . وسيأتى ذكره فى موضعه بحول
الله تعالى .

كاتب سره

مَتَّ لَأَوَّلِ الأَمْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْوُضُفَةِ الَّتِى أَسْنَدَهَا^(١) إِلَى أبُوهِ المولى المقدس ،
رحمه الله ، من الوقوف على رأسه ، والإمساك فى التهانى والمبايعة بيده . والكتابة
والإنشاء والعرض والجواب . والخيلة والمجالسة ، جاعلاً بين خدمة القلم . ولقب
الوزارة ، معزَّزاً الخَطَّ بِرِسْمِ القِيَادَةِ . مخصوصاً بالنيابة عنه فى القنينة . على كل
ما اشتمل عليه سورُ القلعة والخضرة . مطلقاً أمورَ الإيالة ، محكماً فى أشناته تحكيم
الأمانة . مُطلقاً الجراية . ظاهرَ الجاه والنعمة . ثم تضاعف العزُّ ، وتأكَّد
الرعى . وتمحَّضَ القربُ . فنقلنى من جَلْسَةِ المواجهة ، إلى صَفِّ الوزارة ،
وعاملنى بما لا مزيد عليه من العناية . وأحلنى المحل الذى لا فوقه فى الخُصُوصِيَّةِ ،
كافاً الله فضله ، وشكرَ رعيه ، وأعلى محله عنده .

وأصدَرَ لى هذا الظَّهيرَ لثانى يوم ولايته : هذا ظهيرٌ كريمٌ ، صفى شربه .
وسفرنى فى الرسالة عنه ، إلى السلطان ، الخليفة الإمام ، ملك المغرب ، وما إليه
من البلاد الإفريقية ، أبى عنان ، حسبما يأتى ذكره . ثم أعفانى فى هذه المدة
الأولى ، عن كثير من الخدمة ، ونوّه بى عن مباشرة العَرَضِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْجُلَّةِ ،
فاختَرْتُ للكلِّ والبِدَلَةِ ، وما صان عنه فى سبيل التجلَّةِ ، وإن كان منتهى أطوار
الرَّفْعَةِ ، الفقيه أبامحمد بن عطية ، مُسْتَنْزِلاً عن قضاء وادى آش وخَطَابَتِهَا ،
فكان يتولى ما يُكْتَبُ بنظرى ، وراجعاً لحكمى ، ومتردداً لبالى ، مُكْنَفَى

(١) وردت فى «ج» والملكية ، أسند . والتصويب أفضل .

المؤنة في سبيل^(١) الحمل الكلى ، إلى وقوع الحادثة ، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة .

قضائته

جدّد أحكام القضاء والخطابة لقاضى أبيه الشيخ الأستاذ الشريف ، نسيج وحده ، وفريد دهره^(٢) ، إغراباً^(٣) فى الوقار ، وحسن السمّت^(٤) وأصالة البَيّت ، وتبحّراً فى علوم اللسان ، وإجهازاً فى فصل القضايا ، وانفراداً ببلاغة الخطبة ، وسبقاً فى ميدان الدهاء والرجاحة ، أبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى ، الجانح إلى الإيالة النصيرية من مدينة سبّنة . وسيأتى التعريف به فى مكانه إن شاء الله . وتوفى رحمه الله بين يديّ حدوث الحادثة ، فأرجىء الأمر بمكانه ، إلى قدوم متلقّف الكُرة ، ومتعاور تلك الخطّة . الشيخ الفقيه القاضى ، أبى البركات قاضى أبيه . ووليها الأحقّ بها بعده ، إذ كان غائياً فى السفارة عنه ، فوق التّمحيص قبل إبرام الأمر على حال الإستنابة .

الملوك على عهد

وأولهم بالمغرب ، السلطان ، [الإمام]^(٥) ، أمير المسلمين ، أبو عنان ابن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ، البعيد الشاؤ فى ميدان السعادة ، والمُصنّى أغراض السداد ، ومُعظم الظفر ، ومُحوّل الموهبة ، المستولى على آماد الكمال ،

(١) وردت فى الزيتونة بعد هذه الكلمة عبارة (المؤنة فى) وهى عبارة لا معنى لها هنا ، ومن ثم فقد أغفلناها .

(٢) هكذا فى « ج » ووردت فى « الملكية » ، عصره .

(٣) وردت فى « ج » إغراباً . والتصويب من « الملكية » والزيتونة .

(٤) هكذا وردت فى « الملكية » والزيتونة . وفى « ج » السمة ، والأولى أرجح .

(٥) الزيادة من الزيتونة .

عقلاً وفضلاً وأبهةً وزُوراً. وَخَطَّأَ وَبَلَاغَةً ، [وَحَفَظًا وَذَكَاةً] ^(١) وَفَهْمًا
وَإِقْدَامًا ، تَقَمَّدهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ . بَعَثَنِي إِلَى بَابِهِ رَسُولًا عَلَى إِثَرِ بَيْعَتِهِ . وَتَمَامِ أَمْرِهِ ،
وَخَاطِبًا لِنَرِهِ وَوُدِّهِ ، مُسْتَرْفِدًا ^(٢) مِنْ مَنَحَةِ قَبُولِهِ ، فَأَلْفَيْتُ بَشْرًا مَبْدُولًا ،
وَرَفَدًا مَمْنُوحًا . وَعَزًّا بِاخْتِا ، يَضِيقُ الزَّمَانُ عَنْ جَلَالَتِهِ ، وَتَقْصُرُ الْأَلْسَنَةُ عَنْ
كُنْهِ وَصْفِهِ ، فَكَانَ دَخُولِي عَلَيْهِ فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي قَعْدَةِ عَامِ
خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ الْمَذْكُورِ ، وَأُنْشِدْتُهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُخَاطَبَةِ ، وَمُضْمِنِ الرِّسَالَةِ :

خَلِيفَةُ اللهِ سَاعِدَ الْقَدَرِ علاك ملاح في الدُّجَا قَرُ

فَأَحْسَبُ وَكُنِي ، وَاحْتَفَلُ وَاحْتَفِي ، وَأَفْضَتُ بَيْنَ يَدَيِ كَرَمَتِهِ ^(٣) ، إِلَى
الْحَاضِرِ مَعَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الْمُطْلَةِ عَلَى مَوْجِدِ رَحْبٍ . هَاجَ بِهِ الْخُدَّامُ أَسَدًا ،
أَرْوَدَ ، شَتْنُ الْكَفَّيْنِ مُشْعَرٌ ^(٤) اللَّبْدَةِ ، حَتَّى مَرَّقَ عَنْ تَابُوتِ خَشْبِي كَانَ مَسْجُونًا
بِهِ ، مِنْ بَعْدِ إِقْلَاعِهِ ، مِنْ بَعْضِ كُوَاهِ ، وَأَثَارَتِهِ مِنْ خَلْفِهِ ، وَاسْتَشَاطَ وَتَوَقَّدَ
بِأَسَا . وَجَلَّبَ ^(٥) ثَوْرٌ عَيْلُ الشَّوْى ، مُنْتَصِبُ الْمَرْوَى ، يَقْدُمُهُ صَوَارٌ ^(٦) مِنْ
الْجَوَامِيسِ ، فَتَرُبَّتْ الْخُطَا ، وَحَمِيَتِ الْوَعْيُ ، وَبَلَغَ الزَّمِيرُ وَالْجُورُ مَا شَاءَ ،
فِي مَوْقِفٍ مِنْ مِيلَادِ الشِّيمِ الْعَلِيِّ [يَخْشَى] ^(٧) الْجَبَانُ مُقَارَعَةَ الْعِدَا ، وَيُوطِنُ نَفْسَهُ
الشُّجَاعُ عَلَى مِلَاقَةِ الرَّدَى ، وَخَارَ الْأَسَدُ عَنْ الْمُبَارَزَةِ ، لَمَّا بَلَغَ مِنْهُ تَعَاْفًا عَنْ رَدِّ
الْمُنَاوَشَةِ ، وَمُضْطَلَمًا بِأَعْيَاءِ الْمُحَامِلَةِ ، فَتَخَطَّاهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الرُّجَالَةِ ، أُولَى عُدَّةٍ ،

(١) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» إدراكاً .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» مستزيداً .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) وردت في «ج» مقشعر . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وجللت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (صواراً) فاتقصى التصويب .

(٧) هذه الإضافة أو ما في معناها لازمة لإستقامة الساق .

وذوى ذُرْبَةٍ^(١)، حمل نفسه متطارحا كشهاب الرّجم، وسَرَكَ الدُّجاء، وأخذته
وماحهم بإبادته^(٢)، بعد أن أُرْدَى بعضهم، وجُدِّل بين يدي السلطان، متخبطا
في دمه. وعرض بعض الحاضرين، وأغرَى بالنظم في ذلك، فأشدته:

أنعامُ أرضِك تُقهرُ الأسادا طبعاً كسا الأرواح والأجسادا
وخصائصُ الله بث ضروبها في الخلق ساد لأجلها من سادا
إن الفضائل في حماك بضائعُ لم تنخش من بعد التفاق كسادا
كان الهزبرُ محارباً فجزيته بجزاء من في الأرض دام فسادا
فانبع المزيده من آلايه بشكره وأرغم بما خولته الحسادا

فاستحسن تأتّى القريحة، وإمكان البديهة، مع قيّد الصفة، وهيمه المجلس.
وكان الانصراف بأفضل ما عاد به سفيرٌ، من واد^(٣) أصيل، وإمدادٍ موهوب،
ومهاداة أثيرة وقطار مجنوب، وصامت محمول، وطعمة مسوعة. وكان الوصول
في وسط محرم من عام ست وخمسين وسبع مائة، وقد نجح السعى، وأمر الجهد،
وصدقت الخيلة، وقد تضمن رَحْلَى الوُجْهَة، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله
الذى له الحمد في الأولى والآخرة. وتوفى زعموا بحيلة، وقيل حتف أنفه، لما نهك
المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع بيا به الوزراء، وتسبق إلى بابه الأبناء. وخاف
مُدبِّر أمره، عائدة ملامته، على توقع بُرْئه، وكان سيفه^(٤) يسبق على سوطه،
والقبر أقرب إلى من تعرض لعنّبه من سجنه، ففضى موضع هذا السبيل خاتمة
الملوك الجلّة، من أهل بيته. جدّد الملك، وحفّظ الرسوم، وأجرى الألقاب،

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (ذرية). والتصويب أرجح.

(٢) في «ج» و «الملكية» بآبارته، والتصويب من «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» ود.

(٤) في «ج» و «الملكية» سفيه. والتصويب من «الزيتونة».

وَأَغْلَظَ الْعُقَابَ ، وَصَيَّرَ إِيَالَتَهُ أَضْيَقَ مِنَ الْخَلْدِ^(١) . وَأَمَدَّ الْأَنْدَلُسَ ، وَهَزَمَ الْأَضْدَادَ ، وَخَلَدَ الْآثَارَ ، وَبَنَى الْمَدَارِسَ وَالزُّوَايَا ، وَاسْتَجْلَبَ الْأَعْلَامَ . وَتَحَرَّكَ إِلَى تِلْدِيسَانَ فَاسْتَضَافَهَا إِلَى إِيَالَتِهِ ، ثُمَّ أَلْحَقَ بِهَا قُسْنُطِينَ وَبِجَايَةَ ، وَجَهَّزَ أَسْطُولَهُ إِلَى تُونِسَ ، فَدَخَلَهَا وَتَمَلَّكَهَا ثِقَاتُهُ فِي رَمَضَانَ عَامَ ثَمَانِيَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَاسْتَمَرَّتْ بِهَا دَعْوَتُهُ إِلَى ذِي قَعْدَةِ مِنَ الْعَامِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ لَذِي حِجَّةٍ مِنْ عَامِ تِسْعِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى وَلَدِهِ الْمَسْمُوعِ بِالسَّعِيدِ ، الْمَسْكُونِيِّ بَابِي بَكْرٍ ، مَخْتَارَ وَزِيرِهِ ابْنِ عَمْرِو الْفُدُوءِيِّ^(٢) . وَدَرَامَ ضَبْطِ الْإِيَالَةِ^(٣) الْمَشْرِقِيَّةِ فَأَعْيَاهُ ذَلِكَ ، وَبَايَعَ الْجَيْشُ الْمَوْجُوهُ إِلَيْهَا مَنْصُورَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، وَلَجَأَ الْوَزِيرَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْبَلَدِ الْجَدِيدِ ، مَتَوًى الْخِلَافَةِ الْمَرْيُونِيَّةِ ، فَكَانَ أَمْلَكَ بِهَا . وَنَازَلَهُ مَنْصُورُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ اسْتَعْضَى إِلَيْهِ أَمْرُ الْبَلَدِ لِحَزْمِ الْوَزِيرِ وَقُوَّةِ شَكِيمَتِهِ . وَغَادَرَ^(٤) السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ أَخُو الْهَالِكِ السُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ [الْأَنْدَلُسِ]^(٥) ، وَقَدْ كَانَ اسْتَقَرَّ بِهَا بِإِزْعَاجِ أَخِيهِ إِيَّاهُ عَنِ الْمَغْرِبِ ، كَمَا تَقْدُمُ فِي اسْمِهِ ، فَطَلَعَ عَلَى الْوَطْنِ الْغَرْبِيِّ بِإِعَانَةِ مَنْ مَلَكَ النَّصَارَى ، عَانَى فِيهَا هَوَلًا كَثِيرًا ، وَاسْتَقَرَّ بِأَخْرَةٍ بَعْدَ إِخْفَاقِ شِيعَتِهِ^(٦) الْمَرَاكُشِيَّةِ ، بِسَاحِلِ طَنْجَةَ ، مُسْتَدْعًى مِنْ بَجِيَالِ غُمَارَةٍ ، وَدَخَلَتْ سَكْبَتُهُ وَطَنْجَةُ فِي طَاعَتِهِ . وَفَرَّ النَّاسُ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، ضَرْبَةَ لَازِبٍ ، وَتَقَبُّضٍ عَلَيْهِ وَعَلَى ابْنِهِ ، فَقَتَلَا صَبْرًا ،

(١) فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (الْخَدِّ) وَالتَّصْوِيبِ أَرْجَحَ .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» الْفُدُوءِي . وَالتَّصْوِيبِ مِنْ «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزِّيْتُونَةِ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» وَالزِّيْتُونَةِ «الْأَبَالِي» . وَالتَّصْوِيبِ مِنْ «الْمَلِكِيَّةِ» .

(٤) وَرَدَتْ فِي «ج» (وَنَعَصَ) . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزِّيْتُونَةِ (وَبَغَضَ) . وَهِيَ كَلِمَةٌ لَا مَعْنَى

لَهَا هُنَا . وَقَدْ أَضْفَيْنَا كَلِمَةَ (وَغَادَرَ) لِيَسْتَقِيمَ السِّبَاقُ .

(٥) سَاقِطَةٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَلاَزِمَةٌ لِلْسِّبَاقِ .

(٦) وَرَدَتْ فِي «ج» سَمِيَةً . وَالتَّصْوِيبِ مِنَ الزِّيْتُونَةِ ، وَبِهِ يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ السُّلْطَانَ

أَبَا سَالِمٍ نَزَلَ أَوَّلًا بِسَاحِلِ دَكَاالَةِ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ مَنَاطِقَةِ مَرَاكُشَ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهَا بِدَفْئِهِ إِلَى الشِّمَالِ .

نفعهما الله . وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر لشعبان عام ستين وسبعمائة ، بنزول الوزير وسلطانه عنها إليه . ثم دالت الدولة . وكان من لحاق السلطان برُنْدَة ، واستعانته على ردِّ ملكه ما يأتى فى محله ، والبقاء لله سبحانه .

وبتلمسان السلطان أبو حمّو^(١) موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يَمْعُرَاس بن زيان ، قريب العهد باسترجاعها ، لأول أيام السعيد .

وبتونس الأمير إبراهيم بن الأمير أبى بكر بن الأمير أبى حفص بن الأمير أبى بكر بن أبى حفص بن إبراهيم بن أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد ، لنظر الشيخ رأس الدولة ، وبقية الفضلاء ، الشهير الذكر ، الشائع الفضل ، المعروف السياسة ، أبى محمد عبد الله بن أحمد بن تافراكين^(٢) . تحت مضايقة من عرب الوطن .

ومن ملوك النصارى بقشتالة ، بطرُّه بن ألخشة بن هراندة بن شانجه بن الفتش بن هراندة ، إلى الأربعين ، وهو كما اجتمع وجهه ، تولى^(٣) الملك على أخريات أيام أبيه فى محرم عام أحد وخمسين وسبعمائة . وعقد معه سلم على بلاد المسلمين . ثم استمر ذلك بعد وفاته فى دولة ولده المترجم به ، وغمرت الروم . وألقت العصا ، وأغضت القضاء ، وأجالت على الكثير من الكبار^(٤) الرَّذى ، بما كان من إخافته سائر إخوانه لأبيه ، من خاصته ، المعجلة الغالبة على هواه ، فنبذوه على سوء^(٥) بعد قتلهم أمهم ، وانتزوا عليه بأقطار غرَسهم فيها أبوه قبل موته برعية أمهم . وسلك لأول أمره سيرة أبيه فى عدوله عن عهوده بمكاييه لمنصبه ،

(١) هكذا فى «ج» . وفى «الملكية» والزيتونة (أبو عمران) . وهو كنية السلطان المشار إليه

(٢) هكذا رسمت فى «ج» . وترسم أحيانا بالكاف : تافراكين .

(٣) وردت مكانها فى «ج» ، وكاوى . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٤) وردت فى «ج» والزيتونة (كبار) . والتصويب لازم السياق .

(٥) وردت فى «ج» سوا . والتصويب من «الملكية» .

إلى اختصاص عجلة ، أنف بحراه كبار قوم ، من أجل ضياع بذره وانقراض
عقبه ، فال الخوارج عليه ، ودبروا القبض عليه ، وتحصل في أنشودة ، يقضى
أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع ، لولا أنه أفلتك وتخلص من شرارها .
فاضطره ذلك إلى صلة السلم ، وهو الآن بالحالة الموصوفة .

الأحداث في أيامه

لم يحدث^(١) في أيامه حدث إلا العافية المسحة^(٢) والهدنة المتصلة ، والأفراح
المتجددة ، والأمنة المستحكمة ، والسلم المتعقدة . وفي آخر جمادى عام ست
وخسين وسبعائة لحق بجبل الفتح فشتم شعبته ، وأبر متبوتة^(٣) ، كان على نفره
العزیز على المسلمين ، من لدن افتتاحه ، الموسوم الخطية ، المخصوص بمزية تشييده ،
عيسى [بن] الحسن بن أبي منديل ، بقیة الشيوخ أولى الأصالة والدهاء ،
والتزني بزى الخير ، والمثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة ، والإغراق
في سوء العقبي . والله غالب على أمره . فكان أملاك بمصاته ، وقر عينه بلقاء
ولده ، والتمتع منه بجواد عتيق . ملئ من خلال السياسة ، أزداه سوء الحظ ،
وشؤم النصبة^(٤) . واظلم ما بينه وبين سلطانه ، مسوغه برداء العافية على تفه صغر ،
وملبسه رداء العفة على قدح الأمور ، أبدى منها الخوف على ولده ، وعرض
دیسم عزمه ، على ذوبان الجبل ، فانحطوا في هواه ، وغرثوه بكاذب غصبة^(٥) ،
فاظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور ، واتصلت الأخبار ، وساعت

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة ، تحدث . فاقتضى التصويب .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» ، المسيحة . والتصويب من الزيتونة .

(٣) أعني قام بتعليق أسواره وأصلاح أجزائه الخربة الهالكة .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» ، النصفة ، والأول أرجح .

(٥) وردت في «ج» عصه التصويب من « . الملكية » والزيتونة .

الظنون ، وضائق الصدور ، ونسكت الرؤوس لتوقع الفارقة ، بانسداد باب الصريح . وانبتات سبب النعرة . وانبعث طمع العدو [وانجحت الأطماع]^(١) في استرجاعه واستقلته ، لمكان حصانه ، وسمو الذروة ، ووفور العدة . ووجود التهمة ، وأخذه بتلاشي الفرصة . ثم ردفت الأخبار بخروج جيشه^(٢) صُحبة ولده إلى منازلة أشتبونة^(٣) ، وإخفاق أمله فيها . وامتناسك أهلها بالدعوة ، وانتصافهم من العائفة العادية ؛ فبؤدر إليها من مألقة بالعدد . وخوطب السلطان [من]^(٤) ملك المغرب أيده الله بالجلية ، فتحققت المناينة ؛ واستقرت الظنون . وفي الخامس والعشرين من شهر [ذي قعدة]^(٥) ، ثار به أهل الجبل . وتبرأ منه أشياعه ، وخذلوه بالفرار ، فأخذت شعابته ونقابها ، فسكر راجعاً أدراجه إلى القاعدة^(٦) الكبيرة . وقد أعجله الأمر ، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها . وكوثر^(٧) فالتى به ، وقد لحق به^(٨) بعض الأساطيل بسببته لداعي تسوؤ توطي^(٩) على إمارته ، فقيد هو وأبنه ، وخيض بهما البحر للدين ، ولم ينتطح فيها عثران ، رحمه الله . سنام فيئة ألفت برّكها^(١٠) ، وأناخت بكلّسكاها . وقد تدر أنها واقعة . ليس لها من دون الله كاشفة . فقد كان من بالجبل يرموا على إيالة ذينك المرتسمين^(١١) .

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (وركت الأطماع) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة بعدها كلمة ، إلى ، وهي حشو لا محل له .

(٣) أشتبونة ، وبالإسبانية Estpona ، ثغر أندلسي صغير ، يقع جنوبي إسبانيا ، وشمال جبل طارق في منتصف المسافة بينه وبين ثغر مريلة .

(٤) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٥) مكانها بياض في المخطوطات الثلاثة ، ونعتقد صحة ما أثبتناه ، وهو متفق مع ما سبق

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (القاهرة) . وهو تحريف ظاهر . والتصويب أرجح .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وقد تعني كثرة خصومه .

(٨) وردت بعدها في المخطوطات الثلاثة كلمة (الأسطول) ، ووجودها هنا يخل بالسياق

والأغلب أنه من باب السهو .

(٩) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (سور تولهي) .

(١٠) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة ، بركانها .

(١١) وردت محرفة في «ج» ، المرتسين . والتصويب من «الملكية» .

وَأَلْقُوا أَجْوَارَهَا ، وَأَعْطَوْهَا الصَّفَقَةَ . بِمَا أَطْعَمَهُمَا فِي الثَّوْرَةِ ^(١) . وَاسْكُلْ أَجَلَ كِتَاب . وَاحْتَمِلْ إِلَى الْبَابِ السُّلْطَانِي بِمَدِينَةِ فَاس ، وَبَرَّزْ النَّاسَ إِلَى مَبَاشَرَةِ إِيْصَالِهِمَا بِمَجْلُوبِينَ فِي مَنْصَةِ الشَّهْرَةِ ، مَرْفُوعِينَ فِي هَضْبَةِ الْمَثَلَةِ . ثُمَّ أَمْضَى السُّلْطَانُ فِيهِمَا حُكْمَ الْفَسَادِ . بَعْدَ أَيَّامِ الْحَرَابَةِ ، فَقَتَلَ الشَّيْخَ بِخَارِجِ بَابِ السَّمَائِينَ مِنَ الْبَلَدِ الْجَدِيدِ . بِأَيْدِي قَرَابَتِهِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أُضْحِتْ ^(٢) رِمَاحَ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشَةَ اللَّهُ أَرْحَامُ هُنَاكَ تُشَقُّ

وَقُطِعَتْ رِجْلُ الْوَلَدِ وَيَدُهُ . بَعْدَ طَوِيلِ عَمَلٍ وَسُوءِ تَنَاوُلٍ . وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ اسْتَنْقَذَهُ حِمَامُهُ فَأَضْحَى عِيرَةً فِي سُرْعَةِ انْقِلَابِ حَالِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ : حَسَنُ طَاعَةٍ . وَذِياعُ مُحَمَّدٍ ، وَفَضْلُ شَهْرَةِ . وَاسْتَفَاضَةَ خَيْرِيَّةٍ ، وَنَبَاهَةَ بَيْتٍ ، وَأَصَالَةَ عِزٍّ ، إِلَى ضِدِّ هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَقَانَا اللَّهَ مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَلَا سَلْبَ عَنَا جِلْبَابِ السُّتْرِ وَالْعَافِيَةِ .

وَسَدَّ السُّلْطَانُ ثَغْرَ الْجَبَلِ بِآخِرِ ^(٣) مِنْ وَلَدِهِ اسْمُهُ السَّعِيدُ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَلَحِقَ بِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ بِفَاتِنَتِهِ . وَقَدَّرَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَسَوَّغَهُ رِزْقًا رَغْدًا ، وَعَيْشًا خَفَضًا . وَبَادَرَ السُّلْطَانُ الْمُرْتَجِمَ لَهُ ، إِلَى تَوْجِيهِ وَسُؤْلِهِ : قَاضِيًا حَقَّهُ . مَقَرَّرَ السَّرُورَ بِجَوَارِهِ ، وَاتَّبَعَ ذَلِكَ مَا يَلِيْقُ مِنَ الْحَالِ مِنْ بَرٍّ وَمَهَادَاةٍ وَنَزَلْ . وَتَعَقَّبَتْ بَعْدَ أَيَّامِ الْمَكْفَافَاتِ ^(٤) ، فَاسْتَحْكَمَ الْوُدَّ ، وَتَحَسَّنَتْ الْأَلْفَةُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيقِهِمْ ^(٥) وَمُسْنَى الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ ^(٦) عَلَى أَيْدِيهِمْ .

(١) فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (الثَّوْرَةُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الزَّيْتُونَةِ ، ظَلَّتْ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» بِأَمْرٍ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمُلْكِيَةِ» .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الْمُلْكِيَةِ» وَالزَّيْتُونَةِ . وَفِي «ج» الْمَكْفَافَةُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٥) وَرَدَتْ فِي «ج» تَوْفِيقِهِمْ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمُلْكِيَةِ» وَالزَّيْتُونَةِ .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الْمُلْكِيَةِ وَالزَّيْتُونَةِ ، . الْخَيْرَاتُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

الحادثة التي جرت عليه

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول ، خفضُ عيش^(١) ، وتوالى خِصب ، وشياعُ أمن ، إلا أن شيخ الدولة القايد أبا النعيم رحمه الله ، أضع الحزم . وإذا أراد الله إنفاذ [قضايه وقَدَره]^(٢) ، سلب ذوى العقول عقولهم ، بما كان من أمنه جانب القصر^(٣) المزم دار سكناه ، من عِلْيَةِ فيها أخو السلطان ، بهاونه يحيل أمه المداخلة في تحويل الأمر اليه ، جُملة من الأشرار ، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأَخلاف . وإبراهيم بن أبي الفتح . والدليل المورورى^(٤) . وأمدته بالمال : فداخل القومُ جُملةً من فرسان القيود ، وعَمْرَةَ الشجون . وقلاميد الأسوار . وكانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث ، المزروع العصمة ، خارج القلعة حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام ، اجتمعوا وقد خفي أمرهم . وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخل من وادى هَدَاؤُهُ الى البلد : اصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء ، وكان بسورها ثَلَم ، لم يتم ما شرعوا فيه من إصلاحه ؛ فنصبوا سُلما أُعِدَ لذلك ، وصعدوا منه . ولما استوفوا ، قصدوا الباب المضاع المُسلحة ، للثقة بما قبله ؛ فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح ، واستغلظوا بالتهويل . وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء ، فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القايد أبي النعيم ؛

(١) وردت في «ج» عيشة . وقد آثرنا لفظة «الملكية» والزيتونة .

(٢) هذا ما ورد في «ج» . وفي «الملكية» ، والزيتونة (أمر من أوامره) . والمزدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الصبر) وهو تحريف . ونعتقد أن المعنى يستقيم بالتصويب

(٤) المورورى أو الدليل المورورى ، هو أحد الزعماء الذين اشتركوا مع الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج في تدبير الثورة ، التي نشبت في رمضان سنة ٧٦٠ هـ ، وانتهت بعزل محمد النقي بالله ، وإجلاس أخيه إسماعيل بن يوسف مكانه على العرش . وقد ولاه هذا السلطان وزارته ، وجعله حافظ الباب وأمين السدة . راجع الإحاطة (١٩٧٣) ج ١ ص ٤٠١ و ٥٢٤ . واللحمة البدرية ص ١١٦ .

فاقتحمته غلاباً وكسرت أبوابه ؛ وقتلته في مضجعه ؛ وبين أهله وولده ، وانتهت ما وجدت به . وقصدت الأخرى دار الأمير ، الذي قامت بدعوته فاستنجزته واستولت على الأمر . وكان السلطان متحولاً بأهله^(١) الى مكى « جنة العريف »^(٢) خارج القلعة ، فلما طرقة النبأ ؛ وقرعت سمعه الطبول مدده الله ؛ وساند^(٣) أمره في حال الحيرة ، إلى امتهلاء جواد كان مُرتباً عنده في ثياب تبذله ومصاحباً لأفراد من ناسه ؛ وطار على وجهه ، فلقى بوادى آش قبل سبق نكبته ، وطُرق مكانه بأثر ذلك ، فلم يُلَف فيه ، وأُتبع فأُعيا المتبع . ومن الغد ، استقام الأمر لأولى الثورة ، واستكلوا لصاحبهم أمر البيعة ، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزيمة ، وأرسلوا [إلى]^(٤) ملك النصارى في عقد الصلح . وشرعوا في منازلة وادى آش ، بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها ، فلازمته المحلات وولى عليه التضييق . وخيف فوات البدر ونفاد القوة ، فشرع السلطان في النظر لنفسه ، وخاطب السلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه ، فتلقيه بالقبول وبعث من يمهّد الحديث في شأنه ، فتمّ ذلك ثانياً يوم عيد النحر من العام . وكنت عند الحادثة على السلطان ، ساكناً بجنتى المنسوبة إلى من الحضرة ، منتقلاً إليها بجملى ، عادة المترفين ، إذ ذاك من مثلى ، فتخطانى الحُف ، ونالتنى النكبة ،

(١) هكذا في «ج» والمملكة ، وفي الزيتونة (بأمره) .

(٢) هو قصر صغير أنيق يقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من شمال شرق قصبة الحمراء . وقد كان فيما يبدو بموقعه الجميل وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به ، مصيفاً لسلطين غرناطة ، ويعرف بالإسبانية El Generalife . وقد كان الوقت الذى وقع فيه الانقلاب الذى يزويه ابن الخطيب وهو أواخر رمضان سنة ٧٦٠ هـ يوافق أوائل سبتمبر سنة ١٣٥٧ ، أعنى أوائل فصل الخريف .

(٣) هكذا في «ج» ، وفي «المملكة» والزيتونة (وسواس) وهو تحريف .

(٤) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ويقتضها السياق .

فاستأصلت النعمة العريضة ، والجدة الشهيرة ، فما ابتقت طارفاً ولا تليداً ، ولا ذرت قديماً ولا حديثاً ، والحمد لله مخفف الحساب ، وموقظ أولى الألباب ، ولطف الله بأن^(١) تعطف السلطان بالمغرب إلى شفاعتي بنى بخره ، وجعل أمرى من فصول قصده . [ففككت عنى]^(٢) أصابع الأعداء ، واستخلصت من أنيابهم ، ولحقت بالسلطان بوادى آش . فذهب البأس ، واجتمع الشمل . وكان رحيل الجميع ثانى عيد النحر المذكور . فكان النزول بفحص ألفنت . ثم الانتقال إلى لوشة ، ثم إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة^(٣) يضم أهل [كل]^(٤) محل من هذه [مائتا للحسرة ، ومناحة للفرقة]^(٥) . وكان ركوب البحر صخرة الرابع والعشرين من الشهر ، والاستقرار بمدينة سبتة ، وكفى بالسلامة غمماً ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وكان الرحيل إلى باب السلطان ، تحت برّ لا تسمعه العبارة ، ولقاؤنا إياه بظاهر البلد الجديد لإلمام ألم عاقه عن الإصحار^(٦) والتغنى على البعد ، يوم الخميس السادس لحرم من عام أحد وستين بعده . فى مَرَكب هايل ، واحتفال رابع رايق ، فعروض فيه النزول عن الصّهوات ، والبرّ اللايق بمناصب الملوك . والوصول إلى الدار السلطانية^(٧) ، والطعام الجامع للعلقات وشيوخ القبيل . وقت يومئذ فوق رأس السلطان وبين يدي مؤمّله ، فأنشده مغرباً بنصره ، كالوسيلة بقولى :

(١) وردت فى «ج» . ولم ترد فى الملكية . والتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت فى «ج» والزيتونة (ففككت عن) . والتصويب أفضل للسياق .

(٣) إن هذه البلاد كلها تقع فى الطريق من وادى آش إلى لوشة أولاً ، ثم جوباً بغرب إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة على شاطئ البحر المتوسط . وقد كانت بعد سقوط الجزيرة الخضراء وجبل طارق فيما بعد من أهم ثغور العبور بين الأندلس والمغرب .

(٤) ساقطة فى المخطوطات الثلاثة ، وبها يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى «الملكية» والزيتونة كالآتى : (مائم الحسرة ومناحة الفرقة) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الملكية والزيتونة (الإحصار) وهو تحريف .

(٧) هكذا فى «ج» . ووردت فى الملكية والزيتونة (الإمامية) .

سلاهلَ لديها مِن مُخْبِرَةٍ ذِكْرُ وِهلِ أَغْشَبَ الوادى ونَمَّ به الزهر
فَهاجَ الامْتِعاظُ ^(١)، وسالت العَبْرَاتُ . وكان يوماً مشهوداً . وموقفاً مشهوراً ،
طالَ به الحديثُ . وعَمَرَتْ به النوادى : وتوزَعَتْنَا ^(٢) التزايل على الأمل .
شَكَرَ الله ذلك وكتبَه لأَهله . يوم الافتقار إلى رَحْمَتِهِ . واستمرت الأيام ، ودالت
الدولة للرئيس بالأندلس ، والسلطان تغلبه المواعيد . وتونسُ الآمال : والأسبابُ
تَتَوَفَّرُ ، والبواعثُ تَتَأَكَّدُ . وإذا أَرَادَ الله أمراً هَيَّأَ أسبابه : واستقرَّتْ
بى الدارُ بمدينة سَلا . مرابطاً . مُسْتَمْتِعاً بالغَيْبَةِ . تحت نِعمَةٍ كبيرة ، وإِعفاءٍ
من التكليف .

وفى اليوم السابع لشوال من عام التاريخ ، [قَعَدَ السلطان بقُبَّةِ العَرَضِ] ^(٣)
بظاهر جَنَّةِ المِصَارَةِ لتشيعه ^(٤) ، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك : من آلَةٍ وَحِيلَةٍ ^(٥) ،
وقد برز الخلقُ ، لمشاهدة ذلك الموقف المَسِيلِ للدموع . الباعث للرقَّة . المُتَبِعِ
بالدَّعوات ، لما قَدَفَ الله فى القلوب من الرحمة : وَصَحَّبه به فى التَّعَرُّبِ من العناية ،
فلم تَذْبُ عنه عين ، ولا تَحُلَّ له مَوَكِب . ولا تَقْلَصُ عنه هَيْبَةٌ ، ولا فَارِقَتَهُ
حِشْمَةٌ ، كان اللهُ له فى الدنيا الآخرة . وأجاز . واضطربت الأحوال . بما
كان من هلاك مُعِينِهِ السلطان أبى سالم ، وَغَدَرَ الخبيث المُوْتَمِنُ على قَلْعَتِهِ
به ، عمر ^(٦) بن عبد الله بن على ، صَعَّرَ الله حِزْبَهُ ^(٧) ، وَخَلَدَ خِزْيَهُ ، وَسُقِطَ

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة : الامتناع .

(٢) وردت فى المخطوطتين (وتوزعتنا) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى المخطوطتين . ونقلناها من «اللمحة البدرية» و «النفع» .

(٤) وردت فى «ج» وتشيعه . وفى «الملكية» والزيتونة وتشيعه وهو تحريف . والمقصود
هنا هو تشيع سلطان غرناطة المخْلُوع .

(٥) وردت فى «ج» وحيلة . وهو تحريف .

(٦) وردت فى المخطوطات الثلاثة بحرفة (عامر) . والصواب ما أثبتناه .

(٧) وردت فى «ج» خزيه . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

في يده ، إلا أنه ثَبَّتَتْ في رُنْدَةٍ من إيالة الأندلس ، الراجعة إلى إيالة المغرب^(١) ،
 قدمه ، ففعلَ بها ، وارتاشَ بسببها ، إلى أن فتح الله عليه ، وسدّد عزّمه ،
 وأراه لما ضَعَفَت الحيل صُنْعَه ، فتحرّك إلى برّ مالقة ، وقد فَرَّ عليها العدو منه .
 ثم أقبل على مالقة . مستميتاً دونها ، فسهّل الله الصَّعب ، وأنجح القصد ، واستولى
 عليها . وانتألت عليه حينها البلادُ . وبدا الرئيس المتوثّب على الحضرة ،
 بعد أن استوعب الذخيرة والعُدّة ، في جُملة ضخمَةٍ من خاف على نفسه . لو وُفِّي
 بذمّة الغادر وعهده ، واستقرّ بنادى^(٢) صاحب قشتالة ، فأخذه بجريزته^(٣) ،
 وحكّم الحيلة في جنائنه وغذره ، وألحق به من شاركه في التَّسَوُّر من شيعته ،
 ووجّه إلى السلطان برؤوسهم تبع وأسه . وحَثَّ السلطان أسمعده الله خطاه إلى
 الحضرة ، يتلقاه الناس ، مُسْتَبْشِرِينَ ، وتزاحم عليه أفواجم مُسْتَقْبِلِينَ مُسْتَغْفِرِينَ ،
 وأحقّ الله الحقّ بكلماته ، وقطع دابر الكافرين .

وكان دخولُ السلطان دار مُلْكِهِ ، وعودُهُ إلى أريكة سلطانه ، وحلوله بمجلس
 أبيه وجَدِّه ، زوال يوم السبت المُوفى عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين
 وسبعمائة ، جعلنا الله من همّ الدنيا على حَذَرٍ ، وألهمنا لما يَخْلُصُ عنده من قول وعمل .
 وتخلّف الأميرُ وولده بكره ، أسمعده الله ، بمدينة فاس فيمن معه من جملة ، وخلفه
 من حاشية . [ولد المُستولى^(٤) على مُلْك المغرب في إمساكه إلى أن يسترجع رُنْدَةً
 في مُعارضة هدفه . ثم إن الله جمع لأبيه بجميع مثله ، وتَمَّ للمقاصد بما عَمَّ من سَعده .
 وكان وُصُولِي إليه معه ، في تحمّل اليُسْرِ^(٥) والعافية ، وعلى كسر التيسير من الله

(١) كانت رُنْدَةٌ يومئذ ضمن القواعد التي نزل عنها ملوك غرناطة للملوك المغرب (بنى مرين)
 لتكون لجيوشهم قواعد للزول والرباط عند عبورها إلى الأندلس لإنجائها .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بنا) والتصويب لازم لاستقامة المعنى .

(٣) وردت في «ج» بجريزة . وفي «الملكية» (في جزيرة) وهو تحريف .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (المتوثّب) (٥) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (اليسر) .

والعناية [^(١)] يوم السبت المؤفى عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور

إلى بيعة الكور

هَنا المسلمين ببرّ كتبها الوافرة ، ومزاياها المتكاثرة . السلطان أيده الله
قد مرّ ذكره ، ويسر الله من ذلك ما تيسر .

وزراؤه

اقتضى حَزْمُه إغفالَ هذا الرّسمُ بُجْلة ، مع ضرورته في السياسة . وعظم
الدخول ، حذراً ^(٢) من انبعاث المسكروه له من قبله ، وإن كان قدّم ^(٣) بهذا اللقب
في طريق ^(٤) مُنْصَرَفَه إلى الأندلس . وإيّاماً من مقامه برُنْدَة ، فنَحَلَه عن كُرْه ،
على بن يوسف بن كُماشَة ، من عِتاق ^(٥) خدامه وخدام أبيه . مُستصحباً إياه ،
مَسْدُول التَّجْمُل على باطن نَفْرة ، مختومُ الجُرم ، على شوكة ، في حَدْبِه في حَبْل
المتغلب ، وإقراضه السيئة من الحسنة ، والمَنْزَل الخشِن ، إلى الإنفاق منه على
الخلال الذميمة ، ترأسها خاصّة الشوم ، علاوة على حَمَل الشيخ الغريب الأخبار ،
والطَّمَع في أَرْزاقِ الدَّور ^(٦) ، والاستراية بمودّة الأب ، وضيق العَطَن ^(٧) ، وقِصَر

(١) وردت في «الملكية» مقابل هذه الفقرة التي بين الخاصرتين ، فقرة أخرى لا تمت إليها
بأية صلة ، وذلك على النحو الآتي : (يصل فيها اليتيم والأرملة ، فيفرج الضميف ، وينتظر حصول
الزمن ، يعتمد ويعاقب الوزعة في الأغلاط إلى أحسن الملكة في الأمر عن سعد . وكان ...
في ترك الخط ، والتبري من سجية الانتقام ، والكلف بما تيسر من الله والعناية ، يوم السبت ...)

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : حوزا . والتصويب أرجح .

(٣) وردت في «ج» والملكية (قدومه) . وفي الزيتونة (قدمه) . والتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطتين : طريقه .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : عقاق . والتصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» والملكية (الدر) .

(٧) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الطنن) . وهو تحريف .

الباب ، وعمى الأسان ، ومشهور الجبن . ولما وقع القبض ، وساء الظن ، بعته من رُنْدَة إلى الباب المريني ليخلى منه جُندَه ، ويمسّ مرض الأيام . بعد أن نقل من الخُطّة كُفْبِه ، فيسّر بعد مُنْصَرَفِه الأمر ، وأسّى الفتح . وحمله الجشعُ الفاضح ، والهوى المتبع ، على التشطُّط لنفسه ، والسكّاحُ تلويصته بما أقطعه الجفوة ، وعسر عليه العودة على السلطان بولده ، إلى أن بلغ الخبرُ رجوع أمره . ودخول البلاد في طاعته . فالتى ماتعتين إليه ، وأهوى به الطمعُ البالغ في عرش الدولة ، ويرتاشُ في ريق انتقامها . وتمحرك ورايةُ الإخفاق خافقةً على رأسه ، قُطِبَ مَحْلَصُه ، وجُوجوة عودِه ، من شيخ تدور بين فُتْكِه رَحَى جَعْجَعَة ، وتثور بين أضلاعِه (١) حَيّة مكيدة ، وينمق (٢) فوق مساعيه غرابُ شومٍ وطيرة . وحدث حرقاؤه صرفاً من مداخلة سُلْطان قشتالة ، أيام هذه المجاورة ، فبلغ أمنيته من ضرب وعدٍ ، واقتناء عهدٍ ، واتخاذ مددٍ ، وترصيد دار قرارٍ ، موهاً نفسه البقاء والتعمير والتعلّي ، وانفساح المدّة والأمر ، وقيادة الدّجن (٣) عند تحوّل الموطنِ لِلْمَلّة (٤) الكُفْرِ ، يسبح (٥) لذلك . لنقصان عقله ، وقلة حِيائِه وضعف غَيْرَتِه . وطوى المراحل ، وقبض عُقْمَ تَزَلُّل (٦) لها فكاكُه . أضلّها الحسرة . وانتزاع (٧) الخبائث . وتلقاه بمالقة ، إيعازُ السلطان بالإقامة بها ، لما يتصل به من سوء تصريفه ، ثم أطلع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عَتْبِه ، وصرفه إلى منزله ، ناظراً في علاج مَرَضِه . ثم لما أفاق

(١) في «ج» أغلاطه . والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في «ج» ويلحق . والتصويب من الملكية وهو أرجح .

(٣) الدجن من تدجن أى يقبأ أرض الوطن بعد سقوطها في أيدي النصارى . والمذجنون هم المسلمون الأندلسيون الذين كانوا يبقون في الأرض التي يفتحها النصارى .

(٤) وردت في «ج» الملكة ، وفي «الملكية» الملكة . ونعتقد أنه تحريف . وبالتصويب

يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (ينجح) والأولى أرجح .

(٦) وردت في «ج» تولول . وفي «الملكية» تزلزلول . وهو تحريف .

(٧) وردت في المخطوطين : انتزاع . ونعتقد أن التصويب أرجح .

وَقَفَّه دُونَ حَدِّهِ ، وَلَمْ يَسْنِدْ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِ ، فَشَرَعَ فِي دَيْدَنِهِ مِنَ الْفَسَادِ عَلَيْهِ ، وَتَمَرَّسَ سُلْطَانُ قَشْتَالَةَ ، شَاكِيًا إِلَيْهِ بَيْتَهُ ، وَأَضْجَرَ لِسُكْنَى بَادِيَتِهِ بِالنَّغْرِ ، فَرَابَ السُّلْطَانُ أَمْرَهُ ، وَأَمَمَهُ شَأْنَهُ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ ، وَصُرِّفَا فِي جُمْلَةٍ مِنْ دَائِرَةِ الشُّؤْمِ مِنْ ثَقُلَتْ ^(١) وَطَأْتُهُ ، فَغُرِبُوا إِلَى تُونِسَ ، أَوَائِلَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسْتِينَ . نَحْنُ لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ الْحِجِّ ، وَاسْتَقَرَّ بِبِدْجَايَةِ يُرِيدُ الْمَغْرِبَ ، حَنَّا إِلَى جَوَارِ النَّصْرَانِيَّةِ ، الَّتِي رَمَى سَلْفُهُ الْعِبُودِيَّةَ إِلَيْهَا ، فَعَبَرَ الْبَحْرَ إِلَى بَرْجُلُونَةِ ، يَنْفُضُ عَنْهُ طَرِيقَ الْحِجِّ عَلَى الصُّلْبَانِ ، وَيَقْفُو عَلَى آثَارِ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، تَقْبِيلَ أَيْدِي السَّكْفَارِ . نَحْنُ قَصَدْنَا بَابَ الْمَغْرِبِ رَسُولًا عَنْ طَاغِيَةِ ^(٢) بَرْجُلُونَةِ فِي سَبِيلِ فُسَادٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَنْجَحْ فِيهِ قَصْدُهُ ، فَتَقَاعَدَ لَمَّا خَسِرَ فِيهِ ضَمَانَهُ ، وَصَرَفَ وَكْرَهُ إِلَى الْإِتِّصَالِ بِصَاحِبِ قَشْتَالَةَ ، وَعَنَّ عَلَى كَتِّيبٍ إِلَيْهِ بِخَطِّهِ ، يَنْتَفِقُ عَنْدهُ وَيُغْرِيه بِالْمُسْلِمِينَ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَسُجِّنَ بِغَاسٍ مَعَ أَرْبَابِ الْجَرَائِمِ . وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَقَرَّ حَالُهُ إِلَى الْيَوْمِ ، وَأَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّجَاوُزِ فِي أَمْرِهِ . وَمَنْ يُضِلِّلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

وَلَمَّا وَفَدْتُ عَلَى السُّلْطَانِ بَوْلَدِهِ ، وَقَرَّتْ عَيْنِي بِلِقَائِهِ ، نَحْتُ سَدَادِهِ وَعِزَّهُ ، وَفَوْقَ أَرْبَكَةِ مُلْكِهِ ، وَأَذَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ ، عَرَضْتُ عَلَيْهِ غَرَضِي ، وَنَفَعْتُ لَهُ خِزَانَةَ سِرِّي ، وَكَاشَفْتُ ضَمِيرِي بِمَا عَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ عَهْدِي ، وَصَرَفْتُ إِلَى التَّشْرِيقِ ^(٣) وَجْهِي ، فَعَلِمْتُ بِي لِرُكُومِهِ عُلُوقُ الْكِرَامَةِ ، وَلَا طَفَنِي بِمَا عَامَلْتُ الْبِرَّ بَيْنَ الدُّعْرِ وَالضَّنَانَةِ ، وَيَضْرِبُ الْأَمَادَ ^(٤) [وُخْرِجَ لِي عَنْ الْضُرُورَةِ ، وَأَرَانِي أَنْ مُؤَاوَزْتَهُ أَبْرَ الْقُرْبِ ، وَرَأَى كُنْفِي إِلَى عَهْدٍ بِخَطِّهِ ، فَسَحَّ فِيهِ لِعَامِينَ أَمَدَ النَّوَاءِ ،

(١) وَرَدَتْ فِي «ج» وَالزَيْتُونَةُ ثَقْلَةٌ . وَبِالتَّصْوِيبِ يَسْتَقِيمُ السِّيَاقُ .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ : طَا - فَقَطْ . وَالتَّصْوِيبُ ضَرْوَرِي لِإِسْتِقَامَةِ السِّيَاقِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَالْمَقْصُودُ بِهَا السَّفَرُ إِلَى الْمَشْرِقِ لِقَضَاءِ فَرِيضَةِ

الْحَجِّ .

واقْتَدَى بِشُعَيْبِ صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي طَلَبِ الزَّيَادَةِ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ ، وَأَشْهَدُ مِنْ حَضَرٍ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ ، نَمَّ رَمَى إِلَى بَعْدِ ذَلِكَ بِمَقَالِيدِ رَأْيِهِ ، وَحَكْمُ عَقْلِي فِي اخْتِيَارِ عَقْلِهِ ، وَغَطَّى مِنْ جَفَائِي بِحِلْمِهِ ، وَخَشَّافِي وَجْهَ شَهَوَاتِهِ تَرَابَ زَجْرِي ، وَوَقَّفَ الْقَبُولَ عَلَى وَغْطِي ، وَصَرَّفَ هَوَاهُ فِي التَّحْوِيلِ ثَانِيًا وَقَصْدِي ، وَاعْتَرَفَ بِقَبُولِ نَصَحِي ، فَاسْتَعْنْتُ بِاللَّهِ ، وَطَامَلْتُ وَجْهَهُ فِيهِ ^(١) . وَصَادَقَنِي مُقَارَضَةُ الْحَقِّ بِالْجِهَادِ ، وَرَمَى إِلَى بَدُونِيهِ ، وَحَكَمَنِي فِيمَا مَلَكَتْهُ يَدَاهُ ، وَغَلَبَنِي عَلَى أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . فَأَكُلُ لِلْقَامِ بِيَابِهِ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ مُدَّةَ أَجْرِي اللَّهُ فِيهَا ، مِنْ يُبْنِ النِّقَبَةِ ، وَأَطْرَادِ السَّدَادِ ، وَطَرْدِ ^(٢) الْهَوَى ، وَرَفَضِ الزُّورِ ^(٣) ، وَاسْتِشْعَارِ الْجَدِّ ، وَنُضْحِ الدِّينِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَصَوْنِ الْجَبَابِ ، وَإِنْصَافِ لِلْمُرْتَزَقَةِ ، وَمُحَاطَاةِ الْعَدُوِّ ، وَقَرَعِ الْأَسْمَاعِ بِلِسَانِ الصِّدْقِ ، وَإِيقَاطِ الْعُيُونِ مِنْ نَوْمِ الثَّقَلَةِ ، وَقَدَحِ زِنَادِ الرُّجُولَةِ ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، يُضْعِدُ دَعْوَاهُ ، وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ ، سَجِيَّةُ السَّادِجَةِ ، وَرَفْعُ التَّسْمِيتِ ^(٤) ، وَتَكْوِينُ الْإِنْفِسَاءِ ، وَتَقْوِيَةُ الْعَقَارِ فِي سَبِيلِ الثَّرْبَةِ ، وَالزُّهْدِ فِي الزُّبُرِجِ ، وَبَثُّ جِبَالِ الْأَمَالِ ، وَالتَّمْزِيزُ بِاللَّهِ عَنِ الْغَنِيَمَةِ ، وَجَمْلُ الثَّوْبِ غِطَاءَ اللَّيْلِ ، وَمَقْعِدُ الْمَطَالَعَةِ فِرَاشُ النَّوْمِ ، وَالشَّغْلُ لِمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ ، لَزِيمُ الْأَنْفَاسِ ، فَاتْمِرُ هَذَا السَّكْرَخِ ^(٥) ، وَأَثْبِيجُ هَذَا لِلْسَّعْيِ مَنَاقِبِ الدَّوْلَةِ ، بَلَفَتْ أَعْنَانُ ^(٦) ، وَأَثَارَا خَالَتِهِ ، مَا بَقِيَتْ الْخَضْرَاءُ عَلَى الْغُبْرَاءِ ، وَأَخْبَارًا تُنْقَلُ وَتُرَوَّى ، إِنْ عَانَدَهَا الْخَاسِدُ ، فَضَحَهُ الصُّبْحُ لِلنَّيْرِ ، وَكَأَثَرُهُ الْقَطَرُ الْمُفْتَالِ ، وَأَعْيَاهُ السَّبِيلُ الْمُتَدَاغِ :

(١) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين وردت في نفع الطيب (ج ٣ ص ٤١) ولم ترد في «ج» ولا في «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (أطراد) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «الملكية» (الدور) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي الزيتونة (التسمية) .

(٥) هكذا وردت في الملكية والزيتونة ، وفي «ج» (الكرج) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

فما يختص من ذلك بالسلطان ، فخامة الرتبة ، ونباهة الألقاب ، وتجميل
الرياش ، وتريع^(١) الشريعة ، وارتفاع التشاجر بيباه ، والمنافسة والاعتباط منه ،
بمجالس التنبيه والمذاكرة ، ويدرأ الدموع في حال الرقة ، والإشادة باحتقار الدنيا
بين الخاصة ، وتعيين الصدقات في الأوقات العديدة ، والقعود لمباشرة المظالم ستة
عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلة ، يصل إليه فيها النبيه والارملة ، فيفرح
الضعيف ، وينتظر حضور^(٢) الزمن ، ويتغمد هفوة الجاهل ، ويتأثر لشكوى
المصاب ، ويعاقب الورعة على الأغلاط ، إلى إحسان^(٣) الملكة في الأسرى ،
والإغراب في باب الحلم ، والإعياء في ترك الحظ ، والتبرئ من سجية الانتقام ،
والكلف بارتباط الخيل ، واقتناء أنواع السلاح ، ومباشرة الجهاد ، والوقار
في الهيئات ، وإرسال سجية الإيمان ، وكساد سوق المكيدة ، والنصائم عن
السعاية ؛ هذا مع الشباب الغض ، والفاحم الجمد ، وتعدد^(٤) حبال الشيطان
في مسالك العمر ، ومطاردة قانص اللذات في ظل السلم ، ومغازلة عيون الشبهوات
من ثنایا الملوك . وأيم الله الذي [به]^(٥) تستخلص الحقوق ، وتيسر الشئور ،
وتستوثق العهود [ولا]^(٥) تطمئن القلوب إلا به ؛ ما كاذبته ، ولا راضيت
في الهوادة طوله ، ولا ساحتته في تقيض هذه الخلال . ولقد كنت أعجب من
نفاق أسواق الذكري لديه ، وانتظام أقيسة النصح عنده ، وإيقاع نبات الرشد
فيه نصيحة ، وأقول بارك الله فيها من سجية ، وهنأ المسلمين بها من نفس زكية .
وسينأى بيان هذه النتائج ، وتفسير مجمل هذه الفضائل بحول من لا حول إلا به

(١) وردت في «ج» (فسويج) وفي الملكية (فهويج) . ونعتقد أن السياق يستقيم بالتصويب .

(٢) وردت في «ج» (حصوا) وفي «الملكية» والزيتونة (حصو) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (أحسن) . والأول أرجح .

(٤) وردت في «ج» التعدد . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٥) ساقطة في المخطوطين ولازمة للسياق .

سبحانه . والحال متصلة على عهد الوثير من إبعائه بالوسوع^(١) ، والخروج له عن هذه العهدة ، والتسليم له في البقية ، إرهافاً لسيف جهاده ، وجلاءً لمراة نصحه ، ونسوية لميزان عدله ، وإهابةً لمحمد رُشده ، شدء العقدة ، عقدةً وغيره على حرمة ماله وعرضه^(٢) ، ورعايةً للسان العلم المنبئ عن شأنه ، ونيابةً عنه في معقل مُلكه ، ومُستودع ماله وذخيرته ، ومحافظةً على سره وعلايته^(٣) الحرمة وولده ، وعمراناً للجوانح بتفضيله وحبه ، معاملةً أخلص الله قصدها لوجهه ، وأتحضها من أجله ، ترفعه عن جناية [رحل هلالها ، وإقطاع تنج قدرته ، أو فصلة تعبث البنان بنشيرها ، وخطة تشد إليه على منشورها]^(٤) . والله يرجح ميزاني عنده ، ويحظى وسيلتي لديه ، ويحرك مكافأة سعي في خواطر حبه ، وينبئه لتبليغ أُملي من حج بيت الله ، وزيارة رسول الله ، بنه وكرمه ، فما على استخثاث الأجل من قرار ، ولا بعد الشيب من إعدار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أولاده

كُلُّ له في هذا الوقت من الولد أربعة ، ثلاثهم ذكور ، يوسف بكره ، وأراه يتلوه سعد ، ثم نصر ، غلمة رُوقة ، قد أفرغهم الله في قالب الكمال ، إذا رأيتهم حسبهم لؤلؤاً منشوراً ، فسح الله لهم أمد السعادة ، وجعل مساعيهم جانحةً إلى حُسن^(٥) العُقبى ، سالكاً [بهم]^(٦) سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته .

(١) هكذا في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» (بالوسع) .

(٢) هذه الفقرة واردة في «ج» و«الملكية» . وساقطة في الزيتونة .

(٣) وردت في «ج» وعناية . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) ما بين الجاصرتين ساقطة في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» نعم . والمؤدى واحد .

(٦) ساقطة في «ج» . ووردت في «الملكية» والزيتونة ، على . والتصويب يستقيم السياق .

قضائيه

قدّم لأول قدميه . الفقيه القاضي . الحبيب ، الخير ، أبا جعفر بن أحمد بن جُزَى ، شاكراً بلاءه بمالقة . إذ كان قد ألقاه قاضياً بها للمتغلب ، فلم يألُ جهداً في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها ، والتحريض على استنزاهم ، فأتخذ زُلفَةً لديه ، فأجرى الأحكام ، وتوخى السداد . ثم قدّم [إليها] ^(١) الفقيه القاضي الحبيب ، أبا الحسن على بن عبد الله بن الحسن ، عين الأعيان ببلده مالقة ، والمخصوص برسم التجلة . والقيام بوظيفة العقد والحلّ بها في الدولة الأولى ، وأصالة البيت ، والانتفاع ^(٢) إليه ، ومصاحبة ركابه في طلب [الملك] ^(٣) ، ومُتَسَوِّر المشاق من أجله ، وأولى الناس باستدّار خلف دولته ، فسدد وقارب ، وتحلّ الكلّ ، وأحسن فصاحة [الخطبة] ^(٤) والخطبة ، وأكرم المشيخة وأرضى ، واستشعر التّزاهة ، ولم يقف في حُسن الثّاني عند غاية ، واشتمل معها لفق الخطابة ، فأبرز وأعلم ، تسمياً وحفظاً وجَهْورَةً ، فاتّفق في ذلك على رجاحته ^(٥) ، واستصحب ^(٦) نظره على الأعباس . فلم يقف في النصّح عند غاية ، أعانه الله .

كتابه

أسند الكتابة إلى الفقيه المدرك، المبرّز في كثير من الخلال ^(٧) ، ملازمه

-
- (١) ساقطة في «ج» . وواردة في الملكية والزيتونة .
 - (٢) وردت في «ج» والزيتونة (الإقطاع) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 - (٣) ساقطة في المخطوطين ، وإثباتها لازم السياق .
 - (٤) هذه الزيادة من الزيتونة .
 - (٥) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» رجحانه . والأولى أنسب السياق .
 - (٦) هكذا في الملكية والزيتونة ووردت محرفة في «ج» . واستحب .
 - (٧) وردت في «ج» الخلل . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

أَيْضاً فِي طَلَبِ الْمَلِكِ . [وَمِطَارِدَةُ قَنْصِ الْحِظِّ] ^(١) أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْرَكٍ ، وَيَأْتِي التَّعْرِيفُ بِمَجْمِعِهِمْ .

شَيْخُ غَزَاتِهِ

مُتَوَلَّى ذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُولَى ، الشَّيْخُ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ رَحُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ، قَدَّمَهُ إِلَيْهَا مُعْتَبِراً بِإِيَّاهُ ، طَاوِياً بِسَاطِ الْعُدُوِّ بِالْجُمْلَةِ ، قَدَّمَهَا بِابْنِهِ عُمَانَ [عَلَى] ^(٢) الْخَاصَّةِ يَوْمَئِذٍ ، لِمَظَاهِرَتِهِ فِي الْوُجْهِ ، وَسَمِعَهُ فِي عَوْدَةِ الدَّوْلَةِ . وَاسْتَمَرَّتِ الْحَالُ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لَشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَكَانَ الْقَبْضُ عَلَى جُجَلَتِهِمْ ، وَأَجَلِي ^(٣) هَذَا الْبَيْتِ مِنْ سَفَرَةِ السِّيَاسَةِ مَدَّةً ، مُجْتَزِئاً فِيهِ بِنَظَرِهِ عَلَى رُفْعِهِ فِي الْوِزَارَةِ مِنْ قَبِيلِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ إِلَيْهَا مَوْعُودَهُ بِهَا الْقَدِيمَ الْخِدْمَةِ ، وَسَالَفَ الْأُدْمَةَ ، لَمَّا جَاءَ إِلَى وَادِي آشٍ مَقْلَتاً مِنْ وَبْقَةٍ ^(٤) الْحَادِثَةِ ، الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ مُوسَى بْنِ رَحُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ . حَلَفَ السَّدَادَ أَيَّامَهُ ^(٥) ، وَلِلْمُقَابَرَةِ وَالْفَضْلِ وَالْدَّمَائَةِ ، الْمَخْصُوصَ عَلَى اخْتِصَارِ بَيْتِ الْمُنَى الْقَبِيضَةِ ، وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ إِلَى نَقْبَةِ الْقَفُولِ عَنْ غَزْوَةِ جَبَّانٍ أُخْرِيَّاتٍ مُحْرَمٍ مِنْ عَامٍ تِسْعَةٍ وَسِتِينَ ، وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ حَتْفَ أَنْفِهِ ، فَاحْتَفَلَ لِمَوَارَاتِهِ ، وَإِقْرَابِهِ مِنْ تَأْبِيئِهِ ، وَاسْتِغْفَارِهِ ، وَالاعْتِرَافِ بِبَصْدُقِ مَوَالَاتِهِ ، وَتَفَجُّعِهِ لِقَدَرِهِ . وَمَا أَعْرَبَ بِهِ مِنْ وِفَاءٍ نَجْدِهِ ، وَقَدَّمَ لَهَا عَهْداً طُرْفَ اخْتِيَارِهِ ، الْأَمِينِ ^(٦) ، الشَّهْمِ ، الْبَهْمَةِ . خِذْنَ الشُّهْرَةَ ، وَالْمِشَارَ إِلَيْهِ بِالْبَسَالَةِ ، وَفَرَعَ الْمَلِكُ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي «ج» . وَوَرَدَتْ مُقَابِلَهَا فِي «الْمَلِكِيَّةِ» (وَمِطَارِحَةُ الْحِظِّ) وَفِي الزَّيْتُونَةِ (وَمِطَارِدَةُ الْحِظِّ) .

(٢) سَاقِطَةٌ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَيَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ وَأَجَلِي . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ . وَوَرَدَتْ فِي «ج» وَالْمَلِكِيَّةِ (وَبْقَةٍ) . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ .

(٦) وَرَدَتْ فِي «ج» الْأَمِيرِ . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ .

والأصالة ، عبد الرحمن بن الأمير أبي الحسن علي بن السلطان أبي علي عمر بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، إذ كان قد لحق به ، بعد ظهور أتيح^(١) له بوطنه من المغرب ، استقر مبايماً بميلة ميجلماسة وما إليها ، وطن جدّه ، وميراث سلفه ، ففسّح له جانب قبوله ، وأحلّه من قرّبه محلّ^(٢) مثله ، وأنزله بين ثغر الاغتباط ونحّره ، ثم استظهر به على هذا الأمر ، فأحسن الاختيار . وأعزّ الخطة ، وهو القائم عليها لهذا العهد ، وإلى الله أسباب توقيعه .

ظَرَفُ السُّلْطَانِ وَحُسْنُ تَوْقِيعِهِ

بَدَأَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ تَقْدِمِهِ ، وَكَثْرَةِ وَقُوعِهِ . بِحَيْثُ لَا [يُعَدُّ نَادِرُهُ] (٣) ، وَقَلِيلُ الشَّيْءِ يُدَلُّ عَلَى كَثِيرِهِ . مَرَّ بِي يَوْمًا وَمَعِيَ وَلَدُهُ ، يَرُومُ اتِّخَاذَ حَقِّ الْقُرْآنِ ، فَقُلْتُ لَهُ أَيْدِكَ اللَّهُ ، الْأَمِيرُ يُرِيدُ كَذَا ، وَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا وَكِيلُهُ عَلَيْكَ فِي هَذَا ، فَقَالَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ . وَلَا خِفَاءَ بِبِرَاعَةِ هَذَا التَّوْقِيعِ . وَغَرَابَةِ مَقَاصِدِهِ . وَمَجَالَسُهُ عَلَى الْأَيَّامِ مَعْمُورَةٌ بِهَذَا وَمِثْلِهِ (٤) .

الْمُلُوكُ عَلَى عَهْدِهِ

بِالْمَغْرِبِ السُّلْطَانُ الْجَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ [بْنُ السُّلْطَانِ] أَبِي الْحَسَنِ ، بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ . تَوَلَّى مُلْكَ الْمَغْرِبِ حَسْبَ مَا تَقَدَّمَ فِي اسْمِهِ (٥) ، وَآلَقَى إِلَيْهِ بِالْمَقَالِيدِ ، وَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ الطَّاعَةُ ، وَبِحَسَبِ مَا بَثَّ اللَّهُ مِنْ

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (أبيح) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في «ج» و«الملكية» (يعد نادك) . وفي الزيتونة (يعدك) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) وردت في «ج» ولمثله . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (اسم أبيه) . وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، لأن

المقصود هنا هو الإشارة إلى اسم السلطان إبراهيم أبي سالم . وقد مرت ترجمته في المجلد الأول ص ٣٠٣ .

إشرباب^(١) الخلق إليه ، وتعطشهم إلى لقاية ، ورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه ، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلل ، شرقاً بأيامه وإحصاء لسقطاته ، وولعاً باغتيابه وتربصاً لمكروه به ، إذ أخفقت فيه الآمال ، واستولت الأيدي من خُدَّامه على مُلكه . وقبض الله لإبادة أمره ، وتغيّر حالة وهدّ ركنه ، الخائن الغادر نسمةُ السوء وقذار ناقةِ الملك ، وصاعقة الوطن [وحرّد السيد]^(٢) عمرُ بن عبد الله بن علي مؤتمنة^(٣) على البلد الجديد ، دارِ ملكه ومستودع ماله وذخيرته ، فسدّ الباب دونه . وجهرَ بمُخلعانه . وفض في اتّباع الناقع المشنوم سورَ ماله ، وأقام الدّعوة باسم أخيه أبي عمر ، ذى اللّوثة ، الميئوس من إفاقته ، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين وستين وسبعائه . وبادر السلطان أبو سالم البيعة من مُتحول سكناه بقصر البلد القديم^(٤) ، وصابر الأمر عامّة اليوم . ولما جنّ الليل ، فرّ لوجهه ، وأسلم وزرائه وخاصّته ، وقيدت خطاه الخيرية ، فأوى الى بعض البيوت ، وبه تلاحق متبوعه ، فقيد إلى مصرعه السّوء بظاهر بلده ، وحزّ رأسه ، وأوتى به إلى الغادر . وكان ما بين انفصال السلطان عنه مؤدّعاً إلى الأندلس بإعائته ، ومطوّق فضل تلقّيه وقفوله وحسن كفالاته ، ثمانية أشهر ويوم واحد . واستمرت دعوة أخيه المموّه به إلى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعائة ، واستدعى من باب قشتالة الأمير محمد أبو زيان بن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن بن السلطان المعظم أبي الحسن . وقد استقر نازعاً إليه أيام عمه السلطان أبي سالم ، وقع عليه اختيارُ

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» «أشر» وهو تحريف . والاشرباب هو الحبة والميل .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والملكية . وفي «ج» «جرد السيد» .

(٣) وردت في «ج» ويثمنه . وهي املاء قديمة .

(٤) أى مدينة فاس القديمة أو فاس البالى حسبها تسمى . وذلك بعكس البلد الجديد ، وهو الضاحية الملوكية التى أنشأها بنو مرين بجوار فاس .

هذا الوزير الغادر ، أذ وافق شنُّ تغلبه طبقَ ضعفه ، وأعمل الحيلة في استنجاله ، فوصل حسب غرضه ، وأجريت الأمور باسمه ، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه ، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوباً عليه ، مغرئاً بالشراب على فيه [وبين الصَّحْب] ^(١) إلى أن ساءت حاله ، وامتلات بالموجدة على الوزير نفسه ، فعاجله بمحتفه ، وبأثر اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه ، وطرحه بحاله في بعض سواقي قصره ، مُنبِغاً ببعض أواني خمره ، يومهم بذلك قاتله ، تردّيه سكرأ ، وهوَّيه طفوحاً . ورقف عليه بالعدول عند استخراجه ، ونَدَب النَّاس إلى مواراته ، وبائع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن ، المنفرد به ، وخطب الجهات بدعوته ، وهو صبيٌّ ظاهرُ النبل والإدراك ، مشهورُ الصَّوْن ، وأعمل الحيلة لأول أمره ، على عذا الوزيرَ خفيف أريكة مُلكه ، ومظنة اليدِ في أمره ، فطوقه الحمام [واستأصل مازراه] ^(٢) من مال وذخيرة . شكرَ الله على الدولة صنيعه وفي ذلك يقول :

لقد كان كالحجاج في فتكاته تحاذره البراء دوماً وتخشاه

تغداً به عبد العزيز مبادراً وعاجله من قبل أن يتعشاه

وكان بعده وليه الحق ونصيره لا إله إلا هو . وهو اليوم ملكُ المغرب ، مزاحماً بابن أخيه ، السلطان أبي سالم ، المعقود البيعة بمرأ كش وما إليها ، جمع الله شتات الإسلام ، ورفع عن البلاد والعباد مضرّة الفتنّة .

وبتلسان السلطان أبو حمو موسى بن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمّراسن بن زيان . حسبما كان في الدولة الأولى ، متفقها ^(٣) منه على خلال الكرم [والحزم] ^(٤) . مضطاماً بأمره ^(٥) والقيام على ما بيده .

(١) وردت في المخطوطين (وبين العصب) . وهي ساقطة في الزيتونة . ونعتقد أن المعنى يستقيم بهذا التصويب .

(٢) وردت في «ج» (واستأصل ما رناه) . وفي «الملكية» والزيتونة (واستأزر مازراه) . ولقد اخترنا الصحيح من العبارتين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . (٤) الزيادة من الزيتونة .

(٥) وردت في «ج» (بدجا أمره) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

وبتولس ، الأمير أبو سالم إبراهيم بن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص ، حسباً
تقدم ذكره .

ومن ملوك النصارى

فبِقِسْطَالَة سلطانها المتقدم المذكور في الدولة الأولى ، بطرُه بن السلطان ألْمُنْشَة بن
هراندة بن شانجه بن ألْمُنْشَة بن هراندة ، متأكدة بينهما السِّلْمُ الجمَّة ، والمُدَنَة
للْبُرْمَة ، بما سَلَفَ من مظاهرتِه إِيَّاهُ ، والحرص على [ما اسْتَحْكَنَه] (١) من المغرب
في أسطوله ، وبعثه إليه برأسِ عدوِّه المتوثَّب على ملكه ، ورؤوس أشياعه ،
الظالمين الغَدْرَة ، واتباعه (٢) الفَجْرَة ، مستمرة أيامه إلى وسط شعبان عام سبعة وستين ،
صارقاً وجهه إلى محاربة صاحب برجلونة ، مستولياً على كثير من قواعده الشهيرة ،
وقلاع المنيعه ، لما أسلفه به من إجازته (٣) أخيه أنذريق المدعو بالقنْد (٤) ،
ومظاهرتِه حتى ساءت أحواله وأحوالُ عدوِّه ، وأوهنت الحركات قوى جيشه ،
وأضعف الاحتشادُ حُمْرَة أرضه ، واشترأبت القلوبُ إلى الانحراف عن دعوته ،
ومالت النفوس إلى أخيه ، وقامت البلاد بدعوته ، وتلاحقت الوجوه بجهته ، ورام
التمسُّكُ بإشيبيلية دار ملكه ، فنار أهلها به في عام سبعة وستين . فخرج طاراً
عنها... (٥) به والسلاح يهشُّ إليه ، وبعد أن استظهر بخويصته ، وأتمحل ماقدور عليه
من ذخيرة ، ورفع من له من ولدٍ وحرمة ، رأى سُخْنَة العين من انتهاب قصوره ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» محركة (محل
اسخاثة) . وقد تمى هنا ما وعده به من إجازته في أسطوله .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» (أشياعه) مرة أخرى .

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (إجازة) .

(٤) الإشارة هنا إلى الكونت هنرى دى ترانستارا أخى بيدرو غير الشرعى ، ومنافسه
في انتزاع العرش . وقد استجار بملك فرنسا فحشد له جيشاً من المرتزقة وحارب أخاه بيدرو
وانتصر عليه (سنة ١٣٦٦) .

(٥) هنا يباين في المخطوطات الثلاثة .

وَتَشْمِثُ مَنَازِلَهُ ، وَعِيَاثُ الْأَيْدِي فِي خَزَائِنِهِ ، وَأَسْمَعُهُ النَّاسُ مِنْ تَخَضُّعِ التَّائِيِبِ (١) وَأَعْرَاضِ الشَّمَاتِ ، مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَلَا ذِ بَصَاحِبِ بَرْتَغَالِ ، فَتَأَى عَنْهُ جَانِبَهُ لَمَّا يَجْنِيهِ أَبَوَاهُ مِنْ مَخَالِفَةِ رَأْيِ الْأُمَّةِ فِيهِ ، فَقَصْدُ بِلَادِ غَلِيْسِيَّةِ ، وَتَلَاخِقُ أَخُوهُ أَنْدَرِيْقَ بِمَحْضَرَةِ إِشْبِيلِيَّةِ ، فَاسْتَوَى عَلَى الْمُلْكِ وَطَاعَتِ لَأَمْرِهِ الْبِلَادَ ، وَعَاجَلَهُ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النُّغُورِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَلَمَّا تَوَسَّدَ لَهُ الْأَمْرُ تَحْوُلَ لَا سَتَتَّصَالَ شَافَةُ الْمَخْلُوعِ ، فَاجْلَى عَنْ غَلِيْسِيَّةِ فِي الْبَحْرِ ، وَاسْتَقَرَّ بِلَدِ بِيُونَةِ (٢) ، مِمَّا وَوَاءَ دُرُوبِ قَشْتَالَةِ ، وَانْتَبَذَ عَنْ الْخِطَّةِ الْقَشْتَالِيَّةِ وَأَمَرَ نَفْسَهُ ، وَجَلَا إِلَى ابْنِ صَاحِبِ الْأَنْتَكِرَةِ (٣) ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِبِرَقْسِينَ أَبِي الْأَمِيرِ ، وَبَيْنَ أَوَّلِ أَرْضِهِ وَبَيْنَ قَشْتَالَةِ ثَمَانِيَّةُ أَيَّامٍ فَقَبِلَهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ ، السَّاكِنُ بِأَوَّلِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَسَقَرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ . فَأَنْكَرَ الْأَبُ اسْتِئْذَانَهُ إِيَّاهُ ، وَلِلْمَرَاةِ فِي نَصْرِهِ ، حِمِيَّةٌ لَهُ ؛ وَامْتِنَاعُهَا لِلْوَاقِعِ . وَحَالُ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَرِيبَةٌ فِي الْحَمَايَةِ لِلْمَرْوُجَةِ بِالْوَفَاءِ وَالرَّقَّةِ . وَالِاسْتِهَانَةُ بِالنُّفُوسِ فِي سَبِيلِ الْحَمْدِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْعَشَاقِ ، عَادَةُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ . وَأَخْبَارُهُمْ فِي الْقِتَالِ غَرِيبَةٌ ، مِنْ الْاِسْتِرْجَالِ وَالزَّحْفِ عَلَى الْأَقْدَامِ ، أَمِيرُهُمْ وَمَأْمُورُهُمْ ، وَالْجُنُودُ فِي الْأَرْضِ ، أَوْ دَفَنٍ بِيَعْضِ الْأَرْضِ فِي الثَّرَابِ . وَالِاسْتِظْهَارُ فِي حَالِ الْمُحَارَبَةِ بِيَعْضِ الْأَلْحَانِ الْمُهَيَّجَةِ ، وَوَمَاتُهُمْ

(١) وَرَدَّتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (التَّائِيْبِ) ، وَحِكْمَةُ التَّصَوُّبِ وَاضِحَةٌ .

(٢) بِيُونَةُ Bayonne ، هِيَ ثَغْرٌ وَلَايَةُ غَسْقُونِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْوَاقِعُ فِي زَاوِيَةِ خَلِيْجٍ بِسُكُونِيَّةِ بَيْنَ حُدُودِ فَرَنْسَا وَاسْبَانِيَا . وَالْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى هَذَا الْقِسْمِ مِنْ جَنْبِ فَرَنْسَا الَّذِي يُشْمَلُ وَلَايَتِيْ أَكُوتِيْنِ وَجُويِنِ .

(٣) صَاحِبُ الْأَنْتَكِرَةِ أَيْ مَلِكُ انْجَلْتِرَا ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ الْمَلِكُ إِدْوَارْدُ الثَّلَاثِ . وَابْنُهُ وَلِيُّ الْمَعْدِ ، وَاسْمُهُ أَيْضًا إِدْوَارْدُ (الْأَمِيرُ الْأَسْوَدُ) . وَقَدْ كَانَ يُحْكَمُ بِاسْمِهِ وَلَايَتِيْ أَكُوتِيْنِ وَجُويِنِ ، الَّذِيْنِ انْتَزَعَهُمَا أَبُوهُ مِنْ مَلِكِ فَرَنْسَا ، عَلَى أَثَرِ هَزِيمَتِهِ إِيَّاهُ فِي مَوْقِعَةِ يُوَاتِيَّهِ (سَنَةِ ١٣٥٥) وَذَلِكَ ثَمَنًا لَتَنَازُلِهِ عَنْ دَعْوَاهُ فِي عَرْشِ فَرَنْسَا (بَطْرِيْقِ الْمِيرَاثِ عَنْ أُمِّهِ الْفَرَنْسِيَّةِ) .

قَسِيمُهُمْ غَرِيبَةٌ جَانِيَةٌ ، وَكُلُّهُمْ [فِى] (١) دُرُوعٍ ، وَالْإِحْجَامُ عِنْدَهُمْ ، وَالتَّقَهُّرُ
مَقْدَارُ الشُّبْرِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ . وَعَارٌ شَنِيعٌ ، وَرِمَاتُهُمْ يَنْبُتُونَ لِلخَيْلِ فِى الْعَرَادِ . وَحَالُهُمْ
فِى بَابِ التَّحْلِى بِالْجَوَاهِرِ ، وَكَثْرَةُ آلَاتِ الْفَضَّةِ ، غَرِيبٌ . وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَبْعَةِ
عَشَرَ يَوْمًا كَانَ رَجُوعُهُ وَرَجُوعُ الْبَرَنْسِ (٢) الْمَذْكُورِ مَعَهُ مُصَاحِبًا بِأَمْرَاءَ كَثِيرِينَ
مِنْ خُتْرَانِهِ (٣) وَقَرَابَتِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَفُوهُ مَالًا كَثِيرًا ، وَاخْتَصَّ مِنْهُ
صَاحِبُ الْأَنْتَسِكِرَةِ ، بِمِائَتَى أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ إِلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُ ،
وَارْتَهَنُوا فِيهِ وَلَدَهُ وَذَخِيرَتَهُ . وَكَانَ يَنْفَقُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَيْشِهِ بِحَسَبِ دِينَارٍ وَاحِدٍ
مِنَ الذَّهَبِ لِلْفَارِسِ فِى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَكَانَ تَأْلِيفُ الْجِيُوشِ فِى بَنَابِلُونَةِ فِى أَرْبَعَةِ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَسَّرَ عَلَيْهِمُ الْمَجَازُ عَلَى لُحْصِ أَحَدُونِيهِ ، لِبِلَادِ تُمْسِكِ لَطَاعَةِ الْقُنْدِ
أَخِيهِ (٤) ، فَصَالِحُ الْقَوْمِ صَاحِبُ نَبَارَةِ (٥) عَلَى الْإِفْرَاجِ لَمْ ، وَنَزَلَتْ الْحِلَالَتُ فِى فَحْصِ
نَبَارَةِ ، مَا بَيْنَ حُدُودِ أَرْضِ نَبَارَةِ وَقَشْتَالَةِ ، وَنَزَلَ الْمُتَصَيِّرُ إِلَيْهِ أَمْرُ قَشْتَالَةِ ،
الْقُنْدِ بِإِزَائِيهَا فِى جُوعٍ لَمْ تَنْتَظِمْ لِمِثْلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَشَهَامَتِهِ وَاغْتِرَارِهِ ، أَجَازَ خَنْدَقًا كَانَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَبَّرَ جِسْرًا نَشِبَ فِيهِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ . وَكَانَ الْلِقَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ
السَّبْتِ سَادِسَ إِبْرَيْلِ الْعَجْمَى ، وَبِمُوَافَقَةِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسْتِينَ . وَكَانَ هَذَا
الْجَمْعُ الْإِفْرَنْجِيُّ الْآتِي مِنَ الْأَرْضِ السَّكْبِيرَةِ (٦) فِى صَفُوفٍ ثَلَاثَةٍ ، مَرْتَبَةً بَعْضُهَا

(١) وَارِدَةٌ فِى « الْمَلَكِيَّةِ » وَالزَيْتُونَةِ . وَسَاقِطَةٌ فِى « ج » .

(٢) نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَقْصِدُ هُنَا بِكَلِمَةِ (الْبَرَنْسِ) - وَسَوْفَ تَأْتِي مَرَّةً أُخْرَى - الْأَمِيرَ إِدُورَادَ

وَلَى الْمَهْدِ

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِى الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَمِنْهَا خُدَاعِيهِ أَوْ الْأَمْرَاءُ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِنَصْرَتِهِ .

(٤) يَقْصِدُ الْإِشَارَةَ هُنَا إِلَى الْكُونْتِ هَنْرَى دى تِرَاسْتَارَا أَخِي الْمَلِكِ بِيدِرُو .

(٥) نَبَارَةُ - وَفِى الْإِسْتِمَالِ الشَّائِعِ نَبْرَه - هِيَ مَمْلَكَةُ Navarra أَوْ بِلَادِ الْبِشْكَنْسِ الْوَاقِعَةِ

غَرْبِي جِبَالِ الْبَرْنِيهِ ، وَجَنُوبَ شَرْقِ خَلِيجِ بَسْكَوْنِيَّةِ ، وَعَاصِمَتُهَا مَدِينَةُ بَنْبِلُونَةِ .

(٦) الْأَرْضُ الْكَبِيرَةُ تَعْنِي فِى الْجُغْرَافِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فَرَنْسَا . وَيَعْرِفُ جَنُوبَ فَرَنْسَا

كَذَلِكَ بِغَالِيَسِ La Gaule .

خلف بعض ، ليس فيهم فارس واحد ، إنما هم رجالة ، سواء ^(١) أميرهم ومأمورهم ، في أيديهم هصى ^(٢) جافية في غلظ المعاصم : يشرعونها أمامهم ، بعد إثبات زجاجها ^(٣) فيما خلفهم من الأرض ، يستقبلون منها وجوه عدوهم ، ونحو خيله ، ويجعلونها دعايم وتكآت لبناء مصافهم ، فلم تقلقهم ^(٤) الحلات ، وبين أيديهم من الرماة الناشبة الدارعة ، مالا يخصصهم إلا الله عز وجل . وسائرهم السلطان ، مستدعى نصرهم راجلاً أميلاً برأيهم ، إلى أن أعياء بعد ميلين منها فاز كبوه بقلة تحلوه بينهم عليها ، إلى موقف اللقاء والقند ^(٥) . وكان على مقدمة القوم المذكور ^(٦) أخو البرنس ، والبرنس ^(٧) مع السلطان مستجير في القلب ، والقند المعروف بقنذار مانيان ، وكثير من الأمراء ، رداً وسيفه دونهم ، ومن خلف الجميع الخليل يحميها ساستهم وغلماهم وخذائهم ، ووراءها دواب الظهر وأبقالهم ، وفي أثناء هذه العبيية من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره . وكان في مقدمة القند المستائر بملك قشتالة ، أخوه شائجه في رجل قشتالة ، قد ملأ السهل والجبل ، ومن خلفهم أولو الخليل الجافية القبيلية ، للنبغة الدروع ، من رأس إلى حافر ، في نحو ألف وخمسمائة ، وفي القلب أخوه الآخر كنطية ^(٨) في جمهور الزعماء والفرسان والدرق ، وهو الأكثر من رجال الجيش اليوم ، ومن وراءهم السلطان أندريق ^(٩) في لفيف من الناس . ولما حمل بعضهم على بعض أقدم رماة الفرنج ، ثقة

(١) وردت في «ج» سوى ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين (عصا) وهو تحريف .

(٣) ومفرداها (الزج) وهو عبارة عن الحديدة المثبتة أسفل الرمح .

(٤) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (تقلقهم) والأول أرجح .

(٥) أبى الكونت هنرى دى ترانستارا السالف الذكر .

(٦) يقصد هنا أن يشير إلى أخى ولي العهد إدوارد ، دوق لانكستر Duke of Lancaster

وكان من قواد الحملة المذكورة .

(٧) وردت في «ج» والزيتونة (والبرق) . وهو تحريف .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (أخوه نطية) .

(٩) هو كما تقدم الكونت هنرى دى ترانستارا .

بدرؤصهم، فَعُظُمَ أنرم فيمن يازايهم من رماة عدوم ورجالم، [لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم]^(١). وحملت خيل قشتالة الدارعة، فحزحت كَرَّ المصافِّ الإفْرَنْجِيَّ، واتصل الحربُ بالبرنس، وهو مَطْلٌ عليهم في رَبْوَةٍ. فصاح بهم بحيث أسمع، وتناول شيئاً من التراب فاستغف، وكسر ثلاثَ عَصِيٍّ^(٢)، وفعل من معه [مِثْل]^(٣) فعله، وهي عاداتهم عند الغضب. وعلامةُ الإقدام الذي لا نكوصَ بعده. ووجه إلى أخيه في المقدمة. يقول له. إن وجدت في نفسك ضعفاً. فاذكر أنك ولدُ صاحب الانتكيرة. وحمل الكلُّ حملةً رَجُلٍ واحدٍ. فلم تجد الخيلُ الدارعة سبيلاً، وقامت في منحورها تلك الأُسِنَّة، فولوا منهزمين.

ولما رأى القُند هزيمة أخيه، تَقَدَّمَ بنفسه^(٤) بمن معه من مَدَدِ^(٥) الأمة الرَغُونِيَّةِ^(٦)، وهو ينادى، يا أهل قشتالة. يا مَوَالِي، إياكم والعار. هأنذا، فلم يثبت أمره^(٧)، وتراجع فُلَّهُ. فعند ذلك فرَّ في أربعة من أولى ثقته، واستولى القتلُ والأسرُ على خاصته، وتردى المهزومون في الوادي خلفهم. فكان [ذلك]^(٨) أعوَنَ الأسباب على هلكهم، فأناف عددٌ من هلك في هذه الواقعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفاً. وامتلاَّت أيدي هذه الأمة من الأسلحة والأموال والأمتعة والأسرى الذين يفادونهم [بمال عظيم]^(٩)، واتصل القُند المهزم بأرض رَغُون^(١٠).

(١) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (لكونهم كشفاء فكشفوا). وفي الزيتونة (لكونهم كففا فكشفوا إياهم).

(٢) وردت في المخطوطين: عصاة - عصات. والتصويب أفضل.

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة.

(٤) وردت في المخطوطات (في نفسه). والتصويب أنسب لسياق.

(٥) هكذا في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» (هذه) وهو تحريف.

(٦) أي الأمة الأرجونية.

(٧) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (ولا) وجودها هنا سهو لا يستقيم معه السياق.

(٨) أثبتنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية». ومكانها في «ج» (العظيمة) وهو تحريف.

(١٠) رَغُون هي مملكة أراجون.

ثم نَجَمَ من البلاد الفرنسية . ودخل أخوه بهذه الأمة أو ايل البلاد معترفاً بحميد (١)
 مقيمهم ، وعزیز نصرهم ، وقد رابه استيلاؤهم ، وأوجسه تغلبهم . [وساءه في
 الأرض الرعاة عيائهم] (٢) فاستأذنتهم في اللّحوق بقواعد أرضه . وقبض
 الأموال التي تجبى (٣) منها نفقاتهم . وقبض منها ديونهم قبله . وحث السير ،
 فوصل طليطلة لا يصدق بالنجاة ، وخاطب السلطان المترجم به . وقد روده (٤) ،
 وحذره سوزة هذه الأمة . التي فاض بحرّها وأعيا أمرها . وأنهى إليه شرّها ،
 وشره إلى استيصال المسلمين . وحدّ له مواعيدّها التي جعلت لذلك . ووصل إشبيلية ،
 وانثالت البلاد عليه . وعادت الإيالة إلى حكمه ، ثم شرع في جعل الضرايب .
 وفرض الأموال ، وأخاف الناس [بالطلب والتبعات] (٥) فعاد نفورهم عنه جزعاً .
 وامتنعوا من الغرم ، وطردوا (٦) الممّال . وأحسن بالشر ، فتحصن بإشبيلية ،
 وجهتها على نفسه ، وطلّ على الأمة الواصلة في [سبيل] (٧) نصره الأمر . فرجعت
 إلى بلادها ، ووقيت نفرة الفرسان ، وأولى الأتباع ، وأظهروا الخلاف ، وكشفت
 جيان وجهها في خلعاته ، والرجوع إلى دعوة أخيه المتعزّز ، فتحرك إليها
 السلطان المترجم به ، بعد أن احتشد المسلمين ، فكان من دخولها عنوة ،
 واستباحة المسلمين إياها وتحريرها ، ما هو مذكور في موضعه . ثم ألحقت بها مدينة

(١) وردت في «ج» والزيتونة (محمد) . والتصويب أرجح .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الملكية والزيتونة .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» يجرى . والأولى أنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الملكية (وقرر رده) وفي «ج» (و قرر رده) والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» والزيتونة (والطلب بالتبعات) والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا في «ج» والزيتونة . وفي «الملكية» وطرحوا . والأولى أرجح .

(٧) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

أَبْدَةً ، الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله . وخَالَفَتْ عليه قرطبة ، واستقر بها من الكيدار مُجْلَةً ، كاتبوا أخاه ، واستمعجوا ، فتمرَّق في هذه الأيام ، أنه قد بلغ أرض بُرْغُش ، ونارُ الفتنة بينهم ، ويدُ الإسلام لهذا العهد ، والمُنية^(١) لله ، وحده غالبية^(٢) .

وإنما مَدَدْنَا القول في ذكر هذه الأحوال الرُّومِيَّة ، لغرابة تاريخها ، وليستشعر الحذرُ ، ويؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها ، والله ولي نصر المؤمنين بفضلِهِ^(٣) .
وبأرض رَغُون سلطَانُهَا السكاين على الدولة الأولى .

بعض مناقب الدولة لهذا العهد

وأولاً ما يُرْجِع إلى مناقب الحِلْمِ والكَمَلِ من مَازَق^(٤) الجهاد الأكبر ، وهو جهادُ النفس .

فمن ذلك أن السلطان لما جَرَّتِ الحادثة ، وَعَظَهُ^(٥) التمهيص ، وألجأ إلى وادي آش لا يملك إلا نفسه في خبر طويل ، بادو إلى مخاطبة ثقتِهِ بقصبة ألمرية ، قلعة الملك ، ومُظَنَّة الامتناع ، ومهاد السَّلامَةِ ، ومُخْزَن الجباية والمُعدة ، وقد أصبح محلُّ استقراهِه ، بينها وبين المُتَنَزِّي سَدًّا ، وبيعة أهلها لم ينسخ الشرعُ منها حُكْمًا يناشده الله في رَمَقِهِ ، ويتملقه في رَعْيِ ذِمَّتِهِ ، والوفاء له ، وإبراء غُرْبَتِهِ ،

(١) كذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (والمهية) .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» عالية . والأولى أنسب للمعنى .

(٣) يبدى ابن الخطيب في سرد حوادث الحرب الأهلية في قشتالة ، وما تخللها من تدخل ملك فرنسا ، ثم ولي عهد إنجلترا أوصاحب إمارة أكويتين وجوبين لهذا العهد ، كل إلى جانب فريق من الفريقين المتحاربين — يبدى في ذلك كله دقة واضحة ، وحسن معرفة بأطوار المعارك المختلفة ونتائجها ، وكذلك بالأوضاع الجغرافية لاسبانيا وفرنسا في ذلك العصر .

(راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين — الطبعة الثالثة — ص ١٤٣ - ١٤٥) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الزيتونة (مداق) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (وعظمه) .

وتمسك به من أمانته ، فردّ عليه أسوأ الرد . وسجن رسوله في المطبق ، وخرج منها لعدوه^(١) ، وناصح بعد في البغي عليه . فلما ردّ الله الأمر ، وجبّ الحق ، أعتب وأجرى عليه الرزق . ولما ثار في الدولة الثانية الدليل البركي^(٢) ، هاتفاً بالدعوة لبعض القراية ، وأكذبه الله ، وعقّه الشيطان بعد نشر راية الخلاف ، وجعل للدولة ، علواً أليداً ، وحسن العاقبة . وتمكّن من المذكور ، أبقى عليه ، وغلب حكم المصلحة العامة في استحيائه ، وهو من مغرّبات الحلم المبني على أساس الدين ، وابتغاء وجه الله .

ولما أجلى عن الترشيح من القراية ، بعد تقرب^(٣) التهمة ، ونمّس الأيدي في المعصية ، صُرفوا إلى المغرب صرّف العافية ، وأجرى على من تخفّوه عوايد الأرزاق ، ومرافق المواسم ، ووعد^(٤) ضعفاءهم بالإزفاد ، وتجوّفى عما يرجع للجميع من عقار ورباع ، وأستغف^(٥) آمالمهم في لحاق [ذويهم]^(٦) من أهل وولد . ومما يرجع إلى عوايد الرّفقى ، ومرافق العدل من مآزق^(٧) في جهاد النفس ، وقوف وكيل الدولة ، مع من يجاور مستخلص السلطان^(٨) من العامرين^(٩) ومما ولى الفلاحة ، وقد ادّعوا أضراراً ، يجرّه الحوار بين يدي القاضي بالخضرة ، حتى بعد منقطع الحق ، على ما ينخص السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف . ولا كقضية التاجر المعروف بالحاج اللباس ، من أهل مدينة وادي آش ،

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . ووردت مكانها في «ج» (لدرى لعدوه) .

(٢) سوف نشير إليه في حاشية قادمة .

(٣) هكذا في « الملكية » . والزيتونة . وفي «ج» قرب .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (توعد) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (واستغفت) وهو تحريف .

(٦) هذه الكلمة لم ترد في المخطوطين . وقد أثبتناها لاستقامة المعنى .

(٧) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٨) مستخلص السلطان هو كما سبق شرحه الأملاك السلطانية الخاصة .

(٩) العامرين أى الذين يعمرّون الأرض ويفلحونها .

وقد [تحصلت في] (١) داره ، من قِبَل التاجر المذكور جاريةً من بنات الروم ، في سبيل تقوُّت الذِّم ، ومُسْتَهْلَكِ المتَّوَلات (٢) ، وترقَّت إلى تربية وَلَدِهِ ، وأصبحت بعض الأظار لأُمِّ رايه . واتَّصل بها كَلْفُهُ ، وزاد هِيَانُهُ ، وغَشِيَ مدافن (٣) الصَّالِحِينَ من أَجْلِهَا ، وأنْهَيْتُ إِلَيْهِ خبره وبَنَّهُ . وقررتُ عنده شَجْوَهُ ، وألعتُ بما يُنْقَل في هذا الباب عن الملوك قَبْلَهُ ، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه ، وانتزاعها من أيدي الغِبْطَةِ ، وانتزاع القَهْر . بحاله في جميل الرُّى ، فمُكِّنْتُ منها يدُ عاشقها الذَّاهِل ، وقد خَفَّتْ (٤) نَفْسُهُ ، وسكن حِسُّهُ . وكاد لقاؤه إِيَّاهَا أن يَقْضَى عليه . ونظائر هذا الباب متعددة .

ون مواقف الصَّدْق والإحسان من خارق جهاد النفس . بناء المارستان الأعظم حسنةً ههنا التخوُّم القُصوى . ومزيةُ المدينة الفُضلى . لم يهتد إليه غيره [من] (٥) الفتح الأول ، مع توفُّر الضرورة ، وظهور الحاجة ، فأغرى به همةُ الدِّين ، ونفسُ التقوى ، فأبرزه موقفُ الاُخْدان (٦) ، ورحلةُ الأندلس ، وفذلكة (٧) الحسنات ، فخامةُ بَيْت ، وتعدُّدُ مساكن ، ورحبُ ساحة ، ودُرُور مياه ، وصحةُ هواء ، وتعدُّدُ خزائن ومتوضَّات ، وانطلاقُ جراية وحسن ترتيب ، أبرَّ على مارستان مصر (٨) ، بالسَّاحة العريضة ، والأهوية الطيبة ، وتدقُّ المياه

(١) ورد مكانها في المخطوطات الثلاثة (تخلصت من) وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) وردت في «ج» مدفن . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (خافت) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٨) يلوح لنا أن ابن الخطيب يشير هنا إلى المارستان المنصوري الكبير ، الذي أنشاه السلطان المنصور بن قلاوون سنة (٦٨٣ هـ) بميدان بين القصرين بالقاهرة ، وهو أقرب المارستانات القاهرية عهداً بمصر ابن الخطيب .

من فورات الرمل ، وأُسود الصخر ، وتوَّج البحر : وانسدال الأشجار . إلى موافقته إياي ، وتسويغه ما اخترعته ^(١) بإذنه . وأجرِيته ^(٢) بطيب نفسه ، من اتخاذ المدرسة والزَاوية . وتعيين الثَّربة ، مُغيراً [في ذلك كله] ^(٣) على مقاصد الملوك ، نقشاً عليه ، بطيب اسمه في المزيد ، وتخليد في الجُدُرات للذِّكر ^(٤) ، وصوناً للمدافن غير المعتادة ، في قلب بلده بالمقاصر والأصْونة ، وترتيل التلاوة ، آناء الليل ، [وأطراف] ^(٥) النهار . وكل ذلك إنما يُنسب إلى صدَّاقته ، وعلوِّ همِّته . ويشهد بما ينبه الحسَّ إلى المَنْقبة العظى ، في هذا الباب ، من إمداد جبل الفتح ، مع كونه في إيالة غيره ، وخارجٌ عن مُلكة حُكمه ، وما كان من إعانتته ، وسدِّ ثَغْرِهِ ، فانهار إليه على خطر الشُّرى ، والظهر البعيد المسعى ، ما ملأ الأَهواء ، وقطع طمع العُدَّة ، أنفقت عليه الأموال ، ما إن مفاطمه لتنبوء بالمُضبة أولى القوة ، يُودِرُ بذلك ، بين يدي التفاضل ، بتزول العدوِّ إياه ، فسكان السِّكرى ^(٦) على إيصال الطعام إليه ، بحساب درهم واحد وربع درهم للرَّطل من الطعام ، منمنعة فِدَّةً ، وحسنة كبرى ، وبدعاً من يدع الفتوى .

وفي موقف الاستعداد لعدوِّ الإسلام ، من خارق جهاد النفس ، اطلاق البُنى ^(٧) ، للمدَّة القريبة ، والزمان الضيق ، باثنين وعشرين ثَغْراً من البلاد المجاورة للعدو ، والمشاركة الحدود ، مع أراضيه ، انتزاعية النيران تقرب جوابه : منها ثغر

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : اخترعه ، والماضى هنا أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : وأجرات . وقد لزم التصويب لاستقامة السياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» الذكر ، فلزم التصويب .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ج» وواردة في «الملكية» والزيتونة .

(٦) الكرى هنا يقصد بها الكراء أو الأجر .

(٧) البنى هنا جمع بناء .

أَرْجِدُونَةَ^(١) ، المستولى عليه الخراب . أنفق في تجديد قَصْبَتِهِ . واتخاذ جُبَّةٍ . ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب ، وفي اليوم شَجَى العدو ، ومُعْتَصِمُ المسلمين . وحصن أَسْرَ ، وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج . على بعد أقطاره . واتخاذ جِبابِ الماء به . واحتفار السانية^(٢) الهائلة بِرَبْضِهِ . ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله ، والعناية بالإسلام . ثم ختم ذلك بنديد حصن الحمراء ، رأس الحضرة ، ومَعْقِلِ الإسلام ، ومَقَرِّعِ الْمُلْكَ ، ومَعْقِدِ^(٣) الأيدي . وصِوانِ المال والذخيرة ، بعد أن صار قاعاً صاففاً . وخراباً بَلَقْعاً . فهو اليوم عروسٌ يُحْلَى المَهْضَبُ . وينازل الشهب ، سكن لمكانه الإرجاف . وذوت نجوم الأَطْمَاعِ . ونقل إليه مال الجباية . الْمُتَفَضِّلُ لهذا العهد ، بحسب التدبير ، ونَقْدَ الخراج . وصَوْنِ الألقاب . وقمع الخِزَانَةِ بما لم يتقدم به عهد . من ثمانين سنة . والحمد لله . وتجديد أساطيل الإسلام ، وإزاحة علل جيوش المَرْجِ . وعساكر البحر ، فهي لهذا العهد ، مَكْسُ الأديم ، شائعة الشِّبَا ، مُنْقَضَةٌ جفاتها إلى مساواة الأعداء . رابكةٌ ظهور المحاسن ، قلقة المواقف ، قُدُماً إلى الجهاد ، قد تعدد إغزاؤها ، وجاست البحر سوابجها ، وتعرفت بركتها والحمد لله ، وأنصاب جيش الجهاد ، استغرق الشهور المستقبلة . لروء^(٤) الصفراء والبيضاء الأهلة إلى أكف أهلها ، على الدوام ، بعد أن كانت ينحيفها المَطْلُ ، وينقصها المطال ، والحمد لله .

وفي^(٥) مواقف الجهاد الخسِّي . وبيع النفوس من الله ، وهو نمرة الجهاد الأول ،

(١) أرشدونة وأرجدونة Archlidona . هي بلدة حصينة تقع شمال مالقة على مقربة من حدود قشتالة في هذا العصر .

(٢) السانية هي الكلمة الأندلسية لآلة الرى المعروفة بالساقية .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة هنا (معقل) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (لدور) .

(٥) هنا يبدأ الجزء الثاني من كتاب «الإحاطة» بمخطوطة جامع الزيتونة بتونس . وسوف نوالى المراجعة عليه إلى جانب مخطوطي جاينجوس والخزائن الملكية . وسوف نرسم له بكلمة (الزيتونة) .

ما لا يحتاج عليه إلى دليل ، من الجوف ^(١) إلى حصن أشر ، قُبْلُ الثغر ، والجراحُ المطلق على الإسلام ، والعزم على افتتاحه . وقد غاب الناس من مساورته . وأُغِي عليهم فتحه ، فلزمه السلطان بنفسه . بياض يوم القيظ . مُحْرَضاً ^(٢) ، للمقاتلة ، مُوَأْسِياً لهم ^(٣) ، خالطاً نفسه بالمُسْتَنْفَرَةِ . يصابر لهيب النار . ووقع السلاح ، وتعميم الدخان ، مُقْدِياً للسكبات . مُحْرَضاً لذوى الجراح ، [مباشراً الصلاة على الشهداء] ^(٤) إلى أن فتحه الله [على يده] ^(٥) ، بعزمه وصبره . فبأشر رمّ سوره بيده ، وتحصين عَوْرته بنفسه ، ينقل إليه الصخر ، وينال العين ، ويخالط الفعلة ، لترب محلّ الطاغية ، وتوقع المفاجأة . ثم كان هذا العمل قانوناً مُطَرِّداً في غيره ، وَدَيْدَنًا في سواه ، حسبما نذكر في باب الجهاد .

وفي باب النصيحة للمسلمين من مآزق ^(٦) الجهاد الأكبر . ما صدر في هذه الدولة ، من مخاطبة الكافة ، بلسان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، صَدَعَتْ بذلك الخطباء [من فوق أعواد المنابر ، وأُتِمَّتْ آذان المحافل . مالم يتقدم به عهدٌ في الزمان الغابر] ^(٧) .

نص الكتاب

ولما صَحَّتْ الأخبار بخروج الأمة الإفرنسية إلى استئصال هذه البَقِيعة ^(٨) ،

(١) وردت في المخطوطين (الخوف) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» متحرّضاً .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الأول) . بالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت هذه الزيادة فقط في «ج» .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) ما بين الغاصرتين واردة في «ج» و «الملكية» ، وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت في «ج» البقعة .

والله متم نوره ، ولو كره الكافرون ، صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصه :

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ، بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر ، أيده الله ونصره ، وأوى^(١) أمره ، وخَلَدَ ما نَرَهُ . إلى أوليائنا الذين نُوقِظ من الغفلة أحلامهم ، وندعوهم لما يطهر من الارتياب إيمانهم ، ويخلص لله أسرارهم وإعلانهم ، يرى لعدم إحسانهم ، وخيبة قيامهم ، ويفار من استيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم ، ونسأل الله لهم ولنا إقالة العثرات ، وتخفيض الشدائد المعتورات ، وَكَثُرَ أَكْفُ العوادي المُبتَدِرَات . إلى أهل فلانة ، دافع الله عن قِتهم الغريبة^(٢) ، وعرفهم في الزداری ، والحرم ، عوارف الاطائف القريبة^(٣) وتداركهم بالصنائع العجيبة ، سلام عليكم أجمعين ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا شريك به أحداً ، ولا نجد من دونه مُلتحداً ، مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جليداً ، وأبعد في الصبر مدداً ، ليزيد الذين اهتدوا هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أنقذ من الردى ، وتكفل بالشفاعة [لمن]^(٤) غداً ضارباً هام العدا ، ومجاهداً من اتخذ مع الله ولداً ، والرضى عن آله الذين كانوا لسماء ملته عمداً ، فلم ترعهم السكتائب الوافرة ، وكانوا لهم أقل عدداً ، ولا هاتهم أمم الكفر : وإن كانت [أظهر جمعاً . وأكثر عدداً]^(٥) صلاة لاتقطع أبداً ، ووضى ، لا يبلغ مدداً . فإننا كتبنا إليكم ، كتبكم

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (ولوى)

(٢) وردت في «ج» (الغرى) وفي «الملكية» (الغرى) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه الجملة في «الزيتونة» . وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (أكثر جمعاً وأظهر عدداً) .

الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لأعدائه^(١) ورحمة^(٢)، ورمى بفكره غرض السداد ، فلم يُخط منه هدفاً ولا رمية . وقد اتصل بنا الخبر ، الذي يوجب نصح الإسلام ، ورعى الجوار والدِّمام^(٣) ، وما جعل الله للأُموم على الإمام ، فوجب علينا إيقاظكم من مراقبكم المُستغرقة ، وجمع أهوايكم المُفترقة ، وتهينكم إلى مصادمة الشدايد المُرعدة المُبرقة ، وهو أن كبير النصرانية ، الذي إليه ينقادون ، وفي مرضاته يصادقون^(٤) ويمادون ، وعند رؤية صليبه يبكون ويتسجدون ، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضماً وقغماً . وأوسعهم خضماً فلم تُبقي لهم^(٥) عصباً ولا عظماً ، ونثرت ما كان نظماً ، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ، ويرفع ما طرق ، ويرى^(٦) ما مزق الشّتات وخرّق ، فرمى الإسلام بأمة عدوها كالقطر المنثال ، والجراد الذي تضرب به الأمثال . وعاهدتم وقد حضر المنال ، وأمرهم وشأنهم الامتثال ، أن يدمنوا لمن ارتضاه الطاعة ، ويجمعوا من ملته الجماعة ، ويطلعُ الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة . بغتة^(٧) كقيام الساعة . وأقطعهم قطع الله بهم . | العباد والبلاد |^(٨) . والظّارف والتّلالد ، وصوغهم الحريم المستضعف والأولاد ، وبالله تستدفع مالا نظيقه . ومنه نسأل عادة الفرج . فما سُدت لديه طريقه ، إلا أننا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنةً بالبورار . وأشفقنا للذين من وراء البحار ، وقد أصبح معظمهم في لهوات السكفار ، وأودنا أن نهزّهم بالموغظة . التي^(٩) تسكل البصائر بميل الاستبصار . وتلمّسكم الاستنصار بالله ، عند عدم الانتصار .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (ش) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» الذمار .

(٣) هكذا في الزيتونة والملكية . وفي ج (يصادفون) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» وواردة في الزيتونة والملكية .

(٥) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي الزيتونة (يرمى) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (سقية) . والتصويب أنسب للسياق .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (البلاد والعباد) .

(٨) هكذا في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» الذي ، وهو تحريف .

فإن جَبَرَ الله الخواطر بالضراعة إليه، والانكسار . ونسخ الإعسار بالإيسار ، وأنجد
 اليمين بانهاء اليسار ، وإلا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظُّ الخسار ^(١) فإن من ظهر عليه
 عدو دينه ، وهو عن الله مَصْرُوف ، وبالباطل مشغوف ، وبغير ^(٢) العُرْف معروف .
 وعلى الخطام المسلوب ملهوف ، فقد تَلَّه ^(٣) الشيطان للجبين ، وخسر الدنيا والآخرة ،
 وذلك هو الخسران المبين . ومن نفذ فيه قدَرُ الله عن أداء الواجب وبذل المجهود ،
 وآجر بالمُبوْدية وجه الواحد الأحد المعبود ، ووطن النفس عن الشهوات الموبقة
 [في] ^(٤) دار الخلود ، العائدة بالحياة الدائمة والوجود : أو الظُّهور على عدوه
 المحشود إليه صبرا ^(٥) على المقام المحمود وبَيْعاً تكون الملائكة فيه من الشهود ،
 حتى تعيث يد الله في ذلك البناء المهدوم ، بقوة الله المحمود ، والسَّواد الأعظم
 الممدود ، كان على أمر ربِّه بالخياء المردود « قل هل ترَبُّون بنا إلا إحدى الحُسنيين
 ونحن نترَبُّصُ بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا ، فترَبُّوا إننا
 معكم مترَبُّون » ^(٦) . فالله في الهمم ، فقد خَبَت رِيحُها . والله في العقائد .
 فقد خَفَّت مصاييحُها . والله في الرُّجولة فقد فَلَ حُدُّها . والله في الغيرة .
 فقد نَكَس حُدُّها . والله في الدِّين : فقد طمع العدوُّ في تحويله . والله في
 الحريم . فقد مدَّ إلى استرقاقه يدُ تأميلة . والله في المساكن التي زَحَف لسُكنائها

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (الخسران) . والتصويب أنسب لسياق السجع .

(٢) وردت في «ج» (ويعير) . ونعتقد أن هذا تحريف . والتصويب أنسب للمعنى .

(٣) تله أى صرعه .

(٤) ساقطة في «ج» والملكية ، وإثباتها أنسب للمعنى .

(٥) وارادة في «ج» . وساقطة في الملكية .

(٦) يقول لنا المقرئ في نفع الطيب : إن هذه الرسالة أو الموعدة التي تبدأ من هنا ، وتنتهى فيما بعد
 بعبارة (والسلام الكريم يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته) كتبها على بن الخطيب (وليس
 الدوه لسان الدين) على لسان السلطان ، نداء إلى الأمة ، واستنهاضاً لهمتها ، على مثل رسائل عديدة
 وجهها إليها ابن الخطيب نفسه (راجع نفع الطيب ج ٤ ص ٤١٥ - ٤١٨) .

والله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها وسنّها / وقد كُفِّلَ فضلها وتناهى ^(١) .
والله الله في القرآن العظيم . والله الله في الجيران . والله الله في العتّاف والتّالّد .
والله الله في الوطن الذي توارثه الولدُ عن الوالد . اليوم تستأسد النفوسُ المهينة .
اليوم يُستنزَلُ الصبرُ والسكينة . اليوم تحتاجُ الهِمَمُ [أن] ^(٢) ترعى هذه النفوس
الكريمة الذّم . [اليوم يُسلكُ سبيل العزم والحزم والشدة والشّم] ^(٣) اليوم يَرجع
إلى الله تعالى المصرون . اليوم يفيق من نومه الغافلون والمعترون . قبل أن يتفاقم
الهلول ، ويحقّ القول ، ويُسَد الباب ، ويحقّق ^(٤) العذاب ، ويُسترقّ بالكفر
والرّقاب . [فالتساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار] ^(٥) . والغيور ترفرف لتحمي
الأوكار ، إذا أحست العياث بأفراخها والإضرار . تمر الأيام عليكم مرّ السحاب
وذهب الليالي لكم ذهاب ^(٦) . فلا خبر يفضي إلى العين ، ولا حديث في الله ^(٧)
تعالى يُسمع بين اثنين ، ولا كدّ ^(٨) إلا لزينة يُحلى بها نحر وجيد ، ولا سعى إلا
في ^(٩) متاع لا يغني في الشدائد ولا يفيد . وبالأمس ندبتم إلى التماس [رنحي
أورضي] ^(١٠) مسخر السحاب ، واستقالة كاذف العذاب ، وسرّال مرسل الدّيمة ،
ومحيي البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء ، واغبرت جوانبكم المخضرة
احتياجا إلى بلالة الماء ، وفي السماء رزقكم وما توعدون . وإليها الأَكفّ تمدون ،

(١) هذه الزيادة من نفح الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، وإثباتها لازم للسياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في نفح الطيب .

(٤) هكذا في « ج » والملكية . وفي « الزيتونة » (ويحق) والمؤدى احد .

(٥) هذه الزيادة واردة في نفح الطيب .

(٦) هذه الجملة ساقطة في المخطوطات الثلاثة وواردة في النفح .

(٧) هكذا في « ج » . وفي الملكية (بالله) .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة (تقد . تعد) والتصويب من النفح .

(٩) واردة في « الزيتونة » ، وساقطة في المخطوطتين .

(١٠) هذه الزيادة من نفح الطيب .

وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يصحّر^(١) منكم عددٌ معتبر ، ولا ظهر للإنابة
 [ولا للصدقة]^(٢) خبر ، وتوقّفون^(٣) عن إعادة الرغبة إلى الغنى الحميد ، والولى
 الذى إن شاء يذهبكم ويأت بخلق جديد . وأيم الله لو كان لهُوا لارتقبت
 الساعات [وذاقت المتسعّات]^(٤) . وتزاحمت على جماله وغصّت الجماعات^(٥) .
 أتعزّزاً على الله وهو القوى العزيز ، وتلبساً على الله ، وهو الذى يُميز
 الخبيث من الطيب ، والشبه من الإبريز ، أمّنبذة والنواصى بيده ، أغروراً
 فى الشدايد بالأمل [والرجوعُ بعد إليه]^(٦) . من يبدأ الخلق ثم يعيده ،
 ثم يُنزل الرزق ويقيده ، من يُرجع إليه فى الملمات ، من يُرجى فى الشدايد
 والأزمات ، من يوجد فى الحما والمات ، أفى الله شك يخلج القلوب ، أم غيرُ
 الله يدفعُ المكروه ، ويُيسّر المطلوب^(٧) . تفضلون على البجاء إليه فى الشدايد ،
 [بواسم الجهل ، وثرة الأهل]^(٨) وطائفة منكم قد بررت إلى استسقاء رحمته ،
 تمدّ إليه الأيدى والرقاب . وتستكشف بالخضوع لعزّة^(٩) العقاب^(١٠) ، وتستعجل
 إلى مواعد إجابة الارتقاب ، وكأنكم أنتم ، عن كرمه قد استغنيتم ، أو على

(١) وردت فى «ج» (يفجر) . وفى الملكية و«الزيتونة» (يحضجر) والتصويب من النفع .

(٢) الزيادة من نفع الطيب .

(٣) وردت فى المخطوطين (وتترفل) والتصويب من النفع .

(٤) وردت فى «ج» و«الملكية» . (المساعات) والتصويب من النفع .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى النفع كالأق (وتزاحمت على

أنديته الجماعات) .

(٦) هذه الزيادة من النفع .

(٧) واردة فى «ج» والنفع . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت فى «ج» و«الملكية» . وساقطة فى الزيتونة : ووردت فى النفع كالأق

(. رائد الفضل وثرة الجهل) .

(٩) كذا فى «ج» والملكية . وفى النفع (لعظته) .

(١٠) هكذا وردت فى «ج» والنفع . وفى «الزيتونة» و«الملكية» (العذاب) . والأولى

الامتناع من الرجوع إليه بِنَيْتِم . أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلاوة عليه من التبليغ باليسير ، والاستعداد إلى (دار الرحيل) ^(١) الحق والمسير ، ومداومة الجوع ، وهجر المجوع ، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع . دَخَلَتْ عليه فاطمة رضى الله عنها ، وبيدها كسرة شعير ، فقال ما هناء يا فاطمة ، فقالت يا رسول الله ، حَبِزَتْ ^(٢) قرصة ، وأحببت أن تأكل منها ، فقال يا فاطمة ، أما أنه أول طعام دخل جوف أهلك منذ ثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم ، يستغفر في اليوم سبعين مرة . يلمس رُحْمَاهُ ، ويقوم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، حتى تورمت قدماه ، وكان شأنه الجهاد ، ودأبه الجِدُّ والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد . فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون . وإذا لم تهتدوا بهديه فبمن تهتدون ، وإذا لم تُرضوه باتباعكم ، فكيف تعتزون إليه وتنتسبون ، وإذا لم ترغبوا في الاتِّصاف بصفاته غضباً لله (تعالى) ^(٣) وجهاداً ، وتقللاً من العَرَض ^(٤) الأدنى [ومُسْهاداً ففيم ترغبون ، فابتروا حبال الآمال ، فكل آت قريب ، واعتبروا بثلاث] ^(٥) ما دَهَمَ من تقدم من أهل البلاد والقواعد ، فنهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي كان يعلوها واعظ أو خطيب ، ومطيل ومطيب ، ومساجدها المتمددة الصفوف ، والجماعات المعورة بأنواع الطاعات ، وكيف أخذ الله فيها بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجهور بما أغضوا عيونهم ، وصامت بالغفلة عن الله عُقْبَى جميعهم ، وذهبت النعمات ^(٦)

(١) وردت في «ج» للرحيل . وما أثبتناه عن النفع .

(٢) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (أخبزته) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي النفع وفي «الملكية» (الغرض) .

(٥) الزيادة من نفع الطيب .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (المنقبات) . والتصويب من النفع .

بعاصيهم ، ومن داهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم [مناصب]^(١) للصلبان ، واستبدلت مآذنهـم بالنواقيس من الأذان . هذا والناس ناس ، والزمان زمان . (فما)^(٢) هذه الغفلة عن من اليه الرجى وإليه المصير [وإلى متى التساهل في حقوقه ، وهو السميع البصير ، وحتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير]^(٣) وإلى متى نسيان اللبأ إلى الولى النصير . قد تداعت الصلبان مجلبة عليكم ، وتحركت الطواغيت من [كل]^(٤) جهة اليكم . أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تمنح سطورها ، ولا احتجب نورها ، وأتم بقايا من افتتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحّض الإيمان ورضى الرحمن ، ما ظهر التشليث في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عديم الإسلام فيها عزم التأييد . ولكن شمل الداء ، وصم النداء ، وعميت الأبصار ، فكيف الاهتداء . والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، ففعالوا نستغفر الله جميعاً ، فهو الغفور الرحيم ، ونستقبل مقبل العثرات ، فهو الرؤوف الحليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدّمت أيدينا ، فقبول المعاذير من شأن الكريم . سدّت الأبواب ، وضُمّت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم [يا فتاح]^(٥) ، يا وهّاب . يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم [يا أيها الذين آمنوا]^(٦) قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين . ولا تهزوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . أعدوا الخيل

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) الزيادة من النسخ .

وارتبطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة واغبطوها ، فن خاف الموت رَضِيَ
بالدنيَّة ، ولا بد على كل حال من المنيَّة ، والحياة مع الذل ليست من شيم أهل
العقول والنفوس السنيَّة . واقننوا السلاح والعُدَّة ، وتعرفوا إلى الله في الرِّخاء
يمرفكم في الشدَّة ، واستشعروا القوة بالله [تعالى] ^(١) على أعدايه وأعدايكم ،
واستميتوا من دون أنبيائكم . وكونوا كالبنين ^(٢) [المرصوص] ^(٣) لملات العدو
النازل بفنائكم ، وحطوا بالتعويل على الله وحنَّة بلادكم . واشتروا من الله جل
جلاله أبناءكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها . وشكَّت إلى بعض الصالحين ، فأشار
عليها بالصدقة [فنصدقت] ^(٤) ، برغيف . فأطلق السبع ولدها . وتممت النداء
[يا هذه] ^(٥) لقمة بلقمة ، وإنالما استودعناه لحافظون . أهجروا الشهوات ،
وامتدَّر كوا الباقيات ^(٦) من قبل الفوات . وأفضلوا لمساكينكم من الأقوات ،
واخشعوا لما أنزل الله [تعالى] ^(٧) من الآيات . وخذوا نفوسكم ^(٨) بالصبر على الأزمات ،
والمواساة في الميِّمات ، وأيقظوا جفونكم من السُّنات . واعلموا أنكم رُضع ^(٩)
تُدنى كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب ، والدين الوحيد ، وحزب التمهيص ،

(١) الزيادة من نفح الطيب .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» وفي النفح (كالبناء)

والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . ووردت بالملكية» محرفة (المرسوس) .

(٤) الزيادة من النفح .

(٥) الزيادة من النفح .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» والنفح (البقية) .

(٧) الزيادة من النفح .

(٨) وردت في «ج» و «الملكية» (من لكم) . والتصويب من النفح .

(٩) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» والنفح (رضعاء) .

وَنَفَرَ [المرام] ^(١) العَوِيص ، فَتَفَقَّدُوا مَعَامِلَكُمْ مَعَ اللَّهِ [تعالى] ^(٢) ، فَمَهْمَا
 وَأَيْتَمَ الصُّدُقَ غَالِبًا . وَالْقَلْبَ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ . مَرَاقِبًا ^(٣) وَشَهَابَ الْيَقِينِ
 ثَابِقًا ، فَتَعَوَّا بِعَنَايَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَغْلِبُكُمْ مَعَهَا ^(٤) غَالِبٌ ؛ وَلَا يَنَالُكُمْ [مَنْ
 أَجْلَهَا] ^(٥) عَدُوٌّ مُطَالِبٌ ، وَأَنْتُمْ فِي السَّتْرِ الْكَثِيفِ . وَعَصْمَةُ الْخَبِيرِ الْلَطِيفِ .
 وَمَهْمَا رَأَيْتُمْ اخْطَاطَرَ مُتَبَدِّدَةً ، وَالظُّنُونَ بِاللَّهِ مَرْدُدَةً ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَخَافُ ،
 وَتُرْجَى مُتَعَدِّدَةً ، وَالْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ مَلَابِسُهَا مُتَجَدِّدَةً . وَعَادَةُ [دَوَاعِي] ^(٦) الْخِلْدَانِ
 دَائِمَةً ، وَأَسْوَاقُ الشَّهَوَاتِ قَائِمَةً . وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مِنْمَنْذٌ فِيكُمْ [وَعْدَةً] ^(٧) وَوَعِيدُهُ
 فِي الْأَثَمِ الْغَافِلِينَ ، وَأَنْتُمْ قَدْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ . وَالتَّوْبَةُ
 تَرُدُّ الشَّارِدَ ، وَاللَّهُ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ ، وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ . وَهُوَ التَّمَائِلُ : «إِنْ الْحَسَنَاتِ
 يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ» . وَمَا أَقْرَبُ صَلَاحِ الْأَحْوَالِ ،
 إِذَا صَلَّحْتَ الْعَزَائِمَ ، وَتَوَالَتْ عَلَى حَزْبِ الشَّيْطَانِ الْهَزَائِمَ ، وَتَحَلَّتِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا
 فِي الْعُمُيُونَ ، وَصَدَقَتْ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ الظُّنُونُ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ،
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» . وَتَوَبُّوا سَرِيعًا إِلَى طَهَارَةِ
 الْقُلُوبِ ، وَإِزَالَةِ الشُّوبِ ، وَاقْصِدُوا أَبْوَابَ غَافِرِ الذُّنُوبِ ^(٨) ، وَقَابِلِ التَّوْبِ .
 وَاعْلَمُوا أَنَّ سُوءَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ ، يَفْتَحُ أَبْوَابَ الشَّدَايِدِ ، وَيُسَدُّ طَرِيقَ ^(٩) الْعَوَايِدِ ،
 فَلَا تَمْتَلِكُوا بِالتَّوْبَةِ أَرْزَامَكُمْ ، وَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ ، فَتَغْشَوْا إِيْمَانَكُمْ ، وَلَا تَعْلَقُوا

(١) و(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنسخ . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (راغباً وراقباً) .

(٤) هكذا في الزيتونة و «النسخ» . وفي «ج» عليها .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة و «الملكية» . وفي «ج» لأجلها .

(٦) الزيادة من النسخ .

(٧) الزيادة من النسخ .

(٨) هكذا في الزيتونة . وفي «ج» و النسخ (الذنب) والأولى أنسب للسياق .

(٩) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي النسخ (طرق) .

متابكم بالصَّراثر^(١). فهو علام السراير، وإنما علينا معاشر الأولياء أن ننصحكم، وإن كنّا أولى بالنصيحة. ونعتدكم بالموعظة السريجة، الصادرة عِلم الله عن صدق القريحة. وإن شاركنّاكم في الغفلة، فقد ناديناكم^(٢) إلى الاستِرجاع والاستغفار، وإنما لكم الدنيا نفسٌ مبدولة في جهاد الكفار. وتقدم إلى ربكم العزيز الغفار، وتقدم لديكم إلى موافق الصبر. التي لا ترتضى، بتوفيق الله الفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسن وعقبى الدار. والاختيار لله ولي الاختيار. ومصرف الأقدار. وهانحن نسرع في الخروج إلى مدافعه هذا العدو. [ونفدى بنفوسنا]^(٣) البلاد والعباد. والحريم [المستضعف]^(٤) والأولاد. ونصلى من دونهم [ناراً]^(٥) الجلال. ونستوهب منكم الدماء إلى مَنْ وَعَدَ بإجابته. وتقبل من صرّف إليه وجهه إجابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع نصيراً، وعلى أعدائك ظهيراً. ومن انتقام عبدة الأصنام مجيراً، [اللهم]^(٦) قوْ مَنْ ضَعُفَتْ حِيلَتُهُ، فأنّت القوى المعين، وانصر مَنْ لانصير له إلا أنت، إياك نعبد، وإياك نستعين. اللهم ثبت أقدامنا [وانصرنا]^(٧) عند نزول الأقدام، ولا تسلّمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملايكتك^(٨) المؤمنين، [عَنْ ضَيْقَتِ أَرْجَاؤِهِ، وانقطع إلّا منك رجاؤه]^(٩). اللهم هَيِّ لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير

(١) هكذا في الزيتونة و « النفع ». ووردت محرفة في « الملكية » وفي « ج » (الفرايز الفرائر).

(٢) هكذا في المخطوطين. وفي النفع (سبقناكم).

(٣) وردت في « ج » الملكية (ونفدى بنفسنا). وفي الزيتونة (ونفد بنفسنا). والتصويب من النفع.

(٤) الزيادة من النفع. (٥) الزيادة من النفع.

(٦) الزيادة من النفع.

(٧) الزيادة من النفع.

(٨) وردت في المخطوطين (بلايتك) والتصويب من النفع.

(٩) وردت في المخطوطات الثلاثة (رجاؤنا) والتصويب من النفع.

[إليك] ^(١) . ذليلٌ بين يديك حقيرٌ . [رحمةٌ تُروى بالأزمة وتُشبع ، وقوةٌ تَطْرُدُ وتُسْتَتَبِعُ ، يَغْلِبُ الغَلَابُ . يَهَازِمُ الأحزاب . يا كريم العوايد . يا مُفْرِجَ الشدَايد ، رَبُّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا . وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] ^(٢) . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ تَبَقُّظٍ [فَتِيْقَظ] ^(٣) ، وَذَكَرَ فَتَذَكَّرَ ، وَمَنْ قَالَ لَمْ يَنْسَ الْإِنْسَانُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا . وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَيْنَا الْمُخَاطَبَاتُ مِنْ قَبْلِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ عَرَّفْنَا فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ اجْتِهَادَهُمْ ، وَشَكَرْنَا فِي ذَاتِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) جِهَادَهُمْ ، بَنِي مَرَيْنَ ، أُولَى الْإِمْتِعَاضِ اللَّهُ وَالْحِمِيَّةُ ، وَالْمُخَصَّصِينَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْكَرِيمَةِ بِهَذِهِ الْمِزْيَةِ ، بَعَزَ مِنْهُمْ عَلَى الْإِمْتِعَاضِ لِحَقِّ الْجَوَارِ . وَالْمُصَارَخَةُ الَّتِي تَلِيْقُ [بِالْأَحْرَارِ] ^(٥) [وَالنَّفَرَةُ لَا تَهْلِكُ ذِمَارَ بَيْتِهِمُ الْمُخْتَارِ . وَحَرَكَةُ سُلَاطَتِهِمْ] ^(٦) مَحَلٌّ أَخِينَا بَيْنَ لِهْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْصَارِ ، إِلَى الْإِعَانَةِ عَلَى هُزْلَاءِ الْكُفَّارِ ، وَمُدَافَعَةِ أَحْزَابِ الشَّيْطَانِ وَأَهْلِ النَّارِ . [فَاثْمَلُوا اللَّهَ تَعَالَى] ^(٧) إِعَانَتَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْكَرِيمِ الْآثَارِ . وَالسَّعْيُ الضَّمِينِ ^(٨) لِلْعَزِّ وَالْأَجْرِ وَالْفَخَارِ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ . عَرَّفْنَا اللَّهَ خَيْرَهُ . صَحِّحٌ هَذَا . فَكَانَ دِفَاعُ اللَّهِ أَقْوَى ، وَعَصَمَتُهُ أَكْفَى . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَوَايِدِهِ الْحُسْنَى .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) ما بين القوسين إبتداء من (عمن ضيقت) ساقط كله في النسخ . وما بين القوسين

إبتداء من (رحمة تروى) ساقطة في الزيتونة . (٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) الزيادة من النسخ . (٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) ما بين القوسين ساقط في الزيتونة .

(٧) ما بين الخاصرتين وارد في النسخ . ووردت في «ج» و «الملكية» (فاسل . فارسل) .

(٨) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» و «الزيتونة» (الضامن) .

ومن الغيرة على الدين ، وتَغْيِير أحوال الملحدِين ، من مَآزِق جهاد النفس ، ما وقع به العمل من إخماد البِدْع . وإذهاب الآراء المضلة ، والاشتداد على أهل الزَّيْغ والزُّنْدَاق . وقد أضاعت ^(١) أبواب هذه الأضاليل الشريعة ، وسُدَّت مضرهم في الكفاية ، فَيَسْكُطُ عليهم الحُكَّام . واستدعيت الشهادات . وأخذهم التَّشْرِيد ، فهل تُحِسُّ منهم أحداً ، أو تسمع لهم ركزاً .

وقَيَّد في ذلك عنى مقالات أخرى . منها رسالة « الغيرة على أهل الخير » ، ورسالة « حمل الجمهور على الشُّنن المشهور » . ورسالة « أُنشِدْتُ على أهل الرَّد » . فارتفع الخوض ، وكسَدَتْ تلك الأسواق الخبيثة . وصُمَّ ^(٢) منها الصَّدا ، ووضُح نار الهدى ، والحمد لله ، ولو تتبععت مناقب الهدى ، لأخرج ذلك عن الغرض .

الأحداث

وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشَّعَاء ، المُجَحِّفة بالدولة ، وقد كان السلطان أَثْذِر بطائفة ، تُداخل بعض القرابة ، فعاجَلَه بالقبض عليه ، وهو في محل ولايته ، فَصُفِّدَ وأُحْمِلَ إلى قَصَبَةِ المِرية ، وخاف أرباب المكيدة افتضاح الأمر ، فتمعَّبوا إبراز الكامن ، وإظهار الخَبِثِ ، وتولَّى ذلك جُمْلَةٌ من بنى غرون ذُنَابِي يَمِتِ الإِدبار ، وقد عابهم من بنى مطرون ، يدور أمرهم على الدَّلِيلِ البَرِّ كي ^(٣) ، فأَكْنَبَ اللهُ دَعْوَتَهُمْ ، بعد أن أركبوا الشيخ عليّاً بن نصر ، ونصبوه تلقاء القلعة بِيَابِ البُنود ^(٤) ، ودَعَوْا الناس إلى بيعته . وأخذ السلطان حِذْرَهُ ، وناصبهم

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (أضيق) .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» وفي «الملكية» وضم .

(٣) الدليل البركي يشير به إلى أحد وزراء الغنى بالله ، وهو الذي قام بتدبير تلك الثورة

التي نشبت في سنة ٨٧٦٧ (١٣٦٦ م) .

(٤) باب البنود هو من أبواب حي القصبه الجديدة من غرناطة . وكان يقع قبالة الحمراء وقباله القصبه القديمة ، يفصله عن قصبه الحمراء نهر حدره .

القتال ، وأشاع العطا ، واستركب الجيش ، وعمر الأسوار . فأخفق القصد ، وفرَّ الدليلُ البركي ، وتقبَّض على الرئيس المذكور ، وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان .

وكان مما أُمليته يومئذ بين يدي السلطان . من الكلام المرسل . ما هو نصه ،
بعد الصدر : وإلى هذا فيما أفادته الفطر السليمة . والحلم والقضا بالشرعية ،
والتنقل الشرعى والسِّن المرعى ، أن مُغالِب الحق مغلوب ، ومزاحم الله مهزوم ،
ومكابر البرهان بالجهل موسوم ، ومرتع الغي مهجور ، وسيف العدوان مفلول ،
وحظ الشيطان مؤكوس ، وحزب السلطان منصور . ولا خفاء بنعمة الله علينا ،
التي أطردَها^(١) في المواطن العديدة ، والهضبات البعيدة . والشبهات غير المبينة ،
والظلمات الكثيفة ، معلنٌ بوفور الحظ من رحمته ، وإبراز^(٢) القِداح في مجال
كرامته ، والاختصاص بسيا اختياره . فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون
مَضْمَع أماناً ، ونَهَجَ لنا سبيل النجاة بين يدي كسبه علينا ، وسخر لنا ظهري
الطريف والطريق ، بعد أن فرَّق لنا بحر الليل ، وأوضح لنا خفي المسلك ، وعبد
لنا عاصي الحزم ، ودمَّت غمر الشغراء^(٣) ، وأوطأنا صهوة المنعة ، وضرب وجود
الشُرذمة المتبعة ، بعد أن ركضوا قنيب^(٤) البراذن البادية ، من خزائن إهدائنا ،
المتجملة بجملَى رَكْبنا ، وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثير صلاتنا ،
وأبهروا الأنفاس التي طال ما رفعها إيناسنا وأبلغها الريقُ تأميننا ، وصبَّبوها الرق
الذي أفضله طعائنا ، شرهين إلى دَمِنا ، المحظور بالكتاب والسنة ، المحوط
بسياج البيعة ، المحصن عنهم بتقديم النعمة ، وحرمة الأب ومُتَعَدِّد الأذمة ، فجعل

(١) وردت في «ج» اطرداها ، وفي «الملكية» اطردها . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» وبراز . وفي «الملكية» (وبراز) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) الشغراء هي الأرض الكثيرة الشجر .

(٤) قنيب أى الجمع المتكاثف .

الله يبيننا وبينهم حاجزاً ، وَصَدَّ لِيَأْجُوجَهُمْ [من] ^(١) المَرَدَّة ^(٢) مانعاً ، وانقلبوا
يُعضون الأنامل الغضة من سُرَيْط جفاننا ، وَيَقْلِبُونَ الْأَكُفَّ التي أجذبها الدهر ،
ترفعاً من المهن المُرْتَبَةِ ^(٣) [في] ^(٤) خدمتنا ، قد حالهم صِفَار القَدْر . وذلك
التخيلية ، وَكَبَّحَ ^(٥) الله جماعتهم عن التَّنَفُّق بتلك الوسيلة . واحتلنا قَصَبَة وادي
آش ، لانملك إلا أنفُسنا ، لم يَشْبْهَا غشُّ الْعِلَّة ، ولا كِيادُ الْأَمَّة ، ولا دَنَسُهَا والحد
لله عارُ الفاحشة : ولا وَثَمُهَا الشُّوم في الولاية ، [ولا] ^(٦) أجبط عمل نجاتِها ^(٧)
دَخَلَ العقيدة ، ولا مرضُ السَّريرة ، مذ سَلَّمْنَا المَقَادَة لمن عَطَف علينا القلوب ،
وصَيَّرَ إلينا مُلْكاً أيّنا من غير حَوْل ولا حيلة . نرى أنها أُمْلَكُ لِحِرْمَتنا . وأَعْلَمُ
بما كُنَّا ^(٨) ، وأَرْحَمُ بنا . فَتَشَبَّثَ بها القَدَم ، وَحَيَّتْ لنا من أهلِها ، رَعَاهُمُ اللهُ الْهِمَم ،
وَصَدَّقَتْ في الذَّبِّ عَنَّا الْعَزَائِم ، وحاصرنا جيشُ العدو ، وأولياءُ الشياطين ،
وظهر ^(٩) الباطل ، فبان الظَّفَر والاستقبال ، وظَهَرَتِ الْفِيَةُ القليلة ، والله مع
الصابرين ، فَعَلِمُوا هناك وانقلبوا صاغرين . ومع ما لنا من الضِّيق ، وأَهْمُنَا من
الأمْرِ ، فلم نُطْلَقْ ^(١٠) به غارة ، ولا شَرِهْنَا إلى تَغْيِير ^(١١) نعمة ، ولا سَرَحْنَا عَنَّا
اكتساحاً على ^(١٢) هجمة ، ولا شِعْنَا لِبَساً في بيتٍ ولا حُلَّة ، وأَمْسَكْنَا الْأَرْماق

-
- (١) الزيادة من «الزيتونة» .
(٢) وردت في «ج» (المودة) . والتصويب من «الملكية» .
(٣) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (المرتبة) .
(٤) وضعناها ليستقيم السياق .
(٥) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» (وجمع) . والأولى أنسب للسياق
(٦) الزيادة من «الزيتونة» .
(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نجاتها) .
(٨) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (بمالنا) .
(٩) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وطهر) .
(١٠) وردت في «ج» (نطق) والتصويب من «الزيتونة» .
(١١) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (تغير) والمؤدى واحد .
(١٢) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» وفي «ج» (إلى) .

بَيْسِيرِ الْحَلَالِ^(١) الذى اشتملته خزائناً من أعشار وزكوات ، وحظوظ من زراعات ، وارتقبنا الفرج بمن نحص بالشدة ، والإقالة ممن نبه من الغفلة ، وأنهم الإقلاع والتوبة . ثم وقفنا^(٢) سبحانه ، وألمنا من أمرنا رشداً ، وسلك بنا طريقاً فى بحر الفتنة يديساً ، فذناه بمحقن الدماء ، وتأمين الأرجاء ، وشكرنا على البلاء ، كشكرنا إياه [على]^(٣) الآلاء . وخرجنا عن الأندلس ، ولقد كاد ، لولا عيشته ، بأن نهب [مذاهب الزوراء]^(٤) ، ونستأصل الشافة ، ونستأصل العرصة ، سبحانه ما أكل صنعه ، وأنجل علينا ستره ، إلى أن جزنا البحر ، ولحقنا بجوار سلطان المغرب ، لم تذب عنا عين ، ولا شمع علينا أنف . ولا حمل علينا بركب^(٥) ، ولا هتفت^(٦) حولنا غاشية^(٧) ، ولا نزع عنا [التقوى والعفاف]^(٨) ستر ، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذى أغفله الأوغاد^(٩) من أبناء دولتنا ، والضفادع ببركة نعمتنا ، حتى إذا الناس عافوا الصبيحة^(١٠) ، وتملأوا^(١١) الحسرة ، وسيموا الخسار والخلية ، وسامهم^(١٢) الطغام الذين لا يرجون الله وقاراً ، ولا يألون لشمايره المعظمة احتقاراً ، كلاب الأطعام ، وعبيدة الطاغوت ، ومدبرو

(١) وردت فى «ج» (الحال) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا فى «ج» . ووردت محرفة فى «الزيتونة» و «الملكية» (أوقفنا . وقفنا) .

(٣) للزيادة من الزيتونة .

(٤) فى المخطوطين (مذاهب نمت الزوراء) . ونعتقد أن التصويب أفضل للسياق .

(٥) المركب - الجماعة من عشرة إلى ما فوق .

(٦) وردت فى «ج» (خفت) وفى الملكية (خفت) . وفى الزيتونة (هتفت) . والتصويب

أوضح .

(٧) وردت فى «ج» غاشية . والتصويب من الملكية .

(٨) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الملكية» (العفاف والتقوى) .

(٩) هكذا فى «ج» . وفى الزيتونة (الأعوان) والأولى أنسب للسياق .

(١٠) هكذا فى «ج» . وفى الملكية (المهجة) .

(١١) هكذا فى «الملكية» . وفى «ج» (وملأوا) . والأولى أنسب للسياق .

(١٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (وساسهم) .

حُبُونُ الجبل . ومياسيس أسواق البُعد عن الرَّب . وعرايس تحرم الزينة ، وودود القُرْ ، ويُغار النَّهم . الأعزَّة^(١) على المؤمنين بالباطل . الأذلة^(٢) في أنفسهم بالحق ، ممن لا يُحسن المحاولة . ولا يلازم الصَّهوة . ولا يحمل السلاح ، ولا يُنزه مجتمعه الحشمة عن الفحشاء ، ولا يُطعم المسكين ، ولا يشعر بوجود الله ، جاروا^(٣) من شقيهم^(٤) [المحروم]^(٥) ، على مضعوفٍ مُلتفٍ في الحَرَم المحصور ، مُحْتَف بلُطف المهذ ، مُملٌّ بالخداع ، مسلوب الجرأة بأيدي انتهازم ، شؤم على الإسلام . ومعرفة في وجه الدين ، أخذ الله منهم حق الشريعة ، وأنصف أئمة الملة . فلم ينشَبوا أن تهاشوا ، فُضَّض بعضهم ، واستأصلهم التَّغْي ، وألحم لل سيف ، وتقتن القتل ، فن بين مُجدَّل ، يُوارى بأحلاس الدَّواب الوبرة^(٦) ، وغريق يُزف^(٧) به إلى سوء الميئة ، واسمُ بنت حُرمة الله ، واستُضيم الدِّين ، واستُبيحت المحرَّمات ، واستُضِمت الفروج في غير الرِّشدة . وساعت في عدوِّ الدِّين الحيلة ، فتحرَّ كناعن اتفاق من أرباب الفتيا ، وعزم من أولى الحرية ، ونحرِض من أولى الحفيظة والهمة ، وتداخِر^(٨) من الشوكة ، وتحريك من وراء البحر من الأئمة ، فكان ما قد علم من تَسْكِين الثَّائرة [وإشكا العديم]^(٩) ، وإصمات الصارخ ، وشَغَب الثَّائى ، ومعالجة^(١٠) البلوى ، وتدارك القطر ، وقد أشقى ، وكشف الضرَّ والبأسا [أما

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (العزة) . وفي الملكية (الغرة) . والأولى سب السياق .

(٢) وردت في «ج» (الأفلة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» داروا .

(٤) وردت في «ج» سقيم . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» الدبرة . والتصويب من «الملكية» و «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (بروف) والأولى

أنسب السياق .

(٨) هكذا في «ج» و «الملكية» . والتداخِر تعني هنا الدفع .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .

(١٠) وردت في «ج» (معالجة) والتصويب من «الزيتونة» .

الخبوة فالتصمها . وجَلَّ الرَّبُّ . واستشاط عليها جو السماء ^(١) . وأما مرافق البحر ومرافقه . فسَدَّتْ طرقها أساطيلُ الأعداء . وأما الحِمِيَّة فبدَّدها ^(٢) فسادُ السيرة ، وغَمَطَ الحق ، وتفضيل الأذى . وأما المال فاصْطَلَمَ السَّفَهَ بِيضاءه وصفراءه ، وكبس خزائنه حتى وقع الإِدْقاع والإعدام . وأقوى العامر . وافْتَقَرَتِ المجابى والمغابن ، واغْتَرَبَتِ جفون السيوف من حُلَاحِها . وجردتموه الآلة إلى أعلاها ^(٣) ، والدَّغْلَ المُسْتَبْطِنَ [الفاضح] ^(٤) ، وبمحض الحين ، وأسلمت للنواء العَرَصَةَ ، وتخرَّبت الثغور من غير مُدافعة ، واكتُسحت الجهات فلم يُترك بها نافع ، ووقع القول ، وحقَّ البَهْتُ ، وخُذِلَ الناصر ، وتبرَّأت الأواصر ، فخا كننا العدو إلى النِّصْفَةِ . ولم نقره على الدَّيْنَةِ ، وبأيناه أحوَجَ ما كننا إلى كَدِّه ، وأطعم ما أصبحنا في مظاهرتة على الكفار مثله ، اعترازاً بالله ، وثقة به ، ولجأ إليه وتوكلنا عليه ، سبَّحانه ما أبهر قدرته ، وأسرع نُصْرته ، وأَوْجَحَى أمره ، وأشدَّ قهره . وَرَكِبْنَا بحر الخطر ، بجيش [من التجربة] ^(٥) ونَهَدْنَا قُدُماً ، لانْهَابَ ^(٦) الهَوْلِ ولا نراقبه ، وأظللنا على أحواز رِيه ^(٧) في الجمع القليل ، إلا من مدد الصَّبْرَ المفرد ، إلا من مظاهرة الله الغفل ، إلا من زينة الحق المُظَلَّلَ جناح عقابه يمتاحُ الروح ، تُسَدُّ جِياؤه بصهيل العزِّ ، المطالعة غُرُوره بطليعة النصر . فلما أحسن بنا المؤمنون المُطَهَّرُونَ ^(٨) بساحتهم . انْتَرَوْا من عِقال الإيالة الظالملة والدَّعوة الفاجرة ،

(١) ما بين الخاصرتين واردة في «ج» و «الملكية» . وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (فشدّها) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» علاها .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» . ولكن قد وردت كلمة (الفاضح) في «ج» بكلمة (الحين) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وفي «ج» (من تجاربه) .

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (هَب) والتصويب أرجح .

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أحواز أربه) وهو تحريف . وولاية ريه المذكورة هنا هي

الولاية الأندلسية التي تقع بها مالقة وأحوازها من الشمال والغرب .

(٨) وردت في «ج» (المضطهون) . والتصويب من «الملكية» وهو أرجح .

وتبرأوا من الشرذمة الغاوية . والطائفة المناصبة لله المحاربة ، وأقبلوا نُنِيَّاتٍ
وأفراداً ، وزُرُافَاتٍ ووحداً . ينظرون بعيون لم تُرَوَّ من غَيْبَتِنَا . من مُحْيَارِحَةٍ ،
ولا اِكتحلت بمنظر رَافَةٍ ، ووجوه عليها قسوة الخَسَف . وإِشَارٍ عليها بوسُ
الْجَهْد ، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغريق ، يثنون من الجوع والخوف أنين المرضى ،
ويجشُّون بالبكاء ، ويُعلنون لله ولنا بالشكوى . فعرَّفناهم الأمان من الأعداء ،
وأول عارفة جعلونا عليهم ، وصرفنا وجه التَّأمين والتَّانيس ، وجعل الودَّ إليهم ،
وخَارَطْنَاهُمْ ^(١) الإِجْهَاشَ والرَّقْعَةَ ، وَوَثَّبْنَا ^(٢) لهم من الدَّلَّة ، واستولينا على دار
الملك بيلدهم ^(٣) . فَأَنْزَلْنَا مِنْهَا أَخَابِيثَ كَانَ الْأَشْقِيَاءُ مُخَلَّفُوهُمْ بِهَا ، من أخلاف
لا يزال تَطَأُ إِبْشَارُهُمُ الْحُدُودَ ، وتأنف من استكفائهم اليهود ، وأنشأت علينا
البلاد ، وشَمَّرَ السَّاعِيَةُ ذَيْلُهُ عَنِ الْجِهَاتِ ، وراجع الإسلام رَمَقٌ ^(٤) الْحَيَاةِ ، وَحَثَّنَا
السَّيْرَ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ ، وَقَدَّرَ عَنْهَا الشَّقَى الْغَاصِبَ . بِشَوْكَةٍ بَيْنَهُ ، الَّتِي أَمَدَّتْهُ
فِي النَّفْيِ ، وَأَجْرَتْهُ عَلَى حُرْمَةِ اللَّهِ ، وَقَصَدَ دَارَ قَشْتَالَةَ ، بِكُلِّ مَاصَانَتْ الْحِقَاقِ
مِنْ ذَخِيرَةٍ ، [وَحَجَبَتِ الْأُمُهَاءُ مِنْ خَرْزَةِ نَمِينَةٍ] ^(٥) يَتَوَعَّدُونَ الْمُسْلِمِينَ بِإِدَالَةِ
الْكُفْرِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَاقْتِيَادَ جِيُوشِ الصُّلْبَانِ ، وَشَدَّ الْخِيَازِمَ إِلَى تَبْدِيلِ الْأَرْضِ
غَيْرِ الْأَرْضِ ، وَسَوَّمَ الدِّينَ . وَطَمَسَ مَعَالِمَ الْحَقِّ ، كَيَاداً لِرَسُولِ اللَّهِ فِي أُمْتِهِ ،
وَمَنَاصِبَهُ [لَهُ] ^(٦) فِي حَنِيفِيَّتِهِ . وَتَبْدِيلَا لِنِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا . وَلِمَعْرُوفِ الْحَقِّ نُكْرًا ،
أَصْبَحَ ^(٧) لَهُ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ الرُّضْفِ . يَرْتَقِبُونَ إِطْلَالَ الْكَرِيهَةِ ، وَسَقُوطَ الظُّلَّةِ ،

(١) وخَارَطْنَاهُمْ (هكذا في ج والمملكية) معناها وبكىنا بكاء شديداً .

(٢) وَوَثَّبْنَا بالتشديد معناها ، أكرمناهم وأقلناهم من الدلة .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و«المملكية» . وفي «ج» بيلدهم .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«المملكية» (إلى) والأولى أرجح للسياق .

(٥) هذه العبارة واردة في «ج» و«المملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (لله) ، وفي «المملكية» (لرسول الله) مرة أخرى . والتصويب أنسب للسياق

(٧) وردت في «ج» (أصبح) والتصويب من «المملكية» .

وعودة السكرة ، وعُقبى المعرة ، والله من ورائهم مُحيط ، وبما يعملون محيط ،
ولنعاء للمستضعفين من المؤمنين مُحِيب ، ومنهم وإن قعدوا في أقصى الأرض
قريب . ولم نُقدم [مذ]^(١) حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة في أمره ،
نناشده العهد ، ونطرى له الوفاء ، ونناجزه إلى الحق ، ونقوده إلى حُسن التلطف ،
إلى الذى نشاء من الأمن ، فحسم الداء ، واجتث الأعداء ، وناصح الإسلام وهو
أعداء عُدُوهُ ، وحزَم الدين ، وهو المعطل^(٢) من أذوايه ، وصارت صُغرى عناية الله
بنا ، التى كانت العظمى ، واندرجت أولاهها فى الأخرى ، وأنت رُكائبُ اليَمْنِ
واليسين ، تترى ، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصقع سدى ولا هباء عبثاً ،
وأن له فينا خبيثةً غيب ، وسرَّ عناية ، يبلغنا إياها ، ويطوّقنا طوقها ، لآمانع
لعطايه ، ولا مُعدِّد لآلايه ، له الحمد ملء أرضه وسمايه .

فمن اضطردت له هذه العجائب ، فحملته^(٣) عوايق الاستقامة مزية جيوب
التقوى ، كيف لا يتمنى ، ويدين لله بمناصحته ، ويحذر عناد الله بمخالفته ، ويخشى
عاقبة أمره ، إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . قللنا
أظفار اللطالبة [وأغضينا عن البقية]^(٤) وسوَّغنا من كشف وجهه فى حربنا نعمة
الإبقاء ، وأقطننا رَحِم من قطع طاعتنا جانب الصَّفح ، وأذررنا لكثير ممن شجَّ
عنا ولو بالكلمة الطيبة جوروة^(٥) الرزق ، ووهنا ما وجب لنا من الحق ، ودنا له
بكظم الغيظ ، وعمرنا الرُتب بأوابها ، وجردنا الألقاب بعد خرابها ، وقبضنا

(١) ساقطة فى المخطوطات الثلاثة وبإثباتها يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت محرفة فى «ج» (المفصل) .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (فحمله) . والتصويب أنسب للمعنى .

(٤) وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» (واغضينا على البقية) . وفى «ج» (واغضينا طرف

التبعية) .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة والمقصود بها (الجرابة) .

الجباية مُحَمَّلَةٌ كَنَدَ العادة ، مقودة بزمام الرُّفق . مسوحاً عطفها بكف^(١) الطواغية .
فبَلَّنا صداً الجيشَ المَطُولَ بالأمانى . للعمال بالكذب ، المُستخدَم في الذبِّ عن
مجاتم الفحشاء ، ومراقِدِ المَهْر ، ودارينا الأعداء . وحسبنا الداء ، وظَهَرَ أمر الله
وهم كارهون . إلا أن تلك الشَّرْذِمَةَ الخبيثة ، أبقت جرائمِ نفاق ، رَكِبها النججار
الفَنَدَر ، وبَذَر بها حصيدُ الشرِّ ، وأخلطوا الحَقايِبَ الأَمِينَةَ من ساء ظنِّه ، وخَبِثَ
فكره ، وظن أن العقاب لا يفلته ، والحق لا يَذَرُه ، والسياسة لا تَحْفِزُه ، فدبت
عقاربُهم ، وتدارت طوافقُهم ، وتَأَبَّتْ^(٢) فسادُهم ، فدَبَرُوا أمراً تَبَرَّه الله تَبْهيراً ،
وأوسَعَه خِزياً وبيلاً ، وجعلوا يرتادون من أذيال القراية ، مَنْ استَخْلَصَه الشيطان
وأصْحَبَه الخذلان ، من لا يصلح^(٣) لشيء من الوظائف ، ولا يستقلُّ ببعض الكُلف .
فحركوا منهم زاهق^(٤) زمانه ، من شرِّ الدَّواب الذين لا يسمعون ، فأجرهم رَسَبَه ،
وتوقف^(٥) وقفة العين بين الورد والصدر . بخلال ما أطاعنا الله طلع نَيْتُه . معاجلناه
بالقبض ، واستودعناه مَصْفِداً ببعض الأطباق البعيدة ، والأجباب^(٦) العميقة ،
فخرج أمرهم ، وخافوا أن نَحْتَرش السعايات ، صباب مكرهم ، وتبع نفاقهم ، فأقدموا
إقدام المير على الأسد ، استعجالاً للحين ، ورجعاً لحكم الخيار ، وإقداماً على التي هي
أشدُّ ، تولى كبرها ، وكشف وجهه في معصيتها الخبيث البركى^(٧) حلف التهور
والخرق ، المموه بالبسالة وهو الكذُوب النُّكُوثُ الفُكُول ، تحملنا هفوته ، وتعمدنا

(١) وردت في المخطوطين (الكف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و«الملكية» (وتبات) . والأولى أنسب

للساق .

(٣) وردت في «ج» و«الملكية» (يصح) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الملكية» وفي الزيتونة (زهو) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ووقف) .

(٦) وردت في «ج» (والأجبال) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٧) البركى . وقد سبق أن عرفنا بصاحب هذا الاسم .

بالعفو قديماً وحديثاً زلته ، وأعرضنا فيه عن النصيحة ، وأبقينا له حكم الولاية ،
وأنسنا من نفرتة ، وتعاففنا عن غرته . وسوّغنا الجرائم التي سبقت ، والجراير
التي سلفت ، من إفساد العهد وأمر المسلمين ، والافتيات على الشرع ، والصدوع
بدعوى الجاهلية ، فلم يفده ، إلا بطراً ، ولم يزد إلا مكرّاً ، والخير في غير أهله
يستحيل شراً ، والنفع ينقلب ضرّاً . والتفت عليه طائفة من الخلائق ^(١) بنو غرون
قرعاء الجبل والمثامنة . وأذنب بيت الإديار ، ونفاية الشرار ، عرك جراتهم مكان
صهرهم البائس : ابن بطرون ^(٢) . الضعيف المنة السقيط الهمة ، الخامل التفصيل
والجلمة . وغيرهم ممن يأذن الله بضلal كيدهم وتخييب سعيهم ، فافتحموا البلد صبيحة
يهتفون بالناس أن قد طرق جهامهم ، وأن العدو قد دهمهم ، ملفتين يرون أنهم في
أذيالهم ، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم ، وسرعانهم ترهقهم ، كأنهم سقطوا من السماء ،
أو ثاروا من بين الحصباء . ثم جالوا في أزقة البلد يتذفون في الصفاح نار الجباحب ^(٣)
وكضاً فوق الصخر المرصوف ، وخوضاً في الماء غير المرهوف . ثم قصدوا دار الشيخ
البائس على بن أحمد بن نصر ، نفاية البيت ، ودودي القوم ، مسموخ ^(٤) الشكل . قبيح اللغ
ظاهر الكدر ، لإدمان المعاقرة ، مزنون ^(٥) بالمعاقرة والربت على الكبرة ساقط
الهمة . عديم الدين والحشمة ، منتمت ^(٦) في البخل والهلع ، إلى أقصى درجات
الخسة ، مثل في السكّنب والنيمة ، معيب ^(٧) المثانة . لا يرق بوله ، ولا يجف
سكسه ^(٨) ، فاستخرجوه مبأيماً في الخلافة . منصوباً بأعلى كرسي الإمامة ، مدعوماً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الخلاص) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ابن بطون .

(٣) نار الجباحب ، أعنى ما تطاير من شرر النار في الهواء من تصادم حجارة أو نحو ذلك .

(٤) هكذا في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (من شيوخ) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (موقون) . والمزنون ، المحقون البول .

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (منتجة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (ميب) وفي «الملكية» معيب .

(٨) في «ج» (سلسلة) والتصويب من «الزيتونة» .

بِالْأَيْدِي لِكَوْنِهِ قَلَقًا لَا يَنْتَبِثُ عَلَى الصَّبُورَةِ . مَخْزَارًا لِحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ . وَالْعَدْلُ فِي الْأَمَةِ ،
مُقْتَمًا لِلذَّبِّ عَنِ الْحَنِيفِيَةِ السَّمْحَةِ ، وَصَعِدُوا بِهِ إِلَى رِبْوَةٍ بِإِزَاءِ قَلْعَتِنَا ، مُنْتَمِرًا بِأَبِ
الْبَنُودِ (١) ، مُسْتَنِدًا إِلَى الرِّبْضِ . مَطْلًا عَلَى دَارِ الْمَلِكِ ، قَدْ أَقَامَ لَهُ رَسْمُ الْوِزَارَةِ ابْنَ
مَطْرُونَ (٢) الْكَارِي ، الْكَسِيجِ الدُّووبِ بِرَسْمِ الْمُسُومَةِ ، الْحَرْدُ ، الْمُهَيْنُ الْحِجَّةُ ،
فَخِلْ (٣) طَاحُوتَةَ الْغَدَرِ ، وَقِدْرَ السُّوقِ وَالْحَيَاةِ . وَالْيَهُودِي الشَّكْلَ وَالنَّحْلَ ،
وَقَرَعْتَ حَوْلَهُ طُبُولَ الْأَعْرَاسِ ، إِشَادَةً بِخُمُولِ أَمْرِهِ ، وَاسْتَهْجَانِ آلَتِهِ . وَنُشِرَتْ
عَلَيْهِ رَايَةٌ قَالَ رَأَيْهَا ، وَخَابَ سَعْيُهَا ، وَدَارَتْ بِهِ زِعْفَنَةٌ مِنْ طِفَامٍ مِنْ لَا يُعْلَى وَلَا
يَزِيدُ الْمَكَا وَالصَّغِيرِ مِنْ حِيلِهِ ، وَأَنْبَثَ فِي سَكِّكَ الْبِلَادِ مُنَادِيَهُ ، وَهَتَفَ أَوْلِيَاءَهُ
بِاطْلِهِ بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . وَاتَّبَعُوا مَوَاعِيدَ الشَّيْطَانِ فَاخْتَلَفَتْ ، وَدَعَوْا سَمَاسِيرَ الْغُرُورِ
فَصُمَّتْ ، وَقَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ فَصَلَدَتْ وَمَا أَوَارَتْ . وَلَحِينَ شَعَرْنَا بِالْحَادِثَةِ ،
وَنَظَرْنَا إِلَى مَرَجِ النَّاسِ ، وَاتَّصَلْنَا بِنَارِجِ الْخِلَافِ ، وَجَهِرَ الْخُلَعَانُ . اسْتَعْنَا بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْنَا
عَلَيْهِ ، وَفَوَّضْنَا أَمْرَنَا إِلَى خَيْرِ النَّاصِرِينَ ، وَقَلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ،
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ، وَاسْتَرْكَبْنَا الْجَنْدَ . وَأَدْعُنَا خَيْرَ الْعَطَاءِ ، وَأَطْلُقْنَا بِرِيحِ الْجِهَادِ ،
وَنَقِيرِ الْجِلَادِ ، وَمَلَأْنَا الْأَكْفَ بِالسَّلَاحِ ، وَغَمَرْنَا الْأَبْرَاجَ بِالرِّجَالِ . وَقَرَعْنَا طُبُولَ
الْمَلِكِ ، وَنَشَرْنَا أَلْوِيَةَ الْحَقِّ ، وَاسْتَظْهَرْنَا [بِخَالِصَةِ الْأَمْرَاءِ] (٤) أَوْلِيَاءَ الدَّعْوَةِ ،
وَخَاطَبْنَا قَبِيهِ الرِّبْضِ ، نَخْبِرُ نَخْبِرَهُ ، وَنُسَبِّرُ غَوْرَهُ ، فَالْفِينَاهُ مَتَوَارِيًا فِي وَكْرِهِ ،
مُرْعِيَا عَلَى دِينِهِ ، مُشْفِقًا مِنَ الْإِحْطَارِ بِرُمَّةٍ ، مُشِيرًا بِكُمَّةٍ . وَتَقْقَدُنَا الْبِلَادُ ، فَلَمْ تَرْتَبْ
بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ . فَلَمَّا كُنْتُ الْبَيْعَةَ وَفُخِّمْتُ الْجَمْلَةَ ، أَنْهَدْنَا الْجَيْشَ ، وَلَى أَمْرَنَا ،

(١) هو أحد أبواب غرناطة القديمة ، وقد سبق التعريف به .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» ابن بكرون .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (بل) . ونعتقد أن الأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الملكية» (بخلاصة الأمر) . والأولى أنسب السياق .

الذى اتخذناه ظهيراً ، واستنبطناه مشيراً ، والزمناه جليساً وصهيراً^(١) . ولم ندخر عنه محلاً أثيراً ، الشيخ الأجل ، أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبى زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو ، مُهد الرعب بقدمه ، والسُمد فى خدمتنا بخدمه ، فى جيش كثيف الجملة ، سابع العُدَّة ، مُزاح^(٢) العِلَّة ، وافر النَّاشِيَةِ ، أخذ بباب الرِّبْضِ وشُعَابِهِ ، ولفَّ عليه أطنابه ، وشرع إليه أمله . ولم يكن إلا كلاً ولا . حتى داسه بالسَّابِك ، وتخلَّفه بحرُ العوالى ، وبحرى السوابق ، وهو الحِمى الذى لا يُتوعد ، والمجدُ الذى لا يُغرَّب ، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السُّلْم ؛ واستظلاله بظلال العافية ، لحثَّ^(٣) الفاقرة ، ووقمت به الرِّزْيَةُ^(٤) . وفر الأعداء لأوّل وهلة ، وأسلموا شقيهم أذلَّ من وتد فى قاع ، وسلَّحفة فى أعلى بَقَاع ، فتقبَّض عليه ، وأخذت الخليلُ أعقاب الغدوة أشياعه ، وقيد إلينا برسُف فى قيد المهزَم ، ثعلبان مكيدة ، وشكِيَّة ضلال ومظنَّة فضيحة ، وأضحوكة سمر . فتضرع بين أيدينا ، وأخذته الملامة ، وعلاه^(٥) الخزى ، وثُلَّ إلى المطبق ، حتى نستدعى حكم الله فى جرْمه ، ونقتضى الفتيا فى جريته ، ونختار فى أقسام ما عرضه الوحى من قتلته . وهُدأت النارية ، والحمد لله من يومها ، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها ، فالحمد لله الذى أتم نوره ولو كره الكافرون « إن هؤلاء مُتَّبِعٌ ما هم فيه ، وباطلٌ ما كانوا يعملون » . وماذا رابهم منّا ، أصفر الله مُنْقَلَبهم ، وأخزى مرَدَّهم ، واستأصل فُلُكهم . أولاً يتبني أمر وارثه . ثم عوده إلينا طواعية ، ثم وقفنا وطأة العدو وحرَّبه ، ومددنا ظلال

(١) هكذا فى «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت محرفة فى «ج» (وسهيرا) .

(٢) وردت فى «ج» (قداح) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (المرتبة) وفى «الملكية» (المرتبة) .

والأولى متفقة مع السياق .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» و«الملكية» (وجلاه) والأولى أنسب

الأم من دفعة ، وأنفأنا^(١) رَمَقَ الثَّغُورَ ، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أمته ،
وبلوا من حَيْطَتِهِ^(٢) وتَسَوَّغاً من هَذَنِهِ ، وانسجبت فوق آمالمهم وحريمهم من عِفَّةٍ .
وأظهر الله علينا من نعمة . ربنا أنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من
شيء في الأرض ولا في السماء . اللهم ألبسنا سريرتنا ، وعاملنا بدخلتنا فيهم ، وإن
كنا أردنا لجامعتهم شراً ، وفي دينهم إغماضا ، وعن العدل فيهم عدولا ، فعاملنا
بحسب ما تبلوه من عقيدنا^(٣) ، وتستكشفه من خيئتنا ، وإن كنت تعلم صحة
مُناصحتنا لسوادهم ؛ واستفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم ، ورعى^(٤) صلاحهم ،
وتكيف^(٥) آمالمهم ، فصل لنا عادة صُنْعِكَ فيهم ، ومَسَلْنَا طاعتهم ، واهد بنا
جامعتهم ، وارفع بنظرنا إطاعتهم ، يا أرحم الراحمين .

ولما أسفر صبح هذا الصنيع عن حُسن العفو ، وأستقر على القى هي أَرْكَى ، وظهر
لنا لا تخاف بالله دوكا ولا تخشى ، وأن سبيل الحق أنجبى ومجئته أحجى ،
خاطبنا كم نَجَلُو^(٦) نعم الله قبلنا^(٧) عليكم ، ونُشِيدُ بتقوى الله بناديكُم ، وعنايته
لدينا ولديكم ، ونهدي طرف صُنْعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتبارا ،
فزجوا الله وكارا ، وتزبدوا يقيناً واستنبصارا ، وتصفوا العين من اختار لكم
اختيارا . وهو حسبنا ولم الوكيل ، والله يصل سمدكم ، ويمحرس مجدكم . كتب
في كذا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صح هذا

(١) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (حيطه) . والأولى

أنسب السياق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عقدنا) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وروم) والمؤدى واحد .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلف) . والأولى أنسب السياق .

(٦) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بجلو) وهو تحريف .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (قبلكم) .

الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة

اقتضى نظر الحزم، ورأى الاجتهاد للإسلام، إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين، فعظم الأثر، وشهرُ الذكر، واكتسحت الماشية، وألحم السيف. وكان نعر برُغَة^(١)، الفائزةُ به يدُ الكفرة، لهذه السنين القريبة، قد أعمَّ القلوب، وشغل النفوس، وأضاق الصدور، لانبثات^(٢) مدينة رُنْدَة، بحيث لا يخلص الضَّيف، ولا تبلغ الرسالة من الطَّير وغيرها إلى ناحية العدو^(٣). فوقع العمل على قصده، واستماعة الله عليه، واستنفر لمنازلته أهل الجيات الغربية من مالقة ورندة، وما بينهما، ويسر الله في فتحه، بعد قتال شديد، وحرب عظيمة^(٤)، وجهاد شهير، واستولى المسلمون عليه، فامتلات أيديهم أثاثاً وسلاحاً ورياشاً وآلة، وطهرت للحين مساجده، وزينت بكلمة الله مشاهده [وأنست بالمؤمنين معاهده^(٥)] ورُتبت فيه الحماة والرماة، والفرسان الحكمة، واتصلت بفتح الأيدي، وارتفعت العوايق. وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السُّبُل، والحمد لله. وتوجَّهت بفتحه الرسايل، وعظمت المنن الجلائل، وفرَّ العدو لهذا العهد عن حصن السهلة، من حصون الحفرة اللوئيشية، وسدَّ الطريق الماثلة، وذلك كله في العشر الأوسط^(٦) لشعبان من هذا العام. ثم أجلب^(٧) المسلمون في رُنْدَة في أخرياته

(١) هكذا في «ج». وفي الزيتونة (بغرة). وهو تحريف. وبرغة بالإسبانية Burgo، وهي تقع شرق رندة.

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (لانتباب). وبالتصويب يستقيم المعنى. والانبثات معناها الانقطاع.

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (وابه من الاعانة مسلما بها للاستباحة) وقد رأينا الاغضاء منها نظرا لاضطرابها وغموضها.

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (عظيم). فاقتضى التصويب.

(٥) الزيادة من «الزيتونة».

(٦) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (الأول).

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ومعناها احتشدوا.

وقصدوا^(١) [باغة وجيرة^(٢)] فاستنزلوا أهلها ، وافتتحوها ، فعظمت النعمة ، واطرد الفتح ، واتسعت الجهة .

وكانت مما خطبت به [الجهة المريفية^(٣)] من إملأئي :

المقام الذى نبشره بالفتح ونحييه ، ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه : ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه . ونشرك مساهمته فيما نهضد من أغصان [الزهور ونجنيه^(٤)] ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه ، وإعانتهم أهم ما يعنيه . مقام محل أحننا الذى نعظم قدره ، ونلتزم بره . ونعلم سره فى مساهمة المساهين وجهره ؛ السلطان الكنا ، الذى أبقاد [الله^(٥)] فى عمل الجهاد ونيته ، متكفلة بنشر كلمة الله طويته ، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته : معظم جلاله . ومجزل ثنايه ، ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادى واعتنايه . أيد الله أمره ، وأعز نصره . سلام [كریم^(٦)] عليكم ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله ، واصل سبب الفتوح ، ومجزل مواهب النصر المنوح . ومؤيد الفية القليلة بالملايكة والروح : والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبیه ، الآتى بنور الهدى بين الموضوع الداعى من قبوله ورصوايه إلى المنهل المورود والباب المقترح ، والرضا

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) ورد مكانها فى «ج» (باغة وعار جيرة) وفى «الملكية» (باغة وعار واجره) وفى «الزيتونة» (باغة وعار وجيره) . وهذا كله تحريف شديد . والصحيح ما أثبتناه وهو (باغة وجيرة) . وهما حصنان يقعان بين رندة ومالقة . وقد استولى عليهما المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله فى شبان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) . (راجع كتابى نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (الطبعة الثالثة) ص ١٤٨ .

(٣) المقصود هنا بالجهة المريفية هو بلاط فاس . وكان ملك المغرب يومئذ هو السلطان أبو زيان محمد حفيد السلطان أبي الحسن المريفى ، وقد حكم من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٦٨ هـ .

(٤) وردت فى «ج» (الظهور ونجنيه) . والتصويب من «الملكية» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

عن آله وأصحابه ، أسود الشروح . وحماة^(١) الشروح ، والمقتفين نهجه في جهاد
عدو الله بالعين القارة والصدر المشروح . والدعاء لمقامكم العلى بالعزيز الرفيع الصروح
فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سُبُوح المَواهب ، ووضوح المَناهب ،
وعزة الجانِب ، وظفرة السكتايب . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله
واكفة السحايب ، كفيلةٌ بذيل الرغائب . والله يصل لنا ولكم عوارف الاطاييف ،
ويجعل الشهيد دليلاً على الغايب . وإلى هذا وصل الله إعزازكم ، وحرس أخوازكم
وعَمَّرَ بالحقيقة من أُمراء مجازنا ومجازكم . فإننا بادرنَا تعريفكم بما افتتح الله علينا من
الثغر العزيز على الإسلام ، العايد رزؤه الفادح على عبادة الأصنام ، وكاب الغارات ،
ومكَّن حياة المَصْرَّات ، ونخيف الطريق السَّابِلة ، والمسارح الآهله ، حصن بُرْغَة^(٢)
ويسر الله في استرجاعه مع شهرة امتناعه ، وتطهر من دنس الكفار [وأنيرت
مئذنته]^(٣) بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار ، وعجلنا^(٤) ذلك على حين وضعت
الحرب فيه أوزارها ، ووفت الأوتار أوبراها^(٥) ، فسار الكتاب إليكم ، وأجير
الأجر لم يجف عرقه ، وعذر الاستعجال لاجبة طرقه . ولما عدنا إلى حضرتنا ، بعد
ما حصنناه وعَمَّرَناه ، وأجزلنا نظر^(٦) الحزم له وفرقناه . لم تكد البنود لمسرة فتحه
أن تعاد إلى أما كن صونها ، مرتبة عادة الله في عونها ، حتى طرقت الأنباء السارة
بتوالى الصنع وانفراده بتشفيغ أفراده ، وذلك أن أهل رُبْدَة حرسها الله ، نافسوا
جيرانهم من أهل مالقة ، كان الله لجليهم ، وتولى شكر صنيعهم ، فيما كان من امتيازهم

(١) هكذا في «ج» و «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (حلة) .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (حصن أشر) . ولكن من الواضح هنا أنه يقصد حصن
(برغة) الذي افتتح في هذه الغزوة . أما حصن أشر فقد افتتح في الغزوة التالية حسبما يحى .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وإنارة مأذنته) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وجعلنا) . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (أوتارها) . والتصويب من «الملكية» .

(٦) وردت في «ج» (نصر) . والتصويب من «الملكية» .

بمحسن برغة ، الجار المصائب لها ، فحميت همهم السنية ، وهانت في الله موارد النية .
وتضافر العمل والنية . وظهر نُبج المقاصد الدينية في إتاحة الفتوح الحنية ، فوجهوا
نحو حصن وحبر^(١) ، وهو الداين صحر^(٢) المدينة ونحرها . والعدو الذي لا يتر عن
ضرها ، والحية الذكر التي هي مروان^(٣) أمرها ، ففتحوه بعون الله وقوته ، وتهنؤا
بعده سلوك الطريق ، وإشاعة الريق ، ومراصد الحرس . ومجلؤ الجرس ، وأنصفوا ،
وانصرفوا إلى حصن باغة ، من مشاهد تلك الحفرة^(٤) ، فناشبهوه القتال . وأذاقوه
الوبال ، وفوقوا إليه التبال ، ففتحة الله فتحاً هيناً . لم تفت فيه المسلمين نفس
ولا تطرق لنصر التيسير لبس ، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليه ، والمن
المتقدمة والتالية . وأعدنا الأعلام إلى مرا كزها المشرقة^(٥) المراقب ، والطبول إلى
قرعها عملا من الإشارة بالموجب ، وشكرنا الله على اتصال المواهب ، ووضوح
المذاهب ، وخطبنا مقامكم الذي نرى الصنائع متواترة بنيته الصالحة وقصده ،
ويُعتد في الحرب والسلم بمجده ، علماً بأن هذه المسرات ، نصيبكم منها النصيب
الأوفى ، وارتياحكم إلى مثلها لا يخفى . ونحن نرقب ما تنجلى عنه هذه النكليات ،
التي تفتت كبعد العدو تنالها ، وتروع أحوازها وما يليها ، ولا بد له من امتعاض
يروم به صرع المعرة ، ويأبى الله أن ذلك يأتى بالكرّة ، والله يجعلها محركت
لخفنه المرقوب ، وحينه المجلوب ، ويحقق حق^(٦) القلوب ، في نصرة المطلوب ،
عرفناكم بما تريدون عملاً^(٧) بواجب برؤكم ، ومعرفةً بقدركم . وما يتزايد نعرفكم
به ، ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه والسلام .

(١) هكذا ورد اسمه في «ج» . وفي «الزيتونة» (وصبر) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وحير) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (مراوات) .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخضرة) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (المشرقة) والأولى أرجح .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (علما) والأولى أرجح .

الغزاة إلى حصن أشرف^(١)

وفي أوائل شهر رمضان بعده - أعمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشرف . وهو قُفل^(٢) الثغر الذي فضّه الطاغية ، وسورها الذي فرغه^(٣) الكفر . وجارحُه المخلّق على البلاد . والمتحكم لولا فضل الله في الأموال والأولاد . فتأذن الله برد مُغتَصِبِه ، والشفا من وَصْبِه ، وأحاط به وناصبه الحرب . ففتحة الله على يده عذوة . على سمو ذروته ، وبعد صيته وشهرته ، واختيار^(٤) الطاغية في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله ، فاز بمزية الحمد فيها السلطان ، لمباشرته إياها بنفسه ، وحمل كلّها فوق كاهله ، واتقاد ما أخذ من الحمية بتحريضه . ثم لما كان بعد الفتح من [استخلاص القصبَة]^(٥) وسدّ ثلَمِها بيده ، ومصابة جو القيظ عامة يومه ، فجاز ذكراً جليلاً وحلّ من القلوب محلاً أثيراً ، ورحل منها ، بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة مُخَيِّرة ، ومن الرُماة جُملة ، وتخلّف سلاحاً وعدة ، فكان الفتح على المسلمين . في هذا المعقل العزيز عليهم جليلاً ، والمنّ من الله جزيلاً ، والصنع كثيراً ، وصدرت المخاطبة للمغرب بذلك ، على الأسلوب المرسل الخلى من السجع الغنى .

الغزاة المَعْمَلَة إلى أطريّة

في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة ، كانت الحركة إلى مدينة أطريّة^(٦)

(١) وردت في كل من «ج» و «الزيتونة» (آش) . وهو تحريف . وحصن أشرف يقع على مقربة من أطريّة شرق إشبيلية . وقد وقع غزو أطريّة عقب ذلك حسبما يجرى . واستولى المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله على حصن أشرف في رمضان سنة ٧٦٧ هـ وقاموا بتحسينه .
(٢) في الزيتونة (قبل) .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (اختبار) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٥) وردت مكان هذه العبارة في «ج» (مواساة الفعل) . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (مواسات الفتح) . وهى عبارات لا معنى لها . وبالعبارة الموضوعية يستقيم المعنى والسياق .

(٦) أطريّة وبالإسبانية Utrera هى مدينة صغيرة تقع جنوب شرق إشبيلية ، وشرق نهر الوادى الكبير .

بنت إشبيلية . وبلدة تلك الناحية الآمنة . مهاد الهدنة البعيدة عن الصُرمة . حرك إليها بعدُ المدى ، وآثرها بمحض الرّدى ، من بين بلاد العداء ، ما أسلف به أهلها المسلمين ، من قتل أسراهم في العام قبله . فنارلها السلطان أول رمضان . وناشبهها الحرب واستباح المدينة ورَبَضَها عنوة . ولجأ أهلها إلى قصبها المنيعه . ذات الأبراج المشيدة ، وأخذ القتال بمُخَنَقهم ، وأعان الزحام على استنزاهم ، فاستنزوا على حكم المسلمين ، فيما يناهز خمسة ، بما لم يتقدمه عهد ؛ ولا ا كَتَحَلت به في هذه المدة عين . ولا تلقته عنها أذن ، وامتلات أيدي المسلمين ، بما لم يعلمه إلا الله ، من شتى الغنائم ، وأنواع الفوايد ، واقتسم الناس السبي رُما على الأكفال والظهور ، وتقديرا بقدر الرجال ، وحملوا فوق الظهور للفرسان . وعمرانا للسروج والأعضاء بالصبية ، وبرز الناس إلى ملاقة^(١) السلطان في هول من العز شهر من القفر ، وبعيد من الصيت ، قرّت له أعينهم ، وقعد لبيعهم أياما تباعا ، وملا بهم البلاد هدايا وتحنا والحمد لله [وصدوت الخطابية بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي^(٢) .

الغزاة إلى فتح جيان

وفي آخر محرم من عام تسعة^(٣) وستين وسبعمائة ، كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيان ، إحدى دور الملك ، ومدن المعمود ، وكرسیة^(٤) الإمارة ، ولوان المدن الشهيرة ، افتتحها الله عنوة ، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدواب والسلاح ، ومكّنهم من قتل المُقاتلة . وسبي الذرية ، وتخريب الديار ، ومحو الآثار ، واستنساف النعم ، وقطع الأشجار . وهذا الفتح

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (قفر) . والأولى أنسب السياق .

(٢) هذه الجملة واردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في «الزيتونة» (سبعة) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

خارق . تعالى أن يحيط به النظم والنثر ، فذكره أطير . وفخره أشهر . وصدرت في ذلك المخاطبة من إملأني إلى ملك المغرب . وأصاب الخلق عتب القول في هذه الغزاة . مرض^١ وافد . فشا في الناس كافة ، وكانت عاقبته السلامة ، وتدارك الله بلطفه ، فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء ، ومواقف الإطراء ، إلى شغل عن ذلك^(١) .

الغزاة إلى [مدينة]^(٢) أبدة

وفي أول ربيع الأول من هذا العام ، كان الغزو إلى مدينة أبدة ، واحتل بظايرها جيش المسلمين ، وأبلى السلطان في قتالها ، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أوبة . واستمدت بما في الوُسع والقوة ، وكانت^(٣) الحرب بها مشهورة . وافتتحها المسلمون فانهبوها . وأعقوا مساكنها العظيمة البناء ، وكنائسها العجيبة المراءى ، وألصقوا أسوارها بالترى ، ورأوا من سعة ساحتها ، وبعد أقطارها ، وضخامة بناها ، ما يسكنذب الخبير فيه المراءى ، ويبلد الأفكار ، ويحير النهى . والله الحمد على آلايه التي لا تحصى . وقفل المسلمون عنها ، وقد أخربوها ، بحيث لا تعمّر وباعها ، ولا تأتلف حجورها وجوعها . وصدرت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشائي بما نصه :

وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة ، بطر^٤ بن أدفونش بن هيراندة بن شانجه ، وهو الذي تهبأ به الكثير من الصنع المسلمين ، بمزاحمة أخيه أندريق^(٤)

(١) وردت بعد ذلك في «ج» العبارة الآتية (العدو إلى مدينة أبدة) . وهي عبارة لا محل

لها هنا .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وكان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) سبق أن أوضحنا أن هذا الاسم يقصد به الدوق هنري دى تراسبارا الأخ غير الشرعي الملك بيدرو الثالث (بطر) ملك قشتالة .

في الملك وتضييقه عليه ، [وحياز سبعة]^(١) من كبار أصحابه ، وأهل ملته إليه ،
وافقتار بطره المذكور إلى إعانة المسلمين ، وإجلالهم على من آثر طاعته ضده ،
فانهزم بظاهر حصن مُنْتِيل ، ومعه عدد من فرسان المسلمين ، ولجأ إلى الحصن
على غير أهبة ولا استعداد ، فأخذ أخوه الذي هزمه بِمُخَنَّفَه ، وأدار على الحصن
البناء ، وفرّ جيشُ المحصور ، فاجتمع قُلُه بأحواز أُبْدَة ، وراسلوا المسلمين في مظاهرتهم
على استنقاذهم ، فتوجهت الفُتَيَّا بوجوب ذلك . ووقع الاستنفار والاحتشاد
حرصاً على تخليصه ، ليسبّب بقاءه بقاء الفتنة تستأصل الكفر ، ونشغل^(٢) بعض
العدو ببعضه .

وفي أثناء هذه المحاولة تَبَاطَن^(٣) الحائِنُ المحصور بمن معه ، ويعد عليه الخلاص
من وورطته ، ومساهمة المسلمين إياه في محنته ، وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته ،
فداخل بعض أمراء أخيه وظُهرَايه ، بمن يياشر حصاره ، وكان قوماً شهيراً من
المَدَد الذي ظاهره ، من أهل إفْرِ نَسِيَة ، ووعد به بكل ما يطمع من مال ومَهْد ، وتَوْفِيَة
عهد . فأظهر له القبول . وأضمر الخديعة . ولما نزل إليه سَجَنَه ومن لحق به من
الأدلاء [وأولى الحرّة بالأرض]^(٤) وأمسكه ، وقد طَير الخبر إلى أخيه ، فأقبل
في شِرْذِمَة من خواصه وخُدّامه ، فهجم عليه وقتله ، وأوسع العفو من [كان]^(٥)
محصوراً معه ، وطير إلى البلاد برأسه ، وأوغر التَّيْن^(٦) في جُثَّتِه ، ولبس ثياب

(١) وردت في الزيتونة (وحياز من السبعة) وفي «الملكية» (وحياز من أسفد) . وفي
«ج» (من أسط) . وبأنسريب يستقيم السياق .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاث (واستغل . واشتغل) فاقضى التصويب .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) ورد مكانها في «الزيتونة» (وهو) وفي «الملكية» (من هو) . والتصويب أنسب

السياق .

(٦) وردت في «ج» (واوغر تين) وفي «الزيتونة» (وادغر تين) وفي «الملكية» (واوغر تين)

و: التصويب - يقيم السياق .

الحزن من أجله ، وإن كان معترفاً بالصواب في قتله ، وخاطب البلاد التي كانت
 [على] ^(١) مثل الجمر من طاعة ، الجاهر ^(٢) بمظاهرة المسلمين ، وما جرَّ ذلك من
 افتتاح بلادهم ، وتخريب كنياسهم ، والإتيان على نعيمهم ، فأجابته ضربة ، وانفتحت
 على طاعته ، فلم يختلف عليه منها اثنان ، إلا ما كان من مدينة قرمونة . واجتمعت
 كلمة النصارى ، ووقع ارتفاع شتاتهم ، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين ، وشاع
 استدعائهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل ببرجلونه ^(٣) . وعدوا الأشبونة ،
 والعدو الثقيل الوطاة بإفراسية . وقد كان الله جل جلاله ، ألهم أهل البصائر النظر
 في العواقب ، والفكر فيما بعد اليوم أتم . ووقع لي إذن السلطان ، المخلّي بيني
 وبين النصارى ، في مخاطبة سلطان النصارى المنكوب لهذا العهد ، فأشرت عليه
 بالاحتراز من قومه ، والتفطن لمساكيد من يحطّب في حبل أخيه ، وأريته اتخاذ
 معقل يحجز ولده وذخيرته ، ويكون له به الخيار على دهره ^(٤) ، واستظهرت ^(٥) له
 على ذلك بالحكايات المتداولة ، والتواريخ المعروفة ، لتتصل الفتنة بأرضهم . فقبل
 الإشارة وشكر النصيحة ، واختار لذلك مدينة قرمونة ، المختصة بالجوار المكسب ،
 من دار ملّكم إشبيلية ، فشيّد هضابها ، وحصّن أسوارها ، وملأها بالمخازن طعاماً
 وعدة ، واستكثر من الآلات ، واستظهر عليها بالثقات ، ونقل إليها المال والذخيرة ،
 وسجن بهارها أكابر إشبيلية ، وأسرى المسلمين ، وبالغ في ذلك ، فيما لا غاية
 وراءه ولا مطمع ، ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القدر إليه ، حتى تركها عدة
 خلفه ، وأودع بها ولده وأهله ، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهادنة ^(٦)

(١) هذه الكلمة لازمة لاستقامة السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (الجابر) . والتصويب أرجح .

(٣) هي مدينة برشاونة عاصمة مملكة أراجون وقتئذ .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . وفي «الزيتونة» (ظهرة) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (استطرت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وردت في «ج» وفي «الملكية» (مصدنة) والأول
 أنسب للسياق .

ضده، ولا يُقر أمان عدوه، والتفوا على صغير من ولده كالنخل على شهبه، ولجأوا إلى المسلمين، فبَغِضَ عليهم السكرة والفتح بقاء هذا الشَّيْءِ، المُعْتَرِض في حَلَقِهِ، وأهمه تغيير أمره، وجتمع به المسلمون لأجله. وأظهروا المن انحاز بقرمونة. الامتسك بعده، فَعُظُم الخرق، وأظهر الله نُجْحَ الحيلة. وصدق [بها] ^(١) المَخِيلَة، وتفتّر الأمر، وتحدت ^(٢) نار ذلك الإرجاف. واشتغل الطاغية بقرمونة، بخالد ماخوطب به صاحب الأرض الكبيرة ^(٣)، فطمعه في المظاهرة. وتحطّب له مُلْك قشتالة. وعقد السلم مع صاحب بُرْطُغال ^(٤) والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم. وخرجت عليهم الخوارج. فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة. وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أخوازها. وجعل الخصاص مُوجّهة قَرْمُونَة. وانصرف إلى سدّ الفتوق التي عليه بلطف الحيلة. ببواطن أرضه وأحشاء عمالته، وصار في مُلْكِهِ أشغل من ذات المُّحْيِينَ. [فساغ الرّيق] ^(٥). وأمكن العُدْر، واتهمز الغرّة. واستأنفت الحركة ^(٦). فكانت إلى حصن مُنْتِيل والحويز. ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين وسبعائة. ثم إلى ثغر رُوْطَة. ففتحها الله [عن] ^(٧) جَهْد كبير، واتصل به حصن زَمْرَة ^(٨). فأمن الإسلام عادية العدو بملك الناحية، وكبس أهل رُنْدَة. بإيعاز من السلطان إليها، وإلى من بالكُجَل. جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشور، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضاً.

(١) الزيادة من الزيتونة.

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وخمد). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) الأرض الكبيرة هي فرنسا.

(٤) هكذا وردت في «ج»، وفي «الملكية» و «الزيتونة» (برتقال).

(٥) واردة في «ج» و «الملكية»، وساقطة في «الزيتونة».

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (الحركات) والتصويب أنسب السياق.

(٧) الزيادة من «الزيتونة».

(٨) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و «الملكية» (حصن مرة).

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء . باب الأندلس . وبكرُ الفتح الأول ،
فكانت الحركة إليها شهر ذى الحجة من العام المذكور . ووقع تحريض الناس
بين يدي قصدها في المساجد بما نصه :

معاشر المسلمين المجاهدين . وأولى الكفاية عن ذوى الأعذار من القاعدين .
أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين . وجعلكم في سبيل الأجر والفخر من الزاهدين ،
إعلموا رحمكم الله ، أن الإعلام بالأندلس ، ساكن دار . والجزيرة الخضراء بابهُ ،
ومُبعد مغار ، والجزيرة الخضراء رِكابه ، فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث
أسبابه ، ونَفَرته على أعدائه وأعداء الله أحبابه . ولم يشك العدو الكافر الذى
استباحها ، وطَمَسَ بِظُلْمَةِ الكفر صباحها^(١) . على أثر اغتصابها . واسوداد الوجوه
المؤمنة لمصائبها ، وتبديل محاربها . وعلوق أصله الخبيث في طيّب تُرائنها ، أن صريع
الدين الخفيف بهذا الوطن الشريف . لا ينتعش ولا يفوم . بعد أن فرى الخلقوم .
وأن الباقي رَمَقٌ يذهب . وقد سُدَّ إلى التَّدَارِكِ المذهب . لولا أن الله دفع الفارقة
وَوَقَّاهَا ، وَحَفِظَ الْمَسْكَنَةَ^(٢) . واستبقاها . وإن كان الجبل^(٣) عصمه الله . نعم البقية .
ويمكانه حَفَّتِ التَّقِيَّةُ ، فحسبُك من مصراع باب بُعِثَ بثانيه ، ومُضايِقُ جِوَارِحِيلِ
بينه وبين أمانيه . والآن يا عباد الله قد أمكنكم الاتهاز ، فلا تُضَيِّعُوا الفرصة ،
وفترَ الْمُخَنَّقِ فلا [تَسُوِّغْهُ غَضَّةً]^(٤) . وأعمروا البواطن بحميَّة الأحرار ،
وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار . وانظروا للعون من الذَّرَارَى وَالْأَبْكَارِ ،
والنَّشْأَةِ الصُّغَارِ ، زُغَبِ الْخَوَاصِلِ فِي الْأَكْوَارِ ، والدين المنتشر بهذه الأقطار ،

(١) وردت في المخطوطات الثلاث (صاحبها) وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) الجبل هنا يقصد بها جبل الفتح أو جبل طارق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (تسوها) .

واعملوا للمواقب، تحمدوا عملكم، وأخلصوا الله الضامير، يُبَلِّغُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَمْلِكُمْ،
فَاعْذُرْ مَنْ سَلَّمَ فِي بَابٍ وَكَرِهَ. وماذا ينتظر من أذعن السكينة عدوه ومكره. من
هذه الفُرْضة. دخل الإسلام تروُّع أسوده. ومن هذه الجهة طلع [الفتح الأول] (١)
تُخَفِّقُ بُنُودَهُ، ومنها تقهجم الغدير الغريب. إذا رامت الجواز وفُودَهُ، فيبصر
بها صافآت والدليل يقوده. البابُ المسدود يعابد الله فافتحوه، وَجْهُ النَّصْرِ تَجَلَّى
يعابد الله فالحجوة، الداء العضال يعابد الله فاستأصروه، حَبَلُ اللَّهِ يَرِجَالُ اللَّهِ قد
انقطع فصوله. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تُخْتَبَرُ الْهَيْمُ الْعَالِيَةُ،
في مثلها تُشْهِرُ (٢) العقائد الوثيقة، وتُدَسُّ الْأَحْبَاسُ الْعَرِيقَةُ، فنضُر الله وجهه من
نظر إلى قلبه، وقد امتلأته (٣) حَيَّةُ الدِّينِ، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا
مَهْلِكُ الْجَبِينِ.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي
الذي أوفدت (٤) من خصوص الرِّحَمَاتِ وَأَجْزَلَتْ، وبكل نبي (٥) رُكِعَ لُوجُهُكَ
الكریم وسجد، وبكل ولى [سَدَّهُ مِنْ إِمْدَادِكَ كَمَا وَجَدَ] (٦). أَلَا مَا رَدَدَتْ
علينا ضالَّتَنَا الشَّارِدَةَ، وَهَنَاتُنَا بَفَتْحِهَا [مِنْ] (٧) نَعْمِكَ الْوَارِدَةِ، يَأْمُسُّبِلُ الْمَأْرَبِ
العسرة، ياجابر القلوب المنسَكِّرة، ياولى الأمة الغريبة، يَأْمُنُزِلُ الْإِنَائِفَ الْقَرِيبَةَ،
اجعل لنا من ملايكة نصرِكَ مَدَدًا، وانجز لنا من تمام نُورِكَ الْحَقِّ مَوْعِدًا. وبنا
آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الملكية» (الفتوح الأولى).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» و «الملكية» (تشعر) وهو تحريف.

(٣) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ووردت في الملكية (أملته).

(٤) وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و (فدت). والتصويب أرجح.

(٥) هكذا في «ج». وفي الملكية (ولى).

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الملكية» و «الزيتونة».

(٧) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

فوقع الانفعال ، وانتشرت الحِية ، وجُهزت الأساطيل . وكانت مُنازلتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وعاطاها المسلمون الحرب ، فدخلت البنية^(١) وهى المدينة الملاصقة لها عتوة ، قتل بها من الفرسان الدائرة عِدَّة ، وصُرفت الغنائم إلى المدينة الكبرى . فرأوا من أمر الله ، ما لا طاقة لهم به ، وخذلهم الله جلَّ جلاله ، على مَنَمَةِ الأسرار [وبعد مهاوى الأغوار ، وكثرة العد والمُدَد]^(٢) . وطلبوا الأمان لأنفسهم . وكان خروجهم عنها يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، السعيد على المسلمين ، فى العيد^(٣) والسرور ، [برُد الدين]^(٤) . والله الحمد على آلايه ، وتوالى نعمه وإرغام أعدايه .

وفى وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة ، أمَّعَل الحركة إلى أخواز إشبيلية دار الملك ، ومحل الشوكة الحاذة ، وبها نايبُ سلطان النصارى . فى الجمع الخشِن من أنجاد فرسانهم ، وقد عَظُم التضييق ببلدة قَرْمونة ، المنفردة بالانْتِزاع على مَلِك النصارى ، والانحياز إلى خدمة المسلمين ، فنازل المسلمون مدينة أشونة^(٥) ، ودخلوا جفنها عتوة ، واعتصم أهلها بالقصبة ، فتعاصت ، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروى والمحلات : فكان الانتقال قُدُماً إلى مدينة مُرشانة^(٦) [وقد أحرقوا بها]^(٧) . وبها العُدَّة والعديد من الفرسان الصناديد . ففتحها الله سبحانه ، إلا

(١) البنية وبالإسبانية La Pena هى بلدة صغير تقع على المحيط غربى مدينة الجزيرة الخضراء وشمال مدينة طريف .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فقط فى «ج» ، وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» وفى «الملكية» . وفى «ج» (البيدين) .

(٤) هاتان الكلمتان واردتان فقط فى «ج» .

(٥) أشونة وبالإسبانية Osona بلدة تقع جنوب شرق إشبيلية ، على مقربة من شرق مدينة مورور .

(٦) مرشنة وبالإسبانية Marchena بلدة تقع جنوب شرق ترمونة وإشبيلية وشمال مورور .

(٧) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (وقد أحدث إبتها) . وهو فيها يبدو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

القَصْبَة . واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها . من اندواب والآلات على ما [لا] (١) يأخذه الحَصْر . وقتل الكثير من مُقاتلتها . وعمَّ جميعها العَدَم والإحراق ، ورَفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها، ما ثَقُلَهُ أَظْهُرُ (٢) . راكب البحار ما أوجب في بلاد المسلمين التَّوسُّعة . وانحطاط الأَسعار . وأوجِب الغلاء في أرض السكفار ، وقفل والحمد لله في عزٍّ وظهور . وفرح وسرور .

مولده السعيد النَّشِيَّة (٣) ، الميمون الطلوع والحيية

المقترن بالعافية . منتولا من تهليل نشأته المباركة . وحِرَز طفولته السعيدة ، في نحو ثلث ليلة الإثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة . قُلْتُ : وواقفه من التاريخ الأعجمي [رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين] (٤) لتاريخ الصُّفر . واقتضت صناعة التعديل بحسب قيودا وبطليموس ، أن يكون الطالع بـرج (٥) القمر ، لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة ، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الإثنين المذكورة . والطالع من بُرج الشُّبلة ، خمس عشرة درجة . وثمان وأربعون دقيقة من درجة . كان الله له في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظهور) .

(٣) وردت في «ج» . و «الملكية» (النشبة) ونعتقد أن كلمة (النشبة) ومعناها النشأة

أنسب للتوافق .

(٤) إن هذا التاريخ الميلادي الذي يورده ابن الخطيب (وهو ٤ يناير سنة ١٣٧٧ م مقابل التاريخ الهجري لمولد السلطان النسي بالله وهو (٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٧٣٩) ينطوي على خطأ حسابي بين . والحقيقة أن مقابل التاريخ الهجري المذكور بالميلادي هو ٢١ يناير سنة ١٣٢٨ م .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (بدرج) والأولى أرجح .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس

ابن نصر بن قيس الخرزجي الأنصاري

من ولد سعد بن عبادة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن سليمان ابن حارثة [بن خليفة] (١) بن ثعلبة (٢) بن طريف بن الخرزج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هَمَيْسَع بن يُمَيْن بن نَبْت بن إسماعيل ابن إبراهيم، صلى الله عليه وعلى محمد الكريم. أمير المسلمين بالأندلس ودايلها [وخدمة النُصَريين بها] (٣)، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله.

أوليته

وقد اشتهر عند كثير ممن عني بالأخبار أن هذا البيت النُصَري من ذرية سعد بن عبادة سيد الخرزج، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصنّف الناس في اتصال نسبهم [قيس بن سعد بن عبادة] (٣) غير ما تصنيف. وأقوى ما ذكر، قول الرّازي: دخل الأندلس [من ذرية] (٤) سعد بن عبادة وجلان، نزل أحدهما أرض تاكرونا (٥) [ونزل] (٦) الآخر قرية من قرى (٧) سقرسطونة (٨) تعرف بقرية

(١) وردت هذه الزيادة في «ج» وفي «الملكية»، ولم ترد في «الزيتونة».

(٢) وردت هذه العبارة في «ج» فقط. (وخدم . . الخ) وهي تؤدي معناها بتصحيح الكلمة الأولى. والخدمة هي الحلقة المحكمة.

(٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بسعد بن عبادة).

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة».

(٥) يطلق هذا الاسم أحياناً على منطقة رندة. (٦) الزيادة من «الزيتونة».

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». وفي «ج» (نظر).

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». ووردت في «ج» (سقرسطة). ونحن نعتقد

أنه لا مجال هنا لذكر سقرسطة التي تقع بعيداً في الشمال، وما يلي يدل على أن سقرسطونة - وإن لم نثر مكان هذا الاسم - إنما يقصد بها مكان يقع في منطقة جيان.

الخرزرج، وتشأ بأحواز أرجونة^(١) من كنبانية^(٢) قرطبة، أطيب البلاد مدرة، وأوفرها غلة، وهو بلدة، وبلد جدّه، في ظل نعمة، وعلاج فلاحه، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك، أن يفيض شريان الرياسة، وانطوت أفكاره على نيل الإثارة [ورآه مرتادوا كفاء الدول أهلاً: فقدحوا رغبته، وأثاروا طامعه] ^(٣).

حدث شيخنا الكاتب الشاعر محمد بن محمد بن عبد الله اللوشى اليخضبي، وقد أخبرني [أنه كان يوجد] بمدينة جيان [رجل] من أهل المالئة^(٤)، وكان له فرس أنثى من عتاق الخليل، على عادة أولى المالئة، وكان له من أهل الثغور، من ارتباط الخليل، والتنافس في إعداد القوة، وشهرت هذه الفرس، في تلك الناحية، وبعث الطاغية ملك الروم في ابتياعها، فعلمت بها كفو هذا الرجل، وآثر بها نفسه، وازداد غبطة بها لديه، ورأى في النوم قايلاً يقول له: سر إلى أرجونة، بفرسك، وابحث عن رجل اسمه كذا، وصفته^(٥) كذا، فاعطه إياها^(٦)، فإنه سيملك جياناً وسواها، ينتفع بها عقبك. وأرجى الأمر، فعرض عليه ثانية، وحث في ذلك في الثالثة، فسأل ثمة له خبيراً بتلك الناحية وأهلها، فقال له المخبر، وكان يعرف بابن يعيش، فوصفه له، فتوجه الفقيه إلى أرجونة، ونزل بها، وتسوّمع به،

(١) أرجونة بلدة من بلاد ولاية جيان تقع، في جنوب غرب أندوجر، على مقربة من نهج الوادى الكبير وبالإسبانية Arjona.

(٢) يقصد بكلمة كنبانية هنا، السهل المنبسط من الأرض، وهى مأخوذة من كلمة Campo الإسبانية ومعناها الحقل.

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج».

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المانية) والأولى أنسب للسياق. ويبدو أنه قد شطبت من هذه العبارة بعض كلمات. وربما كان تركيب العبارة كلها كالألق (وقد أخبرني أنه كان يوجد بمدينة جيان رجل من أهل المالئة).

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الملكية» (ونعته) والمؤدى واحد.

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (إياه). فلزم التصويب.

وأقبل السلطان وأظهاره وتكلموا في شأنه . فذكر غرضه فيه ، وأظهر العجز عن الثمن ، وسأل منه تأخير بعضه ، فأسمعه . واشترى منه الفرس ، بمال له خطر . فلما كمل له القصد ، طلب منه الخلوة به في المسجد من الحصن ، وخرج له عن الأمر ، وأعداه بيعته : وصرف عليه الثمن . واستكتمه السلطان خيفة على نفسه وانصرف إلى بلده .

قال : وفي العام بعده ، دعا إلى نفسه بأرجونة ، وتملك مدينة جيان . واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك ، فقيل إن بعض العمال ، أساء معاملته في حق مخزني ، وقيل غير ذلك .

حاله

هذا الرجل كان آية من آيات الله في السداجة والسلامة والخبيرة ، جندياً ، ثغرياً شهماً ، أبداً ، عظيم التجلّد ، رافضاً للدعة والراحة ، مؤثراً للتشف ، والاجترأ باليسير ، متبلفاً بالقليل . بعيداً عن التصنع ، جافٍ السلاح ، شديد العزم ، مرهوب الإقدام ، عظيم التّشهير ، [مُقرئاً لضيغه] ^(١) ، مُصطنعاً لأهل بيته ، فظلاً في طلب حظّه ، مُحميّاً لقرابته وأقرانه وجيرانه . مباشراً للحروب بنفسه ، تنغالي الحكمة في سلاحه ، وزينة دُبوره ^(٢) . ينحصف النعل ، ويلبس الخشن ، ويؤثر البداوة ، ويستشعر الجدّ في أموره . سعد بيوم الجمعة ، وكان فيه تملكه جيان ، ثم حضرة الملك غرناطة ، وقيل يوم قيامه ، شرع فيه الصدقة الجارية على ضعفاء الحضرة ، ومنياهم إلى اليوم . وتملك مدينة إشبيلية في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره ، وهو عام تسعة وعشرين وستاية نحواً من ثلاثين يوماً . وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور ، وكلاهما عاد إلى ملك ابن هود .

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

ولما تم له القصد من تلك البيضة، والحصول على العمال مباشرة للحسابات بنفسه، فتوفر ماله، وغُصَّت بالصامات خزائنه، وعقد السلم الكبير، وتهناً أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم^(١) الأهواء. وملاً^(٢) بطن الجبل المتصل بالقلعة حبوباً مختلفة. وخزائن درة. وملاً وسلاحاً وارية^(٣) ظهراً. وكرعاً. فوجد فائدة استعدادها، ولجأ إلى ما أذخره من عتاده.

سيرته

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالمدوة وإفريقية، يحطّب لهم زماناً يسيراً، وتوصل بسبب ذلك إلى أمدادٍ منهم وإعانة. [ولقب ما]^(٤) افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذياً حذو سميّه ابن هود، للهج العامة في وقته، بتقلد تلك الدعوة، إلى أن نزع عن ذلك كله.

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً، يومين في كل أسبوع، فترفع إليه الظالمات، ويشافيه طالب الحاجات. وتنشده الشعراء. وتدخل إليه الوفود، ويشافيه أبواب النصاب في مجلس اختصّ به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة. وأولى الرتب النبيلة في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصحيحين، ويختم بأعشار من القرآن. ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره^(٥) فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك. ويؤا كل بالعشيات خاصته من القرابة؛ ومن^(٦) يليهم من نُبهاء القواد.

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور، محمداً ولئ عهده؛ وأمير المسلمين على أثره؛ والأميرين

(١) كذا في «ج» و «الزيتونة». ومعناها هنا: سكن.

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وملك) وهو تحريف. وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وراية) والتصويب من «الملكية».

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. ومعناها هنا، وقبل ذلك.

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (أمره) وبالتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (ما). والتصويب أرجح.

أبا سعيد فرج . وأبا الحجاج يوسف : تُوفيا على حياته : حسبما يتقرر بعد
إن شاء الله .

وزراء دولته

وزر له جماعة . الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد^(١) زعيم قاعدة
جيان ، وهو الذي مكّنه من ناصية جيان المذكورة . واستوزر على بن إبراهيم
الشيّبانى من وجوه حضرته ، وذوى النسب من الفضلاء أولى الدّماء والوقار . واستوزر
الرئيس أبا عبد الله بن الرئيس أبي عبد الله الرّميمى . واستوزر الوزير أبا يحيى
ابن الكاتب من أهل حضرته . وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغاً فيهم .

كتّابه

كتب له من الجلة جماعة . كالكتاب المحدث الشهير أبي الحسن على بن محمد
ابن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشى . ولما توفى كتب عنه ولده ، أبو بكر بن محمد .
هؤلاء مشاهير كتّابه ، ومن المرءوسين^(٢) أعلام كتابي بكر بن خطاب وغيره .

قضائه

ولى له قضاء^(٣) الجماعة . القاضى العالم الشير ، أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن
ابن ربيع الأشعرى ، من جلة أهل الأندلس فى كبر البيت . وجلالة المنصب ،
وغزارة العلم . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل
ابن غالب الأنصارى الخرزجى . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(١) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (ابن صنادين) وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (المدرسين) وهو تحريف .

(٣) وردت فى «ج» «قاضى» والتصويب من «الزيتونة» .

ابن عبد السلام التميمي . وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة ، وآخر قضية العدل . ثم ولى بعده الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي . ثم ولى بعده [الفقيه] ^(١) القاضي الحبيب أبو عبد الله بن أضْحَى ، وبنته شهير ، [ولم تطل مدته] ^(٢) . وولى بعده آخر قضائه أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشبيلي الملقب بالأشبرون .

الملوك على عهده

بمراً كش المأمون إدريس ، مأمون الموحدين : مُزاحماً بآبي زكريا يحيى ابن الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن بالجبَل . ولما توفي المأمون ولى الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستمائة ، وولى بعده أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى ، إلى أن قتله إدريس الواثق أبو دَبُوس في عام خمسة وستين . وولى بعده يسيراً بنو عامر بن علي بمرا كش ^(٣) ، وتعاقب منهم على عهده جِلَّة : كالأمير عثمان وابنه نحو ، وأخيه أبي يحيى بن عبد الحق . واستمر الملك في أسنّ أملاكهم ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن تحيُّو إلى آخر أيامه .

وبتلمسان ، شبيهه يَغْمُرَاسن بن زيّان أول ملوكهم . وتقدمه أخوه أكبر منه برهة . ويَغْمُرَاسن [أول من] ^(٤) أثل الملك ، وحاز الذّكر ، واستحق الشهرة .

وبتنونس ، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص . وخاطبه السلطان المترجم به ، والتمس رِفْدَه ، وقد حصل على إعانته ، وولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله ، ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (مراكش) .

(٤) هذه العبارة ساقطة في «ج» وفي «الزيتونة» . وبإثباتها يستقيم السياق .

وبقشتالة هِرَانْدَة^(١) بن أَلْمَشَة بن شَانْجُه الإِنْبَرَطُور . وهِرَانْدَة هذا هو الذى ملك قرطبة وإشبيلية ، ولما هلك ولى بعده أَلْفُنْش^(٢) ولده ثلاثاً وثلاثين سنة ، واستمر ملكه مدة ولايته . وصَدْرًا من دولة ولده بعده .
وَبَرْعُون جَائِش ابن بَطْرُه ابن أَلْفُونْش قُط بَرَجْلُونه . وجَائِش هذا هو الذى ملك بَلَنْسِيَة^(٣) ، وصَيَّرَهَا دار ملكه^(٤) من يد أبى جميل زِيَان ابن مَرْدَنِيْش .

لمع من أخباره

قام ابن أبى خالد بدعوته بغرناطة ، كما ذكر فى اسمه ، ودَعَاه وهو بِجِيَان . فبادر إليها فى أخريات رمضان من عام خمس وثلاثين وستائة ، بعد أن بعث إليه المَلَأ من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مُشِيخَتِهِمْ . أبى بكر الكاتب ، وأبى جعفر التَّيْزُولى .

قال ابن عَدَّار فى تاريخه ، أَقْبَلَ ومازِيَه بفاخر ، ونزل عَشَى اليوم الذى وصل بخارج غَرْنَاطَة . على أن يدخلها من الغد ، ثم بداله فدخلها عند غروب الشمس ، نظراً للحزم .

(١) المقصود هِرَانْدَة هنا ، هو فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون (١٢١٧ - ١٢٥٢ م) ، وهو الذى استولى على قرطبة فى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وإشبيلية سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) ، واستولى كذلك على جِيَان وغيرها من القواعد الأندلسية . وهو يعتبر من أعظم ملوك إسبانيا النصرانية . وقد أَسِفَتْ عليه صفة القداسة ، ولقب بفرناندو المقدس (سان فرناندو) .

(٢) هو أَلْفُونْسُو العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم El Sabio . حكم قشتالة عقب وفاة أبيه فرناندو فى سنة ١٢٥٢ ، واستمر فى حكمها حتى سنة ١٢٨٢ م ، ثم ثار عليه ولده سانشو وانتزع منه العرش ، وتوفى مخلوعاً مَنبُوداً فى سنة ١٢٨٤ م .

(٣) جَائِش المشار إليه هنا ، هو خايمى الأول ابن بيدرو الثانى ملك أراجون . تولى الملك بعد وفاة أبيه حدثاً فى سنة ١٢١٣ م . وهو الذى افتتح الجزائر الشرقية من أيدي المسلمين (١٢٣٢ م) . ثم افتتح ثغر بلنسية فى سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) ومرسية سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) . وتوفى بعد حكم طويل سنة ١٢٧٦ م . ويلقب بخايمى الفاتح .

(٤) هكذا فى «ج» . وفى «الملكية» (سلطانه) . والمعنى واحد .

وحدث أبو محمد البسطلي قال . عاينته يوم دخوله وعليه شاشية^(١) ملف^٢ مضلعة أكتافها مُحَرَّقة ، وعند ما نزل بباب جامع القصبة ، كان مؤذن المغرب في الحيلة ، وإمامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب . فدفع الشيخ السلطان إلى الحراب ، وصلى بهم ، على هيئته تلك ، بفاتحة الكتاب . « وإذا جاء نصر الله والفتح » . والثانية يَقُلُّ هو الله أحد . ثم وصل قصر باديس . والشمع بين يديه .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستماية ، صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم ، الذي طاحت^(٣) في شروطه جِيَّان . [وكان]^(٤) واقع بالعدو الزاتب تجاه حَضْرته ، المخصن بمحسن بليش^(٥) على بريد من الحضرة . وكان الفتح عظيما . ثم حالفه الصنع بما يضيّق المجال عن استيعابه . وفي حدود اثنين وستين وستماية [صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم]^(٦) . وعقد البيعة لولى عهده ، واستدعى القبائل للجهاد .

مولده

في عام خمسة وتسعين وخسمائة بأرجونة ، عام الأرك^(٦) .

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (شاية) فلزم التصويب .
 (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (طاق) . والتصويب أنسب لاستقامة السياق .
 (٣) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا في « ج » . وفي « الزيتونة » بليش .
 (٥) وردت هذه العبارة في « الملكية » فقط .
 (٦) وردت (الأركة) في « ج » و « الملكية » . وهو تحريف ظاهر . وقد وهم ابن الخطيب في ذكر تاريخ موقعة الأرك ، إذ ذكر أنه سنة ٥٩٥ هـ . والحقيقة أن معركة الأرك وقعت في سنة ٥٩١ هـ (١٩٥ م) بين الجيوش الموحدة بقيادة الخليفة يعقوب المنصور ، والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن ، وأحرز فيها الموحدون نصرهم الباهر . والأرك بالإسبانية Alarcos . وهي تقع على مقربة من مدينة (ثيوداد ريال) . وسرى فيما بعد أن هذا التاريخ سوف يصحح وذلك بتصحيح تاريخ مولد ابن الأحمر وهو سنة ٥٩١ هـ .

وفاته

في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستمائة ، وَرَدَ عليه وقد سنّ جملة من كُتّاب^(١) الرُّعايم ، يقودون جيشاً من أتباعهم ، فبرز إلى لقاءهم بظاهر حَفَرَتِه ، ولما كَرَّ آيَباً إلى قصره . سقط ببعض طريقه ، وخامره خَصَرٌ ، [وهو]^(٢) راكب ، وأردفه بعض مماليكه ، واسمه صابر الكبير ، وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الثانية المذكورة ، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة^(٣) ، وعلى قبره اليوم منقوش :

« هذا قبر السلطان الأعلى ، عزّ الإسلام . جمال الأنام ، فخر الليالى والأيام ، غياث الأمة ، غيث الرحمة ، قطب الملة . نور الشريعة . حامى السنة ، سيف الحق ، كافل الخلق ، أسد الهيجاء ، حمام الأعداء . قوام الأمور ، ضابط الثغور ، مكسر الجيوش ، قاطع الطغاة ، قاهر الكفرة والبغاة ، أمير المؤمنين^(٤) ، علم المهتدين ، قدوة المتقين ، عصمة الدين ، شرف الملوك والسلطين ، الغالب بالله ، المجاهد فى سبيل الله ، أمير المسلمين ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأَنْصارى ، رفعه الله إلى أعلى عِلِّيِّين ، وألحقه بالذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين ، والشهداء والصالحين . ولد رضى الله عنه ، وأتاه رحمة من لدنه . عام أحد وتسعين وخسمائة^(٥) ، وبويع له يوم الجمعة السادس والعشرين [من رمضان

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) أثبتناها ليستقيم السياق .

(٣) هو السهل المنبسط الذى تشرف عليه الحمراء من الناحية الشرقية .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (المسلمين) ، وهو لقب

يقصد به هنا التكريم فقط . ويلاحظ كذلك أنه يرد لقب (أمير المسلمين) فيما بعد .

(٥) هذا هو التاريخ الحقيق لمولد محمد بن الأحمر ، وليس ما ذكره ابن الخطيب من قبل

وهو سنة ٥٩٥ هـ . وهذا التاريخ الصحيح لمولد ابن الأحمر ، يوافق تاريخ موقعة الأرك .

عام خمسة وثلاثين^(١) وستاية ، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة عام أحد وسبعين وستاية ، فسبحان من لا يفنى سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، ولا ينقضى زمانه ، لا آله الا هو الرحمن الرحيم .

ومن جهة أخرى :

قبر الإمام الهمام الطاهر العلم	هذا محل العلى والمجد والكرم
ومن شيم علوية الشيم	لله ما ضم هذا اللحد من شرف
لا بأس عنتره ولا ندى هرم	بالجود والبأس ما تحوى صفابحه
نحر الملوك الكريم الذات والشيم	مغنى الكرامة والرضوان يمهده
كالغيث فى مجد وكالليث فى أجم	مقامه فى كلا يومى ندى ووغى
تقر بالحق فيها جملة الأمم	مآثر تليت آثارها سوراً
تضيق عنه بلاد العرب والمعم	كأنه لم يسر فى محفل لجب
يفتر منها الهدى عن نقر مبتسم	ولم يباد ^(٢) العدا منه ببادرة
لا تشرب الماء إلا من قليب دم	ولم يجهز لهم خيلاً ^(٣) مضرة
تأوى وعينه منه إلى حرّم	ولم يقم حكم عدل فى سياسته
وما حواه لدين لله من حرّم	من كان يجهل ما أولاه ^(٤) من نعم
أبدى وأوضح من نار على علم	فتلك آثاره فى كل مكرمة
سحائب الرحمة الواكفة ^(٥) الديم	لا زال تهمى على قبر تضمّنه

(١) أضفنا هذه العبارة من عندنا ليستقيم السياق .

(٢) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (يقاد) والتصويب أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت فى «ج» وفى «الزيتونة» (جيشا) . والتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت فى «ج» (لوا له) . وهو تحريف .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» الواكفة ، وهو لا يستقيم مع الوزن

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن
أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، المنصور بن أبي عامر

مُعْظَم الظَّفَر ، وَخِذَن السَّعْد ، وَبَلَقَ عُصْبِي الْجَد . وَجَوْهُ دِيَّاح ^(١) الشَّهْرَةِ ،
وَدِيَّانُ فَنُونِ السِّيَاسَةِ ، وَحِجَابُ الدَّوْلَةِ الْعَبْشِيَّةِ ^(٢) ، فِي الدُّخُومِ الْمَغْرِبِيَّةِ ،
الْمَرْيُ ^(٣) بِالظَّرْفِ وَكِلَالِ السَّجِيَّةِ ، وَالْجِهَادِ الْعَظِيمِ ، الْعَرِيقُ ^(٤) فِي بَحْبُوحَةِ بِلَادِ
الْكَفَارِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أُولَيْتُهُ

دَخَلَ جَدُّهُ عَبْدَ الْمَلِكِ الْأَنْدَلُسِيِّ مَعَ طَارِقِ [مَوْلَى] ^(٥) مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ
فِي أَوَّلِ الدَّخَالِينِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ لَهُ فِي فَتْحِهَا أَثَرٌ جَمِيلٌ . وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ
مَادِحُهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ :

وَكُلُّ عَدُوٍّ أَنْتَ تَهْزِمُ ^(٦) عَرْشَهُ وَكُلُّ فُتُوحٍ عَنْكَ يَفْتَحُ بَابَهَا
بِرَأْيِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ حَلَا فَتَحُ قَرْطَبَةَ وَاتِّهَابَهَا
وَنَزَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْجَرِيرَةَ الْخَضْرَاءَ لِأَوَّلِ الْفَتْحِ ، فَسَادَ أَهْلُهَا ، وَكَثُرَ عَقَبُهُ
بِهَا ، وَتَسَكَّرَتْ فِيهِمُ النَّبَاهَةُ ، وَجَاوَرُوا الْخُلَفَاءَ بِقَرْطَبَةَ . وَكَانَ وَالِدُ مُحَمَّدٍ هَذَا ،

(١) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (رناج) وهو تحريف .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأمية) . والعشمية من أوصاف الدولة
الأموية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمزى أى الفائق للامع .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (العريقة) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (تهدم) . والتصويب من «الزيتونة» .

من أهل الدين والعفاف والزهد في [الدنيا] ^(١) والقعود عن السلطان . سمع الحديث . وأدى الفريضة . ومات منصرفاً عن الحج بإطرابلس .

حاله

كان هذا الرجل بـكَرَ الدهر . وفايدة الأيام . وبيضة العمر ، وفرد الخلق في اضطراد السعد ، وتَمَلَّد العاجل من الخط . حازماً ، داهية ، مشتملاً على أنظار السؤدد ، هويّاً ^(٢) إلى الأقاصى ، وطموحاً ، سوساً حَمِيّاً . مُضْغَعاً للرجال ، جالباً للأشراف ، مستمِلاً ^(٣) للقلوب . مُطَبِّقاً للفاصل ، مُرِيحاً للعِلال . مستبصراً في الاستبداد ، خاطباً جميل الذكر ، عظيم الصبر ، رحيب الذراع ، طموح الطرف ، جشع السيف ، مُهَادِي جِيَادِ العُتَابِ والمَثُوبَةِ ، مَهِيباً . جَزْلاً ، مُنْكَسِفَ اللون ، مُضْغِرَ السَّكْفِ ، آيَةُ اللَّهِ جَلَّ جلاله في النعمر على الأعداء ومصاحبة الظفر ^(٤) : وتوالى الصنع .

نباهته

قال المؤرخ ، سلك سبيل القضاء في أوليته ، مقتنياً آثار عمومته وخؤولته ، يظلم الحديث في حديثه ، وكتب منه كثيراً : ولقي الجلة من رجاله ، ثم صحب الخليفة الحكم مُتَحَرِّباً ^(٥) في زمرته : وولى له الأعمال من القضاء والإمامة . ثم استكفاه ، فعدل عن سبيله ، وصار في أهل الخدمة . ثم اختصه بخدمة أم ولده هشام ، فزاد بمخاصته لولى العهد ، عزاً ومكانةً . من الدولة . فاحتاج الناس إليه . وغشوا بابه ، وبلغ

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (حديثاً) والأولى أنسب للسياق .

(٣) وردت في «ج» (مستليماً) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» الصفر . وفي «الزيتونة» السفر . والتصويب من «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» متخرجاً . وهو تحريف .

الغاية من أصحاب السلطان معه^(١)، إسماعف، وكرم لقاء، ومقبولة حجاب، وحسن أخلاق. فاستطاع ذكره، وعمر بابه، وساعده الجدد. ولما صار أمر المسلمين إليه، فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة.

الثناء عليه

قال، وفي الدولة العامرية، وأعين محمد على أمره، مع قوة سعده، بخصال مؤلفة^(٢) لم تجتمع لمن قبله، منها الجود، والوقار، والجِدُّ والهيبة، والعدل والأمن، وحب العارة، وتتمير المال، والضبط للرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغب. من [غير]^(٣) وهن في دينه، وصحة الباطن، وشرح كل فضل، وجلب كل ما يوجب عن المنصور فيه.

غزواته وظهوره على أعدائه

واصل رحمه الله الغزو بنفسه، فيما يناهز خمسين غزوة، وفتح فيها البلاد، وخضد شوكة الكفر، وأذل الطواغيت [وفضاً مصاف الكفار]^(٤)، وبلغ الأعماق، وضرب على العدو الضرايب، إلى أن تلقاه عظيم الروم بنفسه [وأتحفه بآبنته]^(٥) في سبيل الرغبة في صهره، فكانت أحظى عقابه، وأبرت في الدين والفضل على سائر أزواجه، وعقد اثني عشر بروراً إلى تلقى ملوك الروم القادمين عليه [مُصْطَهَرِينَ بِالسَّاحِجِ سَيْفِهِ]^(٦) منكبين على لثم سريره.

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٢) هكذا في «ج» وفي «الملكية».

(٣) أنفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق.

(٤) هذه العبارة واردة فقط في «ج». وساقطة في المخطوطتين الآخرين.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأتحفه بها) وهو تعبير غامض. وبالتصويب يتضح المعنى ويستقيم السياق.

والإشارة هنا إلى زوجة المنصور النافارية أيت سانشو غرسية ملك نافار. وقد أعدها للمنصور زوجة له، فاعتنقت الإسلام، وسميت (عبيدة)، وأنجب منها المنصور ولده عبد الرحمن الملقب بشنجلول أي سانشو الصغير نسبة لجدّه ملك نافار. وكانت عبيدة أحظى نساء المنصور وأحبهم لديه.

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في المخطوطتين الآخرين.

شعره

ومما يؤثر من شعره :

دميتُ بنفسى هَوَلٍ كل عزيمة وخاطرتُ والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي إلا جنانُ مُشَيِّعٍ وأستمرُ خطي وأبيضُ باتر
ومن شيمتي أني على طالب أجود بما لا تقيمه المعاذر
وإني لرجاء الجيوش إلى الوغى أسردُ تلاقيها أسودُ خوادر
فسدتُ بنفسى أهل كل سيادة وكأنتُ حتى لم أجدم أكلتر^(١)
وما شدتُ بنيانا ولكن زيادةً على ما بنى عبد الملوك وعامر
رفعنا العلى بالعوالى سيادةً^(٢) وأورثناها في القديم مُعافِر

وبلغ في ملكه أقطار المغرب ، إلى حدود القبلة^(٣) ، وبمدينة فارس ، إثر ولده المقلد فتح تلك الأقطار ، ونَهَد أوليك الملوك الكبار .

دخوله غرناطة

قال صاحب الديوان في الدولة العامرية ، وقد مر ذكر المنصور ، قُومس الفِرْنِجَة بمدينة برشلونة : وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعا ، وأوسمها ، وأوفرها من الاستعداد . وما أوطى من الممالك والبلاد ، وفتح من القواعد ، وهُزِم من الجيوش . وقتل المنصور عنها ، وهو أطمع الناس في استيصالها ، ثم خَصَمهم بصايفة سنة خمس وسبعين ، وهي الثالثة عشر لغزواته ؛ وقد احتفل لذلك ،

(١) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر : (وتناخرت حتى لم أجدم من أفاخر) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر : (رفعنا العوالى بالعوالى مثلها) .

(٣) بلاد القبلة تقع في جنوب المغرب على مشارف الصحراء الكبرى شمال شرق موريتانيا ، وتسكنها قبائل صنهاجة الكبرى .

واستبلغ في النفي. واستوفى أتم الأبهة . وأكل العُدَّة . فجعل طريقه على شرف الأندلس . لاستكمال ما هنالك من الأطعمة . فسلك طريق البيرة . إلى بسطة . إلى تدمير ؛ وهزم في هذه الغزوات بُريل ملك فَرَنْجِيَّة^(١) . ونازل مدينة برجلونة ؛ فدخلها عَنَوَة يوم الإثنين النصف من صفر . سنة أربع وسبعين أو خمس بعدها .

قلت وفي دخول المنصور بجيشه بلد البيرة ؛ ما يحقّ دعوى من ادّعى دخول المعتمدين من^(٢) أهل الأندلس^(٣) لذلك العهد ؛ إذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة ، من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر ؛ فضلا عن ساير الأصناف على ندارة هذا الصنف من الخدام ؛ بالنسبة للبحر الزاخر من غيرهم .

والذي صح أنه حضر ذلك ، أبو عبد الله محمد بن حسين الطيّبي^(٤) . أبو القاسم حسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف . أبو الوضّاح بن شهيد . عبد الرحمن بن أحمد . أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي^(٥) . أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن البيني . عمر بن المنجم البغدادي . أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي . عبدالعزيز بن الخطيب المحرود . أبو عمر يوسف بن هارون الزيادي . موسى بن أبي طالب . مروان [بن عبد الحكم]^(٦) بن عبد الرحمن . يحيى بن هذيل بن

(١) هو الكونت بوريل أمير إمارة قطلونية وقت أن غزاها المنصور . ولم تكن قطلونية قد تحولت بعد إلى ملكة أراجون .

(٢) وردت مكانها في المخطوطات الثلاثة كلمة (هل) . ونعتقد أنه بهذا التصويب يستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة كلمة (أيالك) ، وهي كلمة لا شغل لها هنا .

(٤) وردت محرفة في المخطوطات (الطيبي) . والصواب ما أثبتناه . وكان الطيّبي من أثر شعراء المنصور لديه . والطيبي نسبة إلى طنة من أرض الزاب بالمغرب .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة ، وإذا كانت الكلمة من أدلّاب فهي خطأ وصحتها (البغدادي) . وإن كانت وصفاً فهي صحيحة لأن أبا العلا صاعد بن الحسن البغدادي ، كان شاعراً ولغوياً في نفس الوقت .

(٦) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

عبد الملك بن هذيل المكفوف . سعد بن محمد القاضي . ابن عمرو القرشي المرواني .
 علي النقاش البغدادي . أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب . محمد بن إسماعيل الزبيدي
 صاحب المختصر في اللغة . أحمد بن درّاح القسطلي مُتَنَبِّي الأندلس . أبو الفرج
 مُنِيل بن مُنِيل الأشجعي . محمد بن عبد البصير . الوزير أحمد بن عبد الملك بن
 شهيد . محمد بن عبد الملك بن جَهْوَر^(١) . محمد بن الحسن القرشي من أهل
 المشرق . أبو عبيدة حسان بن مالك بن هاني . طاهر بن محمد المعروف بالمُهَنْد .
 محمد بن مُتَرَف بن شَخِيس سعيد بن عبد الله الشنتريني . وليد بن مَسْلَمَة المرادي .
 أغلب بن سعيد . أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب . أحمد بن أبي غالب الرضافي .
 محمد بن مسعود البلخي ، عبادة بن محمد بن ماء السماء . عبد الرحمن بن أبي الفيد
 الإبيري . أبو الحسن بن المضيء البجلي الكاتب . عبد الملك بن سهل .
 الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري . قاسم بن محمد الجبائي .
 قال المازوخ ، هؤلاء [مَنْ]^(٢) حفظته منهم . وهم أكثر من أن يحصوا ،
 فعلى هذا يتبنى القياس في ضخامة هذا الملك ، وانفاسح هذا العز .

وفاته

توفي رحمه الله منصرفاً من غزاته المسماة بقنالش والرّيد ، وقد دوّخ أقدار
 قشتالة ، ليلة الإثنين سبع وعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلاثمائة ، وقد
 عهد أن يُدفن^(٣) ببلد وفاته ، بعد وصية شهيرة صدوت عنه ، إلى المُظَفَّر ولده ،
 فدفن بمدينة سالم ، التي بناها في نحر العدو من وادي الحجارة ، وبقصرها . وقبره

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (هجور) وهو تحريف . وآل جهور من بيوت الوزارة
 المشاهير .

(٢) وضمنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت مكانها في المخطوطات كلمة (يعرف) . وحكمة التصويب ظاهرة .

معروف إلى اليوم . وكان قد اتخذ له من غُبار ثيابه الذي علاها في الجهاد . وعاء
كبيراً بجذبه رحمه الله . وكتب على قبره هذا الشعر :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحى الثغور سواه

محمد بن عباد بن [محمد بن] ^(١) إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] ^(١) بن قريش
ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم ، لخمى النسب

أوليته

دخل الأندلس جده عطف مع بلج بن بشر القشيري . من أشراف الطالعة
البلاجية ، وهم من عرب مُحَص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعريش
في آخر الجفار بين مَصر والشام . ونزل عطف بقرية تعرف بيومين من إقليم
طُشانة ^(٢) على ضفة النهر الأعظم ^(٣) من أرض إشبيلية . ولما هلك قريش ، ووث ^(٤)
السيادة إسماعيل بن قريش ، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ^(٥) ، يكنى
أبا الوليد . وولى الشرطة الوسطى هشام بن الحكم ، وخُذَّ الإمامة إلى صلاة
الجمعة . ثم خلفه أبو القاسم المنفرد برياسة إشبيلية ، المتخف فيها بخط الوزارتين
والقضاء والمظالم . وعز جاهد ، وكثرت حاشيته ، وتمددت ^(٦) غلمانه ، وأذعن

(١) نقلنا هذه الزيادة في النسبة من «أخنة السيراء» لابن الأبار (القاهرة ١٩٦٥) ج ٢ ص ٣٤

(٢) إقليم ، أو بلدة طُشانة ، وبالإسبانية Tucina ، تقع شمال شرق إشبيلية ، وشمال غربي

قرمونة ، على مقربة من جنوب نهر الوادي الكبير .

(٣) النهر الأعظم هو نهر الوادي الكبير .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، ملك ، والمزدى واحد .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» كلمة (والده) . ونعتقد أنها تحريف لكلمة (الدهاء) .

(٦) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (وتقدمت) . والاول أرجح .

له عُداته . ثم خلفه الأمير المعتضد ولده ، وكان خيراً حازماً ، مديد الرأى ، مَصْنُوعاً له فى الأعداء ، فلما توفى ، تصير الأمر إلى ولده المترجم به ، المكنى أبا القاسم إلى حين خلعاه .

حاله

قالوا كلهم ، كان المعتمد ، رحمه الله ، فارساً شجاعاً . بطلاً مقداماً : شاعراً ماضياً ، مشكور السيرة فى رعيته . وقال أبو نصر فى قلائده^(١) « وكان المعتمد على الله ملكاً قمع العدا ، وجمع بين البأس والنداء . وطلع على الدنيا بدرّ هدى . لم يتعطل يوماً كفه ، ولا بنانه ، آونة يراعه . وآونة سناناه . وكانت أيامه مواسم ، وثغوره برّة بواسم » . لقبه أولاً الظّافر . ثم تلقب بالمعتمد . كلّفاً بجاريته اعتماداً ، لما ملكها . لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها . لشدة ولوعه بها .

وزرائه

ابن زَيْدُون^(٢) . وابن عَمَّار . وغيرهم .

أولاده المملكون

عبيد الله . يكنى أبا الحسن ، وهو الرّشيد . وهو الذى لم يوافق أباه على استِصْراخ المِرابطين . وعَرَضَ بزوال الملك عنهم ، فقال : أحبُّ إلى أن [أكون راعى]^(٣) إبل بالعدوة من أن ألقى الله . وقد حُوِّلَت الأندلس دار كفر . وكان قد ولاء عهده ، وبويع له بإشبيلية ، وهو المحمول معه إلى العدو . ثم الفتح . وهو الملقب بالأمون ، كان قد بويع له بقرطبة ، وهو المقتول بها . المحمل رأسه إلى

(١) هو كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(٢) وردت فى المخطوطات الثلاثة بعد ابن زيدون كلمة (ابن خلدون) وهو خطأ تاريخى بين

(٣) وردت فى «ح» و «الزيتونة» (يكون لراعى) . وبالنصوب يستقيم السياق .

محلّة العدو الموابطين . المحاصرة لأبيه بإشبيلية . ثم يزيد الراضى . وكان قد ولاه
رُنْدَة ، فقتل لما مَلَكها اللَمْتُونِيُون^(١) . ثم عبد الله . ويكنى أبا بكر . هؤلاء
الأربعة من جاريته اعتماد . السيدة الكبرى . والمدعوة بالرُمَيْكِيَّة منسوبة إلى
مولاهَا رُمَيْك بن حجاج الذى ابتاعها منه المعتمد .

مُلَمَّتُهُ

لما تكالب أذفوناش^(٢) بن فردلان على الأندلس بعد أخذه مدينة طَلَيْطَلَة^(٣)
ضيق بالمعتمد ، وأجحف في الجزية ، التى كان يَتَّقَى بها على المسلمين عاديته ،
وعلى ذلك أقسم^(٤) أخذها وتجنّى عليه ، وطمع في البلاد ، فحكى بعض الإخباريين
أنه وجه إليه رساله فى آخر أمره لقبض تلك الضريبة . مع قوم من رؤساء النصارى ،
ونزلوا خارج باب إشبيلية ، فوجه إليهم المال ، [مع بعض الوزراء ، فدخلوا على
اليهودى المذكور فى خبايه ، وأخرجوا المال]^(٥) ، فقال لهم ، لا أَخَذْتُ منه هذا
العيار ولا أَخَذْتُ منه إلا ذهاباً مشجراً^(٦) ، ولا يؤخذ منه فى هذا العام إلا أجفان البلاد
وتنقل كلامه إلى المعتمد ، فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ، ونكّل بهم ، وقتل
اليهودى بعد أن بذل فى نفسه زنة جسمه ذهباً ، فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ،
وراسله الطاغية فى إطلاقهم ، فأبى إلا أن يُخْلِ منه حصن الحدود ، فكان ذلك .

(١) اللمتونيون هم الموابطون ، نسبة إلى قبيلتهم البربرية المغربية «لمتونة» .

(٢) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (أذفوناش) والتصويب من «الملكية» . وهو ألفونسو
السادس ملك قشتالة .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (قرطبة) وهو سهو تاريخى . والصواب ما أثبتناه . وقد
استولى ألفونسو السادس على طليطلة من ملكها القادر بن ذى النون فى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٨٥ م) .
وكانت أول قاعدة أندلسية كبرى تسقط فى أيدي النصارى .

(٤) وردت فى «ج» . وفى «الملكية» (قسم) . ولم ترد فى «الزيتونة» .

(٥) ما بين الخاصرتين ساقط فى «الملكية» .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وربما كانت (مشهراً) .

واستصرخ اللّٰهُمَّ نِيَّينَ، وأجاز البحر بنفسه . وأقسم الطاغية بإيمانه المغلطة ألا يرفع عنه يده . وهاجت حفيظة المعتمد ، واجتهد في جواز المرباطين ، وكان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية [في] وقعة الزلاّقة^(١) فإنه الذي أصلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه ، وشهرُ صبره ، وأصابته الجراح في وجهه ويده ، رحمه الله . وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرّي :

وقالوا كفه جُرحت ققلنا أعاديه ثواقمها الجراح
وما لمرتد^(٢) الجراحة ما رأيتم فتوهّنها المناصل والرّماح
ولكن فاض سيلُ البأس منها ففيها من [مجاربه أنيساح] ^(٣)
[وقد صحّت - وسحّت بالأمانى وفاض الجود منها والسماح
رأى منه أبويعتوب فيها عقاباً لا يُهاض له جناح
فقال له لك القِـدْحُ المَعْلَى إذا ضربت بمشهدك القِداح] ^(٤)

ولما اتصلت به الصّيحة : بين يدي دخول المدينة تركب في أفراد من عبيده ؛ وعليه قيض يَشِفُّ عن ^(٥) بدنه : والسيف مُنتَضِي بيده . ويمعم باب الفرج ^(٦) ، قدّم الداخلين ، فردهم على أعقابهم : وقتل فارساً منهم : فازرعجوا أمامه : وخلفوا الباب : فأمر بإغلاقه : وسكنت الحال : وعاد إلى قصره . وفي ذلك يقول :

(١) وقعة الزلاّقة هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش المرابطة والأندلسية المتحدة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي عاهل المغرب والمعتمد بن عباد ، والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة . وانتهت بنصر المسلمين الباهر ، وسحق الجيوش النصرانية وذلك في يوم ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) . ويقع مكان الموقعة وهو سهل الزلاّقة على مقربة من شمال شرق مدينة بطليوس .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . ووردت في «القلائد» (وما أثر) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (مجاربه انتياح) . والتصويب من «القلائد» .

(٤) نقلنا هذه الأبيات الثلاثة من «القلائد» تكلمة للقصيد (ص ١٣) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (عل) . والتصويب أرجح .

(٦) هو أحد أبواب إشبيلية الإسلامية ، وقد كان يقع جنوب المدينة على مقربة من القصر

[إن يسلب القوم العدا مُلْكِي وتُسلمني الجموع
 فالقلبُ بين ضلوعه لم تُسلم القلبَ الضلوع] (١)
 قد رُمْتُ يوم نزالهم ألا تحصّني السروع
 وبرزتُ ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفوع
 أجلى تأخر لم يكن بهواي ذلّي والخضوع
 ماسرتُ قط إلى القتل وكان من أملى الرجوع
 شيمُ الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع (٢)

جوده

وأخبار جوده شهيرة، ومما يُؤثر من ذلك، على استصحاب حال العزّ .
 ووفور (٢) ذات اليد، وأدوات (٤) الملك، غريب . والشاهد المقبول بقاء السجّية
 وصاحبة الخلق الماسكية، مع الإقنار والإيسار، وتقلب الأطوار. وتعرض له الحمصى
 القرمونى (٥) الضريب بخارج طنجة، وهو يجتاز عليها فى السواحل من قهر واعتقال،
 بأشعار ظاهرة المقت، غير لايقة بالوقت، ولم يكن بيده زعموا، غير ثلاثين ديناراً
 كانت بخفّه، معدّة لضرورة ضرر وأزمة، وأطبع عليها دمه، وأدرج قطعة شعر
 طيها اعتذار عن نزلها، راغباً فى قبول أمرها، فلم يراجعه الحمصى بشيء عن
 ذلك، فكتب إليه :

(١) نقلنا هذين البيتين، وهما فاتحة القصيدة من الحلة السيرة (ج ٢ ص ٦٥).
 (٢) هذا الشعر فى المخطوطات الثلاثة ملء بالتحريف والتصحيح. وقد اكتفينا بنقل النص
 السليم عن الحلة السيرة.
 (٣) هكذا وردت فى «ج». ووردت فى «الزيتونة» و «الملكية» (ووفود).
 (٤) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (وأداة). وفى الملكية (وأداة).
 (٥) هكذا وردت فى «ج». وفى «الملكية». ووردت محرفة فى «الزيتونة» (القيرموانى)
 والقرمونى نسبة إلى مدينة قرمونة الواقعة شمال شرق إشبيلية.

قل لمن جمع العلم وما أحق صوابه
كان في الشجرة تسعراً فانتظرنا جوابه
قد أتيناك فملاً جَلَبَ الشَّعر جوابه

حلّه

رُفِعَ إليه صَدْرُ دولته شعر ، أُغْرِى فيه ، بأبي الوليد بن زيدون ، وهو شهير ،
وتُخَيَّرَ ^(١) له موقع وترصد حين ، وانتظر به مُؤَجَّرَه ، وهو :

يا أيها الملك [الأعزّ] ^(٢) الأعظم أقطع وريدَي كل باغ يُسَلِّمُ ^(٣)
واحسم بسيفك ^(٤) كل منافق يُبدى الجميل وضد ذلك يَكْتُمُ
لا تتركَنَّ للناس موضع شُبْهة وأحزم فثلك [في العظام] ^(٥) يحزم
قد قال شاعر كِنْدَة فيما مضى قولاً على مرّ الليالي يُعَلِّمُ
لا يسلم الشرف الرفيع ^(٦) من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ ^(٧)
فوقَّع على الرقعة :

كذبت منّاكم صرّحوا أو جمّعوا الدّينُ أمتن والسجّية أكرم
خُذْتم ورُمتم أن أخون وإنما حاولتم أن يستخف بللم
وأردتم تضيق صدرٍ لم يَضِيق والسمر في صدر ^(٨) النّجور تُحْطَمُ

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الزيتونة . ووردت مكانها في «القلاند» (العل) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (يلثم) ، وفي «القلاند» (ينثم) .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (بنفسك) . والتصويب من «القلاند» .

(٥) هذا ما ورد في «الزيتونة» وفي «القلاند» : وهو ساقط في «ج» .

(٦) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (الشریف) . وهو ما يخالف النص المعروف المتداول .

(٧) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات الخمسة فقط من القصيدة : وهي تقع في سبعة وعشرين

بيتاً ، وقد نشرت كاملة في «القلاند» (ص ١٤ و ١٥) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها في «القلاند» (نثر) .

وزحمتكم بمحالككم لمَجْرُبٍ ما زال يَثْبُتُ الْمُحَالُ فِيهِمْ زُمْ
أَتَى رَجُوتُمْ غَدْرُ مَنْ جَرَّيْتُمْ منه الوفاء وظُلٌّ مَنْ لَا يَظْلُمُ
أَنَا ذَاكُمْ لَا السَّمَى ^(١) يَشْمَرُ غَرْسُهُ عِنْدِي وَلَا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُهْدَمُ
كُفُّوا وَإِلَّا فَارْقُبُوا إِلَى بَطْشَةِ يَبْقَى ^(٢) السَّفِيهِ بِمَنَاهَا يَتَحَكَّمُ

توقيعه ونثره في البديهة

كتب مع الحاميم إلى ولده الرشيد عَقِبَ الفراغ من وقعة ^(٣) الزَّلَاقَةِ ^(٤) .

يا بني، ومن أبقاه الله وسلمه، ووقاه الأسواء وعَصَمَه. وأسبغ عليه آلاءه وأنعمه
كتبته، وقد أعزَّ الله الدين، وأظهر المسلمين، وفتح لهم على يدي مستدعيات الفتح
المبين، بما يسره الله في أمسه وسناه، وقدره سبحانه وقضاه: من هزيمة أذفونش
ابن فردلند لعنه الله وأصلاده، وإن كان طاح للجحيم، ولا أعدمه وإن كان أهل
العيش الذميمة، كما قنعه الخزي العظيم. وأتى القتل على أكثر رجاله وحاماته،
واتصل النهب ساير اليوم، والليلة المتصلة به، جميع محلاته، وجمع من رؤوسهم
بين يدي، من مشهورى رجالهم، ومذكورى أبطالهم، ولم يختار منهم إلا من شهر
وقرب، وامتلات الأيدي مما سلب ونهب. والذي لامرية فيه، أن الناجي منهم
قليل، والمفلت من سيوف الجزع والبعد قليل ^(٥)، ولم يُصْنَبِ بفضل الله إلا جرح
أشوى، وحسن الحال عندنا والله وزكى، ولا يشغل بذلك بال، ولا يتوهم غير
الحال التي أشرت إليها حال، والأدفونش بن فردلاند، إن لم يصبح تحت السيوف

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. ووردت مكانها في «القلائد» (الغبى).

(٢) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «القلائد» (يلقى). ونعتقد أن التصويب أرجح

وأنسب للسياق.

(٣) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (غزوة).

(٤) سبق أن قدمنا تعريفاً موجزاً بموقعة الزلاقة (أنظر الهامش في ص ١١١).

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة». ووردت في «الملكية» (قليل).

فسيوت لاحالة كدأ ، وإن كان لم تعلقه أسرار الحمام [فغداً ، فإن برأسه طمرة
ولحام]^(١) . فإذا ورد كتابي هذا ، فمُر بجمع الخالص والعام ، من أهل إشبيلية ،
وجيرانها الأقربين ، وأصفينائنا المحبين ، في المسجد الجامع . أعزهم الله . وليقرأ
عليهم فيه ، ليأخذوا من المسرة بأنصبايهم ، ويضيفوا شكراً لله إلى صالح دُعائهم
[والحمد لله على ما صنع حقّ حمده ، جلّ المزيّد لأمر حين ، إلّا من عنده . والسلام]^(٢) .

تلطفه وظرفه

قال أبو بكر الداني^(٣) : سألني في بعض الأيام عند قدومي عليه بأنعمات ،
فاضياً حق نعمته ، مُستكثراً^(٤) من زيارته ، مُستمتعاً^(٥) براقي أدبه ، على حال
محنه ، عن كُتبي ، فأعلمته بذهابها في نهب حضرته . وكنت قد جلبتُ في سفرتي
تلك ، الأشعار الستة ، بشرح الأستاذ أبي الحجاج الشنتمري الأعلم ، وكانت
مستعارة ، فكتمتها عنه . ووُثِي إليه أحد الأصحاب . فنجّل بكرمه وحُسن شيمته ،
من الأخذ معي في ذكر ما كتّمته ، فاستعزّذ إلى ذلك بغرض نبيل ، ونحافه
نحواً ، يعرّب عن الشرف الأصيل ، وأملّي على . في جملة ما كان يُعلمه :

وكواكب لم أذر قبل وجوها أن البـدور تدور في الأزوار
نادمُها في جَنح ليل دامس فأعرّنه مثلاً من الأنوار

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (فغد برأس طمرة ولحام) .
وكلتاها يشوبها الغموض .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فقط في «ج» ، في هامش الصفحة . وساقط في المخطوطين الآخرين .
(٣) هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ، من شعراء عصر الطوائف ،
اتصل ببلاط إشبيلية وغدا شاعر المعتد الأثير لديه ، وقد نظم الكثير في مديحه . ولما ذهبته
المعتد ، وثق أسيراً إلى المغرب ، زاره أبو بكر في أنعمات . وله في دولة المعتد وأيامه ، وفي
محنه وأسره قصائد كثيرة . وله في تاريخ الدولة العبادية كتاب عنوانه «نظم السلوك في مواعظ الملوك»
(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مستكراً) والتصويب أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (متمتعاً) .

في وسط روضة نرجس كعيونها ما أشبه النوار بالنوا
 فإذا واصفنا الحديث حسبتني ألهو بملتقط لدرّ نثار
 فإذا اكتسحت برق^(١) تغير باسم مسكبت جفوني أغزر الأمطار
 حفر الملام وخيفة من جفوة تذر الصدور على شفير هار
 ترك الجوارى الآنات مذاهبي وسولها ظفر بريشة الأشعار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد سرى إليه ، فأعلمته
 قصتها ، فبسط العنبر بفضلته . وتناول الأمر ، وقسم الأشعار على ثلاثة من بنيته .
 ذوى خطّ رائع ، ونقل حسن . وأدب بارع . أخذوا في نسخها . وصرفوا الأصل
 لأجل قريب .

محتته

ولم يلبث أمير اللعنونيين بعد جوازه إلى الأندلس ، وظهوره على طائفة^(٢)
 الروم ، أن فسّد ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس ، وعزم على خلعهم . فأجاز
 من سبّة العساكر ، وصرب الأمداد . وأخذ المعتمد بالعزم بحصن حصونه ، وأودع
 المعقل عدته ، وقسم على مظان الامتناع ولده . وصمّت الجموع صمّة بنيه ، ونازل
 الأمير سير إشبيلية ، دار المعتمد . وحضرة ملكه ، ونازل الأمير محمد بن الحاج
 قرطبة ، وبها المأمون ، ونزل جرّور^(٣) من قواده رُثّة ، وبها الرّاضى ابن المعتمد .
 واستمر الأمر . واتصلت المحاصرة ، ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها .
 فنُحلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وأربعمائة ، وقتل الرّاضى ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» يبرق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت أيضاً تحريفاً لكلمة (طائفة) .

والمؤدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قرور) . والصواب ما أثبتناه .

وجلب رأسه فطيف به برأى من أبيه . وكان دخول إشبيلية على المعتمد، دخول
التَّهَرُّ والغلبة، يوم الأحد لعشر بقين من رجب (١). وشملت الغارة، وامتدحت
الدَّور، وخرج ابن عباد في شِكَتِهِ (٢). وابنه مالك في أمته معبما فقتل مالك
الملقب بفخر الدولة ورهقت الخيل، وكثر، فدخل القصر مُلَقَّياً بيده . ولما جئ الليل،
وجّه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير . فحُجِب عنه ، ووُكِّل بعض خدمه به .
وعاد إلى المعتمد فأخبره بالإعراض عنه . فأيقن بالملككة - وودَّع أهله وعلا
البكاء ، وكثر الثُّرَاخ، وخرج هو وابنه فأنزلا في خِباء حصين . ورُقبا بالحرس،
وأخرج الحُرَم من قصره . وضم ما شتمل عليه . وأمر بالسَّكِّب إلى ولده برُئْدَة
ففعل . ولما نزل، واستوصلت ذخيرته - سلا (٣) . وأجيز المعتمد البحر . ومن معه
إلى المنجة . فاستقرَّ بها في شعبان من العام . وفي هول (٤) البحر عليه في هذا الحال،
يقول رحمه الله

لم أنسُ الموت يد نيني ويُقصيني	والموت كأنَّ المنيَّ يأتيني
أبصرتُ هولاً لو أن الدهر أبصره	لما خوفاً لأمر ليس بالدون
قد كنت ضائعاً بنفس لا أجود بها	فبعثتها باضطراب ببيع مغبوف
كم ليلة بث مطوياً على حرق	في عَسَرٍ من عيون الدبر (٥) في العين
فتلك أحسن أم ظلات به	في ظلِّ عزَّة سلطان ونمكين
ولم يكن والذي تمنو الوجوه له	عِرَضِي مُهاناً ولا مالى بمخزون
وكم خلوتُ من الهيجا بمعترك	والحربُ ترُفِّل في أنوابها الجون
ياربُّ إن لم تدع حالاً أسرُّ به	فهب لعبدك أجراً غير ممنون

(١) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة ، كلمة (التهب) ، ولا مكان لها في السياق .

(٢) في شكته أى في سلاحه وعدته .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (سل) .

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (هو - هوا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) وردت في «ج» (الدير) . والتصويب من «الزيتونة» .

وجرى على إنائه شيء يوم خروجهن، واضطرتن الضيفة إلى معيشتهم من غزل أيديهن، وجرت عليه محن طال لها شجنه^(١) وأقامه قيده. إلى [أن]^(٢) نقل إلى أغمت وريكة^(٣)، وحل عنه الاعتقال. وأجرى عليه رزقه. تملغ به لمدة من أعوام أربعة، واستنقذه حمامه، رحمة الله عليه.

وصوله إلى غرناطة

قال ابن الصيرفي. وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة، وخلع أميرها عبد الله بن بلقين حفيد باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين: ولحق ابن عباد [وحليفه ابن مسلمة]^(٤) بخيل ورجل ورماة وعدد، وحل ذلك من [ابن] عباد تضمناً لمسرة أمير المسلمين. وتحققاً^(٥) بمولاته، فدخل عليه، وهنيأه، وقد تحكمت في نفس ابن عباد التماعية في إسلام غرناطة إلى ابنه، بعد استصفاة نعمة صاحبها. عوضاً عن الجزيرة الخضراء، وكان قد أشخصه معه، [فعرض بفرضه]^(٦)، فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إغراضاً، كانت منية [كل منهما]^(٧) التخلص من يده، والرجوء إلى بلده. فأعمل ابن عباد

(١) وردت في «ج» (سجنه). والتصويب من «الملكية».

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) أغمت أو أغمت وريكة، هي بلدة قديمة حصينة تقع على قيد نحو أربعين كيلو متراً من جنوب شرق مراكش، وكانت قبل إنشاء مراكش عاصمة للدولة المرابطية.

(٤) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة (وخليفة بن مسلمة). وهو تخريف. والصواب ما أثبتناه. وابن مسلمة هو المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس. ويعرف بنو الأفطس أيضاً ببني مسلمة باسم جدتهم ومؤسس دولتهم عبد الله بن محمد بن مسلمة.

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وتحققوا). والتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت مكان هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة عبارة مضطربة مكررة (فعرض به فأعرض عنه بفرضه: فأعرض به ما عرض عنه بفرضه.. الخ). وبهذا التصويب الموجز يستقيم المعنى والسياق.

(٧) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كل واحد منهما).

الحيلة . فكتب ، يزعم ^(١) أنه وردت عليه تحته من إشبيلية في اللاحق ، أنباء ^(٢) مهمة طرقت بتحريك العدو . واستأذن بها في الصدور ، فأخذ له ولخليفة ابن مسleme ، فاستهزا ^(٣) الفرصة ، وابتدرا الرجعة . ولحق كل بموضعه يظن أنه ملك رياسة أمره .

مولده

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ووُلِّي سنة إحدى وستين . وخلع سنة أربع وثمانين .

وفاته

كانت وفاة المعتمد [على الله] ^(٤) بأغمت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة اعتماد . وجزع عليها جزعاً ، أقرب ^(٥) سرعة لحاقه بها . ولما أحس بالمنية . رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تُكتب على قبره :

قبرُ الغريب سقاك الرَّامحُ الغادى حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
[بالحلم بالعلم بالنعى إذا اتصلت بالخصب أن أجذبوا بالرّى للصادى]
بالماعن الضارب الرامى إذا اقتتلوا بالمولت أحمر بالضرغامه العادى
[بالدهر فى نغم بالبحر فى نعم بالبدر فى ظلم بالصدر فى النادى]
نعم هو الحق [فاجأنى على] ^(٦) قدر من السماء ووافانى لميعاد

(١) فى «ج» (زعم) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت فى «ج» (لأنباء) . فاقتضى التصويب .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (فاستهزا) . والتصويب أفضل .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . وفى «ج» (رحم الله) .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» و «الملكية» (أقر) .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . ووردت فى «المعجم» . وفى مصادر أخرى

(حاجبانى به) .

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه
[كفاك فاروق بما استودعت من كرم
يبكى أخاه الذى غيبت وابله
[حتى يجودك دمعُ القل منهم رآ
فلا تزل صلوات الله نازلةً
على دفينك لا تحصى بتعداد
أن الجبال تُهادى فوق أعواد
رواك كل قطوب البرق وعاد
تحت الصفيح بدمع رافع غادى
من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد^(١)

بعض مآثرى به

قال ابن الصيرفى، وخالف فى وفاة المعتمد، فقال : كانت فى ذى حجة . فلما
انفصل الناس من صلاة العيد . حفَّ بقبره ملاً ، يتوجعون ويترحمون عليه ، وأقبل
ابن عبد الصمد ، فوقف على قبره وأنشد :

ملكٌ للملوك أسمعُ فأنادى أم قد عدتُك عن السماع عوادى
لما خلّت منك التصوّرُ فلم تكن فيها كما قد كنت فى الأغياذ
أقبلت^(٢) فى هذا الثرى لك خاضماً وتخذتُ قبرك موضع الإنشاد^(٣)
ثم خرَّ يبكى . [ويقبل القبر]^(٤) ويعزُّ وجهه فى التراب ، فبكى ذلك للآ حتى
أخضلوا ملابسهم ، وارتفع نشيجهم^(٥) . فله در ابن عبد الصمد ، وملاذ ذلك البلد .

(١) وردت هذه القصيدة نقسدة فى المخطوطات الثلاثة . وقد أكتفينا بالأبيات التى بين
الخواصر . وأوردنا المراكشى فى «المعجب» (١٣٢٢ هـ) من ٨٧ .
(٢) وردت فى «ج» وفى «الزيتونة» (قبيلت) . وفى «الملكية» (مثلت) .
(٣) أورد ابن الخطيب مطلع هذه القصيدة فقط . وقد أوردنا الفتح فى «القلائد» كاملة
(قلائد «مقيان» من ٣١) .
(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (ويقبل فى القبر) .
(٥) وردت فى المخطوطات الثلاثة بهذه الكلمة عبارة (دمع البار) . ولا مكان لها فى
السياق .

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مرَدْنِش الجذافي
قال بعضهم ينتمى فى تحجيب. الأمير أبو عبد الله .

أوليته

معروفة . وعلى يد أبيه جرت الواقعة الكبرى بظاهر إفراغة . على ابن رُذَير
الطاغية ، فخلت الشُّهرة ، وعظُمت الأثرة . قال بعضهم ، تولى أبوه سعد قيادة
إفراغة وما إليها . وضبطها . ونازلها^(١) ابن رُذَير . فشهَر غناؤه بها فى دفاعه . وصبره
على حصاره ، إلى أن هزمه الله [عز وجل]^(٢) . على يدى ابن غانية^(٣) . وظهر
بعد ذلك فحْسن بلاؤه . وبعد صيته . ورأس ابنه محمد ، ونفق فى ألفته . وكان بينه
وبين ابن عياض المتأمر بمُرسية صُهر ، ولأه لأجله بالكُفسيّة . فلما توفى ابن عياض ،
بادرها ابن سعد ، وبأعنه أثناء طريقه ، غدر المدوُّ بحصن جلال ، فسكر [وقادله]^(٤)
وفتحه . وعاد فلك بالنُسيّة ، وقد ارتفع له صيت شهير ، ثم دخلت مُرسية فى
أمره ، واستقام له الشُّرق . وعظُمت حاله .

(١) هكذا وردت فى «ج» وفى «الزيتونة» . وفى «الملكية» (ونازله) .

(٢) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) موقعة إفراغة المشار إليها هنا ، هى الموقعة الحاسمة التى نشبت بين آل الرُّسَيد (ابن رُذَير) ملك أراجون وبين المرابطيين تحت أسوار مدينة إفراغة الواقعة على نهر ساجا . انفتح
نهر إيدر وبالقرب الأمامى ، بقيادة يحيى بن غانية اللبثونى . وكان الأراجونيون قد ضربوا سُلَيْباً شامخاً
وقامتهم حائتها الإسلامية بقيادة واليها سعد بن محمد بن . دارس أشد مقاومة ، وحشدت سبى
وافقت القوات المرابطية . وفى الأراجونيون فى الموقعة بهزيمة ساحقة ، وكان ذلك فى يوم ٢٣ رمضان
سنة ٥٢٨ هـ (٧ يولييه ١١٣٤ م) . وقتل ألفونسو المخارب خلال الموقعة أو توفى بعدها بقليل
غماوياً .

(٤) هكذا فى المخطوطات الثلاثة .

حاله

قال ابن حمّامة: ساد من صفوه بشجاعته ونجابته^(١). وصيت أبيه ، فقال بذلك إلى القيادة. وسنة إحدى وعشرون سنة. ثم ارتقى^(٢) إلى الملك الرامخ. والسلطان الشاخ. بياهر شجاعته وشهامته. فتمّ قدره. وعظم أمره. وفشّى في كل أمة ذكره. وقال غيره ، كان بعيد الغور، قوى السّاعد، أصيل الرأى. شديد العزم، بعيد العفو، مؤثراً للانتقام، مرهوب العتوبة.

وقال في مختصر «نورة المريدين»^(٣) كان عظيم القوة في جسمه ، ذا أيد في عظّمته. [جزارة في الجمه]^(٤) ، وكان له فروسيّة ، وشجاعة. وشهامة. ورياسة.

بطالته وجوده

قال وكان له يومان في كل جمعة. الإثنين والخميس ، يشرب مع ندمايه فيهما، ويمجود على قوّاده ، وخاصته وأجناده ، ويذبح النبق فيهما^(٥) ، ويفرق لحومها على الأجناد. [ويحضر القيّان بمزاميرهن وأغواذهن]^(٦) ، ويتخلل ذلك لهو كثير، حتى ملّك القلوب من الجند ، وعاملوه بغاية النصّح، وربما وهب المال في مجالس أنسه. ذكر أنه استدعى يوماً ابن الأزرق أحد قوّاده، فشرب معه ومع القرابة،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (ونجدة) والأولى أرجح.

(٢) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (ارتفع).

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (ثور المريدين). والصواب ما أثبتناه. وثورة المريدين

كتاب من تأليف ابن صاحب الصلاة الباجي مؤرخ الموحدين وصاحب كتاب (المن بالإمامة). ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا.

(٤) وردت هذه العبارة فقط في «ج». وهي ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية».

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (في المواسم) والأولى أرجح وأكثر

اتفاقاً مع السياق.

(٦) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة».

في مجلس قد كساه بأحمر الوشي والوشى^(١) والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم. فلما كمل نهاره معهم، وهبهم الآنية. وكل ما كان في المجلس من الوشي^(٢) وغير ذلك.

ما نقيم عليه ووصم به

قالوا، كان عظيم الانهماك في ميدان البهالة، وأخذ نجمة من الجوارى. فصار يُراقدهن من جهة تحت لحاف واحد. وانهمك في حب القيان، والزمر والرقص. قالوا، وكان له فتى اسمه حسن، ذو رقة سمينة، وقفاً عريض. فإذا شرب، كان يزره، ويعطيه بعد ذلك عطاء جزيلاً. وفي ذلك يقول كاتبه المعروف بالسالمى، وكان يحضر شرابه. ويخمر^(٣).

أدر كؤوس المدام والرز فقد ظفّرنا بدولة العـز
ونعم الكف من قنا حسن فإنها في ليانة الخـز
وصاحب إن طلبتُ أخدعه فلم يكن في بذله بـعـز
أنحى على أخداعي فاطر بني وهز عاني أيسا هـز

وأجزل صلة السالمى حين أنشدها إياه، واشتهرت هذه الأبيات بالشرق، واستظرفها الناس. [فردّ مرسية دار مجونه، وبلغ في زمانه ألفاً وأربعين]^(٤). وآثر زى النصارى من الملابس، والسلاح، واللجم، والسروج. وكلف بلسانهم يتكلم مباحة^(٥)، وأجلاه الخروج عن الجماعة. والانفراد بنفسه (إلى الاحماء)^(٦)

(١) هذه الكلمة واردة فقط في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين.

(٢) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة». ووردت مكررة في «ج» (فرش وآنية).

(٣) وردت في «ج» وفي «الملكية» (وينحف - يخفه). والتصويب من «الزيتونة».

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في المخطوطات الثلاثة. ولم تنفج حكمة وجوده هنا. والظاهر

أنه قد سقطت منه بعض كلمات.

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة».

(٦) أضفنا هذه الزيادة ليستقيم المعنى والساقي.

بالنصارى ، ومُصانعتهم ، والاستماعة بطواغيثهم . فصالح صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة . وصالح ملك قشتالة على أخرى . فكان يبذل لهم في السنة [خمسين ألف مثقال]^(١) . وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور ، وأجحف برعيته ، لأرزاق من استعان به منهم ، فعضمت في بلاده المغارم وثقلت ، واتخذ حوانيت بيع الأدم والمرافق ، تختنق^(٢) بجانبه ، وجعل على الأغنام وعروض البقر ، مؤنًا غريبة . وأما رسوم الأعراس والملاهي ، فكانت قبالاتها غريبة . حدث بعض المؤرخين عن الثقة ، قال كنت بجيآن مع الوزير أبي جعفر الوَقْشِي ، فوصل إليه رجل من أهل مرسية ، كان يعرفه . فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنِش وعن سيره فقال الرجل ، أخبرك بما رأيته من جور عماله وظلمهم . وذلك أن أحد الرعية بشاطبة واسمه محمد بن عبد الرحمن ، كان له بنظر شاطبة ، ضوِعة يعيش بها ، وكان لازمها أكثر من فايدها ، فأعطى لازمها حتى افتقر ، وفرَّ إلى مرسية . وكان أمر ابن مردنِش ، أنه من فرَّ من الرعية أمام الغزو^(٣) ، أخذ ماله للمخزن . قال الرجل الشاطبي ، فلما وصلت إلى مرسية فارًا عن وطني ، خدمتُ الناس في البُنَيان ، فاجتمع لي مثقلان سَعْدِيَّان ، فبينما أنا أمشي في السوق . وإذا بقوم من أهل بلدى شاطبة ، ومن قرابتي ، فسألهم عن أولادى وزوجتى ، فقالوا إنهم في عافية ، وفرحت فرحا عظيما ، وسألهم عن الضوِعة ، فقالوا إنها باقية بيد^(٤) أولادك . فقلت لهم عسى تبييتوا عندى الليلة ، فاشتريت لحما وشرابا ، وضربنا دقًا . فلما كان عند الصباح ، وإذا بنقر عنيف

(١) هكذا في «ج» . وفى «الزيتونة» و «الملكية» (خمسين ألفا من المثاقيل) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة . وربما كان القصد أنها تزدهم .

(٣) هكذا في «ج» . وفى «الزيتونة» (المدو) .

(٤) هكذا في «ج» . وفى «الزيتونة» (عند) .

بالباب . فقلت من أنت ، فقال أنا الطروقون الذى بيده قبالة الله ، وهى متفقة بيدي .
وأنتم ضربتم البارحة الدف فاعدنا حق العرس الذى عملت . فقلت له والله ما كانت
لى [عرس]^(١) . فأخذت وسُجنت . حتى اقتديت بمنقال واحد من الذى خدمت به .
وجئت إلى الدار . فقيل لى أن فلاناً وصل من شاطبة الساعة . فشيت لأسأله [عن
أولادى . فقال تركتهم فى السجن . وأخذت الضويرة من أيديهم فى رسم الجبالى .
فرجعت]^(٢) إلى الدار . إلى قرابتي . وعرقتم بالذى طراً على . وبكيت طول ليلتي ،
وبكوا معي . فلما كان من الغد . وإذا بناقر بالبواب . فخرجت . فقال أنا رجل صاحب
المواريث . أعلمنا أنكم بكيتم البارحة . وأنه قد مات لكم ميت من قرابتكم
[غنى]^(٣) . وأخذتم كل ما ترك . فقلت والله ما بكيت إلا نفسى . فكذبنى
وحملنى إلى السجن ، فدفعت المنقال الثانى . ورجعت إلى الدار [وقلت أخرج إلى
الوادى ، إلى باب القنطرة . أغسل ثيابى من دَرَن السجن . وأفرئ إلى العدو]^(٤)
فقلب . لامرأة تغسل الثياب . إغسلى مما على . وجردتها . ودفعت لى زناراً
ألبيه . فبينما أنا كذلك . وإذا بالحقى قائد [ابن]^(٥) مردنيش ، يسوق
ستين رجلاً من أهل الجبل ، لابسى الزناير . فرآنى على شكلهم . فأمر بحملى
إلى الشجرة والخدمة بحصن مسقوط عشرة أيام . فلبثت أخدم وأحضر مدة عشرة
أيام . وأنا أبكى واشتكى للقائد المذكور ، حتى أشفق على وسرحتنى . فرجعت أريد
مرسية . فقيل لى عند باب البلد . كيف أسمعك فقلت محمد بن عبد الرحمن ، فأخذنى
الشرطى ، وحملت [إلى] القابض بباب القنطرة . فقالوا هذا من كتبته من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) أضفنا هذه الكلمة تصحيحاً للاسم .

أرباب الحال بكذا وكذا دينار . قتل الله ما أنا إلا من شاطبة . وإنما إسمي وافق ذلك الاسم ، ووصفت له ما جرى علي ، فأشفق وضحك مني ، وأمر بتسريحى فسرت على وجهى الى هنا .

بعض الأحداث فى أيامه ، ونبد من أخباره

استولى على بلاد الشرق ، مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية ، ثم اتسع نطاق ملكة ، فولى جيان [وأبدة وبياسة]^(١) ، وبسطة ووادى آش ، وملك قرمونة . ونازل قرطبة وإشبيلية . وكاد يستولى على جميع بلاد الأندلس . فولى صهره ابن همشك ، وقد [مر]^(٢) فى باب إبراهيم . مدينة جيان [وأبدة وبياسة]^(٣) ، وضيق منها على قرطبة . واستولى على إستجة ، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمماية وثار عليه^(٤) يوسف بن هلال من أصحابه بحصن مطرنش^(٥) وما إليه . ثم تفسد ما بينه وبين صهره [الآخر ابن همشك]^(٥) . فكان سبب إذبار أمره . واستولى العدو فى مدة ابن سعد على مدينة طرطوشة عام ثلاثة وأربعين وخمماية . وعلى حصن إقليج . وحصن شرانية .

دخوله غرناطة

ولما دخل ابن همشك مدينة غرناطة . وامتنعت عليه قصبته . وهزم

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق . وقد مرت ترجمة ابن همشك فى المجلد الأول ص ٢٩٦ .

(٣) وردت (على) فى «ج» و «الزيتونة» ؛ فلزم التصويب لاستقامة المعنى .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (حصن بطرقتش) . وهو تحريف . والصحيح ما أثبتناه .

وحصن مطرنش يقع على مقربة من بلنسية .

(٥) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» و «الملكية» .

الجيش المُصرَّخ لمن حُصر بها من الموحدين بمرج الرقاد^(١) وثاب أثناء ذلك أمرُ الموحدين . فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب . وأجار البحر . واجتمعوا بالسيد أبي سعيد بمالقة . استمد^(٢) ابن هَمُشْك صهره الأُسعد . أبا عبد الله محمد بن سعد . فخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق والنصارى . فوصل إلى غرناطة ، واضطربت محلة بالربوة السامية المتصلة بربض البَيَّازين . وتُعرف إلى اليوم بكُدَيْة مردنيش [وتلاحق جيش الموحدين بأحواز غرناطة . فأعينوا جيش عدوهم . فكانت عليه الدَّبرَة ، وفرا ابن مردنيش^(٣) فلحق بجيان ، واتصلت عليه الغلبة من لدُن منتصف عام ستين فلم يكن له بعده ظهور .

وفاته

وظهر عليه أمر الموحدين ، فاستخلصوا معظم ما بيده ، وأوقعوا بجنده الوقائع العظيمة . وحُصر بمدينة مرسية ، واتصل حصاره ، فمات أثناء الحصار في عاشر رجب من عام [سبعة^(٤) وستين وخمسمائة وله ثمانية وأربعون عاما ، ووصل^(٥) أمره أبو القمر هلال^(٦) ، وألقى باليدين إلى الموحدين ، فقل على عهدٍ ورسومٍ حسبما يأتى في موضعه .

(١) موقعة مرج الرقاد ، نشبت بين الموحدين وبين قوات ابن هَمُشْك صهر ابن مردنيش على أثر استيلائه غرناطة في جمادى الأولى سنة ٥٥٦ هـ ، في الموضع المسمى « مرج الرقاد » ويقع على مقربة من غرناطة على سفح جبل البيرة ومقابلته مكان يسمى اليوم Majorracal وقد هزم الموحدون في تلك الموقعة هزيمة شديدة

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (استمر) . وهو تحريف .

(٣) ما بين الخاضرتين وارد في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» و «وارد» في «الزيتونة» وفي «الملكية» (عام احد وستين وخمسمائة) . وهو خطأ . والصحيح ما أثبتناه .

(٥) وردت في ج (وهم) وفي «الملكية» (وضم) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هلال ، أبو القمر ، هو ولد محمد بن سعد بن مردنيش . وقد أقنع القادة والأشياخ على أثر وفاة أبيه بالتسليم للموحدين . فصعد برأيهم وأعلن طاعته للموحدين . وسار إلى إشبيلية يؤكد ذلك بنفسه لخليفة الموحدين أبي يعقوب يوسف ، وتوثقت فجا بعد أوامر المودة بين خليفة الموحدين وبين آل مردنيش ، ولاسيما حين تزوج الخليفة إبنه محمد بن سعد .

محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، أمير المسلمين

بالأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل
على الله .

أوليته

من ولد المستعين بن هود . وأوليتهم معروفة ، ودولتهم مشهورة ، وأمرؤهم
مذكورون . خرج من مرسية تاسع رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة إلى
«الصخور»^(١) من جهاتها في نفر يسير من الجنود [معه]^(٢) وكان الناس
يستشعرون ذلك . ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه ، وينددون^(٣) . بأمرته
وسلطانته . وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمن الموحدين مرات ، إذ
كان بعض الهاتفين بالأمور السكينة ، والقضايا المستقبلية ، يقول لهم ، يقوم عليكم
قائم من صنف الجند ، اسمه محمد بن يوسف . فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من
من أهل جيان . ويقال [إن]^(٤) شخصاً ممن ينتحل ذلك ، لقي ابن هود ، فأمن
النظر إليه ، ثم قال له [أنت سلطان الأندلس]^(٥) ، فانظر لنفسك ، وأنا أدلك
على من يقيم ملكك ، فاذهب إلى المقدّم الغشّي^(٦) فهو القائم بأمرك .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الحضور) . والصواب ما أثبتناه . وهو «الصخور»
أو «الصخوريات» حسب يأتي بعد .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يندرون) والأولى أرجح

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (أنت السلطان

بالأندلس) .

(٦) وردت في المخطوطات (الغشّي) وهو تعريف .

وكان الغشتى رجلاً صُعلوكاً يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال، وسباع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، وعرض عليه الأمر، وقال نستفتح بمُعاوِرة إلى أرض العدو، على اسمك وعلى سعدك، ففعلوا، فخلبوا كثيراً من الغنائم^(١) والأسرى، وانضاف إلى ابن هود طوايفٌ مثل هؤلاء، وبايعوه بالصخيرات^(٢) كما ذكر، من ظاهر مرسية^(٣)، وتحرك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية، فأوقع به وشرّده، ثم تاب إليه ناسه، وعُدل إلى الدعاء للعباسيين، فقبِعه اللّيف، ووصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فاستنصر^(٤) الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد، وجيش الجيوش، وقهر الأعداء، ووفى للغشتى بوعده، فولّاه أسطول إشبيلية، ثم أسطول سبّنة، مضافاً إلى أمرها، وما يرجع إليه، فنار به أهلها بعد وخلعوه، وفرّ أمامهم في البحر، وخفي أثره إلى أن تحقق استقراره أسيراً في البحر بغرب الأندلس، ودام زماناً، ثم تخلص في سن الشيخوخة، ومات برباط آسفي.

حاله

كان شجاعاً، ثبّتاً، كريماً حياً، فاضلاً، وفيّاً. متوكّلاً عليه^(٥)، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستغنى لذلك عليه ولأنه بالقواعد، كآبى عبد الله بن الرّميى بالمرية، وأبى عبد الله بن زنون بالقة، وأبى يحيى عتبّة بن يحيى الجزولى بغرناطة. وكان مجتهداً، لم ينهض له جيش. ولا وفق لرأى، لغلبة الخلفة عليه، واستعجاله الحركات، ونشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الغنى). والتصويب أرجح.

(٢) هي الصخور أو الصخيرات كما سبق شرحه.

(٣) وردت في «الزيتونة» (غرناطة) وهو خطأ ظاهر.

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (فانتصر).

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية»، ووردت محرفة في «ج» (كقلبه). والتصويب

من «أعمال الأعلام».

بعض الأحداث في أيامه

جرت عليه هزائم، منها هزيمة السلطان الغالب بالله إِيَّاهُ مرتين، إحداهما بظاهر إشبيلية، وركب البحر فنجا^(١) بنفسه. ثم هزمه بالبيارة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستماية أو نحوها.

وفي سنة خمس وثلاثين، كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقيح هزيمة، واستولى على محلته. ولأذ منه بمدينة مرسية. ثم شغل المأمون الأمر، وأهمته الفتن الواقعة بمراكش، فصرف وجهه إليها. وثاب الأمر للمتوكل، فدخلت في طاعته المريّة، ثم غرناطة، ثم مالقة. وفي سبع وعشرين وستماية، تحرك بفضل شهادته بجيوش عظيمة، لإصراخ^(٢) مدينة ماردة، وقد نازها العدو وحاصر، ولقى العنّاغية بظاهرها، فلم يتأنّ زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مصافّة^(٣). ثم لما كرّ إلى ساقته، وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة. واستولى العدو على ماردة بعد ذلك.

وفتح عليه في أمور. منها تملكه إشبيلية سنة تسع وعشرين وستماية، وولى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالماً الملقب بعقاد الدولة. وفي سنة إحدى وثلاثين. رجعت قرطبة إلى طاعته، واستوسق أمره. وتملك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستماية، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال. دخل في طاعته الريّسان أبو زكريا، وأبو عبد الله. إبننا الرئيس أبي سلطان [عزيز]^(٤) بن

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و «الملكية» (ثم نجا) والمؤدى واحد.

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وفي «أعمال الأعلام».

(٣) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (مصابه - مصارفه - مصامه). وبالتصويب

يستقيم السياق.

(٤) الزيادة من «أعمال الأعلام».

أبي الحجاج بن سعد . وخرجا عن طاعة الأمير أبي جَمِيل ، وأخذوا البيعة لابن هود على ما في أيديهما . وفي سنة ست وعشرين وستمائة ، تملك الجزيرة الخضراء عَنوة ، يوم الجمعة التاسع اشعبان من العام . وفي العشر الوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلا بقصد العدو وُجْهة مدينة وادي آش . فأمرى ليلة مسرجاً^(١) بتيّة^(٢) يومه . ولحق بالعدو على ثمانين ميلاً . فأتى على آخرهم . ولم ينج منه أحد .

أخوته

الرئيس أبو النجاة سالم ، [وعلامته وثِقْتُ بالله]^(٣) ، ولقبه عماد الدولة ، والأمير أبو الحسن عضد الدولة ، وأسره العدو في غارة^(٤) ، وافتكَّ بمال كثير ، والأمير أبو إسحاق شرف الدولة . وكلهم يُكْتَب عنه ، من الأمير فلان .

والده

أبو بكر الملقب بالواثق بالله . أخذ له البيعة على أهل الأندلس . في كذا ، ووُلِّي بعده ولَّى عهده . واستقلَّ بملك مرسية . ثم لم يذْشِب أن هلك .

دخوله غرناطة

[دخل غرناطة]^(٥) مرّات عديدة ، إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وقد وردت عليه الرأية والتقليد من الخليفة العباسي ببغداد . وبمصلّى غرناطة ، قرى على الناس كتابه ، وهو قايم ، وزيّ السواد ، ورايته السوداء بين يديه ،

(١) وردت في «ج» (مضرجا) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بجاية) وهو تحريف ظاهر . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (غزوة) .

(٥) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» ، وساقطة في «ج» .

وكان يوم امْتِدْقَاء ، فلم يَسْتَم على الناس قراءة الكتاب يومئذ ، إلا وقد جادت السماء بالمطر ، وكان يوماً مشهوداً ، وَصُنْعاً غريباً ، وأمر [بعد انصرافه]^(١) ، أن يُكْتَب عنه بتلك الألقاب التي تضمنها الكتاب المذكور إلى البلاد .

وفاته

اختلف الناس في سبب وفاته ، فذكر أنه قد عاهد زَوْجَه ألاَّ يتخذ عليها امرأة طول عمره ، فلما تَصَيَّر إليه الأمر ، أعجبتَه ووميَّة [حصلت له بسبب السَّبِي]^(٢) من أبناء زعمائهم ، من أجل الناس ، فَسَرَّها عند ابن الرَّمِيى خليفته ، فزعموا أن ابن الرميى علق بها . ولما ظهر حُمْلُها . خاف افتتاحُها القصَّة ، فدبر عليه الحيلة ، فلما حلَّ بظاهر ألمريَّة . عرض عليه الدخول إليها ، فاغتاله ليلاً ، بأن أقعد له أربعة رجال ، قضوا عليه خَنْقاً بالوسايد . ومن الغداد عى أنه مات فجأة ، ووقف عليه العُدُول ، والله أعلم بحقيقة الأمر^(٣) سبحانه . وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وستاية . وفي إرجاف الناس بولاية ابن هود . والأمر قبل وقوعه ، يقول الشاعر :

هُمَامٌ بِهِ زَادَ الزَّمَانُ طَلَاقَةً وَلَدَّتْ لَنَا فِيهِ الْأَمَانِي مَوْرَدًا
فَقُلْ لِبْنِي الْعَبَّاسِ هَاهِي دَوْلَةٌ أَغَارَ بِهَا الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأُنْجَدًا
فَإِنْ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ وَصْفُهُ بِتَمْهِيدِ هَذِي الْأَرْضِ قَدْ جَاءَ فَاهْتَدَا^(٤)
فَإِنْ بَسَّرْتَنَا بِابْنِ هُودٍ مُحَمَّدٌ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ ابْنَ هُودٍ مُحَمَّدًا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعد أن انصرف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (في سبي الروم)

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الزيتونة والملكية (ذلك) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (فابتدا) .

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب

ابن حامد بن زيد بن منخل الغافقي

يكنى أبا بكر من أهل غرناطة . وسكن وادي آش .

أوليته

أصل هذا البيت من إشبيلية ، وذكره الرّازي في الاستيعاب ، فقال ،
وإشبيلية بيتُ زيد الغافقي ، وهم هناك جماعة كبيرة ، فرسانٌ ولهم شرف قديم ،
وقد تصرفوا في الخدمة . بَلَدِيّون^(١) ، ثم انتقلوا إلى طَلَيْطَلَة ، ثم قُرْطَبَة ، ثم
غَرْنَاطَة . وذكر الملاحى في كتابه^(٢) ، الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب
[بن زيد]^(٣) ، وعدّه من أهل الشورى ، وقُضَا الجماعة بغرناطة . وأحمد بن زيد
ابن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد ، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب
بالله بن نصر ، وكان عامل المتوكل على الله بن هود بها ، وعنّ جمع له بين الدّين
والفضل والمالّة .

حاله ونباهته ومحتته ووفاته

كان هذا الرجل عَيْنًا من أعيان الأندلس ، وصدرًا من صدورها . نشأ عفاً

(١) البلديون تطلق على العرب الأوائل ، الذين دخلوا الأندلس واستقروا بها قبل قدوم الشاميين

مع بلج بن بشر القشيري أو الطالعة البليجة .

(٢) الملاحى ، هو محمد بن عبد الواحد الغافقي ، وأصله من الملاحه وهي قرية من أعمال

إلبيرة . وقد برع في الأدب والرواية والسير وألف عدة كتب تاريخية ، أشهرها كتابه « تاريخ علماء

إلبيرة وأنسابهم وأبنائهم » وهو المشار إليه هنا . وعند ينقل الكتاب المتأخرون ، ولاسيما ابن الخطيب

وقد ذكره ضمن مصادره في مقدمة « الإحاطة » . وتوفى الملاحى سنة ٦١٩ هـ .

(٣) زيادة من « زيتونة » .

مُتَّصَاوِنًا عَزُوفًا ، وَطِلَاوَةً ^(١) نَزِيهًا [أَبِيَا كَرِيمِ الْخَزُولَةِ] ^(٢) ، طَيِّبِ الطَّعْمَةِ ، حُرِّ
الْأَصَالَةِ ، نَبِيهِ الصُّهْرِ ^(٣) . نِمِ اسْتَعْمَلْ فِي الْوِزَارَةِ بَيْلِدَهُ ، نِمِ قَدَّمَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ
الْفِرْسَانِ ، فَأَوْرَدَهُمُ الْمَوَارِدَ الصَّفِيَّةَ بِإِقْدَامِهِ ، وَاسْتَبَاحَ مِنَ الْعَدُوِّ الْفُرْصَةَ ، وَأَكْسَبَهُمُ
الذِّكْرَ وَالشُّمْرَةَ ، وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَى غَضَاظَةِ الْإِيمَانِ ، وَصَحَّةِ الْعَقْدِ ، وَحُسْنِ
الشَّيْمَةِ ، وَالْإِسْتِمْسَالِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخِ ، وَالْأَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأَمْثَالِ ، وَالتَّمَسُّكِ
بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَسَمَحَبِ أَذْيَالِ الطَّهَّارَةِ ، وَهَجْرِ الْخَبَايِثِ ، وَإِثَارِ الْجَدِّ ، وَالْإِنْحِطَاطِ
فِي هَوَى الْجَمَاعَةِ .

مَشِيخَتُهُ ^(٤)

قَرَأَ بِفَرْنَاطَةِ عَلَى شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ ، وَبَيْلِدَهُ عَلَى الْأَسْتَاذِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطُّرْسُونِيِّ ، وَبِهِ انْتِفَاعُهُ ، وَكَانَ جَهْوَرِي الصَّوْتِ ، مُتَفَاضِلًا ، قَلِيلَ
الْهَيْبَةِ فِي الْحِفْلِ . وَلَمَّا حَدَثَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رِكَايَدِ دَوْلَتِهِ ، وَتَلَاخِقِ
بِوَادِي آش مُفْلَتًا ، قَامَ بِأَمْرِهِ ، وَضَبَطَ الْبِلَادَ عَلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَلْمِ الْمُدَاهِنَةَ ^(٥) فِي أَمْرِهِ ،
وَجَعَلَ حَيْلَ عَدُوِّهِ دُبْرَ أُذُنِهِ ، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الْمُدَّةِ ، فَكَانَ زَمَانُ طَرِيقِهِ
مُقَدِّيًا لَهُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِمَأْمَنِهِ ، فَتَرَكَهَا مَغْرِبَةً .

خَبَرُ فِي وَفَاتِهِ وَمَعْرِجَتِهِ ^(٦)

وَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَحْمِيْدِهِ ، وَاسْتَأْنَرُ [بِهِ الدَّخْلُ] ^(٧) ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزِّيْتُونَةِ» .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» (أَبِيَا كَرِيمِ الْحَوَاةِ) وَالتَّصْوِيبِ أَرْجَحُ . وَسَاقِطَةٌ فِي «الزِّيْتُونَةِ» «الْمَلِكِيَّةُ» .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (الظَّهْر) .

(٤) سَاقِطَةٌ فِي «ج» . وَوَارِدَةٌ فِي «الزِّيْتُونَةِ» .

(٥) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (الْمَرَاهِنَةُ) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزِّيْتُونَةِ» .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الزِّيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (بِالدَّخْلِ) .

اغتياباه ، وأغرى به عقد ضنائه ، وخلطه بنفسه ، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة ، فتقبَّض عليه ، وعلى ولده ، لباب بنى وقته ، وغرّة أبناء جنسه ، فأودعهما مطبق أرباب الجرائم ، وهم باغتيالهما^(١) ، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لمحرم من عام اثنين وستين وسبعائة في جملة من النبهاء ، مأخوذين بمثل تلك الجريرة . ثم صُرف الجميع في البحر إلى بجاية ، في العشر الأول لربيع الأول مُصَفَّدِينَ . ولما حلوا بها ، أقاموا تحت برّ وتجلة ، ثم ركبوا البحر إلى تونس ، فقطع^(٢) بهم أسطول العدو بأحواز تكررنت ، ووقعت [بينه و]^(٣) بين المسلمين حرب ، فكرّم مقام المترجم يومئذ ، وحسن بلاؤه . قال المخبر ، عهدى به ، وقد سلّ سيفاً ، وهو يضرب العدو ويقول : اللهم اكْتُبْهَا لى شهادة . واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ، ومنهم ولده ، وكُتِبَ^(٤) افْتُكَّ الجميع ببلد العناب^(٥) ، وانصرف ابنه إلى الحج ، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة . من سُكون وفضل ودين وحياء ، وتلاوة ، إلى ما كان يجده من الرّكض ، ويعانيه من فروسية ، فضى على هذا السبيل من الشهادة . نفعه الله ، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين وستين وسبعائة .

شـمـرـه

أنشدنى قاضى الجماعة أبو الحسن بن الحسن [له] ^(٦) :

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (باغتيالها) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٣) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (القبلة) . والأولى أرجح . والعناب هى ثغر بونة .
 (٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

يأبها المرتجى لطف خالقه وفضله في صلاح الحال والمال
لو كنت توقن حقاً لطف قدرته فاشمخ بأنفك عن قيل وقال
فإن لله لظفا عز خالقه عن أن يقاس بنشبهه وتمثال
وكل أمر وإن أعياك ظاهره فالضنع في ذاك لايجرى على بال

محمد بن أحمد بن محمد^(١) الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية، القهرمان بها، المستوزر آخر عمره، سداد من عون.

حاله وأوليته وظهوره

كان رحمه الله من أهل العفاف والتصاؤن، جانحاً إلى الخير، محباً في أهل الإصلاح، مغضوض الطرف عن الحرم^(٢)، عفيفاً عن الدماء، مستمسكاً^(٣) بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، وبرز في عدول الحضرة، وكان له خط حسن، ومشاركة في الطلب، وخصوصاً في الفرائض، وحظّه تافه^(٤) من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة [مروراً مع الجملة]^(٥). وعند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تعين لحصر ما استرفع من منتهب ماله، وتحصل بالدار السلطانية من آثاته وخرشيته^(٦)، فخرم واضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعدته

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (أحد).

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية»، وفي «الزيتونة» (الحرام).

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». ووردت في «ج» (متمسكاً).

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (مروراً مع الجملة) ونعتقد أن تصويب الكلمة الأولى

يعطى العبارة معنى مناسباً.

(٦) الحرث أى أثاث البيت.

الوقت ، وطلّع له جاه كبير ، وتملك أموالاً عريضة ، وأرضاً واسعة^(١) ، فجمع الدنيا بحزمه ومثابرته على تنمية داخله . [وترقى]^(٢) إلى سماء الوزارة في الدولة السادسة من الدول النضرية ، بتدبير شيخ الغزاة ، وزعيم الطائفة عثمان بن أبي العلاء ، فوصله إلى إدوار دنياه ، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب ، وتأذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده ، فاستولى وحجب السلطان . ثم وقعت بينه وبين مرشّحه ، الوخشة الشهيرة ، عام سبع وعشرين وسبعائة ، مارساً^(٣) لمكان الفتنة ، صلة فارط في حجب السلطان ، وأجلى لجمهور ما كان يبابه ، ومنع من الدخول إليه . فاضطربت حاله ، وأعمل التدبير عليه ، فهجم عليه بدار الحرّة الكبيرة جدّة السلطان ، وكان يعارضها في الأمور ، ويجعلها [تسكأة لغرضه]^(٤) ، فتَيّان من أحداث الممالك ، المُستبقيين مع محجوبه ، تناولاه سَطّاً بالخناجر ، ورمى نفسه في صهرج الدار ، ومازالا يتعاورانه من كل جانب [حتى فارق الحياة]^(٥) رحمه الله تعالى .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له فيه فراسة صادقة .

(١) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (إلى ضاف طريقيها التي لو كان له) وقد آثرنا الإغضاء عنها .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في « ج » . ووردت في « الزيتونة » وفي « الملكية » (أوسا) والأولى

أرجح .

(٤) هذه العبارة والاردة في « ج » . وساقطة في « الزيتونة » و « الملكية » .

(٥) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .

محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر [ويشهر بالأشبرون] (١) . قاضي الجماعة .

حاله

كان طرّفاً في الدهاء والنخلق والمعرفة بمقاطع الحقوق ، ومناير الرّيب ، وعِلَلِ الشهادات ، فذّاً في الجزالة ، والصّرامة ، مقدّماً (٢) ، بصيراً بالأُمُور ، حسن السيرة ، عذب الفكاهة ، ظاهر الخطوة ، على الرتبة . خرج من إشبيلية عند تغلب العدو عليها ، ووَلَّى القضاء بمالقة وبسطة . ثم وُلّي الحسبة (٣) بفرناطة ، ثم جُمعت له إليها الشرطة . ثم قدّم قاضياً ، واستمرت ولايته نحو (٤) من ثلاثين سنة .

وفاته

توفي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وستمائة .

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي

ولد الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيات ، من أهل بلّش يكنى أبا بكر .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٢) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة (صارما) . وهي ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» . وقد أغضينا عنها لأنها تكرر لا محل له .

(٣) وردت في «الزيتونة» (الخدمة) وفي «ج» و «الملكية» (الخدمة - الخدمة) . ونعتقد أن التصويب أرجح ، وهو يستقيم مع المعنى والسياق .

(٤) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (مدة) .

حاله

من «عائد الصلة» من تأليفنا (١). كان رحمه الله شبيهاً بأبيه، في هديه، وحسن سمته ووقاره، إلا أنه كان حافظاً للرتبة. مقياً للأبهة، مُستدعياً بأبيه ونفسه للتعجّل. بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومروعة وحشمة، إلى خطّ بديع قيد البصر، ورواية عالية، ومشاركة في فنون. وقراءة، وفقه، وعربية، وأدب وفريضة، ومعرفة بالوثائق والأحكام. تولى القضاء ببلده، وخلف أباه على الخطابة والإمامة، فأقام الرسم، واستعمل في السفارة، فسدّ مسدّ مثله، وأقرأ ببلده، فانتفع به.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السّداد الباهلي، وبغرزاطة، على شيخ الجماعة الأستاذ [أبي جعفر] (٢) بن الزبير. ومن أعلام مشيخته، جدّه للأُم خال أبيه، الحكيم العارف أبو جعفر ابن الخطيب [أبي الحسن بن الحسن المذحجي الحلي] (٣)، والخطيب الربّاني أبو الحسن فضل بن فضيلة، والوزير أبو عبد الله ابن رُشيد.

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن الحاج.

(١) «عائد الصلة» هو حسبنا بينا في مقدمة «المجلد الأول» مجموع صغير من التراجم كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا على كتاب «صلة الصلة» لابن الزبير. وجمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين. وهو يقتبس منه في كثير من تراجم الإحاطة.

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في «الزيتونة».

(٣) هذه الزيادة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

أَوَّلِيَّتُهُ وَحَالُهُ

[كان أبوه نجاراً من مُدَجْنَى مدينة إشبيلية^(١) من العارفين بالحِيل الهندسية ، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية ، والعمل بها ، وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق ، واتخذ له الدولاب ، المنفّس القطر [البعيد المدى]^(٢) ، مُلَتِنَ المركز والمحيط ، المتعدّد الأكواب ، الخفيّ الحركة ، حسبما هو اليوم ماثل^(٣) بالبلد الجديد ، دار الملك بمدينة فاس ، أحد الآثار التي تحدو إلى مشاهدتها الرُّكَّاب ، وبناء دار الصُّنعة بسلا . وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثانياً الملوك من بني نصر ، ومثَّ إليه بوسيلة ، أذنت محلّه ، وأسست جرياته ، إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين ، أبي الجيوش نصر ، واضطلع بتدبيره . ونقم الناس عليه إيثاره لمقاتلات الرُّوم ، وانحطاطه في مَهْوَى^(٤) لهم ، والتشبه بهم في الأكل والحديث ، وكثير من الأحوال والهيئات والاستحسان ؛ وتطرّيز المجالس بأمنالهم وحِكَمهم ، سمّةٌ وسمت منه عقلاً ، لنشأته بين ظهرائهم ، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم ، فلم تفارقه بحال ، وإن كان آية في الدهاء ، والنظر في رَجُلٍ بعيد الفؤاد ، عميق الفكر ، قايم على الدُّمْنَةِ ، مُنْطَوٍ على الرُّضْف ، لين الجانب ، مبذول البشر^(٥) ، وحيد زمانه في المعرفة بلسان الروم

-
- (١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الملكية» . ووردت مكانه في الزيتونة الجملة الآتية (كان جده من مدينة إشبيلية) . وما ورد في «ج» أدق وأرجح ، يؤيد ما ورد بعد من وصف الأب بالمعرفة بالحيل الهندسية . والمدجنون في تاريخ الأندلس كما سبق هم المسلمون الذين بقوا في القواعد الأندلسية المغلوبة تحت حكم النصارى . وبالإسبانية Mudejares .
- (٢) هكذا وردت في «ج» ووردت في «الملكية» (البعيد المدار المحيط) .
- (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (مؤثّل) .
- (٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (قهري) . وفي «الزيتونة» (هم) .
- (٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (بشر) .

وسيرهم ، مُحْكَمُ الْأَوْضَاعِ [فى] أدب الخدمة ، ذَرِبُ (١) بالنصرف فى أبواب الملوك .

وكان من ثورة العامة بسلطانه ما تقدم ، وجهرُوا بِإِسْلَامِهِ إِلَيْهِمْ ، وقد ولوه بسبب الثورة ، وطوّقوه كياد الأزمة . فَضَنَّ به السلطان ضنّاته ، أُعْرِبَتْ عن وفاقه ، وصان مُهْجَتَهُ . واستمر الأمر إلى أن خلع الملك عن الملك . وكان نزول [الوزير (٢)] المذكور تحت خفاوة شيخ الغزاة ، وكبير الخايفة . عثمان بن أبى العلى ، فانتقل محفوظ الجملة ، مخوط الوفر . ولم يَنْشِبْ إلى أن لجأ إلى العدو ، واتصل بالأمير أبى على عمر بن السلطان الكبير أبى سعيد ، فحرّكه . زعموا ، على مُحَادَّةِ أبيه ، وحمله على الانتزاع ، فكان ما هو معلوم من دُعَايِهِ إلى نفسه ، ومنازعة أبيه [(٣)] ، ولقايه إياه بالمقرمدة (٤) وقُلَّ جيشه . وفى أثنائه هلك المترجم به .

وفاته

توفى بفاس الجديد فى العشر الأول من شعبان عام أربع عشرة وسبعماية .

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم [النميرى] (٥)
من أهل وادى آش : يكنى أبا يحيى .
حاله

كان صَدْرًا شهيرا ، عالما علما ، حَسِيبًا ، أَصِيلًا ، جَمَّ التحصيل ، قوى

(١) وردت فى «ج» (دربا) . وبالتصويب من «الملكية» .

(٢) واردة فى «ج» وفى «الملكية» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الخاصرتين كلها ساقطة فى «الزيتونة» .

(٤) المقرمدة هى بلدة صغيرة تقع على مقربة من جنوب شرق فاس .

(٥) هذه الزيادة واردة فى «الملكية» .

الإدراك . مضطلماً بالعربية واللغة . إماماً في ذلك ، مشاركاً في علوم من حساب
وهيئة وهندسة . قال الشيخ . كان في هذا كله أبرعاً من لقيته ، إلى سَرََاوة
وفضل وتواضع ودين ، جاوراً في ذلك على سُنن سلفه . وعلو محمّده . جالسته .
رحمه الله . كثيراً عند [عليّة] ^(١) من أدركته بفرنّاطة ، لإقامته بها
[وتكرر لقائى إياه بها] ^(٢) وبغيرها ، فرأيت أصيلاً جليلاً ، قد جمع علماً
وفضلاً ، وحُسن خُلق ، وكان حَسَنَ التقييد ، لخصّه رونق يمتاز به . ويبعد
عن غيره ، وُلّى القضاء ببلده ، ثم ولى بعد مئة بئرُشانة ^(٣) فخدمت سيرته .

مشيخته

أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودى بن عبد الرحمن . وقرأ عليه
الغريب ^(٤) واللغة ، ولازمه في ذلك ، وأجاز له [إجازة] ^(٥) عامة . وأخذ
من غيره ببلده ، وصحب بفرنّاطة بجملة ^(٦) من العلماء بها . أيام اختلافه إليها ،
وإقامته بها .

توالياه

ألف كتاباً سماه « الاحتفال في استيفاء مال الخيل من الأحوال » ، وهو
كتاب ضخم وقفت عليه من قبله وأندثته . واختصر الغريب المصنّف . وله تقايد

(١) ساقطة في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (وتقرر لقائى إياه بها) .

(٣) برشانة وبالإسبانية Purchena بلدة أندلسية تقع على نهر المنصورة غربى مدينة المنصورة
وشمالى نهر المرية .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة . وقد تكون (جلة) .

منثور ومنظوم في علم النجوم . ورسالة في الإسطرلاب الخطي والعمل به . وشجرة
في أنساب العرب .

وفاته

توفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبع وخمسين وسبعماية ،

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد [بن إبراهيم بن
محمد]^(١) بن خاف بن محمد بن سليمان بن سوار بن
أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير^(٢) بن عيَّاش

المسكني بأبي عيشون بن حمود ، الداخذل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير ،
ابن عذبة بن حارثة بن العباس بن المرداس ، يكنى أبا البركات ، بلفيق^(٣)
الأصل ، مروي^(٤) النشأة والولادة والساف ، يعرف بابن الحاج ، وشهر الآن
في غير بلده بالبلفيقي ، وفي بلده بالمعرفة القديمة .

أوليته

قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس ، صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وأحد خطبايه وشعرايه . وريس في الإسلام . وريس في الجاهلية .
وكان لسلفه . وخصوصاً لإبراهيم من الشهرة بولاية الله ؛ وإيجاب الحق من خلقه

(١) الزيادة بين الحاصرتين من «الزيتونة» .

(٢) في «الزيتونة» (سعد) فقط .

(٣) بلفيق نسبة إلى بلفيق Belfiq وهي بلدة من بلاد ولاية ألمرية ، تقع جنوبي برشانة .
على مقربة من نهر المنصورة وشمالى نهر ألمرية .

(٤) مروي هنا نسبة إلى «ألمرية» .

ما هو مشهور ، حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ،
 كآبي بكر بن صُهيب ، وابن عمه أبي إسحاق ، وغيرهم ، الكثير ممن صنف
 في رجال الأندلس ، كآبي عبد المجيد المالقي ، وابن الأبار ، وابن طلحة ،
 وابن فرثون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ،
 فليُنظر هناك .

حاله

نشأة ببلده المرية عمود^(١) العفة ، فضفاض جلباب الصيانة ، غَضِيض طرف
 الحياء ، نَأَى جَنَبَ السَّلام ، حليف الانقباض والازورار ، آوياً إلى خالص النشَب
 وَبَجَتْ^(٢) الطَّعمة ، لا يُرى إلا في منزل من سألَه ، وفي حَلَقِ الأَسانيد ، أو في
 مسجد من المساجد خارج المدينة المَعْدَّة للتعبُد ، لا يجيء سوقاً ، ولا جمعا ، ولا
 وليمة ، ولا مجلس حاكم [أو وال]^(٣) ، ولا يلبس أمراً من الأمور ، التي
 جرت عادته أن يلبسها بوجه من الوجوه . ثم تَراعى إلى رحلَةٍ^(٤) ، فجالس خلال
 القطر الغربي إلى بجاية ، نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقنيده ،
 وأخذ قِيام ذكر ، وإغفال شهرة . ثم صرف عِنايته إلى الأندلس ، فتصرف
 في الإقراء ، والقضاء ، والخطابة . وهو الآن نسيجُ وَحْدِهِ في أصالة عريقة ، وسجِّية
 على السلامة مَفْطُورَة [فما شئت من صدر سليم ، وعَقْدٍ وثيق ، وغُورٍ قريب ،
 ونُصْحٍ مَبْدُول ، وتصنُّع مرفُوض]^(٥) ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ،

(١) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وتحت) وهو تعريف .

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (حلة) والتصويب من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

ودمة سريعة . وهزل يُشمر تجلّة . وانبساط يفيد حُسن نية . إلى حُسن العهد ، وفضل المشاركة ، ورقة الحاشية ، وصلابة العود ، وصدق العزيمة ، وقوة الحامية ، وبلاغة الموعظة ، وجلّة الوقت . وفايدة العصر ، تفنناً وإمتاعاً ، فارس المنابر غير الهَيَّابة ، ولا الجزوع ، طيب النغمة بالقرآن ، جُهِشاً في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياح الأوقات ، [مُدْمعا على الفينة]^(١) ، جُحماً ، مُحَوّلاً في رياسة الدين والدنيا . هذا ما يُساع في الإيجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكفي فيه الإلماع والإشارة ، أبى الله شيخنا أبا البركات .

مشيخته . ولايته

تقدم قاضياً بقنالش^(٢) ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر ومِيع مائة^(٣) . ثم ولى مَرَبَلَة ، وإِسْتَبُونَة^(٤) . ثم كانت رحلته^(٥) إلى بجاية . ثم عاد فقدم بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مُسَلَّم ، مُتَّفِقا على اضطلاع به بذلك . ثم رحل إلى فاس . ثم آب إلى الأندلس ، واستقر ببلده المرية ، فقدم بمسجدها الجامع للإقراء [ثم قُدِّم قاضياً ببرجة ودلاية ، والبيبول^(٦) وفنيانة^(٧)] ، ثم نقل

(١) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) قنالش من بلاد وادى المنصورة في شمال ولاية المرية ، وتقع على مقربة من بلفيق بلد ابن الحاج .

(٣) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (خمس وسبعمائة) .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرية) وهو تحريف . ومربله وبالإسبانية Marbella هي ثغر أندلسي صغير يقع على البحر المتوسط جنوب غربى مالقة . وإستبونة أو إشتبونة تقع بعدها على الشاطئ . وقد سبق التعريف بها .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ولايته ورحلته) .

(٦) Berja من بلاد ولاية المرية وتقع غربى ثغر المرية . ودلاية Dalias تقع جنوب شرق برجة . والبيبول Albinol من بلاد ولاية مالقة ، وتقع غربى النهر الأحمر وشمال شرق مزيل .

(٧) فنيانة هي بلدة صغيرة من بلاد ولاية المرية تقع جنوب شرق وادى آش .

عنها إلى بيرة^(١) ، ثم غربي المرية^(٢) . ثم قُدِّم قاضياً بمالقة ، ثم قُدِّم بغربها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء المرية ، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصايغ . ومن كتاب «طرفة العصر»^(٣) . من تأليفنا في نهر ولايته ما نصه :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبع وأربعين وسبعماية ، ثالث يوم وصوله مُسْتَدْعَى ، وانتابه^(٤) الطلبة : ووجوه الحضرة والدولة ، مهتئين بمشواه من دار الصيانة ، ومحل التجلُّة ، إحدى دور الملوك بالحراء ، فطَفِقُوا يَقْشُونَهُ [بها]^(٥) زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا ، فِي لِمَاحَةِ الْخَيْرِ ، وَلِهَامِ السَّدَادِ ، وَتَسْوِيقِ الْمَوْهَبَةِ . وكان وصوله ، وَالْأَفُقُ قَدْ اغْبَرَّ ، وَالْأَرْضُ قَدْ اقْشَعَرَّتْ لَانْصِرَامِ حَظٍّ مِنْ أَيَّامِ الشَّتَاءِ الْمَوَافِقِ لَشَهْرِ وَلَايَتِهِ ، لَمْ يَسِحْ فِيهِ الْغَمَامُ بِقَطْرَةٍ ، وَلَا لَمِعَتْ السَّمَاءُ بِنَزْعَةٍ ، حَتَّى أَضْرَّتْ^(٦) الْأَنْفُسُ الشَّحَّ ، وَحَسَرَ الْعُسْرُ عَنْ سَاقِهِ ، وَتَوَقَّفَتْ الْبُذُورُ ، فَسَاعَدَهُ الْجَدُّ بِنَزُولِ الرِّيحَةِ عِنْدَ نَزُولِهِ مِنْ مِرْقَاةِ الْمَنْبَرِ ، مُجَابَةً دَعْوَةِ اسْتِسْقَايِهِ ، ظَاهِرَةً بَرَكَةً خَشُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ مَا أُنْشِدْتُهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ :

ظَمِئَتْ إِلَى السَّقْيَا الْأَبَاطِحُ وَالرُّبَا حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عُلَمَاءَ مُجَدِّبًا
وَالغَيْثَ مَسْدُولَ الْحَجَابِ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَمَامِ قَدُومُكُمْ فَنَادِبًا
وَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي الْأَحْكَامِ فَأَجَالَ قَدَاحَهَا ، مَضْطَلَعًا بِأَصَالَةِ النَّظَرِ : وَإِرْجَاءِ
الْمُشْهِبَاتِ ، وَسَالَكِ فِي الْخُطَابَةِ طَرِيقَةً مُثَلًى ، يَفْرَغُ فِي قَوَالِبِ الْبَيَانِ أَغْرَاضَهَا ،

(١) بيرة بلدة صغيرة تقع شمال شرق المرية على مقربة من مصب نهر المنصورة .

(٢) ما بين الحاصرتين واردة في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) قد تم التعريف به في مقدمة المجلد الأول . وعنوانه الكامل «طرفة العصر في تاريخ

دولة بني نصر» . ولم تصلنا منه أية نسخة مخطوطة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وانتبه) و «الملكية» (وانتباه) وهو تحريف .

(٥) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

وَيُتَرَف على الأحكام السكواين والبساطات أساليبها. من المحاكاة^(١). باختلاف
التبض والبسط. والوعد والوعيد. حظوظها على تبض العدل. وسبب الصواب
يقوم على كثير^(٢) مما يصنع به، من ذلك شاهد البدئية ودليل الاستيعاب.
قال شيخنا أبو البركات: ثم صُرِفَتْ عنها للسبب المتقدم. وبقيت مقيما بها،
لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية، ثم أُعدت إلى القضاء والخطابة بالمرية، وكتب
بذلك في أوائل رجب عام تسعة^(٣) وأربعين. وبقيت على ذلك إلى أن صُرِفَتْ
بسبب ما ذكر. ثم أُعدت إليها في أواخر رجب سنة ست وخمسين. عسى
أن يكون الانقطاع لله سبحانه. فانا الآن آتمثل بما قاله. أبو مطرف^(٤) بن عميرة
رحمه الله:

قد نُسبنا إلى الكتابه يوماً^(٥) [ثم جاءت^(٦) خطّة القضاء تليها
وبسكل لم نُطق للمجد إلا^(٧) منزلاً نايماً وعيشاً كريها
نسبةً بدلت فلم تتغير مثل ما يزعم المهندس فيها
بدل من لفظ الكتابة إلى الخطابة. وأغرب ما رأيت ما أحكى لك،
وأنت أعلم ببعض ذلك، أن أفضل ما صكّر عني في ذلك، الخطة من العمل
الذي أخلصتُ لله فيه، ورجوت منه المثوبة عليه، وفيه مع ذلك مفتخر

-
- (١) هكذا في «ج» و «الملكية». وفي «الزيتونة» (المحاكمات).
(٢) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة». وفي «ج» (الكثير).
(٣) هكذا في «ج». وفي «الملكية» و «الزيتونة» (سبعة).
(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وهي ترسم عادة (أبو المطرف).
(٥) وردت هذه الشطرة في ترجمة ابن عميرة في المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٧٧)
كالاتي: (قد عكفنا على الكتابة حيناً).
(٦) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (واصلت).
(٧) وردت هذه الشطرة في ترجمة ابن عميرة كالاتي (وبكل لم يبق للجهد إلا) (المجلد الأول
ص ١٧٧).

لمن أراد أن يفتخر [غير]^(١) ملّفت للدينا ، فعلية عولت سبحانه .
انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلى بخطه [ما نصه] . وهو فصل من فصول : وأما تواليه فأكثرها ،
أو كلها غير مُتَمِّمة . في مُبَيَّضَات . منها كتاب ، قد يَكْبُو الجواد في أربعين
غلطة [عن أربعين من النقّاد ، وهو نوع من تصحيف الحُفَاط للدارقطني ، منها
صَلَوَةُ الْخَاطِر]^(٢) فيما أَشْكَل من نِسْبَةِ النَّسَب الرَّئِيبِ إِلَى الذَّاكِر . ومنها كتاب
« قَدَرُ جَمِّ فِي نَظْمِ الْجَمَل » . ومنها كتاب « خَطَرُ قَبْطَر » ، ونَظَرُ فَحْظَر ، على تنبيهات
على وثائق ابن قُتَيْبَةَ . ومنها كتاب « الإِفْصَاحُ فِيْمَنْ عُرِفَ بِالْأَنْدَلَسِ بِالصَّلَاحِ » .
ومنها « حَرَكَةُ الدُّخُولِيَّةِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمَالِيقِيَّةِ » . ومنها خَطَرَةُ الْمَجْلِسِ فِي كَلِمَةٍ وَقَعَتْ فِي
شعرِ اسْتَنْصَرِبِهِ أَهْلُ الْأَنْدَلَسِ ، جزء صغير . ومنها « تَارِيخُ الْمَرْيَّةِ » غير تام .
ومنها ديوان شعره المسمى « بِالْمَذَبِ وَالْأَجَاجِ فِي شِعْرِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ابْنِ الْحَاجِ » .
ومختصرة سَمَاءِ الْقَاضِي الشَّرِيفِ « اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ اللَّذَانِ مِنَ الْعَذْبِ وَالْأَجَاجِ
يُسْتَخْرَجَانِ »^(٣) . ومنها « عَرَايسُ بَنَاتِ الْخَوَاطِرِ الْمَجْلُوءَةِ عَلَى مَنَصَّاتِ الْمُنَابِرِ » يحتوي
على فصول الخطب التي أنشئت بطول بني والخطابة . ومنها « الْمُؤْتَمَنُ عَلَى أَنْبَاءِ
أَبْنَاءِ الزَّمَنِ »^(٤) . ومنها تَأْلِيفٌ [فِي]^(٥) أَسْمَاءِ الْكُتُبِ ، والتَّعْرِيفُ بِمُؤَلِّفِهَا ،

(١) الزيادة من «الملكية» .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذا العنوان هو كما ورد في «ج» وفي «الزيتونة» . ولكن المقرئ يورده لنا في «نفع

الطيب» كالآتي : (اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات الحاج يستخرجان» .

(٥) ورد هذا العنوان في «الملكية» كالآتي : (المستومان على أبناء الزمان) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

على حروف المعجم . ومنها « ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات » ومنها كتاب « ما رأيتُ وما رُئى لى من المقامات » . ومنها كتاب « المرجع بالدُّرك على من أنكر وقوع المشترك » ومنها « مُشَبَّهَات اصطلاح العلوم » . ومنها « ما كثر وروده فى مجلس القضاء » ^(١) . ومنها « الفَلَسِيَّات » ، وهو ما صدر عنى من الكلام على صحيح مُسلم أيام التكلّم عليه فى النّعلّيس . ومنها « الفصول والأبواب ، فى ذكر من أخذ عنى من الشيوخ والأتباع والأصحاب » .

ثم قال ، وقد ذهب شَرَحُ الشُّبَاب ونشاطه ، وتقطّعت أوصاله ، ورَحَلَ رِباطه ، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإهمال والإغفال ، وقلة المبالاة التى لا يصل أحدُها إلى مَنال . وهذه الأعمال لا يُنَشِطُ [إليها إلا] ^(٢) الحرُّ كَلت التى هى مفقودة عندى ، أحدها طلبةُ مجتمعون متعطّشون إلى ما عندى ، منشوّفون غاية التّشوّف ، وأين هذه بالمرية . الثانى ، طلبُ رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحدُهم هذا اليوم ، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محالٌ فى عادة هذا الوقت ، فالتشوّف لهذه الرياسة مفقود عندى . الثالث ، سلطانٌ يَلاُ يد من يظهر مثل هذا ، على يده غبطة ، وما تم هذا . الرابع ، نيةٌ خالصة لوجه الله تعالى فى الإفادة . وهذا أيضاً مفقود عندى ، ولا يد من الإنصاف . الخامس : قَصْدُ بقاء الذِّكْر . وهذا خيال ضعيف بعيد ^(٣) عنى . السادس ، الشفقة على شيء ابتدى : [وسعى فى] ^(٤) تحصيل مبادئه ، أن يضيع على قُطْع ما سوى هذا الإشفاق ، وهذا السادس ، هو الذى فى نفسى منه شيء ، وبه أنا أقيد أسماء من لقيت : وما أخذتُ : ويكون إن شاء الله

(١) هذا العنوان وارد فقط فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هاتين الكلمتين ليستقيم السياق . ووردت مكانهما فى المخطوطات الثلاثة (ال) وهى لا تكفى لربط المعنى .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (بعد) . والتعويّب أرجح .

(٤) وردت فى «ج» (ونعوي) وفى «الزيتونة» (ونعى فى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

إبراز^(١)] إذا [(٢) الصَّحْفُ نُشِرَتْ . وأكثَرُ زَمَانِي يَذْهَبُ فِي كَيْفِيَةِ الْخُرُوجِ عَمَّا أَنَا فِيهِ ، فَإِذَا يَنْظُرُ إِلَى الْعَاثِلِ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ ، لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا الشَّقَّةَ عَلَى . وَالرَّحْمَةُ لِي . فَإِنَّهُ يَرَى رَجُلًا مُطَرِّقًا أَكْثَرَ نَهَارِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى مَالِهِ ، فَلَا يَنْشُطُ إِلَى إِصْلَاحِهِ . وَهُوَ سَابِعُ^(٣) وَلَا يَلْبَسُ بِالْعِبَادَةِ . وَهُوَ فِي زَمَانِهَا الْمُقَارِبِ لِلْفَوْتِ ، وَلَا يَنْهَضُ إِلَى إِقَامَةِ حَقِّ كَمَا يَنْبَغِي لِعَدَمِ الْمُعِينِ . وَلَا يُنَجِّحُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ رَاحَاتِ الدُّنْيَا ، وَيَشَاهِدُ مِنْ عُلُومِ الْبَاطِلِ^(٤) الَّذِي لَا طَاقَةَ لَهُ عَلَى رَفْعِهِ . مَا يُضَيِّقُ صَدْرَ الْحَرِّ] يَقْضَى [(٥) نِصْفُ النَّهَارِ ، مُحْتَمِلًا^(٦) فِي مَكَانٍ غَيْرِ حَسَنٍ . تَارَةً يُفَكِّرُ ، وَتَارَةً يَكْتَسِبُ مَا هُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ أَنَّهُ كَذَا لَا يُنْتَفِعُ بِهِ . وَنِصْفُ النَّهَارِ يَقْعُدُ لِلنَّاسِ ، تَارَةً يَرَى مَا يَكْرَهُ ، وَتَارَةً يَسْمَعُ مَا يَكْرَهُ ، لَا صَدِيقَ يُذَكِّرُهُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَلَا صَدِيقَ يُسْلِيهِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، يَكْفِينِي مِنْ هَذِهِ الْغَزَاوَةِ^(٧) . اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي بِأَمْرِ يَدِهِ الْخَلْقِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

شعره

مِنْ مُطَوَّلَاتِهِ فِي النِّزْعَةِ الْغَرْبِيَّةِ [التِّي]^(٧) أَنْفَرْدُ بِهَا ، مَنْقُولًا مِنْ دِيْوَانِهِ . قَالَ . وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ بِسَبْتَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ عَامٍ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فِي وَصْفِ حَالِي ، وَأَخَذَهَا عَنْي الْأُسْتَاذُ بِسَبْتَةِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي ، وَالْأَدِيبُ الْبَارِعُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسِينِي ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَزْبِ اللَّهِ ، وَسَوَاهِمُ . وَلَمَّا انْفَصَلْتُ مِنْ

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت هنا للترقيم ، أي سابع الأمور .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٥) وردت (محتمل) في المخطوطات الثلاثة . قلزم التصويب .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة وربما كانت (الغزارة) .

(٧) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

منبئة إلى بلاد الريف^(١) زدت عليها إبياتا في أولها وكثر ذلك بوادي لو^(٢) من بلاد الريف وهي :

تأسفتُ لا كن حين عزَّ التأسف ورام سكوتاً وهو في رَجُل طائر
أراقب قلبي مرة بعد مرة سقيم ولا كن لا يحسُّ بدايه
وجاذب^(٣) قلباً ليس يأوى لآلف وأعجب ما فيه استواء صفاته
إذا حلت الضراء لم ينفع لها مناهيه لم تبد غاية أنوره
فما أنا من قوم قصارى همومهم ولا لي بالإسراف فكرٌ محدث
ولا أنا ممن لهوهُ جلَّ شأنه ولا أنا ممن أنسه غاية المني
ولا أنا ممن تزدنيه مصانع ولا أنا ممن همهُ بجمعها فإن
على أن دهري لم تدع لي مروه

وكفكتُ دمعاً حين لا عين تذرف ونادى بأُنى والمنازل تعنف
فألفيه ذياك الذى أنا أعرف سوى من له في مآزق الموت موقوف
وعالج نفساً داؤها يتضااعف إذ اللهم يشقيه أو السرُّ يَنزِف^(٤)
وإن حلت السراء لم يتكئف فؤادٌ لعمرى لا يرى منه أطرف
بنوهم وأهلهم ونوب وأرغف سيغدو حبيبى أو سيشعر مطرف
بروض أنيق أو غزال مُهفف بصوتٍ رخيم أو نديم وفرق
ويُسبىهُ بُستان ويلميه مُحَرَّف تراءت يئب^(٥) بسعى لما وهو مُرجف
من المال إلا مسحة أو مجلف

(١) بلاد الريف هي المنطقة التي تقع بالمغرب الأقصى جنوبى الطرف الأخير من البحر المتوسط قبل امتداده شمالاً إلى ثغر سبتة ، وتسكنها قبائل غمارة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وادي آش) وهو تحريف واضح لأن وادي آش من مدن الأندلس .

(٣) في «الزيتونة» (وجاوب) .

(٤) وردت في «ج» يترف . والتصويب من «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (ثبت) . والتصويب من «الملكية» .

ولا أنا ممن هذه الدار هم
ولا أنا ممن للسؤال قد انبرى
ولا أنا ممن نبح الله سعيهم
فلا في هوى أضى إلى الله وقائدا
أحارب دهرى في تقيض طباعه
وأظنه شزرا بأصلف ناظر
وأضبطه ضبط المحدث صحفه
ويأخذ منى كل ما عز نيسله
أدور له في كل وجه لعلنى
ولما ينسنا منه تهنا ضرورة
تكأفت قطع الأرض أطلب مآلوه
وخاطرت بالنفس العزيزة مقدما
وصرفت نفسى في شئون كثيرة
وخضت لأنواع المعارف أبجرا
ولم أحل من تلك المعانى بطايل
وقد مر من عمرى الألد وها أنا
وإنى على ما قد بقى منه إن بقى
أعد ليالى العمر والفرص صومها^(١)

وقد غره منها جمال وزخرف
ولا أنا ممن صار عنه التعطف
فهمهم فيها مصلى ومصحف
ولا فى تقي أمسى إلى الله بزلف
وحربك من يتقى عليك تعجرف
فيعرض عني وهو أزهى وأصلف
فيخرج فى التوقيع أنت المصحف
ويبدو بجلى منه فى الأخذ مخف^(١)
سأنبته وهو الذى ظل يحذف
فلم تبق لى فيها عليه^(٢) تشوف
لنفسى فما أجدى بتلك التكلف
إذا ما تخطى النصل قصد مرهف
لحظى فلم يظفر بذاك التصرّف
ففى الحين ما استجرتها وهى تترف^(٣)
وإن كان أهلها أطالوا وأسرفوا
على ماضى من عهد أتلّف
لحرمة ما قد ضاع لى أتخوف
وحسبك من فرض الحال تعسف

(١) هكذا فى «الملكية». وفى «ج» (بختف). وفى «الزيتونة» (مخفف) والأولى أرجح.

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» و «الملكية» (عليها).

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة». وفى «الملكية» (تنزف).

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «الملكية» و «ج» (طولها).

تعارض آمالاً عليها يُذَيِّفُ^(٢)
تُبَدِّلُ في تَحْدِيثِهَا وتُحَرِّفُ
وبعدُ يحثُّ الزَّهْدُ لِي والنَّشْطُ
أَفِي قَرْنِي الضَّادِينَ يَبْقَى التَّسْكُفُ
ولكن لَهْمُ الحَالِ إِذْ ذَاكَ لَمْ يُفُ
يَغْضُ وَبَعْضُ يُرَى نَمَّ يَصْدُفُ
وبعضُ بما قد رَأَيْتَهُ^(٦) يَتَوَقَّفُ
مُقْتَضَى العَقْلِ الَّذِي عَنْهُ يَتَوَقَّفُ^(٧)
على غير مَا تَحْدُوهُ يَحْنُو وَيَخْصِفُ
ولا هُوَ يُرَى لِي ولا هُوَ يَعْنِفُ
عَرَفْنَا وَكُلُّ مَنْهُمْ أَيْسَ يَعْرِفُ
[وَحَطُّوا الدُّنْيَةَ مِنْ عِلِيلٍ وَأَنْصَفُ]^(٩)
ولم يَعْرِفُوا أَغْوَارَهَا وَهِيَ تَتَكَفُّ
ومثلي عن تَمَكُّ الحَقَائِقِ يَكْشِفُ

على أَنهَا إِنْ سَلَمْتُ جَدَّ لَيْلِي^(١)
تُحَدِّثُنِي الْأَمَالَ وَهِيَ كَدِينُهَا^(٢)
بَأَنِّي فِي الدُّنْيَا سَأَتَضَى مَآرِبِي
وَتَلَكْ أَمَانٌ [لَا حَقِيقَةَ]^(٤) عِنْدَهَا
وَرَبِّ أَخِلَاءٍ^(٥) شَكُوتُ إِلَيْهِمْ
فَبَعْضُهُمْ يُبْزَى عَلَى وَبَعْضُهُمْ
وَبَعْضُهُمْ يَوْمِي إِلَى تَعْجَبًا
[وَبَعْضُهُمْ يُبَلِّغُنِي جَوَابَهُ عَلَى
يَسْرَةٍ اسْتِمَاعًا نَمَّ يَغْدُو إِجَابَةً
[وَلَا هُوَ يَبْدِي لِي عَلَى تَعْقُلًا]^(٨)
رِمَا أَمَرْنَا إِلَّا سَوَاءً وَإِنَّمَا
فَلَوْ قَدْ فَرَعْنَا مِنْ عِلَاجِ نَفُوسِنَا
أَمَالُهُمْ مِنْ عِلَّةٍ أَرَمَتْ بِهِمْ
وَحُضْنَاهُمْ فِي الْكِتَابِ^(١٠) عَنْ كُنْهٍ أَمْرِهِمْ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» و «الملكية» (جد ليلة).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (تثيف).

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (كربنها).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (حقيقة).

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الحلا). والتصويب من «الملكية».

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وربما كانت (رايه).

(٧) هذا البيت وارد في «ج» و «الزيتونة» وساقط في الملكية.

(٨) هكذا وردت هذه الشطر في «الملكية». وردت في «ج» و «الزيتونة» (فلا هو يبدى

من تعقل على).

(٩) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة مع تحريفات يسيرة في كل منها..

(١٠) هكذا وردت في «ج» و «الملكية». وفي «الزيتونة» (الكتاب).

وَصَنَّفْتُ فِي الْأَفَاتِ كُلِّ غَرِيبَةٍ
وَلَيْسَ عَجِيبًا مَنْ تَرَكَّبَ جَهْلًا م
إِذَا جَاءَنَا بِالْخُفِّ مِنْ تَزْوِ عَقْلِهِ
فَمَا جَاءَنَا إِلَّا بِأَمْرٍ مُنَاسِبٍ
وَلَا كُنْ عَجِيبُ الْأَمْرِ عَلَمِي وَغَفْلَتِي
إِلَّا أَنَّهَا الْأَقْدَارُ يَظْهَرُ سِرُّهَا
أَيَّارِبُ إِنْ أَلَبَّ طَاشُ بِمَا جَرَى
وَأَنَا لِنَدْعُوهُمْ وَنُخْشِي وَإِنَّمَا
أَقُولُ فِي أَثْنَاءِ مَا أَنَا قَائِلُ
وَإِنِّي مَعَ السَّاعَاتِ كَيْفَ تَقَلَّبْتُ
وَمَا جَرَّ ذَا التَّشْوِيفِ إِلَّا شَيْبَتِي
إِذَا جَاءَ يَوْمٌ قُلْتُ هُوَ الَّذِي يَلِي
أَقْدَمُ رَجُلًا عِنْدَ تَأْخِيرِ أَخْتِهَا
[كَأَنِّي لَدَانِي الْمَرَاقِدَ مِنْهُمْ]^(١)
وَهَبْنِي أَعِيشْ هَلْ إِذَا شَابَ مَفْرَقِي
وَكَيْفَ وَاسْتَدْعَى الْبَارِيقَ رِيَاضَةً
مَتَى يَقْبَلُ التَّتَوُّمَ غَيْرَ عَطُوفَةٍ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ظُهُورَةً^(٢) سِرَّهُ

فَجَاءَ كَمَا يَهْوَى الْغَرِيبُ الْمُصَنِّفُ
فَإِنْ يَحْجِبُوا عَنِّي مِثْلَ ذَلِكَ وَحَرِّفُ^(١)
إِذَا مَا مِثْلُنَا أَرْهَى وَأَسْخَفَ
أَيْنَهُضُ عَنْ كَفِّ الْجَبَانِ الْمُنْفَتِّ
فَدَيْتُكُمْ أَيُّ الْحَاسِنِ^(٢) أَوْ كَشِفَ
إِذَا مَا وَفَى الْمَتَدَوِّرُ فَالْأَرَى يَخْلَفُ
بِهِ قَلَمُ الْأَقْدَارِ وَالْقَلْبُ يَرْجِفُ
عَلَى رَمْحِكَ الشَّرْعِي مِنْ لَكَ يَعْكَفُ
رَأَيْتُ الْمُنَاسِبَ أَيْهَا وَهِيَ لِي تَتَخَفُ
لَأَسْهَرُهَا مِنْ فَوْقَ مُتَهَدِّقِ
تُخَيِّلُ لِي طَوْلَ الْمَدَى فَاسْوِّفُ
وَوَقْتُكَ فِي الدُّنْيَا جَلِيسٌ مُخَفِّفُ
إِذَا لَاحَ شَمْسٌ فَالْنَفْسُ تَكْنِفُ
وَلَمْ أُوَدِّعْهُمْ وَالْخَضُّ رِيَّانٌ يَنْسِفُ
وَوَلَّى شَبَابِي هَلْ يُبَاحُ التَّشْوِيفُ
وَتِلْكَ عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ تُوظَّفُ
وَبِي بَعْدُ حَسًّا فَالْنَّارُ تَنْسِفُ
إِذَا مَا دَنَا التَّدْلِيسُ هَانَ التَّنْظِيفُ

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخطون) .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (كان لَدَانِي لمرائد منهم) .

وهذا لا يستقيم مع الوزن .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (ظهوره) .

أَمَرْنِي الْأَسَارَى أَنْتِ أَوَّلِي بِمَذَرِمٍ وَأَنْتِ عَلَى الْمَمْلُوكِ أَحَقُّ وَأَعْظَمُ
 قَدْ فُتْنَا بِلُجِّ الْبَحْرِ وَالْقَيْدِ أَحَدُ بَارِجَانَا وَالرَّيْحِ بِالْمَوْجِ تَمِصُفُ
 وَفِي السَّكُونِ مِنْ سِرِّ الْوُجُودِ عَجَائِبُ أَهْلُ عَلَيْهَا الْعَارِفُونَ وَأَشْرَفُ
 وَكَمَتْ (١) عَلَيْهِمْ نَكْثَةُ (٢) فَتَأَخَّرُوا وَدَدْتُ بِأَنْ الْقَوْمَ بِالْكُلِّ أَسْعَفُ
 فَايَسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَحْطَّ رَقَابِنَا بِأَبْوَابِ الْأَسَدِ سَلَامَ اللَّهِ يَلْطَفُ
 فَهَذَا سَبِيلُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ غَيْرُهَا وَإِلَّا فَاذَا يَسْتَطِيعُ الْمُكَلَّفُ
 وَقَالَ ، وَضَمَّهَا مَحَاوِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَقَيَّدَهَا عَنْهُ زَوَالِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ
 التَّاسِعَ وَالْعِشْرِينَ لِحَرَمِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ (٣) وَسَبْعِمِائَةٍ ، بِرَابِطَةِ الْعُقَابِ (٤) ، مُتَعَبِدِ
 الشَّيْخِ وَلِيِّ اللَّهِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَمِنْهَا :

يَأْنِي شَجُونُ حَدِيثِي الْإِفْصَاحِ إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِ الْأَوَاحِ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ [إِذْ مَرَّتْ] (٥) بِهَا أَفْلا تَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحِ
 [فَاجِبَتْهُمَا لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ (٦) لِي] مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغُدُوِّ رَوَاحِ (٧)

(١) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (ركعت) .

(٢) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (نكتة) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (خمس وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، لأن هذا التاريخ المتأخر يوافق أواخر أيام ابن الخطيب بالمغرب قبيل مصرعه بوقت يسير .

(٤) رابطة العقاب كانت إحدى الروابط التي تخصص للعبادة ، وكانت تدفع على مقربة من غرناطة . وأبو إسحاق الإلبري هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الإلبري ، وهو فقيه ورع وشاعر غرناطي توفي في أواخر سنة ٤٥٩ هـ واشتهر بقصيدته في التحريض على البطش باليهود أيام باديس بن حيوس ملك غرناطة بعد أن اشتد طغيانهم ، وكان من أثرها أن قام الشعب الغرناطي وفتك باليهود وذلك في صفر سنة ٤٥٩ (راجع كتابي دول الطوائف (الطبعة الثانية) ص ١٣٥ و ١٣٦) .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (عندما مرت) ، وهو لا يستقيم مع وزن الشعر . فلزم التصويب .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية» . مع إضافة كلمة إلى . ووردت محرفة في «ج» (فاجبت لولا أن الرقيب لكان لي) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (رباح) .

قالت وهل في الحى حى غيرنا
فأجبتنا إن الرقيب هو الذى
وهو الشهيد على موارد عبده
قالت وأين يكون وجود الله إذ
فأفرح بإذن الله جل جلاله
وانهج على ذم الرجال ولا تخف
وانزل على حكم الشرور ولا تبيل
واخلع عذارك فى الخلاعة يا أخى
وانظر إلى هذا النهار فمنه
أنواره ضحكك وأترع كأسه
وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمة
فأجبتنا لو كنت تعلم ما الذى
ما كان معنى غامض من أجله
حتى لقد سكرنا من الأمر الذى
لعدرتنى وعلمت أنى طالب
فاترك صفك^(٢) قارعا باب الرضى
يا حى حى على الفلاح وخلقى
وقيدت من خطه فى جملة ما كتب إلى مانصه :

ومما نظمته بفرناطة ، وبعضه ببرجة^(٤) ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتبه
لك ، وهو غريب المنزع ، وإنه السكا قال :

(١) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٤) سبق التعريف بها .

خُذْهَا عَلَى رِغْمِ فَقِيهِهِ سُلَافَةٍ
 أَبَدَى أَطْبَاءِ الْقُلُوبِ لِأَهْلِهَا
 وَإِذَا امْرُؤٌ ^(٢) قَالَ فِي نَشْوَانِهَا
 يَا قُوَّةُ ^(٤) دَارَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا
 مُزِجَتْ فَعَارُ الشَّيْخِ مِنْ تَرْكِهَا
 فَبَدَتْ فَعَارُ الشَّيْخِ مِنْ إِظْهَارِهَا
 لَا تَعْتَرِضُ أَبَدًا عَلَى مُسْتَرْفِدٍ
 وَكَذَلِكَ لَا تَعْتَبُ عَلَى مُسْتَهْتَرٍ
 سَكْرَانٌ ^(٦) يَعْتَرُ فِي ذِيُولِ لِسَانِهِ
 كَمُ الْهَوَى حَرْبُ بَعْضٍ وَبَعْضٍ
 لَا تَخْشِينِ عَلَى الْعَدَالَةِ هَاتِفًا
 الْحُبُّ خَيْرُ الْعَارِفِينَ وَقَدْ صَفَتْ
 فَاشْطَحَ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ وَأَهْلُهُ
 كَبُرُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مَوْتَى عَلَى
 وَاهِزًا بِهِمْ فَتَى يَقُولُ نَصَحَاؤُهُمْ
 وَإِذَا أَوْيَبُهُمْ ^(٨) اسْتَخَفَّ فَقُلْ لَهُ
 تُجَلِّي بِهَا ^(١) الْأَقْمَارُ فِي شَمْسِ الضُّحَى
 مِنْهَا شَرَابًا لِلنَّفُوسِ مُبَرِّحًا
 [قُلْ أَنْتَ] ^(٣) بِالْإِخْلَاصِ فِي مَنْ قَدْ صَحَا
 فَاهْتَزَّتْ الْأَقْدَامُ مِنْهَا وَاللِّحَا
 فَلِذَاكَ جَرَّدَهَا وَصَاحَ وَسَرَّحَا
 فَاشْتَدَّ يَبْتَدِرُ الْحِجَابَ مُلَوِّحَا
 قَدْ غَارَ مِنْ أَسْرَارِهَا ^(٥) أَنْ يُفْضَحَا
 لَمْ يَدْرِ مَا الْإِيضَاحُ لَمَّا أَوْضَحَا
 كُفْرًا وَيَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ سَبَحَا
 ضَاقَ ذُرْعًا بِالْغَمِّ رَامَ فَبَرَّحَا
 نَغْرَ ^(٧) أَوْتِيَا حِ الْعَاشِقِينَ فَجَرَّحَا
 حَمًا عَلَى مَنْ ذَاقَهَا أَنْ يَشْطَحَا
 عَجَبًا فَلَيْسَ بِرَاجِحٍ مِنْ رَجَا
 غَيْرِ الشَّهَادَةِ مَا أَغْرَّ وَأَقْبَحَا
 أَهْبِجْ فَقُلْ حَتَّى الْآلِقِ مُفْلِحَا
 بِاللَّهِ يَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى دَعَّ جِحَا

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (به).

(٢) وردت في «ج» (المراي). وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المرو). وبالتصويب أرجح.

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (ما أنت).

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (يا قوة). وبالتصويب يستقيم الوزن والمعنى

اللاحق.

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي الزيتونه (استارها).

(٦) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (بسكران).

(٧) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (نقر).

(٨) وردت في «ج» وفي «الملكية» (زهره).

أَبْنَى سُلَيْمٍ قَدْ نَجَا مَجْنُونَكُمْ مَجْنُونَ إِلَى الْعَارِفِينَ بِهِ قَدْ حَا
 هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَمْ يُبْحَ بِحَبِيبِهِ مَعَ مَنْ يَذْكُرُ حَبِيبَهُ قَدْ أَفْضَحَا
 فَافْرَحَ وَطِبَّ وَابْتَهَجَ وَقُلْ مَا شِئْتُ مَا أَمْلَحَ الْفُقَرَاءَ يَا مَأْمُوحًا (١)
 وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ الَّتِي هِيَ آيَاتُ الْعَجَائِبِ ، وَطَرُرُ حَالِ الْبِدَايِعِ فِي شَقَى الْأَغْرَاضِ
 وَالْمُقَاصِدِ ، قَوْلُهُ يَعْتَذِرُ لِبَعْضِ الْمُلْكَةِ ، وَقَدْ اسْتَدْبَرَهُ (٢) بِيَعُضْ خُلُقِ الْعَالَمِ بِسَبْتِنَةِ :
 إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتُ بِصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانَهَا
 لَا عَرَّوْا أَنِّي لَمْ أَشَاهِدْكُمْ فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِنْسَانَهَا
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي غَرَضِ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي مَنَاهُ :

يَلُومُونَنِي بَعْدَ الْعِذَارِ عَلَى (٣) الْهَوَى وَمِثْلِي فِي وَجْدِي لَهُ (٤) لَا يَفْنَدُ
 يَقُولُونَ لِي أَمْسَكَ عَنْهُ قَدْ ذَهَبَ الصَّبَا وَكَيْفَ يُرَى الْإِمْسَاكُ وَالْخَيْطُ أَسْوَدُ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمَجْنُونَاتِ (٥) ، وَهُوَ مِنَ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ :

وَصُفْرَةٌ اتَّخَذِينَ مَطْوِيَّةَ الْحِشَا عَلَى الْجَبِينِ وَالْمُصْفَرُّ يُوْذَنُ بِالْخَوْفِ
 لَهَا هَيْئَةٌ (٦) كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَسْكَهَا فِي الْحَيْنِ تَقَرُّبُ فِي الْخَوْفِ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي النَّصِيحِ ، وَلَهَا حِكَايَةٌ تَقْتَضِي ذَاكَ :

لَا تَبْدُلَنَّ نَصِيحَةً إِلَّا لِمَنْ تَلْقَى لِبَدَلِ النَّصِيحِ مِنْهُ قَبُولًا
 فَالنَّصِيحُ إِنْ وَجَدَ الْقَبُولَ فَضِيلَةٌ وَيَكُونُ إِنْ عَدِمَ الْقَبُولَ فَضُولًا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (ما) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (استدركه) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وفي النسخ .

(٤) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» (به) .

(٥) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات الثلاثة (المجنبات) . والأولى أرجح حسبما يبدو .

من سياق البيت التالي .

(٦) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . ووردت في النسخ (بهجة) .

ومنها في الحكم :

ما رأيت الموم تَدْخُلُ الا من دروب العيون والآذان
غُضَّ طَرْفًا وَسُدَّ سَمْعًا ومهما تَنَاقَى هَمًّا فلا تنق بضمان

ومنها قوله ، وهو من المعاني المبتكرات :

حَزُنْتُ عَلَيْكَ الْعَيْنُ يَا مُعْنَى الْهَوَى فالدمع منها بعد بُعْدِكَ مَا رَقَا
وَلِذَاكَ [قَدْ صُبِغَتْ] ^(١) بِلَوْنِ أَزْرَقٍ أَوْ مَا تَرَى ثَوْبَ الْمَاتَمِ أَزْرَقًا
ومنها قوله في المعاني الغريبة . قال ، ومما نظمته في عام أربعة وأربعين
في التفكير في المعاني ، مُغْلَقُ الْعَيْنِينَ :

أُبْحَثُ فِيهَا أَنَا حَصَلَتُهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْعَيْنِ فِي جَفْنِهَا
أَحْسُبُنِي كَالشَّاةِ مَجْتَرَةً تَمَضُّعٌ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا

وقال ، ومما نظمته بين أُنْدَرَشْ وَبَرْجَةِ ^(٢) عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب
مسافر ، وهو مما يُعْجِبُنِي ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنِّي يُعْجِبُنِي . قُلْتُ وَبِحَقِّ
أَنْ يَعْجِبَهُ :

تَطَالَبَنِي نَفْسِي بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ يَدَّانِ فَأَعْطَيْتُهَا الْأَمَانَ ^(٣) فَتَقَبَّلَ
عَجِبْتُ لَخَصْمٍ لَجَّ فِي طَلِبَاتِهِ يَصَالِحُ عَنْهَا بِالْمَحَالِ فَيَفْصَلُ

[قَالَ وَمَا نَظَّمْتَهُ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ ذَمِّ النِّسَاءِ :

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي النسخ (ما ظهرت) .

(٢) نعود هنا إلى الإشارة إلى برجة لورودها مع أُنْدَرَشْ . فبرجة وأُنْدَرَشْ كِلْتَاهُمَا مِنْ مَقَاطِعِ الْأَمْرِيَّةِ ، تَقَعُ الْأُولَى شَرْقِي النَّهْرِ الْأَخْضَرِ . وَتَقَعُ الثَّانِيَّةُ غَرْبِيَّةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ مَصْبِهِ . وَمَا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ أُنْدَرَشْ هِيَ الْبَلَدُ الَّتِي أَقَامَ فِيهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ آخِرُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ سَقُوطِ غِرْنَاطَةَ فِي سَنَةِ ١٤٩٢ ، وَمَكَّثَ بِهَا نَحْوَ عَامَيْنِ ، ثُمَّ غَادَرَهَا إِلَى مَغْنَاةٍ فِي الْمَغْرِبِ .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأمان) .

ما رأيت النساء يُعْلَن إلا للذى يَصَاح السكينيف من أجله
فعلى هذه الشريعة صَالِحُهُن لا تَعُدُّ بأمرى عن محله^(١)

قال : وما نظمته فى السنة المذكورة :

قد هجرتُ النساء دهرًا فلم أَبْلُغْ آذَانِي^(٢) صفهاتهن الذميمة
ماعسى أن يُقال فى هجوم من قد خصَّه المصطفى بأقبح شيعة
أو يبق لنا قِصْرُ العقل والدين إذا عُدَّتْ المثالب قيمة

وقال : وما نظمته فى تاريخ لا أذكره الآن . هذان البيتان ، ولم أر معناه
لمن مضى . ولورحل رجل إلى خراسان ، ولم يأت إلا بهما ، كان ممن لم يخفق
مسماه ، ولا أجذب مرعاه ، يَنْفَتِحُ بهما للقلب باب من الراحة فسيح^(٣) ، إذا أجهده
ما يسكابد من المضاضة . وتَقْضِ اليهود ، واختلاف الوعود . وهذه المحنة من
شر^(٤) ما ابتلى به بنو آدم ، شَذْشَنَة نعرفها من أمرهم . ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فَنَسَى :

رعى الله إخوان الخيانة إنهم كفؤنا مؤونات البقا على العهد
فلوقد وفؤا كئنا أسارى^(٥) حقوقهم نزواح بين النسيئة والنقد

وقال يُداعبني ، وعلى سبيل الكناية يخاطبني ، وانته لقيت^(٦) ، رجلا ببلاد
الهند يعرف بابى البركات ابن الحاج ، وكان بَرِد^(٧) فى بستان كان له ، فقلت
أهجومه عام أربعة وأربعين وسبعمائة :

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» «الملكية» (أذى) .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (أسرى) . ونعتقد أن الوزن يستقيم بالتصويب .

(٤) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (رأيت) .

(٥) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» و «الملكية» (بردا) .

قالوا أبو البركات جَمَّ^(١) ماؤه ففدا أبو البركات لا أبا البركات
قلنا لأن يُكنى بموجوداته أولى من أن يكنى بمعدومات
ومما نظمته عام خمس وأربعين وسبعمائة :

قد كنتُ معذورا بعلی وما أبثُ من وعظي بين البشر
من حيث قد أملتُ إصلاحهم بالوعظ والعلم فخان النظر
فلم أجد أوْعَظَ للناس من أصوات وُعَاظ جلود البقر

ومما نظمته بمرسى تلهي . من بلد هُنين^(٢) : عام ثلاثة وخسين ، وقد
أصابني هَوَسٌ في البحر وخاطبت به بعض الأصحاب :

رأسي به هَوَسٌ جديد لا الذي تدريه من هوس قديم فيه
قد حلَّ ما أبديه من هذا كما قد حلَّ من ذاك الذي أخفيه

ومن الملح قوله ، قال ، وبِثَّ بحمام الخندق من داخل المرية ليلة الجمعة
الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفرداً ، فطُفِّي [المصباح]^(٣) ، وبقيت
مُفَكِّراً ، فخطر ببالي ما يقول الناس من تحيُّل الجنّ [في]^(٤) الأرواح والمهامات ،
وعدم إقدام كافة الناس إلّا ما شدَّ عند دخولها منفردين بالليل . لا سيما
في الظلام ، واستشعرتُ قوة في نفسي عند ذلك ، أعراضٌ وأوهام ، فقلت
مرتجلاً ، رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم قدرها إن عُرِضت للبيع غير نمين

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (هم) . وفي «الملكية» (ضم) . وهو تحريف

(٢) هنين أو مرسى هنين هو ثغر صغير يقع غربي وهران ، وشمال تلمسان على شاطئ البحر المتوسط .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

أن الرّحاً معبورة بالجن والحمّام عندهم [كذا]^(١) ييقين
 إن كان ماقلوه حقاً فاحضروا للحرب هذا اليوم من صِفَيْن
 فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة باتي مُصارع قيس المجنون
 قال ، ودخلت رياضا يوما ، فوجدتُ كِسَاءً منشوراً للشمس لم أعرفه
 من حوايجي ، ولا من حوايج حارسة البستان ، فسألها فقالت ، هو
 لجارتي قُلت :

مَنْ مُنْصَفِي مِنْ جَارَتِي^(٢) جَارَتِ عَلِيٍّ مَالِي كَأَنِّي كُنْتُ مِنْ أَعْدَائِهَا
 عَدْتُ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي انْتَشَرَتْ^(٣) عَلَيَّ أَرْضِي وَأَمْتُ فِيهِ [يَيْسُ كِسَائِهَا]^(٤)
 لَوْلَا غُيُومُ يَوْمِ تَيْبَسَ الْكِسَا سَرْتُ لِحِجْبِ الشُّحْبِ جِلْ ضِيَاءِهَا
 لَقَضَيْتُ مِنْهُمْ الْخُسَارَ لِأَنِّي أَصْبَحْتُ مُزَوَّرًا عَلَى بُخْلَائِهَا
 قُلت ، وصرت إلى مَعْنَى^(٥) بِحِمَّةٍ بِجَانَةِ^(٦) وسار معي كلبٌ كان يحرس
 رياضي اسمه قَطْمِيرٌ ، وهو فيما يُدْكَر كلب أهل الكهف ، في بعض الأقوال ،
 فتَبَعْنِي مِنَ الْمَرِيَةِ إِلَى الْحِمَّةِ ، ثم من الحمة إلى المرية ، قُلت :

رَحَلْتُ وَقَطْمِيرُ كَلْبِي رَفِيقِي يُونُسُ قَلْبِي بَطُولُ الدَّارِيقِ
 فَلَمَّا أَتَيْتُ أَنَاخَ حَدَائِي يَلَاظُنِي لِحْظُ خُلِّ شَفِيقِ
 وَبِرْعَى أَذْمَةٍ رَفِيقِي كَمَا يَتَعَنَّى الصَّدِيقُ الصَّدُوقِ

(١) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم وزن الشعر .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (جاريق) .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (انتشرت) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (مالي) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) بجانة ، وبالإسبانية Pechina بلدة تقع على نهر أندرش ، على مقربة من شمال شرق

على حين قومي بني آدم بلُؤمهم لم يوفُوا حقوقِ
ولا فرق بين الأبايد منهم وبين أخ مُستحب شفيق
أو ابن متى تلقاه تلقاه هوى اشتياق بقلب خفوق
فما منهم من ولي حميم ولا ذى إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يُفضّل كلباً عليهم فيأولهم من رفيق
ألا من يرقّ لشيخ غريب أبى البركات القى البلفيق
وقال ؛ ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وَأين الخير من ^(١) زمانى وأهله على أنى للشرّ أولُ سابق
لحا الله دهرًا قد تقدّمتُ أهله فذلك لعمر الله إحدى البوايق
ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله فى الزّهاد إنهم لم يتركوا عرّض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياه فلم بصايروها فلوأ ثقل حملهم
وعظّم الناس منهم تركها فعدوا من غبطة التّرك ^(٢) فى حرص لأجلهم
نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا زاداً وأعلى الناس طرّاً فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا التّرجيح دونهم لاشيئ أبين ^(٣) من ترجيح فضلهم
فاللّال والجود والراحات ^(٤) غاية ما يحكى لنا الزهد فى ذا عن ^(٥) أجّهم

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (عن) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة ..

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وفى نص (أحسن) .

(٤) وردت فى «ج» (الراحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٥) وردت فى «الملكية» (فى ذاك) وفى «ج» (فيه) وفى «الزيتونة» (فى) . وبالتصويب

والزاهدون براحت^(١) القلوب مع الأبدان سُروا وعزُّوا بعد ذلِّهم
فكل ما فُرِّقوا قد حصَّلوا غرضاً^(٢) منه وزادوا ثناء الناس كلِّهم
قال : ومما نظمته عام أربعين في ذم الحر من جهة الدنيا ، لامن جهة الدين ،
إذ ليس بغريب :

لقد ذمَّ بعضَ الحرِّ قومٌ لأنها
وقد سلَّموا قولَ الذي قال إنها
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى
فيُسمى كريماً سيِّداً ثم يفتدى
وقالوا تسلى وهو عارية لها
وصلةٌ ونور^(٣) وحسناء طفلة
وهل يُداوى من مرارتها التي
ولو أُشرب الإنسان مهلاً بهنه
ومن حُسن حال الشاويين يقيونها^(٤)
ومن حُسن ذا المحروم أن مدامه
فيختلف الندمان طراً لروحه
ومن حُسنه بين الورى ضربُ ظهره
بجائز في الأوهام قد ضلَّ سعيهم

تُكرُّ على دين القى بفساد
تحلُّ من الدنيا بأعظم ناد
لمدمنها من طارفٍ وتلاد
سفيهاً حليف الغى بعد رشاد
والآفلم يأتوا لذاك بشاد
ومرأى به للطريف سير جواد
أواخرها مقرونةً بمهاد
لأصبح مسروراً بأطيب زاد
بالرغم [من] برقي وساد
إذا غلبت تكسوه ثوب رقاد
ويحدوهم نحو المروعة حادى
فيُسمى بلا حرب رهين جلاد
يخفون بيعاً بحسن غواد^(٥)

(١) وردت في «ج» (براحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في « الزيتونة » و « الملكية » . ووردت في « ج » (عوضاً) والأولى

أرجح .

(٣) هكذا في « الملكية » . وفي « ج » (نوار) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « الملكية » (وغاد) .

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه ، واستبعاد وجوه المطالب في جنسه ، مما
نظّمته يوم عرفة عام خمسين [وأنا مُتَزَوٍّ فِي غَارٍ] ^(١) ببعض جبال المرية :

زعموا أن في الجبال قوماً ^(٢) صالحين قالوا من الأبدال
وَادَّعُوا أَنْ كُلَّ مَنْ سَاحَ فِيهَا فَسَيَكُنْ — مَعَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ
فَاخْتَرَقْنَا تِلْكَ الْجِبَالَ مَرَاراً
مَا رَأَيْنَا فِيهَا سِوَى الْأَفَاعِي
وَسَبَاعاً ^(٣) يَخْتَرُونَ بِاللَّيْلِ عَدُوّاً
لَا تُسَلِّي [عَنْهُمْ] بَتْلُكَ الْفِيَالِ ^(٤)
وَلَوْ كُنَّا لَدَى الْعُدُوِّ الْأُخْرَى
وَإِنَّا نَوَاجِدُ الرُّيَالِ
وَإِذَا أَظْلَمَ الدُّجَى جَاءَ إِبْلِيسُ إِلَيْنَا يَزُودُ طَيْفَ الْخِيَالِ
هُوَ كَانَ الْأَنْيَسَ فِيهَا وَلَوْلَا
أَصَابَتْ عَقُولُنَا بِالْخَبَالِ
خَلَّ عَنْكَ الْمَحَالُ بِأَمْنٍ تَعْنِي
لَيْسَ تَلْقَى الرَّجَالَ غَيْرُ الرَّجَالِ

قال ، ومن المنازع الغريبة ذمُّ الأصحاب [ومُدْحُ] ^(٥) الأعداء ، فمن
ذلك قولي :

جَزَى اللَّهُ بِالْخَيْرِ [أَعْدَاءُنَا] ^(٦) فَمُورِدَهُمْ أُنْتَى ^(٧) الْمَصْدَرِ
هُمْ كَحَلُونَا عَلَى الْمَرْفِ كَرْهًا
وَهُمْ صَرَفُونَا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَهُمْ أَقْعَدُونَا بِمَجْلِسِ حُكْمٍ

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) في النسخ (رجالاً) .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (وسباع) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . وفي النسخ (الليال) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وذم) . والتصويب يقتضيه السياق ، ويؤيده معنى

الآيات .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لضبط المعنى والسياق .

(٧) كذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي الملكية (أنى)

وهم صَيَّرُونَا آثَمَ عِلْمٍ وَدِينٍ وَحَسْبُكَ مِنْ مَقْخَرٍ
 عَدُوِّي بَأُولِ فِدَى مَا نَمُومُ وَإِنْ جِئْتُ بِالْإِنَّمِ لَمْ يَقْدُرْ
 وَأَنْتَ تَرَى تَحْيِيصَ مَنْ يَقْدِرُ [بَيْنَ الْمُسَىءِ وَبَيْنَ الْبَرِّ] (١)
 وَلَا زُودَ اللَّهِ أَصْحَابَنَا بَزَادَتِنِي وَلَا خُسْرٍ
 هُمْ جَارُونَا عَلَى كُلِّ إِنَّمٍ وَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُمْ بِالْمُخْبِرِ (٢)
 وَعَدُوا مِنْ إِكْبَارِ آثَامِنَا فَكَانُوا أَضْرًا مِنَ الْفَاتَرِ (٣)
 أَعَارَنِي الْقَوْمُ ثَوْبَ الثُّنَى وَإِنِّي مِمَّا أَعَارُونِي بَرِي
 إِذَا خَدَعُونِي وَلَمْ يَنْصَحُوا وَإِنِّي بِالنَّصَحِ مِنْهُمْ حَرِي
 فَمَنْ كَانَ يَكْذِبُ حَالَ الرُّضَى يَصْدُقُ فِي غَضَبٍ يَقْتَرِ (٤)
 بَلَى سَوْفَ تَلْقَى لَدَى الْحَالَتَيْنِ يَحْكُمُ النَّفْسَ هَوَى الْفَرِّ
 فَيَارِبُّ أَبْقِ عَلَيْنَا عَقُولَنَا (٥)
 قَالَ ، وَمَا رَأَيْتُ هَذَا الْمَعْنَى قَطُّ لِأَحَدٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ مَا مَعْنَاهُ :
 عُدَاتِي لَمْ فَضَّلْ عَلَى وَرِثَةٍ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
 هُمْ يَحْتَشُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبَتْهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبَتْ (٦) الْمَعَالِيَا
 فَوَقَعَ حَافِرِي (٧) عَلَى سَاقِ هَذَا . [قَالَ] وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ ، مَتَخِيلاً (٨) أَنِّي
 سَابِقٌ مَعْنَاهُ :

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (يعادل بين المسيء والبر) .

(٢) وردت في «ج» (بالمخبر) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (الفر) . والأولى أصلح للسياق .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها هنا (يقترى) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الملكية (عقولا) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فارتكبت) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (حافى) .

(٨) وردت في «ج» (مختلا) . والتصويب من «الزيتونة» .

خَلَسْنَا لَيْلَةً مِنْ كَفِّ دَهْرٍ ضَنِينٌ (١) بِاللَّيَالِي الطُّبَيَّاتِ
 سَلَكْنَا لِلْهَوَى وَالْعَتَلِ فِيهَا مَسَالِكَ قَدْ جُلِينَ عَنْ الشَّتَاتِ
 قَضَيْنَا بَعْضَ حَقِّ النَّفْسِ فِيهَا وَحَقَّ اللَّهُ مَرْعَى الثُّبَاتِ (٢)
 فَلَمْ نَرِ قَبْلَهُ فِي الدَّهْرِ وَقْتًا بَدَّتْ حَسَنَاتُهُ فِي السَّيِّئَاتِ

ثم رأيت بعد ذلك [على هذا] (٣) .

لا وليالٍ على المصلى تسرق في نُسكها الذنوب
 فوَقَعْتَ سَاقِي عَلَى حَافِرِ هَذَا الْمَحْرُومِ ، إِلَّا أَنِي جَرَدْتُ ذَلِكَ فِي الْمَعْنَى ،
 وَأَوْضَحْتُهُ ، وَجَلَوْتُهُ عَلَى كُرْسَى التَّقْعِيدِ وَالتَّنْجِيدِ ، فَلَوْلَا التَّارِيخُ لَعَادَ سَارِقُ
 الْبَرَقِ .

نثره

وأما نثره فنمطٌ مرتفع عن مُعتَادِ عَصَرِهِ ، اسْتِنْفَارًا وَبَلَاغَةً ، وَاسْتِرْسَالًا
 وَحِلَاوَةً ، قَلَمًا يُعَرِّجُ عَلَى السُّجْعِ ، أَوْ يَأْمُرُ عَلَى التَّكْلِيفِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِمَحِثٍ
 لَا يَتَعَيْنُ عَيْوَنُهُ ، وَلَكِنْ نُلَمَعُ مِنْهُ نُبْدَةٌ ، وَتَجْلِبُ مِنْهُ يَسِيرًا . كَتَبَ إِلَى عِنْدِ
 إِبْرَاهِيمَ مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ ، مَتَمَثِّلًا بِيَمِينِ مَنْ قَبْلَهُ ، صَدَّرَ بِهِمَا :

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي خُبَيْهَ الْمَشْهُورِ مِنْ مَذْهَبِي
 يَا نَاسِي التَّوْبَةِ مِنْ حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ

بَلْ مَحَلُّكَ (٤) ، أَمَثَلُ مِنَ التَّمَثِيلِ بِالشَّمْسِ ، فَلَوْ كَانَ طُلُوعُكَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَامِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظنين) وهو تحريف .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الآهات) .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (نجلك) . والتصويب من «الملكية» .

شمساً ، لأصبح [جُلها لك] ^(١) عُبَاد . ولو كان نزولك مطراً لتكَيِّفَتِ الصُّخُودُ
تُرَاباً دَمِيناً . ولولا معرفتنا مَعَشَرِ إِخْوَانِ ^(٢) الصُّفَا ، بأَقْرَارِ ^(٣) أنفسنا ، لحكمتنا بأن
قلوبنا تَمَيمُ لأَصْدِقَانَا ، ولكن سبقت عيون السعادة ، بالكَلَاتِ ^(٤) فلو تُصَادَفُ
بالرضى محلاً ، لأن تحصيل الحاصل مُحَال ، لا زلت محروماً ، بعين الذى لا تأخذه
مِئِنَّةٌ ولا نوم [مَكْنُوفَةٌ بِبَرَكة الذى يرومه راييم] ^(٥) والسلام .

وكتب إلى عندما تقلدتُ من رِياسَةِ الإنشاء ما تقلدت : تخصمكم يا محلَّ الإبن
الأَرْضَى ولادة ، والأخ الصادق إخلاصاً ووُدّاً ، خصمكم الله من السعادة بأعلاها
مَرَقًى ، وأفضلها عُقْبَى ، وأحمدُها غِنًى ، وأكرمها مَسْعَى ، نَحْيَةُ اللِّهْفَانِ ^(٦) إلى
أيام لقائك ، المُسْلَى ^(٧) عنها يتأمل العود إليها ، المُزجى أوقاته بترداد الفكر فيها ،
محمد بن الحاج ، أبقاه الله ، عن شوق ، والذى لا إله إلا هو ، لم أجد قط مثله إلى
ولّى حميم . والله على ما نتول وكيل ، معرفاً أنى بعلاقته ^(٨) ، وتضالينى عن كسره
بجامعه ^(٩) ، لما اعتنى به من توقُّلِكُم بالرُّتْبَةِ ، التى ما زال أحبَّاءُكم ^(١٠) بها تمطولى
بِرّه . على أنك لم تزد بذلك رُتْبَةً على ما كنت باعتبار الأهلِيَّةِ ، والمكَاثَةِ

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ومكانها فى «ج» (للقايك) . وفى «الملكية» (حلها بك) .

(٢) وردت فى المخطوطات الثلاثة (إخواننا) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وهى جمع قرارة . ومعناها هنا الأعماق . وقد

تكون تحريفاً للكلمة (بأسرار) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية» . ووردت فى «الزيتونة» (إسماع) ونعتقد أن

الأولى أرجح .

(٧) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (المتسل) .

(٨) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٩) وردت فى «ج» و «الملكية» (مجاهه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(١٠) وردت فى «ج» (أحبَّاءُها) والتصويب من «الزيتونة» وهو أكثر تمشيماً مع السياق .

العَلِيَّة ، إلا عند الأطفال والأغفال ، والمحائمين من النساء والرجال ، لا كن
أفزعنا هذه المخاطبة المحظية^(١) في قالب الجمهور ، ولم ندر فيها ، على الأصح ،
لا كن على الجمهور . ولو كانت مصارف الوجود بيدي ، لو افتك من الوجود ،
منازل أنمايه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كثره مشرباً ،
وأحللتك أرفعه معقلاً ، وأقبستك بدره^(٢) مصباحاً ، وأهدتك^(٣) أسرارهُ تحفًا .
وقد تبلغ المقاصد مبالغ لا تنتهى أغصانها الأعمال ، فنحن وما نُضمره لتلك الجملة
الجليلة الفاضلة ، مما الله رقيب عليه ، ومحيطٌ بدقايقه . ولو كانت هذا العبد
الغافل ، المأسور في قيد نفسه ، المحزون على انتهاب الأيام ، رأس^(٤) عمره في غير
شيء ، دعوةً يساعدها الوجدُ حتى يغلبَ على ظنّه ، أن العليم بذات الصدور ،
ولآها من قبوله بارقةً خلصت بها ، والله شهيد على ما تُسكِثه الأفئدة ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

والفضلُ جمٌّ ، والمحاسنُ عديدة ، فلنصر اضطراراً ، ولنكف^(٥) امتثالاً
لرسم ، وانقياداً ، أمتنع الله به .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخطبية) .

(٢) وردت في «ج» (بدوره) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأهديتك) . والتصويب يستقيم أسبق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (ونكف) .

محمد بن عبد الله^(١) بن منظور القيسي

من أهل مالقة . يكنى أبا بكر

أوليته

أصله من إشبيلية ، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم ، والأصالة ، تشهد بذلك جملة أوضاع ، منها « الروض المحظور »^(٢) في أوصاف بني منظور . وغيره .

حاله

من كتاب « عائد الصلة » . كان جمّ التواضع والتخلق ، كثير البرّ ، مفرطاً^(٣) الهشة ، مبدول البشر . عظيم المشاورة ، سريع اللسان إلى الثناء ، مسترسلاً في باب الإطراء ، دَرَباً على الحكم . كثير الحنكة ، قديم العالة ، بصيراً بالشروط . وُلّي القضاء بجهات كثيرة ، وتقدم بمالقة ، بلده^(٤) فشكرت سيرته ، ومحدث مدارته ، وكان سريع العبّرة ، كثير الحشية ، حسن الاعتقاد ، معروف الإيثار والصدقة ، شايع الإقراء^(٥) لمن ألمّ بصفّعه ، واجتاز على محلّ ولايته ، جالوا على سنن سلفه ، ينظم وينثر ، فلا يقصر .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي محمد بن أبي السّداد الباهلي ، ولازمه وانتفع به ، وسمع

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» «عبد الله» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» «المحظور» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (مفوض) والأولى أرجح .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (بلده) . والتصويب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» «القراء» وهو تحريف .

على غيره من الأعلام ، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والعدل الراوية
المسنُّ أبي عبد الله بن الأديب ، والمسن أبي الحكم مالك بن المرحل ، وعلى
الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد^(١) الأقشري الفاسي ، ولبس عنه
خرقة التصوف ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد ، وعن الشيخ القاضي
أبي المجد بن الأحوص ، وعلى ابن مجاهد الرندي المعروف بالسَّمار ، والخطيب
أبي العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء ، وعلى الخطيب الزاهد أبي عبد الله
السلال . وكتب إليه بالإجازة ، أبو عبد الله بن الزبير ، والفقهاء أبو الحسن
ابن عقيل الرندي ، والوزير المعمر أبو عمر^(٢) الطنجي ، وأبو الحكم بن منظور
ابن عم أبيه ، والأستاذ أبو عبد الله بن السَّجاد . نقلت ذلك من خطه .

تواليفه

أخبرني أنه ألف « نفحات المسوك » ، و« عيون الثَّبر المسبوك »^(٣) في أشعار
الخلفاء والوزراء والملوك . وكتاب « السَّحْب الوالكفة والظلال الوارفة » ، في
الرد على ما تضمنه المضمون^(٤) به على غير أهله من اعتقاد^(٥) الفلاسفة . وكتاب
الصَّيْب الهتان الواكف بغايات الإحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من
الأحاديث الصحيحة النبوية وسُور القرآن . وكتاب « البرهان والدليل في خواص
سور التَّزِيل » [وما في قراءتها في النوم من بديع التأويل]^(٦) . وكتاب يشتمل

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذا الاسم كلمة (أمين) وهو اسم آخر لم تجر العادة
بوروده على هذا النحو .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (أبو علي) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (المسوك) . وفي «الملكية» (المسوك) .

والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (المظنون) .

(٥) وردت في «ج» (الاعتقاد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

على أربعين حديثاً في الرقاق . موصولة الأسانيد . وكتاب « تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ، وما اشتملت ^(١) [عليه] ^(٢) من الأسرار » . وكتاب « الفعل المبرور ، والسعي المشكور ، فيما وصل إليه ، أو تحصل لديه من نوازل القاضي أبي عمر بن منظور »

شعره

ومن شعره قوله :

ما للعطاس [ولا] ^(٣) للقال من أنز
فثق فدينك بالرحمن واصطبر
وسلم الأمر فالأحكام ماضية
تجري على السنّ المربوط بالقدر

محمد بن علي بن الخضر بن هارون النسائي
من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عسكر

حاله

من كتاب « الذيل والتكملة » ^(٤) . كان مغرباً ^(٥) مجوّداً ، نحويّاً ، متوقّداً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (اشتمل) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) الزيادة من « الزيتونة » .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم الوزن والسياق .

(٤) هو كتاب « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » للعلامة المغربي الثقة ابن عبد الملك المراكشي المتوفى في سنة ٥٧٠٣ هـ . وهو معجم نفيس للتراجم ، يتضمن تراجم جمهرة كبيرة من أعلام المغرب والأندلس حتى القرن السابع الهجري . ويقع في أربعة مجلدات كبيرة . ومنه أجزاء مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية والمتحف البريطاني ومكتبة الإسكوريال ودار الكتب المصرية . وقد نشرت منه الأسفار الأول والثاني والرابع والخامس ببيروت (سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥) .

(٥) هكذا وردت في « الملكية » . ووردت في « ج » (مغربياً) وفي « الزيتونة » (مغربياً) .

الذهن ، متفنتاً في جملة معارف . ذا حظ صالح من رواية الحديث ، تاريخياً ، حافظاً ، فهيماً ، مشاوراً ، ذؤوباً في الفتوى ، متيناً في الدين ، تامّ المروءة ، سديّاً فاضلاً ، معظماً عند الخاصة والعامة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، رحيب الصدر ، مسارعاً إلى قضاء الحوائج ، شديد الإجمال ، محسناً إلى من أساء إليه ، ففاعاً بجاهه ، سَمَحاً بذات يده ، متقدماً في عقد الوثائق ، بصيراً بمعانيها ، سريع البديهة في النظم والنثر ، مع البلاغة ، والإحسان في الفنين

وُلِيَ قضاء مالقة نائياً عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة ، ثم وُلِيَ مستقبداً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر^(١) ، يوم السبت لليلتين بقيتا من رمضان [عام] ^(٢) خمس وثلاثين . وأشفق من ذلك وامتنع منه [وخطبه مُستعفياً ، وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخطبة تورعاً منه] ^(٣) فلم يُسغه . فتقلدها ، وسار فيها أحسن سيرة ، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها ، ونفذ الأحكام .

وكان ماضى العزيمة ، مقداماً ، مهيباً ، جزلاً في قضائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، واستمر على ذلك بقية عمره

مشيخته

روى عن أبي إسحاق الزّوّالى^(٤) ، وأبي بكر بن عتيق بن منزول ، وأبي جعفر الجيان ، وأبي حسن الشّقُورى . وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي الخطّاب بن واجب ، وأبي زكريا الإصمهيّانيّ مقيم^(٥) غرناطة

(١) هو الأمير محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة . وقد حكم من سنة ٦٣٥-٦٧١ هـ

(٢) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) هكذا في «الملكية» . ووردت في «ج» (الزّوالى) . ومكانها بياض في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمعنى المقصود هنا هو (المقيم بغرناطة) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته . وأبو العون ، وأبو عبد الله ابن بكر الإلييري . وحدث عنه بالإجازة ، أبو عبد الله الأبار ، وأبو القاسم ابن مخران ، وكتب بالإجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوا من أهل الأندلس ، حسبما تقدم في رسم أبي بكر بن هشام ، وضمنها نظماً ونثراً اعترف له بالإجادة فيهما .

تصانيفه

صنّف كتباً كثيرة ، أجاد فيها وأفاد . منها المشرع الروى في الزيادة على المروى . ومنها أربعون حديثاً التزم فيها موافقة اسم شيخه ، اسم الصابي ، وما أراه سبق إلى ذلك ، وهو شاهد بكثرة شيوخه ، وسعة روايته . ومنها نزهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر . ومنها الخبر المختصر ، في السلوى عن ذهاب البصر ، ألفه لأبي محمد بن أبي الأحوص الضرير الواعظ . ومنها رسالة في ادّخار الصبر ، واختار القصّر والفقّر . ومنها الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة السكّرام . وله اسم آخر ، وهو مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخبار ، وتقيّد من المناقب والآثار . واختار منه المنية عن إتمامه فتولى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور ، وقد نقلت منه في هذا الكتاب .

شعره

ومن شعره . وقد نعت إليه ^(١) نفسه [قبل] ^(٢) أن تغرب من سماء

معارفه شمسه :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (إل) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

ولما انقضى إحدى وخمسون حجة كأنى منها بعد كَرْب (١) أحلم
 ترقيت أعلاها لأنظر فوقها مدى الحُتْف منى على منه أسلم
 إذا هو قد أدنت إليه كأنما ترقيت [فيه نَجْوَة] (٢) وهو سلم
 وقال فى أحذب :

وأحذبُ تحسب فى ظهره جابهُ فى نهر عايمة
 مُثَلَّت الخِلقة لا كنهه فى ظهره زاوية قايمة

ومن أمثال نظمه قوله ، وقد استدعيت منه إجازة :

أجبتك لأتى لما رُمته أهلُ ولا كن ما أجبت مُحتمل سهل
 [وما العلم إلا بحرٌ طال مدانه] (٣) ومالى حَمَّ (٤) فى الورد ولا نهل
 فكيف أرانى أهل ذاك وقد اتى على المحتيان (٥) البطالة والجهل
 وأسأل ربى العفو عنى فإنه لما يرتجيه العبيد من فضل أهل
 مـولده : [تخمينا] (٦) فى نحو أربع وثمانين وخمماية .

وفاته : ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة ، عام ستة وثلاثين وستماية .

(١) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (بكر) .

(٢) وردت محرفة فى المخطوطات الثلاثة . «ج» (فيها نحوه) . وفى «الزيتونة» و «الملكية» (فيه نحوه) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطر فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (وما العلم البحر طاب مذاقه) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . وفى «ج» (ممل) .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٦) هذا الكلمة واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن
أبي بكر بن ساعد الأشعري المالقي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بكر ، من ذرية بُلج بن يحيى بن خالد بن
عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بُردة . واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى . واسمه
عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره ابن حزم^(١) في جملة
من دخل الأندلس من العرب^(٢) .

حاله

من «عائد الصلة» . كان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء ، سناجدةً
ونزاهة ومعرفة وتفنتاً . فسبح الدوس ، أصيل النظر ، واضح المذهب ، مؤثراً
للإنصاف ، عارفاً بالأحكام والقراءات ، مبرزاً في الحديث ، تاريخاً وإسناداً ،
وتعديلاً وتجريحاً ، حافظاً للأنسب والأسماء والكُنى ، قائماً على العربية ،
مشاركاً في الأصول والفروع ، واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض
الجناح ، حسن التخلق عاكفاً على الطلبة . محباً في العلم والعلماء ، مجللاً لأهله ،
مطرح التصنع عديم المبالاة بالملبس . بادی الظاهر عزيز النفس ، نافذ الحكم ،
صوّالة . معروف بنُصرة [من أزر إليه]^(٣) . تقدم للشيخا ببلده مالقة ، ناظراً
في أمور العقْد والحل ، ومصالح الكفاة . ثم وُلّي القضاء بها ، فأعزّ أُلُمة ، وترك

(١) في كتابه (جمهرة أنساب العرب) .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (المغرب) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

المواددة ، [وإيفاد الحق]^(١) ملازماً للقراءة والإقراء ، محافظاً للأوقات ، حريصاً على الإفادة .

نم ولّى القضاء والخلافة بقرنطرة في العشر الأول لمحرم سبعة وثلاثين وسبعماية ، فقام بالوظائف ، وصدع بالحق ، وجرح الشهود فزيف منهم ما ينيف على السبعين عدداً ، واستهدف بذلك إلى معاداة ومناضلة ، خاض تبجحها ، وصادم تيارها ، غير مبال بالمغيبة ، ولا حافل بالتبعية ، فناله لذلك من المشقة ، والكيد العظيم ، مانال مثله . حتى كان يمتشى إلى الصلاة ليلاً في مسكّة . لا يطعمئن على حاله . جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أَرَادَهُ اللهُ . وعزم عليه الأمير في بعض من الخطّة ، ليردّه إلى العدالة ، فلم يجد في قداته مَعْمَزاً ، ولا في عوده مَعْبَماً ، وتصدّر لبث العلم بالحضرة ، يقرى^(٢) فنوناً مثجّة ، فنفع وخرّج ، ودرّس العربية والفقه والأصول ، وأقرأ القرآن ، وعلم الفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث ، شرحاً وسماعاً ، على سبيل^(٣) من انشراح الصدر ، وحُسن التجمل ، وخفض الجناح .

وذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ، فقال ، وأما شيخنا ، وقربينا مصاهرةً ، أبو عبد الله بن أبي بكر ، فصاحب عزم ومضاء ، وحُكمٍ صانع وقضاء . كان له رحمه الله ، مع كل قولة ، صولة ، وعلى كل رابع لا يعرف ذرةً ، فأحرق قلوب الحسدة والصب ، وأعزّ الخطّة ، بما أزال عنها من الشوائب ، وذهب وفضّ^(٤)

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها ترك أهدار الحق ، أو بعبارة أخرى الحرص على إقامته .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (يقراً) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (سبل) .

(٤) ذهب وفضض ، أى جعلها ناصعة كالذهب والفضة .

كواكب الحق بمعارفه ، ونَفَذَ في المشكلات ، وثَبَّتَ في المذهلات ، واحتج وبَكَت ، وتَفَقَّه ونَسَكَّت^(١) .

توقيعه

قال ، وحدثنا صاحبنا ، أبو جعفر الشَّوَرى ، قال كنت قاعداً في مجلس حُكْمِهِ ، فرفَعَتْ إليه امرأة رُقعة ، مضمونها أنها مُحَبَّة في مُطَلَّقها ، وتبتغي من يَسْتَشْفَع^(٢) لها في رَدِّها ، فتناول الرُقعة ، ووقع في ظهرها للحين من [غير]^(٣) مُهْلَةٍ : الحمد لله ، من وقف على ما بالقلوب^(٤) ، فليصنع لسماعه إصاغة مُغِيث ، وليشْفَع للمرأة عند زوجها ، تأمياً بشفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم لبرِّه في مُغِيث . والله يُسَلِّم لنا العقل والدين ، ويسلِّك بنا مسالك للمُتَّهدين . والسلام يعتمد على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها ، ورحمة الله . قال صاحبنا ، فقال لى بعض الأصحاب ، هلاً كان هو الشفيع لها . فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص .

شعره

ولم يُسمع له شعر إلاَّ بيتين في وصف قوس عربي الذَّسَب في شعر من لا شعر له ، وهما :

عام الفؤاد في بنت النِّبْع والنَّشْم [زوراً تُزرى بعطف البان والصَّم]^(٥)
قَوامُ قامتها تمامُ معفها من يلقى مقتلها تُصميه أو تُصم

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة مرة أخرى (وبكت) . ونعتقد أن التعديل أرجح وأكثر عمياً مع مقتضيات البيان والسجع .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية» ، وفي «ج» (يشفع) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) بالقلوب هنا يقصد بها ما يظهر الورقة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» و«الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (زوراً ترى بعطف البان والصَّم) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ المتفتن الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي القرآن العظيم
 مجماً وإفراداً ، وأخذ عنه العربية [والفقه] ^(١) والحديث ، ولازمه ، وتأدب به .
 وعلى الشيخ [الراوية] ^(٢) الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الخزرجي القرطبي ،
 قرأ عليه كثيراً من كُتُب الحديث ، منها كتاب صحيح مُسلم ، وسمع عليه
 جميعه إلا دولة واحدة . ومن أشيائه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن
 السَّكوت . والفقيه [المشاور] ^(٣) ، الصَّدر الكبير ، أبو عبد الله بن ربيع ،
 والخطيب ^(٤) القدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطنجالي ، والشيخ القاضي
 أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصاد ، والأستاذ خاتمة المقرئين
 أبو جعفر بن الزبير ، والخطيب الحديث أبو عبد الله بن رُشيد . والخطيب الولي
 الصالح أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن بن اللباد المشرقي ^(٥) . والشيخ
 الأستاذ أبو عبد الله بن السكاد السطِّي البليدي . وأجازه من أهل سبته شيخ الشرفا
 أبو علي بن أبي التقي طاهر بن ربيع ، والعدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن
 الهواري ، وأبو إسحاق التلمساني . والحاج [العدل] ^(٦) الراوية أبو عبد الله بن
 الحصار ، والأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم القيسي ، والأستاذ أبو بكر
 ابن عُبيدة ، والشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري .
 ومن أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون ، وأبو العباس أحمد

(١) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (والفقيه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المسرق) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

ابن محمد الأشعري المالقي [نزىل تونس]^(١) ومحمد بن محمد بن سيّد الناس اليغموري ،
وعثمان بن عبد القوي البلوكي . ومن أهل مصر النسابة شرف الدين عبد المؤمن
ابن خلف الدمياطي . والمحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحاق ، وجماعة غيرهم
من المصريين والشاميين والحجازيين .

مولده

في أواخر ذي حجة من عام أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

فُقِدَ في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف^(٢) شهيداً [مُحَرَّضاً]^(٣) ،
زعموا أن بَغْلَةً كان عليها [كَبَتْ به]^(٤) ، وأفاق رابط الجناش ، مجتمع القوى .
وأشاد عليه بعض المهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه . وقال انصرف هذا يوم
الفرج ، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء « فرحين بما آتاهم الله من فضله » ،
وذلك ضحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة .

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) موقعة طريف هي الموقعة العظيمة التي نشبت بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو
الحادى عشر ملك قشتالة ، وبين الجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ومعها قوات
الأندلس بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة ، على مقربة من ثغر طريف ، وعلى شتاف
نهر سالادو الصغير ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون
هزيمة شديدة . وكانت محنة عظيمة بالنسبة للمغرب والاندلس .

(٣) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد
ابن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حثيون بن القاسم
ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
[رضي الله تعالى عنه] (١)

حسبنا نقل من خطه :

أَوَّلَيْتَهُ مَعْرُوفَةً [كَانَ وَلِيَّتَهُ مِثْلَهُ] (٢) .

حالـه

هذا الفاضل جُملة من نُجَل السَّكَّالِ ، غريب في الوقار والحصافة ، وبلوغ
المدى ، واستولى على الأمم حِلْماً وأناة ، وبعُدّاً عن الريب (٣) ، وتمسكاً بعُرى
النزاهة ، واستمسكاً مع الاسترسال ، وانقباضاً مع المداخلة ، معتدلاً الدارِيقَةَ ،
حسن المداراة ، مالِكاً أزمّة الهوى ، شديد الشفقة ، كثير المواساة ، مغَار حَبْل
الصبر ، جميل العشرة ، كثيف سِتْرِ الحياء ، قوى النفس ، رابط الجأش ، رقيق
الحاشية ، مُتَمِّعُ المَجَالِسة ، متوقد الذهن (٤) ، أَصِيلُ الإدراك ، بارعاً بأعمال (٥) المشيخة ،
إلى جلال المُنتَمَى ، وكرم المنصب ، ونزاهة النفس ، وملاحاة الشَّيْبَةِ (٦) . وحمل راية
البلاغة ، والإعلام في ميادين البيان ، رُحْلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان . حايـة

(١) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» . و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (الريب) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (الزهد) وهو تحريف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (بإغفال) ، ونعتقد أن التصويب يتمشى مع السياق .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

الخصل [والفضل] ^(١) في ميدانها. غريبة غريزة الحفظ. مُقْنِعة الشاهد. مُسْتَبْحَرَة النظر، أَصِيلَةُ التوجيه، بَرِيَّةٌ عَنِ الذُّوْكَ والغفلة. مرهفةٌ باللغة والغريب، والخبر والتاريخ والبيان. وصناعة البديع. وميزان العَرُوض. وعلم القافية وتقدماً في الفقه، ودرساً له، وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس، والخبر، والدُّوْب عليه، بارِعُ التصنيف، حاضرُ الذهن، فصيحُ اللسان [مَفْخَرَةٌ من مفاخر أهل بيته] ^(٢).

ولايته

قَدِمَ على الحضرة في دولة الخامس من ملوك بني نصر ^(٣)، كما استجمع شبابه، يَفْهَقُ عِلْماً باللسان. ومعرفة بمواقع البيان، وينطق بالعدب الزلال من الشعر، فسَّهَلَ له كَنْفُ البر، ونُظِمَ في قلادة كتاب الإنشاء، وهو إذ ذاك ثَمِينَةٌ ^(٤) الخِرَات، محكمة الرِّصْف ^(٥) [فشاع] ^(٦) فضله، وذاع رجله ^(٧). [ثم تقدم] ^(٨)، فنقل من طور الحكم، إلى أن قُلِّدَ [الكتابة] ^(٩) والقضاء والخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها [التي أعقبها ولاية مالقة] ^(١٠) في الرابع من شهر ربيع الآخر

(١) واردة في «الزيتونة» و «الملكية». وساقطة في «ج».

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في «ج»، وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (مفخر

أهل بيته).

(٣) الخامس من ملوك بني نصر، ملوك غرناطة، هو السلطان أبو الوليد إسماعيل، وقد

حكم من سنة ٧١٣ إلى سنة ٧٢٥ هـ (١٣١٤ - ١٣٢٥ م).

(٤) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (ج - ثمنية. الزيتونة - ثمية. الملكية - ثمنية).

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة». وفي الملكية (وصف). والأولى أرجح.

(٦) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أرجله).

(٨) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٩) الزيادة من «الزيتونة».

(١٠) هذه العبارة وازدة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية».

عام سبع وثلاثين وسبعمائة . فاضطلع بالأحكام . وطبق مِفْضَل الفضل [ماضى
 الصريمة ، وحى الإيجار] (١) . نافذ الأمر . عظيم الهيبة . قليل النقاد ، مُطَمِّع
 التوفيق ، يَصْدَعُ فى مواقف الخَلْب . بكل بليغ من القول . مما يُرِيق ديباجته ، ويشف
 حيقاله . وتبرأ من كلال الخطباء جوانبه وأطرافه . واستعمل فى السفارة للعدو
 ناجح المسمى ، ميمون النقيبة . جزيل الحياء والكرامة . إلى أن عُزل عن القضاء
 فى شعبان من عام سبعة وأربعين وسبع مائة . من غير زلة تحفِض (٢) ، ولا هنة
 تُؤثر ، فتحيز إلى التحليق لتدريس العلم ، وتفرغ لإقراء العربية والفقه . ولم يذشب
 أميرُه المنطوى على الهاجس . المغرَى بمثله . أن قدّمه قاضياً بوادى آش ، بنت
 حضرته ، معززة بسندها الكبير الخطّة . فانتقل إليه بجملته ، وكانت بينه وبين
 شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب . صداقة صادقة . ومودة مستحكمة ، فجرت بينهما
 أثناء هذه النقلة . بدائع . منها قوله . يوس عنه . خطّة القضاء التى اخترعها . ويوليها
 خطة الملامة :

لا مرحباً بالناشر الفـادك إن جُهِلت رفعةُ مقـدارك
 لو أنها قد أوتيت رُشـدها ما برحت تَعْشـو إلى نارك
 أقسمتُ بالنـور والمبين الذى منه بدت مشكاة أنوارك
 ومَظْهِرِ الحـكم الحـكيم الذى يتلو عليه طيّب أخبـارك
 ما قيت منك كفوّاً لها ولا أوت أكرـم (٣) من دارك

ثم أعيد إلى القضاء بالحضرة ، فوليها . واستمرت حاله وولايته على متقدّم
 ممّته من الفضل والنزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة ، إلى أن

(١) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (تحفظ) . والأولى أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (الكرّم) . وبالتصويب يستقيم الشعر والمعنى .

هلك السلطان مُسْتَنْصِيَةً مَأْمُومًا بِهِ . مُقْتَدِيًا بِسُجْدَتِهِ . يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ . خَمْسَةَ
وخمسين وسبعماية . وولى الأمر ولده الأسعد . فُجِدَّ دَوْلَاتُهُ . وَأُكِّدَتْ تَجَلُّتُهُ . وَرَفَعَ
رَتَبَتَهُ . وَاسْتَدْعَى بِمَجَالِسَتِهِ

• شَيْخَتُهُ •

قرأ ببلده مَسَبَّةً عَلَى أَبِيهِ الشَّرِيفِ الْمَطَاهِرِ . نَسِيحَ وَحْدِهِ [فِي الْقِيَامِ] (١) .
وعلى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي [وَبِهِ جُلٌّ] (٢) أَنْفَذَهُ ؛ وَعَلَيْهِ جُلٌّ اسْتَفَادَتُهُ . وَأَخَذَ
عَنِ الْإِمَامِ شَيْخِ الْمَشِيخَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ . وَرَوَى عَنِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْغُمَارِيِّ ، وَالْخَطِيبِ الْمُحَدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ . وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْقُرْطُبِيِّ . وَالْفَقِيهِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُرَيْثٍ . وَأَخَذَ عَنِ الْأُسْتَاذِ النَّظَارِ
أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الشَّاطِئِ وَغَيْرِهِ .

• مَحَبَّتُهُ •

دَارَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ مَهْلِكِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ [رَحَى الْوَقِيعَةَ] (٣) ، فَعَمَرَ كُنْهَ «النَّقَالِ»
وَتَحَلَّصَ مِنْ شِرَارِهَا هَوَلًا (٤) ، لَتَطَارَحَ الْأَمِيرُ الْمُتَوَكَّبُ (٥) أَمَامَ الْمُرِيَّةِ عَلَيْهِ .
خَاتَمًا فِي السَّجْدَةِ . وَدَرَسَ الْحَمَاءَ إِيَّاهُ عِنْدَ الدَّجَلَةِ ، مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ لِحُلِّ الْوَطْأَةِ .
وَلَا افْتِقَادَ (٦) لِحُلِّ (٧) صَلَاةِ تِلْكَ الْأُمَّةِ . فَنَشِيَهُ مِنَ الْأَرْجُلِ ، رَجُلُ الرَّبِّي كَثِيرَةً .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) كذا في «ج» . وفي «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (المتبث) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (إبتغاء) .

(٧) إلى هنا تمت المراجعة على مخطوط «الإحاطة» المحفوظ بخزانة الرباط الملكية ، إلى جانب

مخطوط الزيتونة . وهو ينتهي حسبما ذكرنا في المقدمة بالترجمة الحالية . وتستجري المراجعة منذ
الآن فصاعداً على مخطوط «الزيتونة» وحده .

ودرجة عصره. ودرجة زمانه ، كلامه متكافئ في اللفظ والمعنى ، صريح الدلالة ، كريم الخيم ، متحصّد الخبل . خالص السبك . وأنا أثبت منه جزءاً ، خصني (١) به ، سماه جهد المقل . اشتمل من جرّ الكلام ، على مالا كفاء (٢) له .

الحمد لله تردّدْهُ أخرى الليالي . فهو المسئول أن يعصمنا من الزلل (٣) ، زلّ القول . وزلل الأعمال . والصلاة على سيدنا محمد خاتم الإرسال . هذه أوراق ضمنيتها جملة من بذات فكرى . وقطعاً مما يُحْيِش به في بعض الأحيان صدرى ، ولو حرّمت (٤) لا ضريت عن كتبها كل الإضراب ، ولزّمت في دَفْنِها وإخفائها دين الأعراب . لا كنى (٥) آثرت على المحو الإثبات ، وتمثلت بقولهم (٦) [إن خير ما] (٧) أوتيته العرب الأبيات . وإذا هي عُرِضت على ذلك المجد ، وسألها كيف نجت من الوأد . فقد أوتيتها من حُرْمِك (٨) إلى ظلّ ظليل . وأحلتها من بنايكم ، مُعَرَّساً ومقيل ، وأهديتها علماً بأن كرمكم ، بالإغضاء عن عيوبها جدّ كفيل ، فاغتم قلة التهديدية منى ، إن جَهِد المقل غير قليل ، فحسبها شرفاً أن تبوّأت في جنبك كنفاً ، وكفأها مجداً وفخراً . أن عَقَدت بينها وبين فكرك عَقْداً وجواراً ، [وما قلت في حرف الهذرة] (٩) .

م ——— ولده

بسبّئة في السادس لشهر ربيع الأول من عام سبعة وتسعين وستمائة .

(١) وردت في «ج» (أخصنى) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (كفو) .

(٣) وردت هذه الكلمة في «الزيتونة» وحده ، ووردت محرفة (الزلال) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (حرمت) .

(٥) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (لا كنى) .

(٦) وردت في «ج» (بقوله) . والتعديل أنسب للسياق .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (إن من أحسن ما) .

(٨) وردت في «ج» (كرمكم) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٩) وردت هذه العبارة هكذا في المخطوطين . ولم يلبس شيء .

وفاته

وفى قاضياً بقرناطة في أوائل شعبان من عام ستين ومبعمائة .

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي^(١)

قاضى الجماعة ببَيْضَة الإسلام فاس ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل له أبوة صالحة ، وأصالة زاكية ، قديم الطلب ، ظاهر التخصص ، مفرط في الوقار [نابه البرّة والرّكبة ، كثير التّهمة ، يؤم به الفار]^(٢) ، وصدرُ الصُّور في الوثيقة والأدب ، فاضل النفس ، ممحّوض النصح ، جميل العشرة لإخوانه ، مجرى الصّدّاقة [نصحاً ، ومشاركة ، وتنفيقا ، على سجيّة الأشراف وسنن الحُساب]^(٣) ، مديد^(٤) الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد ، كاتب بليغ ، عارف بالتحسين والتّقبيح ، من أدركه ، أدرك علماً من أعلام المشيخة . قدّمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس ، قاضياً بمحضرة ، واختصّه ، واشتمل عليه ، فاتصل بعده سعدّه^(٥) ، وعُرف حقه . وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه ، فذاع فضله ، وعُلم قدره . ولما كان الإزعاج من الأندلس نحو النّبوة^(٦) التي أصابت

(١) نسبة إلى قشتالة وهى إحدى القبائل الجبلية التى تقطن فى شمال مدينة فاس .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٣) هذا أيضاً وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٤) وردت فى المخطوطين (مديح) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت فى «ج» وكذا فى «الزيتونة» (امتعاله) . ونعتقد أن هذا التصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (بحو النبوة) . والنبوة هنا تعنى السقطة أو

الدولة ، بَلَوْتُ من فضله ونصحه وتأييده ، ما أَكْدَّ الغِبْطَةَ ، وأوجب الثناء ،
وخطبته بما نصه :

من ذا يَعُدُّ فضائل الفِشْتَالِي والدهر كاتِب آيَها والتَّسَالِي
عَلِمَ إِذا التَّسَوَا الفنون بعلمه مرعى المَشِيح^(١) ونُجْمَةُ المُكْتال
نال الذى لا فوقها من رفعة ما أَمْلَتْها حيلةُ المَحْتال
وقضى قياس تراثه عن جدِّه إِنْ المَقْدَمُ فيه عين التَّالِي

قاضى الجماعة ، بماذا أَثْنَى على خِلالِكَ المُرْتَضَا^(٢) ، أَيقَدَ يَمُك المَوْجِب
لنَقْدِيكَ ، أَمْ بِمَجْدِيكَ الدَّاعِي لنَحْمِلُ حَدِيثَكَ ، وكلاهما غاية بَعْدَ مرماها ،
وتحامى المَتَّصِرَ حماها ، والضالع لا يَسَامُ سَبَقًا ، والمُنْبَتُّ لأَرْضًا قَطَعَ ، ولا ظَهَرَ
أَبْقَى . وما الظن بأصالة تعترف [بها]^(٣) الآثار وتشهد ، وأبوة صالحة ؛ كانت
فى غير ذات الحق تزهد ، وفى نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد
الحق وتمهد ، وتهزم الشُّبُه إِذا تشهد . وقد علم الله أَنَّ جِوَارِكَ لم يُبْقِ للدهر على
جِوَارٍ ، ولا حَتَّ من غصنى ورقًا ولا نَوَّارًا^(٤) . هذا وقد زار على أَسَدٍ وحمل
نورًا^(٥) . فقد أَصْبَحَتْ فى ظل الدولة التى وقف على سبيل اختيارها ، وأظهر
خلوصُ إِبْرِيْزِهِ مَعْيَارَها ، تحت كنف وعزٍّ مؤتلف ، وجِوَارِ أبى دلف ، وعلى
ثقة من الله بِمَحْسَن^(٦) خلف . وما منع من انتساب ما لديه من الفضائل إِلا رحلته ،

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (المهم) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (المرضاة) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) وردت فى المخطوطين (نورا) ونعتقد أنه بالتصويب يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (نورا) وهو تحريف .

(٦) وردت فى «ج» (محسن) . وفى «الزيتونة» (تجس) . وبالتصويب يستقيم السياق .

لم يَبْرُكْ بعدَ حَمَلِها ، ولا قرَّ عملُها ، وأوْحالَ حالِ بِنِي وَبَيْنَ مُسَوِّرِ الْبَلَدِ الْقَدِيمِ^(١) مَهْلِها . ولولا ذلكَ لاغْتَبِطَ الزَّائِدُ^(٢) ، واقتنبتِ الْفَوَايِدُ ، واللهُ يطِيلُ بقاءَ ، - تى تنأكد القربة ، التى تُنسى^(٣) بها الْعُرْبَةُ ، وتعظمُ الْوَسِيلَةُ ، التى لا تُذْكَرُ معها الْفَضِيلَةُ . وأما ما أشار به من تَتِييدِ الْقَصِيدَةِ التى نَفَقَ سوقُها استحسانه ، وأنسَ باستظرافِها إِحْسَانَهُ ، فقد أعملَ وما أمهلَ ، والقصورُ بادِ إِذَا تَأَمَّلَ ، والإغضاءُ أُولَى ما أَمَّلَ ، فإنما هى فِكْرَةٌ ، قد أخذتِ نارُها الْأَيَّامَ ، وغيرتِ آثارُها اللَّيَّامَ . وقد كانَ الْحَقُّ إِجْلالَ مِطَالَعَةِ سِيدى مِنْ خَلَّها ، وتنزيهَ رَجُلِهِ عَنْ تَقْبِيلِ مُرْتَجِلِها . لا كَنَّ أَمْرَهُ مُمْتَثِلَ ، وآتَى مِنْ الْمَجْدِ أَرَأَى لا مُرْدَ لَهُ مَثَلُ . وَالسَّلَامُ عَلَى سِيدى مِنْ مُعْظَمِ قَدْرِهِ ، ومُلتَزِمِ بَرِّهِ ، ابنُ الْخَطِيبِ ، وَرَحمةُ اللَّهِ .

فكتب إلى مراجعاً ، وهو الملىء بالإحسان :

وافت يجرُّ الزهو فضلة بُرْدِها	حسناء قد أضحت نسيجة وحدها
لله أى قصيدة أهديت لو	يهتدى المعارض نحو غاية قصدها
لابن الخطيب بها محاسنُ جَمَّةُ	قارعت عنه الخطوب فقلَّتْ مِنْ حَدِّها
سِرُّ الْبَلَاغَةِ عَنْهُ أودع حافظاً	قد صانه حتى فشى من عندها
فى غير عقيد نفثته ^(٤) بسحرها	فلذا أتى سلسلاً منظم عقدها
لم أدر ما فيها وقت معاونا ^(٥)	من طرسها أو مُعلِّداً مِنْ بُرْدِها

(١) يقصد مدينة فاس القديمة أو فاس البالى ، وذلك تمييزاً لها عن «البلد الجديد» وهو ضاحيتها الذى به مقر الملك والبلاط .

(٢) وردت فى «ج» (الرايد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت فى المخطوطين (تنسى) . وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت فى «ج» (نفثت) . وفى «الزيتونة» (نبشت) . والتصويب رجح .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين .

حتى دفعتُ بها لأبعد غاية باعاً نقصُر في البلوغ بمجدها
 حدان^(١) من نظم ونثر إن من يلقيها منها بذلة عبدها
 أولى بدأ^(٢) ببيضاء مولها فما لى مزية أن أقوم بمحمد
 ورفضت تكذيب المني منشيئاً لعلى مرآها يُصادق وعدها
 فبذلتُ شعري رافعاً من برها وهزرتُ عطفي رافلاً من بردها

خُذْهَا أَعَزَّ اللَّهُ جَنَابِكَ، وَأَدَالِ لِلْأَنَسِ عَلَى الْوَحْشَةِ اغْتَرَابِكَ، كَغَبَةِ^(٣) الطَّائِرِ
 الْمُتَجَعِدِ، وَنُهْبَةِ النَّارِ الْمُسْتَوْفِزِ، وَمِيقَةِ^(٤) الْأَحْظِ، قَلِيلَةُ الْفَلْظِ، قَدْ جُمِعَتْ مِنْ
 سُومَاهَا وَانْقِحَامَاهَا. بَيْنَ نَظْمٍ قَيِّدٍ، وَصُلُودِ زَنْدٍ. وَتَوَعَّتْ، فَعَلَى إِقْدَامِهَا وَانْحِجَامِهَا^(٥)
 إِلَى قَاصِرٍ وَمُعْتَدٍ، وَلِيَتَنَى إِذَا جَاءَتْ سَحَابَةُ ذَلِكَ الْخَاطِرِ الْمَاطِرِ! الْوَدْقُ، وَانْجَابِ^(٦)
 الْعَانِي عَنْ مُزْنَةِ فِكْرَتِي، بِتَقَاضِي الْجَوَابِ، انْجِيَابِ^(٧) الْوَدْقِ، وَأَيَقُنْتُ أَنِّي قَدْ
 سُدَّ عَلَى بَابِ الْقَوْلِ وَأُرْتَحِجُ، وَقُلْتُ هَذِهِ السَّالِفَةُ السَّكِيَّةُ فَكَدَتْ لَهَا الدَّاءَةُ مِنْ
 تَكَلُّمِ الْإِمْرَةِ [وَلَمْ أَفْهَ إِذَا عَوَزْتُ الْمُرَّةَ بِالْحُلُوةِ]^(٨)، لَا كُنْتُ قَاتٍ، وَجَدْتُ الْمُسْكِرَ
 كَجَهْدِ الْمُقِلِّ، وَالْوَاجِبُ قَدْ يَقْلُ الْإِمْتِنَالُ فِيهِ بِالْأَقْلِ. فَبِعِثْتُ بِهَا عَلَى عِلَاتِهَا،
 وَأَبْلَغْتُهَا عِذْرَهَا. فِي أَنْ كَسَبَتْ عَنْ شَوْقِهَا يَلِغَاتِهَا، وَهِيَ لَا تَعْدَمُ مِنْ سِيْدِي
 فِي إِغْضَاءِ كَرِيمٍ، وَإِرْضَاءِ سَلِيمٍ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَصِلُ بِالتَّائِينَ الْحَبْلَ، وَيَجْمَعُ الشَّئْلَ.

(١) وردت في «ج» (خوان). والتصويب من «الزيتونة».

(٢) وردت في المخطوطين (يد). ولزم التصويب.

(٣) وردت في المخطوطين (كتفة). والتصويب يستقيم السياق. والغبة هي البلغة اليسيرة.

(٤) هكذا في المخطوطين. ويقصد بها هنا الأحظ الضعيف أو الغامر.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (وانجابهما).

(٦) وردت في المخطوطين (واتجابه). والتصويب يستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» (انجابه) فلزم التصويب.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته . من محمد بن أحمد
الفتنالى .

وهو الآن قاض بفاس المذكورة محمود السيرة . أبقاه . وأمتع به .

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن
أبي بكر بن علي [بن داود] ^(١) القرشي المقرئ
يكنى أبا عبد الله ، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان .

أوليته

نقلت من خطه : قال ، وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن
تبله مراراً ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ ، صاحب أبي مدين ^(٢) ، الذي
دعاه ولذيته ، بما ظهر فيهم من قبول وتبين . وهو أبي الخامس [فأنا محمد بن
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن] ^(٣) ، وكان هذا الشيخ
عزوى الصلاة ، حتى أنه [ربما] ^(٤) امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ،

(١) الزيادة من «الزيتونة» . وهي غير واردة في نفح الطيب .

(٢) الشيخ أبو مدين هو ولي المغرب الكبير . وضميمة بضاحية تلمسان المسماة «العباد» . وهو
في الأصل العلامة الأندلسي شعيب بن الحسين الأنصاري ، يكنى أبا مدين . ولد سنة ٥٢٠ هـ
بقرطاجنة . من أعمال إشبيلية ودرس حيناً بالأندلس ، ثم عبر البحر إلى المغرب . ودرس في سنة
وفاس ومراكش . ثم مال إلى التصوف ، واعتنق طوائفه ، وسافر إلى المشرق وأدى فريضة الحج .
ثم عاد إلى المغرب ، ونزل بقرطاجية . وكان حجة لا يبارى في الشريعة والحديث وعلوم الدين .
واشتهر أبو مدين أثناء حياته بكراماته . وسمع به الخليفة الوحدي يعقوب المنصور ، وبما يتمتع به من
واسع الشهرة والنفوذ ، فأمر باستدعائه إلى مراكش ، فأخذ إلى الخليفة ، ولكنه توفي في طريقه على
مقربة من تلمسان وذلك في ربيع الأول سنة ٥٩٩ هـ . ودفن برابطة العباد ضاحيتها . وما زال ضريحه
لي اليوم مزاراً يقصده الألوف من الزوار من سائر أنحاء المغرب .

(٣) الزيادة من نفح الطيب (ج ٣ ص ١١٢) . (٤) الزيادة من نفح الطيب .

ولا استُشعر منه شعور^(١). ويقال إن هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين. ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتحاية، فهدوا، طريق الصحراء بحفر الآبار. وتأمين التجار. واتخذوا طَبْل الرَّحِيل، وراية التَّقْدَم عند المسير. وكان ولد^(٢) يحيى. الذى كان أحدهم أبو بكر. خمسة رجال. فقتلوا الشَّرْكَةَ بينهم فيما مَلَكَوْهُ، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال. وكان أبو بكر ومحمد. وهما أرومًا نسي من جميع جهات [الأم والأب]^(٣) يتلسمان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد^(٤) وعلى. وهما شقيقاهم الصغيران. بأى والاتن^(٥) فاتخذوا هذه الأقطار والحوائط والديار. فترجوا [النساء]^(٦). واستولدوا الإماء. وكان التلمسان يبعث إلى الصَّحْرَاوى^(٧) [بما يرسم له من السلع. ويبيعث إليه الصَّحْرَاوى بالجِلْد والعاج والجُوز والتَّبر، والسَّجْلَمَاسَى كِلَاسَان الميزان]^(٨) يعرفهما بقدر الرُّجْحَان والخُسران، ويكاتهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان. حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت فى الفخامة أحوالهم، ولما افتتح التَّسْكُرُور [كورة]^(٩) أى والاتن وأعمالها، أُصِيبَت أموالهم، فيما أُصِيب من أموالها، بعد أن جَمَعَ من كان بها منهم إلى نفسه الرِّجال، ونَصَبَ [دون ماله]^(١٠) القتال. ثم اتصل بملكهم فأكرم مشواه، ومكَّنه

(١) وردت فى المخطوطين (شهور) والتصويب من النفح.

(٢) هكذا فى «ج» والنفح. وفى «الزيتونة» (أولاد).

(٣) فى النفح (أبى وأمى).

(٤) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (عبد الرحمن) والتصويب من النفح.

(٥) هذه الكلمة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة». وأى والاتن موضع بالصحراء.

(٦) الزيادة من النفح.

(٧) فى «ج» (الصحراء). والتصويب من النفح.

(٨) ما ورد بين الحاصرتين كله ساقط فى «ج» و «الزيتونة» ووارد فى النفح.

(٩) الزيادة من النفح.

(١٠) هكذا وردت فى «ج». وفى النفح (دونها دف مالم).

من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصدیق الأحب ، والخلاصة الأقرب . ثم صار يكتب مَنْ بتلسان ، يَسْتَقْضِي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندي من [كُتِبَهُ] ^(١) وكُتِبَ الملوك بالمغرب : ما ينبغي عن ذلك . فلما استوثقوا ^(٢) من الملوك ، تذلت ^(٣) لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوق الحصر والعَدَّ ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر ^(٤) | كانت تجلب لها من المغرب | ^(٥) ما لا بال له من السلع ، فيمّاوض عنه | بما له بال من الثمن | ^(٦) . [ثم قال أبو مدين] ^(٧) « الدنيا ضم جنب أبي حمو ، وشمل ثوبه . كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ، ويأتون بالتبر الذى كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتى إليها بما يضمحل عن قريب وينهب ، إلى ما يُغير من العوايد ، ويجرّ السفهاء إلى المفاسد » ^(٨) .

ولما هلك هؤلاء الأشياخ ، جمل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم [ولم يقوموا] ^(٩)

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) وردت في «ج» «است تقوى» وفي «الزيتونة» (استانوى) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (ذلت) .

(٤) إن الإشارة إلى أهل مصر هنا مما يستوقف النظر ، ويحمل على الاعتقاد بأن التجار المصريين ، كانوا في ذلك العصر (القرن الرابع عشر الميلادى) يؤمون هذه الأقطار (ممالك السودان الغربى) بكثرة .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النسخ (كان تجلب إليها من المغرب) .

(٦) وردت هذه العبارة في «ج» (بمال ومال من الثمن) . وفي «الزيتونة» (بمال من الثمن) . والتصويب من النسخ .

(٧) هذه العبارة واردة في المخطوطين ، وساقطة في النسخ .

(٨) وردت هذه الفقرة التى بين الشولتين في المخطوطين وفي نسخ الطيب ، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ . ولم نفهم حكمة نسبتها هنا إلى الشيخ أبي مدين . وهى على العموم ظاهرة الإضطراب .

(٩) وردت في المخطوطين (ويقولوا) . والتصويب من النسخ .

بأمر التتمير قيامهم ، وصادفوا توالى الفتن ، ولم يسلّوا من جور السلطان^(١) ، فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان [فما أنا ذا لم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة . ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، فتهرّغتُ بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبتُ أهل البلد لقاءً ، وأخذت عن بعضهم عرّاضاً وإلقاءً ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن]^(٢)

حاله

هذا الرجل مشارٌ إليه بالمُدوة المغربية^(٣) اجتهداً ، ودُؤوباً ، وحفظاً وعنايةً ، وإطلاعا^(٤) ، وتقللاً ونزاهةً ، سليمُ الصدر ، قريبُ النور ، صادقُ القول ، مسلوبُ التصنع ، كثيرُ الهشة ، مفرطُ الخفة ، ظاهرُ السداجة ، ذاهبُ أقصى ، مذاهبُ التخلق ، محافظٌ على العمل ، منابرٌ على الانقطاع ، حريصٌ على العبادة ، مضائقٌ في العمد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقةً ، ثم يُغافض الوقت فيها ، ويوقعها دُفعةً متبعاً إياها زعقةً التكبير ، برجةً ، ينبو عنها سمعٌ من لم يكن تأنس بها عادةً ، بما هو دليل على [حُسن]^(٥) المعاملة ، وإرسال السجية ، قديمُ النعمة ، متصلُ الخيرية ، مكبٌ على النظر والدرس والقراءة ، معلومُ الصيانة والعدالة ، منصفٌ في المذاكرة ، حاسرُ النواع عند المباحثة ، راحبٌ عن الصدر في وطيس المناقشة ، غيرُ [مختار]^(٦) للقرن ، ولا ضانٌّ

(١) في النفح (السلطين) .

(٢) هذه الفقرة التي بين الخاصرتين لم ترد في المخطوطين ، ونقلناها عن النفح .

(٣) وردت في المخطوطين (الغربية) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (اضطلاحاً) .

(٥) هذه الزيادة من النفح .

(٦) هذه الزيادة من النفح .

بالفايدة . كثير الالتفاف ، متقلب الحدة^(١) . جبير بالحجة ، بعيد عن المراء والمباهنة ، قائل^(٢) بفضل أولى الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على العربّية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتمجر^(٣) . يحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشرح مصيباً في ذلك [غرض الإجابة]^(٤) . ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين^(٥) فيها . شرّق وحجّ ، ولقى جلة ، واضطّبن^(٦) رحلة مفيدة ، ثم آب إلى بلده ، فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم . فلما ولي ملك المغرب السلطان ، محالف الصنع ونشيدة الملك ، [وأثير الله من بين القرابة والإخوة]^(٧) أمير المسلمين أبو عنان فارس ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحكم^(٨) ، ولأن [الكلمة ، وآثر التّسديد ، وحمل الكلّ ، وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة ، وأحبته]^(٩) الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم ، فرأيت من صبره [على اللدّ ، وتأتيه للحجيج]^(١٠) ورفقه بالخصوم ، ما قضيت منه العجب .

(١) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الحدافة) ، والتصويب من النفع .

(٢) وردت في «ج» (قائد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يتحين) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه الزيادة من النفع .

(٥) وردت في «ج» (بالزريق) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٦) وردت في «ج» (واضطرب) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٧) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي النفع (الحق) .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في «ج» و «الزيتونة» . ووارد في النفع .

(١٠) هذا وارد في «ج» والنفع ، وساقط في «الزيتونة» .

دخوله غرناطة

ثم لما أُخِرَّ عن القضاء، استعمل بعد لأى في الرسالة . فوصل الأندلس ،
 أوائل جمادى الثانية من عام ست وخمسين وسبعمائة . فلما قَضَى عرض الرسالة ،
 وأُتِرَ مَعْقِدُ وَجْهَتِهِ . واحتلَّ مَالِقَةَ في مُنْصَرَفِهِ ، بَدَأَ لَهُ في نَبَذِ السَّكُلَةِ ، واضطَّرَّ رَاح
 وظيفته الخدمية ، وحلَّ التَّقِيدَ ، إلى ملازمة الإمرة ، فتقاعد ، وشهر غرضه ،
 وبَتَّ في الانتقال ، طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلَّى بينه وبين همه .
 وترك وما انتحله ^(١) من الانقطاع إلى ربه . وطار الخبر إلى مُرْسَلِهِ ، فأنف من
 تخصيص إيالته بالمجرة ، والعدول عنها ، بقصد التَّخْلِ والعبادة ، وأنسك ما تحله ^(٢)
 غاية الإنكار ، من إبطال عمل الرسالة ، والانتقباض قبل الخروج عن العهدة ، فَوَغَّرَ
 صدره على صاحب الأمر . ولم يُبْعِدْ حَمْلَهُ على الظَّنة والمواطاة على النفرة ، وتجهزت ^(٣)
 جملة من الخدَّام المُجَلِّين ^(٤) في مَازِقِ الشُّبْهَةِ المَظْطَلَمِينَ بإقامة ^(٥) الحجَّة ، مؤلِّين
 خِطَّةَ الملام [مُخَيَّرِينَ بين سحايب عاد من الإسلام] ^(٦) . مَظَنَّةَ إِغْلَاقِ النِّعْمَةِ ^(٧) ،
 وإيقاع المُثْلَةِ ، والإساءة ^(٨) بسبب القطيعة والمُنَابَذَةِ . وقد كان المترجمُ به لحق
 بفرناطة فتذمَّم بمسجدها ، وجار بالانقطاع إلى الله ، وتوعد من يُجِيرُهُ ، بنكير
 من يُجِير ولا يُجَارِ عليه [سبحانه] ^(٩) فأهمَّ أمره ، وشغلت القلوب أبدته ، وأمسك

(١) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» و «الزيتونة» (انتحل) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . و «الزيتونة» . وفي النسخ (ما حقه) .

(٣) وردت في «ج» (تجهز) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (المجبلين) .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (لاقالة) . والتصويب من النسخ .

(٦) هذه العبارة وردت بحرف في «ج» و «الزيتونة» . واتبعنا فيها نص النسخ .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» والنسخ (النعمه) والأولى أرجح .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» والنسخ (الإشادة) والأولى أرجح .

(٩) الزيادة من النسخ .

الرسل بخلال ما صدرت شفاعته [اقتضت له رفع التبعة] ^(١) ، وتركه إلى تلك الوجهة .

ولما تحصل ما تيسر من ذلك ، انصرف محمّوفاً بعالمى ^(٢) القطر ، قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المترجم به قبله ، والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج ، مستهلين ^(٣) لوروده ، مشافهين للشفاعة فى غرضه ، فأقشمت الغمة ، وتنفست الكربة . [وجرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة ، ما تضمنه الكتاب المسمى « بكُناسة الدُّكان بعد انتقال السُّكان » المجموع بسلا ^(٤) ما صورته ^(٥) :

« المقام الذى يجبُ الشَّفاعَةُ ، ويرعى الوسيلة ، ويُنجز العُدَّة ، ويتم الفضيلة ، ويُضفى مجده المنّ الجزيلة ، ويُبيّ حمدُه المادح العريضة الطويلة . مقام محلُّ والدنا الذى كرمُ مجده ، ووضح سعده ، وصحَّ فى الله تعالى عقده ، وخلّص فى الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمدُه ، السلطان السكزا ^(٦) ابن السلطان السكزا ابن السلطان السكزا . أبقاء الله سبحانه لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرمُ مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (اقتضى فيها رفع التبعة) .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و النسخ . ووردت فى «ج» (يعلمى) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (مسلمين) والأول أرجح .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) إن الرسالة التالية لم ترد فى المخطوطين . وقد أوردتها المقرئ فى نصح الطيب مباشرة ضمن ترجمة جده ، وهى التى نقلها بلا ريب من مخطوط أكل من «الإحامة» . ومن ثم فقد رأينا من الواجب إكمال الترجمة بإيراد هذه الرسالة ، معتمدين فى ذلك على نصها الذى أورده المقرئ ، وكذلك على نصها الأصيل الوارد بكتاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) . (راجع نصح الطيب ج ٣ ص ١١٣ و ١١٤ وكناسة الدكان - القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٧) .

(٦) المقصود بالسلطان الكذا هنا ، هو السلطان فارس أبو عنان المربى ابن السلطان

إبى الحسن الكبير ، ملك المغرب المتوفى فى أواخر سنة ٥٧٥٩ هـ .

مُعَظَّمُ سُلْطَانِهِ الْكَبِيرِ ، وَمُمَجَّدُ مَقَامِهِ الشَّهِيرِ ، الْمُتَشَيِّعُ لِأَبَوْتِهِ الرَّفِيعَةِ ، قَوْلًا
بِاللِّسَانِ ، وَاعْتِقَادًا بِالضَّمِيرِ ، الْمُعْتَمِدُ مِنْهُ بِعَدَدِ اللَّهِ عَلَى الْمُلْجَأِ الْأَمْنِيِّ ، وَالْوَلِيُّ
النَّصِيرِ . فَلَانٌ ^(١) . سَلَامٌ كَرِيمٌ ، طَيِّبٌ بَرٌّ عَمِيمٌ ، يُنْخَصُّ مَقَامُكُمْ الْأَعْلَى ،
وَأَبَوْتُكُمْ الْفَضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ ، الَّذِي جَعَلَ الْخُلُقَ اخْتِيْدَةً دَلِيلًا عَلَى عَيْنَانِهِ بَيْنَ حَلَاةٍ خُلَاهَا ،
وَمِيزَ بِهَا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ ، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِكَرَامَتِهِ وَتَوَلَّاهَا ، حَمْدًا يَكُونُ كُفْوًا لِلنَّعْمِ الَّتِي
الَّتِي أَوْلَاهَا ، وَأَعَادَهَا وَوَالَاهَا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ ، الْمُتَرَقَّى مِنْ دَرَجَاتِ الْاِخْتِصَاصِ أَرْفَعَهَا وَأَعْلَاهَا ، الْمُعْتَازُ مِنْ أَنْوَارِ
الْهُدَايَةِ بِأَوْضَحِهَا وَأَجْلَاهَا ، مُطْلِعُ آيَاتِ السَّعَادَةِ يَرُوقُ مُجْتَنِّلَاهَا . وَالرَّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ خَبَرَ صَدَقَ ضَاهِرُهُمْ لَمَّا ابْتَلَاهَا ، وَعَسَلُ ذِكْرُهُمْ فِي الْأَفْوَاهِ فَمَا أَعْدَبَ أَوْصَافُهُمْ
عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَحْلَاهَا . وَالِدَعَاءُ لِمَقَامِ أَبَوْتِكُمْ ، حَرَسَ اللَّهُ تَعَالَى عُقْلَاهَا ، بِالسَّعَادَةِ
الَّتِي يَقُولُ الْفَتْحُ أَنَا طَلَّاعُ الثَّنَايَا وَابْنُ جَلَّالِهَا ، وَالصَّنَائِعِ الَّتِي تَخْتَرِقُ الْمَقَاوِزَ بِرُكَائِبِهَا
الْمُبَشِّرَاتِ فَتَقْلَى فَلَاهَا . فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عَزَّةً مُشِيَّةً
الْبِنَاءِ ، وَحَشَدَ عَلَى أَعْلَامِ صَنَائِعِكُمُ السَّكْرَامِ جِيُوشَ الثَّنَاءِ ، وَقَلَّدَكُمْ قَلَانِدَ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ ، مَا يَشْهَدُ لِدَا تَسْكُمُ مِنْهُ بِسَابِقَةِ الْاِعْتِنَاءِ . مِنْ خَمْرَاءِ غَرَنَاطَةِ حَرْسِهَا اللَّهُ ،
وَالْوُدُّ بَاهِرِ السَّنَاءِ ، مُجَدِّدٌ عَلَى الْأَنْوَاءِ ، وَالتَّشْيِيعُ رَحْبُ الدَّسِيعَةِ وَالْفَنَاءِ .

وَإِلَى هَذَا ، وَصَلَّ اللَّهُ تَعَالَى سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مُجَدِّكُمْ ، فَإِنَّا خَاطَبْنَا مَقَامَكُمْ
السَّكْرِيمَ ، فِي شَأْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَافِرِيِّ ، خَارِ اللَّهُ تَعَالَى
لَنَا وَلَهُ . وَبَلَّغَ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلَهُ ، جَوَابًا عَمَّا صَدَرَ مِنْ مُثَابِقَتِكُمْ فِيهِ ، مِنْ
الْإِشَارَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ ، وَالْمَارَبِ الْمُعْمَلَةِ ، وَالْقَضَايَا غَيْرِ الْمَهْمَلَةِ ، نُصَادِرُكُمْ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي

(١) هُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ الْغَنِيُّ بِاللَّهِ مَالِكُ غَرَنَاطَةِ (الْأَنْدَلُسِ) الَّذِي حَكَمَ مِنْذُ سَنَةِ ٧٥٥ هـ ،

وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٣ هـ ، وَالَّذِي يُخَصُّهُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي بَدَايَةِ هَذَا الْمَجْلَدِ بِتَرْجُمَةٍ مُسْتَفِيزَةٍ .

مِثْلُهَا بِأَبْوَابِكُمْ لَا يُرَدُّ ، وَظَمَّاهَا عَنْ مَنْهَلِ قَبُولِكُمْ لَا تَجْلَى وَلَا تُصَدُّ ، حَسْبَاسَنَّهُ
الْأَبُ الْكَرِيمُ وَالْجَدُّ ، وَالْقَبِيلُ الَّذِي وَضُحُّ مِنْهُ فِي الْمَسْكَرِ : الرِّسْمُ وَالْحَدُّ .
وَلَمْ نَصْدِرِ الْخُطَابَ حَتَّى ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَحْوَالِهِ صَدَقُ الْمُخَيَّلَةِ ، وَتَبَلَّجَ صُيُحُ الزَّهَادَةِ
وَالْفَضِيلَةِ ، وَجُودُ النِّفْسِ الشَّحِيحَةِ بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى الْبَخِيلَةِ . وَظَهَرَ تَخَلُّيهِ عَنِ
هَذِهِ الدَّارِ ، وَاخْتِلَاطِهِ بِاللَّغِيفِ وَالْغُمَارِ ، وَإِقْبَالِهِ عَلَى مَا يُعْنَى مِثْلُهُ مِنْ صَلَةِ الْأَوْرَادِ ،
وَمَدَاوِمَةِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَكُنَّا لَمَّا تَعَرَّفْنَا إِقَامَتَهُ بِمَالِقَةِ هَذَا الْغَرَضِ الَّذِي شَهَرَهُ ،
وَالْفَضْلَ الَّذِي أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ وَأَظْهَرَهُ ، أَمَرْنَا أَنْ يُعْتَنَى بِأَحْوَالِهِ ، وَيُعَانِ عَلَى فِرَاقِ
بَالِهِ ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ سَيْبٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَعْشَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَصَرِيحِ مَالِهِ ، وَقَلْنَا
أَمَّا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٌ مُسْتَنْدُ صَحِيحٍ لَاسْتِدْلَالِهِ ، فَفَرَّ مِنْ مَالِقَةٍ عَلَى مَا تَعَرَّفْنَا
لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقَعْدَ بِحَضْرَتِنَا مُسْتَوْرِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَسَبِ ، وَسَكَنَ بِالْمَدْرَسَةِ بَعْضَ
الْأَمَاكِنِ الْمَعْدَّةِ لِسَكْنَى الْمُتَسَمِّينَ بِالْخَيْرِ ، وَالْمُحْتَرِفِينَ بِبِضَاعَةِ الطَّلَبِ ، بِمَعِثِ
لَمْ يُتَعَرَّفْ وَرُودُهُ وَوَصُولُهُ إِلَّا مِنْ لَا يُؤْبَهُ بِتَعْرِيفِهِ ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ زَوَائِدُهُ وَأَصُولُهُ
لِقَلَّةِ تَصْرِيفِهِ . نَحْمُ تَلَا حَقَّ إِسْرَاسِكُمْ الْجِلَّةِ ، فَوَجِبَتْ حَيْثُ الشَّفَاعَةُ ، وَعُرِضَتْ
عَلَى سَوَاقِ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْإِسْتِطَافِ وَالْإِسْتِعْطَافِ الْبِضَاعَةِ ، وَقَرَرْنَا
مَا تَحَقَّقْنَاهُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَانْتِبَاضَهُ عَنْ زَيْدِ الْخَلْقِ وَعُمَرِهِ ، وَاسْتِقْبَالَهُ الْوُجْهَةِ الَّتِي مِنْ
وَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَهَا فَقَدْ آتَرَأْتِيرًا ، وَمَنْ ابْتِغَاهَا بِمَتَاعِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ نَالَ فَضْلًا كَبِيرًا ،
وَخَيْرًا كَثِيرًا ، وَسَأَلْنَا مِنْكُمْ أَنْ تَبِيحُوهُ ذَلِكَ الْغَرَضَ الَّذِي رَمَاهُ بِعِزِّهِ ، وَقَصَّرَ
عَلَيْهِ أَقْصَى هَمِّهِ . فَمَا أُخْلِقَ مَقَامَكُمْ أَنْ يَفُوزَ مِنْهُ طَالِبُ الدُّنْيَا بِسَهْمِهِ ، وَيَحْصُلَ مِنْهُ
طَالِبُ الْآخِرَةِ عَلَى حِظِّهِ الْبَاقِي وَقَسْمِهِ ، وَيَتَوَسَّلَ الزَّاهِدُ بِزَهْدِهِ وَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ ، وَيَعُوَّلُ
الْبَرِيءُ عَلَى فَضْلِهِ . وَيَثِقُ الْمَذْنُوبُ بِحِلْمِهِ . فَوَصَلَ الْجَوَابَ الْكَرِيمَ بِمَجْرَدِ الْأَمَانِ ،
وَهُوَ أَرْبٌ مِنْ آرَابٍ ، وَفَائِدَةٌ مِنْ جِرَابٍ ، وَوَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ إِعْرَابٍ ، فَرَأَيْنَا
أَنْ الْمَطْلَ بَعْدَ جَفَاءٍ ، وَالْإِعَادَةَ لَيْسَ بِثِقَلِهَا خِفَاءً ، وَلِجَدِّكُمْ بِمَا ضَمَّنَا عَنْهُ وَفَاءً ،

وبادروا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وأن يقتضى له نعمة المقصد ، ويبلغ طية الإسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لئله ممن تعلق بجناب الله : من مثلكم حاصلًا ، والذين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالبنا كيمياء السعادة بإعانتكم واصلًا . ولما مدت اليد في تسوية حالة هديكم عليها أبدأ بحرّض ، وعلّكم يصرّح بمزيتها ولا يُعرض ، فكلّوا أبقاكم الله ما لم تسمنا فيه مشاحة الكتاب ، وألحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة ، فهو أصحّ حديث في الباب ، ووفّوا غرضنا من مجدكم ، وخلّوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتّشهير ليوم العرّض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب ، الذي تعلق به ، أعلق الله به يديكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكتملة الآواب . وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقتضى خلاصها بالرّغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان . ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الرُّكّاب بسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تؤلّون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجليل ، ويربّي على التأمّل ، ويكتب على الودّ الصريح العقد وثيقة التّسجيل . وهو سبحانه يُبقيكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرّفد الجزيل . والسلام الكريم ينخص مقامكم الأعلى ، ومنابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته . في الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخسين وسبعمائة [والله ينفع بقصده ، وييسر علينا الرجعة إلى وجهه وفضله] (١)

مشيخته

قال : فَمِمَّنْ أَخَذْتُ عَنْهُ ، واستفدت منه علماها (٢) [يعنى تلمسان] (٣)

(١) هذه الجملة واردة في المخطوطين دون الرسالة .

(٢) وردت في «ج» (علماها) . وفي «الزيتونة» (علميا) . والتصويب من نفع الطيب .

(٣) الريادة من نفع الطيب . وهى لازمة لاستقامة السياق .

الشاخان ، وعالمها الراسخان ، أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ،
 إبننا محمد بن عبد الله بن الإمام ، وحافظها ومدرسها ومفتيها أبو موسى عمران بن
 موسى بن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين ، أبي علي ناصر الدين علي إبنته ،
 ومشكاة الأنوار التي [يكاد زيتها] ^(١) يضيء ولو لم تمسه نار ، الأستاذ أبو إسحاق
 إبراهيم بن حكيم الكِنَاني السَّلوِي رحمه الله . ومنهم القاضي أبو عبد الله
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن ^(٢)
 البرُّوني ، وأبو عمران موسى بومِن المصَّودي الشهير بالبخاري . قال سمعت
 البرُّوني يقول : كان الشيخ أبو عمران يُدرِّس البخاري ، ورفيق له يدرِّس صحيحَ
 مُسلم ، وكنا يُعرفان بالبُخاري ومُسلم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهودُ عليه
 بالإعذار فيهما ، فقال له أبو عمران أتمكَّنهُ من الإعذار في الصَّحيحين ، البُخاري
 ومُسلم ، فضحك القاضي ، وأصلح بين الخصمين . ثم قال ، ومن شيوخ الصلحاء
 الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي
 الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيَّار . ومنهم أبو عبد الله بن محمد السَّكرموني ، وكان
 بصيراً بتفسير الرؤيا ، فمن عجائب شأنه ، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف
 ابن عبد الحق [مع من] ^(٣) كان فيه ، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى
 أبا جمعة على التَّلالِسي الجرايجي منهم ، كأنه قائم على ساقيةٍ دائريةٍ ، وجميع أقداحها
 وأقواسها تصب [في] ^(٤) نَقيِر في وسطها ، فجاء ليشرب ، فاغترف الماء ، فإذا
 فيه فَرثٌ ودَمٌ ، فأرسله ، واغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل
 إلى خاصَّة ماء ، فجاءها وشرب منها . ثم استيقظ ، [وهو النهار] ^(٥) ، فأخبره ، فقال

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (زيتها يكاد) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (الحسين) .

(٣) وردت في المخطوطين (ن) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (من) والتصويب أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

إن صدّقت الرؤيا ، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن . قال كيف ، قال
الساقية الزمان ، والتّغير السلطان ، وأنت جراحى ، تدخل يدك فى جوفه فينالها
الفرث والدّم ، وهذا ما لا يحتاج معه [إلى دليل] ^(١) ، فأخرج ، فوجد السلطان
مطمونا بمنجبر ، فأدخل يده فى جوفه ، فناله الفرث والدّم ، فخاط جراحته وخرج ،
فرأى خاصّة ماء ، ففسل يده وشرب . ولم يلبث السلطان أن توفى ، وسرّحوا من
كان فى سجنه . ومن أشياخه الإمام نسيجٌ وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم
ابن أحمد الأبلّى التلمسانى ، وهو رُحلة الوقت فى القيام على الفنون العقلية ،
وإدراكه وصحة نظره .

حدث قال : قدّم على مدينة فاس ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى ،
عُرف بن المُسَفّر . رسولا من صاحب بجاية . وزاره الطلبة ، فكان ممّا ^(٢) حدّثهم
أنهم [كانوا] ^(٣) على زمان ناصر الدين ، يستشكّون كلاماً وقع [فى] ^(٤)
تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين ، واستشكاه الشيخ معهم . وهذا نصه :
ثبّت فى بعض العلوم العقلية ، أن المركّب مثل البسيط فى الجنس ، والبسيط مثل
المركّب فى الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل . فأخبروا بذلك الشيخ الأبلّى
لما رجعوا إليه ، فتأمّله ثم قال ، هذا كلام مُصَحَّف ، وأصله أن المركّب قبل
البسيط فى الحِسِّ ، والبسيط قبل المركّب فى العَقْل ، وإن الحِسَّ أقوى من العقل ،
فأخبروا ابن المُسَفّر ، فأجَبَ : فقال لهم الشيخ ، التمسوا النسخ ، فوجدوا فى لَفْظ
بعضها كما قال الشيخ .

(١) أضفنا هذه العبارة لاستقامة المعنى والسياق .

(٢) وردت فى «ج» (معن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

رحلته

رحل إلى بجاية مُشَرَّفًا ، فلقى بها جلَّةً ، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، ابن المُسَفَّر . ومنهم قاضيا أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزَّوَاوِي ، فقيه ابن فقيه . ومنهم أبو علي حسن بن حسن إمام المَعْقُولَات بعد ناصر الدين . وبتونس قاضي الجماعة وفقهها أبو عبد الله بن عبد السلام ، وحضر دروسه ، وقاضي المناكح أبو محمد اللخمي ، وهو حافظُ فقهاها في وقته ، والفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول . ثم حجَّ فلقى بمكة إمام الوقت ^(١) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّوَزْرِي المعروف بخليل ، وإمام المقام أبا العباس رضى الدين الشافعي ، وغير واحد من الزايرين والمجاورين وأهل البلد . ثم دخل الشام ، فلقى بدمشق ، شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية ، وصدر الدين الغماري ^(٢) المالكي ، وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم . وببيت القدس أبا عبد الله بن مُثَبَّت ^(٣) ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان ، وغيرهم .

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ، ضمَّها كل أُصِيل من الرأى والمباحثة . ودوَّن في التَّصَوُّف ، إقامة المُريد ، ورحلة المُتَبَتِّل ، وكتاب الحقائق والرقائق ، وغير ذلك .

شـمـره

نقلتُ من ذلك قوله . هذه لحةُ العارض لتسكلة [أُنْفِيَّة] ^(٤) ابن الفارض ،

(١) وردت هذه الكلمة في «ج» (الموقف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطين (الغازي) والتصويب من النفع .

(٣) وردت هكذا في «ج» والنفع . ووردت بحرفه في «الزيتونة» (منبت) .

(٤) الزيادة من النفع .

سَكَبَ الدهر من فرايدها^(١) مائة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على رُدِّها بحول الله
المعين .

من فصل الإقبال

رفضتُ السَّوى^(٢) وهو الطَّهارة عندما تَلَفَّتُ في مرط الهوى وهوزينتي^(٣)
وجنتُ الحَمَى وهو المَصْلَى مُيمِماً بِوُجْهَةِ قَلْبِي وَجْهَهَا وَهُوَ قِبَلَتِي
وَمَتُّ وَمَا اسْتَفْتَحْتُ إِلَّا بِذِكْرِهَا وَأَحْرَمْتُ إِحْرَاماً لَغَيْرِ تَجَلَّةٍ
فَدِينِي إِنْ لَاحَتْ رُكُوعٌ وَإِنْ دَنَتْ عَلَيَّ أَتْنَا فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ وَاحِدٌ
وَكَمْ مِنْ كَهْجٍ خُضْتُ ظِلْمَانَ طَاوِيَا إِلَيْهَا وَدِيْمُورٍ طَوَيْتُ بِرَحْلَةٍ
وَفِيهَا لَقِيتُ الْمَوْتَ أَحْمَرَ وَالْعِدَا مُرَّرَقَةً أَسْنَانَ الرِّمَاحِ وَحَدَّةٍ
وَيَدِي وَبَيْنَ الْعَدَلِ فِيهَا مَنَازِلُ تُنْسِيكَ أَيَّامَ الْفُجَّارِ وَمَوْئِدَةٍ
وَلَمَّا اقْتَسَمْنَا خَطَّتَيْنَا لِحَامِلٍ فَجَارٌ بَلَا أَجْرٍ وَحَامِلٌ بَرَّةٍ
خَلَامَسْمَعِي مِنْ ذِكْرِهَا فَاسْتَعْدَتْهُ فَعَادَ خَتَامُ الْأَمْرِ أَصْلَ الْقَضِيَّةِ
وَكَمْ لِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى مِنْ تَجَلٍّ يَقُولُ تَكْبِيرِي وَالْأَسَا سَالِمِ الْأَسَى
لَوْ أَنَّ بَحْوساً بَتَّ مَوْقِدَ نَارِهَا وَلَوْ كُنْتُ بُحْرًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَضْحَةٌ

(١) هكذا في النسخ . وفي «ج» (فوايدها) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (الهوى) .

(٣) ورد في المخطوطين هذا البيت فقط من القصيدة ، وهي في خمسة وثلاثين بيتاً . وقد أوردها المقرئ كاملة في نفع الطيب ، وذكر خلال حديثه عن جده ، أنه نقاشها عن «الإحاطة» . وكذا نقل بعدها من «الإحاطة» أربع قصائد طويلة أخرى من نظم جده . وقد رأينا نحن تكملة للنص الأصل ، أن ننقل هذه القصائد كلها (نفع الطيب ج ٣ ص ١٦٧ - ١٧٣) .

ولا هَدَمُ إِلَّاكَ شَيْدُ بَقْوَةِ
 عِلَامٍ مَزَاجُ رَكْبَتِ أَوْ طَبِيعَةِ
 وَإِلَّا فَأَنْتَ الدَّهْرُ صَاحِبُ قَعْدَةٍ
 أَمْ النَّارُ أَمْ دَسَّاسُ عِرْقِ الْأُمُومَةِ
 وَحَالِي أَقْوَى الْقَائِمِينَ بِحُجَّةٍ
 وَمَا شَاكَهُ مِعْشَارُ بَعْضِ شَكَايَتِي
 وَلَمْ أَنْسَهَا إِلَّا احْتَرَقَتْ بِلَوْعَةٍ
 جَوَايَ وَأَخْفَى الْوَجْدَ صَبْرَ الْمُوَدَّةِ
 أَحَبُّ أَفْلَى ذِكْرَهَا وَفَضِيحَتِي
 بِالْأَمْسِ وَسُلُّ حَرِّ الْجُلْفُونَ الْغَزِيرَةِ
 كَمَا شَاءَتْ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ الْهَزِيمَةِ
 وَأَعْدُو وَمَا يَعْدُو التَّفَجُّعُ خَطَّتِي
 مَسَاءَتُهَا فِي طَلِيٍّ طَيِّبِ الْمَسْرَةِ
 وَحُسْبُكَ أَنْ لَمْ يُخْبِرِ الْخَبْرَ رَوْيَتِي
 أَوْ أَمَ لَا رَى دَمٌ لَا بَقِيمَةٍ
 وَإِنْ تَرْضَ مِنْهَا الصَّبْرَ فَهُوَ بُغْيَتِي
 رِكَابُ مَلَامِي فَهُوَ أَوَّلُ مُحْنَتِي
 وَخَلُّوا سَبِيلِي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَلَوْ عَنِي
 وَلَكِنْ رَأَتْ ذَاكَ الْجَمَالَ فَجُنَّتِ
 وَرُشْدِي غَاوٍ وَالْعَمَايَاتِ عَمَّتِ
 وَرَاجَعْتُ أَبْصَارِي لَهُ وَبَصِيرَتِي

فَلَا رَدَمٌ مِنْ نَقِيبِ الْمَعَاوِلِ آمَنُ
 فَمِ تَقُولُ الْأَسْفِطَسَمَاتِ مِنْكَ أَوْ
 فَإِنْ قَامَ لَمْ يَنْبُتْ لَهُ مِنْكَ قَاعِدُ
 فَمَا أَنْتَ يَا هَذَا الْهُوَى مَا أَوْ هُوَا
 وَإِنِّي عَلَى صَبْرِي كَمَا أَنْتَ وَاصِفُ
 أَقْلُ الضَّنَى إِنْ عَجَّ مِنْ جَسَى الضَّنَى
 وَأَيْسَرُ شَوْقِي أَنْنِي مَا ذَكَرْتُهَا
 وَأَخْفَى الْجَوَى قَرَعُ الصَّوَاغِقِ مِنْكَ فِي
 وَأَسْهَلُ مَا أَلْقَى مِنَ الْعَذْلِ أَنْنِي
 وَأَوْجُ حَظْوَظِي الْيَوْمَ مِنْهَا حَاضِيُهَا
 وَأَوْجَزُ أَمْرِي إِنْ دَهْرِي كَلَّهَ
 أَرْوَحُ وَمَا يَلْقَى التَّأْسَفُ رَاحَتِي
 وَكَالْبَيْضِ بَيْضُ الدَّهْرِ وَالشُّمْرِ سَوْدُهُ
 وَشَأْنُ الْهُوَى مَا قَدِ عَرَفْتُ وَلَا نَسَلُ
 سَقَامٌ بَلَا بُرءٍ ضَلَالٌ بَلَا هَدْيٍ
 وَلَا عَتَبٌ فَلَا يَأْمُ لَيْسَ لَهَا رِضًا
 إِلَّا أَيُّهَا اللَّوَامُ عَنِي قَوِّضُوا
 وَلَا تَعْذِلُونِي فِي الْبُكَاءِ وَلَا الْبُكَايَ
 فَمَا سَكَسَكْتَ بِالْذَمِّ عَيْنِي إِنْ جَنَّتِ
 تَجَلَّى وَأَرْجَاءُ الرَّجَاءِ حَوَالِكُ
 فَلَمْ يَسْتَبِنْ حَتَّى كَانِي كَاسِفُ

ومن فصل الاتصال

وكم موقف لي في الهوى خُضت دونه
 فجاوزت في حدى مجاهدتى له
 وحلّ جالى في الجلال فلا أرى
 وغبت عن الأغيار في تيه حالتي
 وكاتبْتُ ناسوتى بأماراة الهوى
 وعلمُ يقينى صار عيناً حقيقة
 وبدلت بالتلّوين تمكين عزّة
 وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفى
 وكم جُلّت في سَمِّ الخياط وضاق بى
 وما اخترت إلا دنَّ بقراط زاهداً
 وفقرى مع الصبر اصطفت على الغنى
 وأكتم حبى ما كنى عنه أهله
 وإنى في جنسى ومنه لواحد
 تسببت في دعوى التوكل ذاهباً
 وآخر حَرْفٍ صار منى أولاً
 تعرّفت يوم الوقف منزل قومها
 فأصبحت أقضى النفس منها منى الهوى
 فبايعتها بالنفس داراً سكنتها
 فخلص الاستحقاق نفسى من الهوى
 فيا نفسُ لا ترجع تقطّع بيننا

عُباب الردى بين الطبا والأسنة
 مُشاهدتى لما مكمت بى همتى
 سوى صورة التّزئيد في كل صورة
 فلم أنبّه حتى امتّحت اسمى وكنيتى
 وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
 ولم يبق دونى حاجبٌ غير هيبتى
 ومن كل أحوالى مقامات رفعة
 مع المحو والإثبات عند تثبتى
 لبسلى وقبضى بسطوجه البسيطة
 وفى مَلَكُوت النفس أكبر عبرة
 مع الشكر إذ لم يحظ فيه مثنوى
 وأكنى إذا هم صرّحوا بالخبيّة
 كنوع ففصل النوع علة حصّتى
 إلى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
 مريداً وحرف فى مقام العبودة
 فبت شجيع سدّ خرق التشثت
 وأقضى على قلبى برعى الرعية
 وبالقلب منه منزلاً فيه حلّت
 وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
 ويا قلبُ لا تجزع ظفرت بوحدة

ومن فصل الإدلال

تبدب لعيني من جمالك لمحة أبادت فؤادي من سناها بلفحة
ومرت بسمي من حديثك ملححة تبدت لها فيك القرآن وقرت
ملامي ابن عذري استبين وجدى استعن سماعي أين حالي أين قائلتي أصمت
فمن شاهدي سخط ومن قائلتي رضا وتولين أحوالي وتمكين رقتي
مراعي إشارات مراعي تعكر مراقي نهايات مراعي تثبت
وفي موقفي والدار أقوت رسومها تقرب أشواقى تبعد حسرتي
معاني إمارات معاني تذكر مباني بدايات مناني تلمت
وبث غرام والحبيب بحضرة ورد سلام والريب بغفلة
ومطلع بدر في قضيب على تقا فويق محل عاطل دون دجية
وممكن سحر بابلي له بما حوت أضلعي فعل القنا السمرية
ومنت مسك من شقيق ابن منذر على سوسن غض بجنة وجنة
ورصف الآلى في اليواقيت كلما تل بصرف الراح في كل سخرة
سل السلسيل العنب عن طعم ريقه ونسكته يخبرك عن علم خبرة
وردمان كافور عليه طوابع من الندم لم تحمل به بنت مرنة
ولطف هواء بين خفق وبانة ورقة ماء في قوارير فضة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه سراقه لحظ منك للمتلفت
وأنت وإن لم تبق منى صباية منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسرى لمسمى وكل مليح منك يبدو لمقتلى
تهون على النفس فيك وإنها لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فإن تنظريني بالرضا تشفى علتى وإن تنظريني باللقا تطف غلتى

وإن تذكريني والحياة بقيدها
وإن تذكريني بعد ما أسكنُ الثرى
صليبي وإلا جددى الوعدُ تُدركي
فما أم يؤها لك بتـوقفـة
فلما رأته لا ينـزع خلفها
بكتُ كلما راحت عليه وأنها
بأكثر منى لوعةً غير أنى
فرحتُ كما أغدو إذا ما ذكرتها
أهون ما ألقاه إلا من القلى
أخوض الصلى أطفئ الملا والملا لا
ألا قاتل الله الحماة غـدوة
وقاتل مغلها وموقف شجوها
فغنت غناء أعجمياً فهيجت
فأرسلت الأجفان سُحباً وأوقدت
فطرت بصحراء البريقين نظرة
فيالها قابلاً شحياً ونظرة
وواعجباً للقلب كيف اعترأفه
وللعين لما سؤلت كيف أخبرت
وكنا سلكنا فى صعود من الهوى
إلى مستوى ما فوقه مستوى
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
مؤكدَةً بالنذر أيام عـمـه

عدلتُ لأمى مُنيتى بمنيتى
تجلت دُجاء عند ذاك وولت
صُباية نفس أيقنت بتفقت
أقيم لها خلف الحلاب فدرت
إذا هى لم ترسل عليه وضت
إذا ذكرته آخر الليل حنت
رأيت وقار الصبر أحسن حلية
أطامن أحشائى على ما أجنّت
هوى ونوى نيل الرضامك بغيتى
أصل السلا أوعى الخلى بين عبرتى
لقد أصلت الأحشاء نيران لوعة
على الغصن ماذا هيجت حين غنت
غرامى من ذكرى عهد تولت
جواى الذى كانت ضلوعى أكنت
وصلت بها قلبى فصل وصلت
حجازيةً لوجن طرف لُجنت
وكيف بدت أسراهُ خلف سيرة
وللنفس لما وطئت كيف دلت
يسامى بأعلام الملا كل رتبة
فلما توافيننا ثبت وزلت
على نحر قرُبان لدى قُبر شيبة
فلما توافيننا اشتدّت وحلت

ومن فصل الاحتمال

أزور اعتباراً أرضها بتدشك
وفي نشأتى الأخرى ظهرت بما علمت
ولولا خفاء الرمز لا وان ولم
ولولم يجدد عهدنا عقد خلة
بعثت إلى قلبى بشيراً بما رأت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما
فيالك من نور لو أن التفاتة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها
وتدبى أصل الربيع عن الربا
وتخبر أصوات البلبلى أنها
فهذا جمالى منك فى بعد حسرتى
تبدى وما زال الحجاب ولادنا
له كل غير فى تجلية مظهر
تجلى دليلى واحتجاب تنزى
فما شئت من شئ وآليت أنه
وفى كل خلق منه كل عجيبة
وفى كل خاف منه مكن حكمة
أراه يقلب القلب والألغز كامناً
وفى طى أوفاق الحساب وسرماً
وفى نفثات السحر فى العقد التى

وأقصد حجا بيتها بتحلة
له نشأتى الأولى على كل فطرة
تجودها لشملى مَسَكَا بتشتت
قضيت ولم يقض المنى صدق توبه
على قدم عيناى منه فكفت
جفا الشام من نور الصفات الكريمة
تعارض منه بالنفوس النفيسة
بما حملته من حُرَاقَة حُرَاقَة
وأشجاره إن قد تجلّت فجلّت
تغنّت بترجيعى على كل أُنْكَة
فكيف به إن قرّبتنى بخلة
وغاب ولم يُفقدّه شاهد حضرتى
ولا غير إلا ما نحت كف غير
وإثبات عرفان ومحو تنبث
هو الشئ لم تَحْمَدُ فجار أَلْبَتِى
وفى كل خلق منه كل لطيفة
وفى كل باد منه مظهر جَلْوَة
وفى الزجر والقال الصحيح الأدلة
يم من الأعداد فابدأ بسمة
تطوّع لها كل العبايع الأبيّة

يصور شكلاً مثل شكل ويعتلى عليه بأوهام النفوس الخبيثة
 وفي كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفي التثويم تجلج لرؤية
 وفي خضرة الكدون تزجي شرابه مواعيد عرقوب على أثر صفرة
 وفي شجر قد خوفت قطع أصلها فبان بها جمل لأقرب مدة
 وفي النخل في تلقيحه واعتبر بما أتى فيه عن خير البرية واسكت
 وفي الطابع السبق في الأحرف التي يبين منها النظم كل خفية
 وفي صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
 وفي حرز أقسام المؤذب محرز وحزب أصيل الشاذلي وبكرة
 وفي سيمياء الحاتمي ومذهب ابن سبعين إذ يعزى إلى شر بدنة
 وفي المثل الأولى وفي النحل الألى بها أو هموا لما تساموا بسنة
 وفي كل مافي الكون من عجب وما حوى الكون إلا ناطقاً بعجبية
 فلا سر إلا وهو فيه سريرة ولا جهر إلا وهو فيه كحلية
 مل الذكر عن إنصاف أصناف ما بقى عليه الكلام من حروف سليمة
 وعن وضعها في بعضها وبلوغها ما أتت فيه أمضى مدتها وتثبتت
 فلا بد من رمز الكنوز لدى الحجا ولا ظلم إلا ظلم صاحب حكمة
 ولولا سلام ساق للأمن خيفتي لعاجل مس البرد خوفي لميتني
 ولو لم تداركني ولكن بعدلها درجت رجائي أن نعتني خيبي
 ولو لم تواسني عنا قبل لم ولم قضى العتب مني بغية بعد وحشي
 ونم أقامت أمر ملكي بشكرها كما هونت بالصبر كل بليّة

ومن فصل الاعتقال

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي وسارت ولم تنن العنان بعاطفة

مُحْيَا ابْنَةَ الْحَيِّينَ فِي خَيْرِ لَيْلَةٍ
 لَمَّا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا كَيْتَ
 لِكُلِّ نَجَاشِي بِهَا حِصْنُ ذِمَّةٍ
 سَوَى وَقْفَةِ النَّوْدِيعِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ
 مَهَاوِي الْمَوَى وَالْهُونَ جِدُّ تَقَلُّتِي
 قَضَاءُ قُضَاةِ الْحُسْنِ قَدَمَا فَصَدَّتْ
 وَلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْهُ لَغَيْرِ تَعَالَى
 وَبَاطِلُ أَوْصَافِي وَحَقِّ حَقِيقَتِي
 وَنَوْعِي وَشَخْصِي وَالْمَوَادِّ وَصُورَتِي
 وَعَقْلِي وَرُوحَانِيَّتِي الْقُدْسِيَّةِ
 وَفِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُ مَعْنَى لِلْوَعْدِ
 وَأَمْرِي أَمْرِي وَالْوَرَى تَحْتَ قَبْضَتِي
 وَلَا وَقْتُ لِي إِلَّا مَشَاهِدُ غَيْبَةٍ
 مَنَاطُ الثَّرَيَّا مِنْ مَدَارِكِ رُؤْيِي
 يُلْقَنُ سَمْعِي مَا تُوسَّوسُ مُهْجَتِي
 كَأَنَّكَ نَوْرٌ فِي سِرَارِ سَرِيرَتِي
 كَأَنَّكَ فِي أَفْقِي كَوَاكِبُ زِينَةٍ
 وَأَنْتَ الَّذِي أَبْدِيهِ فِي حِينِ شَهْرَتِي
 وَمُرُّ أَمْتِلٍ وَأَمْتِلِ أَيْلٍ وَارْمِ اثْبُتْ
 لَعْنَتِي فِيهِ الدَّهْرُ مَوْقِعُ نُسْكُنَةٍ
 فَلَا تَنْتَسِي إِلَّا إِلَيْكَ بِمَنْقَرَةٍ
 أَوْ دُونَهُ مَا لَا يَنَالُ بِحِيلَةٍ

وَذَلِكَ لَمَّا أَطْلَعَ الشَّمْسُ فِي الدُّجَى
 يَمَانِيَّةً لَوْ أَنْجَدْتَ حِينَ اتَّجَدْتَ
 لِأَصْحَمَةٍ فِي نَصْحِهَا قَدَمِ نَبِي
 أَلِمْتَ فَخَطْتَ رَحْلَهَا نَمَ لَمْ يَكُنْ
 فَلَوْ مَحَمَّتْ لِي بِالتَّغَاتِ وَحُلْ مِنْ
 وَلَسَكُنْهَا هَمَّتْ بِنَا فَتَذَكَّرْتُ
 أَجَلْتُ خِيَالًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لَهْ
 عَلَى أَنْتَى كُلِّ وَبَعْضِ حَقِيقَةٍ
 وَجِدْنِي وَفَضْلِي وَالْعَوَارِضُ كُلُّهَا
 وَجِسْمِي وَنَفْسِي وَالْحَشَا وَغَرَامُهُ
 وَفِي كُلِّ لَفْظٍ عَنْهُ مَبِيلٌ لِمَسْمِي
 وَدَهْرِي بِهِ عَيْدٌ لِيَوْمِ عَرُوبَةٍ
 وَوَقْتِي شُهُودٌ فِي فِنَاءِ شَهِيدَتُهُ
 أَرَاهُ مَعِي حِسًّا وَوَهْمًا وَأَنَّهُ
 وَاسْتَعْمَهُ مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ كَأَنَّهُ
 مَلَأْتُ بِأَنْوَارِ الْحَبَّةِ بَاطِنِي
 وَجَلَّيْتُ بِالْإِجْلَالِ أَرْجَاءَ ظَاهِرِي
 فَأَنْتَ الَّذِي أَخْفِيهِ عِنْدَ تَسْتَرِي
 فَتَهْ أَحْتَمِلُ وَأَقْطَعُ أَصْلَ وَأَعْلَى اسْتَقْلَ
 قَلْبِي إِنْ جَاعَتَبَتْهُ فَيْكَ لَمْ أَجِدْ
 وَنَفْسِي تَنْبُو عَنْ سَوَاكَ نَفَاسَةً
 تَعَلَّقْتُ الْأَمَالَ مِنْكَ بِفَوْقِ مَا

وحامت حوالها وما وافقت حى
فلو فاتني منك الرضى ولحقتني
ولو كنت في أهل اليمن منما
وكم من مقام قت عنك مسائل
أتيت بفاراب أبا نصرها فلم
ولم يدر ما قولى ابن سيناء سائلا
فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى
لقد ضاع لولا أن تدار كنى حى
فقيض لى نهجا إلى الحق سالكا
فخصت أنظار الجند جنيدها
وكسرت عن رجل ابن آدم أذها
وعلت على حلاج سكرى بصلبه
فقوى مشكور ورأى ناجح
رضيت يعرفانى فعملت للعلا
فعثت ولا ضيرا أخاف ولا قلى
فها أنا ذا أمسى وأصبح بينهم
وأنشدنى قوله فى حال قبض وقيدتها عنه :

إليك بسلت السكف استنزل الفضلا
وما أنا ذا قد قدمت يقدمنى الرجا
ومنك قبضت الطرف استشرع الدلا
ويحجمنى^(٢) الخوف الذى خامر العقلا

(١) وإلى هنا انتهى ما نقلناه عن نفع الطيب من شعر جد المرقى الذى ورد فى «الإحاطة» وأغفله المخطوطان.

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة فى «ج» وفى «تريون» (حجى) وفى نفع العذب (ويحجى).

أَقْدَمُ رَجُلًا إِنْ يَفِي^(١) بَرَقُ مَطْمَعِ^(٢) وَتَظَلُّمُ أَرْجَائِي فَلَا أُنْقِلُ الرَّجُلَا
وَلِي عَثَرَاتُ لَسْتُ أَمَلُ أَنْ هَوَتْ بِنَفْسِي أَلَا أَسْتَقِلُّ وَأَنْ أُصَلِّي^(٣)
[فَإِنْ تَذُكَّنِي رَحْمَةً أُنْتَمَشَ بِهَا وَإِنْ تَسْكُنُ الْآخَرَى فَاوْلِي بِي الْأَوَّلَى]^(٤)

قال ، ومما نظمته من الشعر :

وَجَدْتُ^(٥) تَسْعَرُهُ الضُّلُوعُ عَ وَمَا تُبَرِّدُهُ الْمَدَامِعُ
هَمْ تَحْرَكُهُ الصُّبُوحُ بَةِ وَالْمَهَابَةُ لَا تُطَاوِعُ^(٦)
أَمَلِي إِذَا وَصَلَ الرَّجَا أَسْبَابَهُ فَلَمَوْتُ^(٧) قَاطِعُ
بِاللَّهِ يَا هَذَا الْهَمُّ مَا أَنْتَ بِالْعُمَّاقِ صَانِعُ

قال ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء :

نَحْنُ إِنْ تَسَأَلَ بَنَاسُ مَعِشَرِ أَهْلُ مَاءِ فَجْرَتِهِ الْمَهْمُ
عَرَبٌ مِنْ بَيْنِهِمْ أَرْزَاقُهُمْ وَمَنْ السُّرُّ الْبَطْوَالِ الْخَلِيمُ
عَرَضْتُ أَحْسَابَهُمْ أَوْوَا حِمِّهِمْ دُونَ نَيْلِ الْعَرِضِ وَهِيَ الْكَرَمُ
أَوْرَثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى أَتْنَا تَرْتَضِي الْمَوْتَ وَلَا تَزْدَحِمُ
مَا لَنَا فِي النَّاسِ مِنْ ذَنْبٍ سِوَى أَنَّنَا نَلْوِي إِذَا مَا اقْتَحَمُوا^(٨)

قال ، ومما قلته مذيلاً به قول القاضى أبى بكر بن العربى :

-
- (١) وردت في المخطوطين (يقضى) والتصويب من النفع .
(٢) وردت في المخطوطين (مظهر) والتصويب من النفع .
(٣) وردت في المخطوطين (أصلا) والتصويب من النفع .
(٤) هذا البيت وارد في النفع وساقط في المخطوطين .
(٥) وردت في «ج» (وحوث) . وفي «الزيتونة» (وحرة) . والتصويب من النفع .
(٦) وردت في «ج» (تطلم) وفي «الزيتونة» (تطامع) . والتصويب من النفع .
(٧) وردت في «ج» (خوف) . والتصويب من النفع .
(٨) هذه الأبيات وردت في النفع نقلا عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

أما والمسجدُ الأقصى وما يتلى به نصًّا
لقد رقصت بنات الشوق بين جوانحي رقصاً

قولي :

فأقلع بي إليه هوى جناحا عزَّمه قصًّا
أقلُّ القلب واستمدى على الجُنان فاستمع
فهمت أجول بينهم فلا أدنى ولا أقصى^(١)

قال ، ومما قلته في التورية بشأن راوى المدونة :

لا تعجبين لظبي^(٢) قد دها أسداً فقد دها أسداً من قبل سُحنون
قال ، ومما قلته من الشعر :

أُنبتُ هوداً بنمَاء بدأتُ بها فضلاً وألبستها بد اللحي الورقا
فظلُّ مُستشعراً مُستندِراً أُرْجَا رِيَّانَ ذابِهةً يستوقِفُ الحدقا
فلا تُشْنِه بِمَكْرُوهِ الجَفَى فليكم عودته من جميل من لدُنْ خُلُقَا
وأنفِ القَذَى عنه وأثر الدهر منبته وغدّه برجاء واسمه غَدَقَا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء وما طرَقَا^(٣)

ومما قيدتُ عنه أيام مجالسته ومقامه بغرناطة ، وقد أجرى ذكر أبي زيد
ابن الإمام ، أنه شهد مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن
ابن أبي حمّو ، ذكر فيه أبو زيد المذكور ، أن ابن القاسم مُقيّد بالنظر
بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عُمران بن موسى المشدالي ، وادّعى أنه
مُطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه

(١) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي النسخ . وفي «الزيتونة» (اصحى) .

(٣) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن الإحاطة . وهي ساقطة في المخطوطين .

لما ليس من قوله ، وآتى من ذلك بنظائر كثيرة . قال فلو تقيّد بمذهبه ، لم يخالفه لغيره . فاستظهر أبو زيد بنص^١ لشرف الدين بن التلمساني . ومثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم ، بالنظر إلى مذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي . فقال أبو موسى عمران ، هذا مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح به أبو زيد [ابن الإمام]^(١) وقال لأبي عبد الله بن أبي عمر تسكلم [فقال]^(٢) لا أعرف ما قال هذا القتيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم [أنه]^(٣) لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به ، فقال أبو موسى للسلطان ، هذا كلام أصولي مُحقق ، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السن ، ما أنصفهما الرجل ، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق ، كذلك يؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثم جاء ما قال هذا الشيخ ، أعني ابن أبي عمران . وكيف لا وهذا سيويه يقول ، وهذا مثال ولا يُتسكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً ، فلا يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل [لفساده]^(٤) فهذان القولان من أصل واحد .

وقال ، شهدت مجلساً آخر عند هذا السلطان ، قرئ فيه على أبي زيد [ابن الإمام]^(٥) حديث : لَقُمُوا مَوْتَائِكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، من صحيح مسلم . فقال له الأستاذ أبو إسحاق [بن حكم السّلوّى]^(٦) هذا الملقّن مُحْتَضَر حَقِيقَة ، مَيِّتٌ مجازاً فما وجه [ترك]^(٧) مُحْتَضِرِكُمْ إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ، فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه . وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت

(١) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هذا واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) هذا واردة في «ج» . وساقطة في الزيتونة .

(٧) الزيادة من النسخ .

زعم القرافى أن المشتق [إنما] ^(١) يكون حقيقة فى الحال . مجازاً فى الاستقبال .
 مختلفاً فيه فى الماضى . إذا كان محكوماً به . وأما إذا كان متعلق الحكم
 كما هنا ، فهو حقيقةً مُطلقاً إجماعاً ، وعلى هذا التقرير ، لا مجاز ولا سؤال .
 ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأننا نقول إنه نقل الإجماع .
 وهو أحد الأربعة ، التى لا يُطالب عنها ^(٢) بالدليل ، كما ذكر أيضاً . بل نقول
 إنه أساء حيث احتج فى موضع الوفاق ، كما أساء اللخنى وغيره فى الاحتجاج
 على وجوب الطهارة ونحوها . بل هذا أشنع لكونه مما علم كونه من الدين
 ضرورة . ثم إننا لو سلمنا فى الإجماع ، فلنا أن نقول إن ذلك [إشارة إلى] ^(٣)
 ظهور العلامات التى يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك ، إن لم يدهش ، فقد
 يُوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أى لقنوا [من] ^(٤) تحكون بأنه ميت .
 أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام ^(٥) . ألا ترى اختلافهم فيه ،
 هل هو أخذ من حضور الملائكة [أو حضور الأجل ، أو حضور الجلّاس] ^(٦) .
 ولا شك أن هذه حالة خفيفة ^(٧) يُحتاج [فى نصها إلى دلائل الحكمة] ^(٨) أو ^(٩)
 إلى وصفٍ ظاهر يضبطها . وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو

(١) وردت فى المخطوطين (لا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا فى المخطوطين . وفى النسخ (مدعيها) .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) ساقطة فى «ج» . وواردة فى الزيتونة .

(٥) هكذا فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» (الأنهام) .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط فى المخطوطين ووارد فى النسخ .

(٧) وردت فى «ج» (خفيفة) . وفى «الزيتونة» (حقيقة) والتصويب من النسخ .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وورد مقابلهما فى النسخ ما يأتى (فى نصها

دليلاً على الحكم) .

(٩) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

[أيضاً]^(١) مما لا يُعرف بنفسه ، بل بالعلامات . فلما وجب اعتبارها^(٢) . وجب كون تلك التسمية إشارة إليها . والله أعلم .

وقال ، وكان أبو زيد يقول^(٣) . فيما جاء من الأحاديث ، ما معنى قول ، ابن أبي زيد . وإذا سلم الإمام^(٤) ، فلا يلبث بعد سلامه ولينصرف ، وذلك بعد أن ينتظر من يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد : وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالدخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة .

وقلت ، وهذا من مُلح الفقيه^(٥) . وقال كان أبو زيد يعنى الإمام ، يُصحف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها ، فيقول ، والمفارقات^(٦) ، ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

وغررتني^(٧) وزعمت أنك لابن في الصيف تأمر

فقال :

وغررتني وزعمت أنك لا تني بالضيف تأمر

فقال ، أنت في تصحيفك أشهر من الخطيئة ، أو كما يحكي عن الشافعي أنه لما صلى في رمضان بالخليفة ، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف ، وقرأ الآية « صنعة الله أصيب بها من أساء . إنما المشركون نجس .

(١) ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٢) وردت في المخطوطين (اعتبارها) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (الفقه) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (والمقارنات) والتصويب من النسخ .

(٧) وردت في المخطوطين (وعورثني . وعورثني) والتصويب من النسخ .

وعدها إياه ، تقية لكم خير لكم . هذا أن دعوا للرحمان ولدا . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وقال ، ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً ، أنه سُئِلَ بالمشرق عن هاتين الشريعتين : «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم» ، ولو أسمعهم لتوَلَّوْا وهم مُعرضون» فإنهما يستلزمان بحكم الإلتزاج «ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون» [وهو] ^(١) محال . ثم أود أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكم ^(٢) ؛ قال الخوئجي ، والإهمال بإطلاق لفظه . لو وأن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مُهْمَلتان ، والمهملة في قوة الجزئية ^(٣) ، ولا قياس على جُزئيتين . فلما اجتمعت ببجاية بأبي على حسين بن حسين ، أخبرته بهذا ، وبما أجاب به الزمخشري وغيره ، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار ^(٤) الوسط . [فقال لي الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط] ^(٥) . وأخبرت بذلك [شيخنا] ^(٦) أبا عبد الله الآبلي ، فقال إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن [لا] ^(٧) يكون من جُزئيتين ولا سالتين ، إلى سائر ما يشترط . فقلت ما المانع [من كون هذه الشروط تفصيلاً لمُجْمَل ما يبنى عليه الوسط وغيره] ، وإلا فلا مانع ^(٨) لما قاله ابن حسين . قال الآبلي ؛ وأجبتُ بجواب السَّوَى ، ثم رجعتُ إلى ما قاله الناس ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الزيتونة (ابن الحكم) .

(٣) وردت في «ج» (الخيرية) وفي «الزيتونة» (الخيرية) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تكرير) . والأولى أيضاً .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» والنسخ . وساقط في الزيتونة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» والنسخ .

(٧) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٨) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» والنسخ . وساقط في «الزيتونة» .

نوجب كون مُهمات القرآن كَلِيَّة ، لأن الشرطية لا تفتج جزئية . فقلت هذا فيما يُساق منها للحجة مثل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . أما في مثل هذا فلا قلت . وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولى سبب تأخر ، حسبما تبين في مسألة ، لو لم يطع الله ، فليُنظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هُذَيْل رحمه الله .

وقال ، لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون ، نزيل طيبة ، على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

رأت قر السماء فأذكرتنى ليالى وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قرأً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

[ففكر ثم قال] ^(١) لعل هذا الرجل كان ينظر إليها ، وهى تنظر إلى قر السماء ، فهى تنظر إلى القمر حقيقة ، وهو لفرط الاستحسان يرى أنها الحقيقة . فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة . وأيضاً وهو ينظر إلى قر مجازاً ، وهو لإفراطه استحسانها ^(٢) يرى أن قر السماء هو المجاز ، فقد رأت بعينه لأنها ناظرة المجاز . قلت ، ومن هذا يُعلم وجه الفاء في قوله تعالى « فأذكرتنى أذكركم » والفاء فأذكرتنى [بمثابة قولك أذكرتنى] ^(٣) ، فتأمل ، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ، ينشده « وأذكرتنى » . فالفاء في البيت الأول ، مُنبّهة على الثانى ، وهذا النحو يسمى « الإيذان فى علم البيان »

وقال ، سألنى ابن حكم عن نسب هذا الجيب فى هذا البيت :

ومنهف الأعطاف قلتُ له انتسب فأجاب ما قتلُ الحب حرام .

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى النسخ . ومكانها فى المخطوطين (فقال) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة فى «ج» . وفى «الزيتونة» (استحسانه لإياها) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط فى المخطوطين . ووارد فى النسخ .

ففكرت ثم قلت له ، أراه تميمياً لإلفائه « ما » النافية . فاستحسنه مني [لصفر سني يؤمنذ]^(١) . وسأل [ابن فرحون]^(٢) ابن حكم يوماً ، هل تجدد في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت :

رأى^(٣) فخرام الوصل فامتنعت فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

ففكر ابن حكم ، ثم قال نعم قوله عز وجل « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فاصبغت كالضريم ، فتنادوا إلى آخرها » ، فنمت له البناء في [فتنادوا] . فقال لابن فرحون ، فهل عندك غيره ، فقال نعم ، قوله عز وجل « فقال لهم رسول الله ، ناقة الله وسقياها إلى آخرها » ، فنع لهم بناء الآخرة لقراءة الواو . فقلت له امنع [ولا تُسند]^(٤) ، فيقال إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع [الكلام]^(٥) عليه . وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد ، سواء بهذا الشرط وبدونه ، كقول نوح عليه السلام « فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم » . وكقول امرئ القيس « غشيت ديار الحى بالبكرات ، البيتين » لا يقال قوله ، فالحب سابع ، لأننا نقول إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة السنة أنها أول الأعداد الثامنة ، كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها . وشأن اللسان عجيب .

(١) هذه الإضافة من النفع .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من النفع .

(٣) وردت في « ج » (وائى) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه العبارة واردة في « ج » وساقطة في « الزيتونة » .

(٥) الزيادة من النفع .

وقال ، سمعت ابن حكيم يقول ، كتب^(١) [بعض]^(٢) أدباء [فاس]^(٣) إلى صاحب له :

إبعث إلى بشيء مدار فاس عليه
وليس عندك شيء مما أشيرُ إليه

فبعث [إليه]^(٤) ببطء من مَرَى شرب [يشير بذلك إلى]^(٥) الرياء
وحُدث أن قاضيها^(٦) أبا محمد عبد الله [بن أحمد بن الملقوم دعى]^(٧)
إلى وليمة ، وكان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر
غَضاراً من اللوز المطبوخ بالمرى ، لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون قد عَرَّضَ له
بالرياء . وكان ابن الأشقر يُذكر بالوقوع في الناس ، فقدم له القاضي غَضاراً المقرّوض ،
فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاضى [دخلت
عليه بالفقير أبي عبد الله السطى في أيام عيد . فقدم لنا طعاماً ، فقات لو أكلت
معنا ، فرجونا بذلك ما يُرفع من حديث . « من أكل مع مغفور له ، غُفر له »
فتبسّم ، وقال لى ، دخلت على سيدى أبي عبد الله الفاضى بالأسكندرية . فقدم لنا
طعاماً ، فسألته عن هذا الحديث . فقال وقع في نفى شيء ، فرأيت النبی صلی الله
عليه وسلم في المنام ، فسألته عنه . فقال لم أكله ، وأرجو أن يكون كذلك ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وى النفع (بعث) .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) الزيادة من النفع .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) الزيادة من النفع .

(٦) و. در في المخطوطين (قاصيد والتصويبات نفع) .

(٧) ما بين الحاصرتين ورد في النفع . وساقط في المخطوطين .

وصاحفته بمصاحفته الشيخ أبا عبد الله زيان . بمصاحفته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعدي ، بمصاحفته أبا العباس أحمد الملقم ، بمصاحفته المَعْمَر . بمصاحفته رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي ، أنه كان لذلك العادل مملوك اسمه محمد ، فكان يخصه لدينه وعقله ، بالنداء باسمه ، وإنما كان يَنْعَقُ بِمَالِيكَه [ياساق] [٢] ، ياطَّبَاخ ، يامُرَّين . فناداه ذات يوم ، ياقَرَّاش ، فظن أن ذلك لموجدة عليه . فلم ير أثر ذلك ، وتصورت له به خلوة . فسأله عن مخالفته لعادته ، فقال له لا عليك ، كنت يومئذ جُتَبَا ، فكرهت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تلك الحالة . وقال أنشدني المجاصي ، قال أنشدني [الإمام] [٣] نجم الدين الواسطي ، قال أنشدني شرف الدين الديماطي ، قال أنشدني تاج الدين الآمدي ، مؤلف الحاصل ، قال أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام العقول عِقال وأكثُرُ سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وَحْشة من جِسمنا وحاصلُ دُنيانا أذى ودِبال
ولم استفد من بحشنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قِيلُ وقال
وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعاً مُسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علَّتْ شُرُفاتها [٤] رجالٌ فماتوا والجبال جبال

وقال ، وقدمر من ذكر الشريف القاضي أبي علي حسين بن يوسف [بن يحيى] [٥] الحسيني في عِدَادِ شيوخه [وقال] [٥] حدثني أبو العباس الرُّنْدِي عن القاضي أبي العباس

(١) هذه الفقرة المحصورة بين الحاصرتين كلها ، ساقطة في المخطوطين . وواردة في نصح الطيب .

(٢) الزيادة من النصح . (٣) الزيادة من «الريتونة» .

(٤) هكذا وردت في «الريتونة» ونصح . وفي «ج» (تروفاها) .

(٥) الزيادة من النصح . (٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

ابن الغمّاز - [قال لما قدم القاضي أبو العباس بن الغمّاز من بلنسية : نزل بجاية ،
فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع ، فجاء عبد الحق يوماً ، وعليه بُرنس
أبيض ، وقد حُنت شاورته ، وكُلت هيئته ، فلما نظر إليه ابن الغمّاز أنشده :

لبس البُرنس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأھا

لو زليخا رآته حين تَبَدَّى لَتَمَنَّتْهُ أَنْ يَكُونَ فَتَاھا

وقال أيضاً [ابن الغمّاز] ^(١) جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة ^(٢) ، فنزل
الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهْلُوْهُ . وجاء حفيد له صغير ، فأخبره أنه أهْلُهُ ،
فردم معه ، فأراهم إياه ، فقال ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد وقع لنا مثل هذا مع
أبي الربيع بن سالم ^(٣) ، فأنشدنا فيه :

تواری هلال الأفق عن أعین الوَرَى وأزخى حجاب الغیم دون محيّا

فلما تصدّى لارتقاب شقيقه تبدّى له دون الأنام فخيّا

وجرى في ذكر أبي عبد الله بن النجار ، الشيخ التعلّمي ^(٤) من أهل تلمسان ،
فقال ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يُحَرِّم من النساء بالقراءة ، وهي [أصول

(١) ما بين الحاصرتين كله ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ.

(٢) جامع الزيتونة ، هو جامع تونس الأعظم ، ومن أقدم الجوامع في العالم الإسلامي . أنشأه
حسان بن النعمان في أواخر القرن الأول من الهجرة ، وأعيد بناؤه مراراً . وما زالت توجد به أجزاء
من بناء القرنين الثالث والرابع .

(٣) هو الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي من أهل
بلنسية . ولد سنة ٥٦٥ هـ . وكان عمدة المحدثين والرواة في عصره . وله مؤلفات كثيرة منها كتاب
«الإكتفاء» في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء ، وكتاب في تاريخ الصحابة والتابعين . وقد
توفي مجاهداً شهيداً في موقعة آيشة التي نشبت بين المسلمين والنصارى على مقربة من بلنسية في
شهر ذي الحجة سنة ٦٣٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (التعلّمي) .

وفصول [١] ، أول أصوله ، وأول فصل من كل [أصل] [٢] وإِنْ عَلَا ، فقال إن تَرْكِبَ لفظ التَّسْمِيَةِ العُرْفِيَّةِ [٣] من العَرَفَيْنِ حَلَّتْ وإِلَّا حُرُمَتْ . فتَأَمَّلْتُهُ . فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة . التَّرْكِيْبُ من العَرَفَيْنِ . كابن العم [وابنة العم] [٤] مُقَابِلُهُ كَالْأَبِ والبنت . والتَّرْكِيْبُ من قِبَلِ الرجل . كِابْنَةُ الْإِخِ والم مُقَابِلُهُ كَابْنُ الْأَخْتِ والخالَة .

وذكر الشيخ الرئيس أبا محمد [عبد المهيم بن محمد] الحَضْرَمِي . وقال .
كان يُنْكَرُ إضافة الحَوْلِ إلى الله [عَزَّ وَجَلَّ] [٥] ، فلا يَجِيزُ أن يقال «بِحَوْلِ الله وَقُوَّتِهِ» ، قال ، لأنه لم يُرد إطلاقه ، والمعنى يقتضى امتناعه لأن الحَوْلَ كالحياة ، أو قريبٌ منها .

وحكى عن شيخه أبى زيد عبد الرحمن الصَّنْهَاجِي . عن القاضي أبى زيد [عبد الرحمن بن على] [٦] الدُّكَالِي ، أنه اختصم عنده رُجُلَانِ فى شاة . ادَّعى أحدهما أنه أودعها الآخر ، وادَّعى الآخر أنها ضاعت منه [فَأَوْجَبَ البَيْنَ على اللُّودِعِ أنها ضاعت] [٧] من غير تضييع . فقال كيف أُضَيِّع . وقد شغلتنى . حراسُها عن الصلاة . حتى خرج وقتها ، فحكم عليه بالغَرَمِ . فقيل له فى ذلك ، فقال تَأَوَّلْتُ قول عمر [ومن ضيِّعها] [٨] فهو لما سواها أضيِّع .

وحكى عن الشيخ الفقيه رُحْلة الوقت أبى عبد الله الآبِلِي . حكاية فى باب القُرب ،

(١) وردت فى المخطوطين (أصوله وفصوله) . وتصويب من النسخ .

(٢) وردت فى المخطوطين (فصل) . وتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» (العربية) وهو تحريف .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من النسخ .

(٦) الزيادة من النسخ .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط فى المخطوطين ووارد فى النسخ .

(٨) ساقطة فى المخطوطين وواردة فى النسخ .

وقوة الإدراك ، قال . كنت [يوماً]^(١) مع القاسم بن محمد الصنهاجي ، فوردت عليه . طُومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيراتُ ما تحويه مبدولةٌ ومطلبي تصحيف مُقلوبها

فقال لي ما مطلبيه ، فقلت « نارنج » . ودخل عليه وأنا عنده بتلمسان الشيخ الطيب أبو عبد الله الدبّاغ المالقي ، فأخبرنا أن أديباً استجدى وزيراً بهذا الشطر : « تَمَّ حَيْبٌ قَلَمًا يَنْصِفُ » فأخذته وكتبته . ثم قلبته وصحفته فإذا به قَصَبْنَا مِلْفٌ شَحَى .

وقال ، قال شيخنا الأبلي ، لما نزلتُ تازة^(٢) مع أبي الحسن بن برّي ، وأبى عبد الله التّرْجالي^(٣) ، فاحتجتُ إلى النوم . وكرهتُ قِيَامَهُمَا إلى الكلام ، فاستَكشِفْتُ منهما عن [معنى]^(٤) هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

فجلا يفكران فيه ، فتمتُ حتى أصبحا ولم يجداه ، وسألوني عنه ، فقلت معناه « أقول لعبد الله لما ، وهي سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شم لنا برقا » .

قلت ، [وفيه نظر]^(٥) ، وإن استقصينا مثل هذا ، خرجنا عن الغرض .

(١) هذه الكلمة واردة في المخطوط بعد عبارة (فوردت عليه) . وهذا مكانها وفقاً للنسخ ، وهو أنسب .

(٢) وردت في المخطوطين (تازا - تاز) . والأصح أنها تازة أو تازي ، وهي من مدن المغرب الأوسط .

(٣) نسبة إلى «ترجاله» وبالإسبانية Trujillo . وهي مدينة أندلسية تقع على مقربة من جنوبي نهر التاجه ، وشمال شرق بطليوس .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في النسخ كالأتي (وفي جواز مثل هذا نظر) .

مولده

نقلت من خطه ، كان مولدى بتلمسان ، أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن
يغمر اسين بن زيّان . وقد وقفتُ على تاريخ ذلك ، ورأيت الصّفح عنه ، لأن
أبا الحسن بن موسى ، سأل أبا الطاهر السّلَفى عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
فإنى سألتُ أبا الفتح بن زيّان بن مَسْعُدة عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى
سألت محمد بن على بن محمد اللّبان عن سنّه فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت
[حمزة بن يوسف السّهمى عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت أبا بكر
محمد بن على النّفزى عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك]^(١) ، فإنى سألت بعض
أصحاب الشافعى عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت أبا إسماعيل
الترّمذى عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت الشافعى عن سنّه ، فقال
أقبل على شأنك ، فإنى سألت مالك^(٢) بن أنس عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
ليس من اللروعة إخبار الرجل عن سنّه .

وفاته

توفى بمدينة فاس فى أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة^(٣) وأراه
توفى فى ذى حجة من العام قبله . ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرمها الله .

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبّنة ، حفيد القاضى الإمام أبى الفضل [عياض]^(٤) ، يكنى أبا عبد الله .

(١) هذا كله ساقط فى الزيتونة .

(٢) وردت فى «ج» (السايب) وهو تحريف ، وحكمة التصويب واضحة .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الزيتونة (عام تسعة وسبعمائة) وهو تحريف .

(٤) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . كان من عُدُول القضاة . وجلة سراتهم . وأهل النزاهة فيهم ، شديد التحري في الأحكام ، والاحتياط . صابراً على الضعيف فيهم والمملوف ، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوى السطوة . فاضلاً . وقوراً . حسن السمّة ^(١) . يُمرّفه كلامه أبداً . ويزينه ذلك لكثرة وقاره ، محبباً في العلم وأهله ، مقرباً لأصاغر الطلبة ، ومكرماً مألماً ، ومُعْنياً بهم ، مُعِلاً جُهدَه في الدّفع عنهم ، لما عسى أن يسوءهم . ليحبّب إليهم العِلْم [وأهله] ^(٢) . ما رأينا بعده [في هذا مثله] ^(٣) . سكن مألقة مع أبيه ، عند انتقال أبيه إليها ، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستمائة .

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب ، [وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه] ^(٤) . قال دخلت على القاضي المذكور ، فسأل أحدنا عن أبيه ، فقال ابن فلان ، وذكر معرفةً مشتركة بين تجّار فاس . فقال أيهما الذي ينحت في الخشب ، والذي يعمل في السلاح ، فافطن لقصده لسداجته وحدثني عن ذكر جَزَالته . أنها كانت تقع له مع السلطان مُستَقْضيه . مع كونه مرهوباً ، شديد السطوة ، وقابع تُنْثِي عن تصميمه ، وبُعْده عن المَوَادّة . منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس ، كان قد سجنه . فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للسّجان [بحبسه] ^(٥) ، وتوعّده إن أطلقه . ومنها إذاعة ثبوت العيد ، في أخريات يوم ، كان قد أمل السلطان البرّوز إلى العيد في صباحه ، فنزل عن القلعة ينادى ، عبد الله ياميمون ، إخبار الناس عن عيدهم اليوم ، وأمثال ذلك .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (السمّة) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة وردت في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) بين الحاصلين . وردت في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

مشيخته

قرأ بسببته، وأسندَ إليها. فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى وغيره، وورحل إلى الجزيرة الخضراء. فأخذ بها كتاب سيبويه وغيره تفقيهاً^(١) على النحوى الجليل أبي القاسم عبد الرحمن، ابن القاسم القاضي المتقن. وأخذ بها أيضاً [كتاب] ^(٢) «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن مفرو، وأخذ بإشبيلية وغيرها عن آخرين. وقرأ على القاضي أبي القاسم بن بَقي بن ناخعة. وأجاز له. وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة، منهم أبو جعفر محمد ابن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصَّيدلاني، وأجاز له إصْبَهان^(٣)، وهو سبَّط حسن ابن مَندة، أجاز له في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسة. وتحمل عن أبي علي الحداد، شيخ السُّكَّني الحافظ عن محمود الصيرفي ونظايرها، وجماعة من إصْبَهان كثيرة كتبوا [له] ^(٤) بالإجازة. وكتب له من غيرها من البلاد [نيفٌ وثمانون] ^(٥) وجلا، منهم أحد وستون رجلاً كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس الغربي، والقاضي أبي عبد الله الأزدي، [وقد نصح على جميعهم في برناجيهما، واستوفى أبو العباس الغربي نصوص الإِستِرعَات، وفيها اسم القاضي أبو عبد الله بن عِيَاض] ^(٦).

من روى عنه

قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله، أجاز لي مرتين اثنين. وقال حدثني

(١) هكذا وردت في المخطوطين. وربما كانت (تفقيها).

(٢) أضيفت هذه الكلمة إيضاحاً للسياق.

(٣) وردت في المخطوطين (إصْبَهان). وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.

(٤) أضيفت هذه الكلمة لاستقامة السياق.

(٥) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (ما ينيف على الثمانين) والمؤدى واحد.

(٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة».

أبو عبد الله مشافهة بالإذن ، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي كتابةً من دمشق ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الخطّاب بالخاء المهملة ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط ، أخبرنا موسى ابن محمد بن عرفة السمسار ببغداد ، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل التّفّيزي ، أخبرنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا^(١) عمر بن شاكر عن أنس بن مالك ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، الصَّابِرُ^(٢) مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ ، كَالْقَابِضِ عَلَى الْجُرْ .

هذا الإسناد قريب يعزُّ مثله في القرب لأمثالنا ، ممن مولده بعد الستمائة ، وإسماعيل بن موسى من شيوخ التّرمذي ، قد خرّج عنه الحديث المذكور ، لم يقع له في مُصنّفه ثلاثي غيره .

مولده

بسبّعة سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته

توفي بغرناطة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة .

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر

ابن موسى بن عياض اليحصبي

من أهل سبّعة ولد الإمام أبي الفضل ، يكنى أبا عبد الله .

(١) واردة في المخطوطين (نا) فقط .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي نص (القابض) .

حاله

كان فقيهاً جليلاً ، أديباً ، كاملاً . دخل الأندلس ، وقرأ على ابن بشكّوآل كتاب الصلّة، ووُلّى قضاء غرناطة، قال ابن الزُّبير، وقفت على جزء ألفه [في شيء] ^(١) من أخبار أبيه ، وحاله في أخذه وعلمه ، وما يرجع إلى هذا ، أوقفني عليه حفدته بمالقة .

وفاته

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير [بن محمد] ^(٢) بن سعيد
ابن جبير بن محمد [بن مروان] ^(٣) بن عبد السلام [بن مروان
ابن عبد السلام بن جبير] ^(٣) الكِنَافِي
الواصل إلى الأندلس .

أُولىته

دخل جدّه عبد السلام بن جُبَيْر في طَالِعة بَلَج بن بَشْر بن عِيَاض القُشَيْرِي
في محرم ثلاث وعشرين ومائة . وكان نزوله بكورة شدونة . وهو من ولد ضَمْرَة

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٣) هذه الزيادات في النسبة من كتاب «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك (السفر الرابع -

مخطوط المتحف البريطاني لوحة ١٣٠) .

ابن كِنانة بن بكر بن عبد مناف بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إِيَّاس [بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]^(١) . بَلَغَ نَسَبُ الْأَصْل ، ثُمَّ غَرَّ نَاطِلِي الْأَسْطِيطَان . شَرْقً ، وَغَرْبً ، وَعادَ إِلَى غَرْنَاطَة .

حالُه

كان أديباً بارِعاً^(٢) ، شاعراً مجيداً ، سَنِيئاً فاضلاً ، نَزِهَ المَهْمَةُ ، مَرِيئاً النَّفْسَ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، أُنِيقَ الطَّرِيقَةِ [فِي الْخَطِّ]^(٣) . كَتَبَ بِسَبْتَةٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ عُمَانَ ابْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، وَبَغْرَ نَاطِلَةٍ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ ، وَلَهُ فِيهِمْ أَعْدَا حُكْمٌ كَثِيرَةٌ . ثُمَّ نَزَعَ عَنْ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ أَدْبَاءِ عَصْرِهِ ، مَخَاطِبَاتٌ ظَهَرَتْ فِيهَا بَرَاعَتُهُ وَإِجَادَتُهُ . وَنَظَّمَهُ فَايِقٌ ، وَنَثَرَ بِدِيْعٍ . وَكَلَّاهُ الْمُرْسَلُ ، سَهْلَ حَسَنٍ ، وَأَغْرَاضَهُ جَلِيلَةً ، وَمَحَاسِنَهُ ضَخْمَةً ، وَذَكَرَهُ شَهِيرٌ ، وَرَحَلْتَهُ نَسِيجَةً وَحَدِيدًا ، طَارَتْ كُلُّ مَطَارٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

رحلته

قال من عُنِيَ بِخَبْرِهِ ، رَحَلَ ثَلَاثًا مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَحِجَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا . فَصَلَّ [عَنْ غَرْنَاطَةِ]^(٤) أَوَّلَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ لَثْمَانِ خُلُونٍ مِنْ شَوَّالٍ ، ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، صَحْبَةَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ حَسَّانٍ ، ثُمَّ عادَ إِلَى وَطَنِهِ غَرْنَاطَةَ لَثْمَانِ بَقِيْنَ مِنْ مُحَرَّمٍ وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ . وَلَقِيَ بِهَا أَعْلَامًا يَأْتِي التَّعْرِيفُ^(٥) بِهِمْ فِي مَشِيخَتِهِ ، وَصَنَّفَ الرِّحْلَةَ الْمَشْهُورَةَ ، وَذَكَرَ [مُنَاقَلَةً]^(٦) فِيهَا [وَمَا شَاهَدَهُ]^(٧)

(١) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة» — المخطوط السابق الذكر .

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الذيل والتكملة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (التعرف) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «ج» وفي «الذيل والتكملة» . وفي الزيتونة (ما نقله) .

(٧) وردت في «ج» (مشاهده) والتصويب من الزيتونة والذيل والتكملة .

من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدايع الصنائع، وهو كتاب مؤنس ممتع،
 مُثير سواكن النفوس إلى [الرَّفاة على] ^(١) تلك المعالم [المسكرة والمشاهد العظيمة] ^(٢)
 ولما شاع الخبرُ المبهج بفتح [بيت] ^(٣) المقدس على يد السلطان الناصر
 صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى ^(٤)، قَوَّى عزْمه على عمل ^(٥) الرحلة
 الثانية، فنهرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من
 سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم آبَ إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر خلت
 من شعبان سبع وثمانين. وسكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سبتة، ثم فاس، ثم منقلا
 إلى إجماع الحديث والتصوف، وتزوية ما عنده. وفضله بديع، وورعه يتحقق،
 وأعماله للصالحه تَرْكُو ^(٦). ثم رحل الثالثة من سبتة، بعد موت زوجته عاتكة
 أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوَقْشِي، وكان كَلِفاً بها، فعظم وجدّه عليها. فوصل
 مكة، وجاور بها طويلاً، ثم بيت المقدس، ثم تجوّل بمصر والإسكندرية، فأقام
 يُحدِّث، ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته

روى بالأندلس عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن أبي العَيْش، وأبي
 عبد الله بن أحمد بن عروس، وابن الأصيلي. وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن
 يَسْمُون. وبسبته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السُّبْهِي. وأجاز له أبو الوليد
 ابن سبكة، وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغَسَّاني التونسي، وأبو حفص عمر بن

(١) الزيادة من «الذيل والتكلة».

(٢) أضفنا هذه الكلمة تكلة لاسم المدينة.

(٣) وردت (ابن بوري) في «ج»، وفي «الذيل والتكلة». ووردت في «الزيتونة»

(ابن بوري).

(٤) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (إعمال).

(٥) وردت في المخطوطين (تذكر). والتصويب من «الذيل والتكلة».

عبد المجيد بن عمر القرشي الميمني^(١) ، نزيلا مكة ، وأبو جعفر أحمد بن علي
القرطبي المنيكي ، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد
البغدادي ، وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري رئيس الشافعية بإصبهان .
ويبغداد العالم الحافظ^(٢) المتبحر [نادرة الفلك^(٣)] أبو الفرج ، وكناه أبو الفضل
ابن الجوزي . وحضر بعض مجالسه الوعظية [وقال فيه]^(٤) « فشاهدنا رجلا ليس
بعمرو ولا زيد^(٥) ، وفي جوف الفراكل الصيد » . وبدمشق أبو الحسن أحمد بن
حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجوارى . وأبو سعيد عبد الله بن محمد
ابن أبي عصرون ، وأبو الطاهر بركات الخشوعي . وسمع عليه ، وعما الدین أبو عبد الله
محمد بن محمد بن حامد الإصمهي من أئمة الكتاب ، وأخذ عنه بعض كلامه ،
وغیره ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر ،
وسمع عليه ، وأبو الوليد إسماعيل [بن علي]^(٦) بن إبراهيم [والحسين بن هبة
الله بن محفوظ بن نصر الرنبي . وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ،
وأجازوا له ، وبمحران الصوفي العارف أبو البركات حيّان بن عبد العزيز ، وابنه الحاذي
حذوه]^(٧) .

من أخذ عنه

قال ابن عبد الملك ، أخذ عنه أبو إسحاق بن مهيّب ، وابن الواعظ ، وأبو تمام

- (١) وردت في «ج» (المياجي) . والتصويب من «الزيتونة» .
- (٢) وردت هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (الواعظ) . والأولى أرجح حسبما يبدو بعد في السياق .
- (٣) ما بين الخاصرتين ساقط في «الزيتونة» .
- (٤) الزيادة من «الذيل والتكلمة» .
- (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ليس من عمرو ولا زيد) .
- (٦) الزيادة من «الزيتونة» .
- (٧) ما بين الخاصرتين ساقط كله في «الزيتونة» .

ابن إسماعيل، وأبو الحسن بن نصر بن فافع بن عبد الله البجائي، وأبو الحسن [بن علي] ^(١) الشاذي. وأبو سليمان بن حَوْط الله. وأبو زكريا. وأبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغضن ^(٢)، وأبو عبد الله بن حسن بن مجير. وأبو العباس بن عبد المؤمن البنانى، وأبو محمد بن حسن اللواتى ^(٣) وابن تاميت، وابن محمد الموزورى، وأبو عمر بن سالم، وعثمان بن سفيان بن أشقر التميمى التونسي.

ومن [أخذ عنه] ^(٤) بالإسكندرية: رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاه الله. وعصر رشيد الدين بن العطار ^(٥). ونحضر القضاة بن الجباب، وابنه جمال القضاة.

تصانيفه

منها نظمه. قال ابن عبد الملك: «وقفت منه على مجلد [متوسط] ^(٦) يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس. ومنه جزء سماه «نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرين الصالح» في مرأى زوجه أم المجد. ومنه جزء سماه «نظم الجلمان في التشكى من إخوان الزمان». وله ترسيل بديع، وحكم مستجادة ^(٧)، وكتاب رحلته. «وكان أبو الحسن الشاذي، يقول إنها ليست من تصانيفه» وإنما قيد معانى ما تضمنته، فتولى ترتيبها، وتنضيد معانيها بعض الأخذين عنه، على ما تلقاه منه ^(٧). والله أعلم.

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة».

(٢) هكذا وردت في المخطوطين.

(٣) وردت في المخطوطين (اللواتى). والتصويب من «الذيل والتكملة».

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (روى عنه).

(٥) وردت في المخطوطين (عطار). والتصويب أرجح.

(٦) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة».

(٧) هاتان الفقرتان نقلهما ابن الخطيب عن «الذيل والتكملة» مع تغييرات يسيرة.

شـمـره

من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها ، وقد شارف المدينة المكرمة طيبة ،
على ما كتبها من الله أفضل الصلوات ، وأزكى التسليم :

أقول وآتستُ بالليل نارا	لعل مِراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بالُ أفق الدُّجى	كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حِنْدِس	فما باله قد تمجلى نهارا
وهذا النسيم شذا المِسْك قد	أعير أم المسك منه استعارا
وكانت رواجِلُنَا تشتكى	وجاها فقد ساقَتُنَا ابتداءرا
وكنا شكونا عناء الشرى	فعدنا نُبارى مِراع الهارِا
أظن النفوس قد استشعرت	بلوغَ هوى تَحْدِثُهُ شِمارا
بشائر صبح الشرى آذنت	بأن الحبيب تدانى مَزادرا
جرى ذكرُ طيبة ما بيننا	فلا قلبَ في الركب إلا وطارا
حينئذ إلى أحمد المصطفى	وشوقاً بهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أحدٌ مُشرقاً	بنور من الشهداء استعارا
فن أجل ذلك ظلَّ الدُّجى	يحل عقود النجوم انتثارا
ومن طَرَب الرُّكْب بحثٌ ^(١) الخطا	إليها ونادى البدار البدارا
ولما حللنا فناء الرسول	نزلنا بأكرم مجدي جوارا
وحين دنونا لفرض السلام	قصرنا الخطا ولز منا الوقارا
فما نرسل اللَّحْظ إلا اختلاساً	ولا نرجع الطرف إلا انكساراً
ولا نظهر الوجد إلا اكتتاماً	ولا نلفظ القول إلا سِراراً

(١) وردت في المخطوطين (حط) . والتصويب من الذيل والتكملة .

سوى أنسلم نطق أعيناً بأدمها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام نعيد السلام عليها مراد
[ولولا مهابته] ^(١) في النفوس لثنا الثرى والترمنا الجدارا
قضينا بزورته حجنا وبالعمرتين ختمنا اعتماوا
إليك إليك نبي الهدى ركبنا البحار وجئت القفارا
وفارقت أهلى ولا منة ورب كلام يجر اعتذارا
وكيف نمن على من به نؤمل للسيئات اغتفارا
دعاني إليك هوى كامن أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديتك لبك داعى الهوى وما كنت عنك أطيع اصطبارا
[ووطنت نفسى بحكم الهوى على وقلت رضى اختيارا] ^(٢)
أخوض الدجى وأروض السرى ولا أطمع ^(٣) النوم إلا غرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل لطرب ولو لم أصادف مطارا
[وأجدد من نال منك الرضى محب ثراك على البعد زارا] ^(٤)
عسى لحظة منك لى فى غد تمهد لى فى الجنان القفارا
فاضل من بمسراك ^(٥) اهتدى ولا ذل من بذراك استجارا

وفى غبطة من من الله عليه لحج بيته ، وزيارة قبره صلى الله عليه

وسلم يقول :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها

(١) هكذا فى «ج» و«الذيل والتكلمة» . وفى الزيتونة (ومن إيمان) .

(٢) فى «الزيتونة» أدمج هذا البيت والذي قبله فى بيت واحد :

فناديت لبك داعى الهوى على وقلت رضى اختيارا

(٣) هكذا وردت فى «ج» و«الذيل والتكلمة» . وفى «الزيتونة» (أطمع) .

(٤) هذا البيت ساقط فى «الزيتونة» . (٥) فى «الذيل والتكلمة» (هداك) .

وإن السعادة مضمونة لمن حجَّ طيبة أوزارها
وفي مثل ذلك يقول :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمله
وإن زار قبر نبيِّ الهدى فقد أكل الله ما أمله
وفي تفضيل المشرق :

لا يستوى شرقُ البلادِ وغربُها الشرقُ حاز الفضلَ باستحقاق
أنظر [إلى جلال الشمس] ^(١) عند طلوعها زهراء تُعجب بهجة الإشراف
وانظر إليها عند الغروب كنيبة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم ^(٢) فراق
وقال في الوصايا :

عليك بكمائن المصايب واضطرب عليها فما أبقى الزمان شفيقا
كفالك بالشكوى إلى الناس أنها تسرُّ عدواً أو تُسيء صديقا
وقال :

وصانع ^(٣) المعروف فلتة عاقل إن لم تَضَعها في محلٍّ عاقل
كالنفس في شهواتها إن لم تكن وقفاً لها عادت بضرٍّ عاجل

نثره

من حكمه قوله : إن شرف الإنسان ، فشرّف ^(٤) وإحسان . وإن طاق

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي نص (تري الشمس) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بشوك) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فصانم) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «الذيل والتكملة» (فضل) .

فَتَفَضَّلُ وَإِذَا فَقَّ (١) . يَنْبَغِي أَنْ يَحْفَظَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ . كَمَا يَحْفَظُ الْجَفْنُ إِنْسَانَهُ .
 قَرَبٌ كَلِمَةٌ تَقَالُ . تُحَدِّثُ عَثْرَةً لَا تُقَالُ . كَمْ كَسَتْ فَلَتَاتِ الْأَلْسِنَةِ الْحِدَادَ ،
 مِنْ وَرَائِهَا مَلَابِسُ حِدَادٍ (٢) . نَحْنُ فِي زَمَنِ لَا يَحْطَى (٣) فِيهِ بِنْفَاقٍ إِلَّا مَنْ عَامِلٌ
 بِنْفَاقٍ . شُعْلُ النَّاسِ عَنْ [طَرِيقِ الْآخِرَةِ] (٤) . بِزَخَافِ الْأَعْرَاضِ . [فَلَجُوا فِي] (٥)
 الصَّدُودِ عَنْهَا وَالْإِعْرَاضِ . آتَرُوا دُنْيَا هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَكَمْ هَفَّتْ فِي حِجْبِهَا مِنْ
 أَحْلَامٍ ، أَطَالُوا فِيهَا آمَالَهُمْ (٦) ، وَقَعَسُوا أَعْمَالَهُمْ . مَا بِالْهَمِّ ، لَمْ يَتَفَرَّغْ لغيرِهَا بِالْهَمِّ ،
 مَا لَمْ فِي غيرِ مِيدَانِهَا اسْتِبْقَ ، وَلَا (يَسُوَّى هَوَاهَا) (٧) اسْتِيقَ . تَاللَّهِ
 لَوْ كُشِفَتِ الْأَسْرَارُ ، لَمَا كَانَ هَذَا الْإِضْرَارُ ، وَلَسَهَرَتِ الْعُيُونُ (٨) ، وَتَفَجَّرَتِ مِنْ
 شَتُونِهَا الْجُمُؤُنُ (٩) . فَلَوْ أَنَّ عَيْنَ الْبَصِيرَةِ مِنْ سِنِّهَا هَابَةٌ ، لَرَأَتْ جَمِيعَ مَا فِي الدُّنْيَا
 رِيحَاهَابَةً [وَلَكِنْ اسْتَوَى الْعَمَى عَلَى الْبَصَائِرِ] (١٠) وَلَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا إِلَيْهِ
 صَايِرٌ . أَسْأَلُ اللَّهَ هِدَايَةَ سَبِيلِهِ ، وَرَحْمَةً تَوَرَّدَ نَسِيمُ الْفَرْدُوسِ وَسَلَسَبِيلِهِ ،
 إِنَّهُ الْخَنَّانُ الْمَنَّانُ لَا رَبَّ سِوَاهُ (١١) .

وَمِنْهَا : فَلَتَاتُ الْهَبَاتِ ، أَشْبَهَ شَيْءٌ فَلَتَاتِ الشَّهَوَاتِ . مِنْهَا نَافِعٌ لَا يَعْقُبُ
 نَدْمًا ، وَمِنْهَا ضَارٌّ يَبْقَى فِي النَّفْسِ أَلَمًا . فَضَرُّوْهُ الْهَبَةُ وَقَوَعُهَا عِنْدَ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وإفراق) . وفي «التكلمة» (واتفاق) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «التكلمة» (الحداد) .

(٣) وردت في المخطوطين (يخصي) . والتصويب من «التكلمة» .

(٤) وردت في المخطوطين (الطريق) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فلمجوا) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .

(٦) وردت في المخطوطين (إلماهم) . والتصويب من «التكلمة» .

(٧) وردت في «ج» (سوى هداها) والتصويب من «التكلمة» .

(٨) هكذا وردت في «ج» . ولكن وردت في «الزيتونة» (العين الجفن) .

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت بحذف «ج» كالأق : (ولكن

استولى على العمى ربح البصائر) وكلمة ربح هنا حشو لا معنى له .

(١٠) رجعت إلى نص «التكلمة» في تصويب كثير من عبارات هذه لفقرة .

لحقها أداء ، وربما أثرت عنده اعتداء . وضروء الشهوة أن لا توافق ابتداء ، فتصير لمتبعها^(١) داء ، مثاها كمثل السكر يلتذ صاحبه^(٢) بحلاوة جنّاه ، فإذا صحا يعرف قدر ما جنّاه . عكس هذه القضية هي الحالة المرضية .

مولده

يكنى سنة تسع وثلاثين [وخمماية]^(٣) وقيل بشاطبة | سنة أربعين وخمماية^(٤)

وفاته

توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستماية

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين^(٥)

يكنى أبا بكر ، شيخنا الفقيه القاضى المؤرخ الكاتب البارع رحمه الله عليه

أولته

أصله من إشبيلية ، من حصن شلب من كورة باجة ، من غربى صقها ، يعرفون فيها ببني شبرين^(٥) ، معرفة قديمة . ولى جدّه القضاء بإشبيلية ، وكان من

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (لمستمها) . وفي الذيل والتكلة (لمستمها) .

(٢) وردت في المخطوطين (صاحبها) وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . ووردت مكان هذا التاريخ في «الزيتونة» (في هذا التاريخ) .

(٥) وردت في «ج» في الموضعين (ابن شبرين) . والتصويب في الموضعين من «الزيتونة» . -

كبار أهل العلم (تشهد بذلك الصلاة)^(١) . وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وستمائة ، فاحتل رُنْدَة ثم غرناطة ، ثم انتقل إلى سَكْنَى سَبْتَة ، وبها ولد شيخنا أبو بكر ، وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة ، فارتسم بالكتابة السلطانية ، وولى القضاء بعدة جهات ، وتأثر مالا وشهرة ، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها .

حاله

كان فريد دهره ، ونسيج وحده في حُسْن السَّمْت^(٢) والِرْوَاء ، وكمال الظَّرْف وجمال الشَّارَة ، وبراعة الخط ، وطيب المجالسة . خاصيا ، وقورا ، تام الخلق ، عظيم الأبهة ، عذب التَّلَاوة لكتاب الله ، من أهل الدين والفضل والعدالة ، تاريخيا ، مقيدا ، طَلَمَة اختيار [أصحابه]^(٣) محققا لما ينقله ، فكها مع وقاره ، غزلا ، لو ذهبا ، على شأن الكتابة ، جميل العشرة ، أشد الناس على الشر ، ثم على المحافظة ، ما يحفظه من الأبيات من غير اعتياع ولا تنقيح ، يُناغى للملكين في إثباتها ، مقررَة التواريخ ، حتى عظم حجم ديوانه ، [تفرَّدت أشعاره بما أبرأ على المكثرين]^(٤) مليح الكتابة ، سهلها ، صانعا ، سابقا في ميدانها ، راجعا كفةً للثنور . وكانت له رحلة إلى تونس ، اتسع بها نطاق روايته . وتقلب بين الكتابة والقضاء ، منحوس الحظ في الاستعمال ، مُضيقا فيه ، وإن كان وافر الجَدِّ ، مُوسعا عليه .

سوره الاسم الصحيح . وابن شيرين . ابن شيوخ ابن الخطيب الأثيرين ، وقد ذكره فضلا عن هذه الترجمة في مواضع كثيرة من الإحاطة ، راجع المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٩٧ ، و ٤٤٣ ، و ٥٤٩ ، ٥٤١ .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» دون حكمة واضحة من إيرادها في هذا المكان .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (السنه) .

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في «ج» .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

وجرى ذكره في كتاب «التاج المحلى»^(١) بما نصه :

خاتمة المحسنين ، وبقية الفُصحاء اللّسّنين ، ملأ العيون هدياً وميّناً ، وسلك من الوفاط طريقة : لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، ماشئت من فضل ذات ، وبراءة أدوات . إن خطأ ، نزل ابن مقلة عن درّجته [وإن خطأ]^(٢) . وإن نظم أو نثر ، تبيمت البلاء ذلك الأثر . وإن تسكلم أنصت الحفل لاستماعه ، وشرع^(٣) لدُرره النفيسة صديق أسماعة . وفد على الأندلس عند كائنة مَبْتة ، وقد طرحت النوى برحاله ، وظنّ عن ربّعه بتوالى إنحاله ، [ومُصَرَّف بلاد]^(٤) ، والمستولى على طارفيها وتاليدها ، أبو عبد الله بن الحسّيم ، قدس الله صده ، وسقى مُنْتداه ، فاهتزّ لقدومه اهتزاز الصّارم ، وتلقاه تلقى الأكارم ، وانتهض إلى لقائه آماله ، وألقى^(٥) له قبل الوصادة ماله ، ونظّمه في سُمط السُّناب ، وأملأه عن أعمال الاقتاد ، ونزل ذمامه تاركداً في هذه الدول ، وقوفى له الآتية منها على الأول ، فتصرّف في القضاء بجهااتها ، ونادته السيادة هاك وهاتها ، فجدّد عهد حُكّامه العدول من سلفه وقضاتها . وله الأدب الذى تحلّت بقلايده اللّبات والنحور ، وقصّرت عن جواهره البحور . وسيمر من ذلك في تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذُرّعه ، ويخبر بكرم عنصره ، وطيب نبعه^(٦) .

(١) هو كتاب «التاج المحلى فى مساجلة القدر الممل» ، وهو أحد كتب ابن الخطيب التاريخية ، ويتضمن مختصراً لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها فى القرن الثامن الهجرى . وقد سبق التعريف به فى مقدمة المجلد الأول .

(٢) واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وسبع) والأولى أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وأمنى) .

(٦) كذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (نعمه) والأولى أرجح .

مشيخته

قرأ على جدّه لأئمّه الأستاذ الإمام ، أبي بكر بن عُبَيْدَة الإشبيلي ، وسمع على الرئيس أبي حاتم ، وعلى أخيه أبي عبد الله الحسين ، وعلى الأستاذ أبي إسحاق الفافقي ، وعلى الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، وعلى الإمام أبي عبد الله بن حُرَيْث . وسمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري . وسمع بحضرة غرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، [وعلى العدل أبي الحسن بن مستنور] ^(١) وعلى الوزير أبي محمد بن المؤذن ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد . وبالملة على الخوايب ولي الله تعالى ، أبي عبد الله الطنجالي ، وعلى الوزير الصدر أبي عبد الله ابن ربيع ، وعلى القاضي العدل أبي عبد الله بن بُرطال . وببجاية على الإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي ، وعلى أبي العباس الغبريني . وبتونس على أبي علي بن علوان ، وعلى قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرّبيع ، وسمع على الخطيب الصّوفي ولي الله تعالى ، أبي جعفر الزيات ، والصوفي أبي عبد الله بن بُرطال ، وعلى الصدر أبي القاسم محمد بن قايد السكّلاعي . [وأجازوه عالم] ^(٢) كثير من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره متعدّد الأسفار ، كثير الأغراض . وفي الإكثار مجال الاختيار .

[فنه قوله] ^(٣) :

(١) هذا الاسم ساقط في «الزيتونة» . وقد ورد اللقب محرفاً في «ج» (مغمسور) . والتصويب من كتاب قضاة الأندلس للنباهي .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (وأجازوه علماء) .

(٣) أضفنا هذه العبارة تكملة للسياق .

أَخَذَتْ بِكَلِمِ الرُّوحِ بِإِسَاعَةِ النُّوَى
فَمَنْ يُخْبِرِي يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى الْفَلَا
سَلَا كُلُّ مُشْتَاقٍ وَأَكْثَرُ وَجْدُهُ
وَلِي نَيْةٍ مَا عَشْتُ فِي حِفْظِ عَهْدِهِمْ
وَقَالَ :

بَانُوا فَمَنْ كَانَ بَاكِئًا يَبْكُ
[فَمِنْ ظُهُورِ الرِّكَابِ مَعْمَلَةٌ
تَصْدَعُ الشَّمْلُ مِثْلًا انْحَدَرَتْ
كُنْ بِالَّذِي حَدَّثُوا عَلَى ثِقَةٍ
مِنَ النَّوَى قَبْلُ لَمْ أَزَلْ حَدَرًا
وَقَالَ :

يَا أَيُّهَا الْمُعْرِضُ اللَّاهِي
[فِيَا لَيْتَ شِعْرِي كَمْ أَرَى فِيكَ
وَيَحْيَا مَغِيرِي إِلَى بَاخِلٍ وَاهٍ
مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِيهِ فِتْنَةً
يَا غَصْنَ الْبَابِ أَلَا عَطْفَةٌ
أَوْسَعَنِي بِعَدِكَ ذُلًّا وَقَدَرًا
يَسُوءُنِي فَجْرُكَ وَاللَّهِ
لَا أَفْكَ عَنْ وَبِهِ وَعِزَاهُ
مَنْ ذَا الَّذِي رَأَى (١)
يُشْغِلُهُ فِي الدُّنْيَا بَتِّيَاهُ
عَلَى مُعْنَى جِسْمِهِ وَاهٍ
يُنْثَى عِنْدَكَ ذَا جَاهٍ (٢)

(١) أكلنا هذه المقطوعة بهذين البيتين . وقد أوردها ابن الخطيب ضمن خطاب الوداع الذي وجهه إلى مليكه الغني بالله حينما غادر الأندلس إلى المغرب لآخر مرة (راجع المجلد الأول من «الإحاطة» ص ٣٣) .

(٢) أورد كل من المخطوطين نصوصاً مضطربة لهذين البيتين . وقد حاولنا جهد الاستطاعة أن نخرج من هذه النصوص المضطربة أفضل صيغة ممكنة . بيد أن هذه الصيغة ليست واضحة كل الوضوح .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

ذَكَرْكَ لَا يَنْفَكُ عَنْ خَاطِرِي وَأَنْتَ عَنِّي غَافِلٌ سَاهٍ
يَكْفِيكَ يَا عِمَّانُ مِنْ جَفَوْنِي لَوْ كَانَ ذَنْبِي ذَنْبَ جِهْجَاهٍ
هَيْهَاتَ لَا مُتَعَرِّضٌ ^(١) لِي عَلَى حُكْمُكَ أَنْتَ الْأَمْرُ النَّاهِ

قلت جِهْجَاهُ المِشَارُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ غُفَّارٍ [قِيلَ] ^(٢) إِنَّهُ تَنَاوَلَ عَصَا الْخُطْبَةِ مِنْ
يَدِ عِمَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَسَرَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ ، فَوَقَعَتْ فِيهَا الْأَكْلَةُ فَهَلَكَ .
وقال :

يَا مَنْ أَعَادَ صَبَاحِي فَقَدْ هَلَكَ قَتَلْتَ ^(٣) عَبْدَكَ لَكِنْ لَمْ تَخْفِ دُرُكَ
مَصِيبِي لَيْسَتْ كَالْمَصَائِبِ لَا وَلَا بُكَائِي عَلَيْهَا مِثْلُ كُلِّ بُكَاءٍ
فَمِنْ أَطْلَابٍ فِي شَرْعِ الْهَوَى بَدَى لُخْطَى وَلُخْطُكَ فِي قَتْلِي قَدْ اشْتَرَكَا

وقال ، وقد سبقه إليه الرُّصَافِي ، وهو ظَرِيفٌ :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَرَطَ بِلْبَالِي وَلَوْعَةً لَا نَزَالَ تَذْكَرِي لِي
بِمَهْجَتِي حَايِكَ تُغْلَتُ بِهِ حُلُوُ الْمَعَانِي طِرَازُهُ عَالِي
سَأَلْتُهُ أَنْ يَخَالَهُ فَايِي وَمَنْ ذَا تَخْوَةٍ وَإِذْلَالِ
وَقَالَ حَالِي يَهْوُونَ خَالِي يُدْنِي فَوَيْحِي بِالْحَالِ وَالْحَالِ
يَقْرُبُنِي الْآلُ مِنْ مَوَاعِدِهِ وَأَنْتَقَى مِنْهُ سَطْوَةُ الْآلِ
أَسْكَنَ عَلَى ظُلْمِهِ وَقَسْوَتِهِ فَلَمَسْتُ عَنْهُ الزَّمَانَ بِالْسَالِي

وقال أيضاً مضمناً :

لِي هِمَّةٌ كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَمْسِكُهَا عَلَى الْمَدَلَّةِ فِي أَرْجَاءِ ^(٤) أَرْضِهَا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (متعرض) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (أملت) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أرجال) .

قالت ألم تكن أرض الله واسعةً حتى يهاجر عبده مؤمن فيها
وقال مُسترجعاً من ذنبه ، ومُستوحشاً من شَيْبِهِ :

قد كان عيبي من قبل في غَيْبٍ فبدأ شَيْبِي بدأ عَيْبِي
لا عُدْر اليوم ولا حُجَّة فضَحَّتَنِي والله يا شَيْبِي

وقال :

أثَقَلَتْنِي الذنوب ويحي وَيُؤْنِسِي لَيْتَنِي كُنْتُ زَاهِداً كَأُؤْنِسِي

وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُلْطَانِ ثَالِثُ الْأَمْرَاءِ مِنْ بَنِي نَصْرِ^(١) ، بعد خَلْمِهِ مِنْ
مُلْكِهِ ، وَانْتِشَارِ مِلْكِهِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ بِقَصْبَةِ الْمُنْكَبِ ، غَرِيباً مِنْ قَوْمِهِ ، مُؤَوَّضاً
بِالسَّهَادِ مِنْ نَوْمِهِ ، قَدْ فَلَّ الدَّهْرُ سَبَاتَهُ ، وَتَرَكَ يَنْدِبَ مَا فَاتَهُ ، وَالْقَاضِي الْمُرْتَجِمُ بِهِ
يَوْمَئِذٍ ، مُدَبِّرُ أَحْكَامِهَا ، وَعَلَمُ أَعْلَامِهَا ، وَمَتَوَلَّى نَقْضِهَا وَإِيرَامِهَا ، فَارْتَاخَ يَوْمًا إِلَى
إِيْنَسِيهِ ، وَاجْتِلَابِ أَدْبِهِ وَالتَّمْسَا ، وَطَلَبِ مَنْهُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ حَالِهِ بِبَيَانِهِ ، وَيُنَوِّبَ
فِي بَثِّهِ عَنْ لِسَانِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

قَفَا نَفْسًا فَاتَّخَذَ فِيهَا يَمِينًا وَلَا تَعْجَلَا إِنْ الْحَدِيثُ شَجُونِ
عَلِمْنَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ صَرَفِ دَهْرِنَا وَلِسْنَا [عَلَى]^(٢) عِلْمٍ بِمَا سَيَكُونُ
ذَكَرْنَا نَعِيمًا قَدْ تَقْضَى نَعِيمُهُ فَأَقْلَقْنَا شَوْقًا لَهُ وَحْنِينَ
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا كَيْفَ شِئْنَا وَاللَّذْنَا^(٣) حِرَاكَ عَلَى أَحْكَامِنَا وَسُكُونِ

(١) هو أبو عبد الله محمد المخلوع ، محمد بن محمد بن الأحمر ، وقد حكم ملكة غرناطة من سنة ٧٠١ إلى سنة ٧٠٨ هـ . ثار عليه أخوه أبو الجيوش نصر ، واضطربت ضده الثورة في عيد الفطر سنة ٧٠٨ هـ ، وأرغم على التنازل عن العرش ، ثم أعتقل بخصن المنكب ، ولبت فيه حتى توفى في سنة ٧١٣ هـ .

(٢) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة الوزن والمعنى . وهكذا وردت هذه الشطر في «ج» . وفي الزيتونة «ولا نعلموا بهذا الذي سيكون» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وللهنا) .

وإذا بابنا مشوى الفؤاد ونحونا
فَنَغْصُ من ذاك السرور مَهْنًا
ونبا عن الأوطان بين ضرورة
أيا معهد الإسعاد^(٢) حُيِّيت معهدًا
تريد الليالى أن تُهين مكاننا
فإن تكن الأيام قد لَمِيت بنا
فمن عادة الأيام ذلُّ كرامها
لئن خانتا الدهر الذى كان عَبدنا
وما غَضَّ منا مَحْزَرى غير أنه
نُحْمَدُ رِقَابَ أو تُشِيرَ عيون
وَكَدَّرُ من ذاك النعيم مَعِين
وقد يَقْرُبُ^(١) الإنسان ثم يَبِين
وجادك من سَكَبِ الغمام هُتُون
رُويدك إن الخير ليس يَهُون
ودارت علينا لِلْخُطُوبِ فنون
ولكنَّ سَبِيلَ الصَّابِرِينَ مُبِين
فلا عجب إنَّ العَبِيدَ تَحُون
تضاعف إيمانُ وزاد يقين

وكتب إلى الحكم بن مسعود ، وهو شاهد الموارث بهذه الدَّعَاة التى
تسَخَّفُ الوقور ، وتَلْجِ السَّمْعُ المَوْقور :

أطال الله بقاء أخى وسيدى ، لأهل الفَرايض ، يُحَسِّنُ الاحتيال فى مُداراتهم ،
وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط فى أمواتهم ، ودامت أنفلامه مُشرعة
لصَرْمِ الأجل المُنشَأ . مُعَدَّةً لتحليل هذا الصَّنْفِ المُنشَأ من الصَّلصال والحما . فمن
مَيِّتٍ يُفْسَلُ وآخر يُقْبَرُ ، ومن أَجَلٍ يُطَوَّى ، وكَفَنٍ يُنْشَرُ ، ومن رَمْسٍ يُفْتَحُ ،
وباب يُفْلَقُ . ومن عاصِبٍ يُحْبَسُ ، ونَعَشٍ يُطْلَقُ . فكلما خَرُبْتَ ساحة ، نشأت
فى الحانوت راحة . وكلما قامت فى شَعْبٍ مناحة ، اتسعت للرزق مِساحة . فبما كر
سيدى الحانوت ، وقد اخْتَسَى مَرَفَتَهُ ، وسَهَّلَ عَنَقَفَتَهُ ، فبرى الصَّعْبَةَ بالمناصب
شَطْرًا . فيلاحظ هذا برفق ، وينظر إلى هذا شَرَرًا . ويأمر بشقِّ الجيوب تارة ،
والبَحْثِ عن الأوساط أخرى . ثم يأخذ القَلَمَ أخذاً رَفِيقًا . ويقول وقد خَافَرَهُ

(١) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (ينغرب) .

(٢) هكذا دت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (الإسعاد) وهو تحريف .

السُرور، رَحِمَ اللهُ فلانا، لقد كان لنا صديقاً، وربما أَدْبَرَهُ^(١) بالانزعاج الحثيثُ، وقال مستريحٌ منه كما جا. في الحديث. وتختلف عند ذلك المراتب، وتنبئين الأصدقاء والأجانب، فيَنصُرف هذا، وحظه التَّهْيِيبُ، والنظر الجديد، وينفصل هذا، وبين يديه المُنْذِرُ الصَّيِّتُ، والنَّعْشُ الجديد. ثم يَفْشِي دار المِيت ويسلُّ عن الكَيْتِ والكَيْتِ، ويقول على بما في البَيْتِ. أين دماء الثَّاغِيَةِ والرَّاعِيَةِ. أين عَقُودَ الأُمُلاَدِ بالبادية. وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذُكِرَ في الأسماء^(٢) الحُسنَةُ [فَقِيلَ] ^(٣) ذُو مال. وعيون الأعوان تَرْنُو من عَلِيٍّ^(٤)، وأعناقهم تَشْرِيْبٌ إلى خلف السِّكَلِ، وأزجلهم تدبُّ إلى الأسفاط دَيْبُ الصَّقُورِ^(٥) إلى الحَجَلِ. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر المَوْرُوثُ والمَكْسُوبُ. وقِيْدُ المَطْعُومِ والمشروب. وعدَّت الصَّحاح. ووُزِنَتْ^(٦) الأرطال، وكِيلَتْ الأَقْداح. والشُّهُودُ يُنْظَرُونَ على الورثة في الأَلْيَةِ [ويصونهم بالبتات]^(٧) في النشأة الأولى. والروائح حين تُفْعَمُ الأرض طيباً، وشهدى الأرواح شتاً يفعل في إزعاجها على الأبدان فعلاً عجيباً. والدُّلَالُ يقول هذا مِفْتَاحَ الباب. والسُّسَّارُ يصيح قائماً النداء فما تنتظرون بالنبات. والشَّاهِدُ يصيح فتَعْمَلُو صِيحَتَهُ، والمُشْرِفُ يَشْرَبُ فنسقط سِبْجَتَهُ. والمحْتَضِرُ يَهْسُ ألا حَيٌّ فلا تسمعون [ويباهي لون العباء عليه]^(٨) الجواب رب أرجعون. ما هذا النَشِيجُ والضَّجِيجُ. مُتٌ كَلَّا لم أُمْتُ.

(١) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (أدره).

(٢) وردت في «ج» (أسماء) والتصويب من الزيتونة.

(٣) وردت في المخطوطين (فقال). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) وردت في «ج» (من غل). والتصويب أرجح.

(٥) وردت هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (الصقور).

(٦) وردت بحرفة في «ج». و «الزيتونة» (وزيت. وزينت).

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين. وهي بحالها لا تدل معنى واضح.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج»، وساقطة في «الزيتونة».

ومن حجّ له الحجيج . فترتفع له الأصوات ، كي لا يفسح فيه الملمات . ويُبَقَّر بطنه برغمة ، ويُبَحَّر له بمجانِب أبيه وبمَحنَا أمّه . ثم يشرع في نفسه الفَرَض ، ولو أكَفَيْتُ السَّمَوَات على الأرض . ويقال لأهل السَّهَام ، أَحْسِنُوا ، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام . وقد نصّ ابن القاسم على أَجْرَةِ الْقَسَام . وسوّغهُ أَصْبَغٌ وَسُحْنُون ، ولم يختلف فيه مطرّف وابن المَاجِشُون . إن قيل لإيصال الحقائق إلى أَرْجَائِهَا ، حَسَنَ فِجْزَاء الإحسان إحسان . وقيل إخراج النَّسَب والسَّكُور كِيفَايَه ، [فللكاهنين حُلُوان]^(١) . اللهم غَفْرًا ، وَنَسْتَقِيلُ الله من انبِساط يَجْرُهُ غَدْرًا ، وَلَسَلُ الله حَمْدًا يوجب المزيد من نعمائه وشكرًا . ولولا أن أُغْفَلَ^(٢) عن الخضم ، وأثْقَلَ رَجُلُ الفقيه أبي النجم ، لَأَسْتَفْلِنَ المجلس شَرْحًا^(٣) ، وَلَسَكَانَ لَنَا في بَحْرِ الْمُبَاسِطَةِ سَبْجٌ ، وَلَأَفْضُنَا في ذكر الوارث والوَرَاثِ^(٤) . وَبَيْنَنَا الْعِلَّةُ في أقسام الشهود ، مع المُشْتَمِلِ بنسبة الذكور مع الأنثى . والله يَصِلُ عزّ أخى ومجده ، وَيَهَبُ له قُوَّةَ تَخْصُّهُ بالفائدة ، وَجَدُّهُ^(٥) ، وَيَزِيدُهُ بصيرة يتّبع بها الحقوق إلى أَقْصَاها ، وَبَصَرًا لَا يُفَادِرُ صغيرة ولا كبيرة إِلَّا أَحْصَاها ، وَدَامَ يُحْصَى الخرايب والفُلُوس والأَطْلَار ، وَيَمْلَأُ الطُّوَامِر بِأَقْلَامِهِ البديعة الصَّنْعَةِ ، [ويصل]^(٦) الطُّوَامِر بِالطُّوَامِر والسلام .

والشيء بالشيء يذكر ، قلتُ ، ومن أطرف ما وقعتُ عليه في هذا المعنى .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» . ولم تتضح لنا حكمة إيرادها على

هذا النحو .

(٢) وردت في «ج» (انحفل) . وقد آثرنا نص «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (شرح) .

(٤) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

قال بعض كتاب الدولة الحكيمة^(١) بمنورقة ، وقد ولاه خُطة الموارِيث ، وكتب إليه راعباً في الإعفاء :

وما نلتُ من شغل الموارِيث رُقعة [سوى شرح]^(٢) تَمَشَّ كلَّ مَات مِيت
وأَكْتُبُ لِلْأَمْوَاتِ صَكًّا كَانَهُمْ يُخَافُ عَلَيْهِمْ فِي الْجِبَابِ التَّفَلُّتُ
كَأَنِّي لِعَزْرَائِيلَ صَرْتُ مُنْقَاضًا بِمَا هُوَ بِمَجْهُولٍ يَوْمَ وَأُثْبِتُ^(٣)
وقال ، فاستظرفها الرئيس أبو عثمان بن حكم^(٤) وأعفاه .
مولده : في أواخر أربعة وسبعين وستمائة .

وفاته

قال في العايد^(٥) ، ومضى لسبيله ، شهاباً من شُهْب هذا الأفق ، وبقيّة من بقايا حَلْبَةِ السُّبْق ، رحمه الله ، في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعماية ، وتخلّف وقرأ لم يشتمل على شيء من الكُتُب ، لإيثاره اقتناء النّقدين ، وعيّن جرایة لمن يتلو كتاب الله على قبره [على حدّ من التّعزّة والمحافظة على الإلتقان]^(٦) . ودفن بباب البيرة^(٧) في دار اتخذها لذلك .

(١) الدولة الحكيمة هي دولة سعيد بن حكم الأموي حاكم منورقة . وسيجرى التعريف به أدناه .

(٢) ورد مكان هاتين الكلمتين في «ج» «غير أن أشرح» . وفي «الزيتونة» (سوى أن أشرح) فلزم التصويب لاستقامة الشعر .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن حكم الأموي ، وقد حكم جزيرة «منورقة» ثانية الجزائر الشرقية وقتاً ، بعد سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الأرجونيين . واستمر على حكمها حتى توفي سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وخلفه في حكمها لبضعة أعوام أخرى ، ولده أبو عمر حكم بن سعيد (راجع كتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) ص ٤٠٨ و ٤٠٩) .

(٥) المرجح أنه يشير إلى كتاب «عايد الصلة» الذي سبق التعريف به .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٧) باب البيرة هو أحد الأبواب البانية من أبواب غرناطة الإسلامية . وهو يقع شمال غربي المدينة على مقربة من ساحة الثيران الحديثة . وما يزال يحتفظ بهيكله الإسلامي كاملاً . وإلى جانبه قطعة من سور غرناطة القديم .

محمد بن أحمد بن قُطبة الدَّوسِي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا القاسم .

حاله

مجموع خلال بارعة ، وأوصاف كاملة ، حسن الخط ، ذا كُرِّ للتاريخ والأخبار ،
مستول على خصال حميدة من ^(١) [حُسْن رِوَاء] ^(٢) وسلامة صدر ، إلى نزاهة
الهِمَّة ، وإرسال السَّجِيَّة ، والبُعد عن المصانعة ، والنَحْل بالوقار والحِشمة ،
شاعر ، كاتب . ومناقِبُهُ يَقْصُرُ عنها الكثير من أبناء جنسه ، كالفرُوسِيَّة ،
والتَّجَنُّد ^(٣) ، والبسالة ^(٤) ، والرُّمائية ، والسَّباحة ، والشطرنج ، [متحمِّدٌ
بِحَمْلِ الْقَنَّا] ^(٥) ، مع البراعة ، مديم ^(٦) على اللروعة ، مؤاس للمحاويج من
معارفه . ارتسم في الديوان فظهر غِنَاؤُهُ ، وانتقل إلى الكتابة ، ممرِّزَةً بِالْخَطِّ
التَّيْبِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ ، وحاله الموصوفة متَّصلة إلى هذا العهد ، وهو معدود من
حَسَنَاتِ قَطْرِهِ .

وثبت في « التاج المحلى » بما نصه : « سابقُ رَ كُضِ المَحَلِّي ، آتى من
أدواته بالعجائب ، وأصبح صِدْرًا في الكُتَاب ، وشهَمًا في الكُتَابِيب .
وكان أبوه رحمه الله ، بهذه البلدة ، قُطِبَ أَفلاكها ، وواسطة أسلاكها ،
ومؤتمن دواسيها وأملأها ، وصدرَ رجالها ، وولَّى أرباب مجالها ، قد نثَلَ ابنه ^(٧) »

(١) هذه الكلمة واردة في « الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

(٢) هذه العبارة ساقطة في « الزيتونة » .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها الانخراط في سلك الهندية .

(٤) هكذا وردت في « الزيتونة » . ومكانها في « ج » (الثانية) ، والأولى أرجح وأكثر اتفاقاً
مع السياق .

(٥) هذه العبارة ساقطة في « الزيتونة » .

(٦) وردت في « ج » (مدح) والتصويب من « الزيتونة » .

(٧) وردت في « ج » (بينه) والتصويب من « الزيتونة » .

سهاً ، فخير عدالة وبراعة وفهماً . وألقاه ^(١) بينهم قاضياً شهماً ، فظهر منه نجيباً ، ودعاه إلى الجهاد سميماً بجيلاً ^(٢) . فصحب السرايا الغربية المغيرة ، وخضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة . وعلى مصاحبة البعوث ، وجوب السهول والوعوث ، فما رفض البراعة الباتر ، ولا ترك الدفاتر للزمان الفاتر .

شـ

وله أدب بارع للمقاصد قاعد للإجادة بالمرصد ، وقال من الروضيات وما في منها :

دعني ومطلول الرياض فإني أنادم في بطحاياها ^(٣) الآس والوردا
 أعلل هذا بخضرة شارب وأحكي بهذا في تورده الخدا
 وأزهر غض البان رايد لسة ذكرت به لين المعاطف والقدا
 وقال :

وليل أدونها سلاقاً كأنها على كف ساقياها تُضرم ناراً
 غُنينا ^(٤) عن المصباح في جنح ليلها بخد مدير لا بكأس عقار
 وقال :

يومنا يوم سرور فلتقم تصدع الهم بكاسات المدام
 إنما الدنيا منام فلتسكن مغمماً فيها بأحلى المنام

(١) وردت في المخطوطين (والفاهم) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في المخطوطين (بطحايا) . والتصويب أنسب للسياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وغنينا) .

وقال :

وبى منك ما لو كان للشرب ماصحاً وباليهم ماروت صداها المناهل
أحبك ما هبت من الروض نسمة وماهتز غصن في الحديقة مايل
فإن شئت أن تمهجر وإن شئت فلتقيل فإني لما حلتني اليوم حامل

وقال :

كم قلت للبدر المنير إذا بدا هيات وجه فلانة تحكى لنا
فأجاني بلسان حال واعتنى لا الشمس تحكيها فأحكيها أنا
وصرفت وجهي نحو غصن أمدل قد رام يشبه قدّها لما اثنا
فضحكت هزاً عند هز قوامها إذا رام أن يحكى قواماً كالقنا^(١)
وكتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات :

جوانحنا نحو اللقاء جوانح ومقدار ما بين الديار قريب
وتمضى الليالي والتزاور معوز على الرغم منا وإن ذا لغريب
فدينك عجلها لعيني زيارة ولو مثل ما رد اللحاظ مرّيب
وإن لقائي جل عن ضرب موعد لأكرم ما يهدى الأريب أريب
فراجعني بقوله ، والنجني شيمة :

لعمرك ما يومى إذا كنت حاضراً سوى [يوم صب]^(٢) من عداه يغيب
أزور فلا ألنى لديك بشاشة فيبعد منى^(٣) الخطأ وهو قريب
فلا ذنب للأيام في البعد بيننا فإني لداعى القرب منك مجيب
وإن لقاء جاء من غير موعد ليحسن لا كن مرة ويطيب

(١) وردت في المخطوطين (كالقنا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت مكانها في المخطوطين (منه) .

(٣) وردت مكانها في «ج» (منه) .

وإجسانة كثير . وفيما ثبت كفاية ليلا نخرج [عن غرض الاختصار]^(١).

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدؤسي

يكنى محمد أبا بكر ، أخو الذي قبله .

حاله

تلوه في الفضل والسراوة ، وحسن الصورة [ونصاعة الطرف]^(٢) مُرَبٍّ عليه بمزيد من البشاشة والتنزل ، وبذل التودد . والتبريز في ميدان الانقطاع . متأخر عنه في بعض خلال غير هذا . ذكي الذهن ، مليح الكتابة . مهلهلها ، جيد العبارة [متأثري اليراع]^(٣) ، مغلق اليد ، حسن الخط ، سريع بديهته المنشور ، مغمم ، مخول في التخصص والعدالة . كتب الشروط بين يدي أبيه ، ولسخ كثيرا من أمهات الفقه ، واستظهر كتباً ، من ذلك « المقامات الحريية » . وكتب بالدار السلطانية ، واختص بالمراجعة عن بها ، والمفاتيح أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها . حميد السيرة ، حسن الوساطة ، نجدي الجاه ، مشكور التصرف ، خفيف الوطأة . وولي الخطابة العلوية . مع الاستمساك بالكتابة . ولم يؤثر عنه الشعر ، ولا عول عليه .

محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدؤسي

يكنى أبا بكر ، وقد ذكرنا أباه وعمه ، ويأتي ذكر جدّه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ومكانها في «الزيتونة» (عن الغرض) .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

حاله

نبيل المقاصد في الفن الأدبي ، مشغول به ، مفتوح من الله عليه فيه [شاعر مطبوع مُكثّر]^(١) انقاد له مرَّ كِبِ النظم ، في سن المراهقة ، واشتهر بالإجادة ، وأشد السلطان ، وأخذ الصلة ، وارتسم لهذا العهد في الكتابة . وشرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره .

شعره

ومما خاطب به أحد^(٢) أصحابه :
 إذا شئتُ من نحو الحى في الدجا برقا
 ومهما تذكرتُ الزمان الذى مضى
 خليلي لا تجزع لمحل فادمعى
 وما ضره من أصبحتُ ملك يمينه
 فنيتُ به عشقا وإن قال حاسد
 تلهب قلبي من تلهب خـدّه
 ومنها

أبي الدمعُ إلا أن يسيل ولا يرقى
 تقطعت الأحشاء من حرِّ ما ألقى
 تبادر سقياً في الهوى لمن استسقى
 إذا رق^(٣) لى يوما وقد حازنى رقا
 أضل الورى من مات في هاجر شقا
 فيا نيم^(٤) ذاك الخدُّ فاض بأن أشقى

وكم من صديق كنت أحسب أنه إذا كذبت أوهامنا رفع الصداقا

[محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدؤسى

ابن عم المذكورين قبله ، يكنى أبا القاسم .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (شاعراً مطبوعاً مكثراً) .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعض) .

(٣) وردت في المخطوطين (راق) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٤) وردت في «ج» (فتم) . والتصويب من «الزيتونة» .

حاله

حسن الصورة ، لازم القراءة على شيوخ بلده ، ونظم الشعر على الحدادة ،
وترشح للكتّاب بالدار السلطانية مع الجماعة ، ممن هو في نظمه .
ومن شعره . كتب إلى بما نصه :

أحسب وحده يوم رأسك ربا تُعطي السلامة في الصراع سلماً^(١)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدّوسي

أخو الفقيه أبي بكر بن القاسم بن محمد المذكور

حاله

شاب حسن فاضل ، دَمِثْ ، متخلّق ، جميل الصورة ، حسن الشكل ، أحمر
الوجنتين^(٢) . حَفِظَ كتباً من المبادئ النحوية ، وكتب خطأ حسناً ، وارتسم
في ديوان الجُنْد مثل والده ، وهو الآن بحاله الموصوفة .

شعره

قيد أخوه لي من الشعر الذي زعم أنه من نظمه ، قوله :

حلفت بمن^(٣) زاد عني الكَرْي وأمهر جَفَنِي لِيلاً طويلاً
وألْبَسَ جسمي ثياب النُّحول وعذَّبَ بالهجر قَلْبِي العليلاً
ما^(٤) حُلْتُ عن وُدِّه ساعة ولا اعتَضْتُ منه سواه بديلاً

(١) هذه الترجمة الموجزة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الوجنة) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (لمن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (لما) . وحكمة التصويب واضحة .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَي الكَلْبِي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يكنى أبا عبد الله .

أولَّيته

تُنظر^(١) في اسم أبيه في ترجمة المُقَرِّين والعلماء .

حالُه

من أعلام الشهرة على الفتاوة^(٢) . وانتشار الذكر على الحداثة . تبرَّزَ في
الأدب ، واضطلعا بمماناة الشعر ، وإتقان الخط ، وإيضاحاً للأحاجي والمُفَرَّزات .
نشأ بغرناطة في كنف والده رحمه الله . مقصود التدريب عليه ، مشاوراً إليه
في ثُوب الذهن ، وسمّة الحفظ ، ينطوي على نبيل لا يظهر أثره [على التفاتة ،
وإدراك ، تُغطّي شملته مخيلة غير صادقة ، من تغافله . ثم جاش طبعه ، وفوق حوضه ،
وتفجّرت بناييمه ، وتوقد إحسانه]^(٣) .

ولما فقد والده ، رحمه الله ، ارتسم في الكتابة . فبذلَّ جَلَّةَ الشعراء ، إكثاراً
واقْتِدَاراً ، ووفور مادة ، مجيداً في الأنداح . عجيباً في الأوضاح ، صديقاً^(٤)
في النسيب ، مطبوعاً في الممنوعات . معتدلاً في الكتابة ، نشيط البنان ، جليداً
على العمل ، سيالاً المجاز^(٥) ، جءُوح عنان الدُّعابة ، غزلاً ، مؤثراً للفكاهة ،

(١) وردت في المخطوطين (تنظم) ، فلزم التصويب .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الفتاوى) وهو تحريف ، والمقصود بها هنا (الفتوة) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المزاج) . والأولى أرجح .

انتقل إلى المغرب لشُقُوف خَصْلَه . على ما قد قَسَمَ (١) المخطوط . سبجانه من رَزَقَه
بهذه البلاد . فاستقرَّ بِيَاب مَلِكِه . مَرعى الجناح ، أثير الرتبة . مطلق الجراية ،
مقرر (٢) السَّهام . مُعتباً وطنه | راضياً عن جيرة . دَيْدَنُ من يستند إلى قديم ،
ويتحيزُ إلى أصالة (٣) .

تواليفه

أخبرني عند لقائه أيأى بمدينة فاس في غرض الرسالة ، عام خمس وخمسين
وسبعمائة ، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ، ذاهباً هذا المذهب ، الذي انثدبت
إليه ، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعِه ، وقيدَ بخطِّه من الأجزاء الحديثة (٤)
والفوائد والأشعار ما يفوت الوصف ، ويفوق الحد . وجرى ذكره في «التاج» ،
بما نصه :

«شمسٌ في البلاغة بازغة» (٥) ، وحجةٌ على بقاء الفِطْرة الغريزية (٦) في هذه
البلاد للغربية بالغة ، وفريدةٌ وقت أصاب من فيها نادرة أو نابغة ، من جذع
ابن على القادح ، وجزى من المعرفة كل بارح ، لو تعلقت الغوامض بالثرى
لناها ، وقال أنا لها . وربما غلبت (٧) الغفلة على ظاهره ، وتنطق أكامها
على أزاهره ، حتى إذا قدح في الأدب رَنَدَه ، تقدم المواقب بنده ، إلى خط (٨)

(١) وردت في المخطوطين (قاسم) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطين هكذا (مقدر مقرر) . وقد آثرنا الكلمة الثانية .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها فيما يبدو ، الحديثة وقت كتابة هذا التاريخ .

(٥) وردت في المخطوطين (بارعة) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الغربية) . والتصويب أنسب لصفة الفطرة .

(٧) وردت في «ج» (وبلغت) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (خط) . والتصويب أرجح .

بارع^(١) ، يعضو^(٢) طَوال الطويل منه [إلى سرٍّ وبراعة ، كما ترضى المسك
والكافور عن طِرس وحرير]^(٣) .

شعره

فمن غرامياته وما في معناها [قوله]^(٤)

متى يتلاقى شايق ومشوق	ويُصبح غيرُ الحبِّ وهو طليق
أما أنها أُمّية عزّ نيلها	ومرّمي لعمري في الرّجا سحيق
ولكني خدعتُ قلبي تملّة	أخافُ انصداع القلب فهو رقيق
وقد يُرزق الإنسان من بعد يأسه	وروضُ الرّبي بعد الذبول يروق
تباعدتُ لما زادني القربُ لوعةً	لعل فؤادي من جَواه يَفِيق
ورمتُ شفاء الداء بالداء مثله	وإني بالآأ أَشتَقِي الحَفِيق
وتالله ما للصبِّ في الحبِّ راحةٌ	على كلِّ حال إنه لمَشُوق
وياربُّ قد ضاقت عليّ مَسالكِي	فها أنا في بَحْر الغرام غريق
ولا سلوة تُرجي ولا صبرٌ ممكن	وليس إلى وصل الحبيب طريق
ولا الحبُّ عن تعذيب قلبي يَذْثَنِي	ولا القلبُ للتّعذيب ^(٥) منه يُطِيق
شجونٌ يضيق الصّدر عن زَفَراتها	وشوقٌ يُطاق الصبر عنه يضيق
ثرتُ عقود الدّمع نم نظمتها	[قريضاً فذا دُرٌّ وذاك عَقِيق] ^(٦)

(١) وردت في «ج» (براعة) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (يرنو) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بالتعذيب) والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالألأ : (قريف فصار

بكيتُ أَسَى^(١) [حتى بكى حاسدٌ] معنى^(٢) كأنَّ عَذُولِي عاد وهو صديق
ولو أن عند الناس بعض محبِّي
أيا عين كفى الدمع ما بقي السكرى
لما^(٣) كان يلقى في الأنام مُفَبِّق
ويانا يما عن ناظري أما ترى
إذا منعوك النوم سوف تذوق
لشمسك من^(٤) بعد الغروب شروق
رويدك رفقا بالفؤاد فإنه
نقضت عهدى ظالما بعد عقدها
كنتك حبي يعلم الله مدة
فمازلت بي حتى فُضحت فإن أكن
وقال :

وورَدَ الوَجَنَات معسول اللعي
فذاك بلحظ العين في عشاقه
الحمر بين لثاته والزهر في
وجناته والسحر في أحداقه
ينادي غصنُ البان في أثوابه
ويلوح بدرُ التَّم في أطواقه
من للهلاك بشفره أو خده
هَبْ أنه يُحكِّيه في إشراقه
ولقد تشبَّهت الطُّبَا بشبهة
من خلقه وعجزن عن أخلاقه
نادمته وسينا محيا الشمس قد
ألقى على الأفاق فضل رواقه
في روضة ضحكت نفور أفايحها
وأمال فيها المزن من آماقه
أسقيه كأس سُلَافَة كالمسك في
نفحاته والشهد عند مذاقه
صفراء لم يُدرِ القى أكواسها
إلا تداعى همُّ لفراقه

(١) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة».

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في «ج» ووراد في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (ما).

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

ولقد تَلَيْن الصَّخْرَ^(١) من سَطَوَاتِهِ
وأَظْلُ أَرْشَف من سَلَاقَةٍ^(٢) نَغْرِهِ
ولربما عَطَفْتَهُ عَندي نَشْوَةٌ
أَرْجُو نِدَاءَ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
أَشْكُو الْقِسَاوَةَ من هَوَايَ وَقَلْبِهِ
يَاهِل لَعَهْدٍ قَدْ مَضَى من عَوْدَةٍ
يَالَيْتَ شَعْرَى لَوْ كَانَتْ لَذَلِكَ حِيلَةٌ
فَلَقَدْ يَرُوقُ الْغُصْنُ بَعْدَ ذُبُولِهِ
ومما اشتهر عنه في هذا الغرض :

ذَهَبَتْ حَشَاشَةُ قَلْبِي الصَّدُوعُ
مَا أَنْصَفَ الْأَحْبَابُ يَوْمَ ودَاعِهِمْ
أَتُحِجِدُ بِغَيْثِكَ يَا غَمَامَ فَإِنِّي
مَنْ كَانَ يَمْكِي الظَّاعَنِينَ بِأَدْمَعِ
إِيهِ وَبَيْنَ الصَّدْرِ مَنَى وَالْحَشَا
هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا
عِنْدِي شَجُونَ فِي التَّيْجَنْتِ النَّوَى
مَنْ وَصَلَى الْمَوْقُوفَ أَوْ مِنْ سُهْدَى الْمَوْصُولِ^(٤) أَوْ مِنْ نَوْمَى الْمُقْطُوعِ
لَيْتَ الَّذِي يَبْنِي وَبَيْنَ صَبَابَتِي

(١) وردت في المخطوطين (الحرر) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطين (أفاح) . وبهذا التعديل يستقيم المعنى والسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (فعل) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» الموصوف . والأولى أنسب للمعنى

يا قلب لا تجزع لما فعل النوى
أبعد ما غودرت في أشراكه
ومهففت مها هبت ربح الصبا
جمع المحاسن وهو منفرد بها
والشمس لولا إذنه ما آذنت
مازلت أسقى خده من أدمعي
إن كان يرئو عن^(١) نواظر شادين
عجبا لذلك الشعر زاد بفرقه
منع السكرى ظلما وقد منع الضنا
جردت ثوب العز عن طامعا
لم أنفع لبسا من الملبوس في
بجماله استشفعت في إجماله
يا خادعي عن سكوني وتصبري
أو سعتني بعد الوصال تفرقا
أسرعت فيما ترتضى^(٢) فجزيتني
أشرعت رُحما من قوامك دايلآ
خذ من حديث تولي وتولهي
برؤيه^(٣) خدي مسندا عن أدمعي

فالحر ليس لحادث يجزوع
تبغى التزوع ولات حين تزوع
أبدت له عطفاه عذف مطيع
فاعجب لحسن مفرد مجموع
خجلا وإجلالآ له مطلوع
حتى تفتح عن رياض ربيع
فلرب ضرغام بمن صريع
حسنا كحسن الشعر بالتصريع
فشقيت بالمنوح والمنوع
[أترأه يعطفه على خضوع]^(٤)
حبي ولا ينادي المخلوع
ليحوز أجر منعم^(٥) وشفيع
لولا الهوى ما كنت بالخدوع
وأثبتني سوءا لحسن ضفيع
بطويل هجران إلى مريع
فمنعت من ماء الرضاب شروعي
خبرا صحيحا ليس بالمصنوع
عن مقتلتي عن قلبي المصدوع

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (على).

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين. وفي نص آخر: (أترأه يولي عطفه لخضوعي)

(٣) هكذا في المخطوطين. وفي نص (مشفع).

(٤) هكذا في «ج». (المنع). . التصويب أنسب للسباق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (برؤ) وهو بحريفة.

كم من ليل في هواك قطعتها
لا والذي طبع الكرام على الهوى
ما غيرتني الحادثات ولم أكن
لا خير في الدنيا وما فيها معا
وأنا لذكرهن في تقطيع
وبر^(١) سوا أن الهوى المطبوع
بمذيع سر^(٢) اللهم — ود مضيع
إن كان قلبي منك غير جميع
وقال في غير ذلك [في غرض]^(٣) يظهر من الأبيات :

وقالوا عداك البخت والحزم عندما
ألم يعلموا أن اغترابي حرامة
نعم لست أرضى عن زمانى أوأوى
لقد سيمت نفسى المقام ببلدة بها العيشة النكراء^(٤) والمكسب الشحت
يذل بها الحر^(١) الشريف لعبده
إذا اصطافها المرء اشتكى من سمومها
ولست كقوم في تعصبهم عتوا
رغبت بنفسي أن أساكن معشراً
يدسبون في لبن الكلام دواهاً
فلا در^(٢) در^(٣) القوم إلا عصبية
وآثرت أقواماً حمدت جوارهم
لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت
فما ألفوا لها ولا عرفوا خي^(٤)
به كل مرنح إلى الضيف والوغي
غدوت غريب الدار منزلك الفتى
وأن ارتحالى عن دارهم هو البخت
تهادى السفن المواخر والبخت
ويجفوه بين السم^(١) من سنة ست^(٢)
أذى ويرى فيه أذا يبت^(٣)
يقولون بغداد لغرناطة أخت^(٤)
مقالهم زور^(١) وو^(٢) مقت^(٣)
هى السم يالال المشود لها لت^(٤)
إلى بإخلاص المودة قد متوا^(١)
مقالهم صدق^(٢) وو^(٣) بخت^(٤)
تعام وعن ما ليس يعينهم صمت^(١)
ولا علموا أن الكروم لها ينث^(٢)
إذا ما أتاه منها النبأ البغت^(٣)

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ومن).

(٢) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (النكداء).

(٤) وردت في «ج» (الستين). والتصويب من «الزيتونة».

وَأَشْعَثُ ذِي طَمَرَيْنِ أَغْنَاهُ زُهْدُهُ
 صَبُورٌ عَلَى الْإِيذَاءِ بَغِيضٌ عَلَى الْعَدَا
 وَلِي صَاحِبٌ مِثْلِي يَمَانٍ جَعَلَنِي
 وَأَجْرَدُ جِرَارُ الْأَعْنَةِ فَارِحٌ
 تَسَامَتْ بِهِ الْأَعْرَاقُ ^(١) فِي آلِ أَعُوجٍ
 وَحَسْبِي لِعِضَاتِ النَّوَائِبِ مُنْجِدَا
 قَطَعْتُ زَمَانِي خَبْرَةً وَبَلَوْتُهُ
 وَمَارَسْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ مُبَاحِنَا
 وَذِي صَلَفٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَا تَرْفُقَا
 إِذَا غَبْتُ فَهُوَ الْمَرْوَةُ الْقَوْمَ عِنْدَهُمْ
 وَإِنْ ضَمَّنِي يَوْمًا وَإِيَّاهُ مَشْهُدٌ
 فَحَسْبِي عُدَاتِي أَنْ طَوَيْتُ مَارَبِي
 وَقُلْتُ لَدُنْيَاهُمْ إِذَا شَتَّتَ فَاعْرَبِي
 وَأَغْضَيْتُ عَنْ زَلَّاتِهِمْ غَيْرَ عَاجِزٍ
 وَقَالَ :

لَا تُعَدُّ ضَيْفَكَ إِنْ ذَهَبْتَ لِصَاحِبِ
 أَوْ مَا تَرَى الْأَشْجَارَ مَهْمَارُ كَبْتِ
 وَمِنْهُ فِي الْمَقْطُوعَاتِ :

وَشَادَن تَبَعْنِي حَبْشُهُ
 مَوْرَدُ الْخَلْدِينَ حُلُو الْأَلْمَى
 حَطَّى مِنْهُ الدَّهْرُ هَجْرَانَهُ
 أَحْمَرُ مُضَى الطَّرْفِ وَسَنَانَهُ

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (الأعذار).

(٢) وردت في «ج» (وأنفق)، والتصويب أرجح.

لم تنطأ الأغصان في الروض بل
يا أيها الطَّيِّبُ الذي قلبُه
هل عَطْفَةٌ ترجى لصبِّ شبح
يود أن لو زُرَّتْه في الكَرَى
قد رام أن يكتبَ ما نابَه
فأنضبتُ أسرارَه واستوى
وقال :

نهار وَجَهٌ وليلٌ شِعْرٌ
قد طلبَا بالهوى فزادى
وكيف يُبغى النجاة شيء
وقال في الدَّوَيْتِ :

زارَتْ لَيْلاً وأطلعت فجرها
لما بَصُرَتْ بالشمس قالت يافى
صُبْحًا جَمَعَتْ بين صبح وظلام
[جَمْعُ الْإِنْسَانِ بَيْنَ] (٢) الْأَخْتَيْنِ حَرَامٌ

وقال في غرض التَّوْدِيَةِ :

أُصِح لي [في] (٣) رِياضِ الْحَاسِنِ نَظَرَةً
وبالله لَا تَبْخُلْ عَلَى بَعْظَةٍ
إلى ورد ذلك الخلدُ أَرَوَى به الصَّدى
فإني رأيت الرُّوضَ يوصف بالنداء
وقال :

(١) مكثا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (قلبي).

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ب». ووردت في «الزيتونة» (الجمع بين الأختين).

(٣) الزيادة من «الزيتونة».

وعاشقٌ صلى ومحـرابه
قالوا تعبداً فقلت^(١) نعم
وجهُ غزال ظلّ يسـواه
تعبداً يفهم معناه
وقال وهو مليح جداً :

وصديق شـكى بما حـملوه
قلتُ فاردّدْ ما حـملوك عليهم
من قضاء^(٢) يقضى بطول المعناء
قال من يستطع ردّ القضاء
لسانان هجياً^(٣) من خاصمه
فلست أرى لك أن تنطقاً^(٤)
[إذا لم تحزّ واحداً منهما
وقال :

تلك الذّوابه دُبّت من شوق لها
يا قلبُ فانهج لا إخالك ناجياً^(٥)
واللّحظ يحميها بأى سلاح
من فتنة الجمـدى والسفاح
إحسانه كثير . ويدل بعضُ الشيء على كلّ . ويحجزُ ظلُّ الغيث على
وبله^(٦) .

وفاته

اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً في أوائل ثمانية وخسين وسبعماية . ثم
تحقّقتُ [أن ذلك]^(٧) [في آخر شوال من العام قبله]^(٨)

- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قلنا) .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قضى) .
- (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (هجياً) .
- (٤) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ناجياً) . والأولى أرجح لاستقامة المعنى .
- (٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٧) أضفت هاتين الكلمتين ليستقيم السياق .
- (٨) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وورد مكانها في «الزيتونة» العبارة الآتية (ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام) . والكلام عليه علامة الشطب ابتداءً من كلمة (في أوائل) .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم

ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي

يكنى أبا القاسم .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : فرع دوحة الأصالة والخصوصية ، والعلم والدين ،
والمسكاة والجلالة ، [بُجلى بينه] ^(١) ، ومجدد مآثره [براً ، ومجاملة ، وخيرية] ^(٢) .
نشأ بأطراف بُجملته من الفنون ، من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة ، إلى
خط حسن ، وأدب تكفله ^(٣) ، حتى انقاده أو كاد . أعبط ^(٤) في وقية الطاعون
قاضياً ببعض الجهات . وكتائباً للدار السلطانية ، فكانت فيه الفجيرة عظيمة .

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه : « من فروع مجد وجلالة ، ورث
الفضل لآعن كلاله . أشرف ^(٥) ، مجيد ، معظم ، يُخَوَّل في العشرة ^(٥) ، وصل
لُباب المجد بفرايد الخلال الأثيرة ، وأصبح طرُقاً ^(٦) في الخير والعفاف ، واتصف
من العدالة بأحسن اتصاف ، وسلك من سُنن سلفه ، أثرَ هذا ، لا يزال يُرشد
ويُدله ، ويسدده فيما يعقده أو يحله ، واتسم بميسم الحيا ، والحيا خير كله ، إلى
نزاهة لا ترضى بالدُّون ، ونجاسة تهالك في صون ^(٧) الفنون . وطمح في هذا العهد

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلفه) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت بحرف في «ج» (اغبط) . وأعبط أى هلك .

(٤) وردت في «ج» (يشرب) . وبالتصويب من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (العشرة) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . والطرف . أى القوى .

(٧) وردت في المخطوطين (هون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

إلى نَمَطٍ في البلاغة رفيع، وَجَنَحَ إلى مساجلة [ما يستحسنه ^(١)] من مُخْتَرَعٍ وبديع،
وصدوت منه طُرْفٌ تُسْتَمَلَحُ، وتُسْتَحَلَى إذا استحلى . ونحن نورد ما أمكن
من آياته، ونجلى بعض غُرَرِهِ وشيآته .

شـمـرـه

ومن مقطوعات آياته :

وهيَّتْ فهزَّتْ عند ما رَأَتْ به الطَّلَا مثل الطفل يرضع في المهْدِ
والرَّوض حياه المُرْن خلعة برقة وباتت رُبَاه من جِبَاه على وعد
يحدثناعن كَرَمِها ^(٢) ما من مُزْنِها ^(٣) فتُبْدِي ابتسام الزَّهر في لَئِمَةِ الخلدِ
عَجِبْنَا لما رأينا من بَرِّها بدور حُباب الكأس تلعب بالنرد

وقال :

شَرِبْنَا وَزَنَجِي الدَّيَاجِي مُوقِدُ مصابيحَ من زهر النجوم الطَّوالِغِ
عقاراً وأنه حين أقبل حالِكاً فجاءت بِمُصْفَرٍّ من اللون فَاقِعِ
عجبت ^(٤) لها ترتاع منه وإنها لني الفرق قد قَرَّتْ لِدَمِ المدامع ^(٥)

وقال :

لاح في الدَّرِّ العقيق فحِيَا أم مزاج ^(٥) أداه صرف الحُيَا

(١) وردت في «الزيتونة» (من يستحسنه) . ووردت في «ج» (من يقتبسه) والأول أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردتا في «الزيتونة» (كرمه . قريه) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (عجبا) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المراضع) ، والأول أرجح .

(٥) وردت في «ج» (زجاج) . والتصويب من «الزيتونة» .

من بنات الكروم والروم بكرا
خلتها وألجباب يطفو عليها
قهوة كالعروس في الكأس تُجلى
أقبلت ترتدى حياءً بهيا
شفقاً فوقه نجوم الثريا
صاغ من لؤلئها المزج حلياً

وقال :

ويوم أنس صقيل الجوِّ ذى نظر
مازلت فيه لشمس الطست^(٢) مضطجياً
صفراء كالعسجد المسبوك إن
[كذلك الشمس في أخرى عشيتها
كأنه من وميض البرق^(١) قد خلقت
وبالنجوم وبالأكواس مقتبعا
شربت تبدي احمراراً على الخدين مؤتلقا
إذا توارت أنارت بعدها شفقاً^(٣)

وقال :

بنفسى حبيب صال^(٤) عامل قدّه
ويا عجباً منه متى صار ذا بلا
وأعجب من ذا أن سيف لحاظه
على ولما ينمطف وهو كالغصن
ونضرت تثار عن حوطة اللدن
بمزق أفلاذ الحشى وهو فى الجفن

وقال :

يأبى وغير أبى غزال نافر
قرّ تلاً واستنار حبيبّه
لم يرض غير القلب منزلة فهل
بين الجوانح يفتدى ويروح
غارت^(٥) به بين الكواكب بوح
ياليت شعري بالذواع يلوح
ومما نسب لنفسه وأنشدنيه :

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (الروض) والأولى أنسب للمعنى .

(٢) وردت فى «ج» (الطلب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذا البيت وارد فى «الزيتونة» وساقط فى «ج» .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (حبال) والأولى أنسب للمعنى .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» وفى «ج» (عادت) .

ليلُ الشَّبابِ انْجَابَ أَوَّلُ وَهَلَةٌ عَنْ صُبْحِ شَيْبٍ لَسْتُ عَنْهُ بِرَاضٍ
 إِنْ سَرَّني يَوْمًا سَوَادُ خِضَابِهِ فَمُصُولُهُ عَنْ سَاقِ بِيضِ
 هَلَّا اخْتَفَى فَهُوَ الَّذِي سَرَقَ الصُّبَا وَالْقَطْعُ فِي السَّرَقَاتِ [أَمْرَاضٍ] ^(١)
 فَعَلِيهِ مَا اسْتَطَاعَ الظُّهُورَ بَلَمَّتْ وَعَلَى أَنْ أَلْقَاهُ بِالْمِقْرَاضِ

وفاته

توفي رحمه الله بغرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة ،
 في وقعة الطاعون ، ودفن بباب البيرة [رحمة الله عليه] ^(٢) .

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد [بن علي] ^(٣)

ابن محمد اللوشى اليحصبي

يكنى أبا عبد الله ويعرف باللوشى

أوليته

من لوثة . وقرأ العلم بها ، وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصير
 الملك [له] ^(٤) وتقدم عنده . تضمن ذكره الكتاب المسى « بطرقة العصر

(١) وردت في المخطوطين (أرماض) . وهو تعريف . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» .

في أخبار بني نصر»^(١) ، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشي ، كاتب الدولة النصرية رحمه الله .

حاله

من كتاب « عايد الصلة » . كان رحمه الله من أهل الحسب والأصالة ، شاعراً ، مداحاً . نشأ مُدَلَّلاً في حُجُور الدولة النصرية ، خفيفاً على أبوابها ، مُفَضَّلاً على مُدَّاحها . ثم تَجَنَّى بآخرة ، ولزم طَوْرًا من الحمول في غير تَشَكُّ ، أَعْرَضَ به عن أبواب الدنيا ، وأَعْرَضَ عنه ، واقتصر على تبليغ من علالة مُؤْمَلِّ كان له خارج [غرناطة]^(٢) غير مُسَادٍ من ثَلَمِهِ ، ولا مُصْلِحٍ في خَلَلِهِ ، أخذ نفسه بالتَّشَفُّ ، وسوء المسكن ، والتهاون بالملبس ، حملاً عليها في غير أبواب الرياضة ، مجانِباً أبواب الخُلَاطِ ، وفيما لمن لحقته من السلطان مَوْجِدَةً ، تختلف معاملته لمن يعرفه في اليوم مرَّات ، من إعراض عنه ، وقَبُولٍ عليه ، ولصوق به ، كل ذلك عن سلامة ، وتهيب نفس . مليح الدُّعَاة ، ذا كرا لفنون من الأناشيد ، حسن الجِدِّ ، متجافياً عن الأعراض .

وجرى ذكره في « التاج » بما نصه : « شاعر مُفَلِّق ، وشهابٌ في أفق البلاغة متألِّق ، طبق مفاصل الكلام بحُسام لسانه ، وقَلَدَ فُحُور الكلام ، ما يُزْرِي بجواهر الملوك من إحسانه . ونشأ في حُجُور الدولة النصرية مُدَلَّلاً بِمَتَانَتِهِ ، متقلِّباً من العزِّ في أفانينه وأشتاته ، إذ لَسَلَفَهُ الدُّمَامُ الَّذِي صَفَّتْ^(٣) منه الحياض

(١) هو مؤلف وضعه ابن الخطيب في تاريخ الدولة النصرية منذ قيامها حتى عصره ، وهو غير كتاب «اللمعة البدرية» الذي يتناول نفس الموضوع . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن الخطيب التاريخية (راجع كتابنا لسان الدين بن الخطيب ص ٢٥٠ ، والمجلد الأول من الإحاطة الطبعة الثانية - ص ٥٨) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (بعث) . والتصويب من «الزيتونة» .

والحمام، والوداد الذى قصُرت عنه الأنداد . والسابقة التى أرزى بخبرها الميان، وشهدت بها أرجونة^(١) وجيان ، محيّر نمرة الطيب . وله همّة [عالية] ^(٢) ، بعيدة المرمى ، كريمة المنتمى ، كحلتها بأخرة على الانتقباض والازدراء ، والزهد فى الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والافتقار، فعمّط على انتجاع غلّته، والتزام محلّته ، ومباشرة فلاحة صان بها وجهه ، ووفّاه الدهر حقه ونجمه ، واحتجبت عقايلُ بيانه لهذا العهد وتقمّعت : وراودتها النفس فتمتعت ، وله فكاهة، وأنس الزمان ، مناجاة القينات ، عند البيات ، وأعنبُ من معاطاة ^(٣) الرّاح فى الأقحاح .

شعره

قال ، [وله أدبٌ بلغ فى الإجادة الغاية] ^(٤) ، ورفع للجبين من السنن الرّاية . ومن مقطوعاته يودع ^(٥) شيخنا الفقيه القاضى أبا البركات بن الحاج :

رأونى وقد أغرقت فى عبّراتى وأحرقت فى نارى لدى زفّراتى
فقالوا سلّوه تعلموا كُنه حاله فقلتُ سلّوا عنى أبا البركات
فمن قال لى بالرحيل مُحدث روت عنه أجفانى غريب ثبات
ونادى فؤادى رَكبه فأجابه ترحّل وكنّ فى القوم بعض عدات

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازيّة :

سيخطب قسّ العزم من منبر السرى وهل فى الدّنا ^(٦) يوم المسير أطيق

(١) هى موطن بنى نصر ملوك غرناطة، وقد سبق التعريف بها . (٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت فى «ج» (معاطب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» كالأنى : (وله أدب بليغ

فى الإجادة بلغ الغاية) .

(٥) وردت فى المخطوطين (يردد) والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت فى المخطوطين (الدنيا) . وبالتصويب يستقيم الوزن .

وأقطع زَندَ المَجَرِّ والقَطْعَ حقَّه فما زال طيبُ العمرِ عني يَسْتَرِقُ
مولده : في حدود ثمانية وسبعين وستاينه

وفاته

في الموفى عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعماية

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللمخي
يكنى أبا بكر

أوليته

[مرت] ^(١) في اسم ذى الوزارتين .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : «كان صَدْرُ أبناء أصحاب النعم ، وبقية
أعلام البيوت ، ترف نشأة ، وعزَّ تربية ، وكرم نفس ، وطيب مجالسة ،
وإمتناع محاضرة ، وصحة وفاء ، وشياع مشاركة في جملة فاضلة ، محدثا تاريخيا ،
كاتباً بليفاً ، حسن الخط ، مليح الدُّعابة ، ظريف التوقيع ، متقدم الحيلة ^(٢)
في باب التحسين والتنقيح . يقرض الشعر ، ويفك المعنى ، ويقوم على مجل
الكتاب العزيز . حفظاً وتجويداً . وإتقاناً ، ويسرُّد نَتف التاريخ . وعيون
الأخبار ، إلى حُسْن الخلق . وكَمال الأبهة . وحلاوة اليساطة ، واحتمال المناشئة .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الحلة) . وفي «الزيتونة» (الحلة) وبالتهذيب يستقيم المعنى .

والمنابرة على حفظ المودة والاستقالة من المهنة . والتمسك بالاستعانة والمهذبة .
كتب بالدار السلطانية أكثر عمره . وتصدر بعد في قيادة المواضع النبوية ،
[محارباً ذا قدرة في ذلك]^(١) . ومع ذلك فشاع المعروف ، ذابح المشاركة . قيد
الكثير . ودون وصنف ، وحمل عن الجلة ممن يشق إحصاؤهم ، وكان
غرة من غرر هذا القطر ، وموكبا من مواكب هذا الأفق ، لم يتخلف
بعده مثله .

وجرى ذكره في « التاج الحلي » بما نصه : « ماجدٌ أقام رسم المجد بعد
عفايه ، فوقى الفضل حق وفايه . بيته في رُندة ، أشهر في الأصالة من بيت امرئ
القيس ، وأرسي في بُجُوحه الفخر^(٢) ، من قواعد الرضوى وأبي قيس . استولى
على الجود [البديع]^(٣) البعيد المدا ، وحجبت إليه من كل فج طُلاب النداء ،
وعشت إلى ضوء ناره ، فوجدت على النار الثقي والهدي . ولَّى الوزارة النصيرية ،
التي اعتصر منها طريقاً بتالد ، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد^(٤) .
ولما أدار عليها الدهر كناس النوايب ، وحلّص إليها سهمه [الصّايب]^(٥) بين
صحائف السكتب وصفائح الكتايب ، تطامعت من خلالها الرايقة لباب الوجود ،
وبكتها بسيل أحفانها عين الباس والجود ، وطلّع على أعقاب هذه الفضائل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في « الزيتونة » . ووردت في « ج » كالآتي : (محارباً مقدوراً عليه) . والأولى أكثر تشمياً مع المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في « ج » . ووردت في « الزيتونة » (الفضل) .

(٣) الزيادة من « الزيتونة » .

(٤) هو يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد . وأحد أعلام أسرة البرامكة الشهيرة ،
التي استولت على السلطة في الدولة العباسية ، واضطر الرشيد إلى نكبتها (سنة ١٨٧ هـ) حرصاً على
سلطانه ، وتحرراً من قبضتها .

(٥) هذه الكلمة واردة في « ج » . وساقطة في « الزيتونة » .

[نَحَلِي من صفحاتها] ^(١)، وأعاد لوساعده الدهر من لَمَحَاتِهَا ، وارتقى من الكتابة إلى
الحلِّ النّبِيّة ، واستحقها من بعض ميراث أبيه ، [وَبَنِي] ^(٢) وشيّد ، ودوّن فيها وقيد
وشهر في كتب الحديث وروايته ، وجَفَى ثمرة رحلته أبيه ، وهو في جَبَر ذُوَابِنه ^(٣) .
وأَنشأ الفهارس ، وأحيى الأثر الدّارس ، وألف كتابه المسمى « بالموارد المُستَعْدبة
والمقاصد المُنتخبة » فسرَح ^(٤) الطّرف ، وروضه طيّب الجنى والعرف ، وله شعر
أنيق الحلية ، حاز في نمط العلية . وبين وبين هذا الفاضل وداد صافي الجياض ^(٥) ،
وفكاهة كقدَم الرّياض ، ودُعابة سحبت الدّالة أذيالها ، وأدارت النّقة والمقّة
جريالها . وسير في هذا الديوان كل رايق الحيا ، عاطر الرّيا .

مشيخته

قرأ على [الأستاذ] ^(٦) أبي جعفر الحريري ، والأستاذ أبي الحسن القيجاطي ،
والأستاذ إسحق بن أبي العاصي . وأخذ عن الطّم والرّم ، من مشايخ المشرق
والمغرب . ففهم الولي الصالح فضل بن فضيلة المَعافري ، إلى العدد الكثير من
أهل الأندلس ، كأهل إلباء الصلحاء أبي عبد الله الطنجالي ، وأبي جعفر الزياتي ،
وأبي عبد الله بن السكّاد ، وغيرهم من الرّنديين والمالقيين والغرناطيين ، حسبما
تضمنه برناجه .

توابعه

ألف الكتاب المسمى ، « الفوائد المُنتخبة والموارد المُستَعْدبة » ^(٧) . وكُل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت بحرفه في «ج» كالآتي : (يجل من صباحها) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (دابته) . والتعويّب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (فسمع) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الحياطة) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) سبق أن ورد عنوان هذا الكتاب فيما تقدم كالآتي : «الموارد المستعدة والمقاصد المنتخبة» .

التاريخ المسعى « بيمزار العمل ، لابن رَشِيق . ودوّن كتاباً في عبارة الرؤيا سماه « بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب » و « الأخبار المذهّبة » و « الإشارة الصّوفية ، والنسكت الأدبية » . والهوّج في السكتب . والإشارة في ألف إنشاده .

شعره وكتابه

قال في التاريخ مانصه : « وتهادته إلى هذا العهد رُتّب السيّادة ، واستعمل في نبيّات القيادة ، فوجّه إلى معقل قرطمة ^(١) من كورة ريه وهو واليه ، وبطاحه في مجرى جياده وصحّر عواليه . وقد حلت مألقة حُجبة الرّكب ^(٢) السلطاني في بعض التّوجّهات ، إلى تلك الجهات ، في بعض ما أتخف [من مقعده] ^(٣) ، المتصل المستمر ، بهديّة مشتملة على ضروب من البرّ . لخاطبته مقيا لسوق ^(٤) الانبساط ، وغير حايدٍ عن الوداد والاعتباط ، على ما عوّل [عليه] ^(٥) من حل الإفراط ، والانتظام في هذا المعنى والانخراط :

أُلم على أخذ القليل وإنما أعامل أقواماً أقل من الذر
فإن أنا لم آخذ منهم فقدته ولا بد من شيء يُعين على الدهر
سيدي أطلق الله يدك بما تملك ، وفتر عن منحك البخل ليلاً تهلك .

(١) وردت في المخطوطتين (قرطمة) وهو تحريف ظاهر ، لأن قرطمة كانت قد سقطت في أيدي النصارى قبل ذلك بنحو قرن ، ولأنها من جهة أخرى ليست واقعة في كورة ريه أو كورة مألقة . والصواب هو «معقل قرطمة» Cartama . وقرطمة هي بلدة حصينة تقع غربي ثغر مألقة وسط كورة ريه .

(١) هكذا وردت في «ج» ، وفي «الزيتونة» (الركاب) .

(٢) وردت في «ج» (ما تفقده) ، والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (سوق) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

كنت قد هومت^(١) ، وحذرني القلق فنلومت . ولوئى^(٢) كما علمت سيء الخصال ، عزيز الوصال . يمثّل دَينى ، ويماف طيره ورّد عيني . فإذا الباب يدقّ بججر ، فأنبأني عن ضَجَر ، وجارُ الجنب يؤخذ بالذنب . فقامت مُبادراً وجَزِعت . وإن كان الجَزَع منى نادوا . واستفهمت من وراء^(٣) العَلَق ، عن سبب هذا العَلَق . فقالت امرأة من سكان البوادي . رابطة الفؤاد يا قوم ، رسول خير ، وناقص طَير ، وقرعُ إذلال لا فرعُ إذلال . حُطوا شعوا الحرب والحرب ، فقد ظفرتم ببلوغ الأرب ، فتأخرت عن الإقدام . وأنهدتُ إليه ، فخن^(٤) عمر بن أبي ربيعة عن كان بالدار من الخُدام . فأسفرت الوقعة عن سلام وسُلم ، ولم يَزِن أحد منا بكلم . ونظرتُ إلى رجل قرطبي الطلعة والأخلاق ، خاوع على الإطلاق . تنهد قبل أن يُسَلِّم ، وارتمض^(٥) لما ذهب من الشَّيبة وتألّم . شَنَشَنَة معروفة . وعين^(٦) تلك الجهات معاذ الله مضروفة . وقد حَلَّتْ سيادتكم من المبرّة ضرّوباً شقّى . وتجاوزت في المسرات غاية حتى . ولم تُضع عضواً من جَسَمه ، فضلاً عن مَنسكبه ويده ، إلّا علقته وعاء ثقيلاً ، وناطت به زَنْبِيلاً . واستلقى كالمنى إذا ترك للمُتترك . وعَلَّتْ حوله تلك الأثقال . وتعاورها الانتقال^(٧) [وكثُر بالزُّقاق القيلُ والقَال . فلما تَخَلَّصتُ إلى الدار^(٨) ، وسرت مرقبها بالجدار ، وتناولها

(١) وردت في «ج» (هرمت) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (قوى) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٣) وردت في «ج» (دار) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (خن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (وارتمض) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (وعن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) ما ساقى منذ بداية هذه الحاصرة حتى نهايتها عند الحاصرة الختامية - - كله ساقط في «ج» . ووارد في «الزيتونة» وقد اعتمدنا في نقله على مخطوط «الزيتونة» دون سواء .

(٨) وردت في «الزيتونة» (بالدار) والتصويب أنسب للسياق .

الاختبار الفاضح ، وبأن قصورها الواضح ، فتلاشت ، بعد ما جاشت ، ونظرت
إلى قَعْب من اللَّابَن المذروق الذى لا يُستعمل فى البيوت ، ولا يباع فى السوق ،
فأذ كرتني قول الشاعر :

فى تلك المسكالم لأقعبان من لبن شِيَبَت بماء فعادت بعدُ أبوالا
أما زُبده فرفع ، وأما جُبْنه فاقْتِيت به وانتفع . وأما من بعثه من فضلاء
الْخُلْدَام فدفع ، وكأنى به قد ألح وُضِع ، والتفت إلى قُفَّة فد خِيَّات ، وبعنق
ذاك البابس قد نِيَّات ، رَمَسَ ^(١) فيها أفراخ الحمام ، وقُلِّدت بجيده ^(٢) كما يُتقلد
بالتماثم ، وشُدَّ جُلُها بمخنقه ، وألزم منها فى العاجل طائرُه فى عنقه ، هذا بعد
ما ذُبِحت ، وأما حشوها فربِحت . ولو سلكتم الدارِيقَة المثلَى ، لحَفِظتم جَشْمها من
العَمَن ، كما تُحفظ جُثَّة القتلى ، وأظنكم لم تَغفلوا هذا الغرض الأدنى ، ولا أهملتم
هذه المهم الذى غريزة فى المَبْنَى . فإنى رميتُ منها الأهو روى المختبر ، فكُلِّح من
مرارة الصبر ، ولما أخرجتها من كَفَن القفَّة ، واستدعيت لمواراتها أهل الصِّفة ،
تمثلت تمثل الليب بقول أبى تمام حبيب :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةَ مِنْ حَامِيْنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَام

ولو أن إحدى الدَّجَاجِيْن لاحت عليها مُخَيِّلَة سِر . لكانت من بقايا مواطنى
ديوك بنى مَرٍّ ، وبعث بها حلالك حلاله . وأهدى منها اجتهدا من أَحْسَن . ولم يكن
بالهدية ما يُذكر ، ولا كانت مما يُشكر ، أَسْتَغْفِرُ الله ، فلو لم تكن التَّحفة ،
إلا تلك الفكاهة العاطرة والغمامة الماطرة . التى أَحْسَبُهَا الأمل الأقصى ، وتجاوزت
إِلَّا مِنْ التى لا تُعَد ولا تُحصى ، للزم الشكر ووجب ، وبرز من حُرِّ المدح ما تيسَّر

(١) وردت فى «الزيتونة» (ومس) ، وهو تحريف اقضى التصويب .

(٢) وردت فى «الزيتونة» (بلبه) . وبالصواب يستقيم المعنى والسيال .

واحتجب . فالكلوم وإن تَغَيَّرَتْ أنسابها ، وجُهِل انتسابها . وادَّعى إرثها
واكتسابها . إليكم تَنَشُّرُ يدها ، وتَسْعَى لأقدامها ، ولَبَيْتُكُمْ تَمِيلُ بهواذِها ،
وبساحتكم يسيل وادِها ، وعلى أرضكم تَسُحُّ غواذِها . ومنلى أعزكم الله ، لا يُنْفِى
من قدر مُخَفِّكُم الحافلة ، ولا يَقْدِر من شكرها على فريضة ولا نافلة ، ولكنها
دُعابة معتادة ، وفكاهة أصدرتها ودادة . ولا شك أنكم بما جِئْتُمْ عليه قديماً
وحديثاً ، تغفرون ^(١) جفائى ، الذى سِيرْتُمُوهُ مَكْرَاً وحديثاً ، فى جنب وفائى ،
وتُغْضُونَ وتَحْمِلُونَ ، وبقول الشاعر تتمثلون ، وأسمع من الألفاظ اللغوية التى
يُسَرُّ بها سَمْعى ، وإن ضمنت شَتْمى ووصفى :

بعثت بشيء كالخفاء وإنما	بعثت بمذرى كالدُّلِّ إلى غدر
وقلت لنفسى لا تَرُدِّعِ ^(٢) فإنه	كما قيل شيء قد يُعِين على الدهر
وما كان قدر الودِّ والمجد مثله	فخذه على قدر الحوادث أو قدِّرى
وإن كنت لم أحسن صنيعى فإننى	سأحسن فى حُسن القبول له شكرى
وقدَّرك قدر النيل عندى وإننى	لدى قدرك العالى أدقُّ من الذرِّ
قنعتُ وحظى من زمانى وودُّكم	هباء ومثلى ليس يقنع بالنزر
أتانى كتاب منك بآءٍ مبارك	لقيتُ به الآمال باهتة ^(٣) الشَّفر
جلا من بَنَاتِ الفِكر بكَراً وزفها	إلى ناظرى تخال فى حَبْرِ الخبر
فألفاظها كالزَّهر والزهر يانع	وقدَّروا المعانى فى الأصالة كالزهر
نجوم معانٍ فى سماء صحيفة	ولكنها تُسْرِى النجوم ولا تسرى
تضمَّن من نوع الدعابة ما به	رجوت الذى قد قيل فى أشوة الحمر

(١) وردت فى «الزيتونة» (تعدون) . والتصويب أكثر تشبهاً مع السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

دعى الله مَسْرَاهَا السَّكْرِيمَ فِجْلًا مَا
 لِعَمْرِي لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي دَوْلَةَ الصُّبَا
 وَلَمَّا أَتَيْتَ تِلْكَ الْفَسْكَاهَةَ غَدَوَةً
 وَلَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ مُلْعَمٌ يُرْذَهَا
 نَشَرْتُ بِهَا مَا قَدْ طَوَيْتُ بِسَاطَهَا
 وَنَعَمْ خَلِيلُ الْخَيْرِ أَتَيْتَ مُحَافِظًا
 وَدُونَكُمْهَا تَلْهَوُ بِهَا وَتَذِيرَهَا
 جَلَّكَتَهُ مِنَ الْبُشْرَى وَأَبْدَتْ مِنَ الْبِشْرِ
 وَأَهْدَيْتَ لِي نَوْعَ الْجَلَالِ مِنَ السَّحْرِ
 وَجَدْتُ نَشَاطًا سَائِرَ الْيَوْمِ فِي بِشْرِ
 عَمِيدُ أُولَى الْأَلْبَابِ نَادِرَةُ الْعَصْرِ
 زَمَانًا وَبِي طَلْحُ الْأَمُورِ مَعَ الذَّنْرِ
 عَلَى سُنَنِ الْإِخْلَاصِ فِي السُّرِّ وَالْجُورِ
 سُخْرِيَّةُ الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةُ الذَّنْرِ^(١)

فراجعني بقوله :

وقد منَّ سيدى الجواب ، محتويًا على العجب العُجَاب ، فيالك من فسكاهة
 كَوْثَرِيَةِ الْمَنَاهِل ، عَنَبَرِيَةِ الْمَسَائِل ، ولو لم يكن إِلَّا وَصْفُ الْقَرْطُوبِ ، الْمُسْتَوَى^(٢)
 الطَّلْعَةِ ، الشَّرْطَى الصَّنْعَةِ . وأما وصف الابن وفراخ الحمام ، فقد بَسَّطْتُمْ فِي الْمَزَاحِ
 الْقَوْلَ . وَامْتَنَعْتُمْ فِي الْكَلَامِ الْفَضْلَ . وَذَلِكَ شَيْءٌ يَعْجَزُ عَنْ مُسَاجَلَتِكُمْ فِيهِ
 فِيهِ أَوْبَابُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ، فَكَيْفَ يَمُتْلِي مَنْ لَهُ الْقَوْلُ الْمُهْلِكُ الذَّنْبِيغِ ، الْوَاهِي
 الْبَيَانِ . وَلَا بَدَّ مِنْ عَرَضَ ذَلِكَ عَلَى سِيدَى^(٣) الْقُطْبِ الْكَبِيرِ الْإِمَامِ ، وَأَسْتَأْذِنَا
 عِلْمَ الْأَعْلَامِ ، وَكَبِيرَ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ . فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا بِحُكْمِ الْفَضْلِ . وَيُنْصِفُ بِمَا لَدَيْهِ
 مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ . وَقَدْ كُنْتُ أَحِيدٌ عَنْ مَرَاஜَعَتِكُمْ حَيَّةَ الْجَبَانِ . وَأُمِيلُ عَنْ
 ذَلِكَ مِيلَةَ الْكَوْذَنِ^(٤) عَنْ مَجَاوَاةِ الشُّرِّ الْمُهْجَانِ . وَأَعْدِلُ عَنْ مَسَاجِلَةِ أَدْبِكُمْ
 الْهَتَّانِ . عَدُولُ الْأَعْزَلِ عَنْ مَبَاوِزَةِ جَيْدِ السَّنَانِ . إِلَى أَنْ وَثَقْتُ بِالْصَفْحِ .

(١) إِلَى هُنَا انْتَهَى مَا نَقَلْنَاهُ مِنْهُ الْخَاصَرَةُ الْفَاتِحَةُ مِنَ مَخْطُوطِ «الزَيْتُونَةِ» . وَهُوَ سَاقَطٌ كُلُّهُ فِي «ج» .

(٢) وَرَدَّتْ فِي «ج» (الْمَشْوَى) . وَالتَّصْوِيبُ أَرْجَحُ .

(٣) وَرَدَّتْ فِي «ج» (سَبِيلُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «الزَيْتُونَةِ» .

(٤) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَكَوْذُنْ . هُوَ الْبَطْلُ . الْمَشْأَلُ فِي مَشْيِهِ .

وعوّلت على ما لديكم من الإغضاء والسّمح ، ووجّهتُ حاملة الدّر والظروف ،
 كي تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف . وأسْتَقِيل من انبساط يجرّ عُدْرًا . وأسأله
 سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من إنعامه وشكراً . دام سيدي وآاله مساعدة .
 والكلمة على فضله واحدة .

ومن شعره في النّسك واللبّاء إلى الله تعالى :

أَيَّامَن لَه الْحَكْم فِي خَلْقِهِ وَمَن يَكْرِبِي لَه أَشْتَكِي
 تَوَلَّى أُمُورِي وَلَا تُسَلِّمَنِي وَإِن أَنْتَ أَسْلَمْتَنِي أَهْلِكْ
 تَعَالَيْتَ مِن مُّفْضِلٍ (١) مَنَعَم وَنَزَّهْتَ مِن طَالِبٍ مُّذْرِكْ
 وَمِن ذَلِكَ وَقَلْتَنِي خَفَّاهُ :

تَصَبَّرْ إِذَا مَا أَدْرَكْتَك مُلَمَّةً فَصُنْعُ إِلَهِ الْعَالَمِينَ عَجِيبُ
 وَمَا يَدْرِكُ الْإِنْسَانَ عَارٌ بَنَسْكَبَةً يُنْكَبُ فِيهَا صَاحِبُ وَجِيبِ
 فَمِنْ مَنْ مَضَى لَهَرُهُ ذِي الْعَقْلِ أَسُوءَ وَعَيْشُ كِرَامِ النَّاسِ لَيْسَ يَطِيبُ
 وَيُوشِكُ أَنْ تَهْجَى سَحَابِيبُ نَعْمَةٍ فَيَخْصُبُ [مِنْ] (٢) رِيعِ السَّرُودِ جَدِيبِ
 إِلَهْكَ يَا هَذَا مَجِيبٌ لِمَنْ دَعَا وَكُلُّ الَّذِي عِنْدَ الْقَرِيبِ قَرِيبِ
 مولده : عام خمسة وستين وستاية .

وفـاتـه

من « عائد الصلاة » . قال ، وختم الله عمره بخير العمل من الإنابة والتّهّج ،
 والزام الورد ، وإن كان مُستصحِب الخيرية . وحلّ ببلد ولاينهم رُنْدَةً ، فكانت
 بها تَرْبَتُهُ فِي الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ لِرَبِيعِ الْآخِرِ عَامِ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « الزهتونة » (فاضل) والأول أرجح .

(٢) أصبحت هذه الكلمة لاستقابة الشعر والمعنى .

محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
ولد المذكور بعد ، الكاتب بالدار السلطانية .

حاله

من كتاب طرفة العصر وغيره ، قال ، [كان] ^(١) كاتباً مشهوراً ، بليغاً ،
ذا معرفة ، باوع الخط ، أوحد زمانه في ذلك ، وقوراً ، مُعَذَّب ^(٢) اللفظ ، منجماً
في هوى نفسه ، مُحَارِقاً ^(٣) بحرفة الأدب على جلالة قدره . وكتابه نقيّة ، جانحة
إلى الاختصار .

شعره

وثيق ثقل فيهِ أرواح المعاني ، كشعر أبيه ، وتوشيح فائق . تولى كتابة
الإنشاء لثاني الملوك النصريين ^(٤) ، واستمر قيامه ^(٥) بها على حَجَرٍ شديد من
السلطان ومُحمَل ، ملازمته المُعاوَرَة وانهماكه في البذالة ، واستعمال الحر ، حتى زعموا
أنه قام يوماً بين يديه ، فأخذه عنها ، وقدّم الوزير أبا عبد الله بن الحكيم .
وفي ذلك يقول :

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أجفأ ^(٦) لأن زعموا أني تحسبتهَا حيرفاً
وأقام بقية عمره تحت رِفْدٍ وبرٍّ .

(١) سابقة في المخطوطين . وإضافتها لازمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، والمقصود بها (غذب) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين والمقصود بها (محترفاً) .

(٤) ثاني ملوك بني نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر . وقد حكم ملكة
غمرناطة من سنة ٦٧١ هـ حتى سنة ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

(٥) وردت في «ج» (قيامه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (جداً) . والتصويب بتعليم السهال .

وفاته

توفي في حدود التسعين وسبائة . وكان شيخنا ابن الجيّاب [قد آثره]^(١) بكتّبه . وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه رحمه الله .

محمد بن مالك المُرّي الطُّغْنَرِي^(٢)

من أهل غرناطة ، من ذوى البيتية^(٣) والحسب فيها . ذكره الأستاذ^(٤) ، في الكتاب المسمى بالصلة ، والغافقي^(٥) ، وغيرها .

حاله

أديب نبيل ، شاعر ، على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة . قال وكان أولاً يعيل إلى البطالة والراحة . ثم إنه استيقظ من غفلته ، وأقلع عن راحته ، وأجبّ في توبته . وكان من أهل القضل والخير والعلم .

من تواليفه كتابه الشهير في الفلاحة ، وهو بديع ، سماه « زهرة البستان ، ونُزهة الأذهان » ، عبرة في الظرف . قال ، وجري له مع سَماجة^(٦) ، خليفة

(١) وردت في المخطوطين (فآثره) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) ورد هذا الاسم محرفاً كله في «ج» كالآتي : (محمد بن ملك الميرى الصعري) . وكذا في «الزيتونة» (محمد بن ملك الميرى الصعري) والاسم الصحيح هو ما أثبتناه . والطغْنَرِي نسبة إلى (طغْنَر) . هي قرية من قرى غرناطة ، وقد سبق التعريف بها .

(٣) وردت في «ج» (البيتية) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) الأستاذ هنا يقصد بها الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (صلة الصلة) . وقد

سبق التعريف به .

(٥) الغافقي يقصد بها هنا ، محمد بن عبد الواحد الغافقي الشهير بالملاحى . وقد سبق التعريف به

(٦) هو من شيوخ قبيلة صنهاجة البربرية . وقد تولى الوزارة لعبد الله بن بلقين أمير غرناطة . وكان وزيراً حازماً قوى العزم ، شديد السطوة ، فبرم به عبد الله ، وصرفه بالحسن ، فسار في أهله وأمواله إلى الأمرية ، وعاش في كنف صاحبها ابن صبادج .

عبد الله بن بلةين قصة . إذ فاجأه سماجة مع إخوان له ، ولم يشعروا به ، فأنشده ابن مالك أوتجالا ، وقد أخذ بلمجام دابته :

بينما نحن في المصلَّى نساق^(١) وجناح العشيِّ فيه جُنوح
إذا أتانا سماجةٌ يئلاً^(٢) رَدَى الشمس من تجليله يوح
فطفقنا يقول بعضُ لبعضٍ أغبوقُ شرابنا أم صَبُوح

قال ، فتسكلم الوزير سماجة [باللسان البربرى]^(٣) مع عبيده ، فرجموا مسرعين ، ووقف سماجة مع الوزير ابن مالك ، إلى أن أتاه عبيده ، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم ، تنيف على الثلاثمائة دينار . قتل ادفعوها إليه ، وانصرف . وأتاهم العبيد مع الدراهم ، بطعام وشراب . قال ابن مالك ، وذلك^(٤) أوّل مال^(٥) تأثّلته^(٥) .

شعره

[ومنه]^(٦)

صبُّ على قلبي هوى لاجع ودبُّ في جسمي ضناً دارج
في شادنٍ أحرر مُستأنس لسانُ تَذْكَارى^(٧) به لاهج
قدرُ نَعْمَانٍ إذا ما مشى وما عسى ينعـله عالج

(١) وردت في المخطوطين (نسخ) . وبالتصويب يستقيم الوزن والسياق .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (باللسان الغربى) .

(٣) وردت في «ج» (بذلك) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (ما) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (تأثله) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٦) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تذْكَارى) .

فقدته من رقصة مائس^(١) وردفه من ثقله مائج^(٢)
عنوان ما في ثوبه وجهه^(٣) تشابه الداخل والخارج
فلا تقيسوه ببذر الدجى ذا مُعلم الوجه وذا ساذج
وقد نسبها بعض الناس لغيره

وفاته

قال الأستاذ ، كان حيًّا [سنة] ثمانين وأربعمائة . وأمر أن يكتب
على قبره :

يا خليلي عرج على قبري تجد من أكلة الثرب بين جنبي ضريح
خافت الصوت إن نلتك ولكن أى نطق إن اعتبرت فصيح
أبصرت عيني العجايب لكن لما فرق الموت بين جسمي وروح^(٤)

محمد بن علي بن محمد [بن عبد الله]^(٥) بن عبد الملك الأوسى^(٦)
المدعو بالعمّرب ، من إقليم الآش^(٧)

حاله

كان حسن النظم والنثر ، ذكيًّا من أهل المعرفة بالعربية والأدب . موصوفًا
بجودة القريحة ، والنبيل والفطنة .

-
- (١) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (مارج) والأولى أنسب السياق .
(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» ((جسمه)) والأولى أنسب للسياق .
(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الروح) .
(٤) الزيادة في النسبة من «الزيتونة» .
(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأسدى) .
(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (لاش) . ولا يوجد في الجغرافية الأندلسية
إقليم بهذا الاسم . ولعل المقصود هنا هو إقليم وادي آش . وقد أورد اسمه على سبيل الإلتصاف .

أدبه وشعره

ذكره الملاحى: وقال حدثني قاضي الأحكام بفرنطة ، أبو القاسم الحسن بن قاسم ،
 الهلالى صاحبنا . قال ، كان الأسناذ أبو عبد الله العقب جارتنا ، قد وقع بينه وبين
 زوجه ، زهرة بنت صاحب الأحكام أبى الحسن على بن محمد تنازع ، فرفعه إلى
 القاضى بفرنطة ، أبى عبد الله بن السماك العاملى ، وكنت يومئذ كاتباً له ، فرأى
 القاضى قوته وقدرته على الكلام وضمها ، وإخفاق^(١) فظمها ، وشفق لحالها .
 وكان يرى أن النساء ضامف ، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمين . وكان كثيراً
 ما يقول فى مجلسه : رويدك ، رفقا بالقواوير . وحين رأى ، [ما صدر عن القاضى
 من الجمل^(٢) ، فقلت له وأين حلاوة شعرك ، والقاضى أديب ، يهتز إليه
 ويرتاح ، فطلب منى قرطاساً ، وجلس غير بعيد ، ثم كتب على البديهة
 بما نصه :

لله حى يا أميم حواك وحاميم فوق الفصون حواك
 غنّين حتى خلتن عني غنّيتي بغنائين فنمحت [فى] مغناك^(٣)
 ذكرتنى ما كنت قد أنيتته بخطوب هذا الدهر من ذكراك
 أشكو الزمان إلى الزمان ومن شكى صرف الزمان إلى الزمان فشاكى
 يا ابن السماك المستنظل^(٤) برمحه والعزّل ترهب ذا السلاح الشاكى
 راع الجوار فيبيننا فى جونا حق السرى والسير فى الأفلاك

(١) وردت فى الخطوط (اتفاق) . وبالنسبة يستقيم المعنى .

(٢) هكذا وردت هذه الجملة فى الزيتونة . ووردت محرفة فى «ج» كالاتى : (ان القاضى

من الحمل) .

(٣) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المستقل) . والأول أرجح .

وابسط إلى الخلق المنسوب ببسطة ظرف السكرام بعقة النساك
 وأنا ذا كر إن لم يَنْت من لم يَنْت فدارك ثم دارك ثم (١) ذاك
 ثم دفعها إلى القاضي ، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة : لبيك ، لبيك .
 [ثم أرسلني] (٢) أصاح بين العَقْرَب وزوجه ، فإن وصل صاحبهما إلى خمسين
 دينارا ، فأنا أؤديها عنه من مالى ، فجمعت بينهما ، وأصلحت بينهما عن تراض
 منهما ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسى المرادى (٣)

من أهل غرناطة

حاله

كان قى حسن السمّت ، ظاهر السكون ، بادی التّصوُّن والعِفّة ، دِمِث
 الأخلاق ، قليل الكلام ، كثير الحياء ، مليح الخط ، ظريفه ، بادی النّجّابة .
 أبوه وجده من تجار سوق العِطَر ، نُهاء السوق . نظم الشعر ، فُجاء منه بعجب ،
 استرسالا وسهولة ، واقتداراً ، ونفوذاً في المَطوَّلَات ، فأَنْفَت (٤) له من الإغفال ،
 وجذبته إلى الدار السلطانية ، واشتدّت براعته ، فسكاد يستولى على الأمر .
 لولا أن المَنِيّة اخترمته شاباً ، فسكُل منه الشعر ، قريعُ إجادة ، وبارعُ ثُدِيّة
 شهرة ، لو انفسح له الأمد .

(١) هذه الدائمة ساقطة في «الر» و«ن» .

(٢) وردت في «ج» (ثم أرسل عني) . وفي التصويبات يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وقد تكون من عرد عرودا إلى قرى واشتد .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

مولده : فى ذى الحجة عام أحد وثلاثين وسبعائة .

وفاته

توفى بمبانا على أيام قريبة من إسراعه بغرناطة ، عن سن قريبة من العشرين ، فى عام خمسة وخمسين وسبعائة . وأبوه أمين العطارين .

محمد بن على بن العابد الأنصارى

يكنى أبا عبد الله ، أصله من مدينة فاس .

حاله

من خطِّ القاضي أبى جعفر بن مسعدة ، علّم كتاب دار الإمارة النصرية الغالبية ، الذى ينوره يستصحبون ، وسراجهم الذى بإشرافه وبهيجته ، ونهج تحديته يهتدون . رفع لواء الحمد ، وارتدى^(١) بالفهم والعلم والحلم . كان رحمه الله إماماً فى الكتابة ، والأدب ، واللغة ، والإعراب ، والتاريخ والفرايض والحساب ، والبرهان عليه [عارفاً بالسجلات والتوثيق] ^(٢) أُرْبَى على الموثقين من الفحول ، المبرزين فى حفظ الشعر ونظمه ، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرزاً . درس الحديث ، وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي ، ونسخ الدواوين السكار ، وضبط كتب اللغة . وقيد على كتب الحديث ، واختصر التفسير للزمخشري ، وأزال عنه الاعتزال ، لم يفتّر^(٣) قط من قراءة أو درس أو نسخ أو معاملة ، ليله ونهاره .

(١) وردت فى المخطوطين (زارند) . وبالصواب يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» . وقد وردت فى «ج» بحرفة كالآتى (عارف والسجلات والتوثيق) .

(٣) وردت فى «ج» (يفتن) . والتصويب من «الزيتونة» .

لم يكن في وقته ^(١) مثله .

مشيخته

أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأصولي ، وأبي عبد الله بن البيوت المقرئ ، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالى ، وغيرهم .

شعره

ومنه قوله :

طرقت تتيه على الصباح الأبلج حسناء تحتل اختيال تهرج
في ليلة قد ألبست بظلامها [نضفاض بُردٍ بالنجوم مدبج ^(٢)]
وشعره مدون كثير .

وفاته

توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة [في ذى القعدة منه] ^(٣) .

محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأردى الإلبيري الغرناطي
من أهل قرية سُكون ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالأندلسي ، وكانها
تفرقة بينه وبين الحسكي أبي نواس .

(١) وردت في «ج» (وقته) . والتصويب من «الزمنية» .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في «ج» . ووردت في «الريثونة» كالآتي : (نضفاض البجوم مدبج) .

(٣) هذه العبارة الواردة في «ج» وساقطة في «ريثونة» .

أوليتـه

قال غير واحد من المؤرخين ، هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قميصة^(١) بن المهلب بن أبي صفرة ، وقيل من ولد [أخيه]^(٢) رُوح بن حاتم .

حاله

كان من فحول الشعراء ، وأمثال^(٣) النظم ، وبرهان البلاغة ، لا يدرك شأوه ، ولا يشقُّ عُبارده ، مع المشاركة في العلوم ، والنفوذ في فكِّ المعنى . خرج من الأندلس ابن سبع وعشرين سنة ، فلقى جوهرًا [المعروف بالكتاب مولى المعز بن المنصور العبّيدى صاحب المغرب]^(٤) وامتدحه ، وكان لثيما ، فأعانه مائتي درهم ، فوجد لذلك ، وقال أها هنا كريمٌ يقصد ، فقيل بلى ، جعفر بن يحيى بن على بن فلاح بن أبي مروان ، وأبو على بن حمدون ، فامتدحهما^(٥) ، ثم اختصَّ بجعفر بن يحيى وأبي على ، فبالغا^(٦) في إكرامه ، وأفاض عليه من [النعم و]^(٧) الإحسان ما لم يمرَّ بباله ، وسارت أشعاره فيهما ، حتى أنشدت للمعزّ العبّيدى ، فوجهه جعفر بن على إليه في جُملة طُرف وتُحف بعث بها إليه ، كان أبو القاسم أفضلها عنده ، فامتدح [المعز لدين الله]^(٨) ، وبلغ المعزّ من من إكرامه الغاية . ثم عاد إلى إفريقية ، ثم توجه إلى مصر ، فتوفى ببرقة .

(١) وردت محرفة في المخطوطين (فيضة . قبطة) . والصواب ما أثبتناه (عن الوفيات) .

(٢) الزيادة من (الوفيات) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وهي هنا جمع (مثيل) . ومعناها الفاضل .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فامتدحهم) ، فاقتضى التصويب .

(٦) وردت في «ج» (فبلغنا) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) الزيادة من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (المعز بانه) . والصواب ما أثبتناه .

وجرى ذكره في «تخليص الذهب»^(١) من تأليفنا بما نصه : «العقاب
الكاسرة ، والصمصامة الباترة ، والشوارد التي تهادتها الآفاق ، والغايات التي
أعجز عنها»^(٢) السباق .

«وصفته» : وذكره ابن شَرَف في مقاماته ، قال : وأما ابن هاني محمد ، فهو
تَجْدِي الكلام ، سَرْدِي النظام ، إلا أنه إذا ظهرت ممانيه ، في جزالة مبانیه ،
رمى عن^(٣) منجنيق لا يؤثر في النفيق . وله غزل مَعْرَى^(٤) ، لا عُدْرَى ،
لا يقنع بالطيف ، ولا يُصنع بغير السيف [وقد قدّه به الذات ، وعظم شأنه
فاحتل الثواب]^(٥) ، وكان يقف دولته في أعلى منزلته [ناهيك]^(٦) من رجل
يستمع على صلاح دنياه ، بفساد أخراه^(٧) ، لرداءة دينه ، وضعف يقينه .
ولو عقل ما ضاقت عليه معاني الشعر ، حتى يستمع عليه بالكفر .

شعره

كلن أول ما مدح به جعفر بن علي قوله :

أَحْبَبُ بَنِيَّكَ الْقَبَسَابَ قَبَابَا لَا بِالْخُدَاةِ وَلَا الرَّكَّابِ رَكَابَا
فِيهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَخَالُهَا عَنَّمَا بِأَيْدِي الْبَيْضِ وَالْعَنَابَا
وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة :
أَلَيْلَتُنَا إِذْ أَرْسَلَتْ وَارِدًا وَجِفًا وَبَانَتْ لَنَا الْجُوزَاءُ فِي أَذْنِهَا شَنْفًا

(١) هو كتاب «تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات» . وهو من مؤلفات

ابن الخطيب التي لم تصل إلينا .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (عندها) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (على) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (آخرته) .

وبات لنا ساقُ يقوم على الدجى
 أغنُ غضيضُ جَفَّ الين قدَّه
 ولم يُمَيِّ إِرْعاشُ المدام له يداً
 نزينُ قضاَه السُّكر إلا ارتجابه
 يقولون حِقْفُ (٣) فوق خَيْرُ رانة
 جعلنا حَشَايانا ثيابَ مُدامنا
 فن كبدٍ تُدنى إلى كبدٍ هَوَى
 بِمَيْشِك نَبَّه كَأَسِه وجفونه
 وقد فَكَّت الظلماء بعض قيودنا
 وولتْ نَجْـوَم للثريا كأنها
 ومـرَّ على آثارها دُبرانها
 وأقبلت الشعري العبور مُلَمَّة (٧)
 وقد قُبِلَتْها أَخْطَمُها من ورائها
 تخافُ (٩) زئير الليث قدَّم نَثْرَه
 كأن مُـلَا قُطْبِها فارسُ له
 بشمعة صُبِح لا تَقْطُ (١) ولا تُطفا
 وأثْقَلَت الصَّهباءُ أَجْفانه الوطفا
 ولم يُبْقِ إعْناَتُ (٢) التَّخَنُّي له عِطفاً
 إذا كُلَّ عنها الخصر حَمَلها الرُّدفا
 أما يعرفون الخَيْرُ رانة والحِقْفا
 وقدَّت لنا الظلماء من جِلْدِها الحفا
 ومن شَفَةِ تَوْحَى (٤) إلى شَفَةِ رَشْمنا
 فقد نَبَّه الإبريقُ من بعد ما أغفا
 وقد قام جيش الليل للصبح فاضمةً
 خواتيم (٥) تبدو في بَنان يدي تَخْفا
 كصاحبِ ردى كَمُنَّت (٦) خَيْلُه خَلْفا
 بمرزَمها (٨) اليَعُوبُ تَجَنَّبُه طرْفا
 لتخرق من نُمَيَّا بَجَرَّتْها سِجْفا
 وبربر في الظلماء يَنْسُفُها نِسْفا
 لواء ان مَرَّ كوزان قد كَرِه الزُحْفا

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تقط). والأولى أنسب للسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أعبات) وهو تعريف.

(٣) وردت في المخطوطين (خفف). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ترى) والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (خواتم).

(٦) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أكت).

(٧) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (ميلة).

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (بمرزاهما).

(٩) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تخال).

كَانَ السَّمَاءُ كَيْنَ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا عَلَى لُبَّتِيهِ ضَامِنَانِ لَهُ الْخُتَفَا
 فَذَا دَارِجٌ يُهْوَى إِلَيْهِ سِنَانُهُ وَذَا أُعْزِلُ قَدْ عَضَّ أَثْنَهُ لَهْفَا
 [كَانَ قُدَامَى الْفَسْرِ وَالنَّسْرِ وَاقِعٌ قَصِصٌ فَلَمْ تُسَمِّ الْخَوَافِي لَهُ ضَعْفَا] (١)
 كَانَ أَخَاهُ حَسِينَ دَوْمٌ طَايِرَا أَتَى دُونَ نِصْفِ الْبَدْرِ فَاخْطَفَ النُّصْفَا
 كَانَ وَقِيبَ اللَّيْلِ أَجْدَلُ مَرْقَبٍ يُقَلِّبُ تَحْتَ اللَّيْلِ فِي رَيْشِهِ طَرَفَا
 كَانَ بَنَى نَعَشٍ وَنَعَشٍ مُطَافِلٍ بِوَجَرَةٍ قَدْ أَضَلَّانِ فِي مُهِمَّةٍ قَشْفَا
 كَانَ سُهَاهَا عَاشِقُ بَيْنِ عُرُودٍ فَاوْنَةٌ يَسِيدُو وَآوْنَةٌ يَخْفَا
 كَانَ سُهَيْلَا فِي مَطَالِعِ [أَقْبَهُ] (٢) مَفَارِقِ الْفِ لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ الْفَا
 كَانَ الْهَزِيعِ الْأَبْنُوسَى مُوهِنَا سَرَى بِالنَّسِيجِ الْخُسْرَوَانِي مُلْتَمَفَا
 كَانَ ظَلَامُ اللَّيْلِ إِذَا مَالِ مَيْلَةٍ صَرِيعُ مُدَامِ بَاتِ يَشْرِبُهَا صِرْفَا
 كَانَ نَجُومُ الثُّبُوحِ خَافَانِ مَعْشَرٍ (٣) مِنَ التَّرْكِ نَادَى بِالْأَنْجَاشِي فَاسْتَخْفَا
 كَانَ لَوَاءُ الشَّمْسِ غُرَّةً جَعْفَرٍ رَأَى الْقِرْنَ فَازْدَادَتْ طَلَاقَتُهُ ضِعْفَا
 [وَقَدْ جَاشَتْ الظُّلُمَاءُ بِيضًا صَوْرَامَا] (٤) وَمَرْكُوزَةً سَمَرَا وَفِيضًا ضَعْفَا
 وَجَاءَتْ عِنَاقُ الْخَلِيلِ تَرْدَى كَانَهَا تَخْطُ لَنَا أَقْلَامُ آذَانِهَا صُحْفَا
 هُنَاكَ تَلَقَّى جَعْفَرًا خَيْرَ جَعْفَرٍ وَقَدْ بَدَّلَتْ يُمْنَاهُ مِنْ لَيْنِهَا عُنْفَا
 فَكَأَنَّ (٥) تَرَاهُ فِي الْكَرِيهَةِ عَاجِلَا عَزِيمَتُهُ بَرَقَا وَصَوْلُهُ خُطْفَا

(١) هذا البيت ساقط في «ج». ووارد في «الزيتونة»، وفي شطرته الثانية بعض التحريف والنقص كالآتي (قصص فلم يستطع ضعفا).

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة». وساقطة في «ج».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (مشر) وهو تحريف.

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة». وقد وردت في «ج» كالآتي (وقد جاشت الدنيا ييضا صوارما).

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كأين).

وشعره كثير مدوّن ، ومقامه شهير . وفيما أوردناه كفاية . وهو من
إلبيرة (١) الأصيلة (٢) .

وفاته

قالوا ، لما توجه إلى مصر ، شرب بِيرقة وسكر ونام عريانا ، وكان البرد
شديداً فأفلىج (٣) ، وتوفى في سنة إحدى وستين وثلاثمائة ؛ وهو [ابن] (٤) اثنين
وأربعين سنة . ولما بَلَغَت المِزواته ، تأسَّف عليه وقال ، هذا رجل كنا
نطمع (٥) أن نفاخر به أهل المشرق .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن على بن إبراهيم [بن على] (٦)
الفسّاني البرجي [الغرناطي] (٦)

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة .

حاله

فاضل يُجمع على فضله . صالح الأبوة ، طاهر النشأة ، بادي الصيانة والعفة ،

(١) إن رواية ابن الخطيب عن كون ابن هاني من «إلبيرة الأصيلة» (وكان موقعها بجوار
غرناطة) تخالف الرواية الجارية من كونه قد ولد ، وفقاً لـ بن خلكان ، بمدينة إشبيلية (الوحدات ج ٢
ص ٥) . ويلوح لنا أن رواية ابن خلكان هي الأرجح . لأنها أقدم بكثير من رواية ابن الخطيب ،
وأقرب لعصر الشاعر .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأصيلة) والمؤدى واحد .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (نفلىج) . الأولى أفضل .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (نريد) .

(٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» . ووردت في هامش «ج» عبارة (ابن يحيى

طُرِفَ في الخِير والحِشمة ، صَدُرَ في الأدب . جُمُ المشاركة ، ثاقِبَ الذهن ، جميل العشرة^(١) ، مُتَمَع المجالسة . حسن الخط والشعر والكتابة . فذُ في الانطباع . صَنيع^(٢) اليدين ، يحكم على الكثير من الآلات العلمية ، ويمجد تفسير الكتاب . رحل إلى العُدوة . [وتوسَّل إلى ملكها]^(٣) ، مُجَدِّد الرسم ، ومقام الجَلَّة ، وعلم دَمَت الشعر والكتابة [أمير المسلمين]^(٤) أبي عنان فارس ، فاشتمل عليه ، ونوّه به ، وملاً بالخير يَدَه ، فاقتنى جَدَّةً وحَظوةً وشُهرةً ، وذِكرًا ؛ وانقبض مع استرسال المُلْك ، وآثر الراحة ، وجَهَدَ في التماس الرُّحلة^(٥) الحجازية ، ونَبَذَ الكلَّ ، وسلا الخُطَّة ، فأسعفه سلطانه بغرضه ، وجعل حَبْلَه على غاربه ، وأصحبه رسالة إلى النبيِّ الكريم من إنشائه ، متصلة بقصيدة من نظمه ، وكلاهما تُعَلَن^(٦) في الخلفاء بُمَدَّ شَاوَه ، ورسوخ قدم علمه ، وعِراقة البلاغة ، في نَسَب خَصَلَه ، حسبًا تضمَّنه الكتاب المسمي « بِمُساجلة البَيان » . ولما هلك ووُلِّي ابنه ، قدَّمه قاضيًا بمدينة مُلْك^(٧) ، وضاعف التَّنويهِ به ، فأجرى الخُطَّة ، على سبيل من السُّداد والنزاهة . ثم لما وُلِّي السلطان أبوسالم عَهْ ، أجزاد على الرسم المذكور . وهو الآن بحاله الموصوفة ، مُفَخَّر من مفاخر [ذلك الباب السلطاني على تَمَدُّدِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المعاشرة) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (صنيع) وهو تحريف . وصنيع أي ماهر في الصنعة .

(٣) وردت مكانها في المخطوطين هذه العبارة المحرفة (وترسل إلى ملطف) . والتصويب من نفع الطيب .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) وردت في المخطوطين (الراحة) وهو تحريف . والتصويب من النفع .

(٦) هكذا في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (تعل) .

(٧) مدينة ملكة ، أي المدينة التي بها مقر ملكه ، وهي مدينة فاس .

مفاخره^(١) [يحظى] (٢) بكل اعتبار .

شعره

[(٢) ثبت في كتاب « نفاضة الجراب » من تأليفنا ، عند ذكر المدعى الكبير بيباب ملك المغرب ، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء مانصه :

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي ، بحمالة السذاجة ، وكرم الخلق ، وطيب النفس ، وخِذْن العافيه . وابن الصّلاح والعبادة ، ونشأة القرآن ، المُتَحِيز إلى حِزْب السلامة ، المنقبض عن الغُلو ، العزوف عن فضول القول والعمل ، جامع المحاسن ، من عقل وصين ، وطَلَب ممتع ، وأدب نقّادة ، ويدِ صناع ، أبو القاسم ابن أبي زكريا البرُجعي ، فأُنشِدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

أصغى إلى الوجد لما جدّ عاتبه	صبّ له شغل عن يقاتبه
لم يُعط للصبر من بعد الفراق يدا	فُضِّلَ من ظلّ إرشاداً يخاطبه
لولا النوى لم يَبِت حيران مكتئبا	يُغالب الوجد كتباً وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما	تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصرٌ بشرقٍ ألحى سمحت	بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودعوا إذ ودّعوا حرّقا	يُصلى بها من صميم القلب ذائبه

(١) ما بين الحاصرتين منقول من نفع الطيب . وقد ورد مكانه في المخطوطين (ذلك

السلطان) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) أورد لنا المقرئ في « نفع الطيب » ترجمة أبي القاسم البرجعي نقلا عن كتاب « الإحاطة » .

وقد وردت بها بعد كلمه « شعره » البيضة المسطورة . ثم القصيدة الكبيرة التي نظمها البرجعي في مديح الرسول . وهي تحتوي على ثلث وثلاثين بيتاً . وهذا كله سقط في المخطوطين . ومن ثم فقد اعتمدنا في عملهم على « نفع الطيب » (ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٥) .

يا هل ترى تجمع الأيام فُرقتنا
ويا أهيل ودادى والنوى قذفُ
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه
ويا ربوع الحى لازلت ناعمة
يا من لقلب مع الأهواء مُنعطفُ
يسمو إلى طَلَبِ الباقي بهمة
وفتنة المرء بالمألوف مُغضلة
أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بي
ولن ترى كالموى أشجاء سالفة
وهمة المرء تغليه وتُرخصه
ما هان كسبُ المعالى أو تناوُلها
لولا سُرَى الفلك السامى لما ظهرت
فى ذمة الله رَكْبٌ للعلا رَكِبوا
يرمون عَرُوضَ الفلا بالسير عن غرض
كانهم فى فزاد الليل سرُّ هوى
شدوا على لُحَبِ الرِّمضاء وطأَتهم
وكفَّوا الليل من طول السرى شططاً
حتى إذا أَبْصَرُوا الأعلام ماثلة
بحيث يأمن من مَوْلاه خائفه
فيها وفى طيبة الغراء لى أمل
لم أنس لا أنس أياماً يظلمها
شوقى إليها وإن شطَّ المزار بها

كهدنا أو يردُّ القلبُ ساكبه
والقربُ قد أبهت دونى مذاهبه
وصادع الشعل يوم الشعب شاعبه
يبكى عهدك مُضَيَّ الجسم شاحبه
فى كل أوبٍ له شوقٌ يجاذبه
والنفس بالميل للفانى تطالبه
والأنس بالإلف نحو الإلف جاذبه
ياللرجال سَبَّتْ جَدَى ملاعبه
ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
من عَزَّ نفساً لقد عزَّت مطالبه
بل هان فى ذاك ما يلقاه طالبه
آثاره ولما لاحت كواكبُه
ظهر السرى فأجابتهم نجاتيه
طلى السجل إذا ما جدَّ كاتبه
لولا الضرام لما خفَّت جواتبه
فغاص فى لجة الظلماء راسيه
فخلفوه وقد شابَّت ذوائبه
بجانب الحرم المحمى جانبُه
من ذنبه وينال القصد راغبه
يصاحب القلب منه ما يصاحبه
سقى تراه عميمُ الغيث ساكبه
شوقُ المقيم وقد سادت حباته

في السَّـمَلِ مَنَّا يَدَاهُ لَا نَعَاتِبُهُ
 مِنْ فَضْلِهِ شَرَفٌ تَعْلُو مَرَاتِبُهُ
 رَبُّ الْعِبَادِ أَمِينُ الْوَحْيِ عَاقِبُهُ
 أَعْلَامُهُ كَرَمًا جَلَّتْ مَنَاقِبُهُ
 زَكَّتْ حُلَاهُ كَمَا طَابَتْ مَنَاسِبُهُ
 مِنْ أَجْلِهَا كَانَ آتِيهِ وَذَاهِبُهُ
 كَالصَّبِيحِ تَبْدُو تَبَاشِيرًا كَوَاكِبُهُ
 يَدِيرُ تَيْمَامًا مَا أَبْدَاهُ رَاهِبُهُ
 وَطَبَّقَ الْأَرْضَ أَعْلَامًا تَجَاوِبُهُ
 وَالْجَنُّ تَقْدِفُ إِحْرَاقًا ثَوَاقِبُهُ
 حَتَّى انْجَلَى الْحَقُّ وَانْزَاحَتْ شَوَائِبُهُ
 وَالنَّجْمُ لَا يَهْتَدِي فِي الْأَفْقِ سَارِبُهُ
 عَنِ الْأَنَامِ وَجِبْرَائِيلُ صَاحِبُهُ
 وَامْتَازَ قُرْبًا فَلَا خَلْقُ يُقَارِبُهُ
 نَفْسٌ بِمَقْدَارِ مَا أَوْلَاهُ وَاهِبُهُ
 فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ بَادِيهِ وَغَائِبُهُ
 وَالصَّبْحُ لَمَّا يُوْبُّ لِلشَّرْقِ آيَةُ
 سُبُلِ النِّجَاةِ بِمَا أُبْدَتْ مَنَازِبُهُ
 وَأَذْبَرَ النَّعْيُ فَانْجَابَتْ غِيَايِبُهُ
 يَهْدِي بِهَا مِنْ صِرَاطِ اللَّهِ لَاحِبُهُ
 يَخْرُجُ مِنَ الْعِلْمِ لَا تَقْنِي عَجَائِبُهُ
 فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ إِذْ نَابَتْ نَوَائِبُهُ

إِنْ رَدَّهَا الدَّهْرُ يَوْمًا بَعْدَ مَا عَيْثُتْ
 مَعَاهِدُ شَرُفَتْ بِالْمَصْطَفَى فَلَهَا
 مُحَمَّدٌ الْمُجْتَبَى الْهَادِي الشَّفِيعُ إِلَى
 أَوْفَى الْوَرَى ذِمًّا أَسْمَاهُ هِمًّا
 هُوَ الْكَمَلُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
 عَنَایَةُ قَبْلَ بَدْءِ الْخَلْقِ سَابِقَةُ
 جَاءَتْ تُبَشِّرُنَا الرُّسُلُ الْكَرَامُ بِهِ
 أَخْبَارُهُ سُرُّ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَوَسْلُ
 تَطَابِقِ الْكُونِ فِي الْبُشْرَى بِمَوْلَاهُ
 فَالْجَنُّ تَهْتَفُ إِعْلَانًا هَوَاتِفُهُ
 وَلَمْ تَزَلْ عَصْمَةُ التَّائِيدِ تَكْنِفُهُ
 سَرَى وَجَنَحُ ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
 بِسْمِ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنْهُ مَنْفَرْدُ
 لَمْ تُنْتَهِيَ وَقْفُ الرُّوحِ الْأَمِينِ بِهِ
 لِقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَمَا عَلِمَتْ
 أَرَاهُ أَسْرَارَ مَا قَدْ كَانَ أَوْدَعُهُ
 وَآبُ الْبَدْرِ فِي بَحْرِ الدُّجَى غَرِقُ
 فَأَشْرَقَتْ بِسَنَاهِ الْأَرْضِ وَاتَّبَعَتْ
 وَأَقْبَلَ الرُّشْدُ وَالتَّاحَتْ زَوَاهِرُهُ
 وَجَاءَ بِالذِّكْرِ آيَاتٍ مَفْصَلَةُ
 نُورٍ مِنَ الْحَكَمِ لَا تَخْبُو سِوَا طَعْمِهِ
 لَهُ مَقَامُ الرِّضَا الْمَحْمُودِ شَاهِدُهُ

والرسل تحت لواء الحمد يقدمها محمد أحمد السامى مراتبه
 له الشفاعات مقبولا وسائلها إذا دهم الأمر واشتدت مصاعبه
 والحوض يروى الصدى من عذب موده لا يشتكى غلة الظمان شارب
 محامد المصطفى لا ينتهى أبدا تعادها هل يعد القطر حاسبه
 فضل تكفل بالدارين يوسعها نعمى ورعى فلا فضل يناسبه
 حسبي التوسل منها بالذى سمحت به القوافى وجلتها غرائب
 حياته من صلوات الله صوب حيا تحدى إلى قبره الزاكي نجائبه
 وخلد الله منك المستعين به مؤيد الأمر منصورا كئائبه
 إمام عدل بتقوى الله مشتمل فى الأمر والنهى يرضيه يراقبه
 مسدد الحكم ميمون تقيته مظفر العزم صديق الرأى صائبه
 مشر للتقى أذبال مجتهد جرار أذبال سحب الجود ساحبه
 قد أوسعت أمل الراجى مكارمه وأحسبت رغبة العافى وعائبه
 وفاز بالأمن مجورا مسالمه وباء بالخزى مقهورا محارب
 كم وافد آملى معهود نائله أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
 ومستجير بعز من مثابه عزت مراميه وانقادت مآربه
 وجاءه الدهر يسترضيه معتذرا مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
 لولا الخليفة إبراهيم لانبهت طرق المعالى ونال الملك غاصبه
 سمّت لنيل تراث المجد همته والملك ميراث مجدي وهو عاصبه
 يُنميه لائز والعليا أبو حسن سَمَح الخلائق محمود ضرائب
 من آل يعقوب حسب الملك مفتخرآ بياب عزهم السامى تعاقبه
 أطواد حليم رسا بالأرض محتده وزاحت منكب الجوزا مناكبه
 تحفها من مرين أبهر زخرت أمواجها وغمام ثار صائبه

بكل نعيم لدى الهيجاء ملتهبٌ
أَكْفَهُمْ في دياجِها مطالعُه
ياخير من خلصت لله نيتهُ
جرت والفتنةُ الشعواءُ ملبسةُ
وخضتها غير هيَّاب ولا وُكَلٍ
صبرت نفساً لعُقبِي الصبر حامدةُ
فليسُن دينُ الهدى إذ كنت ناصره
لا زال ملكك والتأييد يخدمه
ودمت في نِعَم تصفوا ملابسها
ثم الصلاة على خير البرية ما
ينقضُّ وسط سماء النقع ثاقبه
وفي نحوُر أَعْدِيهِمْ مغاربهُ
في المُلْك أو خَطَب العلياء خاطبه
سيقاً من العزم لا تنبو مضاربه
وقلما أدرك المطلوب هائبه
والصبر مذ كان محمود عواقبه
أمنُ يواليه أو خوفُ يجانبه
تقضى بخفض مُناوِيهِ قواضيه
في ظلٍّ عزٍّ علّاً تصفو مشاربه
سارت إليه بمشتاق ركائبه ^(١)

ومن شعره ما قيده لي بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة الميرينية ^(٢)،
الفقيه الرئيس الصدر المتقن [أبو زيد بن خلدون] ^(٣).

صحا القلب عما تعلمين فأقلما ^(٤)
وأصبح لا يلوى على حدٍّ منزل
وأضنى من السلوان في حرزٍ معقل
[يرد الجفان الثجل عن شرفاته
وعطل من تلك المعاهد أربما
ولا يتبع الطرف الخلى المؤدعا
بعيد على الأيام أن يتصمما
وإن لحظت عن كل أجيد أتلما] ^(٥)

(١) إلى هنا تم ما نقلناه عن «نفح الطيب» ما نقله بدوره عن «الإحاطة» في ترجمة أبي القاسم البرجي خاصاً بشعره، وهو كذلك ما دونه ابن الخطيب بكتابه «نفاضة الجراب». وكل ذلك حسبما قدمنا سابقاً في مخطوطي «ج» و«الزيتونة». ونعود بعد ذلك لاستئناف النقل عن المخطوطين.

(٢) الحضرة الميرينية أو حاضرة بني مرين، هي ضاحية مدينة فاس المدعاة «بالبلد الجديد».

(٣) ما بين الحاصرتين سابق في «ج». وورد في «الزيتونة» والنفع.

(٤) هكذا «-» والنفع وفي «الزيتونة» (فأقلما).

(٥) هكذا. وهذا البيت في «النفع». وقد ورد محرفاً في المخطوطين على النحو الآتي:

(يرى الحيوان الحل من شرفاته وإن لحظت عن كل أجيد أتلما - ملعمه)

عزیز علی داعی الغرام انقیاده^(١) وكان إذا ناداه^(١) للوَجَدَ أَهْطَمًا
أهاب به للشَّيْب أنصح واعظ^(٢) أصاخ له قلباً مُنِيئاً ومَسَمًا
وسافر في أفق التفكير والحجا^(٣) زواهره لا تبرح^(٣) الدهر طُلُمًا
لعمرى لقد انضيت^(٤) عزمي تطالباً وقضيت^(٤) عُمري رُقِيَةً وتطلعا
وخضت عُباب البحر أخضر مزبدا ودُست أديم الأرض أغبراً مُنَمَّعا
ومن شعره حسبما قيده المذكور :

نِهاهُ النَّهْيُ بَعْدَ طُولِ التَّجَارِبِ وَلاَحَ لَهُ مِنْهَاجُ الرُّشْدِ لاجِبِ
وَخاطبه دهره ناصحاً^(٥) بالسنة الوعظ من كل جانب
فأضحي إلى نصحه واعياً^(٦) وألقى حديث الأمانى الكواذب
وأصبح لا تَسْتَبِيهِ الْغَوَايِ وَلَا تَزْدْرِيه حُظُوظُ الْمَنَاصِبِ
وإحسانه كثير في النظم والنثر ، والقصار والمطولات . واستعمل في السفارة
إلى ملك مصر [وملك]^(٧) قَسْطَالَةَ ، وهو الآن قاضي مدينة فاس ، نسيجٌ وحده ،
في السلامة والتخصيص ، واجتناب فضول القول والعمل ، كان الله له .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن يوسف [بن محمد]^(٨) الصَّرِيحِي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن زَمْرَك . أصله من شرق الأندلس ، وسكن
سلفه رَبَضُ الْبَيَازِين من غرناطة ، وبه^(٩) وُلِدَ ونشأ ، وهو من مفاخره^(٨) .

(١) وردت في «ج» أنده . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٢) هكذا وردت في «ج» و «النفع» . وفي «الزيتونة» (يرتجى) .

(٣) هكذا في «الزيتونة» والنفع وفي «ج» أمضيت (٤) هكذا في «ج» و «النفع» وفي «الزيتونة» وقطعت

(٥) الزيادة من النفع . (٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٧) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (وبها) .. والظاهر أن الإحالة هنا على غرناطة .

(٨) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (مفاخرها) . والإحالة هنا على غرناطة .

حاله

هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نخبائها، مختص، مقبول، هش، خلوب، عذب الفكاهة، حلوا المجالسة حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعارض، حاضر الجواب، شغلة من شغل الذكاء، تكاد تحتدم^(١) جوانبه، كثير الرقة، فكه، غزل، مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفواً، طاهراً، كلفنا بالقراءة، عظيم الثؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظهر النبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، وذاع أرجه^(٢)، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جملة^(٣) من الفنون، وأصبح [مُتَلَقِّفُ كُرَّة] ^(٤) البحث، وصارخ الخلقة^(٥) وسابق الحلبة، ومظنة الكمال. ثم ترقى [في] ^(٦) درج^(٧) المعرفة والاضطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكماً فوق الكرمي [المنصوب] ^(٨) وبين الحفل المجموع، مستظهراً بالفنون التي بُد فيها شأوه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به [في] لُج النقل، من الأخبار والتفسير. متشوقاً مع ذلك، إلى السلوك، مصاحباً للصوفية، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة، ثم عانى الألب، فكان أملك به، وأعمل الرحلة

(١) هكذا في «ج» والنفع. وفي «الزيتونة» (تنحرم) وهو تحريف.

(٢) وردت في المخطوطين (رجله) والتصويب من النفع.

(٣) هكذا وردت في المخطوطين. وفي النفع (كثير).

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النفع. وقد وردت بحرفة في المخطوطين كالأق (متقلب

من كثرة).

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي النفع. ووردت في «الزيتونة» (الخلقة).

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» والنفع (درجة) والأولى أرجح.

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين. وواردة في النفع.

في طلب العلم^(١) والازدياد ، وترقى إلى السكتابة ، عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب ، أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعرف [في] باب الإجادة . ولما جرت الحادثة على السلطان^(٢) صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس به ، وانقطع إليه ، وكره صحبة ركابه ، إلى استرجاع حقه ، فأطف منه محله ، وخصه بكتابة سره . وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة^(٣) ، فأقره^(٤) على رسمه ، معروف الاقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، مضطلعا بالخطبة ، خطأ وإنشاء واستنسا وتقدأ ، فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته^(٥) ووسيع الناس تخلفه ، وأرضى السلطان محله^(٦) . وامتد في ميدان النثر والنظم باعه ، فصدر عنه [من المنظوم]^(٧) في أمداحه . قصائد [بعيدة الشأو]^(٨) في مدى الإجادة ، حسبما يشهد بذلك ، ما تضمنه اسم السلطان أيده الله في أول حرف الميم ، في الأغراض المتعددة من القصائد والميلاديات ، وغيرها . وهو بحاله الموصوفة [إلى الآن]^(٩) . أعانه الله وسدده .

شيوخه

قرأ العربية على الأستاذ رُحْلة الوقت^(١٠) في فتمها أبي عبد الله بن الفخار [نم]^(١١)

(١) ماورددين الحاصرتين ساقطة في الخطوطيين . ووارد في النفع .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في الخطوطيين وواردة في النفع .

(٣) وردت في الخطوطيين (طائفة) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «النفع» . ووردت في «ج» (فاقر له) وهو تحريف .

(٥) هكذا في «ج» والنفع . ووردت في «الزيتونة» (واسطته) .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» والنفع . ووردت في «ج» (جملة) .

(٧) هذه العبارة واردة في النفع . وساقطة في الخطوطيين .

(٨) هذه العبارة واردة في «ج» وفي النفع . وساقطة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في الخطوطيين . وفي النفع (إلى هذا العهد) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» . وفي النفع (المغرب) .

(١١) الزيادة من النفع .

على إمامها القاضي الشريف . إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسنى ، والفقه والعربية على الأستاذ المقتى^(١) أبي سعيد بن أب ، واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحذث أبى عبد الله بن مرزوق ، فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقى القاضي الحافظ أباعبد الله المقرئ عندما قدم رسولا إلى الأندلس وذاكره ، وقرأ الأصول [الفقيهية]^(٢) على أبى على منصور الزواوى ، ودوى عن جملة ، منهم القاضي أبو البركات بن الحاج ، والمحذث أبو الحسن بن التلمسانى ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشى ، والمقرئ أبو عبد الله بن بيش . وقرأ بعض الفنون [العقلية]^(٣) بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبى عبد الله [العلوى]^(٤) التلمسانى [واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من إفادة مران ، وحسنة فى الصناعة]^(٥) .

ش—مره

وشعره مترام إلى نَظْ^(٦) الإجابة ، خفاجى^(٧) النزع ، كلف بالمعانى البديعة ، والألفاظ الصقيلة ، غزير المادة . فنه فى غرض التسيب :

رضيتُ بما تقضى علىّ وتحكم أهان فأقصى أم أضافى فأكرم
إذا كان قلبى فى يديك قياده فالى عليك فى الهوى أنحكّم
على أن روى فى يديك بقاؤه بوصلك يحى أو بهجره يكدم

(١) هكذا وردت فى المخطوطين وفى النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . وواردة فى النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» وفى «النسخ» وساقط فى «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «النسخ» (هـ) .

(٧) وردت فى المخطوطين (خفاجيد) . والتصويب من النسخ .

وَأَنْتِ إِلَى الْمُشْتَقِ نَارٌ وَجَنَّةٌ
وَلِي كَبِيدٍ تَقْدِي إِذَا مَا ذُكِرْتِمِ
وَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْكَ بِالْبَرْقِ مَا سَرَى
أَرَا عِي نَجُومِ الْأَفْقِ فِي اللَّيْلِ مَا دَجَجِي
وَمَا زِلْتُ أَخْفِي الْحُبَّ عَنْ كُلِّ عَادِلٍ
كَسَانِي الْهَوَى ثَوْبَ السَّقَامِ وَإِنَّهُ
فِيَا مَنْ لَهُ الْعَقْلُ الْجَمِيلُ سَجِيَّةٌ
وَعَنْهُ يُرَوَّى النَّاسُ كُلُّ غَرِيبَةٍ
إِذَا أَنْتِ لَمْ تَرْحَمْ خُضُوعِي فِي الْهَوَى
وَحَلَمِكَ حِلْمٌ لَا يَلِيْقُ بِمَذْنَبِ
وَوَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ حَيٌّ وَلَمْ يَنْلِ
وَمَنْ قَبْلَ مَا طَوَّقْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ
وَفَتَحْتَ لِي بَابَ الْقَبُولِ مَعَ الرِّضَى
وَلَوْ كَانَ لِي نَفْسٌ تَخُونُكَ فِي الْهَوَى
وَأَتْرَكَ أَهْلِي فِي رِضَاكَ إِلَى الْأَسَى
أَمَّا وَالَّذِي أَشَقَّى فِرَادِي فِي الْهَوَى

يَبْعُدُكَ يَشْقَى أَوْ بِقُرْبِكَ يَنْعَمُ
وَقَلْبُ بَنِيرَانِ الشُّوقِ ^(١) يَتَضَرَّمُ
وَلَا اسْتَصْحَبَ الْأَنْوَاءَ تَبْكِي وَتَبْشُمُ
وَأَقْرَبُ [مَنْ عَيْنِي لِلنُّومِ] ^(٢) أَنْجَمِ
وَتُشْفَى دُمُوعُ الصَّبِّ مَا هُوَ يَكْتُمُ
مَتَى صَحَّ حُبُّ الرِّاءِ لَا شَيْءَ يُنْقِمُ
وَمَنْ جُودَ يَمْنَاهُ الْحَيَا يَتَعَلَّمُ
تُخَطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ وَتُرْسَمُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُحْنِي ^(٣) عَلَى وَيَرْحَمُ
فَمَا بَالُ ذَنْبِي عِنْدَ حِلْمِكَ يَعْظُمُ
رِضَاكَ وَعَمَّتْهُ أَيَادٍ وَأَنْعَمُ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سِوَارٌ وَمِنْعَصَمُ
[يَغْضُ الْحَيُّ طَرَفِي كَأَنِّي مُجْرِمُ] ^(٤)
لِفَارَقَتِهَا طَوْعًا وَمَا كُنْتُ أَنْدَمُ
وَأُسْلِمُ نَفْسِي فِي يَدَيْكَ وَأُسْلِمُ
وَإِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (التشوق).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (من نومي للعين). والأول أنسب للوزن والسياق.

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ينحن).

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج». ووردت في «الزيتونة» كالأق: (فما بال ذاك الباب دوني منهم).

لأنت من قلبي وزهه^١ خاطري ومورد آمل وإن كنت^٢ أحرَمَ
 [ومن ذلك ما خاطبني به ، وهي من أول نظمها ، قصيدة مطامها : «أما وانصداع
 النور في مطلع الفجر» وهي طويلة^(٢) . ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس
 قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتهاؤ الرُّشد بأويس ، ولم يحل مجاربه ومُباريه
 إلا بويج وويس ، قوله في إعذار الأمير ولد سلطانه المنوّه بمكانه ، وهي
 من الكلام الذي عُتيت الإجابة بتذهييه وتهذييه ، وناسب الحسن بين
 مديحه ونسيبه :

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا	وأن يُشغل اللوام بالعدل باليا
دعاني أعطِ الحبَّ فضل مقادتي	ويقض على الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام المواصل صَبوة	رَمَتْ بي في شُعب الغرام المراميا
وقلب إذا ما انبرق أومض موهنا	قدحت به زناداً من الشوق واريّا
خليلى إني يوم طارقة التوى	شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالحيف يوم النفر يأم مالك	تحلفت قلبي في جبالك عانيا
وذى أثمر عذب الشنايا مخصر	يسقى به ماء النعيم الأفاحيا
أحوم عليه ما دجى الليل ساهرا	وأصبح دون لورْد ظمآن ضاريا
يضى ظلام الليل ما بين أضلعي	إذا البارق النجدي وهنا بدا ليا

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» ولم ترد في «نفع الطيب» . ومن جهة أخرى فإن ترجمة ابن زمرك التي ينقلها إلينا المقرئ في نفع «الطيب» من «الإحاطة» تتضمن عدة قصائد طويلة لم ترد في «المخطوطين» . وقد رأينا أن نتبع نص الترجمة في «نفع الطيب» ، وأن نورد من هذه القصائد أجزاء فقط لأنها من المطولات . ثم نمود بعد ذلك فتتبع نص المخطوطين .

(٢) يقول في هذه القصيدة بعد أبيات :

لك الله فذ الجلالة أوحده تطاوعه الآمال في النهى والأمر

أَجِيرْتَنَا بِالرَّمْلِ وَالرَّمْلِ مَنَزَلٌ مَضَى الْعِيشَ فِيهِ بِالشُّبْهِ حَالِيَا
وَلَمْ أَرِ دُبْعًا مِنْهُ أَقْصَى لِبَانَةٍ وَأَشْجَى حِكَمَاتٍ وَأَحْلَى بَحَانِيَا
سَقَتْ طَلَّهُ الْغُرُ الْغَوَادِي وَنَظَّمَتْ مِنْ الْقَطْرِ فِي جَيْدِ الْغُصُونِ لَالِيَا
أَبْنَكُمْ إِنِّي عَلَى النَّأْيِ حَافِظٌ ذِمَامُ الْهَوَى لَوْ تَحْفَظُونَ ذِمَامِيَا
أَنَا شَدَكُمْ وَالْحَرْهُ أَوْفَى بَعْدَهُ وَلَنْ يَعْدَمَ الْخَيْرُ وَالْأَحْسَانُ جَارِيَا^(١)

وورد على السلطان أبي سالم ملك المغرب ورحمة الله تعالى عليه وفدُ الأحايش
بهدية من ملك السودان ، ومن جعلها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة ، فأمر من
يعانى الشعر من الكتاب بالنظم فى ذلك الغرض ، فقال وهى من بدائعه :

لَوْلَا تَأَلَّقَ بَارِقُ التَّنْذِكْلِ مَا صَابَ وَكَفَ دَمْعِي لِلدَّرَارِ
لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا قَدْ حَتَّ يَدَ الْأَشْوَاقِ زَنْدُ أَوَارِي
وَعَلَى الْمَشُوقِ إِذَا تَذَكَّرَ مَعَهَا أَنْ يُعْرِى الْأَجْفَانِ بَاسْتِعْبَارِ
أَمْذَكْرَى غَرْنَاظَةٍ حَلَّتْ بِهَا أَيْدَى السَّحَابِ أَزْرَةَ النَّوَارِ
كَيْفَ التَّخْلُصُ لِلْحَدِيثِ وَبَيْنَنَا عَرَّضَ الْفَلَاةِ وَطَافِحَ زَخَّارِ
وَعَرِيَّةٌ قَطَعَتْ إِلَيْكَ عَلَى الْوَنَى بِيْدَاءٍ تَبِيدُ بِهَا هُمُومُ السَّارِي
تُنْسِيهِ طَيْبَتِهِ الَّتِي قَدْ أُمِّهَا وَالزُّكْبَ فِيهَا مَيِّتُ الْأَخْبَارِ
يَقْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُشْتَمَلٍ الدُّجَى وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جَذْوَةُ نَارِ
خَاضُوا بِهَا لُجْجَ الْفَلَا فَتَخَلَّصَتْ مِنْهَا خُلُوصَ الْبَدْرِ بَعْدَ سَرَارِ
سَكَمَتْ بِسَعْدِكَ مِنْ غَوَائِلٍ مِثْلَهَا وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِيًا لِنَمَارِ
وَأَتْنِكَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ غَرِيْبَةً قَيْدَ النَّوَاطِرِ نَزْهَةَ الْأَبْصَارِ
مَوْشِيَّةُ الْأَعْطَافِ رَائِقَةُ الْخُلَى رَقَمَتْ بِدَائِمِهَا يَدَ الْأَقْدَارِ

(١) تقع هذه القصيدة فى أربعة وثمانين بيتا . وقد وردت فى نفح الطيب ج ٤ ص ٢٧٥

راق العيون أديمها فكأنه روض تفتح عن شقيق بهار
 ما بين مبيض وأصفر فاقع سال اللجين به خلال نضار
 يضحكى حدائق نرجس في شاهق تنساب فيه أواقم الأنهار^(١)
 وأنشد السلطان في ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من
 البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى .

تأمل أطلال الهوى فتألمنا وسيا الجوى والسقم منها تعلمنا
 أخو زفرة هاجت له منه ذكرة فأنجبد في شعب العزام وأنهما
 وأنشد السلطان في وجهة للصيد أعمالها ، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك
 الطراد وأرسلها قوله :

حياك يا دار الهوى من دار نوء السماك بديمة مدار
 وأعاد وجه ربك طلقاً مشرقاً متضاحكاً بمباسم النوار
 أمذكري دار الصباية والهوى حيث الشباب يرف غصن نضار
 عاطيتني عنها الحديث كأنما عاطيتني عنها كؤوس عطار
 إليه وإن أذكيت نار صبايتي وقدحت زند الشوق بالتذكار
 يا زاجر الأظلمان وهي مشوقة أشبهتها في زفرة وأوار
 حنت إلى نجمد وليست دارها وصبت إلى هندية والقار
 شاقته به برق الحلى واعتاها طيف الكركى بمزارها المزوار^(٢)
 ومن شعره في غير المطولات :

(١) تقع هذه القصيدة في نحو تسعين بيتاً . وقد وردت مع الاختصار في نفح الطيب ج ٤

ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٢) تقع هذه القصيدة في أربعة وسعين بيتاً . وقد وردت في نفح الطيب ج ٤ ص ٢٨٠ - ٢٨٣ . وإلى هنا ينتهي ما أورده نفح الطيب من مطولات ابن زمرك . ومن بعدها تستأنف تدوين نص المخطوطين .

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى
تُشير وراء الليل منه [بنانة^(١)]
تلوح سناناً حين لا تنفخ^(٢) الصبا
تطمتُ به ليلاً يطارحنى الجوى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى
لك الله يا مصباح أشبهت مُهجتي
وقد شفها من لوعة الحب ما شفنا

[ومما ثبت له في صدر رسالة :

أرور بقلبي معهد الأُنس والهوى
ومهما سألتُ البرق يهفون الحُمى
فياليت شعرى والأمانى تعللُ
وهل جِرتى الأولى كما قد عهدتهم
ومن أبياته للغراميات^(٣) :

قيادى^(٤) قد تملكه الغرام
ووجدى لا يطاق ولا يُرام

(١) الزيادة من النفخ .

(٢) هذا البيت وارد في «ج» وفي النفخ . وساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفخ . ووردت في «الزيتونة» (تفتى) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفخ كالاتى (لا يخفى

الضياء به كفا) .

(٥) هذا البيت وارد في «الزيتونة» وفي النفخ . وساقط في «ج» .

(٦) لم يرد هذا الشعر في المخطوطين ، ونقلناه عن نفخ الطيب .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» وفي النفخ . ووردت في «الزيتونة» كالاتى (ومنه

مثل ذلك) .

(٨) هكذا وردت في «ج» والنفخ وفي «الزيتونة» (فوادى) .

ودعى دونه صوب الفؤادى وشجوى فوق ما يشدو الحمام
إذا ما الوجد^(١) لم يبرح فؤادى على الدنيا وساكنها السلام
وفى غرض يظهر من الأبيات :

ومُشتمل بالحسن أخوى مهفب قضى رجع طرقي من محاسنه الوطر
فأبصرت^(٢) أشباه الرياض محاسناً وفى خده جرح^(٣) بدا منه لى أثر
قتلت لجلأسى خنوا الخذر إنما به وصب من أسهم الفنج والخور
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه ومن شأنها تدمى من [الأمح بالبصر]^(٤)
تُخبل للعينين جـرحاً وإنما بدا كلف منه على صفحة القمر
ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق فى ذلك :

يا لايى^(٥) فى الجود والجود شيمتى جُبلت على آثارها يوم مولدى^(٦)
ذرىنى فلو أنى أخذ بالغنى لكنت ضفيناً بالذى ملكت يدى
ومن مقطوعاته :

لقد علم الله أنى امرؤ أجزر ثوب المفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه وفازت قِداحى بوصل الحبيب
وقيل وقببك فى غفلة فقلت أخاف الإلآه الرقيب

(١) وردت فى المخطوطين (المجد) . والتصويب من النفع .

(٢) وردت فى المخطوطين (فأبصر) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت فى «النفع» . ووردت فى المخطوطين (حسن) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «النفع» ووردت فى المخطوطين (الاحظ والبصر) والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «النفع» (الائمة) .

(٦) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «النفع» . ووردت فى «ج» (مولود) وهذه تحريف .

[وفي مدح كتاب الشفاء^(١) طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع في شرحه :

ومسرى ركاب الصبا قد وُنت به
نجايبُ سحُب للتراب نزوعها
نيلُ سيوف البرق أيدي حُداتها
فتهل خوفاً من سطاها دهوعها
ومنها :

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه
فقد بان فيه للعقول جميعها
بمראה حُسن قد جَلَّتْها يد النہی
فأوصافه يَلْتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمُداد يُجْنِها
وأسرار غيب والبراع تُذيعها
لقد حُرِزَت فضلا يا أبا الفضل شاملا
فُتجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله من قد تصدَّى لشرحه
فلبَّاه من غرِّ المعاني مطيعها
فكم يُجمل فصَّلَتْ منه وحكمة
إذا كَتَمَ الإدماج منه تُشيعها
محاسن والإحسان يسدو خلاها
كما افترَّ عن زهر البطح ربيعها
إذا ما أصول المرء طابت أرؤمة
فلا عجب أن أشبهتها فروعها
بقيت لأعلام الزمان تُنيلها
هُدًى ولأحداث الخطوب ترُوعها^(٢)

ومما امتزج فيه نثره ونظمه ، وظهر فيه أدبه وعلمه ، قوله يخاطبني جواباً عن رسالة خاطبت بها الأولاد ، وهم مع مولانا أيده الله بالملك :

مالي بحمل الهوى يدان^(٣) من بعد ما أعوز التدان
أصبحت أشكو من زمان ما بتُّ منه على أمان

(١) هو كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» وهو أشهر كتب الحافظ الفقيه القاضي عياض بن موسى السبكي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

(٢) تقع هذه القصيدة في عشرين بيتاً . وهي غير واردة في المخطوطين ، وقد وردت في النسخ (ج ٤ ص ٣٨٤) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «ج» (يداني) .

ما بال عينيـك تسجـن والدمع يرفض كالبحـر
ناداك والإلفُ عنك وانٍ والبعـد من بـعد كوان
يا شقة النفس من هوان لجـج^(١) في أنـحر الهوان
لم يُثن عن هـواك ثانٍ يا بُنية القلوب قد كفان

يا جانحة الأصيل ، أين يذهب قرصك للذهب ، وقد ضاق بالشوق المذهب .
أمتت شموس [الأنس] ^(٢) محجوبة عن عيني ، وقد ضرب البغد الحجاب بينها
وبيني . وعلى كل حال . من إقامة وأرتحال . فما حلك من قلبي محلا بينها . وما كنت
لأقنع من وجهك تخيلا وشبهاً . ومن أين انتظمت لك عقول التشبيه وانسقت ، ومن
بعض المواقع والشمس لو قطعت ^(٣) . صادق منذور ، وأنت تنجمل بثوبني زور ،
وجيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزور ، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم ،
ومطالـب تتقلب منه في كفه المطالب . ويا برق الغمام من أي حجاب تبسم ، وبأي
صبح ترسم ، وأي غفل من السحاب تسم . أليست مباسم النغور لا تنجد بأفقي
ولا تغور . هذا وإن كانت مباسمك مساعدة ، والجو مبلس لها من الوجوم شعاراً ،
فلطالما صحت فابتكت الغواذي ، وعقت الراج والغادي . أعوذ بواشم البروق ،
بنواسم الطفـل والشروق ، ذوات الزايرات المتعددة الطروق ، فهي التي قطعت وهاداً
ونجـادا ، واهدت بسيف الصباح من السحاب قرابا . ومن البروق نجادا ، واهدت
خبر الذين أحبهم مستظرفاً مستجداً ، فعالمها ولعلمها . والله يصل في أرض الوجود
نهنها وعلها ، وأن يبـل ظمـين الشوق بنسيمها البليل ، وأن نعوضه من نار الغليل ،
بنار الخليل ، وخير طبيب يداوي الناس وهو عليل . فشكواي إلى الله لا أشكو

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، (بحج) وهو تحريف .

(٢) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نطقت) والأولى أن يحذف .

إلى أحد . هل هو إلا فرد تَسْطُو رياح الأشواق على ذُبالته ، وعُمر الشوق قد شَبَّ
على الطُّوق ، ووهب الجمع للفرق ، ولم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الذُّوق . وقلب
تُقسم أحشاؤه الوجد ، وقَسَمَ بالله الغُور والنَّجْد . وهووم ، بقى وردت قُلُوب القلب ،
لم تَبْرَح ولم تُعَد ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

أستغفر الله ياسيدى الذى يوقد^(١) أفسكارى حلو لقائه ، وأتقسم أرواح القبول
من تلقائه . وأسأل الله أن يُديم لى آمالى^(٢) بدوام بقاءه . إن بُعد مداه ، قربت
منا يده ، وإن أخطأنا رِفْدَه أَصَبْنَا نَدَاه . فثمرات آدابه الزُّهر تجىء إلينا ،
وسحاب بَنَانِه الغُرُّ تُصَوِّب دوالينا أو علينا ، على شَحَط هواه ، وبُعد منتواه .
ولا كرسالة سيدى الذى عَمَّت فضائله وخصَّت ، وتلت على أولياء نعمته أنباء
الكمال وقصَّت ، وآى^(٣) قفى كل منها عجباً ، ونال من التماح غُرَّتْها واجْتِلاء
صفحتها أَرْبَاباً . فلقد [كَرُمَتْ عنه]^(٤) بالاشتراك فى بُنُوته الكريمة نَسَباً ،
ووصلت لى بالعناية [منه]^(٥) سيباً . تولى سيدى خيرك من يتولى خير الحسين ،
ويُجزل شكر المُنْعَمين . أما ما تحدَّث به من الأغراض البعيدة العذبية ، وأخبر
عنه من المعانى الفريدة المعجبية ، والأساليب المُطيلة ، فيعجز عن وصفه ، وإحكام
رَصْفه ، القلم واللسان ، ويعترف لها بالإبداع المستولى على أمد الإحسان البديع
وحسان . ولقد أجهدت حِيَاد الارتجال ، فى مجال الاستعجال ، فما سمحت القرينة
إلا بتوقع الآجال ، وعادت من الإقدام إلى السَّكَلال . فعلمت أن تلك الرسالة
الكريمة ، من الحق الواجب على مَنْ قرأها وتأملها ، أن لا يجرى فى لُجَّة من

(١) وردت فى «ج» (ترقدن) . وفى «الزيتونة» (توقدون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت فى المخطوطين (مالى) . وهو تعريف ظاهر .

(٣) وردت فى «ج» (وألوان) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (لايت عنى) .

(٥) إضافة يقضيها السياق .

ميادينها ، ويديم يراع سيدى الإحسان كرينها . لا كن على أن يفسح الرياض
للقصي مدى ويقندى بأخلاق سيدى التى هى نُور وهُدَى . فإنه والله يتيقه ، و يقيه
مما يتيقه ، بعد ما أعاد فى شكوى اليَين وأبدى ، وتظلم من البعد واستمدى ^(١) ،
ورفع حكم العتاب عن ذرات النسيم والافتعاب ، ورعى وسيلة ذكرها فى مُحكم
الكتاب . وولى فضله ما تولى ، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صور ^(٢)
السعادة على رأيه ، أيده الله تَجَلَّى ، ونمرة فكره المقدس ، أيده الله تَحَلَّى . شكر الله
له عن جميع نعمه التى أولى ، وحفظ عليه مراتب الكمال التى هو الأحق بها
والأولى . وقد طال الكلام ، وجمحت الأقلام . ولسيدى وبركتى الفضل ، أبى
الله بركنته ، وأعلى فى الدارين درجته ، والسلام الكريم بخصمكم ، من مملوككم
ابن زمرك ، ورحمة الله وبركاته ، فى الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة
وستين ^(٣) .

وخاطبني كذلك ، وهو من الكلام المرسل : أبو معار فى . وولى نعمتى ، ومعيد
جامى ، ومقوم كمالى ، ومورد آمالى ، ممن توالى نعمه على ، ويتوفر قسمه لدى ،
وأبوء له بالعجز ، عن شكر أياديهِ . التى أحيت الأمل ، وملاّت أ كُفّ الرغبة ،
وأنطقت الحدايق ، فضلا عن اللسان ، وأياديهِ البيض وإن تعددت . ومنته العزيمة ،
وإن تجددت ، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس فى الروض المداور بيانه .
فاذا أقول ، فيمن صار مؤثراً إلى بالتقديم ، [جالياً صورة] ^(٤) تشريفى ،

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (استدعا) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (سور) .

(٣) وردت فى المخطوطين (وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، متى ذكرنا أن ابن الخطيب
قد توفى سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت محرفة فى «الزيتونة» (جاندا سورة) .

بالانسحاب إليه في أحسن التقويم . . . (١) وإني ثالث اثنين أشرف بخدمتها ،
وأسحب في أذيال نعمتها .

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من تمتنى إليه عبيد
اللهم أوزعنى شكر هذا النعم ، الذى أثقلت نعمه ظهر الشكر ، وأنهضت
كمال (٢) الحمد ، اللهم أدم بجميع حياته ، وأمتع بدوام بقاياه الإسلام والعباد ، وأمسك
بئس آرائه رَمَق نغر الجهاد . يا أكرم مستول ، وأعز ناصر . تفضل سيدى ،
والفضل عادته ، بالتعريف بما يقر عين التطلع (٣) ويقنع غلة التشوف . ولقد كان
الممالك لما مثلنا بين يدي مولانا ، أيده الله ، لم يقدم عملا عن السؤال [ولا] (٤) عن الحال ،
إقامة لرسم الزيارة ، وعملا بالواجب ، فإبنى أرى الديار بطرفى ، فعلى أن أرى الديار
بمعنى ، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله . وإن سألت سيدى شكر الله احتفاه ،
وأبقى اهتمامه ، عن حال المالك ، من تعب السفر ، وكد الطريق ، فهى بحمد الله دون
ما يظن . فقد وصلنا المنكب تحت الحفظ والكلاءة ، محرزين شرف المساواة ،
لمواكب (٥) المولى ، يمين الله وجهته ، وكتب عِصْمَتِهِ ، واستقر جميعنا بمحل
القَصْبَةِ ، وتاج أهبتها ، ومهب رياح أجزائها ، تحت النعم الثرة ، والأنس الكامل
الشامل . قرب الله أمد لقاءكم ، وطلع على ما يسر من تلقائكم . ولما بلغنا هذه
الطية ، وأنحنا المطية ، قنا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار ، ورفعنا مخاطبة
المالك على الابتدا . والسلام .

مولده : فى الرابع عشر من شوال ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

[انتهى السفر السادس هنا . والحمد لله رب العالمين]

(١) كلمة غير مقروءة . (٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (كامل) .

(٣) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المتطلع) . والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .

(٤) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا فى «ج» . و«الزيتونة» (لمراكب) . والأولى أرجح .

ومن السفر السابع المفتوح بقوله
ومن الطّائرين منهم في هذا الباب *
محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبّائي
سكن غرناطة يكنى أبا الحسن

حاله

كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، متقدماً في الكتابة والنصاحة،
جامعاً فنون الفضائل، على عَقْلَةٍ كانت فيه.

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر بن سابق، وأبي الحسن بن الباذش،
وأبي علي الغساني وغيرهم. وصحب أبا الحسن بن سراج صحبة مؤاخاة.

توالياه

صنّف في شرح غريب البخاري مصنفًا مفيداً.
توفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وخمس مائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجّبي الحميري
من أهل مالقة، وأصله من إِسْتِجَّة^(١)، انتقل سلفه إلى مالقة، يكنى
أبا عبد الله.

(*) هنا يبدأ المخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور.

(١) هي بلدة أندلسية متوسطة تقع على ضفة نهر شنيل فرع الوادي الكبير، جنوب لجرني غربي

قرطبة وبالإسبانية Eciña.

حاله

كان من جملة^(١) حَمَلَة العلم ، والغالب عليه الأدب ، وكان من أهل الجلالة ،
[ومن بيت علم ودين]^(٢) . أقرأ ببلده ، وقَعَدَ بالجامع الكبير منه ، يتكلم على
صحيح البخارى ، وانتقل فى آخر عمره إلى غرناطة .

وقال الأستاذ^(٣) ، كان من أبرع أهل زمانه فى الأدب [نظما ونثرا]^(٤) .

شعره

منقولاً من خط الوزير الراوية أبى محمد عبد المنعم بن سَمَّاك ، وقد ذكر
أشياخه فقال : الشيخ المتفنن الأديب ، البارع ، الشاعر المُفْلِق ، قرأ على
أشياخها ، وأقرأ وهو دون^(٥) العشرين سنة . وكانت يده وبين الأستاذ المقرئ
الشهير أبى العباس الملقب بالوزعى قرابة ، وله قصيدة أولها :

« ما للنسيم لدى الأصل عليلاً »

ومنها :

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلموا عليه رقةً ونُحولاً
[وكان يقول : كان الأستاذ أبو العباس ، يستعيدنى هذا البيت ، ويقول
نعم أنت قريبى ، وقَدِم على غرناطة أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة]^(٦) .

(١) هذه الكلمة واردة فى مخطوط الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ووردت فى المخطوطين (من بيت أهل العلم والدين) .

والأولى أرجح .

(٣) يقصد بها الأستاذ أبو جعفر أحمد بن الزبير ، صاحب كتاب «صلة الصلة» ، المتوفى

سنة ٥٧٠٨ هـ .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وفى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بن) .

(٦) الفترة الواردة بين الخاصرتين مطبوسة ومحملة فى الإسكوريال ، وقد نزلناها عن «ج» .

محتـه

قال الأستاذ جرى له قصة . نُقل بعض كلامه فيها . على بعض أحاديث الكتاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها ؛ غالب أدبه . فأطلق عنان الكلام ، [وما أكثر مما يطاق فيما يأنفه ، إدراكات] ^(١) تلك الأفهام . ولكل مقام مقال . ومن الذى يسلم من قيل وقال . وكان ذلك سبب الانقطاع ، ولم يؤت من قصر باع ، وانتقل إلى غرناطة ، فتوفى فى أثر انقطاعه ^(٢) وانتقاله .

شعره

من ذلك قوله فى غرض يظهر من الأبيات :

قضوا فى رُبى نَجْد [فى القلب مرساه] ^(٣) وغنّوا إن أبصرتم نَمَّ مغناه
أما هذه نَجْد أما ذلك الحِمى فهل عَمِيَتْ عيناه أم صُمّت ^(٤) أذناه
دعوه يُوفى ذِكْره باتشامه ديون هواه قبل أن يتسواه
ولا تسألوه سَلَوَةً فن العنا رياضة من قد شاب فى الحب فوداه
أيمحسب من أصلى ^(٥) فزادى بحبه أنى أسلو عنه حاشاه حاشاه
متى غَدَرَ الصَّبُّ الكريم ^(٦) وفى له وإن أتلّف القلب الحزين تلافاه
وإن حَجَرُوا معناه وصَرَحُوا به فإن معناه أحقُّ بمعناه
وياسابقاً عيس الغرام سيء وفه وكلُّ إذا يخشاه فى الحب يخشاه
أرحها فقد ذابت من الوجد والشرى ولم يبق إلا عظمها أو بقاياها

(١) ما بين الحاصرتين مكانه بياض فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى المخطوطين وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (وفى الحى مرباه) . والاولى أبلغ .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال و«ج» (صم) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (أبلى) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (الكثيب) .

ويا صاحبي عَجَّ بي على الخيف من مَنَى
وعرَّج على وادي العقيق لعلني (١)
وقل لي إلى قد سَلَفَن بَعْدِش—
هل العود أرجوه أم العمر ينقضي
وما التعني لي من بَأَثَى ألقاه
أَسَايل عَمَّنْ كَانَ بِالْأَمْسِ مَأْوَاهُ (٢)
وعُمرُّ على رغم العذول قطعناه
فأقضى ولا يُقْفَى الذي أتمناه
[ومن شعره أيضاً ، قوله ، رحمه الله :

سَرَّتْ من رُبِّي نَجْدٌ مُعْطَرَةٌ الرِّيَا
تمسح أعطاف الأراك بليـلة
ومرتد في حِجْر الرِّياض مريضـة
وبشّرت بأنفاس الأحيّة سحرة
سقى الله دهرًا ذكّره بنعيمه
ملئى مُحْيِيَاهُ الأنيق وحُسْنُه
وبى رَشَاءً من أهل غرناطة غدا
رمانى فأصابني بأول نظـيرة
وبدّد جسمي نوره وكأنه
تصوّر لي من عالم الحُسن خالصاً
وهم بأن يرقى إلى الحُور جسمه
إذا ما اتّنى أولاح أو جاح أورنا
رعى الله دهرًا كان ينشر وصله
يوت لها قلبي وآونة يحيا
وتنثر كافوراً على التربة اللّـميا
فتحي بطيب العُرف من لم يكن يحيا (٣)
فيسرع دمع العين في إثرها جريا
فكم لجنوني عند ذكراه من سُقيا
ومن خلّقي قد كنت لأحمل النأيا
يجود بتعذبي ويخل بالقيـا
فيا عجباً من علم الرّشأ الرّميا
أشعة شمس قابلت جسدي مليا
فنّ عجب أن كان من عالم الدنيا
فتقلّته كُتُباً وحملته حُلُميا
سبباً القُصْب والأقار والمِسْك والضيا
برود طواها البين في صدره طيّا (٤)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي المخطوطين (فانئ).

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي المخطوطين (سكتاه).

(٣) وردت في المخطوط (فتحيا) وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) هذا الشعر المحصور بين الحاصرتين وارد فقط في الإسكوريال. وساقط في المخطوطين.

مشيخته

ومما يشتمل على أسماء شيوخه ، ويدل على تبعه في الأدب ورسوخه ، إجازته
أبا الوليد إسماعيل بن تير الأيادي ، وعندها يقال ، آتى الوادي .

إن لي عند كل نفحة بستان من الورد أو من الياسمين
نظرةً والتفاتةً أتمنى أن تسكوني حملت فيما تلينا
ما هذه الأنوار اللامحة ، والنوار الفايحة ، إنى لأجد ريح الحكمة ،
ولا مَقْنَد ، وأرد مورد النعمة ولا مُنْكَد^(١) ، أمسك دارين يُنهب ، أم المندل
الربط في الغرام الملهب ، أم نَفَّحت أبواب الجنة ففاح نسيمها ، وتوضحت
أسباب المنة ، فلاح وسيمها .

مُحْيَاك أم نور الصباح تبسمًا ورياك أم نور الأفاح تنسمًا
فن شم من ذا نفحة رق شيمة ومن شام من ذا لحة راق مبسمًا
أجل خلق الإنسان من عَجَل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لنفهموا
أسرار الحُكْم وتعوا ، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا ، يعني مجالس الذِّكْر ،
ومأنس النظر والفكر ، ومطالع المناظرة ، ومواضع المحاضرة ، فهذه بتلك ،
وقد انتظمت الجواهر النبوية في سِياك ، ولها من حمى للعطارة^(٢) وطيس ، بين
مِسْك المداد ، وكافور القراطيس . فيا أيها المعلم^(٣) الأوحد ، والعالم الذي لا تنسك
أمامته ولا تُجحد ، حوّمت على علم الملوك ، ولزمت بحلم طريق الحكم السلوك ،
فلم تعد أملَ الحكماء ، ولم تعد إلا بعمل العلماء ، وقد قال حكيمهم الفاضل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يكنه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (للمعاطرة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (العلم) والأولى أرجح .

وعظيمهم [الذى لا مُناظر له ولا مُفاضل] (١) ، إذا خدمتَ الأُمراء ، فكن بين [استلطاف واستعطاف] (٢) ، تجنبِ المعارف والعوارف ، دانية القُطاف . فتعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتروهم (٣) ، وكأنك تروى عنهم ، فأجريتَ الباب ، وامترتَ من العلم اللُّباب ، ثم لم تُبعد ، فقد فعل النحويون ذلك في بَكْرُم ، ويَعِد ، ويَعِزُّ (٤) ، ولا غرو أن تقرأ على من هو دونك . وتستميز الإجازة [عن القوم العظام] (٥) ، يقصدونك . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أمره الله بأن يقرأ على أبي [بن كعب] (٦) ، [فهل في حى الخواطر الذكية من حى] (٧) ، فقال له رضى الله عنه ، [الله أمرك] (٨) أن تقرأ على ، والعناية الزبانية ، تُنادى إليّ إليّ ، وإذا قال لى من أحبُّ مولاي ، واستعار لزيئته حُلاى :

فما على الحبيب من اعتراض وللطبيب تصرفٌ فى المرض
قد يَزحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب فى الرّاحل

عجت متواضعاً ، فما أبرمتَ فى معاجك ، ولا ظلمت فى السؤال ، فنجته إلى نعاك ، فإنه سرُّ الله ، لا يحل فيه الإفشاء ، وحكمة الله البالغة ، والله يؤتى

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين (ج ، والزيتونة) . ووردت فى الإسكوريال كالألف (الذى لا يناظر ولا يفاضل) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (استعطاف واستلطاف) . والأولى أرجح .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٤) ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وفى الإسكوريال مكانها (للاعلام) .

(٦) الزيادة عن المخطوطين .

(٧) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال وفى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين (أمرك) . والأولى أرجح .

الحكمة من يشاء ، وإن لبست من التواضع شعاراً ، ولبست عن الرفع تنبيهاً^(١) على السر المكتوم وإشعاراً . فهذه الثريتا من المعجيب إذا ارتفعت في أعلى صعودها ، وأسمى راياتها الخافقه وبنودها . نهاية وجودها الحسنى عدم ، وغاية وصفها الشبهى ، أن تُشَبَّهَ بقدَم ، فإذا همت بالركوع ، وثمتت في المغرب ربح الوقوع ، كان لها من السمو القُدَح المَعْلَى ، وعادت قرطاً تنزِين به الآذان وتنحَلَّى .

وفي الشرق كَأْسٌ وفي مغاربها قِرْطٌ وفي وسط السماء قدم
هذه آثار التواضع متلوة الشور ، مجلوة الصور ، وكان بعضهم إذا أَعْلَى
الصدقة ، يعطيها ويده تحت يد السائل ، وهكذا تُفْهَم المسائل . فإنه لما سَمِع النبوة
تقول ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أراد أن يؤثر المقام^(٢) الأعلى . ولما
أَعْلَى أبو بكر ، رضى الله عنه . ماله كله ، أعطى عمر رضى الله عنه النصف
[من المال]^(٣) لا احتياطاً على ماله ؛ ولسكن ليَقِف لأبي بكر في مقام القصور
عن كماله ، تَقْوِيضاً وتسليماً ، وتنبيهاً لمن كان له قلب وتعلماً . وروى الدارقطنى^(٤)
[راحة الله عليه]^(٥) يحبس أباه^(٦) بركابه ، فلا يُنْكَر عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال
رأيتَه يبادر إلى فضيلة فكرهت مخالفتَه .

فوق السماء وفوق الزُّهر ما طلبوا وإذا ما أرادوا غايَةَ نزولوا
وإلى هذا وصل الله حِفْظُكَ ، وأجزل من الخيرات حَظُّكَ ، فإنه وصلتني
السُّكْرُاسَةُ المباركة ، الدَّالَّة على التفنن في العلوم والمشاركة ، فبينما أنا أتلو الإجازة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (شبهاً) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بالمقام) . والتصويب من «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «ج» .

(٤) هو الحافظ الإمام أبو الحسن على الدارقطنى ، نسبة إلى دارالقطن أو دارقطن وهى بحلة

كانت ببغداد ، وكان من أقطاب الفقه الشافعى ، وتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٥) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (أبوه) ، والتصويب يستقيم السياق .

وأريق صدور البيان وإعجازه ، ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من أبي الوليد ،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فخرت ، ووقفت كأنني سُحِرْتُ ، وقلت ساحران
تظاهرا معاً ، وأحدهما قاتلي ، فكيف إذا اجتمعا .

فلو كان رُحماً واحداً لا تقيته^(١) ولا كنه رُحاً وثان وثالث
[ومن لم يبت بشيئته للثاني فأخرى أن تعير به للثالث]^(٢)
وطار بي الشوق كل مطار ، وقرأت سماء فكرتي سورة الانقطار ، وكذت
أصعد إلى السماء توقداً ، واختلط بالهواء تودداً .

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان^(٣) فالآن صارت بالتحول ثوان^(٤)
وُجِدَتْ وراء الحسن وهي كشيعة فوجودهن^(٥) الآن في الأذهان
ولم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب ، حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب ،
وبالحري لذلك النثر البديع ، الحريري أو البديع ، ولذلك النظم المعجيب ، للمُنْزِي
أو حبيب ، ولذلك النصوص الرقيق ، الحارث بن أسد ذى التحقيق . وأما
الحديث ، فالك تقطع تلك المسالك ، إلا أن العربية^(٦) ليس لأحد معه فيها دليل ،
أستغفر الله إلا للخليل ، لا كن أصول الدين بحرية ، تركت تلك الميادين . هناك

(١) هكذا . ردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لاستيته) . وفي «الزيتونة»
(لا التقيته) .

(٢) هذا البيت وارد بمكانه في «ج» و«الزيتونة» . ولكنه وارد في الإسكوريال بعد كلمة
(الانقطار) الواردة في الجملة التالية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذا) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (تبيدان) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (فوجودها) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

الله جَمَعَ كلَّ مَنْقَبَةٍ جَلِيلَةٍ ، فترى الفضيلة لا ترد فضيلة ، فر الرديف وقد رَكِبَ
 غَضَنفراً ، أو المَدْعَى صفة فضل ، وكلُّ الصَّيْدِ في جوف الفِرا . من يُزَحِمُ ^(١) البحر
 يغرق ، ومن يُطْعِمُ الشَّجَرَ يَشْرُق . وهل يُبَارَى التَّوْحِيدَ بعمل ، أو يُجَارَى البُرَاقَ
 بجمل . ذلك انتهى إلى سِدْرَةِ المنتهى . وهل ^(٢) انبرى ليلطم خَدَّهُ في الثرى .
 لا تقاس الملائكة ^(٣) بالحدَّادين ، ولا حُكَّاء يونان بالفدَّادين . أفى طريق
 الكواكب يُسَلَكُ ، وعلى الفلك الأثير يُسْتَمَلَكُ ^(٤) . أين القَدُّ من الأَمْسِ ، وظُلْمَةُ
 الغسق من وضَحِ الشمس . ولولا ثَقَى بغمام فضلك الصَّيِّبُ لتمثلت لنفسى ^(٥) بقول
 أبى الطيب :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق أواه غبارى ثم قال له الحق
 فإن رضيت أيها العلم ، فما لجرح إذا أَرْضَاكُم أَلَمَ . [تر] ^(٦) كيف أُجَارَى
 أعوج بمغرب أهوج وأجَارَى ذا العقال بمجش في عقال . ظهر بهذه الظلمة ، ذلك
 الضياء ، وبضدِّها تتبين الأشياء . وما يَزُكُو بياض العاج حتى يُضَافَ إلى سواد
 الأنوس . ألفاظ تنوب رِقَّةً ، وأغراض تملك حُبَّ الكريم وِرْقَةَ الزَّهَرِ ، والزَّهَرُ
 بين بَنَانٍ وبيان ، والدَّرُّ طَوْعٌ ^(٧) لسان وإحسان .

وقالوا ذاك سحرٌ بأهلى فقلت وفي مكان الماء باء

(١) وردت في الإسكوريال (يرحم) . ووردت في المخطوطين (يحزم) . ونعتقد أن التصويب أنسب للمعنى .

(٢) وردت في الإسكوريال (وهذا) . والتصويب من «ج» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (الملوك)

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (يستغلب) . والأولى أنسب للسياق .

(٥) هذه الكلمة وإزادة فقط في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة وإزادة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بين) .

وأما محاسن أبي الوليد ، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد .

معان لبسن ثياب الجمال وهزّت لها الغانيات القدودا
كسّون عبيداً ثياب عبيد وأضحى لبيدٌ لديها بليداً
وكيف أعجب من إجرايك لهذه الجياد ، وأياديك^(١) من إياد . أورثت هذه
البراعة^(٢) المساعدة ، عن قسّ بن ساعدة . أجدك أنت الذي وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال ، كأنني أنظر إليه في سوق عكاظ على جمل أوزق ،
وهو يقول أيها الناس : مطرٌ ونبات ، وآباء وأمهات ، إلى قوله :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صار
إليه بغير تمويه . رجّع الحديث الأول إلى ماعليه المَعُول . سألتني أيها السيد
الذي يجب إسعافه ، أن أُرغم^(٣) أُنْتَ القلم حتى يجرى رُعاfe ، وأن أكمّل جُفون
الأوراق بمداد الأفلام ، وأن أجمع الطروس والأُميدة ، بين إصباح وإظلام ، وأطرز
بياض الشوشن بمخضرة الآس ، وأبرز العلم الأبيض تحت راية بني العباس ، فقلت
مبادراً مُتَمَثِّلاً ، وجُلّت في ميدان الموافقة مُتَمَثِّلاً :

لبيك لبيك أضعافاً مضاعفة إني أجبّت ولكن داعي الكرم
أتى من المجد أمرٌ لا مرَدَّ له أمشى على الرأس فيه لا على القدم^(٤)
دعاء والله مُجَاب ، ونداء ليس دونه حِجَاب

(١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (وإنه أيك --- وإذايك) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في الإسكوريال (أزعت) .

(٤) وردت في المخطوطين (تهم) . والتصويب من الإسكوريال .

اكتبت ولو أنى أستطيع لإجلال قدسك بين البشر
قدّدت البراعة من أنملى وكان المداد سواد البصر^(١)

نعم أجزتُ سيدى الفقيه الأجل ، الخطيب الأكرم ، العالم العَلَم ، الأوحد
الأكمل ، الحبيب الأحفل الأطول ، أبى الوليد بن الفقيه الأجل ، المعظم^(٢) الموقر ،
المكرم المبارك الأظهر ، المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعيد^(٣) بن قترى الأيادى
القرموني^(٤) ، وبنه السادات ، النجباء المباركين ، أبى القاسم أحمد ، وأبى إسحق
إبراهيم ، وأبى الحسين بتزيا^(٥) . ونعمت الأغصان والشجرة ، والأقنان والنثرة ، أقر
الله بهم أعين المجد ، ولازالوا بدورا فى مطالع السعد . ولا برحوا فى مكارم ،
يحنون نوارها ، ويمجّتون أنوارها ، وتقضى عليهم [يد]^(٦) العناية الإلهية ،
نهرها الكوثرى ونهارها ، جميع ماريئته ، قراءة وسماعا ، وإجازة ومناولة من
العلوم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، بأى وجه رويته ، وعلى أى وصف
تقلدته ودريته ، وكذلك أجزتهم جميع ما قلته وأقوله . من مسطور^(٧)
ومرسوم . ومنثور ومنظوم ، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم ، وقصايدى
المسماة بالروحانيات ، وممشرأتى الحبيبات . وما نظمته من الوتريات ،
وشرحى لشعر أبى الطيب المسمى^(٨) « بظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز » ،

(١) هكذا ورد هذان البيتان فى الإسكوريال . ووردا فى المخطوطين مرسلين على صفة
المشور .

(٢) واردة فقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (إسمايل) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (القرموني) وفى «ج» (القرموني)

والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وهى ساقطة فى «الزيتونة» .

(٦) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٧) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال ، و«الزيتونة» ، وساقطة فى «ج» .

وكتابتى المسى «شمس البيان فى لئس البنان» ، والزهرة الفايحة فى الزهرة
 اللابحة ، ونفّح السكّامات فى شرح المقامات ، واقتراح المتعلمين فى اصطلاح
 المتكلمين ، وكتاب تصوّر والتصديق فى التوطية لعلم التحقيق ، ورقم الحلل
 فى نظم الجمل^(١) ، [ومفتاح الإحسان فى إصلاح اللسان]^(٢) . وما أنشأته من
 السلطانيات نظماً ونثراً ، وخطابة وشعرآ . والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه
 بمنه وكرمه . فليقل الفقيه الأجل ، وبنوه الأكرمون^(٣) رضى الله عنهم ، [أنبأنا
 وأخبرنا وحدّثنا]^(٤) أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية ، بعد تحرى الشروط للمرعية ،
 فى الإجازات الشرعية ، وإن ذهبوا حفظ الله كلامهم ، وأراعهم فى الدارين آمالهم ، إلى
 تسمية من لى من المشايخ قدّس الله أرواحهم ، وزحزح عن النار أشباحهم :

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير ، العالم الفاضل الجليل ، البقية الصالحة ، آخر
 الأدبا ، وخاتمة الفضلاء ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميرى القرطبى
 الدار ، رضى الله عنه . قرأت عليه بقرطبة ، شعر أبى الطيب ، قراءة فهم لمعانيه ،
 وأعراب لألفاظه ؛ وتحقيق لفنه ، وتنقيح عن يديعه . وكذلك قرأت عليه أكثر
 شعر أبى تمام . وسمعتُ عليه كتاب السكّام لأبى العباس [المبرد]^(٥) ،
 ومقامات التميمى ، كان يروىها عن مُنْشِئها ، وكانت عنده بخط أبى الطاهر . وتفقّهت
 عليه «تبصرة الضمى» . وكان على شياخته^(٦) رحمه الله ، ثابت الذهن ، مُقبل
 الخاطر ، حافظاً للمعنى .

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» (الدول) وهو تحريف لأن (رقم الحلل
 فى نظم الدول) هو اسم كتاب لابن الخطيب .

(٢) هكذا ورد اسم هذا الكتاب فى الإسكوريال ، وورد فى «ج» (مفتاح الإحسان فى
 اصطلاح الإحسان) .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين . ووردت فى الإسكوريال (المباركون) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . ووردت فى الإسكوريال (أخبرنا أو أنبأنا) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة زيادة فى الإيضاح .

بروع رَكَاةٌ وينوب ظَرْفًا فماتدري أشيخ أم غلام
نأتيه بمقاطيع^(١) الشعر فيصلحها لنا ، ويقف على ما نستحسنه^(٢) منها ،
فنجده أثبت منا ، ولقد أنشدته يوماً ، في فتي مفعود العين اليسرى :

لم تزو إحدى زهرتيه ولا اثنت عن نورها وبديع ما تحويه
لكنه قد رام يُفلق جَفْنَه ليصيب بالسهم الذي يرميه

فاستفادها وحفظها . ولم يزل رحمه الله ، يعيدها مستحسنًا لها ، متى وقع
ذكرى . وكان يروى عن الإمام المازري بالإجازة ، وعن القاضي أبي مروان بن
مسرة ، وعن الأستاذ عباس ، وعن أبي عبد الله بن أبي الخصال .

ومنهم الفقيه الأجل [العالم العدل]^(٣) ، المحدث الأكل : المتقن ، الخطيب ،
القاضي أبو محمد بن حوط الله . سمعت عليه كتبًا كثيرة بمالقة ، بقراءة الفقيه
الأستاذ أبي العباس بن غالب ، ولقيته بقرطبة أيضاً ، وهو قاضها . وحدثنى عن
جدّي ، وعن جملة^(٤) شيوخ . وله برنامج كبير . وأخود القاضي الفاضل : أبو سليمان
أيضاً منهم .

ومنهم الفقيه الأجل : العالم العَلَم : الأوحد . النحوي ، الأديب المتقن : أبو علي عمر بن
عبد الحميد الأزدي ، قرأت عليه القرآن العزيز مفردات ، وكتاب الجمل ، والإيضاح
وسيبويه تفقهاً ، وكذلك الأشعار الستة تفقهاً ، ومازلت مواظباً له إلى أن توفي
رحمه الله . وكان فريد عصره في الذكاء [والزاك]^(٥) ، ولم يكن في حلبة الأستاذ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال (بمقطعات) . وفي «ج» (بمقاطع

والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (نسخناه) وهو تحريف .

(٣) هذه العبارة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (جملة) ، الأولى أرجح .

(٥) . واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

أبي زيد السهيلي أنجب منه [على كثرتهم] ^(١) . وقد قال الأستاذ أبو القاسم السهيلي للإمام المنصور رضى الله ، هو أقمدُ الكتابِ سيبويه منا . وقال لى يوما ، وقد نظر إلى طالب يُصنئ بكليته إلى ثان ، فقلت ماذا ، فقال إن حُبَّ الشيء يعنى ويصم ^(٢) ، فقلت له ، ويعيد الصُّبح [ليلا] ^(٣) مُدْلهم ، فاستحسنته .

ومنهم الفقيه الأجل ، الأديب الأريب الكامل ، اللغوى الشهير ، أبو على ابن كسرى الموزى ، قريبي ومعلمي . وكان من طلبة أبي القاسم السهيلي ، ومن نبغ صغيراً . وهو الذى أنشد فى طفولته السيد أبا أسحق الكبير بإشبيلية :

قسما بمحمض وإنه لعظيم فهى المقام وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة ^(٤) الأستاذ أبو القاسم السهيلي ، فقام عند إتمامه القصيدة ، فقال لمنل هذا كنت أحسبك الحسا ، [ومنل هذا] ^(٥) كنت أواصل فى تعليلك الإصباح والإمسا . وقد أنشد هذا لأمير المؤمنين أبي يعقوب رضى الله عنه :

أمعشر أهل الأرض بالطول والعرض بهذا أنادى فى القيامة والعرض
فقد قال الله فىك ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فىك بلا تقص
فيايك يعنى ذو الجلال بقوله كذلك مكثنا ليوسف فى الأرض

ومنهم الفقيه الأجل ، العالم المحدث ، الحافظ الفاضل المؤثر ، السيد أبو محمد القرطبي . قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات ، وتقهت فى الجمل والأشعار ،

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ويصمى) .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بالحضرة) .

(٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

وأجازني [جميع] ^(١) ما رواه . وكذلك فعل كل واحد من تقدم ذكره . وكان رحمه الله آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق ، وجمال سمّت [وأبهة] ^(٢) ووقار ، وإتقان وضبط ، وجودة وحفظ .

ومنهم الفقيه الأجل ، الحاج الفاضل ، الشهيد في كائنة العقاب ^(٣) ، المحدث الورع ، الزاهد الطاهر ، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصارى ، وعليه كان ابتداء القراءة ، وكان مبارك التعليم . حسن التفهيم ، شديد التواضع . ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع ، المحدث ، الحاج المُلهم ، المحجّب الدعوة ، الميمون النقيبة الأواب . أبو الحاج بن الشيخ . رضى الله عنه . وهذا الكتاب ^(٤) على الإطالة منى . ولكن القرطاس فنى ، والسلام الاتمّ عليكم ، ورحمة الله وبركاته . قال ذلك ، وكتبه ، العبد المعترف بذنبه ، الراجى رحمة ربه . محمد بن عبد الله الحـمـيرى ثم الإستجى ، فى أواسط شعبان المكرم من عام أحد وأربعين وستمائة .

وفاته

من خطّ الوزير أبى محمد عبد المنعم بن سماك . قال ، قدّم غرناطة ، أظن سنة تسع وثلاثين وستائة ، وشكى علّة البطن مدة ثمانية أشهر بدار أبى [رحمه الله] ^(٥) ، رخصاه الثلاثة الأخوة ، إلى أن توفى رحمه الله ، ودفن بمدفنه ، مقبى الأقب ، بروضة الفقيه أبى الحسن سهل بن مالك .

(١) واردة فى المخطوطين . وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٣) كائنة العقاب هى الموقدة الكبرى التى نشبت بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة الموحدى الناصر لدين الله ، والجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، فى مضربة سانثا إولينا شمال غربي مدينة أبدة ، وهزم فيها الموحدون هزيمة ساحقة ، وذلك فى سبتمبر سنة ٦٠٩ هـ (يولييه ١٢١٢ م) . وتسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa .

(٤) وردت هكذا فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (الكتب) . (٥) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن أحمد بن علي الهواري^(١)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر من أهل المرية .

حاله

رجل كفيف البصر ، مدلّ على الشعر ، عظيم الكفاية والميعة ، على زمانته .
 وحل إلى المشرق ، وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صاروا
 رَوْحَيْنِ في جسد ، ووقع الشعرُ منهما بين نخدي أسد ، وشعرًا للسُّكُندِيَّة ، فكان
 وظيف الكفيف النّظم ، ووظيف البصير الكتّاب ، وانقطع الآن خبرها . وجرى
 ذكره في الإكليل بما نصه : محسوبٌ ، من طلبتها الجلة ، ومعدود فيمن طلع
 بأفقه من الأهلّة ، وحل إلى المشرق ، وقد أصيب ببصره ، واستهان في جنب
 الاستفادة بمشفة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضره .

شعره

وشعره كثير ، فنه قوله :

سلوا مسرّاً ذاك الخال في صفحة الخلد متى رقوا بلمسك في ناعم الورد
 ومن هو غصن القدّ منها ليفتقني وأودعه رُمّانتي ذلك النّهد
 ومزمتي القُصْب اللّدان بوصلها إلى أن أعزّز الحسن من ذلك القد
 فتاة تفتّ القلب متى بمقلة له رقة الغُزْلان في سَطوة الأسد
 تمنيت أن تُهدي إلى نهودها فقالت وأيتَ البدر يُهداه أو يُهد
 ققلت وللرّمان بدٌّ من الجنا فتهاهت وقالت بالّأوا حظ لا الأيد
 ققلت ليس للقلب عندك حاصلٌ وقالت قلوب الناس كلهم عندي

(١) لم ترد هذه الترجمة في «ج» ، ولا في «الزيتونة» . ووردت فقط في الإسكودريال .

فَقَالَتْ كَفَانِي كَمَا لِحْنِي مِنْ عَيْدٍ
هُوَ وَيَ لَا تَشْكِي وَاصْبِرْ عَلَى أَلَمِ الصَّدِّ
لَأَجَلَ الَّذِي تَجْنِيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهَدِ
لَمَّا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَرَفِ الْحَمْدِ
كَرِيمُ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ

وَقُلْتُ أَجْعَلِينِي مِنْ عَيْدِكَ فِي الْهَوَى
إِذَا شِئْتَ أَنْ أَرْضَاكَ عَبْدًا مُتَّ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّحْلَ يُحْمِلُ ضَرْهَا
كَذَلِكَ بِذَلِكَ النَّفِيسَ سَهْلٌ لَذَى النَّهَى
أَلَسْتَ تَرَى أَزْجَاتَهُ طَالَمَا أَضَاعَ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

وَأَنْشُدْ فَدَيْتُكَ إِنْ حَلَّ فَوَادِي
فَأُشْرَحْ هُنَاكَ لَوَعَتِي وَسُهَايَ
أَرْبَ الْأَحِبَّةِ وَالْحَمَى وَالْوَادِي
فَانْزِلْ فَدَيْتُكَ قَدْ بَدَأَ إِسْعَادِي
بَانَ الْعُذَيْبِ وَنَوَّرَ حُسْنُهُ سَعَادِي
وَكَذَا الْهَلَالُ عِلَامَةُ الْأَعْيَادِ

عَرَّجَ عَلَى بَانَ الْعُذَيْبِ وَنَادَ
وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الْمَنَازِلِ بِالْحَمَى
إِيهِ فَدَيْتُكَ يَا نُسَيْمَةَ خَبْرِي
يَاسَعِدْ قَدْ بَانَ الْعُذَيْبِ وَبَانَهُ
خُذْ فِي الْبِشَارَةِ مَهْجَتِي يَوْمًا إِذَا
قَدْ صَحَّ عَيْدِي يَوْمَ أَبْعِرْ حَسَنَهَا

وَمَا نَقَلْنَاهُ مِنْ خَبَرِ قَيْدِهِ لَصَاحِبِنَا الْفَقِيهِ الْأَسْتَاذِ أَبِي عَلِيٍّ مَنْصُورِ الزَّوَاوِيِّ ،
وَمَا أَدْعَاهُ لِنَفْسِهِ :

وَلِي بِمَدَارِكِ الْمَجْدِ أَهْتَامُ
وَصَحْبَتِهِ مَعَشَرٌ بِالْمَجْدِ هَامُ
عَلَى رِقْمِ النُّجُومِ لَهَا مَقَامُ
كَمَا مَالَتْ بِشَارَتُهَا الْمَرَامُ
لَيْسَ مِنْ مَرَادِهِمُ الظَّلَامُ
فَدَعَزَمُوا الرَّحِيلَ فَقَدْ أَقَامُ

عَلَى لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ ذِمَامُ
وَأَحْسَنُ مَا لَدَى لِقَاءِ حُرٍّ
وَلِمَنِ حِينَ أَنْسَبَ مِنْ أَنْسَابِ
يَعْمَلُ بِهِمْ إِلَى الْمَجْدِ ارْتِيَا حُرٍّ
هُمْ لَبَسُوا أَدِيمَ الْقَيْلِ بُرْدًا
هُمْ جَعَلُوا مَثُونَ الْعَيْشِ أَرْضًا

وفي كل البلاد لنا مقام
 لنا مع كل ذى شرف زحام
 إذا ضلّت عن القَوْص السهام
 ولو أن النجوم لنا قِيَام
 فليس يُشِين مُؤَدَدَنَا مَلام
 سواء كان خِصْب أو حُطَام
 أثبتها فجاد بنا الفِـمَام
 مَلَاك أُمُورهم ولنا الكَلام
 ومِنَّا الأَيْث والبطل الهَام
 وميدان الحروب بنا يُقام
 سوانا يوم نازلة تَمَام
 وليس سوى اليراع لنا سهام
 بحيث الطُّرس لَبَات وهَام
 إليها فانتنت ولها انتـقـلـم
 أناس ليس يُعوزنا مَرام
 لَمَمَرُ أَيْك ما كَثُر الكَرام
 نعم فهناك للحرب ازدحام
 ليس على جوانبها انجسام
 حلال النُوم عندهم حَرام
 وكم سَهِروا إذا ما الناس نَام
 بأكرم منك إن عُدَّ الكَرام
 وأشجع منه إن هَزَّ الحَمام

فن كل البلاد لنا ارتحال
 وحَوَل موارد العلياء منها
 تصيب سهامُنا غَرَضُ المعالي
 وليس لنا من المجد اقتناع
 نُتَرَه عرضنا عن كل لَوَم
 ونبذل لا نقول العام ماذا
 إذا ما الحُلُ عَمَّ بلاد قوم
 وإن حضر الكرام في يدينا
 وفينا المُسْتشار بكل عِلْم
 فميدان الكلام لنا مداه
 كلا الأمرين ليس له يَقُوم
 يُريق دم المَدَاد بكل طِرس
 ونكتب بالثَّقَّة العوالى
 إذا عَبَسَتْ وجوه الدهر منا
 لقد عَلِمَتْ قلوب الرُّوم أنا
 وليس يُضِيرنا أنسا قليل
 إذا ما الرّاية الحمراء هُرَّت
 وما أحرَّت سَدَى بل من دِمَا
 تُظَلِّل من بنى نصر مُلوكا
 فكم قطعوا الدُّجى في وصل مجد
 أبا الحجاج لم تأت الليالى
 ولا سَحَلت ظهور الخيل أَمْضَى

وَأَتَى جَنَّتْ مِنْ شَرْقٍ لِقَرَبِ وَرُمْتُ بِي الزَّمَانُ كَمَا تُرَامِ
وَجُرِّبْتَ الْمُلُوكَ وَكُلَّ شَخْصٍ تَحَدَّثَ عَنْ مَكَارِمِهِ الْأَنَامِ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَكُمْ يَا آلَ نَصْرٍ جَمَالَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ الْمَظَامِ
وَمِنْهَا :

لَأَنْدَلِسَ بِكُمْ شَرَفٌ وَذِكْرُ تَوْذُّ بِلَوْغٍ أَدْنَاهُ الشَّامِ
سَمَى صَوْبُ الْغَامِ بِلَادِ قَوْمِ هُمْ فِي كُلِّ بَحْدَةٍ غَمَامِ
إِلَيْكَ بِهَا مَهْدَبَةُ الْمَعَانِي يَرِيْنَهَا ابْتِسَامِ وَانْتِظَامِ
لَهَا لَجْنَابِ مَجْدِكُمْ انْتِظَامِ طَوَافٌ فِي أَرْكَانِ الْإِلَامِ
نَجَزَتْ وَمَا كَادَتْ ، وَقَدْ وَطِئَ الْإِيْطَاءُ صُرُوحَكُمْ ، وَأَعْيَا الْإِكْثَارُ حَارِثَهَا
وَسَرَّوَجَهَا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ النَّجَاوِزِ بِفَضْلِهِ .

محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آثي

يكنى أبا عبد الله

حاله

شاعر مُفْلِقٌ ، وأديب شهير ، مُشار إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها ،
في الموسيقى ، مضطجع بفكُّ المَعْنَى . سكن أُلْمَرِيَّةَ ، واشتهر بمدح رؤسائها من بني
صَادِحٍ . وقال ابن بسام ، كان أبو عبد الله هذا ، شمسُ ظَهْرِيَّةَ ، وبمجرِ خَبَرِ
وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة ، وضُحِّ في طريق المعارف ، وضوح الصبح
المتلهلل ، وضرب فيها بمدح ابن مُقْبِلِ ، إلى جلالته مَقْطَعٌ ، وأصله مُنَزَّعٌ ، ترى
العلم ينمُّ على أشعاره ، ويتبين في منازعه وآثاره .

تواليفه

ديوان شعر كبير معروف . وله في العروض تصنيف ، مزج فيه بين الأنحاء^(١) للموسيقية^(٢) ، والآراء الجلييلة .

بعض أخباره

حدث بعض للمؤرخين ، مما يدل على ظرفه ، أنه فقد مسكناً^(٣) عزيزاً عليه ، وأحوجت^(٤) الحال إلى تكلف سلوة ، فلما حضر الندماء ، وكان قد رصد الخسوف بالقمر^(٥) ، فلما حقق أنه قد ابتداء ، أخذ العود وغنى :

شقيقك غيب في حده وتشرق يا بدّر من بعده

فهلّا خسفت وكان الخسوف حداداً لبيست على فقهه

وجعل يردّها ، ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك ، إلا واعترضه^(٦) الخسوف ، وعظم من الحاضرين التعجب . قال ، وكان مئى فى صباه بصية من الرّوم ، نصرانية ، ذهبت بلبّه وهواه ، تسمى نؤيرة ، افتضح^(٧) بها ، وكثر لسيبه .

شعره

قال فى الغرض المذكور :

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الأحان) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الذخيرة . وفى المخطوطين (الوصفية) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفع . وفى «ج» . وفى «الزيتونة» (مسكناً) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفع . ووردت فى المخطوطين (و احتاج) .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين . ووردت فى الإسكوريال (القمرى) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (واستعرضه) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (فدم) .

حديثك ما أحلى [فزيدى وحدتى] ^(١) عن الرثا الفرد الجمال المنث
[ولا نسأى] ^(٢) ذكر أذالذ كرمؤدى وإن بَثَّ الأشواق من كل مَبَث
وبالله فاروق خبل نفسى بقوله وفى عِقْدٍ [وَجَدَى] ^(٣) بالإعادة فابَث
أحقاً وقد صرَّحتُ ما بى أنه تَبَسَّم [كاللاهِ بنا المُنْعَبَث] ^(٤)
وأقسم بالإنجيل أنى شابق ^(٥) وناهيك دمي ^(٦) من مُحِقُّ مُحْنَتِ
ولا بد من قصى على التأسُّ قصتى عساه مُعِث المَدَنف المُنْعَوث
ولم يأتهم عيسى بدین قساوة فيقسو على بَنَى ويلهو بمكرث
وقلبى من حُلَى التجلُّد عاقل هوَى فى غزال الواديين المرعث
سيصبح ^(٧) سرى كالصبح مُشهرأ ويَمْنَى حديثى عُرْضة المتحدث ^(٨)
ويقرى بذكرى بين كأس وروضة ويشدو بشمرى فوق مَثَق ومثلث
ومن شعره فى الأمداح الصمادحية :

لعلك بالوادی المقدس شاطىء وكالعتبر الهندى ما أنت واطىء
وإنى فى ريتاك واجد عرُف ريجهم فروح الجوى بين الجوانح ناشىء
ولى فى الشرى من نارهم ومزارهم هداة حداة والنجوم طوافىء

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين وفى الذخيرة . وفى الإسكوريال (فزيدى وحدتى) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت محرفة فى المخطوطين (ولا تنسى من) .

(٣) الزيادة من الذخيرة .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة ومكانها بياض فى «ج» . وهذا البيت ساقط فى « الزيتونة » .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين وفى الإسكوريال . وفى الذخيرة (لما نن) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت فى المخطوطين (دمى) والأول أرجع .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والذخيرة . وفى المخطوطين (فيصبح) والأولى أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٨) هكذا فى المخطوطين والذخيرة . وفى الإسكوريال (للتحدث) .

لذلك ما حثت وكايي وحممت
 فهل هاجها ما هاجني أو لعلها
 رؤيداً فذا وادي لبيني وإنه
 مبادين تهبامي ومسرح ناظري
 ولا تحسبوا غيداً حثها مقاصر
 عرابي وأوحى سيرها المتباطيء
 إلى الوخذ من نيران وجدي لواحي
 لورد لباناتي وإني لظامي
 فلا شوق غايات لها ومباديء
 فتلك قلوب ضمنتها جأجي

ومنها :

عما ملة السلوان مبعث حسنه
 فكيف أرفي كلم طرفك في الحشا
 ومالي لا أسمى مراداً وهمّة
 وما أخرتني عن تناء مباديء
 ولسكنه الدهر المناقض فعله
 كأن زمامي إذ رآني جذيله
 فدأوت إعتاباً ودارأت عاتباً
 فالتقيت أعباء الزمان وأهله
 ولازمت سمّت الصمت لأعن مذامه
 ولولا علا الملك ابن ميم محمد
 لآله إلا أن فكري غائص
 تجاوز حد الوهم واللخط والمئي
 فكل إلى دين الصبابة صابى
 وليس لتمزيق المهتد رافى
 وقد كرمت نفس وطابت ضاغى
 ولا قصرت بي عن تباة^(١) مناشى
 فدوا الفضل منحط وذوا النقص نامى
 [يلابسنى منه]^(٢) عدو ممالى
 ولم يغنى أتي مدار مدارى
 فما أنا إلا بالحقائق عابى
 فلي منطق للسمع والقلب صابى
 لما برحت أصدافهن الآلى
 وعلى [ذوماء]^(٣) ونطاق شاطى
 وأعشى الحجا لألاؤه التلالى

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (تناء) مرة أخرى .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذخيرة (قلاني فل) والأول أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذخيرة (دأما) .

فتنمكس' الأبصار وهي حواسر' وتنقلب الأفسكار^(١) وهي خواسىء^(٢)
وقال من أخرى :

أقبلن في الخبرات ينصرن الخطا ويرين حُلل الواشين القطا
سرب الجوى لا الجوى عود حسنه أن يرتعى حب القلوب ويلقطا
مالت معاطفين من سكر الصبا ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
وبمستط الملمدين أوضح معلّم لمهفوف مسكن الحسا والمسنّنا
ما أخجل البدر المنير إذا مشى يختال وألحوظ النضير إذا خطا
ومنها في المدح .

يا وافدى شرق البلاد وغربها أكرمتا خيل الوفاة فاربطا
ورأيتا ملك البرية فاهنا ووردتما أرض المربة فاحططا
يدى نحمور الدارعين إذا ارتأى ويدلّ عزّ العالمين إذا سطّا^(٣)
وإحسانه كثير . دخل غرناطة ، ومن بنات عملها وطنه^(٤) رحمه الله .

محمد بن إبراهيم بن خيرة^(٥)

يكنى أبا القاسم . ويعرف بابن الموائعنى ، حرفة أبيه ، من أهل قرطبة .

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (الأبصار) مرة أخرى .

(٢) لم ترد من هذه القصيدة ، التي وردت كلها في الإسكوريال وفي الذخيرة ، في «ج» وفي

«الزيتونة» سوى البيتين الأولين .

(٣) ورد هذا الشعر في الإسكوريال . ولم يرد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٤) يقصد بها مدينة وادي آش ، وهي من أعمال ولاية غرناطة .

(٥) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

واستدعاه السيد أبو سعيد الوالى بغرناطة إليه ، فأقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، استكتبه أبو حفص ابن عبد المؤمن ، وحظي عنده حظوة عظيمة ، لصهر كان بينهما بوجه ما ، ونال فيه جاهاً عظيماً ، وثروة واسعة . وكان حسن الخط ، رايقه ، سلك فيه فى ابتدائه مسلك المتن أبى بكر بن خيرة .

مشيخته

روى عن أبى بكر بن عبد العزيز ، وابن العربى ، وأبى الحسن شريح ، ويونس بن مغيث ، وأبى عبد الله حفيد مكى ، وابن أبى الخصال ، وابن بقر .

تواليفه

له تصانيف تاريخية وأدبية منها « ربحان الآداب ، وريمان الشباب » لانظير له . والوشاح المفضل . وكتاب فى الأمثال السائرة . وكتاب فى الأدب ، نحافيه منحنى أبى عمر بن عبد البر فى « بهجة المجالس » .
توفى بمرأكش سنة أربع وستين وخمسمائة .

محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى^(١)

مُرْسَى الأصل ، غرناطى النشأة ، ما آتى الإسكان ، يكنى أبا عبد الله .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . ولم ترد فى « ج » ولا « الزيتونة » .

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله ، كاتباً أديباً ذكياً ، لو ذعياً ، يجيد الخط ، ويرسل النادرة ، ويقوم على العمل ، ويشارك في الفريضة . وبذل السباق في الأدب الهزلي المستعمل بالأندلس . عَمَرَ زماناً من عُمره ، محاوراً للفاقة ، يعالج بالأدب السكّدية ، ثم استقام له الميسم ، وأمكنه البخت من امتطاء غايه ، فأنشبت الخطوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر ، فأثرى ونما ماله ، وعظمت حاله ، وعهد عند ما شارف الرحيل ، بجملة تناهز الألف من العين ، لتُصرف في وجوه من البر ، فتوهم أنها [كانت] ^(١) زكاة امتسك بها .

وجرى ذكره في التاج بما نصه : مدير أكواس البيان المعنى ، ولعوب بأطراف الكلام المشقق ، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه ، فأبرز دُرَّ معانيه من أصدافه ، وجنى ثمرة الإبداع حين قطافه . ثم تجاوزه إلى المرَّب وتخطاه ، فأدار كأسه المترع وعاطاه ، فأصبح لفنِّه جامعا ، وفي فلكيه شهابا لامعا ، وله ذكاء يطير شرره ، وإدراك تبليج غوره ، وذهن يكشف الغوامض ، ويسبق الباق الوامض ، وعلى ذلاقة لسانه ، وانفساح أمد إحسانه ، فشديد الضمانة يشعره . مُغْلٍ لسِعره .

شعره

أخبرني السكاتب أبو عبد الله بن سلمة ، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله ، في رويته :

أَحْرَزَ الْخُصْلَ مِنْ بَنِي سَلْمَةَ كَاتِبٌ تَخْدُمُ الطُّبَا قَلَمَهُ
يَحْمِلُ الطَّرْسَ عَنْ أَنْامِلِهِ إِثَرُ الطَّرْسِ ^(٢) كَلِمَا رَقَهُ

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحسن) والأولى أرجح .

وَيْدُهُ الْبَيَانُ بِفِكْرِهِ مُرْسَلًا حَيْثُ يَمْتَدُّ دَيْمُهُ
 خَصَقَى مُتَحَفًا بِخَمْسٍ إِذَا بَسَمَ الرُّوضَ فَقَنَّ مُبْتَسِمُهُ
 قَلْتُ أَهْدَى زَهْرَ الرُّبَا خَصْلًا فَإِذَا كُلُّ زَهْرَةٍ كَلِمَةٌ
 أَقْسَمُ الْحُسْنَ لَا يَفَارِقُهَا فَأَبْرَأُ أَنْتَقَاؤَهَا قَسَمُهُ
 خَطَّ أَسْطَارَهَا وَنَمَقَهَا فَأَتَتْ كَالْمَقْصُودِ مَنَظْمَةُ
 كَاسِيًا مِنْ حِلَالِهِ لِي حُلَلًا رَسَمَهَا مِنْ بَدِيعِ مَارَسَمِهِ
 طَالِبًا عِنْدَ عَاطِشٍ نَهْلًا وَلَدِيهِ الْغِيُوثُ مُنْجِمَةُ
 يَبْتَغِي الشُّعْرَ مِنْ أَخِي بَلَّهْ أُخْرِسُ الْعَيْ وَالْقُصُورَ فَمَهْ
 أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي حَمِدَتْ (١) أَلْسُنُ الْمَسْحِ وَالْثَنَّا شِيمُهُ
 لَا تُكَلِّفْ أَخَاكَ مَقْتَرَحًا نَشْرَ عَارٍ لَدِيهِ قَدْ كَتَمَهُ
 وَابْقَ فِي عِزَّةٍ وَفِي دَعَا صَافِي الْعَيْشِ وَارِدَا شَبَعُهُ
 مَا تُثِي النَّصْنَ عَطْفُهُ طَرِبًا وَشَدَا الطَّيْرَ فَوْقَ نَفْعِهِ

مُشَيِّخُهُ

قَرَأَ عَلَى الْأَسْتَاذِ أَبِي جَعْفَرِ الزُّبَيْرِ ، وَالْخَطِيبِ أَبِي عَثْمَانَ بْنِ عَيْسَى .
 تَوَفَّى بِمَالِقَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِلْحَرَمِ عَامِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ،
 وَأَوْصَى بَعْدَ أَنْ حُفِرَ قَبْرُهُ ، بَيْنَ شَيْخِيهِ الْخَطَّابِيِّينَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِيِّ ،
 وَأَبِي عَثْمَانَ بْنِ عَيْسَى ، أَنْ يَدْفَنَ ، وَأَنْ يَكْتُبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

تَرْحَمُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَلْقٍ وَحِيَّهُ فَنَ حَقَّ مَيِّتٍ إِلَى تَسْلِيمِ حَيٍّ
 وَقُلْ آمَنَ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَائِفٍ لَتَفْرِيطُهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغِيَّهُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (حفظت) .

قد اختار هذا القبر في الأرض راجياً من الله تخفيفاً بقرب^(١) وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره ويشمل بالمعروف أهل نديه
وإني بفضل الله أوثق واثق وحسبي وإن أذنبتُ حبّ نبيه

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري^(٢)

من أهل ألمرية يدعى بالبيو، ويكنى أبا عبد الله

حاله

من الإكليل الزاهر^(٣)، شيخٌ أخلاقه لينة، ونفسه كما قيل هيئة، ينظم الشعر سهلاً مساهة، مُحْكماً اتِّساقه، على فاقة ما لها من إفاقة. أُنشد السلطان بظاهر بلده قوله:

سَرَتِمْ نَجْدَ مِنْ رَبِّي أَوْضَ بَابِلَ فَهَاجَتْ إِلَى مَسَرَى سَرَاهَا بِلَابِلِ
وَذَكَّرَنِي عَرَفُ النِّسَمِ الَّذِي سَرَى مَعَاهِدَ أَجْبَابِ سُرَاةِ أَفَاضِلِ
فَأَصْبَحْتُ مَشْغُوفًا بِذِكْرِ مَنَازِلَ أَلْفَتْ فَوَاشِقَ لَتَلِكِ الْمَنَازِلِ
فِيلَوِّحُ هُمِّي بِالْبَطَاحِ وَبِالرُّبَا وَمُرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَسَبْرِي بِجِسْمِي لِلْقَى الرُّوحِ عِنْدَهَا فَرُوحِي لَدَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ
وَقَوْلِي لَهَا عَنِّي مَعْنَاكَ بِالْهُوَى^(٤) لَهُ شَوْقٌ مَعْدُودٌ وَعَبْرَةٌ ثَاكِلٌ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (بقدر).

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة».

(٣) وعنوانه الكامل «الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الخواهر» من كتب ابن الخطيب

الصغيرة. وفيه يترجم لبعض أعلام معاصرة. وذلك بإيجاز وبأسلوب مسجع. وقد سبق التعريف به

عند استعراض كتب ابن الخطيب في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (بالهوى).

فيا بأبي هيفاء كالغصن تَدَفَّى بَقْدُ يَقْدُ كَادَ يَنْقَدُ مَايَلُ
 فتاة براها الله من فِتْنَةٍ فمن رآها ولم يُقَتِّنْ فليس بعاقِلُ
 لها مَنْظَرٌ كالشمس في رَوْنَقِ الضُّحَا ولحظُ كَحِيلٍ سَاحِرِ الطَّارِفِ بَابِلُ
 بطيب شَذَاها عَطَّرَتْ كُلَّ عَاطِرٍ كما بِحُلَاهَا زَيَّنَتْ كُلَّ عَاطِلٍ
 رَمَتْنِي بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِ جُفُونِهَا فصَادَفَ ذَاكَ السَّهْمُ مِنِّي مَقَانِلُ
 فَظَلِمْتُ غَرِيقًا فِي بَحَارِ مِنَ الْهَوَى وما الْحُبُّ إِلَّا تِلْجَةٌ دُونَ سَاحِلِ
 فَيَا مَنْ سَبَّتْ عَقْلِي وَأَفْنَتْ تَجَلُّدِي صِلَانِي فَإِنَّ الْبَعْدَ لَا شَكَّ قَاتِلُ
 فلي كَبِدْ شَوْقِي إِلَيْكَ تَفَطَّرَتْ وقلب بنيران الْجَوَى فِي مِشَاعِلِ
 وَلِي أَدْمَعُ تَحْكِي نَدَا كَفَّ يُوسُفُ أُمِيرِ الْعَالِي الْأَرْضِي الْجَمِيلِ الْفَضَائِلِ
 إِذَا مَدَّ بِالْجُودِ الْأَنَامِلُ لَمْ تَزَلْ بِحُورِ النَّدَى تَهْمِي بِتِلْكَ الْأَنَامِلِ
 ومن شعره قوله من قصيدة :

بَهَرَتْ كَشَمْسٍ فِي غُلَّالَةِ عَسْجَدٍ وَكَبَدَرٍ تَمَّ فِي قَضِيبِ زَبَرَجَدٍ
 نَمِ انْتَنَتْ كَالْغَصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا طَرَبًا قَتَزْدِي بِالْغُصُونِ الْمِيدِ
 حَوَرَاءَ بَارِعَةِ الْجَمَالِ غَرِيدَةً تَزْهِي قَتَزْدِي بِالْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ
 إِنْ أَذْبَرْتَ لَمْ تَبْقِ عَقْلٌ مَدْبُرٌ أَوْ أَقْبَلْتَ قَنْتَلْتُ وَلَكِنْ لَا تَدِرُ

تواليفه

قال شيخنا أبو البركات ، وأبطل باختصار كُتُبَ النَّاسِ ، فمن ذلك مختصره
 المسمى « بالدُرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجاء المرسومة » ، وكتاب
 في حكايات تسمى روضة الجنان ، وغير ذلك .

توفي في أواخر رمضان من عام تسعة وأربعين وسبعمائة ، ودخل غرناطة

غير مرة .

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
من أهل جزيرة شقر^(١)، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بأبن مَرَج الكُحْل

حاله

كان شاعراً مُفلقاً غزلاً^(٢)، باوع التوليد، رقيق الغزل. وقال الأستاذ أبو جعفر: كان شاعراً مطبوعاً، حسن الكفاية، ذا كراً للأدب، متصرفاً فيه. قال ابن عبد الملك: وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات، ظهرت فيها إجادته. وكان مُبتَذِل اللباس، على هيئة^(٣) أهل البادية، ويقال إنه كان أمياً.

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن الأتبار، وابن عسكر، وابن أبي البقاء، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة، وأبو الحسن الرعي.

شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشِيَّة نهر الغنْداق، خارج بلدنا لَوْشَة بنت الحُضْرَة، والمحسوب

(١) هي بلدة من أعمال شرق الأندلس «تقع شمال شاطبة بينها وبين بلنسية، على نهر شقر El Jucar»، وعلى مقربة من مصبه في بقعة في منتهى الحصب والنضرة، وقد كان إلى جانبها داخل مصب النهر الجزيرة الشهيرة في الشعر الأندلسي - جزيرة شقر - وهي التي اشتهرت بإنجائها رهطا كبيرا من العلماء. وبالاسبانية Alcira

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» والإسكوريال، وساقطة في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ. وفي الإسكوريال (أهل) وهو سهو ظاهر في تكرار نفس الكلمة.

من دخلها فقد دخل البيرة ، وقد قيل إن هذا النهر من أحواز بَرْجَة ، وهذا الخلاف داع إلى ذكره .

عَرَّجَ بِمُخَرَّجِ الْكَثِيبِ الْأَعْفَرِ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ السَّكُونِ
وَلَنَفْتِقِبَهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً مِنْ رَاحَتِي أَخْوَى الْمَرَاشِفِ أَحْوَرِ
وَعُشْيَةٌ قَدْ^(١) كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتُهَا سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ
[نَلْنَا بِهَا آمَالَنَا]^(٢) فِي رَوْضَةٍ تُهْدِي لَنَا بِشِقْهَا شَمِيمَ الْعَنْبَرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ نَدَمِ يَسْفَهُ رَأْيَهُ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بَغِيرُ تَكَلُّدِ
وَالْوُرُقُ تَسْدُو وَالْأَرَاكُ تُتَشَقَّى وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَيْصِ أَصْفَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ [مُفَضِّضٍ وَمُدْهَبٍ]^(٣) وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَمٍ وَمُدَنْرٍ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى بِمُصْنَدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْصَفِرِ
وَكُنَانُهُ وَكَأَنَّ خَضِرَةَ شَعَاهُ سَيْفٌ يَسِلُ عَلَى رِسَاطِ أَخْضَرِ
وَكُنَانُهُ^(٤) ذَاكَ الْجَلَابِ فِرْنَدُهُ مَهْمَا طَفَا فِي صَفْحَةٍ كَالْجَوْهَرِ^(٥)
وَكُنَانُهُ وَجْهَاتُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْأَسِّ وَالنُّعْمَانِ خَسَدُهُ مُعْدَّرُ
نَهْرٍ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهَمَّ وَيُجِيدُ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ
مَا أَصْفَرُ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لِفُرْقَةٍ حَسَنٍ ذَاكَ الْمَنْظَرُ
وَلَا خِفَاءَ بِبِرَاعَةِ هَذَا النَّظْمِ . وَقَالَ أَيْضًا :

(١) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال والنسخ (كم) والأول أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . ووردت في النسخ (قلنا بهذا مالنا) ، وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي المخطوطين (مذهب ومفضض) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» (وكان من) .

(٥) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» .

أرأت جفونك مثله من منظر^(١) ظلّ وشمس مثل خدّ مُمدّر
وهذا تميم عجيب لم يسبق إليه . ثم قال منها :

وقراءة^(٢) كالعشر بين خيلة سالت مذانبها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمضدل من يانع الأزهار أو بمضفر
أملُ بلفناه بهضب حديقة قد طرّزته يدُ الغمام المُطر
فكانه والزهر تاجُ فوقه مُلكٌ تجلّى في بساط أخضر^(٣)
راق النواظر منه رايقُ منظر يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد [خاطر خاطر]^(٤) مُستوفز وكَم استغزّ جماله من مُبصر
[لولا ح لي]^(٥) فيما تقدّم لم أقل عرجٌ بمنعرج السكيب الأعفر

قال أبو الحسن الرّعيني ، وانشدني لنفسه :

وعشيّة كانت قنيصة فتية ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فخوراً
شملتهم آدابهم فتجاذبوا سرّ الشرور محدثاً ومُهيخاً
والورقَ تقرأ سيرة الطرب التي يُنسيك منها ناسخاً منسوخاً
والنهر قد صفحت به نارنجية فتيممت من كان فيه مُنيخاً
فتخالهم حلل السماء كواكبا قد قارنت بسعودها المرثخا

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفع . وفي المخطوطين (إذا أجبناك مثله

منظر) . وهو تحريف

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع ، وفي المخطوطين (قراءة) .

(٣) هذا البيت ساقط في المخطوطين ، «ج» و «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي «ج» و «الزيتونة» (كم قاد خاصر مستوفر) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و «الزيتونة» والنفع . وفي «ج» (لولا ذلّي) .

خرق العوائد في السرور نهارهم فجملت أبياتي لهم ^(١) تاريخنا ^(٢)
ومن أبياته في البديهة :

وعندي من مراشفها حديث يُخبر أن ريقها مُدام
وفي أجفانها السكرى دليل وما ذُقنا ولا زعم الهام
تعالى الله ما أجرى دموعي إذا عنت لقلتي الخيام
وأشجاني إذا لاحت يروق وأطربني إذا غنت حمام
ومن قصيدة .

[عذيري من الآمال خابت قصودها ^(٣) ونالت جزيل الحظ منها الأخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم خولاً وماذ كرمع البخل ما كـ
يهون علينا أن يبيد أثائنا وتبقى علينا للكرمات الأثابت
وما ضرَّ أصلاً طيباً عدمُ الغنى إذا لم يغيره من الدهر حادث ^(٤)
وله يتشوق إلى أبي عمرو بن أبي غياث :

أبا عمرو متى تقضى الليالي بقلياكم وهن قصص ريشي
أبت نفسي هوى إلا شريشاً وما بعد الجزيرة من شريش
وله من قصيدة :

طفل المساء وللنسيم تضيع والأنس ينظم ^(٥) شملنا ويجمع

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (له) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال والنفع ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النفع . ووردت في الإسكوريال (قصورها) .

(٤) هذه الأبيات واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووردت في النفع (يجمع) .

والزهر يضحك من بكاء غمامة
والنهر من طرب بصق موجه
فانهم أبا عمران وأله بروضة
ياشادن البان الذي دون النقا
[الشمس يغرب نورها ولربما
إن غاب نور الشمس بتنا^(١) نمتق
أفلت فذاب سنالك عن إشراقها
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل
وقال :

ألا يشرروا بالصبح مني با كيا
ففي الصبح للصب المتيم راحة
ولا عجب أن يسك الصبح عبرتي
ومن بديع مقطوعاته قوله :

مثل الرزق الذي تطلبه
مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعا
فإذا وليت عنه أتبعك
وقال :

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملككم^(٥)
فأنتم على ما جاء في سورة النمل

- (١) هذا البيت ساقط في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووارد في النسخ .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال والنسخ (لسنا) . والأولى أرجح وأكثر تمثيا
مع السياق .
(٣) هذه الكلمة واردة في المخطوطين وفي النسخ ، وساقطة في الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . ووردت في المخطوطين (بكاء) .
(٥) هكذا وردت في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (بملكها) .

وبالعدل^(١) والإحسان لم تتخلقوا فأنتم على ما جاء في سورة النحل
وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهنور : رأيت لابن مرج السكحل مرّجاً أحمر
قد أجهد نفسه في خدمته فلم يُنْجِب ، قلت :

يا مرّج كُفِّلَ وَمِنْ هَذِي المروج له ما كان أحوج هذا المرج للسكحل
يا سُحرة الأرض من طيب ومن كَرَم فلا تكن طُعماً في رزقها العَجَل
فإنَّ من شأنها إخلاف آمِلها^(٢) فما تفارقها كَيْفِيَّة الخجل
فقال مجيباً بما نصه :

يا قاتلاً إذ رأى مرّجى وسُحرة ما كان أحوج هذا المرج للسكحل
هو احمرارُ دماء الرُّوم سَيَّلها بالبيض من مرٍّ من آبائي الأول
أحبته إنَّ مَنْ فُتنت به في سُحرة الخلد أو إخلافه أُملى
وفاته

توفي ببلده يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين
وسمّية ، ودفن في اليوم بعده .

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري
من أهل مرسية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الجنان
حاله

كان محدثاً راوية ، ضابطاً ، كاتباً بليغاً ، شاعراً بارعاً ، رابق الخط ،

(١) هكذا في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (وبالهدوء) .

(٢) هكذا في الإيسابوريال والنسخ . وفي المخطوطين (أماها) .

ديثنا فاضلا ، خيرا ، ز كيا . استكتبه بعض أمراء الأندلس ، فكان يتبرم من ذلك ، ويقلق^(١) منه . ثم خلّصه الله منه . وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القماء^(٢) ، حتى يظن رائيه إذا استدبره ، أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها . متناسب الخلقة ، لطيف الشايل ، وقورا . خرج من بلده ، حين تمسكن العدو من بيضته عام أربعين وسماية ، فاستقر بأوريو^(٣) ، إلى أن استدعاه إلى سبتة ، الرئيس بها ، أبو علي بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته ، وأجزل إفادته ، وحظي عنده حظوة تامة . ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقر ببجاية . وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ، ظهرت فيها براعته .

مشيخته

روى ببلده وغيرها عن أبي بكر عزيز بن خطّاب^(٤) ، وأبي الحسن بن سهل ابن مالك ، وابن قطّال ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي علي الشلوبين ، وغيرهم .

من روى عنه

روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل ، وأبو الحسن محمد بن رزّيق .

شعره

[قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وكان له في الزّهد ، ومدح النبي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و «ج» . وفي «الزيتونة» (يضيق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القامة) وهو تحريف .

(٣) أوريوله وبالإسبانية Orihuela من بلاد شرق الأندلس . تقع على نهر شقورة شمال شرق مرسية . وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دورا هاما ، وسقطت في أيدي الأراجونيين في سنة ١٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (ابن خاطب) وهو تحريف .

صلى الله عليه وسلم بدائع ، ونظم في المواعظ للذكّرين كثيرًا^(١) . فمن ذلك قوله
في توديع رمضان وليلة القدر :

مضى رمضان وكأنّ بك قد مضى	وغاب سنّاه بعد ما كان أوّما
فيا عهدّه ما كان أكرم ممّها	ويا عصره أعزّز على أن انقضا
ألم بنا كالطيف في الصيف زائرا	فحيم فينا ساعة ثم قوّضا
فيا ليت شعري إذ نوى غربة النوى	أي السخط عنا قد تولى أم الرضا
قضى الحقّ فينا بالفضيلة جاهدا	فأى فتى فينا له الحق قد قضا ^(٢)
وكم من يدٍ بيضاء أمدى لذي تُقى	بتوبته فيه الصحائف بيضا
وكم حُسنٍ قد زاده حُسنًا وسنى	محاه وبالإحسان والحُسن عوّضا
فله من شهرٍ كريم تفرّضت	مكاهمه إلّا أن كان أعرضا
نقى بينه وبين شجونك معلما	وفى إثره أرسل جنونك فيضا
وقفْ بُشَيّات ^(٣) الوداع فإنها	تُتمحّص مشتاقًا إليها وتُمحّضا
وإن قضيتَ قبل التفرّق وقفة	فمُقضّيتها من ليلة القدر ما قضا
فيا حُسنها من ليلة جلّ قدرها	وحضّ عليها الهاشمي وحرّضا
لعل بقايا الشهر وهى كريمة	تُبَيّن سرًّا للأواخر ^(٤) أغمضا
وقد كان أضفى وزده كى يفيضه	ولا كن تلاهى [من تلاهى] ^(٥) فقَيّضا
وقال اطلبوها تسعدوا بطلائها	فحرك أبواب القلوب وأنهدضا
جزى الله عنا أحمد الجزاء على	كرّم أضفاه بُردًا وفَضفضا

(١) وردت هذه الفقرة التي بين الخاصرتين في المخطوطين . ولم ترد في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (مضى) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بشانيات) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (في الاواخر) .

(٥) هكذا وردت الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (إثبات فيها) . وهى ساقطة في «ج»

وصلى عليه من نبي مبارك
له عزة أعلى من الشمس منزلا
له الذكري يهي فض مسك ختامه
عليه سلام الله ما انهل ساكب
ورؤوف رحيم للرسالة مرتضا
وعزته^(١) أوفى من السيف منقضا
تأرجح من ريتا فضايله الفضا
وذهب موثي الرياض وفضضا

ومن ذلك قصيدة في الحج :

[تذكر الذكري وتهيج اللواعجا
ركابا سرت بين العذيت وبارق
تيمن من وادي الأراك منازل
لهن من الأشواق حاد فإن
الاباء في تلك الركاب إذا سرت
براهم سواح أو مراهم فأصبحوا
لهم في مني أسنى المنا ولدى الصفا
سماهم طوف بيت طامح
فأبدوا من اللوعات ما كان كامنا
ولما دنوا نودوا هنيئا وأقبلوا
وقضوا بتقبيل الجدار ولثمه
إذا اعتنقوا تلك المسالم خلتهم
فله ركب يمشوا نحو مكة لقد
أناخوا بأرجاء الرجاء وعرسوا
فبشروا لهم كم خوؤوا من كرامة
فعالجن أشجانا يكاثرون عالجنا
نواييج في تلك الشعاب نواعجا
يطرنها إلا في الأراك سجاجا
وننت حدها يرجعن الحنين أهازجا
هوادي يملأن الغلاة هوادجا
رسوما على تلك الرسوم عوالجا
يرجون من أهل الصفا المناجحا
أراهم قبابا للعلى ومعارجا
وأذروا دموعا بل قلوبا مناضجا
إلى الركن من كل النجاج أدارجا
حقوقا تقضى للنفوس حوايجا
أساور في إيمانها وجهالجا
كروا قصدا وحلوا مناسجا
فأصبح كل ما برز التدح فالجا
فكانت لما قدموه نتايجا

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وعزمتنا) والاول أنسب للسياق .

بفتح بابٍ للقبول ولأرضاً
تَمَيَّزَ أَهْلُ السَّبْقِ لَا كُنْ غَيْرَهُمْ
أَيْلَحَقْ جِلْسُ للبيوت مَدَاهُمُ
أَلَا لَيْتَ شَمْرَى لِلضَّرُورَةِ هَلْ أُرَى
لَهُ اللَّهُ مِنْ ذِي كُرْبَةٍ لَيْسَ يُرْتَجَى
قَدْ أَسْهَمْتَ شَقًّى الْمَسَالِكِ دُونَهُ
يَخْضُ بِحَارِ الذَّنْبِ لَيْسَ يَهْتَبُهَا
جِبَانٌ إِذَا عَنَّ الْهُدَى وَإِذَا الْهُدَى
يَتِيهِ ضَلَالًا فِي غِيَابَةِ هَمِّهِ
فَوَاحِرْنَا لَاحَ الصَّبَاحِ الْمُبْصِرِ
لَعَلَّ شَفِيعِي أَنْ يَكُونَ مَعَا جَلَا
فَتِنْشِقُ بَيْتُ الْإِلَهِ نَوَاحِيَا
فَمَالِي لِإِمَاتِي سَوَى حُبِّ أَحْمَدَ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةِ
وَلَوْ أَنْصَفْتُ أَجْفَانَهُ حَقٌّ وَجَدَهُ

وَوَفَدُهُمْ أَضْحَى عَلَى الْبَابِ وَالْجَا
غَدَا هَمَجًا بَيْنَ الْخَلِيقَةِ هَامَجَا
وَلَمْ يَلْعَبْ فِي تِلْكَ الْمَدَارِجِ دَارَجَا
إِلَى اللَّهِ وَالْبَيْتِ الْمُحَجَّبِ خَارَجَا
لِمُرْتَجِيهَا يَوْمًا سِوَى اللَّهِ فَارَجَا
فَلَا نَهَجَ يَلْقَى فِيهِ اللَّهُ نَاهَجَا
وَيُضَعِّقُ دُعَاءَ مَنْ يَرَى الْبَحْرَ هَامَجَا
يَمْنٌ لَهُ كَانَ الْجَرَى الْمَهَارَجَا
فَلَا حَجَرَ تَهْدِيهِ لِرُشْدٍ وَلَا حِجَا
وَقَلْبِي لَمْ يُبْصِرْ سِوَى اللَّيْلِ إِذْ سَجَا
لِدَاءِ ذُنُوبٍ بِالشِّفَاءِ مُعَا جَا
وَيُعْبِقُ لِي قَبْرِ النَّبِيِّ نَوَاحِيَا
وَصَلَّتْ لَهُ مِنْ قَرَبِ قَلْبِي وَشَايَا
حَلِيمٍ شَجًّا يَكْنَى مِنَ الْبَعْدِ نَاشَا
سَفَسَكَتْ دِمَالًا لِمَوْعٍ مَوَازِجَا^(١)

كُتَابَتُهُ

وَكُتَابَتُهُ شَهِيرَةٌ ، تُضْرَبُ بِذِكْرِهِ فِيهَا الْأَمْثَالُ ، وَتُطَوَّى عَلَيْهِ الْخُفَاصِرُ .
قَالُوا ، لَمَّا عَقَرَهُ^(٢) أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ [بْنُ هُوْدَ]^(٣)
الْبَيْعَةُ لِابْنِهِ الْوَاقِ بِالْإِمَارَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، تَوَلَّى إِشْأَاءَهَا . وَجَعَلَ الْحَاءَ الْمُهْمَلَةَ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ فَقَطْ ، وَلَمْ تُرَدِّدْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ «ج» وَ«الزَيْتُونَةِ» .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الْمَخْطُوطَيْنِ (جَعَلَ) .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَّالِ .

سَجَّعَهَا مُرْدَفًا إِيَّاهَا بِالْأَلْفِ ، نَحْوُ صَبَاحًا وَصَلَاحًا^(١) ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ : طَالَ
مَجْمُوعُهَا فَنَاهَزَتْ الْأَرْبَعِينَ . وَطَلَبَ مَسْمَعُهَا^(٢) ، فَأَحْرَزَتْ بَغْيَةَ الْمُسْتَمَعِّينَ :
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ ، رِسَالَتَهُ الشَّهِيرَةَ ، يَدَاعِبُهُ فِي ذَلِكَ . وَهِيَ
الَّتِي أَوَّلُهَا :

« تَحِييُكَ الْأَقْلَامُ نَحِيَّةً كَيْسَرِي ، وَتَقِفُ دُونَ مَدَاكِ حَسْرِي » . وَمِنْهَا
فِي الْغَرَضِ : « وَمَالِكُ أَمِنَتْ تَغْيِيرَ الْحَالَاتِ^(٣) ، فَشَنَنْتُ غَاوَتَكَ عَلَى الْحَامَاتِ ،
وَنَفَضْتُ عَنْهَا الْمَهَارِقَ : وَبَعَثْتُ فِي طَلِبِهَا السَّوَابِقَ ، وَلَفَظْتُهَا مِنَ الْأَنْوَاءِ ، وَطَلَبْتُهَا
بَيْنَ الشُّفَاهِ ، حَتَّى شَهِدَ أَهْلُ اللِّسَانِ^(٤) ، بِتَرْحُزِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَتَوَارَتْ
بِالْخُلُوقِ . وَلَوْ تَغْلَغَلْتُ إِلَى الْعُرُوقِ ، لَأَتَرْتُهَا جِيَاذُكَ ، وَاقْتَنَصْتُهَا قَدَمُكَ وَمِدادُكَ »
[وَهِيَ طَوِيلَةٌ]^(٥)

فَرَاغَهُ^(٦) بِقَوْلِهِ : « مَا هَذِهِ النَّحِيَّةُ الْكَيْسَرِيَّةُ ، وَمَا هَذَا الرَّأْيُ ، وَمَا هَذِهِ
الرُّوْيَةُ ، [أَتُنْكِيتُ مِنَ الْأَقْلَامِ ، أَمْ تَنْبِكِيْتُ مِنَ الْأَعْلَامِ ، أَمْ كَلَّا الْأَمْرَيْنِ
تُوجِّهُ الْقَصْدَ إِلَيْهِ]^(٧) وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْأَفْعِدَى بِالْقَلَمِ ،
يَتَسَامَى عَنْ عَكْسِهِ ، وَيَتَرَامَى إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ بِنَفْسِهِ ، فَتَى لَأَنْتَ أَنْأَيْبُهُ لِلْعَاجِمِ ،
وَدَانَتْ أَعَارُ بِهِ^(٨) بَدِينِ الْأَعَاجِمِ . وَاعْجَبْنَا لَقَدْ اسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ ، وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ

(١) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَفَلَاحًا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (مَسْمُوعَهَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْحَارَاتِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطَيْنِ (الشَّانِ) .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَالِ .

(٦) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (فَاجَابَهُ) .

(٧) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارْدٌ فِي «ح» وَالْإِسْكُورِيَالِ . وَسَاقَطٌ فِي «الزِّيْتُونَةِ» .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي «ح» . وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (إِعْرَابُهُ) .

والعمل . لأمر ما جَدَعَ أَنفَهُ قَصِيرٌ ، وارتد على عقبه الأعمى ^(١) أبو بصير . أمسُ
استسقى من سحابه ، فلا يُسْقِيَنِي ، واستشفى بأسمائه فلا يُشْفِيَنِي . واليوم يُحِلُّنِي
محلُّ أنو شروان ، ويشكو في شكوى الزيدية من بنى مروان ، ويزعم أني
أبطلت سحره ، كما أبطل سحرُ بردوران ، ويخفي في نفسه ما الله مُبْدِيهِ ،
ويستجدي بالأثر ^(٢) ما عند مُسْتَجْدِيهِ . فمن أين جاءت هذه الطريقة المُتَّبَعَةُ ،
والطريقة المُتَّبَعَةُ ، أيظن أن مُعَمَّاه لا يُفَكُّ ، وأنه لا يتجلى هذا الشك . هل
هذا ^(٣) منه إلا إمحاض النية ، وإمحاض تَفَنِّيَةِ ، ونشوة من نخرة الهزل ، ونخوة
من ذى ولاية آمين العزل . تالله لولا محلُّ من القَسَمِ ، وفضله في تعليم النَّسَمِ ،
لأسمعت ما ينفذ طلع به صلفه ، وأودعته ما ينصدع به صدقه ، وأشدت بشرف
المشرق ومجده ، وأشرت إلى تعاليه عن اللعب بمجده . ولكن هو القلم الأول ،
قوله على أحسن الوجوه يتأول ^(٤) ، ومعدود في تهذيبه ، كلُّ ما لسانه يهذي به .
وما أنسانيه ^(٥) إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ^(٦) ، وأما أقول ليت النحية
كانت لي فأشكرها ، ولا عتب إلا على الحاء ، المبرحة بالبرحاء ، فهي التي
قيمت قياتي في الأندية ، وقامت على قيام المعتدية ، يتظلم وهو عين الظالم ،
ويُلبِن القول ، وتحت سُمِّ الأراقم ، ولعمري البراعة وما نصمت ، والبراعة وما
صنعت ، ما خامرني هواها ، ولا كلفت بها دون سواها . ولقد عرّضت نفسها
على مراوا ، فأعرّضت عنها أזורاراً ، ودفعها عنى بكل وجه ، تارة بلطف ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بالأسد) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذلك) .

(٤) وردت في المخطوطين (يتأمل) والتصويب من الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (أنساني) .

(٦) وردت في المخطوطين (أذكره) والتصويب من الإسكوريال .

وأخرى بنجه، وخفتُ منها السّامة، وقلت انكحى أسامة. فرضيت منها بأبي جهنم وسوء سلكته، وابن أبي سفيان وصعّلكته، وكانت أسرع من أمّ خاوجة للخطبة، وأسمج من سجاح في استمنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عثرتها، واستنقال الاجتماع من عثرتها^(١). وأرى من الغبن والسّفاه^(٢) [أخذها، وترك بنات الأفواه والشّفاه]^(٣) إذ هي أيسر مؤنة؛ وأكثر معونة. فغلطى فيها، أن كانت بمنزل تنوارى صوّناً عن الشمس، ومن نسوة خفّرات لا ينطقن إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنّان للكفّ، والعنان للوكف، والمعنى للإسم، والمعنى للرّسم، والظلّ للشخص، والمستبدل للنص. فما عرفت منها إلا خبراً^(٤) أوضاه [حتى حسبتها]^(٥) من الحافظات للغيّب بما حفظ الله؛ فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، ونشّرت فندشرت ما استكتمها بعلمها، واضطربت [في رأيها]^(٦) اضطراب المختار أبي عبيد، وضربت في الأرض تسعى على بكل مكسر وكيد، وزعمت أن حرف الجيم خدعها، والآن أخذعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور، فقد جاءت إفكاً وزوراً، وكثرت من أمرها شذوراً، وكانت كالقوس أرنّت وقد أصمت القنيص والمرادة، قالت ما جزاء، وهي التي قدّت التميميص، وربما يُظن بها الصدق، وظنّ الغيب

(١) هكذا ورد ترتيب هاتين الكلمتين في المخطوطين. وفي الإسكوريال (عثرتها ... عثرتها).

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (والسافة). وفي الإسكوريال (السفه) والأولى أكثر تمثيلاً مع السياق.

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال. وساقط في المخطوطين.

(٤) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال (خيلاً). والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (وحسبتها).

(٦) هذه العبارة وردة في المخطوطين. وساقطة في الإسكوريال.

ترجم ، ويقال [لقد خُفِضَ الحاء . بالمجاورة لهذا الأمر الجسيم] ^(١) ، وتنتصر لها أختها ^(٢) التي خيَّمت بين النرجسة والزَّيْجانة ، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم [نبي على الله سبحانه] ^(٣) ، فإن امتنعَتَ لهذه المنظَّمة ، تلك التي سبقت بكلمتها بشاره المتكلمة ، فأنا ألوذ بعدها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن تقضى قضاء مثلها ، وتعمل بقتضى : فابعثوا حَكَمًا من أهله ، وحكما من أهلها . على أن هذه التي قد أبدت مِئْناها ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، أن قال الحكمان منها كان النشور ، عادت حرورية المعجوز ، وقالت التحكيم في دين الله لا يجوز ، فعند ذلك يُخصِّص الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب أروى ، من دعوة سعيدة حين الدعوى ، ويأويحها أن أرادت [أن تجنى على فجنت لى ، وأناخت] ^(٤) لى مرَّ كَب ^(٥) السعادة ، وما ابتغت إلا ختلى ، فأتى شرها بالخير ، وجاء النفع من طريق ذلك الضير . أتراها علمت بما يثيره اعوجاجها ، وينجلي عنه عجاجها . فقد أفادت عظيم الفوائد ، ونظيم الفرايد ، ونفس الفخر ، ونفيس الذخر ^(٦) ، وهى لا تنكر ^(٧) أن كانت من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم للملاحة والسباب . وإنما يستوجب الشكر جسيماً ، ، والثناء الذى يتضوع نسباً ، الذى شرف إذ أهدى أشرف السجاءات ^(٨) ، وعرف بما كان من انتحاء تلك

-
- (١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (لقد حفظت الحوار بالحوار) .
 وفي الإسكوريال (لقد خفِضت بالمجاورة هذا الجيم) .
 (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وسقطت في «ج» .
 (٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» والإسكوريال .
 (٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
 (٥) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (موكب) .
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال و «الزيتونة» . وفي «ج» (الدر) .
 (٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (تشكر) .
 (٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (السجلات) .

الحاء المذمومة في الحاءات ، فإنه وإن لم بالفكاهة ، فما أملى من البدهاة ،
وسمى باسم السابق الشكيت ، وكان من أمر مداعبته كَيْت وكَيْت ،
[وتلاعب بالصفات] ^(١) ، تلاعب السَّيل ^(٢) بالصفة ، والصبا بالبانة ، والصبا
بالعاشق ذى اللبانة ، فقد أغرب بفنونه ، وأغرى القلوب ^(٣) بفتونه ،
ونفث بجمته ^(٤) الأطراف ، وعبث من الكلام المُشَقَّ الأطراف ، وعلم
كيف يُلْخَصُّ البيان ، ويُخْلَصُّ العقيان . فمن الحق أن أشكره على إباديه
البيض ، وأن آخذ لفظه من معناه في طرف النقيض . تالله أيها الإمام الأكبر ،
والغمام المُستَطر ، والخبر الذى يُشْفَى سايله ، والبحر الذى لا يرى ساحله ،
ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصل النور لهذا الحلك ، وصح أن
يُقاس ، بين الحداد والملك . إنه لتواضع الأعزَّة : [وما يكون للأ كلام عند
المكلام من العزَّة] ^(٥) ^(٦) ، وتحريض الشيخ للتلميذ ، فى إجازة الوضوء
بالنبيذ . ولو حضر الذى قضى له بجانب الغربى أمرُ البلاغة ، وارتضى
ماله فى هذه الصناعة ، من حُسْن السبك لخليتها والصياغة ، وأطاعته فيها أطلعت
طاعة القوافى الحسان ، وأتبعته فيها جمعته لكن بغير إحسان لأذعن كما أذعنّت ،
وظعن عن محل دعوى ^(٧) الإجادة ، كما ظعنّت . وأنى يُضاهى الفرات للمعين ^(٨)
بالنغمة ، ويباهى بالفلوس من أوقى من السكنوز ما أن مفاتيحه لتنوء بالعصبة ، وأى

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (وتلاعبت الصفات) .

(٢) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (القلب) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (تخفيه) .

(٥) وردت فى الإسكوريال «ج» (الهزة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . «الزيتونة» . وفى «ج» (وما يكون عند

الكرام من الهزة)

(٧) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى «ج» .

حفظاً للكلالة في النّشب ، وقد اتصل للورثة عود النّسب . هيهات والله بُعد^(١)
المطلب : وشتان الدرّ والخشب . وقد سيم القلب ، ورجع إلى قيادة السلب ،
وإن كنا ممن تقدم لشدة الظما إلى المنهل ، وكن أقدم إلى عين تبوك بعد النهي
للعل والنهل^(٢) . فقد ظهرت بذلك المعجزة عياناً ، ولى ما هناك جناناً ، وما
تعرّضنا بإساعة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشراب ساق القوم ، وإن
أسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن أعرقنا فهو أنا في الحجاز ، فلم
قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجلونا
من الفقر في فقر^(٣) . وذلة . ومن لنا بواحدة يُشرق ضياؤها ، ويخفى للنجوم خجلها
منها وحيائها ، إن لم تطل فلائها للفروع كالأصل ، وفي المجموع كليلة الوصل .
فلو سطع^(٤) نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لَسَجَدت
النيران ليوسف ذلك الجمال ، ووجدت نَفحات رِيّها في أعطاف الجنوب والشمال ،
وأسرعت نحوها النفوس إسرَاع الحَجِيج يوم النَفَر ، وسار خبرها^(٥) وسرى ، فصار
حديث المُقيمين والسفر . وما أظن تلك السّاخرة في تدائسها ، إلا السّاخرة بَجَسَّيْها ،
إذ كانت رِيْبَتُها ، بل ويثتها ، هذه التي سَبَقْتَنِي لما سَقَتَنِي بسينها ، ووجدتُ
ريحها ، لما فَصَلت من مصرها غيرها . وحين وصلت ، لم يداني على سابقها^(٦)
إلا عَبيْرُها ، وكَم رامت أن تَسْتَر عني بَلِيل حَبَرِها في هذه المفاني . فأغراني
بهاؤها^(٧) ، وكل مُترَم مُترى ببياض صُبُح الألفاظ والمعاني . وهل كان ينفعها

(١) واردة في «الزيتونة» . وساقطة في الإسكوريال و«ج» .

(٢) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (قطع) والأولى أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (حديثها) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (سارها) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (ها) . وساقطة في «الزيتونة» .

تَلْفَحُهَا بِمِرْطِهَا وتَلْفَعُهَا ، إِذْ نَادَتْهَا الْمَوْدَةُ ، قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سَوْدَةَ . فَأَقْبَلَتْ عَلَى شَمِّ أَنْثَرِهَا ، وَعَرَفَهَا وَلَمْ سَطَرَهَا وَحَرَفَهَا ، وَقَرَّتْهَا ^(١) الثَّنَاءُ الْحَافِلُ ، وَقَرَّاتُهَا فَرُيِّنَتْ بِهَا الْحَاضِرُ وَالْحَافِلُ . وَرُمَتْ أَمْرَ الْجَوَابِ ، فَمَزَّتْنِي فِي الْخُطَابِ ، لَكِنْ رَسَمْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الَّتِي هِيَ لَدَيْكُمْ بَعَجَزِي وَاشِيَّةً : وَإِلَيْكُمْ مِنِّي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ مَاشِيَّةٍ ، وَإِنْ رَقَّ وَجْهَهَا فَمَارَقَتْ لَهَا حَاشِيَةً ، فَمُنُوا بِقَبُولِهَا عَلَى عِلَّاتِهَا ^(٢) ، وَانْقَعُوا بِمَاءِ سَمَاحَتِكُمْ حَرًّا غُلِّمَهَا ، فَإِنَّهَا وَافِدَةٌ مِنْ اسْتَقَرَّ قَلْبُهُ عِنْدَكُمْ وَثَوَى ، وَأَقْرَبُ بَأَنَّهُ يَلْقُطُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا يُلْقَى لِلْمَسَاكِينِ مِنَ النَّوَى . بَقِيَّتُمْ ، سَيِّدِي الْأَعْلَى لِلْفَضْلِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَدَمَتُمْ غُرَّةً فِي جَبِينِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَاقْتَضَيْتُمْ السَّعَادَةَ الْمُتَّصِلَةَ مَدَّةَ الْإِقْتِضَاءِ ، يَبْلُغُنِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ . انْتَهَى .

ومحاسنه عديدة ، وأماذه بعيدة .

دخوله غرناطة

دخلها مع المتوكل مخدومه ، أَوْ وَجَدَهُ بِهَا .

من روى عنه : روى عن أبي الحسن سهل بن مالك .

وفاته

قال الأستاذ في الصلة : انتقل إلى بجاية فتوفي بها في عَشْرِ [الْحُسَيْنِ] ^(٣)

وسمائه .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وزودتها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (علها) .

(٣) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي^(١)

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله . من وجوه بلده وأعيانه ، نشأ نبه البيت ،
ساجباً بنفسه وبماله ذيل الخطوة ، متحلياً بنخصل من خط وأدب . وزيراً ، متجنداً ،
ظريفاً ، درياً على ركوب البحر وقيادة الأساطيل . ثم انحط في هواه انحطاطاً ،
أضاع مروءته ، واستهلك عقاره ، وهدّ بيته ، وألجأه أخيراً إلى اللحاق بالمدنوة
فهلك بها .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : مجموع شعر وخط ، وذكاه عن درجة
الظرفاء ، غير منحط إلى مجادة أثيلة البيت ، شهيرة الحى والميت . نشأ في حجر
الترف والنعمة ، محفوقاً بالمالية الجمة ، فلما غفل عن ذاته ، وترعرع بين لذاته ،
أجرى خيول لذاته ، فلم يدع منها ربماً إلا أفقره ، ولا عقاراً إلا عقره ، حتى حط
بساحلها ، واستولى بسير^(٢) الإنفاق على جميع مراحلها ، إلا أنه خلص بنفس
طيبة ، وسراوة سماؤها صيبة ، وتمتع ما شاء من زير وبم ، وتأنس لا يعطى
القياد لهم . وفى عفو الله سعة ، وليس مع التوكل على الله ضعة .

شعره —

من شعره [قوله]^(٣) يمدح السلطان ، وأنشدها إياه بالمضارب من وادى
الغيران عند قدومه من ألمرية

(١) وردت هذه الترجمة فقط فى الإسكوريال ، ولم ترد فى «ج» ، ولا «الزيتونة» . ويبدو
من لقب هذا الشاعر وهو شلبطور — وبالإسبانية Salvador — أنه ينتمى إلى أصل من المولدين ،
أعنى الإسيان الذين دخلوا فى الإسلام ، منذ فتح الأندلس . وينتمى إلى هؤلاء المولدين كثير من أعلام
الأدب والتفكير الأندلسي .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى فتح الطليط (سنة) .

(٣) الزيادة من النسخ .

أَتَرْكُ أَمْ سَحَطُ مِنَ الدَّرِّ يُنْظَمُ
وَوَجْهُكَ أَمْ بَادٍ مِنَ الصُّبْحِ نَيْرُ
[أَعْلَلُ مِنْكَ النَّفْسَ وَالْوَجْدُ مُتَلَفٍ] (١)
وَأَنْفَعُ مِنْ طَئِيفِ الْخِيَالِ يَزُورُنِي (٢)
حَمَلْتُ الْهَوَى حِينًا فَلَمَّا عَلِمَتْهُ
وَلِي فِي أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّةُ
بَلَغَتْ الْمُنَى لَمَّا لَدَّمْتُ يَمِينَهُ
يَصُوغُ قَوْمِي الشُّمْرُ فِي طَيْبِ ذِكْرِهِ
فَاسْتَمْسَكَ الدِّينَ الْخَنيفَ زَمَانَهُ
لَهُ نَظَرٌ فِي الْمَشْكَلاتِ مُؤِيدُ
وَيَسْتَفِرُقُ طَارِحًا فِيهِ وَابِلُ جُودِهِ
فَلَوْ أَنَّ أَمْلَاقَ الْبَسِيطَةِ أَنْصَفُوا
وَفِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَفِي الْبَأْسِ وَالنَّدَى
وَمِنْهَا:

إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ اقْتَضَيْتُهَا
تَنْمُ بَعْرِفُ الْمَسْكَ أَنْفَاسَهَا
فَبِأَمْرِكَ سَيَّرْتُ فِي الْمَسَامِعِ ذِكْرَهَا
وَلَوْ أَنَّي فِي الْمَدْحِ سَجْبَانُ وَائِلُ
لَمَّا كُنْتُ إِلَّا عَنْ عُلَاكَ مُقْتَصِرُ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالآتي (اعلل منك الوجد والليل ملتق) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مؤل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يزورة) .

بَقِيتَ مَلَذًا لِلْأَنَامِ وَرَحْمَةً
وَمِنْ شَمَرِهِ مَذِيلًا عَلَى الْبَيْتِ الْآخِرِ حَسْبَا نُسَبُّ إِلَيْهِ :

نَامَتْ جَفَوْنُكَ يَا سَوْلى وَلَمْ أَنْمِ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا بَى مِنْ مَحَبَّتِكُمْ
إِنْ كَانَ مَقْلُكَ دُمَى أَقْصَى مُرَادِكُمْ
وَمَا نُسَبُّ إِلَيْهِ كَذَلِكَ :

قِفْ بَى وَنَادِ بَيْنَ تِلْكَ الطُّلُولِ
أَيْنَ لِيَالِنَا بِهِمْ وَلِئِنِّ
لَا حَمْلُوا بَعْضَ الَّذِى حَمَلُوا
إِنْ غِيبْتُمْ يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَنِّ
وَمَا خَاطَبْنِى بِهِ :

تَاللَّهِ مَا أَوْزَى زِنَادَ الْقَلْقِ
أَيَقَنْتَ بِالْحَيْنِ فَلَوْلَا نَفْحَةٌ
لَكُنْتُ أَقْصَى بِنَظْئِ زَفَرَةٍ
فَأَهْ مِنْ هَوْلِ النَّوَى وَمَا جَنِّ
يَا حَاكِي الْغُضَنِ انْثَنَى مُتَوَجًّا
اللَّهُ فِى نَفْسٍ مُمَيِّى أَقْصَدَتْ

سَوَى رِيحٍ (٣) لَاحِ لَى بِالْأَبْرَقِ
تَجْدِيَّةٌ مِنْكُمْ ثَلَاثٌ رَمَقٌ (٤)
وَحَسْرَةٌ بَيْنَ الدَّمُوعِ تَلْتَقُ (٤)
عَلَى الْقُلُوبِ مَوْقِفَ النَّفْرِ
بِالْبَدْرِ تَحْتَ لَمَةٍ مِنْ غَسَقِ
مَنْ لَاعَجَ الشُّوقُ بِمَا لَمْ تُطَقْ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (والسقم) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الأم) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (بريق) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (رمق ، نلتق) .

أتى على أكثرها بَرَحُ الأسي
ولو بالمسام خيال في السكرى
فَرُبَّ زورٍ من خيالٍ زائرٍ
شُفيت من بَرَحِ الأسي لو أن مَنْ
فنى مُعاماة الليالى عائق
وفى ضمان ما يعانى المرء من
هذا العَمَرى مع أنى لم أبت
فقد أخذت من خُطوب غَدَها (١)
فخر الوزارة الذى ما مثله
ومذ أوانيه زمانه لم أبل
لا سيما مذ حَطَطْتُ فى حِما
أيقنت أنى فى رجائى (٢) لم أخب
نُدب له فى كل حُسْنِ آية
فى وجهه مَسْحَة بِشْرِ إن بدت
تُعتبر الأبصار فى لألئها (٣)
كالدهر فى استينائه وبطشه
إن بخل الغيث استهلَّت يده
وإن وشت صفحة طُرس انجلا

دع ما مضى منها وأدرك ما بقى (١)
إن ساعد الجفن رقيب الأرق
أقر عيني وإن لم يَضِدُق
أصبح رقى فى يديه مُعْتَق (٢)
عن النصابي وفنون القلق
نوايب الدهر مَشِيب المَفرق
منها بشكوى رَوْعة أو فَرَق
بابن الخطيب إلا من مما أُنق (٣)
بدرّ علا فى مغرب أو مشرق
من صَرفه من مُرْعَد أو مُبرق
جواره (٤) الأَمْع رَخل أَيْتَق
وأن مسمى بَغيتى لم يَخْفَق
تَناسَبَتْ فى الخَلْق أو الخُلُق
تَبَهَّرَجَتْ أنوار شمس الأفق
عليه من نور السَماح المَشْرِق
كالسيف فى حُدِّ الطَّبَا والرَّيْثِ
بوابل من غيث جُودِ غَدِيق
ليل دُجاها عن سَنَى مُوتَلِق

(١) هكذا وردت كلها فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ كالأتى (بقى ، معتنى ، اتق ، أيتق) .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . ووردت فى الإسكوريال (دهرها) والأول أنسب للمعنى .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ (مقامه) .

(٤) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (رجا) .

(د) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (الألاما) .

بمنلها من حَبَرَات أَخْجَلَتْ حواشي الرُّوضِ خُدود المَهْرَقِ
 ماراق في الأذان أَشْناف مَيَّوَى مَلْتَقِطَات لَفْظِهِ الْمُفْتَرَقِ
 تود أجياد الغواني أَنْ يُرى حَلْبُهَا مِنْ دُرٍّ ذَاكَ الْمَنْطَقِ
 فَسَلَّ بِهِ هَلْ آدَهُ الْأَمْرُ الَّذِي كَحَلٍّ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ الْمَوْتِ
 إِذَا رَأَى الرَّأْيَ فَلَا يَخْطِئُهُ يُبَيِّنُ اخْتِيَارَ الطَّرِيقِ الْأَوْفَقِ
 أَيْهَ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ هَا كَمَا عِذْرَاءُ تَحْشَوْنَ فِي وَجْهِهِ السَّبَقِ
 خَذَا إِلَيْكَ بِكَرٍّ فِكْرٌ يَزْدَوِي لَدَيْكَ بِالْأَعْنَى لَدَى الْخَلْقِ
 لَازَلْتُ مَرْهُوبَ الْجَنَابِ مُرْتَجِيٍّ مَوْصُولَ عِزٍّ فِي سَعْوِدٍ تَرْتَقِ
 مُبْلَغُ الْأَمَالِ فِيمَا تَبْنَعِي مُؤَمِّنُ الْأَغْرَاضِ فِيمَا تَنْتَقِ
 نَابَ فِي الْقِيَادَةِ الْبَحْرِيَّةِ عَنْ خَالِهِ الْقَائِدِ أَبِي عَلِيٍّ الرَّثْدَاحِيِّ ، وَوُلَى أَسْطُولَ
 الْمُنْكَبِ بِرَهَةِ . تَوَفَّى بِمِرَاكَشٍ فِي عَامِ خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَحَمَاهُ اللَّهُ .

محمد بن محمد بن جعفر بن مُشْتَمِلِ الْأَسْلَمِيِّ (١)

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالبلياني .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، ناب عني في بعض الأعمال بالمرية ، وخطب بنحائس من غريبها ، ثم خطب بجمعة مُرْشَانَةٍ ، وهو الآن بها ، وعقد الشروط قبل بالمرية . عفيفٌ طاهر الذَّيْلُ ، نبيل الأغراض ، مهذب الأخلاق ، قِيمٌ على القراءات ،

(١) . وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا في «الترجمة» .

والنحو والأدب ، جَيِّدُ الشعر والكتابة (١) من الضبط ، وإجادة
العبارة عن المعنى المراد .

تواليفه

قال ، له رَجَزٌ في علم الكلام جيد ، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب ، عَرِيَ
عن الحشو ، على تَقَعِيرٍ فيه يُغْتَفَرُ لما جمع من اقتصاره ، وله تأليف في الوبا سماه
بإصلاح النية في المسئلة الطاعونية .

مشيخته

قال ، أخذ عني وعن أبيه جملة من الدواوين ، وعن غيري من أهل بلده .

شعره

قال ، ومما أنشدني من شعره قوله :

هَذَا بِي مِنْ بَيْنِ الْمَغَانِي عَتِيقَهَا	وَمِنْ بَيْنِهِ انْفَضَّتْ لِعَيْنِي عَتِيقَهَا
وَمَالَتْ لِلْيَدِ قَبَابُهُ وَأَشْرَقَتْ	فِي بِالْذَّمِّ مِنْهَا شُرُوقَهَا
يَهْيِجُ أَنْفَاسِي غَرَامًا نَسِيمَهَا	وَتَقْدَحُ نَارُ الشُّوقِ عِنْدِي بَرُوقَهَا
وَمِنْ دُونِ وَادِيهَا ظَبًّا خَوَادِلُ	حَكِي لِحَظْهَا مَاضِيَ الشُّقَارِ رَقِيقَهَا
فَلَوْ بَرَزَتِ الشَّمْسُ مِنْهُنَّ فِي الضُّحَى	نُحْدَرَةٌ أَضْحَتْ كَمَا لَا تَفُوقَهَا
نَسِيمَ الصَّبَا أَنْ سُبِّرَتْ نَحْوَ الْحِمَى	فَقُلْ تَحِي الدَّيَّارَ النَّازِحَاتِ تَشَوُّقَهَا
غَرِيبَ كَيْيَبٍ مُسْتَهَامٍ مُنَسِّمٍ	جَرِيحِ الْجَفُونِ السَّاهِرَاتِ عَرِيقَهَا
فَرَلْ عَطْفَةً تُرْجِي وَهْلَ أَمَلٍ يُرَى	بَعُودَةَ أَيَّامٍ تَقْضِي أَنْيَقَهَا
سَقَى وَتَعْلَمُ مِنْ أَدَمْعِ الصَّبِّ جُودَهَا	مِنْ دِيمِ الْغَيْثِ الْمُتَلَتَاتِ رَيْقَهَا

(١) مكانها بالمخطوطات كلمات مشوهة ومعاة .

قال وأنشدني أيضاً ، وقال كَلِفت إجازة هذا البيت الأول من هذه القصيدة ،
إذ ليس لي :

مَنْ عَادَى وَمَنْ نَاصِرَى وَمَنْصَفَى	هذا دمعى مَفَكَّته بنتُ المنصف
أَوْ مَنْ يُخَلِّصُنِي وَقَدْ أَوْهَى صَحِيحُ	الجسم منى لخطُ طرفٍ مُدَنَفٍ
جَعَنُ تَحْيِيرٍ وَالْهَوَى يُهْدِيهِ	لفزادِ كُلٍّ من الهوى لم يَأْلَفِ
مُتَنَاعِسُ يُهْدِي الشَّهَادَ وَيَصْرَعُ	البطلُ السَّكِينُ بِلَحْظِهِ الْمُتَضَعِّفِ
تَبْدُو وَتَشْدُو لِلْعَيُونِ وَلِلْمَسَامِعِ	فهي بين مُكْجَلٍ وَمُشَنَّفِ
مَلَكَتْ بِصَنْعَتِهَا عِنَانُ عِنَانِهَا	وَعَدَّتْ عَلَيْهَا كَأَنَّ لَمْ تُعْرِفِ
تَغْنَى إِذَا غَنَّتْ بِطَيْبِ صَوْتِهَا	عَنْ أَنْ يَزُودَ لَحْنُهَا بِالْمُعْرِفِ
أَمَا تَعَنَّتْ أَوْ تَذَنَّتْ تَهْتَفُ	قُمْرَى نَعَمَتِهَا وَغَضُّ الْمِعْطَفِ
يَأْتِي عَلَى تَكَرُّرٍ مَا عَنَّتْ بِهِ صَدَقًا	بِكُلِّ غَرِيبٍ أَوْ مُسْتَطَرَفِ
تُهْدِي لِلنَّفُوسِ عَلَى اخْتِلَافِ طِبَاعِهَا	مَنْ نُبِلَهَا مَا تَشْتَهَى بِتَلَافِ
كُنَّا وَجَعْنُ الدَّهْرِ عَنَا نَاعِسُ	خَلْفَ سِتْرِ الْأَمَانِ مُسَجَّفِ
حَتَّى وَشَى بِالسَّرِّ دَهْرُ حَاسِدِ	كَلِفتُ بَتَغْفِيصِ السَّكِيمِ الْأَشْرَفِ
وَإِخْجَلْنَا إِنْ لَمْ أَمُتْ يَوْمَ النَّوَى	لَهْفًا وَمَا إِنْ كُنْتُ بَعْدُ بِمَنْصَفِ
لَسَكُنِي مِمَّا تَحَلَّتْ وَذُبَّتْ لَمْ	يَرَنِي الْحِلَامُ فَكُنْتُ عَنْهُ أَخْتَفِ
كَمْ ذَا أَيْتُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مُسْعِدِ	فِي حَالَتِي غَيْرِ الدَّوْعِ الذَّرْفِ
يَا هَلْ تَرَى هَذَا الزَّمَانُ وَصَرْفُهُ	هَلْ يَسْمَحَانِ بَعُودَةٍ وَتَأَلَّفِ
صَبْرًا أَبَا يَمْقُوهِمُ فَهِيَ النَّوَى	لَوْلَا هَمَّتْ شَوْقًا لِلْقِيَا يَوْسُفِ

قال وأنشدني أيضاً لنفسه ، والبيت الأخير لغيره :

مَالِ الْأُحْيَةِ فِي أَحْكَامِهِمْ جَارُوا نَاوَا جَمِيعًا فَلَا خِلٌّ وَلَا جَارُ

كيف البقا وقد بانت قبابهم وقد خلكت منهم وأسفى الدار
 حداة تمسهم بالقلب قد رحلوا ياليتهم حملوا الجنان إذ سار
 جار الزمان علينا في فراقهم من قبل أن تنقضى للصب أوطار
 ساروا فخيبت الأشواق بعدهم مالى عليها سوى الآماق أنصار
 تراك ياربهم ترجو وجوعهم ياليت لو ساعدت في ذاك أقدار
 ودعت منهم شحوساً ما مطالعها إلا من الوشى أطواق وأزدار
 أستودع الله من فاز الفراق بهم وخلفوا ودع العين مِدْدار
 قلت ، ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة ، والله يقبض ويبسط ،
 وشافِعْنا عرضُ الإكثار .

توفى في آخر أربعة وستين وسبع مائة .

محمد بن محمد بن حزب الله

من أهل وادى آش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه .

حاله

دُمْتُ ، متخلق ، سهل الجانب ، كثير الدُعابة ، خفيف الروح ، له خطٌ حسن
 ووراقة بديعة ، وإحكام لبعض العملية ، واقتدار على النظم . اتصل بباب السلطان
 ملك المغرب ، وارتسم كاتباً مع الجملة ، فارتاش ، وحسنت حاله .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر^(١) بما نصه : راقمٌ واشى ، رقيق الجواب
 والخواشى ، تزهى بخمّه المهارق والطروس ، وتتجلى في حُلل بدايعه ، كما تتجلى

(١) هو من كتب ابن الخطيب الصغرى . وقد سبق التعريف به .

العَرُوس ، إلى خَلْق كثير النجم ، ونفس عظيمة التحمل . ودود^(١) سهل الجانب ، عذب المذائب . لما قُضيت الواقعة بطريف^(٢) ، أقال الله عثارها ، وعجل ثارها ، قذف به موج ذلك البحر ، وتفلّت إفلات الهندي المقرب إلى النحر ، ورمى به إلى رُنْدَة^(٣) القرار ، وقد عرى من أثوابه ، كما عرى الغرار ، فتعرّف للحين بأديبها المُفلق ، وبارقها المتألق أبي الحجاج المُنتشأ فرى ، فراقه ببشر لقاياه ، ونَهَلَ على الظمأ في سِقَانِه ، وكانت بينهما مخاطبات ، أنشدنيها بعد إيباه ، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده ، وسَلَب ثيابه .

وخطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه : ولما دخلت رُنْدَة الأنيقة البطاح ، المحتوية على الأدب والسّماح ، والعلم والصلاح ، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمر رئيس الأدباء ، وقُدوة الفقهاء ، أبا الحجاج المُنتشأ فرى ، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان ، ولا سمّح لي بلقائه صرف الزمان ، ولم أزل أكلّف بمقطوعاته العجيبة ، وأولع بضرائبه الغريبة ، وتأتى منه مخاطبات تُزرى بالعقود بهجة ، وتطير لها العقود لمجة . نَظُم كما تنفّس الصبح عن تسنيمه ، ونثر كما تأسس الدُر بتنظيمه ، فأحاطني منه محلّ الروح من الجسد ، وشهد لي أني أعزّ مَنْ عليه وَرَد ، ورأى قد ظهرت على مضاضة الاكتئاب ، لكوني قريب عهد بالإياب ، مهزوماً انهزام الأحزاب ، خالي الوطاب ، نَزَرَ الثياب ، فقال فيم الجزع ، ذهب بحول الله الخوف ، وأمين الفرع ، فأجبتة عَجلاً ، وقلت أخاطبه مرتجلاً .

(١) وردت في المخطوط (وود) وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) سبق أن عرفنا بموقعة طريف ، وهي التي نشبت بين المسلمين والنصارى على ضفاف نهر سالادو على مقربة من طريف في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة (راجع ص ١٨٠) .

(٣) هي من قواعده الأندلس الخالدة ، وتقع في شمال المثلث الإسباني ، غربي مالقة ، وجنوبي نهر وادي لكه . وقد سقطت في أيدي النصارى في سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) .

لا تجزعي نفسي لفقْد معاشري
ورُندة ها أنتِ خير بلادِه
سِيرُيك حُسْنُ فرايد من نظمِه
فأجابني مرتجلاً :

سُراي يا قلبي المشوق وناظري
روضُ المعارف زهرها الزاهي
ولوادِ آش فخرار لم يزل
واني يُشرف رُندة بقدومه
من روضة الأديباء أبدى زهرة
جمع المآثر بالسَّنة والسَّنة
مازلت أسمع من ثناء مآثرآ
حتى رأى بصرى حقائق وصفه
لا زال محببوا بكل مسرة
ثم خاطبه القاضي المنتشافي بعد انصرافه إلى وطنه بقوله :

أبي الدمع بعدك إلا انفجاروا
أذاق اللقاء الحلو ولم يصل به
رعى الله لَمَحْ ذاك اللقاء وإن
قصاراي شكواي طول النوى
سَقَتْ القِداح من بعده
ألا يا صَبَا هُبْ من أَرْبُعِي
ألا خُصَّ من رَبْعها منزلا
لدهر يَبْمدك في الحُكم جارا
للتوى جَرعاتٍ مُرادا
يكُ أشواقنا قد أثاروا
وقدنى أناة وصل قِصارا
فوادى القريح قد أذكت أوارا
إلى وادِ آش تُحبي الديارا
بأربابه الأكرمين استنارا

وعم إلى حزبِ إلاته الألى
فأجابه بأيات منها :

تألق بَرَقُ العُلا واستنارا
وذكرني وقت أنسٍ مضابُرُندة
وكانت لنفسي سناً في حماها
فأجريت دمع العيون اشتياقاً
وقالت لي النفس من لم يجد
قطعتُ المنا عندها لحظة
وضيعت تلك المنا غفلة
ومنها :

أرقتُ لذلك السنا ليلة
وجسمي أجلُّ الجسوم التهابا
إلى أن تجمّعت كناس النوى
وصبرتُ نفسي لفقدانها
وقال من قصيدة :

حللتُ لبرق لاح من سرحتى نجد
وقلت لعل القلب تبرا كلومه
إن شارككتني في المحبة فرقة
وهو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة .

محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عيسى

حاله

كان أديباً ، حسن الخط ، جيد النظم ، متظرفاً ، لودعياً ، مطبوعاً ، مُنحطاً في هواه ، جامعاً في ميدان بطالته ، معاقراً للنديد ، على حفظ للرسم ، واضطلاع بالخدمة ، وإيثار للروعة ، ومعرفة بمقادير الأمور ، وتشبث بأذيال الخطوة . كتب للرياسة السعيدية بمالقة ، ونظر على ألقاب جبايتها ، وانتفع الناس بجاهه وماله ، ووقع الثناء على حسن وساطته . ثم سافر عنها ، وقد سمّت بحجادة السلطان في غرض انتقالها إلى المدونة ، معوضة بمدينة سلامن مالقة . وكان ما كان من معالجة الأمر ، والقبض على الرئيس ، وقيام ولده بالأمر ، فأنبئت للذكور بالمدونة ، وكانت بها وفاته .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصه : [عَلِمَ] (٢) من أعلام هذا الفن ، ومشعشع راح هذا الدن ، بمجموع أدوات ، وفارس يراعة ، ظريف المنزع ، أنيق المرأى والمسمع ، اختص بالرياسة ، وأدار فللك إملايتها ، واتسم باسم كتابتها ووزارتها ، ناهضاً بالأعباء ، راقياً (٣) في درج التقريب والاجتباء ، مصانماً دهره في راح وراحة ، آوياً إلى فضل وسماحة ، وخضب سماحة ، كلما فرغ من شأن خدمته ، وانصرف عن رب نعمته ، عقد شرباً (٤) ، وأطلق من الاهتمام

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) الزبدة من نفع الطيب .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع صاعداً .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نفع (تربا) والأول أنسب للمعنى والسياق .

بغير الأيام حرباً ، وعكف على صوت يستعیده ، وظرف يديه ويعيده . فلما تقلبت
بالرياسة الحال ، وقوّضت منها الرجال ، استقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفاً مستريباً ،
ويلحظ الدنيا تبعاً عليه وتريباً ، وإن كان لم يعد من أراها خطوة وتقريباً ،
وما برح ييوح بشجّة ، ويرتاح إلى عهد وطنه .

شعره وكتابه

مما كتبه ، وبين فيه أدبه قوله :

يا نازحين ولم أفارق منهم شوقاً تأجج في الضلوع ضرامه
غيبٌ عن ناظري وشخصكم حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شلى فشتت نظمه^(١) والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فينا وجد مبالغا وجرت بحكم جوده أحكامه
أترى الزمان مؤخرأ في مدنى حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجديّة النفعات ، وجديّة الفعّات ، يؤدى عنى نغمها^(٢) إلى
الأحبة سلاماً ، ويورد عليهم لفتحها برّداً وسلاماً ، ولا تقل كيف تحملى ناراً ،
وترسل على الأحبة منى إعصاراً . كلا إذا أهديتهم تحية إينامى ، وأنسوا من
من جانب هبوبك^(٣) نار ضرام أنفلى ، وارتاحوا إلى هبوبك ، واهتزوا في
كف مسرى جنوبك ، وتعلّوا بها^(٤) تعليلاً ، وأوسعوا آثار مهبّك تقبيلاً ،
أرسلها عليهم بليلاً ، وخاطبهم بلطافة تلطّك تعليلاً . ألم ترونى كيف جتكم
بما حملى عليلاً .

(١) هكذا الإسكوريال . وفى النفع (شمله) .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى النفع .

(٣) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (حقوقك) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (بك) .

كذلك تركته مُلقًى بأرض له فيها التعلل بالرياح
إذا هبت إليه صبا إليها وإن جاءته من كل النواح
تساعده الحمايم حين يبكي فما ينفك موصول النياح
يخاطبن مها طرن شوقاً أما فيكن وإهية الجناح

ولولا تعلقه بالأمانى ، وتحدثت نفسه بزمان التدانى ، لكان قد قضى نَجْمُه ،
ولم آتلفكم إلا نعيه أو ندبه ، لا كنه يتعلل من الآمال بالوعد الممتول ،
ويتطارح^(١) باقتراحاته على الزمن المجهول ، ويحدث نفسه ، وقد قنعت من بروق^(٢)
الآمال بالخلب ، ووثقت بمواعيد الدهر القلب ؛ فيناجيهما بوحى ضميره ، وإيماء
تصويره ، كيف أجذك يوم الالتقاء بالأحباب ، والتخلّص من رِبقة الاغتراب ،
أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب . كأتى بك وقد استفزك وله السرور ، فصرفك
عن مشاهدة الحضور ، وعاقنتك غشاوة الاستعبار للاستبشار ، عن اجتلاء محيا
ذلك النهار .

يوم يداوى زماناتى من أزمانى أزر^(٣) تنقيص أحيانى فأحيانى
جعلتُ لله نذراً صومه أبداً أنى به وأوفى شرط إيمانى
إذا ارتفعنا وزال البعد وانقطعت أشطان دهر قد التفت بأشطانى
أعدده خير أعياد الزمان إذا أوطانى السعد فيه تُربّ أوطانى

أرأيت كيف ارتياحى إلى التذكار ، وانقيادى إلى معاللات توهمات الأنسكار ،
كأن البعد باستغراقها ، قد طويت شقته ، وذهبت عنى شقته ، وكأنى بالتخيل
بين تلك الحمايل أنتم صباها ، وأنتم رُباها ، وأجنى أزهارها ، وأجنى

(١) هكذا فى النسخ وفى الإسكوريال (بطارح) والأولى أنسب للمعنى .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (برق) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ (أزان) .

أنوارها ، وأجول في خايلها . وانتعم بيسكرها وأصايلها ، وأطوف بمعالمها ،
 وأنشق أزهار كإيمها ، وأصيح بأذن الشون إلى سنجع حمايمها ، وقد داخلتني
 الأفراح ، ونالت مني نشوة الارتياح . ودنا الشرور لتوشم^(١) ذهاب الأتراح .^(٢)
 فلما أفقت من غمرات سُكرى ، ووثبت من هفوات فكري ، وجدت مرارة
 ما شابه لُبي في استغراق دهرى ، وكأني من حينئذ عالجت وقفة الفراق ، وابتدأت
 منازعة الأشواق ، وكأني أغمضتني للنوم ، وسمح لي بتلك الفكرة الحلم :

ذَكَرَ الدِّيَارِ^(٣) فَهَاجَهُ تَذْكَارُهُ وَسَرَّتْ بِهِ مِنْ حِينِهِ أَفْكَارُهُ
 فَاحْتَلَّ مِنْهَا حَيْثُ كَانَ حُلُولُهُ بِالْوَهْمِ فِيهَا وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهُ
 بِالْقُرْبِ الْأَمَلِ مِنْ هَفْوَاتِهِ لَوْ أَنَّهُ قَضَتْ بِهَا أَوَّلَارُهُ

فإذا جيتها أيها القادم ، والأصيل قد خلم عليها برداً مُورساً ، والربيع قد
 مدَّ على القيعان منها سُندساً ، اتخذها فديتك مُعرساً . واجرر ذيولك فيها
 تَبَخُّرًا ، وبث فيها من طيب نَفَحَاتِكَ عُمْبرًا ، وافترق عليها من نَوَافِعِ أَنْفَاسِكَ
 مِنْكَأً أَذْفَرًا ، واعطف بعاطف بانها ، وارقص قُصْبَ رِيحَانِهَا ، وصافح صفحات
 نهرها ، ونافح نَفَحَاتِ زَهْرِهَا . هنه كلها أُمَارَاتُ ، وعن أسرار مقاصدى عبارات ،
 هنالك تنتمش بها صُبَابَاتُ ، تماج صَبَابَاتُ ، تتعامل بإقبالك ، وتمكِّف على لَئِمِ
 أَذْيَالِكَ ، وتبدولك في صِفَةِ الْغَانِي الْمُتَهَلِّكِ ، لاطِفَهَا بِلُطَافَةِ اعْتِلَالِكَ ، وترفق
 بها تَرْفُقُ أَمْثَالِكَ ، فإذا أُمَالَتْ بِهِمْ إِلَى هَوَاكِ الْأَشْوَاقِ ، وَلَوَّأَ إِلَيْكَ الْأَرْدُسُ
 وَالْأَعْنَاقُ ، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق . وتقلي بين الأشام والأعراق ، فقل
 لهم عَرَضُ لَه^(٤) في أسفاره ، ما يعرض للبدر في سَرَّارِهِ ، من سِرِّ السَّرَّارِ ، وطاق

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (التوشم) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الانزاح) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (مقيو) . والأول أنشد للمعنى .

(٤) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لم) .

الحق ، وقد تركته وهو يُسامر الفرقدين ، ويُساير النيرين ، وينشد إذا راعه
البين :

وقد نكون وما يُخشى ^(١) تفرقنا واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
لم يفارق وعشاء الأسفار ، ولا ألقى من ^(٢) يده عصا التسيار ، يتهاداه للغور
والنجد . ويتداوله الأرقال والوخذ ، وقد لفحته الرمضاء ، وسيمه الإنضاء . فالجهاث
تلفظه ، والآكام تُبْهظه ، تحمل هومَه الرّواسم ، [وتحنى به النّواسم] ^(٣) .
لا يستقرُّ بأرض حين يَبْلُغها ولا له غير حدِّو العيس إيناس
ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالى ، وتقلبي بين حالى ^(٤) حلى وترحالى ،
وبلغت القلوب منهم الحناجر ، وملأت الدموع المحاجر ، وابتلّت ذبولك بمائها ،
لا بل تضرّجت بدمائها ، فخيّم عني تحية مُنفصل ، وودّعهم وداع مُرتحل . ثم
اعطف عليهم ركابك ، ومهد لهم جنابك ، [وقل لهم] ^(٥) إذا سألتني عن المنازل
بعد سُكّانها ، والرّبوع بعد ظنّ أظمانها ، بماذا أجيبه ، وبماذا ^(٦) يسكن
وَجيبه ، فسيقولون لك هي البلاقيع المُقفرات التي أصبحت نَسْكَرات .
مّمّ صمّداها وعفّ رسمها واستعجمت عن منطق السائل

قل لهم كيف الرّوض وآسه ، وعمّاذ ^(٧) تتأرجّج أنفاسه ، عهدي به والحمّام يُردد

(١) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (ولا) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (عن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت في النسخ (وتحياته البواسم) .

والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى والسياق .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٥) هذه الزائدة من النسخ .

(٦) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ولمّاذا) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وعمّاذ) . والأولى أنسب للمعنى .

أَسْجَاعُهُ ، وَالذُّبَابُ يَفْنَى بِهِ هَزْجًا ، فَيَحْكُ بِذِرَاعِهِ ذِرَاعَهُ ، وَغُصُونُهُ تَمْتَنِقُ ، وَأَحْشَاءُ
جَدَاوِلِهِ تَصْطَفِقُ ، وَأَسْحَارُهُ تَتَنَسَّمُ ، وَأَصَالُهُ تَمْتَبِقُ ^(١) . كَمَا كَانَتْ بَقِيَّةُ نَضْرَتِهِ ،
وَكَمَا عَهْدَتِهَا أُنَيْقَةُ خُضْرَتِهِ ، وَكَيْفَ التَّفَاتَةُ عَنْ أَرْزَقِ نَهْرِهِ ، وَتَأَنُّهُ فِي تَكْلِيلِ
أَكْلِيلِهِ بِيَانِ زَهْرِهِ . وَهَلْ رَقَّ نَسِيمُ آصَالِهِ ، وَصَفَتْ مُوَارِدُ جَدَاوِلِهِ ، وَكَيْفَ
انْفِسَاحُ سَاحَاتِهِ ، وَالتَّفَافُ دَوَّحَاتِهِ ، وَهَلْ تَمَدَّدَتْ كَمَا كَانَتْ مَعَ الْعَيْشَى فَيَنَافَتُهُ
سَرَاحَاتِهِ . عَهْدِي بِهَا ، الْمَدِيدَةُ الظَّلَالِ ، الْمُرْعَفَةُ السَّرْبَالِ ، لَمْ تُحْدَقِ الْآنَ بِهِ
عُيُونُ تَرْجِسِهِ . وَلَا سُدَّ بِسَاطِ سُنْدُسِهِ . وَأَيْنَ مِنْهُ مَجَالِسُ لَذَاتِي ، وَمِمَاهِدُ غَدَوَاتِي
وَرَوْحَاتِي ، إِذْ أَبَارِي فِي الْحُجُونِ لِمَنْ أَبَارِي ، وَأَسَابِقُ إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ مَنْ يُجَارِي .
فَيَقُولُونَ لَكَ دَوَّتْ أَفْنَانُهُ ، وَانْقَصَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَتَسَكَّدَتْ غُذْرَانُهُ ، وَتَغَيَّرَ
رِيحُهُ وَرِيحَانُهُ ، وَأَقْفَرَتْ مَعَالِهِ ، وَأَخْرِسَتْ كَهَامِيهِ ، وَاسْتَحَالَتْ بِهِ حُلُلُ خَمَائِلِهِ ،
وَتَغَيَّرَتْ وَجُوهُ بُسْكُرِهِ وَأَصَالِيهِ . فَإِنْ صَلَّصَ حَزِينٌ رَعْدِي ، فَكُنْ قَلْبِي لِفِرَاقِهِ خَفَقٌ ،
وَإِنْ تَلَّأَ بَرْقٌ ، فَكُنْ حَرًّا حَشَايَ اثْتَلَقَ ، وَإِنْ سَحَّتِ الشُّحُبُ فَمُسَاعَدَةٌ كَلْفَتِي ،
وَإِنْ طَالَ بَكَوْهَا فَعَنِّي ، حَيَاهَا اللَّهُ مَنَازِلُ لَمْ تَزَلْ بِمَنْظُومِ الشَّمْلِ أَوَاهِلُ . وَحِينَ
انْتَثَرَتْ شُبُوتُ أَزْهَارِهَا أَسْفًا ، وَلَمْ تُنْ ثَنِ الرِّيحُ مِنْ أَغْصَانِهَا مِعْطَفًا ، أَعَادَ اللَّهُ الشَّمْلَ
فِيهَا إِلَى مُحْكَمِ نِظَامِهِ ، وَجَمَلَ الدَّهْرَ الَّذِي فَرَّقَهُ يَتَأْتَقُ فِي أَحْكَامِهِ . وَهُوَ سُبْحَانَهُ
يَجْبُرُ الصَّدْعَ ، وَيَجْعَلُ الْجَمْعَ ، إِنَّهُ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ . إِيَّاهُ بَنَى
كَيْفَ حَالٍ مِنْ اسْتَوْدَعْتَهُمْ أَمَانَتَكَ ، وَالزَّمْتَهُمْ صَوْنَكَ وَصِيَانَتَكَ ، وَالْبَسْتَهُمْ
نَسَبَكَ ، وَمَهَّدَتْ لَهُمْ حَسْبَكَ ، اللَّهُ فِي حِفْظِهِمْ ، فَهُوَ اللَّاتِقُ بِفَعَالِكَ ، وَالْمُنَاسِبُ
لَشَرَفِ خِلَالِكَ ، إِرْعَ لَهُمُ الْاِغْتِرَابَ لَدَيْكَ ، وَالِاتِّقَاعَ إِلَيْكَ ، فَهُمْ أَمَانَةُ اللَّهِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (تنويع) . والأول أكثر تشبيهاً مع

[تعالى] (١) في يديك ، وهو سبحانه يحفظك بحفظهم ، ويوالى بلحظك أسباب لحظهم ، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال ، فنعم الله مُتَدَّة الظلال ، وخيراته (٢) ضافية (٣) السربال ، لولا الشوق الملائم ، والوجد الذي سَكَن الحيازم .

ووقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالة ، أثبتها وهي :

أَلْبَرِقْ يَبْدُو تَسْطِيرُ الْجَوَانِحِ	وَالوَرَقْ تَشْدُو وَتَسْتَهْلُ السَّوَابِحِ
وَقَلْبِي لِلْبَرَقِ الْخَلُوقِ مُسَاعِدِ	وَوَجْدِي لِلوَرَقِ الشَّكَالِي مُطَارِحِ
إِذَا الْبَرَقِ أَوْزَى فِي الظَّلَامِ زِنَادِي	فَلَا وَجِدَ فِي زِنْدِ الصَّبَابَةِ قَادِحِ
وَكَمْ وَقْفَةٍ لِي حَيْثُ مَالُ بِي الْهَوَى	أَغَادِ بِهَا شَكْوَى الْجَوَى وَأُرَاوِحِ
تَنَارِغُنِي مِنْهَا لِلشَّجُونِ فَأَشْتَكِي	وَيَكْثُرُ بَنَى عِنْدَهَا فَأَسَامِحِ
أَبْتُ شَجُونِي وَالْحَمَامُ يُصَيِّخُ لِي	وَيُسَعِدُنِي فِيمَا تُبَيِّحُ التَّبَارِحِ
وَتَطْرِبُ أَغْصَانُ الْأَرَاكِ فَتَنْتَنِي	إِلَى صَفْحَةِ النِّهْرِ الثَّقِيلِ تَصَانِحِ
فَتَبْتَسِمُ الْأَزْهَارُ مِنْهَا تَعْجِبًا	قَهْدِي إِلَيْهَا عَرَفَهَا وَتَنَافِحِ
كَذَلِكَ حَتَّى مَادَ عَطْفُ شَفْقِي	وَطَرَفِي أَبَدِي هَزَّةً وَهُوَ مَارِحِ
فَلَمَّا التَّظَلَّى وَجْدِي تَرَنَّمَ صَاهِلًا	فَقُلْتُ أُمِثْلِي يَشْتَكِي الْوَجْدَ نَاجِحِ
صَرَفْتُ عَدُوَّ الْبَيْدِ أَرْخُو عَيْنَانِهِ	وَقُلْتُ لَهُ شَمْرُ فَإِنِّي سَاجِحِ
تَهْيَأُ لِقَطْعِ الْبَيْدِ وَاعْتَسِفِ الشَّرَى	سَيْلِقَاكَ غَيْظَانِ بِهَا وَمَاجِحِ
لَحْمِي لَوْ يَسْتَطِيعُ نَظْفًا لَقَالَ لَهُ	بِمِثْلِي تَلَقَّى هَذِهِ وَتُكَافِحِ
وَحَمْلَتُهُ عَزْمًا تَعْدُو مِثْلَهُ	فَقَامَ بِهِ مُسْتَقْبَلًا مِنْ يُنَاطِحِ
وَيَمُتُ بِيَدًا لَمْ أَصَاحِبْ لَجْوَهَا	سَوَى جِلْدٍ لَا يُتَقَى مِنْهُ فَاضِحِ

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (وخير) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (واردة) .

وماضي الغرايين استجذت مضاه
ومُنْدَجٌ صِدْقُ الْأَنَابِيدِ نَافِذٌ بِهِ
وَمِيرَتْ فَلَاحِ الْوَحْشِ نَافِرًا
تُحْدَقُ نَحْوِي أَعْيُنًا لَمْ يَلُحْ لَهَا
وَقَدْ زَارَتْ أَسَدٌ تَحَمَّتْ غِيلَهَا
وَكَمْ طَافَ بِي لِلخَيْرِ مِنْ طَافٍ بِهَا
وَيَعْرِضُ لِي وَجْهًا دَمِيًّا وَمَنْظَرًا
فَمَا رَاعَنِي مِنْهُ تَلَوْنُ حَالِهِ
فَلَمَّا اكْتَسَتْ شَمْسُ الْعَشِيِّ شَحُوبَهَا
تَسْرَبَلْتُ لِلْإِدْلَاجِ جَنَاحَ دَجَنَةٍ
فَخُضْتُ ظِلَامَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ شَاخِصٌ
يُرِدُّهُ شَرْرًا إِلَى كَائِنَا
وَوَاقِبٌ مِنْ شَكْلِي السَّمَاءُ نَظِيرُهُ
يَخْطُ وَمِيزُ الْبَرَقِ لِي مِنْهُ أَسْطَرًا
إِذَا خَطَّهَا مَا بَيْنَ عَيْنَيَّ لَمْ أَزَلْ
وَمَا زِلْتُ سَرًّا فِي حَشَى النَّبْلِ كَامِنًا
وَهَبَّ نَسِيمُ الصَّبْحِ فَانْعَطَفْتُ لَهُ
تُجَابِذٌ ذِي كَرَى أَحَادِيثَ لَمْ أَزَلْ
وَمِلْتُ إِلَى التَّعْرِيسِ لَمَّا انْقَضَى الشَّرَى
وَمَالَ الْكَرَى بِي مِيلَةً سَكَنَتْ لَهَا
كَمْ أَخَذْتُ مِنْهُ الشُّمُولَ بَشَارَهَا
وَقَرَّبْتُ الْأَحْلَامَ لِي كُلِّ مَلَأَمَلٍ

إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمَ الْجِلَادِ الصَّفَائِحِ
عِنْدَ كَرَى فِي الْحُرُوبِ أَفَاحِ
وَقَدْ شَرَدَتْ فِي الظُّلُمَاتِ السَّوَابِحِ
سَنًا لَكَ أَسْنَى وَلَا هُوَ لَا يَحِ
فَقُلْتُ تَمَآوَتْ إِنِّهَا لَنَوَائِحِ
فَلَمْ أَصِغْ سَمْعًا نَحْوَهَا وَهُوَ صَائِحِ
شَنِيعًا لَهُ تَبْدُو عَلَيْهِ الْقَبَائِحِ
بَلْ أَيْقِظْ عَزْمِي فَانْثَنِي وَهُوَ كَالْحِ
وَمَالَتْ إِلَى أَفْقِ الْغُرُوبِ تَنَازِحِ
فَهَا أَنَذَا غَرَسِي إِلَى الْقَصْدِ جَانِحِ
إِلَى بَلْخَطِ طَرْفِهِ لِي لَاحِ
عَلَى لَهُ حَقْدٌ بِهِ لَا يُسَامِحِ
خَلَا لَزِمَكُنِّي أَعَزَلُ وَهُوَ رَاحِ
عَلَى صَفْحَةِ الظُّلُمَاءِ فَهِيَ لَوَائِحِ
أَكْلِفْ دَمْعِي نَحْوَهَا فَهُوَ طَالِحِ
إِلَى أَنْ بَدَأَ مِنْ نَائِمِ الصَّبْحِ فَاتِحِ
قُدُودَ غُصُونٍ قَدْ رَقَّتْهَا صَوَادِحِ
يَرْدُّدُهَا مِنِّي مُجَدِّدٌ وَمَازِحِ
أُرْوِضْ لَهُ نَفْسِي وَعَزْمِي جَانِحِ
عَلَى نَصَبِ الْوَعْثَاءِ مِنِّي الْجَوَارِحِ
فَبَاتَ يَشْقَى وَهُوَ رِيَّانٌ طَائِفِحِ
فَادَتَهُ مِنِّي وَهُوَ فِي الْحَقِّ نَازِحِ

أرنتى وجوهاً لو بذلتُ لِقربها
 لقلَّ لها عَمْرَى وما مَلَكَتْ يَدَى
 وما زلتُ أَشكو بيننا غُصصَ النوى
 فمنها نَفُورٌ للشرورِ بواسمِ
 تُقَرِّبُهَا الْأَحْلَامُ مِنِّي ودونها
 وبحرٌ طَمَتْ أمواجه وشآبيب
 قضيتُ حقوقَ الشوقِ في زُورَةٍ
 يَقَرِّرنَ آمالاً تباعدُ بينها
 فلما تَوَلَّى عَنِ النُّومِ أَعْقَبَتْ
 وَعُدَّتْ إِلَى شَكْوَى الْبَلَاءِ ولم أَزَلْ
 وما بَلَغَتْ عَنِ مِشَافِهِ الْكَرَى
 وَحَسْبُكَ قَلْبٌ فِي أَسَارِ اشْتِاقَةٍ
 حَيَاتِي لِمَنْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ يُسَاحِ
 وَحَدَّثَتْ نَفْسِي أَنْ تَجْزَى رَايِجَ
 وما طَوَّحَتْ بِي فِي الزَّمَانِ الطَّوَايِجِ
 لِقُرْبِهِ وَمِنْهَا لِلْفِرَاقِ نَوَايِجُ
 مَهَامِهِ فِيهَا لِلهَجِيرِ لَوَافِجُ
 وَقَفَرُ بِهِ لِلسَّالِكِينَ جَوَايِجُ
 لِلْكَرَى فَإِنَّ زِيَادَاتِ الْكَرَى لِمَوَايِجُ
 وَتَعَبَتْ فِيهَا لِلنَّفُوسِ الطَّوَايِجُ
 هُمُومٌ أَثَارَتِهَا الشُّجُونُ فَوَادِحُ
 أَرَدُّدُهَا وَالْمُنْدَرُ مِنِّي وَاضِحُ
 تُبْلَغُهَا عَنِ الرِّيَاحِ اللِّوَايِجُ
 وَقَدْ أَسْلَمْتَهُ فِي يَدَيْهِ الْجَوَايِجُ

وفاته

قال شيخنا أبو بكر بن شبرين ، توفى بسجلماسة في صفر عام
 ستة عشر وسبعماية .

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل

من أهل مالقة ، يكنى أبا بكر .

حاله

من كتاب الإكليل : نابغة مَالِيقِيَّة ، وخَلْفٌ وبَقِيَّة ، ومَغْرِبِي الوطن أَخلاقه
مَشْرِقِيَّة . أَرْمَعَ الرِّحِيلِ إِلَى المَشْرِقِ ، مع اخضرار العود ، وسواد المَفْرِقِ ، فلما
توسَّطَت السفينة اللُّجَج ، وقارعت الشَّبَج ، مال عليها البحر ، فسقاها كأس الحِمام ،
وأولدها قبل التمام ، وكان فيمن اشتملت عليه أَعْوَادُها ، وانضم على نوره
سوادُها ، جملة من الطلبة والأدباء ، وأبناء السراة الحُسَبَاء ، أصبح كلُّهم
مُطِيعاً لداعي الرَّدَى وسَمِيعاً ، وأحيوا فُرَادَى وماتوا جَمِيعاً ، فَأَجْرُوا الدموع حزناً ،
وأرسلوا العَبْرَات عليهم مُزْناً . وكان البحر لما طَمَس سُبُلَ خلاصهم وسدَّها ،
وأحال هَضْبَةً سفِينَتهم وهدَّها ، غار على نفوسهم النَّفِيسَة واستردها . والفقيه
أبو بكر ، مع إكثاره ، وانقياد نظامه ، ونِثاره ، لم أنظر من أدبه إلا بالقليل النافه ،
بعد وداعه وانصرافه .

فن ذلك قوله وقد أبصر فنى عائراً :

ومُهْنَف هافى المعاطف أحورُ	فَضَحَتْ أشعةُ نوره الأَمَارَا
زَلَّتْ له قدم فأصبح عائراً	بين الأَنام لما لِذاك عَنَارَا
لو كنت أعلمُ ما يكون فرشتُ في	ذاك المَسكان الخَدَّ والأَشْفَارَا
وقال متغزلاً :	

أَيالبنى الرِّفَاء تُنْضَى ^(١) ظِلَاؤُهُم ^(٢)	جُفُونُ ظِلَامٍ والفؤاد كَلِم
لقد قَطَعَ الأَحْشَاء منهم مَهْنَفُ	له التَّبر خَدَّ والأَجِين أَدِيم
يَسُدُّ إِذْ يَرى قَسَى حَوَاجِب	وَأَسْهَمَهَا من مَقْلَتِيهِ تَسُوم
وَتُسَعِّى عَيْنَاه وهى سَقِيمَة	ومن عَجَبٍ سَقَمُ جَنَاه سَقِيم

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تمضى) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ظلام) .

ويذبل جسمى فى هواه صَبَابَةً وفى وَصْلِهِ للعاشقين نعيم
توفى فى حدود أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعماية غريقاً بأحواز الغبطة
من ساحل المربة .

محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسى^(١)

ولد الشيخ أبى الظاهر ، من أهل مالقة .

من كتاب الإكليل : نبيلٌ فذان ، متحرك ذهن ، كان أبوه رحمه الله ،
يتبرم بمجداله ، ويخشى مواقع رَشَقِ نباله ، وبُشِيمٌ بأرقِّ الاعتراض فى سؤاله ،
فُيْشَقُّ من اختلال خلاله ، إذ طريقه إنما هى أذواق لا تشرح ، وأسرار لا تفضح .
وكان ممن اخترم ، وجدَّ حبلُ أمله وضُرْم ، فأفلَّ عقب أبيه ، وكان له أدب
يخوض فيه .

فمن ذلك ، وقد أبصر فى وسيا على ربحانه :

بدرٌ تحبلى على غصن من الآس يُبْرِى ويُقْتَم فهو الممرض الآس
عادى المنازل إلا القلب منزلة فماله وجميع الناس من ناس

وقال :

يا عالمًا بالسُّرِّ والجُزْرِ وملاجئ فى العُسرِّ واليُسْرِ
جُدْ لى بما أَمِلْتُهُ منك يامولاي واجبرُ بالرُّضا كُنْرى
وفاته : فى عام خمسة وسبعماية .

(١) هذه الترجمة واردة فى الإسكوريال فقط . ولم ترد فى «ج» ولا «الزيتونة» .

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى^(١)

من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه ، وقد مر ذكر أبيه
في السُّمَّال .

حاله

هذا الرجل من أبناء النعم ، وذوى البيوتات ، كثير السكون والحياء ، آل
به ذلك أخيراً للوثة ، لم يستفد منها لطف الله به . حسن الخط ، مطبوع الأدب ،
سيال الطبع ، معينه . وناب عن بعض القضاة ، وهو الآن رهين ما ذكر ، يتمنى
أهله وفاته ، والله وليُّ المعافاة ، بفضله .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : من أولى الخلال البارعة والخصال ،
خطاً رقيقاً ، ونظماً بمتله لائقاً ، ودُعابة يسترها بحجهم ، وسكوتاً في طيِّه إدراك
وتفهم . عُنى بالرواية والتقييد ، ومال في النظم إلى بعض التوليد ، وله أصالة ثبتت
في السُّمَّال وعروقه ، وتألقت في سما المجادة بروقها ، وتصرف بين النياحة في الأحكام
الشرعية ، وبين الشهادات العملية المرعية .

شعره

ومن شعره فيما خاطبني به ، مهنثاً في إغذار أولادى أسعدهم الله ، افتتح ذلك
بأن قال .

قال ، يعتنو عن خدمة الإغذار ، ويصل المدح والثنا على بُد الدار ، وذلك^(٢)
بتاريخ الوسط من شعبان في عام تسعة وأربعين وسبعمائة :

(١) هذه الترجمة واردة فقط في الاسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) ورد في المخطوط (ولان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

لا عذر لي عن خدمة الإعذار
 أوعاقي عنه الزمان وصرفه
 قد كنت أرغب أن أفوت بخدمتي
 باب المسرة بالضيع وأهله
 من شاء أن يلقي الزمان وأهله
 فليأت حياً ابن الخطيب لمبياً
 كم ضم من جيد كرام فضلهم
 إذ حيث ناديه فقف عني
 يا من له الشرف القديم ومن
 يهنيك ما قد نلت من أمل به
 نجلاك قطبا كل تجر باذخ
 عبد الإله وصنوه قمر العلا
 ناهيك من قرين في أفق العلا
 زاكي الأرومة مغرق في مجده
 رقت طباعه وراق جماله
 وجلت شمائل حسنه فكأنما
 فإذا تسكلم قلت ظل ساقط
 أوفت مسك الخبر في قرطاسه
 تنسم الأقلام بين بنانه
 فتخال من تلك البنان كأنما
 وإن نأى وطني وشط مزارى
 تقض الأمان عادة الأعصار
 وأخطر حلي عند باب الدار
 متشعراً فيه بفضل إزار
 ويرى جلا الإشعاع^(١) في الأفكار
 فيفوز بالإعظام والإكبار
 يسو ويعلو في ذوى الأقدار
 وقل نلت المني بتلطف ووقار
 له الحسب الصميم المد يوم نخار
 في الفرقدين النيرين يسار
 أملان مرجوان في الاعتبار
 فرعان من أصل زكا وبحار
 ينميها نور من الأنوار
 جم الفضائل طيب الأخبار
 فكأنما خلقا من الأزهار
 خلعت عليه رقة الأسحار
 أو وقع در من نحدور جوار
 بالروض غب الواكف المدار
 فيريك نظم الدر في الأسطوار
 نهلت تفتح ناضر النور

(١) وردت في المخطوط (الإشعاع)، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.

تلقاه فياض الندى مُهللاً
بحر البلاغة قسبها وأياؤها
إن ناظر العلماء فهو أمامهم
أزبى على العلماء بالصيت الذي
ماضره إن لم يجيء متقدماً
إن كان أخره الزمان لحكمة
الشمس تُحجب وهي أعظم تَبَر
يا ابن الخطيب خطبها لعلكم
جاءتكم من خجل على قَدَم الحيا
وأنت تؤدى بهض حق واجب
مدت يد التَّفَهِيل نحو علاكم
فابذل لها في النقْد صفحك إنها
لازلت في دَعَا وعزٍّ دايماً

يلقاك بالبشر والاستبشار
سَعْبَاتُهَا خَيْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ
شرفُ المعارف واحد النظار
قد كان في الآفاق كل مطار
السَّبْقُ يعرف آخر المضار
ظهرت وما خفيت كضوء نهار
وترى من الآفاق إثر دَوَارٍ
بِكْرًا تُزف لكم من الأفكار
قد طُبِّيتْ بِنَثَايِك المِغْطَارِ
عن نازح الإمكان والأفكار
فتوحشت من جودكم بنضار
شكوى التَّقْصِيرِ في الأشعار
ومسرة تَتَرى مع الأعصار

ومن السلطانيات قوله من قصيدة نسيها :

تبسم ثغر الدهر في القُضْب المُلْد
ونبه وَقْعُ الطَّلِ الحَاظ نرجس
ونم سَبْرُ الرُّوضِ في مِسْكَة الدُّجَا
وغطى ظلام الليل مُحْمَرَة أْفَقُه
وياّت قلوب الشَّهْب تخفق وقّة
وأهْمى عليا الغيم أجفان مُشْفِق
ومنها

فأذكي الحيا خَجَلَةً وجنة الورد
فمال الوَسْثَان وعاد إلى الشَّهْد
نسيم شذا الخير كالْمِسْك والند
كما دار مُسَوِّدُ العِذار على الخد
لما حلَّ بالمشْتاق من لَوْحَة الوجد
بذكره فاستمطر الدَّمع للخد

كأنى لم أقف فى الحى وقفة عاشق
وناديت حادى العيس عرج
فقال أتيد يا صاح مالك ماجأ
ومما خاطبى به قوله :

علّونى ولو بوعد محال
واعلموا أنى أسير هواكم
فدموعى من بينكم فى انمكاب
يا أهيل الحى كفى غرامى
من مجرى من لحظ ريم ظلوم
ناعس الطرف أسمر الجفن منى
بابلى اللحاظ أضى فواده
وكسا الجسم من هواه نحولا
ما ابتدا فى الوصال يوماً بعطف
ليس لى منه فى الهوى من مخبر
علم الدين عزه وسناه ذروة
هو غيث التدا وبهر العطايا
إن وثى فى الرقاع بالنقش قلنا
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب
أوينا العضب فهو فى الأمن ماض
لست تلقى مثاله فى زمان
قد نأى حبي له عن ديارى

وحلّونى ولو بطيف خيال
لست أنفك إلا عن عقال
وفؤادى من سحر كم فى اشتغال
حبي بما قد جرّ... (١) ال
حلّ الهجر بعد طيب الوصال
طال منه الجوى بطارل الليال
ورماه من غنجه بنبال
قصده فى النوى بذاك النحال
مذروى فى الغرام باب اشتغال
غير تاج العلا وقطب السكال
المجد بذر أفق الجلال
هو شمس الهدى فريد المعال
صفحة الطرس خلّيت باللال
راية الصبح فى ظلال الضلال
صادق العزم ضيق المجال
جلّ فى الدهر يا أخى عن مثال
لا تجدوى ولا لنيل نوال

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال يتخللها البياض .

لكن اشتقتُ أن أرى منه وجهاً نوره فاضحٌ لنور الهلال
وكما همت فيه أتم كفاً قد أتت بالنوال قبل السؤال
سألها ابن الخطيب عذراً أجابت تلثم النعل قبل شنع النعال
وتوفى حق الوزارة عن هو ملكٌ لها على كل حال

محمد بن محمد بن الشُّديد^(١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

ذكر في الإكليل بما نصه : شاعر مجيد ، حَوَّك الكلام ، ولا يَقْصُر فيه
عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز لأول أمره ، فطال بالبلاد المشرقية تَوَاؤهُ .
وعُميت أنبأؤه ، وعلى هذا العهد وقفتُ [له] على قصيدة بخطه غرضها نبيل ،
ومرعاها غير وبيل ، تدل على نفس ونَفَس ، وإضاعة قَبَس . وهى :

لنا فى كل مَكْرَمَة مقام ومن فوق النجوم لنا مقام
روينا من مياه النجْد لما وردناها وقد كثر الزحام
ومنها :

فنحن همُّ وقل لى مَنْ سوانا لنا التَّقديم قُدْماً والكلام
لنا الأيدى الطوال بكل ضرب يهز به لدى الروع الحُسام
ونحن اللابسون لكل دِرْع يصيبُ الشمس منهنَّ انشلام
بأندلس لنا أيام حرب موافقهنَّ فى الدنيا عظام

(١) هذه الترجمة واردة فى الإسكوريال فقط . وقد نقل الشرقى عن الإحاطة نبذة فى ترجمة المذكور جاء فيها أنه محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى الجياني الأصل ثم المالقي . ثم نقل عنه بعد ذلك ما أورده ابن الخطيب فى الإكليل (النفع ج ٤ ص ٤٢ و ٤٣) .

تُخَوِّفُ مِنْهَا قُلُوبَ الرُّومِ خَوْفًا
 كَحَيْنَا جَانِبَ الدِّينِ احْتِسَابًا
 وَتَحْتَ الرَّايَةَ الْحَمْرَاءَ مِنَّا
 بَنُو نَصْرٍ وَمَا أَدْرَاكَ ^(١) مَامُ
 لَهِمْ فِي حَرْبِهِمْ فَتَكَاتِ عَمْرُو
 يَقُولُ عِدَائُهُمْ مِمَّا أَلْمَوْا
 إِذَا شَرَعُوا الْأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبِ
 كَانُ وَمَا حَمَّ فِيهَا نَجُومُ
 أَنَاسٍ تَخْلُفُ الْأَيَّامَ مِينًا
 وَأَيْنَا مِنْ أَبِي الْحِجَابِ شَخْصًا
 مُوَقَّى الْعِرْضِ مُحَمَّدٍ السَّجَايَا
 يَجُولُ بِنَهْنِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 قَوِيمُ الرَّأْيِ فِي نَوْبِ اللَّيَالِي
 لَهُ فِي كُلِّ مَعْضَلَةٍ مَضَاءُ
 رَوْوُفٍ قَادِرٍ يَغْفِي وَيَعْفُو
 تَطُوفُ بَيْتِ سُوْدُودِهِ الْقَوَافِي
 وَتَسْجُدُ فِي مَقَامِ غُلَاةِ شُكْرَا
 أَفَارِسِهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَخْنَتْ
 وَمَعَطَرُهَا إِذَا مَا السَّحْبُ كَفَّتْ

يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي الْمَهْدِ الْغَلَامُ
 فِيهَا هُوَ لَا يَهَانُ وَلَا يُضَامُ
 كِتَابُ لَا تَعْلَاقَ وَلَا تَرَامُ
 أَسُودَ الْحَرْبِ وَالْقَوْمِ الْكِرَامُ
 فَلِلْأَعْمَارِ عِنْدَهُمُ انْصِرَامُ
 أَتُونَا مَا مِنْ الْمَوْتِ اعْتَصَامُ
 لِحَقِّقُ أَنَّ ذَاكَ هُوَ الْحِمَامُ
 إِذَا مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَ الْقَتَامُ ^(٢)
 بِحَيٍّ مِنْهُمْ فَلَهُمْ دَوَامُ
 عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ لَهُ قِيَامُ
 كَرِيمُ الْكَفِّ مَقْدَامُ هِمَامُ
 فَيَدْرُكُهُ وَإِنْ عَزَّ الْمَسَامُ
 إِذَا مَا الرَّأْيُ فَارَقَهُ الْقَوَامُ
 مَضَاءُ الْكَفِّ سَاعِدُهُ الْحِمَامُ
 وَإِنْ هَظُمَ اجْتِنَاءُ وَاجْتِرَامُ
 كَمَا قَدْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْأَنَامُ
 وَنَعْمَ الرَّكْنُ ذَلِكَ وَلِلْقَتَامِ
 عَلَى أَبْطَالِهَا وَدَنَا الْحِمَامُ
 وَكَفُّ أَخِي النَّدَى أَبَدًا غَمَامُ

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات (ما أدريك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القتام) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بيحياء) .

لك الذكر الجميل بكل قطر
لقد جينا^(١) البلاد فحيث سرنا
فضلت ملوكها شرقاً وغرباً
فأنت لكل معلومة مدار
جعلت بلاد أندلس إذا ما
مكان أنت فيه مكان عز
وهبتك من بنات الفكر بكرا
فتره طرف مجدك في حلها
لك الشرف الأصيل المستدام
رأينا أن ملوكك لا يرام
وبت لملكها يقظاً ونام
وأنت لكل مكرمة إمام
ذكرت تغار مصر والشام
وأوطان حلت بها كرام
لها من حسن لفيالك ابتسام
فللمجد الأصيل بها اهتمام

محمد بن مسعود بن خالصة^(٢) بن فرج بن مجاهد

ابن أبي الخصال النافقي

الإمام البليغ، المحدث الحجة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من
شقورة، من كورة جيان، وسكن قرطبة وغرناطة.

حاله

قال ابن الزبير عند ذكره نذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال.
كان من أهل المعارف الجلّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله،
والتقيد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة^(٣) والأدب، والنسب

(١) وردت في الإسكوريال (جنت). والتصويب من النسخ.

(٢) هكذا وردت في «ج»، وفي «الزيتونة». وفي الإسكوريال (علصة).

(٣) وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وساقطة في «ج».

والتاريخ ، متقدماً في ذلك كله . وأما الكتابة والنظم ، فهو إمامهما المتفق عليه ، والمتحكما كفيهما إليه .

ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال : لم يكن في عصره مثله ، مع دين وفضل وورع .

قال أبو عمرو بن الإمام الإِسْتِجْى فى سِمْطِ الْجَنان ، لما ذكره : البحر الذى لا يُبْمَاتِح ولا يُسَاطِر ، والغيث الذى لا يُسَاجِل ولا يُقَاطِر ^(١) ، والروض الذى لا يُفَاقِح ولا يُعَاطِر ، والطود الذى لا يزاحم ولا يُخَاطِر ، الذى جمع أشنات المحاسن ، على [ماء غير ملح] ^(٢) ولا آسِن ، وكثُرَت فواضله ، فأَمِنَت المُمائل والمحاسن ، التى قُصِرَت البلاغة [على تحته] ^(٣) ، وأَلْقِيَت أزيمة الفصاحة فى يده ، وتشرَّفت الخطابة والكتابة باعترائهما إليه ، فنشَل كِنائتها ، وأرسل كايِنها ، وأوضح أسرارها ودفاينها ، فحَسِبُ الماهر المُحرِّر ، [والجُهيد العلامة البصير] ^(٤) إذا أبدع فى كلامه ، وأينع فى روض الإِجادة نِشَارَه ونظامه ، [وطالت قنَى الخطِبة الذبل أقلامه] ^(٥) ، أن يستنير بأنواره ، [ويقتضى بعض منهاجه وآثاره] ^(٦) وينثر على أثوابه مِنك غُبَارَه ، وليعلم كيف يتفاضل الخبَر والإنشاء ، ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء .

[وعضَه المَعْمُور أبو نصر] ^(٧) فى قَلائده . حيث قال ، « هو وإن كان خامل المُنشأ نازله . لم يُنْزله المجدُ منازلَه ، ولا فرَعُ للعلاء هِضابا . ولا ارتشف للسنا رضابا ،

(١) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (بخاطر) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال (عل غير طوق) . والأولى متشعبة مع المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال (عليه) . والأولى أنسب للسياق ومقتضيات السجع .

(٤ و ٥ و ٦) هذه العبارات الثلاثة المحصورة بين الخواصر واردة فى الإسكوريال . والأولى منها ساقطة فى المخطوطين . والثانية والثالثة ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ومكانها فى المخطوطين (وذكره الفتح فى قلائده) وأبو نصر هو كنية الفتح بن خاقان صاحب القلائد .

قد تميّز بنفسه ، وتمييز من [أبناء] ^(١) جنسه ، وظهر بذاته ، ونُفِرَ بأدواته .

مشيخته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، في الصلة : روى عن الغسانی ، والصدفي ^(٢) وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي عمران بن تليد ، وأبي بحر الأسدي ، وأبي عبد الله الثقفزي ، وجماعة غيرهم .

توالياقه

قال الأستاذ ، وأما كتبه وشعره ^(٣) وتوالياقه الأدبية ، فكل ذلك مشهور ، متداول بأيدي الناس ، وقل من يُعلم بعده ، أن يجتمع له مثله ، رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه ابن بشكوال ، وابن حبيش ، وابن مضاء وغيرهم . وكل ذلك ذكره في رحاله ، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله .

شعره ^(٤)

وله شعر كثير . فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحق بن خفاجة :
هَبْ النسيم هبوب ذى إشفاق يُذهبن الهوى بجناحه الخطاق

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين . وهي ساقطة في الإسكوريال . وفي القلائد

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الصدقي) .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

(٤) لم يرد في «ج» و «الزيتونة» من شعر ابن أبي السحال سوى عشرة أبيات ، في حين أن شعره في مخطوط الإسكوريال يملأ عدة صفحات من لوحة ٢٢ إلى لوحة ٢٨ ، ويرد ضمن ذلك الأبيات العشرة التي وردت في المخطوطين . ومن ثم فقد رأينا أن نتبع مخطوط الإسكوريال في إيراد شعره .

باحت لها سراير العشاق
 لعب الغرام بمهجة المشتاق
 لم يبق من تلك الصباية باق
 أنا قد أذنتك مفارق بفراق
 والموت في نظري وفي استنشاق
 قرْبته هَدْيًا إلى أشواق
 والأمن ظِلِّي والشباب رواق
 ضيزى لأن السكر من أخلاق
 ولذلك قام السكر باستحقاق
 بها من بعدما انبسطت يمين انساق
 هامت بها الوسطى من الأغلاق
 أنى أدين اللهو دين نفاق
 سدكت يد الملسوع منه براق
 نور تجيم من ندى الأحداق
 فأنارها وسرى عن الأحداق
 فتانة الأوصاف والأعراق
 وهى السريرى فى هواها الباق
 لو شعثت برضا أبى إسحاق

وكأنا صبح الغصون بنشوة
 وإذا تلاعبت الرياح بيبانه
 مه يانسيم فقد كبرت عن الصبا
 إن كنت ذاك فلمست ذاك ولا
 ولقد عهدت سراك من عهد الهوى
 أيام لو عن السلو لخاطرى
 الهوى إلفى والبطالة مر كفى
 فى حيث قُسمت المدامة قسمة
 لا ذنب للصباء أنى غاصب
 ولقد صدت الكأس فانقبضت
 وتركى فى وسط الندامى خلة
 فاستسرفونى مذكرين وعندهم
 وحبابها نفث الحجاب وربما
 وكأنه لما توقر من فوقها
 لو بارح نفخ النوى فى روضة
 ولقد جلوا والله يدرأ كيدهم
 أغوى بها إبليس قدماً أداماً
 تالله أصرف نحوها وجد الرضا

ومن نسيبه :

رويت فيها السرور من طرق
 ناراً من الراح برحت حرق

وليله عنبرية الأفق
 وكنت حران فاقندحت بها

وافت بها عاطلا وقد لبست
فأجابها الدهر من بفيه دُجا
قامت لنا في المقام أوجههم
وأطلع البدر من ذرى غصن
من عبد شمس بدا سنه
مدَّ بحمراء من مُدامته
فخلتها وردة مُنعمّة
نشرت في الراح حين نشرتها
وقال :

| يا حبذا ليله لنا سلكت
دارت بظلماتها المُدام فك
وقال | في مُنَّ زار ، بعده أغبَّ وشطَّ للمزار |^(٢)
في غيبة قُبِحت^(٣) بها آتاره
فحما إسـاءته لنا إحسانه
وقال يعتذر عن استبطاء مُكاتبة :

ألم تعلموا والقلب رهنٌ لديكم
يخبئكم عنى بمُضجره بعدى

(٢) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وقد ورد مكانها في المخطوطين (في غائب
آب بعد ما غب المزار) . ويلوح لنا أن عبارة الإسكوريال هي الأرجح . حيث وردت في البيب
الثاني كلمة (أو تاره) ، وهي نايقرن بذكر المعنى .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (حظيت) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أنواره) . وفي الزيتونة (اماره) .

(٦) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

فلو قلبتني الحادثات مكانكم
لم تعلموا أني وأهلي وواحد
لأنهيتها وفري وأودلائها خدي
فدا ولا أروى بتقديرة وخدي
ومن قوله في غرض المسح يخاطب تاشفين بن علي^(١) ويذكر الواقعة
بكركي، يقول فيها :

الله أعطاك فتحاً غير مشترك
أرسل عنان جواد أنت راكبه
حتى يصير إلى الحسنى على ثقة
قد كان بعدك للأعداء تملسكة
سارت بك الجردا وطار القضاء بها
فما تركت كيباً غير مُنْعَفِرٍ
ناموا وما نام موتور على خنق
فصَبَحَتْهُمْ جنود الله باطشة
من كل مُبْتَدِرٍ كالنجم مُنْكَدِرٍ
فطاعنوك بأوامح وما طعنك
تعجل النحر فيهم قبل مواسمه
فالطير عاكفة والوحش واقفة
عدت على كل عادٍ منهم أسر
كلى هيناً مريئاً واشكرى مَلِكاً
ورد عزمك عن فوتٍ إلى درك
واضمم يديك ودعه في يد الملك
يُهدى سبيلك هادٍ غير مُؤْتَمَكٍ
حتى استدرت عليهم كورة الفلك
والخين قد قيد الأعداء في شرك
ولا تركت نجيعاً غير مُنْصَفَكٍ
أسدى إذا فرصة من السلك
والصبح من عبرات الفجر في مُسَكٍ
تفيض أنفسهم غيظاً من المسك
وضاربوكم بأسياف ولم تحرك
وقدّم الهدى منهم كل ذى نُسك
فد أثقلتها لحوم القوم عن حرك
بعته في خنجر رخب وفي حنك
قرنك أسيافه في كل مُعْتَرَكٍ

(١) هو الأمير تاشفين بن علي بن يوسف المرابطي ، أمير المسلمين بالمغرب والأندلس (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) . وقد ولاه أبوه شئون الأندلس سنة ٥٢٢ هـ . وقد خاض تاشفين عدة معارك ظافرة ضد القشتاليين ، كانت منها معركة كركي في سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) . وكركي بلدة حصينة تقع على مقربة من قلعة رباح جنوبي نهر وادي بانه .

فلو تَنَضَّدَتِ الهَامَاتُ إِذْ نَشَرْتَ بالقَاعِ لِلغَيْظَانِ بِالنَّبْكِ
 أْبْرَحَ وَطَالِبِ بِيَاقِي الدَّهْرِ مَاضِيهِ فَيَوْمَ بَدَّرِ أَقَامَهُ الْغَيَاءُ فِي فَدَاكَ
 وَكَمْ مَضَى لَكَ مِنْ يَوْمِ بِنْتٍ لَهُ فِي مَاقِطِ بَرْمَاحِ الْحِظِّ مُشْتَبِكِ
 بِالنَّقْعِ مَرَّتَكُمْ بِالْمَوْتِ مُلْتِمِ بِالْبَيْضِ مُشْتَمِلِ بِالشَّمْرِ مُحْتَبِكِ
 فَخَصَّ الْقِيَابَ إِلَى فَخْصِ الصَّعَابِ إِلَى أَرْيُوْلَةِ مَدَاسَاتِ إِلَى السَّكْكِ
 وَكَمْ عَلَى حَبْرٍ مَحْمُودٍ وَجَارَتِهِ لِلرُّومِ مِنْ مَرَّتِكِلْ غَيْرِ مُتْرَكِ
 وَفِيَتْ لِلصُّفْرِ حَتَّى قِيلَ قَدْ غَدَرُوا سَمَوْتَ تَطْلُبُ نَصْرَ اللَّهِ بِالْدَّرَكِ
 فَأَسْلَمَتْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ غَدَوْتَهُمْ وَأَذْهَبَ السَّيْفُ مَا بِالْأَدْنِ مِنْ خُنْكِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّامِيُّ بِهَمَّتِهِ إِلَى رَضَى اللَّهِ لَا تَعْدَمُ رَضَى الْمَلِكِ
 مَا زِلْتَ تُسَمِعُهُ بُشْرَى وَتُطْلِعُهُ أُخْرَى كَدَرٌ عَلَى الْأَجْيَادِ مُنْسَلِكِ
 بِيَضَّتْ وَجْهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا وَالْأَرْضُ مِنْ ظُلْمَةِ الْإِلْحَادِ فِي حَلَاكِ
 فَاسْتَشْعَرَ النَّصْرَ وَاهْتَزَّتْ مَنَابِرُهُ بِذِكْرِ أَرْوَعِ الْكَفَارِ مُحْتَبِكِ
 فَأَخْلَدَكَ وَلِنْ وَالْإِكْ طَاعَتِهِ خُلُودَ بَرٍّ بِتَقْوَى اللَّهِ مُنْتَبِكِ
 وَافِيَتْ وَالْغَيْثُ زَاخِرٌ قَدْ بَكَاطَرَبَا لَمَّا ظَفَرْتَ وَكَمْ بَلَاءٌ مِنَ الصَّحْكِ
 وَتَمَّ اللَّهُ مَا أَنْشَأْتَ مِنْ حُسْنِ بِكُلِّ مُنْسَبِكِ مِنْهُ وَمُنْتَبِكِ
 وَعَنْ قَرِيبِ تَبَاهَى الْأَرْضِ مِنْ زَهِيرِ سَمَاهَا بِهَا غَضَّةُ الْحَبْنِكِ
 فَعُدَّ وَقَدْ وَاعْتَمَدَ وَأَحْمَدَ وَسُدَّ وَأَبْدَ

وَقُلْ وَحِلْ وَاسْتَطِلْ وَاسْتَوِلْ وَانْتَهَكْ
 وَحَسْبُكَ اللَّهُ فَرْدًا لَا نَظِيرَ لَهُ تَغْنِيكَ نُصْرَتُهُ عَنْ كُلِّ مُشْتَرِكِ
 وَمِنْ قَوْلِهِ فِي غَرَضِ الرِّثَاءِ ، يَرِنِي الْقَفِيدُ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ مَغِيثٍ :
 الدَّهْرُ لَيْسَ عَلَى حُرٍّ بِمُؤْتَمِنٍ وَأَيُّ عِلْقٍ تَخْطُتُهُ يَدُ الزَّمَنِ

كأن أذبر لم يسكن إلى مسكن
 هلاً بكيت فراق الروح للبدن
 وانحاز عنواً وخلي الطين في الكفن
 حتى تخلص من سقم ومن درن
 فيالها صفقة بئت على دغن
 أظنها محرقة كانت على دخن
 وافي وقد نبت المرعى على الدمن
 يدعو إلى الرشد أو يهدي إلى الشن
 من صاحب كرم أو سيد قن
 فمن لنا بالذي أعيا أبا حسن
 فهاج ما شاء ذاك القرن من شجن
 كل ذي خلق عمرو وذى فطن
 حياته لعزير القند والظمن
 بما يقاوم ذاك الطيش من مسكن

يأتي العفا على الدنيا وساكنها
 باباً كيا فرقة الأحباب عن شحط
 نور تقيّد في طين إلى أجل
 كالطير في شرك يسمو إلى درك
 إن لم يكن في رضى الله التقا وهما
 يا شد ما افترقا من بعد ما اعتنقا
 ورب سار إلى وجه يسر به
 أتى إلى الله لا سمع ولا بصر
 في كل يوم فراق لا بقاء له
 أعيا أبا حسن فقد الذين مضوا
 كأن البقية في قوم قد انقرضوا
 بعد فداً وفي أثوابه رمز من
 وإن من أوجدتنا كل مفتقد
 من للملوك إذا خفت حلومهم
 ومنها :

نشكو اغتراباً وما بنا عن الوطن
 في كل أمر على الإسلام مؤتمن
 فرجتها بحسام سل من لسن
 عنانه خلوة هزت ذرى وتر
 لحس واردة في الفرض والشن
 هوى فن قدر عال إلى فدن

يا يونس لا تسر أصبحنا لو حشتنا
 ويأطاعاً مطيعاً لا عناد له
 كم خطت كل تجاج البحر مبهمة
 طود المهابة في الجلا وإن جذبت
 أكرم به سبباً تلقى الرسول به
 ناهيك من منهج سم القصور به

من كل وادى التقى يسقى الغمام به
تجمعت بك فى أحسابها مضر
من دولة حولها الأنصار حاشدة
من الذين هم رووا وهم نصروا
إن يبدُ مطلع منهم ومستمع
ما بعد منطقته وثى ولا زهر
أقول وفيها فضل سودده
محمد ومغيث نعم ذا عوضاً
تقبلاً هديه فى كل صالحة
ما حل حبوته إلا وقد عدا حياً
غر الأجابة عند حسن عهدها
علماً وحلماً وترحياً وتسكينة
يا وافد الغيث أوسع قبره نزلاً
وطبق الأرض وبلا فى شفاعته
وأنت يا أرض كوفى مرةً بأبى
وإن تردت بترب فيك أعظمه

فيستهل شروق الضرع بالبين
وأصلُ مجدك فى جرثومة اليمين
فى طامح شاخ الأركان والفتن
من عيسة الدين لا من جذوة الفتن
فارغب بنفسك عن لحظ وعن أذن
ولا لأعلاق ذاك الدر من تمن
استغفر الله ملء السر والعلن
ها سلاله ذاك العارض الهين
نصر السوابق عن طبع وعن مرين
بما اختار من أيد ومن ممن
وإن يونس فى الأتواب والجنين
للزائرين وإغضاء على زكن
وروماً حول ذاك الدميم من ثكن
فنعم رايد ذاك الرئيف واليمن
مشوى كريم ليوم التبعث مرتين
فكم لها فى جنان الخلد من ركن

ومن شعره قوله محمداً [كتب بها] ^(١)، وقد أقام بمراكش ينشوق إلى
قرطبة:

بكت ^(٢) لهم بالمرور والشمل جامع بروق بأعلام المديب لوامع

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وردت فى المخطوطين (وكتبتها) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (سحت) والأولى أنسب للسياق .

فباحث بأمرار الضمير المدامع ورُبَّ غرام لم تنله المسمع
[أذاع بها] ^(١) من فيضها التصويب ^(٢).

[ألا في سبيل الشوق قلبٌ مؤثِّلُ] يركب إذا شاء والبروق تحمل
هو المـوت الا إننى أتحمِّلُ إذا قلت هذا مَنهل عَزَّ مَنهل
ورايةُ برقي نحوها القلبَ يَحْجُبُ.

أبى الله إماما كل بُعْدٍ فسابت وإما دنوُّ الدار منهم ففايت
ولا يُلَفَّت البين المصمَّم لافَت وياربُّ حَىِّ البارِق المتهافت
غرابٌ بتفريق الأحبة يَنْعَبُ.

حنوا بدمى ذاك الوَسِيق المُضَرِّجا وروضاً بِنَيْض العاشقين تأرجا
عفى الله عنه قاتلاً ما تحوَّجا تَمْشَى الرَّدَى فى نَشْره وتدرِّجا
وفى كل شيء للمنيّة مذهب.

سقى الله عهداً قد تقلَّص ظله حيا قَطْرُه يبحي الرُّبا مستهله
وعى به شخصاً كريماً أَجِلُه يُصِحُّ فَوادى تارةً ويُعِلُّه
ويُلْثمه بالذكر طَوْرًا وَيُشْعِب

رمانى على قُرْب بَشَرخ ذكائه فأعشت جُفونى نظرة من ذكائه
وغُصَّت بأدنى شُعبة من سمايه شِعابى وجا البحر فى غُلوائه
فكل قرب ردع خديّه يركب

ألم يأتِه أُنّى ركنْتُ قعوداً وأجمعت عن وفَرِ الكلام قعودا
ولم أعتصر لذلِّكَرْ بَعْدَكَ عودا وأزهقنى هذا الزمان صُعودا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ودام بها) .

(٢) هذه المقطوعة الخاسية واردة فى المخطوطين .

فَرَبَعَ الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ سَبَسَبَ .

عَلَى تِلْكَ مِنْ حَالِ دَعَوْتُ سَمِيعًا
وَتَمَلَّأَ الشَّعْبُ الْمَذْحِجِي جَمِيعًا
وَأَحْدَاقَ عَيْنٍ بِالْحَمَامِ تُقَلِّبُ

وَلَمْ أُنْسَ مَمَشَانَا إِلَى الْقَصْرِ ذِي النَّخْلِ
وَأَشْرَفُ لَا عَنْ عَظَمِ قَدَرٍ وَلَا فَضْلِ
يَقِيهِ تَبَاوُحِ الشَّمَالِ وَيَحْجُبُ .

فَكَمْ تَوَجَّعَ يَنْتَابُهُ بِرَمِيْسِهِ
إِبْقِ أُمَّ عَمْرُو فِي بَقَايَا دَرِيْسِهِ
فَرُفَعْنَهُ نَسْبَى الْقُلُوبَ وَتَعَجَّبُ

وَبِضَاءِ اللَّيْضِ الْبِهَائِلِ تَعْتَرِيهِ
سِوَى أَنَهَا بَعْدَ الصَّنِيعِ الْمُطَوَّرِ
يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَنْدُبُ .

وَكَمْ لَكَ بِالزَّهْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّدٍ
يَسْكُنُ مِنْ خَفَقِ الْجَوَانِحِ بِالْيَدِ
وَلَا هَيْبَةَ تُخَشِي هُنَاكَ وَتُرْهَبُ .

لَنَمِ مَقَامَ الْخَاشِعِ الْمُتَنَسِّكِ
مَتَى يُوْرِدُ النَّفْسَ الْعَزِيزَةَ يَسْفِكُ
وَأَيَّ مَرَامٍ رَامَهُ يَتَصَمَّبُ

قُصُورُ كَانَ الْمَاءُ يَمِشِقُ مَبْنَاهَا

وَذَكَرْتُ رَوْضًا بِالْعُقَابِ مَرِيْمَا
وَسِرْبًا بِأَكْنَافِ الرُّصَافَةِ وَيَمَا

بِمَحِثِ تَجَانِي الطُّودِ مِنْ دَمِثٍ سَهْلٍ
وَلَكِنَّهُ لِلْمَلِكِ قَامَ عَلَى رِجْلِ

وَيَرْتَحِلُ الْفَتَى بِأَرْجْلِ عَيْسِيهِ
كَسَحَقِ الْيَمَانِيِّ مُعْتَلِيهِ نَفْسِيهِ

وَتَعَتَّرَ بِالْبَانِ جَلَالًا وَتَنْتَرَى
كَسَاهَا الْبَلَى وَالْشُّكْلُ أَثْوَابُ مُعْوَزِ

وَوَقْفَةُ مُنْسَقِ الْجَمَاعِ مُقْصَدِ
وَيَهْتِكُ حُجَبَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ

وَكَانَتْ فِي مَحَلِّ الْعَبَسِيِّينَ الْمَمْلُوكِ
وَإِنْ يَسْمُ نَحْوُ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ يَمْلِكُ

فَطَوْرًا يَرَى تَابَجًا بِمَفْرِقِ أَهْلَاهَا

وطورا يرى خلخال أسوق سُفلاها
يقول هوى بدرأ أو انقضَّ كوكب
أناها على رَغَم الجبال الشواهِق
وكم دَفَعَت في الصَّدر منه بعانق
حساباً بأنفاس الرياح يَذَرَب
هي الخلود من قرن إلى قدم حُسناً
ودَرَج كالآفلاك مبنى على مبنى
وأَسباب هذا الحُسْن قد تشعَّب
فأين الشُّموس الكالِفَات بها ليلاً
وأين الظُّلُبا السابحات بها ذيلاً
فوا عجباً لو أن من يَتَعَجَّب
كم احتَضَنَت فيها القِيان المَازِها
وكم سَاهَرَت فيها السكوا كب سامِرا
عظيم من الدنيا شعاع مُطَنَّب
كان لم يكن يَقْضَى بها النُهي والأمر
ويُسْفَر مخفوراً بذمتها الفخر
وأَيامه تُعْزَى إليها وتُنسَب
ومالك عن ذات القِرْبَى النَّوَاضِح
وذى أثرٍ على الدهر واضح
ويَعْمُر ذَكَرَ الداهِبِينَ ويخرب

إذا زَلَّ وَهَنًا عن ذوايِبِ يَرواها
وكلُّ مُنِيف للنجوم مُراهِق
فأودَع في أحشائها والمفارق
تناصف أقصاها جمالا مع الأدنى
توافَقْنَ في الإِتقان واختلف المعنى
وأين الفُصون المائِسات بها مَيْلا
وأين الثَّرَى رَجَلا وأين الحِصاخيلا
وكم فَاوَحَّت فيها الرِياض المجامِرا
وكم قد أَجاب الطير فيها المزامِرا
ويُجْبَى إلى خزائنها البرِّ والبحر
ويُصْبِح مَخْتوماً بِطِينَتِها الدهر
وناصحة تُعْزَى قديماً لناصح
يُخْبِر عن عهدٍ هنالك صالح

تَصَعَّدَ مِنْ سِفْلٍ وَأَقْبَلَ مِنْ عَلٍ
وَمَا اتَّفَقَا إِلَّا إِلَى خَيْرِ مَنْزِلٍ

فَسَارَا إِلَى وَصْلِ النَّضَاءِ وَمَسَافِرَا
فَقَالَ وَلِيُّ الْحَقِّ مَهْلًا تَظَافَرَا

وَأَرِ الذِّى لَا يَقْبَلُ النُّصْفَ مُنْبَتٌ
فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْحَقُّ وَأَتَجَهَّ السَّمَتُ

وَمُسْتَشْرِفًا يُلْهِى الْعَيُونَ وَمَنْظَرًا
وَجَوْسِقَ مَلِكٍ قَدْ عَلَا وَتَجَبَّرَا

وَأُثْبِتُهُ فِي مَلْتَقَى كُلِّ وَارِدٍ
وَكُلُّ فِتْنَةٍ عَنْ حُرْمَةِ الدِّينِ زَائِدٍ

وَأُصْحِرَ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءَ لِيَصْرَخَا
كَذَلِكَ مِنْ جِاسِ الدِّيَارِ وَدَوَّخَا

قَضُوا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِمْ نَمَّ وَدَّعُوا
تَأَمَّلْ فَبِهَذَا ظَاهِرُ الْأَرْضِ بَلَقَعَ

تَلَاقَى عَلَيْهِ فَيْضُ نَهْرٍ وَجَدُولٍ
فَبِهَذَا جَنُوبِيَّ وَذَلِكَ شِمَالِيَّ
وَالْإِفَانُ الْفَضْلُ مِنْهُ مُجَرَّبٌ

كَأَنَّهُمَا فِي الطَّلِبِ كَانَا تَنَافَرَا
وَلَمَّا تَلَاقَى السَّابِقَانِ تَنَاسَطَرَا
فَكُلُّكُمَا عَذْبُ الْمَاجَةِ طَيِّبٌ

أَلَمْ يَعْلَمَا أَنَّ الْعِلَاجَ هُوَ الْمَقْتُ
وَمَا مِنْكُمَا إِلَّا لَهُ عِنْدَنَا وَقْتُ
تَقَشُّعٍ مِنْ نَوْرِ الْمَوْدَةِ غَيْهَبٍ .

وَإِنْ لَهَا بِالْعَامِرِيَّةِ لَمْظَهْرَا
وَرَوْضُنَا عَلَى شَطْطِ خَضَارَةِ أَخْضَرَا
لَهُ تَرَّةٌ عِنْدَ السَّكَاكِيبِ تُطْلَبُ

غَيْرُهُ فِي عُنْفَوَانِ الْمَوَارِدِ
وَأُبْرُزُهُ لِلْأَرْبَحِيِّ الْجَاهِدِ
حَفِيفَتُهُ فِي صَدْرِهِ تَتَلَهَّبُ

تَقَدَّمَ عَنْ قَصْرِ الْخِلَافَةِ فَرَسَخَا
لِحَالَتِهِ أَرْضَ الشَّرْكِ فِيهَا مُنَوَّخَا
فَرَدَعَتْهُ فِي الْقَلْبِ تَسْرَى وَتُرْهَبُ

أَوَّلِيكَ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا وَتَصَدَّعُوا
فَهَلْ لَمْ رَكُزٌ يُحَسُّ وَيُسْمَعُ
إِلَّا أَنَّهُمْ فِي بَطْنِهَا حَيْثُ غُيِّبُ .

وَأَنْ يَبَاضَ الصُّبْحُ لَيْسَ بِذِي خَفَا
وَكُنَّ حَديقًا لِلْفُودِ مُعْرِفًا

أَخْلَاءَ صِدْقٍ كَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ
وَأَرْجَعُ حَتَّى لَسْتُ يَوْمًا بِرَاجِعِ

وَلَا يَمُتِلْ إِخْوَانِي بِمَقْنَاكَ إِخْوَانِ
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ لَهُ شَانِ

وَأَنْتَ لَشَمْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مَطْلَعِ
وَكُلُّ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ أَجْمَعِ

وَدَانَتْ لَهَا فِيهَا مَلُوكُ الطَّوَايِفِ
بِكُلِّ حَسَامٍ مُرْهَفِ الْحَدِّ رَاعِفِ

وَكَبَيْتُهَا نَدَا الْفُودِ وَيَمَّمُوا
وَعَاذُوا بِهَا مِنْ دَهْرٍ وَتَحَرَّمُوا

هَوَاؤُكَ مَخْتَارٌ وَتُرْبُكَ مُنْتَقَا
وَيَدُوكَ مَرْبُوعُ الْقَوَاعِدِ بِالتَّقَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الْمَقَامَ عَلَى شَفَا
وَكَمْ رَسَمَ دَارٍ لِلْأُجْنَةِ قَدْ عَفَا
فَأَصْبَحَ وَحْشَ الْمُنْتَدَى يُتَجَنَّبُ

وَلِلَّهِ فِي الدَّارَاتِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ
أَشْيَعُ بَيْنَهُمْ كُلُّ أَيْضٍ نَاصِعِ
فِيَالْبَيْتَى فِي رِسْمِي أَنَهَيْبُ

أَقْرَبُ لَمْ يَنْتَنِي عَنْكَ سُؤْلَانُ
وَإِنِّي إِذَا لَمْ أَسْقِ مَاءَكَ ظَمَانُ
وَمَوْطِنِي آثَارُ تَعَدُّ وَتُكْتَبُ

لَكَ الْحَقُّ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَلَوْلَاكَ كَانَ الْعِلْمُ يُطْوَى وَيُرْفَعُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى وَالْحُسُودُ مُعَذَّبُ

أَلَمْ تَكُ خُصَّتْ بِاخْتِيَارِ الْخَلَايِفِ
وَعُضَّ ثِقَافُ الْمُلُوكِ كُلِّ مُخَالَفِ
بِهِ تَحْقِنُ الْأَجَالَ طَوْرًا وَتُسَكَّبُ

إِلَى مُلْكِهِمَا انْقَادَ الْمُلُوكِ وَسَلَّمُوا
وَفِيهَا اسْتَفَادُوا شَرْحَهُمْ وَتَعَلَّمُوا
فَنَسَكَبَ عَنْهُمْ صَرْفُهُ الْمُنْسَحَبُ

عُلُوتِ مَا فِي الْحُسْنِ فَوْقَكَ مُرْتَقَا
وَجِسْمُكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ مُلْتَقَا

إلى فضله لا كباب تُنْفِى وتُضرب

تولى خيار التابعين بقاءه
ومدّوا طويلا صيته وثناءه
ولا زال سعى الكايدين يُخَيِّب

وبالغ فيه كلُّ أروع أُصَيْدٍ
وشادوا وجادوا سَيِّداً بمد سيد
يقوم عليه الثناء ويخطب

مصايحه مثلُ النجوم الشّوابك
وتحفظه من كل لاهٍ وسالك
فإبشارهم بالطَّبْطَبِيَّةِ تُنْهَبُ

أجْدُك لم تشهد بها ليلة القَدْرِ
وقد أُصِرْجت فيه جبالُ من الزَّهَرِ
لأَوْشَك نوره الفجر يَفْئِي وَيَنْضَبُ

كَأَنَّ لِلثَّرَيَّاتِ أطوادُ من نرجس
وطيب دخان النَّدَمِ من كل مُعَقِّسٍ
وأذياه فوق الكواكب تُسحب

إلى أن تبدّت راية الفجر تَرْحَفُ
تولوا وأزمار المصاييح تُقْطَفُ
كما تُنْصَل الأوامح ثم تُرْكَبُ

سلام على غيابها وحضورها
سلام على أوطانها وقصورها

وخطّوا بأطراف العوالى فناءه
فلا زال مخلوعٌ عليه سَناءه

طويل المعالى والمكارم واليد
فبادوا جميعاً عن صنيع مُخَلَّدٍ

تمزّق أبواب النجوم الحوَالِكِ
أجادل تنقضُ انقضا النِّيازِكِ

وقد جاش برُّ الناس منه إلى بحر
فلو أن ذلك النور يُقْبَس من فجر

ذوائبه تهفُّ بأذى تنفُسِ
وأنفاسه فى كل جسم وملبسِ

وقد قضى الذى لا يُسَوَّفُ
وأبصارها صوتاً تغضُّ وتطْرِفُ

سلام على صحرايها وقبورها
 فحسن دفاع الله أنحى وأرهب
 وفي ظورها المعشون كل مرفع
 متى تاته شكوى الظلّامة تُرفع
 من الله في تلك المواطن يُقرب
 ولكم كربة ملء الجوانح والقلب
 برؤعتها قبر الولي لي وهب
 فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغب
 فياصحبي حان قبلك مصرعي
 فخطأ بصاحي ذلك الشرى مضجعي
 فعندم للجار أهـل ومرحب
 رعى الله من يرعى العهد على النوى
 وليبينه من مستحكم الودّ والهوى
 وأهدى سبيله الذي يتجنب
 ولا زال سور الله من دونه سورها
 وفي بطنها الممشوق كل مُشفع
 وكل بعيد المستغاث مُدفع
 طرقت وقد نام المواسون من ضج
 وناديت في الثرب المقدس يارب
 وكنت على عهد الوفا والرضا معي
 وذرتي لجار القوم غير مُروّع
 ويُظهر بالقول المحبّر ما نوى
 يرى كلّ وادٍ غير واديه مجتوى
 [١]

كتابه

وكتابة ذى الوزارتين رحمه الله ، كالشمس ^(٢) شهرة ، والبحر ^(٣) والقطر

(١) إن جميع الشعر الخماسي المحصور بين الحواصر وارد كله في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الشمس) .

(٣) ساقط في «ج» ووردة في الإسكوريال والزيتونة .

كثرة ؛ ونحن نثبت له شيئاً من ذلك ليلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه .
كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز ، من رسالة ، كتب بها إليه مع حاج
يضرب القرعة :

أطال الله بقاء وليي^(١) ، وإمامي^(٢) ، الذي له إكبارى وإعظامى ، وفي سلكه
أئامى وانتظامى ، [وإلى ملكه انتسابى واعتزائى ، وبوؤده افتخارى وانزياى] ^(٣) ،
للفضائل بحبياً ومبدياً ، وللمحامد مشتملاً ومُرْتدياً^(٤) ، وبالغرائب مُتَحَفّاً ومُهْدِياً ،
[ولا زال الرُخاء وأزل ، وجدّ من المصافة وهزل ، وسَحَتْ من المראה وجَزُل] ^(٥) .
وصل كتابه صحبة عرّاف اليمامة ، وغر^(٦) تجمّد وتيهامه ، [يقرّظه ويزكّيه ، ويضمّه
بالخب^(٧) يفسّره ويحجّله] ^(٨) ، والخب^(٩) يظهره ويبيديه . ولعله رائدٌ ، لابن
أبى صايد ، أو هادٍ للمسيح الدجال قايد . أشهد شهادة إنصاف ؛ أن عنده لَعْضَباً
صاف^(١٠) ، ولو كان هناك ناظر صادق^(١١) طاف ، ولله خايا الأنطاف ، لقلتُ
هو بادٍ غير خاف ، من بين كل ناعلٍ وحاف . وسأخبرك أيدك الله ، بما
اتفق ، وكيف طار ونعق . وتوسّد الكرامة ، وارتفق ، [طرق له وصمك

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ريسمى) .

(٢) ساقطة في «ج» واردة في الإسكوريال و «الزيتونة» .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في «ج» و «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مجتدياً) .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و «الزيتونة» مع فروقات يسيرة ؛ وساقط في «ج» .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وحدى) . والزيتونة (وحرأ) .

(٧) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (الحق) .

(٨) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . ومكانه في «ج» عبارة (يقرّظه

ويحجّله) فقط .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (والخفاء) .

(١٠) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (أصداف) .

(١١) وردت في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

وَنَعَتِكَ ، وَثَقَّفَهُ بَرِيكَ وَنَحْنُكَ ، وَرَفَعَهُ لِلْعِيُونِ جَدُّكَ وَبَنَحْنُكَ ^(١) ، وَامْتَدَّتْ
نَحْوُهُ النَّوَاطِرُ ، وَاسْتَشْرَفَهُ الْغَايِبُ وَالْحَاضِرُ ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهِ النَّابِهُ ^(٢) وَالْخَامِلُ ،
وَأَزْدَحَمَ عَلَيْهِ الْعَاطِلُ وَالْعَامِلُ . هَذَا يَلْتَمِسُ مَزِيدًا ، وَذَاكَ يَبْتَغِي حَقًّا ^(٣) جَدِيدًا ،
وَهَذَا يَطْلُبُ تَقْلِيدًا ، [وَذَاكَ يَسْأَلُ إِلَى مَغَالِيْقِهِ إِقْلِيدًا] ^(٤) . فَكَلِمَا حَزَبٌ ،
وَعَلٌّ وَجَلْبٌ ، حَلَبٌ وَاسْتَدَرٌّ ، وَتَلَقَّاهُ [وَإِنْ سَاءَهُ الْغَيْبُ] ^(٥) بِمَا سَرَّ . وَكُنْتُ
وَاتَعْتُ جَمَلَةً مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَوَاغَفْتُ ثُلَّةً مِنْ جِلَّةِ الْإِخْوَانِ ، عَلَى تَمْشِيَةِ أَمْرِهِ ، وَتَوَشُّيَةِ
ذِكْرِهِ ؛ فَلَمَّا صَدَقَتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، وَاسْتَوَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْفَرْقَةُ ، أَحْضَرَاهُ لِلْسُّبَّارِ ،
وَأَقْعَدْنَاهُ لِلنَّقْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى جَلَايَا تِلْكَ الْأَخْبَارِ ، فَأَحْضَرْنَا
طَحْنًا وَنَطْعًا ، وَسَرَيْنَا عَنْهُ مِنَ الْوَحْشَةِ قَطْعًا ، وَقَلْنَا لَهُ خَذْ عَفْوِكَ ، وَلَا تَوَرِّدُنَا ^(٦)
إِلَّا صَفْوِكَ ، وَلَا تَصَانِعْنَا فِي السَّكْرِيَّةِ الَّتِي نَرَاهَا ، وَالْحَادِثَةِ تُسْتَمْطَعُ ذِكْرَاهَا ؛
فَمَا عِنْدَنَا جَهْلٌ ، وَمَا مَنَا إِلَّا مُحْتَمِكٌ كَهْلٌ ، لَا يَتَسَكَّدُهُ حَزَنٌ ، وَلَا يَسْتَحْفَهُ
سَهْلٌ ، فَسَكَنَ جَائِشُ قُوْرِهِ ، وَضَرَبَ بِلَحِيَّتِهِ عَلَى زُوْرِهِ ، ثُمَّ صَدَفْنَا النَّظَرَ وَصَوَّبَ ،
وَاسْتَهْلَ صَارِخًا وَثَوَّبَ [وَتَمَحَرَّجَ مِنَ الْكُنْبِ وَتَحَوَّبَ] ^(٧) ، وَقَالَ لَسْتُ لِلْعَشْرَةِ
خَابِدًا ، وَلَا لِلْأُطْرَفِ غَامِضًا ، وَلَا عَنِ الصَّدَقِ إِذَا صَدَعَ حَايِدًا ، وَلَا لِلْعَذْرِ مِمَّنْ وَقَعَ
مِنْهُ ذَائِبًا ، وَلَا بِمُعْجَزَاتِ النُّبُوَّةِ لَاعِبًا ، وَلَا لِمَتْرِيحِ الْجَدِّ مُدَاعِيًا ، وَلَا تَطْيِيْبِي
مَسْأَلَةً وَلَا حُلُوَانَ ، وَلَا تَسْتَفْزِيْ نِصَائِدَ كَثِيرَةٍ وَلَا أُلُوَانَ . إِنَّمَا هُوَ رَمَمٌ وَخَطٌّ ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (التيهية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (شيئا) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (تزدنا إلى) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

ورفع وَحَطَّ ، وَنَحَسَّ وَسَعَدُ ، وَنَقَدَ وَوَعَدَ ، وَيَوْمَ وَغَدُ ^(١) . فَقُلْنَا لَهُ الْآنَ صَحَّتْ
الْوَفَاةُ [وَأَيَّضَتِ الْإِرَادَةَ] ^(٢) . ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا نَظَرَ الْمُسْتَقِلِّ وَاجْتَذَبَ النَّطْعَ اجْتِذَابَ
الْمُدْلِ ^(٣) ، وَنَزَلَ الطَّعْنَ وَهَالَهُ ، وَأَدَاوَهُ حَتَّى [اسْتَدَارَ هَالَهُ] ^(٤) ، ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ هَذَا لِلْبَيْتِ ^(٥) ، فَأَيْسَكُمُ يَبْدَأُ . فَرَمَتْنِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَفَنَرُوا وَكَبَّرُوا ،
وَلَيْتَهُمْ [عِنْدَ ذَلِكَ] ^(٦) صَفَرُوا . فَقُلْتُ يَا قَوْمُ قَدْ عَصَصْتُ عَلَى نَاجِذِي حِلْمًا ،
[وَقَتَلْتُ شَاتِي كُلَّ عِلْمًا] ^(٧) ، [وَعَقَدْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ غَدٍ سَلَمًا] ^(٨) ، فَكَيْفَ
أَسْتَكَشِفُ عَمَّا أَعْرِفُ ، وَأُسَبِّقُهُمْ عَمَّا لَا يَسْتَبِهُمُ . عَلَى الرَّحْمَنِ تَوَكَّلْتُ ، وَعَلَى
الشَّيْطَانِ تَرَكَتُ ، وَمَنْ كَتَبَنِي أَكَلْتُ ، [وَفِي مَبْرَكِ السَّلَامَةِ بَرَكَتٌ] ^(٩) ،
وَجِيَّاتِ الْأُمُورِ تَرَكَتْنِي وَتَرَكَتُ ، وَالنَّفْسُ ^(١٠) الْمَاطِئَةُ رَجُوتُ ، وَلَمَلْنِي
قَدْ نَجُوتُ ، [وَأَصَبْتُ فِيمَا نَحَوْتُ] ^(١١) . فَلَحَظْتَنِي عِنْدَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ عَيْنُهُ ،
وَهَوَانِي ^(١٢) صَدَقَهُ وَمَنِينُهُ . [ثُمَّ صَارَ الْقَوْمُ دُونِي أَنْجِيَةً ، وَأَعَدُّ لَهُ كُلُّ تَوْرِيَةٍ

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وبعد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين «ج» و«الزيتونة»
(وتعني الزيادة) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (المبثقل) . وفي الزيتونة (المقل) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استهاهما) .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (النبا) .

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وورد مكانها في «ج» (وقلت
كل ذلك أتقنه حفظاً) .

(٨) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» كـ «لَا قَى
(وعن مبرك الشيطان نكلت)» .

(١٠) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (المسة) .

(١١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» و«الزيتونة» (صدمت -

أصبت فيما قد رجوت) .

(١٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (وأدهشني) .

وتعمية . فقال قائل منهم ، تعالوا نشترك في ضمير ، ونزّمه بهذا الطاغية ابن رُذَير ^(١) في كل قلب منه ندب كبير ، والسؤال عنه دين وأدب ، فإن أصابه استرحنا من النَّصب والشُّوص . وحرنا من العموم إلى الخصوص ، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ ، ولما يدّعيه ويريدُه منه أبطأ . فقالوا نعم ما عرضت ، وأحسن بما رويت وفرّضت . فلما رأيناه يُثقل التعريض ، ويُحسِّم التقرير والتعويض ، قلنا له حمق ضميرك كل التحقيق ، وضع مسبحتك في في الدقيق . [فابتدر ما أمر] ^(٢) وحسّر عن ذراعه وشتر ، ومرت أصبعه في خطّه مر الذر المتهاك ، ووقعت وقّع القطر المتدارك ، [لا تمس الطحن إلا تحليلاً ، وعمزاً كالوم قليلاً] ^(٣) فطوراً يستقيم سبيلاً ، وتارة يستدير إكليلاً ، وآونة يأتي بالسما ونجومها قسبلاً . فكان هنالك لنعش من بنات ، وللنريا من إخوات ، وطير قابضات ، وصافات وأسراب ناشرات خافقات . فلما استوفى عدده ، وبلغ أمدّه ، وختم طرائقه وقده ، وأعطى الأصول وفروعها ، وتدبر تقاريقها وجرعها ، فجمع وقبض ، وفتر ثم انتفض ، [وصعد ذهنه وآسافه ، وأخذ الطحن فسافه] ^(٤) ، وزفر وشهق ، وعشر ونهق ، وألصق بظهره حشاه ، وكنم الربو ثم أفساه ، وقال هذا الذي كنت أخشاه ، عحيتم الأثر ، [وكنتم حقيقة الخبر] ^(٥) . [وعثرتم خاطي فما عثر ، ونثرتم نظام الحدس فما انتثر] ^(٦) .

(١) هذه العبارة ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال . ولم يرد منها في المخطوطين سوى عبارة (ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذير) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «الزيتونة» كالأق (لا تمس

الضخمي إلا غليلاً ، وعمرأ كالوم ولو خليلاً) . وهي ساقطة في «ج» .

(٤) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٥) ما بين الخاصرتين واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» وساقطة في «ج» .

سَأَلْتُمْ عَنْ رُوحٍ شَارِدٍ، وَشَيْطَانٍ مَارِدٍ، وَصَادِرٍ مَعَ اللَّحْظَاتِ وَارِدٍ . لَا يُوطِنُ دَارًا .
 وَلَا يَأْوِي قَرَارًا . وَلَا يُطْعِمُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا . نَعَمْ أَمْرُهُ عِنْدِي مُسْتَقَرٌّ . هُوَ
 زِنْدِيقٌ مُسْتَنْتَرٍ، وَشَهَابٌ مِنْ شُهَبِ السَّكْفَرِ مُسْتَمِرٍّ . ثُمَّ رَجَعَ الْبَصِيرُ وَاخْتَصَرَ .
 وَعَادَ إِلَى الْحِسَابِ يَتَقَرَّاهُ، وَالصَّوَابِ يَتَحَرَّاهُ . وَتَتَبِعُ أَدِيمَ الطَّحْنِ فَفَرَّاهُ . وَقَالَ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا أَرَاهُ . إِلَى كَمْ أُرَى فِي غَلَاءٍ وَبَلَاءٍ ؛ كَأَنِّي لَسْتُ ذَا أَمْرَارٍ
 وَأَخْلَاءٍ ، تَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ قَرْعَةٌ رَفْعَةٌ وَعِلَاءٌ ؛ مَا غَابَ عَنِّي اللَّحْيَانِي ذُو السَّبِيلَةِ ،
 وَلَوَاجِهِنَا الْبِيَاضُ ذُو الْغُرَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ ، مُوَاجِهَةً حَسَانٍ كَلْبَلَهُ . النَّحْسُ عَلَى هَذِهِ
 الرُّوحِ قَدْ رُتِبَ ^(١) ؛ وَكُتِبَ عَلَيْهِ [مِنْ الشَّقَاءِ] ^(٢) مَا كُتِبَ ، وَأُخْرِجَ النُّصْرَةَ
 الدَّاخِلَةَ مِنَ الْعَتَبِ . ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحُمْرَةِ ، وَكَأَنَّمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى بَجْرَةٍ ، وَقَالَ
 كَوَسَّجَ نَعْيٍ ، وَسِنَاطَ الْوَجْهِ شَقِيٍّ ، وَثِقَافَ وَطَرِيقٍ ، وَجَمَاعَةَ وَتَفْرِيقٍ ، وَتَبْضُ
 خُلُوجٍ ، وَمَنْسَكُوسَ مَارِجٍ . ثُمَّ وَضَعَ عِمَامَتَهُ ، وَلَوَلَّبَ ^(٣) هَامَتَهُ ، وَأَمَالَ وَجْهَهُ
 فَجَرًّا طَلْقًا ، ثُمَّ عَرَضَهُ بَحْنًا مُطَرَقًا ، وَعَقَدَ أَنَامِلَهُ عَضًّا . [وَأَذْنَى صَدْرِهِ دَنًّا وَرَضًّا ،
 وَقَطَعَ بَصَرَهُ لِحَاً وَغَضًّا ، وَتَسَكَّفًا وَقَلْعًا] ^(٤) وَأَذْلَعَ لِسَانَهُ فَانْدَلَعَ . فَقَلْنَا شَرٌّ
 تَأْبِطُهُ ، أَوْ شَيْطَانٌ يَنْخَبِطُهُ ، أَوْ قَرِينٌ يَسْتَنْزِلُهُ وَيَخْتَلُهُ ^(٥) . أَوْ رَوْيٌ فِي النَّوَةِ
 وَالْغَارِبِ يَفْتِلُهُ . [ثُمَّ تَجَاحُظَ وَتَحَاذِرَ ، وَتَضَاهِلَ وَتَنَازَرَ] ^(٦) ، وَقَالَ ، وَالَّذِي أَحْيَا
 عَازِرَ ، وَأَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ ^(٧) مِنْ آزَرَ ، وَمَلَكَ عِنَانَ الرِّيحِ وَأَذْعَنَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزيتونة » . وفي « ج » (غلب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (من التناود) . وهي ساقطة في « ج » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « ج » (أبدى) . والزيتونة (وأركب) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « ج » . وفي « الزيتونة » (ويختله) .

(٦) هكذا ورد ما بين الحاصرتين في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثم تجاحظ وتكاد) ،

وتضاهل وتبادن) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (البرائح) .

بالسجود والتسبيح ، إنه لمن عُبَاد المسيح . هيهات هيهات . لا أُصْغِرُ بظَنٍّ ، ولا يُقَعَّقُ لِي بِشَنٍّ ، ولا أَنَاذِعُ مِنْ هَذِهِ الْفَنُونِ فِي فَنٍّ . قد رَكِبْتَ أَتْبَاجَ الْبَحَارِ ، وَقَطَعْتَ رِبَاطَ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ . وَشَافَهَنِي الْحَرُمُ وَالْبَيْتُ ، وَصَاغَنِي الْحَجَرُ الْكُمَيْتُ ، وَأَحْرَمْتَ وَأَبَيْتَ ، وَطُفْتُ وَوَفَيْتَ ، وَزُرْتُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحَقَّيْتُ . ثُمَّ مِلْتُ عَلَى عَدَنَ ، وَانْحَدَرْتُ عَنِ الْيَمَنِ ، وَاسْتَسْقَيْتُ كُلَّ رَاعِدَةٍ ، وَأَتَيْتُ كُلَّ قَاعِدَةٍ ؛ وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْجَلِّ قُسَ بْنَ مَاعِدَةَ ، وَوَرَدْتُ عُكَاظَ ، وَصَدَقْتُ الْحَفَازَ ، وَقُدْتُ الْعَصِيَةَ بِنَسْعَ ، وَمَسَحَتِ الشَّامَاتُ بِأُخْمَسٍ وَرَسَعَ ، وَوَقَفْتُ حَيْثُ وَقَفَ الْحَكَمَانُ ، وَشَبَدْتُ زَحْفَ التُّرْكَانِ ، وَكَيْفَ تَصَاوَاتِ الْقُرُومِ ، وَغُلِبَتِ الرُّثُومُ ، [وَهَزَمَ الْمَدِيرُ الْمَقْبَلَ ، وَاكْتَسَحَتِ الْجِحَاشُ الْإِبِلُ] ^(١) . قَلْنَا لِلَّهِ أَنْتَ ، لَقَدْ جَلَّيْتَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَأَرَبِي يَوْمُكَ عَلَى أَمْسِكَ ، وَلَقَدْ صَدَقَ مُطَرِيكَ ، وَوَفَّتْ صَحِيفَةُ تَرْكِيكَ ، [وَمَا كَانَتْ فِرَاسْتَنَا لَتَخِيبُ فَيْكَ] ^(٢) . فَمَاذَا تَسْتَقْرَى مِنَ اللُّوحِ ، وَتَرَى فِي ذَلِكَ الرُّوحِ ، بِقَيْشِكَ [أَلَا مَا أَسْتَعْتَنَّا] ^(٣) بِالْإِنْشَاءِ وَالْبُيُوتِ . فَرَجَعَ فِي الْبَحْثِ أَذْرَاجَهُ ، وَطَالَعَ كَوَاكِبَهُ وَأَبْرَاجَهُ ، وَظَلَّ ^(٤) عَلَى مَادَةِ الطَّحْنِ ، يَرْقُمُ وَيَرْمُقُ ، وَيُفْشِقُ وَيَرْتُقُ . ثُمَّ جَمَلَ يَنْسِمُ ، وَقَالَ أَحْلَفَ بِاللَّهِ وَأَقْسَمَ لَقَدْ اسْتَقَامَ النَّسَمُ ، وَإِنَّ لِسْكَأَ أَرْسَمَ وَأُرسِمَ ، وَإِنِّي لَا أَجِدُهُ إِلَّا لَأَغْبَا بَهْرَآ . وَمَنْكَرَدَاً مَقْهُورَاً . وَلَنْ يَلْبَثَ إِلَّا شَهُورَاً ، قَدْ أَقْلَ طَالَعَ ^(٥) جَدَّهُ ، وَفُلَّ حَدَّهُ ، وَأَتَى عَلَيْهِ نَقِي حَدَّهُ ، وَصَبِي لَمْ يَمْلِكْ أَبُوهُ وَمَلَكْ

(١) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ وَارْدَتِ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَسَاقَطَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ .

(٢) هَكَذَا وَدَتْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ فِي «ج» . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ وَ«الزَيْتُونَةُ» (وَمَا كَانَتْ فِرَاسَةً - فِرَاسْتًا لَتْنَاءً فَيْكَ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَكَذَا وَوَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (أَلَا مَا أَسْتَعْتَنَ) .

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارْدَةٌ فِي «ج» . وَسَاقَطَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَ«الزَيْتُونَةُ» .

(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارْدَةٌ فِي «ج» . وَسَاقَطَتْ فِي «الزَيْتُونَةُ» وَالْإِسْكُورِيَالِ .

جَدُّهُ ، قَتَلْنَا صَرَّحْتَ وَأَوْضَحْتَ ، وَشَهَرْتَ هَذَا الْمَسْتُورَ وَفَضَحْتَ . وَإِنْ سَاعَدَكَ
 قَدْرٌ ، وَكَانَ لَكَ عَنْ هَذَا الْوُرُودِ صَدْرٌ ، فَخُظِّكَ مُبْتَدِرٌ ؛ وَخُظِّكَ ^(١) صَافٍ لَا يَشُوبُهُ
 كَدَرٌ . فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ قَدْ آنَ أَوْ كَانَ ، وَسَيَأْتِيكُمْ الْخَبَرُ الْآنَ . فَاَنْفَضَلْنَا وَأَصْغَيْنَا
 الْأَذَانَ ، وَجَمَلْنَا نَتَلَقَى الرَّكْبَانَ ، فَلَمْ يَرُعْنَا إِلَّا النَّعْمَى النَّاجِمَةَ ، وَالْبُشْرَى
 الْمَاجِمَةَ بِمَا بَانَ ، فَأَدَهْنَا فِي شَأْنِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعَاوِدُهُ خَوْفُ طُفْيَانِهِ ، فَإِذَا الْخَبَرُ لَمْ
 يَخْطُ صِمَاحَهُ ، وَكَأَنَّمَا كَانَ عَوْدًا وَافِيَ مَنَاحِهِ ، أَوْ طَائِرًا أَمَّ أَفْرَاحَهُ . فَلَمْ يَنْشَبْ
 أَنْ أَقْبَلَ يَصْنُدُ نَحْوَنَا أَيْ صَدَدٌ ، وَيَتَعَرَّضُنَا عَلَى نَعْمَدٍ ، تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنَّجُومِ ؛
 [وَيَنْقُضُ انْقِضَاضَ نَيْزَاكَ النَّجُومِ] ^(٢) ، وَقَالَ أَلَمْ يَأْنُ أَنْ تَدِينُوا لِي بِالْإِكْبَارِ ،
 وَتَعْلَمُوا أَنِّي مِنَ الْكِبَرِ بِإِذْنِ الْكِبَارِ ، فَقَتَلْنَا مِنْكَ الْإِسْجَاحَ ، قَدْ مَلَكَتْ وَمِنْكَ
 وَلَكَ النَّجَاحُ ، آيَةٌ سَلَسَتْ . فَأَطْرَقَ زَهْوًا ، وَأَعْرَضَ عَنَّا لَهْوًا ، وَقَالَ اْعْلَمُوا
 أَنَّ الْقُرْعَةَ لَوْ طَوَتْ أَسْرَارَهَا ، وَمَنْعَتِي ^(٣) أَخْبَارَهَا ، لَمْزَقْتُ صِدَاوَهَا ، وَذَرَوْتُ
 غُبَارَهَا ، وَلَسَكَانَ لِي عَنْهَا أَوْسَعُ مُنْتَدِحٍ ، وَأَتَجَدَّ زِنَادٌ يَقْدَحُ ، أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ
 رَضَى الْأَحْلَاكِ ، وَعِلْمِي بِالْأَفْلَاكِ ، أَنَا فِي مَرَجِ الْمَوْجِ ، وَأَوْجِ الْأَوْجِ ، وَالْمُتَفَرِّدِ
 بِعِلْمِ الْفَرْدِ وَالزَّوْجِ ، وَمُسْتَرْطِ السَّرَطَانِ ، وَمُسْتَدِيرِ الدَّبْرَانِ ، وَبَايَعِ الْمُشْتَرَى
 بِالْمِيزَانِ ، وَالْقَابِضِ بِيَوْمِ ^(٤) الْحِسَابِ وَالْعَمَلِ ، عَلَى دَوَقِ الثُّورِ وَذَنْبِ الْحُلِّ ،
 [أَعْقِدْ لَصْلَ الْمُقَرَّبِ] ^(٥) ، وَأَقْبِدْ الْأَبْعَدَ وَالْأَقْرَبَ ، لَصِيدَ أَوَابِدِهَا بِاللَّدَائِقِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزيتونة » . وفي « ج » (وخطك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وانقض انقضا المارد المرحوم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (غيبتي) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بيد) . والأولى أرجح

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (عندى نعل المقرب)

والذَّج ، [حتى اضطرَّ سارحها إلى الحَرَج ، وأصْبَحَها في أضيْق مُنْمَرَج]^(١) ،
 [أنا استذكرت بالأنبار فَرَحَ الإقبال وترَحَ الإدبار]^(٢) ، وطالمت إقليدس ،
 فاستنبطته ، وصارعت الجَسْطِي فجَسْطنته ، وارْتَمَطْتُ إلى الأَرْتِمَاطِيقي ، [وأَطَقْتُ
 الألوطيقي]^(٣) ، ولحظْتُ التحليل بمحل ما عقده ، وانتَضَيْتُهُ ما مَعَلَّ به الجهابذة ،
 فنفذته . وعَايَنْتُ^(٤) زُحْل ، حين استَقَلَّ على بعيره^(٥) ورَحَلَ ، وضايقتُهُ في ساحتها ،
 وحصرْتُه في مِسَاحته ، وحضرت قِرانه ، وشَهِدْتُ تقدُّمه ومُرانه ، وشاهدته
 [شَفَرًا بشَفَر]^(٦) ، وناجاني برقا يُمَد في الكُفَر ، وتخريبه لملك الصُفَر ،
 [وتقرِيه لبلاد اللَّطِينَةِ]^(٧) وإنجاز الوعد في فتح قُسْطَينَةِ . أنا عقت رشا
 الدُّلُو ، وذَرَوْتُ غُبَار الحُورَت للفلُو . أنا اقتدحت [سَقَطَ الجوزهر]^(٨) ، فلاح
 بعد خفائه وظَهَرَ . أنا استَشَرْتُ^(٩) الهلال من مكان سرِّه ، [وأخنت عليه
 ثنايا بَمَرَه]^(١٠) ، وقَدَدْتُ قُلامته من ظُفَره ، ودللت طير الصَّايِر على شجره ،
 لَخْنَيْتُ المُرَّ من ثمره ، أنا طرقت الزَّهْرَةَ في خِذْرَها ، وصالحتها من الفسكرة بيد

(١) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (واضطر من هاهنا إلى
 الحرج ، وأجمعهم في ضيق المنعرج) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال . (أنا استذكرت بالانبار ، حركة الإقبال
 والإدبار) . والأولى أبلغ معنى .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال (أنا عادل) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و« الزيتونة » . وفي « ج » (رحيله) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (شبرا وشبرا — شبرا بشبرا) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وتقرية لبلادهم طينة) . والأولى

أدل على المعنى .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (زلند جوزائه — الجوزاه) .

(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استخرجت) .

(١٠) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

لم تَدْرِهَا . أنا أذ كيت على ذكاء فظَلْتُ تَلْتَهَب . وأخَرَزْتُهَا من الوهم شَطَنًا ،
 [أجذبها به فتنجذب] ^(١) . أنا أنعى المَعْتَبِرِينَ حَيَاتُهَا ، [فيشبهون الحسنة ،
 ويتحرون أوقاتها ، حتى تَنْتَشِرَ بعد الطلح حَيَاتُهَا] ^(٢) ، وتستقيل من العنار
 آيَاتُهَا . أنا انتضيت للشباب شَرَحًا ، وأضرمت للمريخ عقارًا ومَرَحًا ، حتى أُنْفَانِي
 بملامح حُرُوبِهِ ، وحوادث طلوعه وغُرُوبِهِ ، وتلمّظِهِ إلى النّجِيع ، وولوغه في مُهْجَةِ
 البطل السّجّيع . أنا أبرى من اللّمْ ، وأشقى من الصّمْ ، وأثقل العَطَسَ إلى الشّمَمِ .
 قللنا أما الأولى ، فقد سلّمنا لك جميعها ، وأما هذه الثلاثة فلن تستطيعها . قال
 فلم تعجزون ولا تستخزون . قللنا من كان له علاج فينْفَنَسُهُ يبدأ ، ونَعَبَ بغيره .
 ولسنا نريدك ، ولكن تهتزّ يدُكَ . قال أما من بينهم رَوَى . وألقى في رُوعِهِ
 ما ألقى في رُوعِي ، فمثله كالصّارم ، حُسْنُهُ في فِرْنَدِهِ ، لا غِمدِهِ ، وجماله في
 حَدِّهِ لا في خَدِّهِ ، والمرء كما قيل بأصغرَيْهِ ، لا بمتخَرِيهِ ، والشأن في الخيزوم ،
 لا في الخيشوم ، وفي الذّكرين ، لا في الأنثيين . وبعد فهو كلام ظاهره إجمال ،
 وباطنه احتمال ، وسأنبئكم [بغزارة سَيْلِهِ ، وبغزيرة لَيْلِهِ] ^(٣) . أما الأفطس فيدلى
 الضّغنة ، ويتزوج في آل حِفْنَةٍ . فإن الله أنعم ، جاء الولدُ أنعم ، وإن نام عِرْقُ
 خاله ، بقي الولد بحاله . وأما الأصم ، فيخرج عن الغلام ، وبلا قال ، ويدلّب في بني
 السّميعة بَرَكَةِ الإِسْمِيَّةِ والغال ، فإن الله أراد ، ظَفِرَ بالمراد ، وجاء ابنه ^(٤)
 أنعم من قراد . فأحس من بعض الحاضرين تمريضًا ، وعين طَرَفًا غَضِيضًا ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (حتى جرت جرى المذهب) .

(٢) هذه العبارة واردة فقط في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (بفجر سيله لا بفجر ليله) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الولد) . والمؤدّى واحد .

افتعسك وتشدّر [١] ، وطوّف وحذّر ، وقال صاحب الشريعة ، سّماهم بنى السّميعه ، قوموا يا بنى اللّسكيمة ، فقد قطعتم رزقي ، وآذيتم [٢] طرقي ، وأذلتهم ضربي وطرقي ، وسدّدتم طوقي ، وأخذتم على أفقي غربي وشرقي . [ذروني التي هي للبلية نجني ، ثم الوجد يعنى . لو شرب نواديه إثر نجني] [٣] . ثم نجا بعزمته سميلا ، وأرسل بنات نعش ذيلا ، وقد أفاد بما استصحب من ميامنك ليلا [كذبني أيدك الله عند نواه] [٤] ولم يظلمني طلع ما نواه ، وما ذاك إلا لمطعم لواه ، ومنعم هواه فرفعت لي بعد وداعه نجومه ، ورمتني بشخصه نجوة [فقلت ما أراك إلا غائل ، أوزنت عنك الحبائل] [٥] . فسراك سرى قين ، وحديثك مئين ، ألم تعبر دجيلا ، ويئمت سميلا . فقال طربت إلى الأصفية الصغار ، وشاقني الشوق بين الطواغيت والأصفار . فقلت له هلم إلى خط نعيده ، وحفظ نستهفده . فقال لولا أن تقولوا الساعة متى ، وتطالبوني بإحياء الموتى ، لما أجمعت إلى الغرب غروباً ، ولأريشكم من الخندق ضروباً . ثم قال إن لي بالحضرة أفرأخا ، وأما استصرخت عليها استصرأخا ، وانسلخت منها انسلاخا ، وأعيا على أمره . فلم أعلم له ظفناً ولا مناخاً . فلبنت كذلك أياماً ، قد اعتم على أمره اعتيماً . ولم أعرف له إنجداً ولا اهتماماً [٦] ، فإذا به وقد اضمرت عنه بأساً ، ولم أطمع فيه رأساً ، قد أشب لي شباباً ، ولمعت صامته شهاباً ، تسكتفه صرة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فتكار وتشور) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وداريم) . و« الزيتونة » (وارديم) .

(٣) هكذا وردت هذه الفقرة التي بين الحاصرتين في « الزيتونة » . وهي ساقطة في «ج» . وفي الإسكوريال وردت على النحو الآتي : (ذروني التي هي الليل ينز ، ثم للوقد يعنى ، لو شرب نواديه ترن) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقطة في «ج» .

(٥) ما بين الحاصرتين واردة في المخطوطين . وسقطت في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (اتهاما) . و« الزيتونة » (اتهاما) .

وَيُسْنَاهُ قَوْصَرَةً . وَتَوَدُّ يَسْرَاهُ جِرَةً . فَقُلْتُ لَهُ قَاتِلَكَ اللَّهُ . [مَا أَشَدَّ فَقْدَانِكَ ،
إِلَّا فَقْدَتِكَ . وَمَا أَذْكَرُ وَجْدَانِكَ إِلَّا وَجْدَتَكَ] ^(١) أَيْنَ أَفْرَاخُكَ ، وَالْأُمُّ الَّتِي
جَذَبَهَا اسْتِصْرَافُكَ . فَقَالَ الصَّعْلُوكُ ، لَوْ أَعْلَمَ مَذَاهِبَهُ . تَحَرَّمَ مَنَاهِبَهُ ، وَتُخْذِمُ
مَرَاهِبَهُ . ذَرْنِي وَعِلَاجِي ، أَحَاجِي وَأَدَاجِي ، وَأَعَايِنُ وَأَنَاجِي ، وَأَتَقَلَّبُ فِي بَرَكَةِ
دُعَاءِ الْبَاجِي . فَقُلْتُ لَهُ مَالِكُ وَالْمَيِّتُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَيِّتَ . قَالَ ، لَمَّا أَذِنَ اللَّهُ
فَالْتَأَمَتْ ^(٢) الشَّيْمَةُ ، وَتَمَزَّقَتْ عَنِ الْمَشْيِمْةِ ، هَمَمْتُ بِالسَّرْقِ ، وَلَفَفْتُ فِي الْخَرْقِ ،
[وَفَارَقْتُ مِنَ الضَّيْقِ مُنْتَدَاهُ] ^(٣) ، وَأَفْلَتَنِي يَدَاهُ ، فَخَفَّكَخِي السَّعْدُ ^(٤) بِشَرِّ
لِلدَّيْنَةِ ، وَسَقَانِي مِنْ مَاءِ الْبَلَدَةِ الْأَمِينَةِ ، وَعَوَّذَنِي بِدُعَوَاتِ مَتِينَةٍ . فَمَا أَنَا كَمَا
تَرَى [أَتَهَادَى وَاجْتَنِبُ] ^(٥) وَأَسْتَحْلِي وَأَسْتَعَذُّ . فَقُلْنَا لَعَمْرُكَ ^(٦) إِنَّهُ لِفَضْلِ عَمِيمٍ ،
لَوْلَا الْقَصِيمُ ، [وَإِنَّمَا لِمَنْقَبَةٍ] ^(٧) ، لَوْلَا الْعَقَبَةُ [وَأَنْزَرَةً مُلْتَمَسَةً ، لَوْلَا الْعَطَسَةُ] ^(٨) .
فَقَالَ دَعْنَا مِنْ زَخَاوَيْفِكَ ، وَأَغْضُضْ مِنْ عِزَانِ تَصَارَيْفِكَ . الْبَازِلُ لَا يَكُونُ
إِلَّا ذَمِيًّا ، وَاللَّيْثُ لَا يُوْجَدُ إِلَّا شَمِيًّا ^(٩) ثُمَّ [قَامَ وَحَمَلَ] ^(١٠) ، وَابْتَدَرَ وَارْتَجَلَ :

عَيْشُنَا كُلُّهُ خُذَّعَ فَاتَرَكَ الْيَوْمَ عَنْكَ وَدَّعَ
أَنَا كَالْيَيْثِ وَاللَّيْثُوثُ بِأَوْسَانِهِمَا ^(١١) تَرُوعَ

(١) هذه الفقرة الواردة في الإسكوريال . ووارد منها في «الزيتونة» عبارة (لما أشد بفقدك إلا وما أذكر كما) وهي ساقطة كلها في «ج» .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بتمام) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في الإسكوريال (ومثلت في متناه) .

(٤) هذه الكلمة الواردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هاتان الكلمتان في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (استحل واستجذب) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (لعمراش) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (بروائ متعفة) .

(٨) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . وساقط في «ج» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ستيا) .

(١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قال وأجل) .

(١١) هكذا في الإسكوريال وفي المخطوطين (بأسانها) والأولى أرجح .

ولها الأوجه السَّيِّمة من يَلْقَمُها يُرْع
 أيُّ حسن لمازن بيد الدَّل يُخْتَرَع
 أنا كالسِّيف حَدُّه لا يبالى بما وقع
 إنما الحُسن للمهابة وللظُّبي يا لَكِع

فقلت تَبَّالِكَ ساير اليوم ، إنك لَتَرِيش وتَبْرِي ، وتَقْدُّ وتَفْرِي ، وتحاسن
 وتُفَاجِج^(١) ، وتَهَارِش وتُنَاجِج ، [وتُحِب وتُتأمل ، وتُحَسِّن وتُغافل]^(٢) وتُشَاعِر
 وتُرَاجِز ، وتُفَاطِح وتُنَاجِز . وأنت على هذا كله مُصِرٌّ^(٣) ، ما جزاؤك إلا ربح فيها
 صِرٌّ ، فإهو إلا أن غفلت عنه لحمة طَرْف ، أو نفحة عَرَف ، ثم التفت^٤ ، وإذا
 به قد أفلس ، وكأنما كان برقًا خُلِّس ، ولم أدر أقام أو جلس .
 رحاسنه القطر^(٤) الذي لا يُعد ، والأمر الذي يأخذه الحدُّ . وكفى بهذه الرسالة
 دليلاً على جلالة مقداره ، وتدقق بحاره [وفخازه]^(٥) ، لما اشتملت عليه من بلاغة
 وبيان ، وبساط حال أنت على خبره بعيان ، وعلوم ذات افتنان ، خلد الله عليه
 الرحمة : وضاعف له [المنة والنعمة]^(٦) .
 [مولده : بأوایل ربيع الثاني عام خمس وستين وأربع مائة]^(٧) .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (وتخاشن) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين كالأق : (وتحب وتجب وتغافل وتغافل - تحامل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معجب بها - مغرما) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (كالقطر) .

(٥) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (المنحة) .

(٧) هكذا وردت هذه الفقرة في «الزيتونة» . وهي ساقطة في . . . ووردت في الإسكوريال (ولد سنة خمس وستين وأربع مائة) .

وفاته

من خطأ الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال رحمه الله . كان ممن أصيب أيام
الهرج بقرطبة ، فعمم المصاب به ، الشيخ ^(١) الأجل ، ذو الوزارتين ، السيد الكامل
[الشهير الأثير] ^(٢) ، الأديب [اللغوي السرى] ^(٣) الكاتب البليغ ، معجزة زمانه
[وسابق أقرانه] ^(٤) ، ذو المحاسن أجملة ، [الجليله الباهرة] ^(٥) ، والأدوات الرفيعة
الزكية ، الزاهرة الكاملة ، المجمع على تنهاى نباهته ، ومحمد ^(٦) خصاله وفصاحته ،
[من لا يشق غباره ، ولا تلحق آثاره ، معجزة زمانه فى صناعة النثر والنظم] ^(٧) ،
أبو عبد الله بن أبى الخصال [رحمه الله تعالى ورضى عنه] ^(٨) ونفثر وجهه . ألقى مقتولا
قرب [باب داره] ^(٩) بالمدينة ، وقد سلب ما كان عليه ، بعد نهب داره ، واستيصال
حاله ، وذهاب ماله . وذلك يوم السبت الثانى عشر من شهر ذى الحجة من سنة أربعين
 وخمماية . فاحتمل إلى الربض الشرقى ^(١٠) بحومة الدوب ، نُصِّل هناك وكُفن ، ودفن
 بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده ، ونعى إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا
 بسبيله من الفتنة . فكثر التفجع لفقدته ، والتأسف على مصاب مثله ، وأجمعوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (الفقيه) .

(٢) هذه الزيادة من المخطوطين . .

(٣) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٥) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) هذا وارد فى المخطوطين . وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) هذا وارد فى المخطوطين . وساقط فى الإسكوريال .

(٩) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (وردت)

(١٠) كان « الربض الشرقى » من قرطبة . يقع فى قسمه يسمى « شرق » أو « الشرقية » و

على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلماً، وفيها ومعرفة. وذكاء وحكمة وبقظة، وجلالة ونباهة، وتفناً في العلوم. وكان له [رحمه الله] ^(١) اهتمام بها، وتقدم في معرفتها وإتقانها. وكان رحمه الله، صاحب لغة وتاريخ ^(٢) وحديث، وخبر وسير، [ومعرفة برجال الحديث، مضطماً بها] ^(٣)، ومعرفة [بوقائع العرب] ^(٤) وأيام الناس، وبالنثر والنظم. وكان جَزَلَ القول، عذب اللفظ، حلو الكلام [عذب الفكاهة] ^(٥) فصيح اللسان، بارع الخط [حسنة ومُتَقَنَةً] ^(٦). كان في ذلك كله واحد عصره. ونسيج وحده، يُسَلَّمُ إليه في ذلك كله، مع جمال منظره، وحسن خلقه، وكرم فعله، ومشاركته لإخوانه. وكان مع ذلك كله [جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم] ^(٧) مسارعاً لمهامهم، نهاضاً بتكليفهم، حافظاً لمعهدهم، مكرماً لنُبُهائهم، واسع الصدر، حسن المجالسة والمحادثة، كثير المذاكرة، جَمُّ الإفادة. له تصانيف جليلة ^(٨) نبهة، ظهر فيها علمه وفهمه، أخذها الناس عنه مع سائر ما كان يحمله ويتقنه، من أشياخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم، وقرأ عليهم ^(٩).

وقال غيره: قتل بدرب الفرعوني بقرب رَحْبَةِ أَبَانَ، بداخل مدينة قرطبة، قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصارى مع أميرهم ملك طليطلة، يوم قيام

(١) زائدة في المخطوطين.

(٢) زائدة في المخطوطين.

(٣) الزيادة من المخطوطين.

(٤) الزيادة من المخطوطين.

(٥) الزيادة من المخطوطين.

(٦) هذه الزيادة من المخطوطين.

(٧) هكذا في الإسكوريال والزيتونة. وفي «ج» (رفيعة بندر).

(٨) تتبعنا في هذه الفقرة الأخيرة نص المخطوطين والإسكوريال، وأخرجنا في صياغة

مشتركة.

ابن محمد بن يحيى بن علي بن غانية المسوفي [الملثم المرابطي] ^(١) يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذى الحجة عام أربعين وخمسة . قتله بربر المصامدة رجالة أهل دولة اللثام الحسن ملبسه ، ولم يعرفوه ، وقتلوا معه [ابن أخته] ^(٢) عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ، وكان أنسكه إبنته ، فقتلا معا . وكان محمد خيرة الشيوخ ، وعبد الله خيرة الأحداث ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن مفضل بن مهيّب اللخمي ^(٣)

يكنى أبا بكر من أهل شلب ^(٤) من العلّيا .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، كان منقبضاً عن الناس ، أديباً ، شاعراً ، خمس عشرينيات الفنازاي ، رحمه الله تعالى . وذكره صاحب الذيل . وقال لي شيخنا أبو البركت ، وهو جدّه ، أبو أبيه ، ما معناه : كان شريفاً ، على الهمة ، عظيم الوقار ، ألوفاً ، صموتاً ، نحيف الجسم ، آدم اللون ، خفيف العارض ، مُقطّب الوجه ، دايم العيوس ، شامخ الأنف ، إلا أنه كان رجلاً عالماً راسخاً ، عظيم النزاهة ، حافظاً المروءة ، شهير الذكر ، خطيباً مصقفاً ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (من المرابطين) .

(٢) زائدة في الإسكوريال .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في «ج» . ولا «الزيتونة» .

(٤) هي بلدة برتغالية صغيرة ، تقع في نهاية ولاية الغرب الأندلسية ، في جنوبي البرتغال

على مقربة من المحيط . وينسب إليها الشاعر الكبير أبو بكر بن عمار . وبالبرتغالية Silves

مهييا كشمهرته ، قديم الرياسة ، يُعَضِّدُ حُدُودَهُ قَدِيمَةً . واستقر بالمرية ، لما تقابل العدو على بَلَدٍ سلفه . ولما توفي شيخ المشايخ : أبو إسحق بن الحجاج . تنافس الناس من البلدين ، وغيرهم ، في خُطْبَةِ بنته . قال شيخنا أبو البركات ؛ ومن خُصَّةٍ نقلت ، وكان ابن مهييب واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة ، مقمداً في حُلْبَتِهِمْ ، بجيوش الأشعار . ورام غلبته ذوو اليسار ، من حيث كان بمحمراء جيش الإعراس ، فأذهلهم بالمقابلة في عُقْرِ الدار ، فلم يرجعوا من الغنيمة إلا بالفراغ . قلت ، وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً ، ناسب الغرض . ونال من المتغلب على المرية ، على عهد ، حُظْوَةٍ ، فاستظهر به تاوة على معقل مَرَشَانَةٍ ^(١) وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس . ولما آب من سفره إليها ، سعى به لديه بما أوجب أن يحجَّرَ عليه التَّصَرُّفُ ، وسجنه بمنزله . فلما قصد المرية الغالب بالله ^(٢) ، مُسْتَخْلَصاً إياها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرَّمِيمِي ^(٣) ونزل بمدبقتها ، وحاصر قَصَبَتَهَا ، وقع اختيار الحاضر والمحمور على تعيين ابن مهييب ، بمحاولة الأمر ، وعقد الصلح ، ورضى بدينه وأمانته ، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرميمي التصبية ، ويُعَانِ على دُكُوب البحر بماله وأهله وولده ، فتأتى ذلك واكتسب عند الغالب بالله ، ما شاء من عِزَّةٍ وَتَمَجُّدٍ .

وقفني شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني ، صدور عن الأمير الغالب بالله ، يدل على جلالة قدره نصه :

(١) سبق التبريف لها .

(٢) الإشارة إلى الغالب بالله هنا يقصد بها محمد بن يوسف بن نصر أو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة ، وكانت المرية وقت قيامه ، في يد منافسه المنموكل بن هود ، وعليها من قبله الوزير أبو عبد الله بن الرميمي . وتوفي ابن هود في المرية في ظروف غامضة في أول سنة ٦٣٥ هـ . فلما ملك ابن الأحمر غرناطة واستقر بها في رمضان من هذا العام ، سار إلى المرية وحاصرها واستولى عليها .

هذا ظهيرٌ كريم ، أظهر العناية الحافلة لمُسْتَوْحِيهَا ومُسْتَحِقِّهَا ، وأجراه من
الرعاية الكاملة على الحبِّ طرْقَهَا . أمر بإحكام أحكامه ، والتزام العمل بفصوله
وأقسامه ، الأمير عبد الله محمد بن يوسف بن نَصْر ، نصّر الله أعلامه ، وأدام
لإقامة قِسْطِ العدل أيامه ، ولولِيَّه العليُّ المكَانَة ، وصفِيَّه الملىء بأثرَتِي المعرفة والديانة ،
الحرى بما اختصه ، أيده الله ، من الحفظ لمرتبته السامية والصيانة . للشيخ الفقيه ،
الجليل ، العالم ، الأوحد ، العَلَم ، الأتقى ، الأزهر ، الفاضل ، الخطيب الأرفع ،
المحدث الثقة ، الرأوية ، الصالح ، السَّفي ، الحافظ ، الحافل ، الماجد ، السَّري ،
الطاهر ، المُكْرَم ، المبرور ، الكامل ، أبي بكر بن الشيخ الوزير الأجل ، الفقيه ،
الحبيب ، الأصيل ، الأجد ، المكرم ، المبرور ، الأفضل ، المرحوم ، أبي عمرو
ابن مَهيب ، أدام الله عزّة جانبهِ ، ووصل بالعلم والعمل أوقاف مراتبه ، أقام به
الشواهد على اعتقاده ، أنه أَخَاصُ أوليائه وُدّاً ، وأفضلهم قصداً ، وأكرمهم عهداً ،
حين ظهرت له . أيده الله ، آثار آوايه الأصيلة ، وبانت في الصلاح والإصلاح ،
مَيَامِنُ مناقبه الجميلة ، ووجب له من العناية والمزيّنات ، أتمّ ما توجبه مغافره ،
وتقتضيه بحادته وزهادته ، التي لا يَفْنَدُ في وصفها واصف . وأعلن ، بأنه دام
عزّه ، أحقُّ من حَفِظَتْ عليه ، مرتبةُ صدور العلماء الراسخين في العلم ،
وأُبْقِيَتْ مزيّة ما تميّز به من التّقى والورع الكافي والحلم ، وبرّع بصلة
العناية بجانبيه ، لما أهّلته إليه معرفته من نفع المتعلّمين ، وإرشاد من يَسْتَرْشده
في مسابيل الدين من المسلمين ، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتحجّة والتوقير ،
وأجدو مَنُصُّوص على أن قدره لديه معتمدٌ بالتكريم والتكبير . وأمر ، أعلى الله
أمره ، أن يستمر له ، ولزوجه الحرّة الأصيلة الزكية ، النقية الصالحة ، المصونة المكّرمة
المبرورة ، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السَّفي ، الزاهد الفاضل ،
للمرحوم المقدس . الأَرْضِي . أبي إسحق بن الحاج ، ما أطردت به العادة لها قديماً

وحديثاً ، وتضمنه الظهيران السكريماني المذروح أحدهما بالعشر الأواخر لشوال عام خمسة وثلاثين وستمائة ، من صرف النظر في أعشارها وزكواتهما إليهما ، ليضما ذلك في أحق الوجوه ، ويؤديا فيه حق الله تعالى ، ما مثلهما علماً وديناً من يؤديه ، موكولاً ذلك لله ، إلى ما لديهما ، من نشر الأمانة ، مصروفاً إلى نظرها الجارى ، مع العلم والديانة ، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظهائر والأوامر القديمة والحديثة ، المتضمنة تسويغ الأملاك ، على اختلافها ، وتباين أجناسها وأوصافها ، لهما ولأعقاب أعقابهما ، على التأييد والتخليد ، والحفاشة من اللوازم ، والمعاوز وللغارم ، وأن يطرد لشركائهما ، وعمرة أملاكهما ، ووكلايهما ، وحواشيهما ، ومن اتصل بهما ، جميل العناية ، وحفيل الرعاية : وموصول الحماية ، الاستمرار الذى يطرد العمل به مدى الأيام ، وتتوالى التمشية له ، من غير انصرام على الدوام ، موثق بذلك ، ما يحق لجانب الفقيه العالم ، الأوحد الأسنى ، أبى بكر ، أدام الله عزته ، من حظوظ الإجلال ، منتهى فيه ، إلى أبعد آماذ العنايات الشريفة ، الفسيحة المجال ، مقضى على حق ما انفرد به من العلم ، وانصف به من الديانة ، اللذين أضفيا عليه ملابس البهاء والجلال . فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاة والعامل ، وسائر ولاة الأشغال ، وليتلقه بغاية الائتمار والامتنال ، إن شاء الله . وكتب فى الثانى عشر من ذى الحجة عام ثلاثة وأربعين وستمائة .

مشيخته

أخذ عن أبى العباس أحمد بن منذر الإشبيلي ، تلا عليه بإشبيلية . وثلى عباس ابن عطية أبى عمرو . وروى عن أبى محمد عبد الكبير الإشبيلي ، وصحب أبا الحسن بن زرقون . وتمع عليه . وانتقل إلى ألمرية . فصحب أبا إسحق البليفيقي وأخذ عنه ، وتزوج ابنته . وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره . ثم انتقل آخر عمره إلى سبنة .

شعره

نقلت من خط شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية :

أليل النوى هل من سبيل إلى فجر
أبي القلب إلا أن يهيم بحجمكم
رحلت عنكم لا بقلبي وإنما
أعود بدهر الوصل من حين هجركم
للعباب نفسي لست أنفق قربكم
تقطع أكبادكم عليكم صباية
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم
فلولاهم ما كنت أحسب ساعة
ألا يا أخى فاسمع وصاى فإنها
يحبك في ذات الإله ويتغنى
لا إنما التوفيق كنت من أهله
بتوحيده في ذاته وصفاته
فنابر على القرار والأثر الذى
وعده لك اخيرات عما سواها
إذا يسلك الشيطان نجاً سوى الذى
وفرق الأجناس حاشى تقيهم
ولا تنفني واذكر أخاك بدعوة
ويا قلبكم تأسى ويا دمعكم تجرى
وأن تبرحوا إلا القليل عن الفكر
تركت لديكم حين ودعتمكم سرى
ورب وصال مستعاد من الهجر
لزهدي فيكم بل حرصت على البر
فاصبر إن الخير أجمع في الصبر
وإن كان خيراً فهو عنهم من الشر
فقدتكم فيها عياناً من العمر
لبتلك لعمري من أخ سالم الصدر
بحبك عند الله مدخر الأجر
مراعاة حق الله في السر والجر
وأفعاله أيضاً وفي الندى والأمر
يصح عن المختار والسادة الغر
وكن بها مستمسكا أبد الدهر
سلكت ولا يلغى سبيلا إلى مكر
فقد ظهر الإفساد في البر والبحر
فإنك منه يا أخى لعلى ذكر

قال شيخنا أبو البركات ، ومن شعره ، ومن خطه نقلت :

للاصالحين إلى الصلاح طريق رَحِبَتْ بهم وَعَدَّتْ هَلِكْ تَضِيقْ

صرفوا النفوس من الهوى عن صوابها
فغدت إلى طلب النجاة تتوق
منها بعد أبيات :

يا قرة العين استمع من ناصح
أنت الشقيق ولادةً ولذلك لي
لا تخدع عنك ترهات أحدثت
واعكف على القرآن دهرك واجتمع
إن الحديث وفهقه وعلومه
واهجر بني الدنيا فإنَّ بهجرهم
والحق بقوم قد غنوا بتجارة
واحفظ لسانك عن إذابة مسلم
لا تبك هم الرزق فهو مُقدَّر
ولترض بالرحمن ربًّا حاكمًا
حلوا عقال عقولهم وتحكموا
ولقد أتنك نصيحتي ولشمسها
فكن القريب مكانه من نفعها
واصطد بباري العزم أطيار الرضا
ولتجمل التسبيح شأنك إياه
واقنع بعلم الوحي علمًا ثم لا
لا ترض فيه بالدنية ولست
ما كلُّ علم يُتدَّى بحصوله
كمداوك الأصوات منها طيبٌ
وعليكم من تحبه من له

في صدره قلبٌ عليك شقيق
روحٌ لروحك في الخلوص شقيق
وخزَّ غيالات للجهول تروق
فالشغل عنك لغيره تفريق
هذا الذي للمؤمنين يليق
يتضاعف الإيمان والتصديق
نفقت لهم يوم القيامة روق
فسيابه قال الرسول فسوق
والعبد طول حياته مرزوق
ودع الفضول فمنه ضلَّ فريق
إن التحكم بالعقول مروق
في أفق حُبك يا حبيبُ شروق
فكان مدتها إليك سحيق
فأخوك غايةُ بازِه التحليق
في الصَّعب ممن شأنه التصفيق
ينهب بك التثقيق والتوفيق
عطشًا إذا لم تُسق منه رحيق
منه الرِّكك نَعَمٌ ومنه رقيق
تسلو النفوس به ومنه نهيق
قلبٌ إليكم أجمعه مشوق

وقال ، ألفت بخطه ما نصه ، وكان بعض السفهاء قد كتب إلى يثنين
من شعرها :

إليك أبا بكر رفعت وسيلتي ومثلك من تلقى إليه الوسائل
غَرقت ببحر الذل يوما وليس لي بأرضكم إلا اهتمامك ساحل
وأساء المحاولة في دفعها ، فصرفته ، ولم أقف عليها ، فضرب عليهما ،
وكتب في ظهرها :

حللت أبا بكر بموطن عزة فأنسيت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلك من كبر وكن متكبرا وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل
وكتبت إليه صحيفة دراهم وجهت بها إليه :

جفوت وما زال الجفاسجية لملك ما إن زال تبلى بها مثل
وما قلت في أصلي فكذبة فاجر رأى الفرع محموداً فعاب على الأصل
وبالإفك ما عثرت لا بحقيقة فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل
وما زلت والله الحميد مكرماً وفي نائبات الدهر للعقد والحل
ولو كنت من يتقى الله لم تكن تمد متى تسخط وعند الرضا تحل
أما قلت أتى ساحل لك عندما غرقت ببحر الذل في زمن التحل
وكيف سمحت المدح بالذم قبل أن تبث لي الشكوى وتدلى بما تدل
ولكن لؤم الطبع يحمل أهله على الصعب من سب الكرام أو الثمل
إن كان بعض الكبر قصا فإنه عليك من الأوغاد يحسب في الفضل
وما الدل إلا ما أتى بك نحونا فقيراً من التقوى سلباً من العقل
ومطلوبك الدنيا فخذها خسيصة توافي خسب النفس والقول والفعل
وما الجود إلا ما أصبت مكانه ومهما فقدت الأصل لا تار في البخل

ومثلك من يُجنى ويقلب خلساً فلستَ لإسداء الصنعة بالأهل
ولكننى عودت نفسى عادةً من البذل لم أعدل بها قط عن نذل
لخنها لحاك الله غير مباركٍ لسعيك فيها يا بن خانية النعل
ومثلى من يؤذى فيحتمل الأذى ولكنه قد يُدر الجهل بالجهل
وقد قال من لا شك في قوله من الحكما القتلُ أذهب للقتل
فإن زدنا زدتنا وإن كنت نادماً قبلناك أخناً في أمورك بالعدل
فنى كل شيء لستُ عنك مقصراً بما شئت من قطع وما شئت من وصل

قال الشيخ ، قول الهاجى ، وأصلك من كبر ، معناه التعريض يكون سلف أبى بكر بن مهيّب ، علواً فى أنفسهم وتكبروا ، فثاروا بسبب ذلك بطبيعة^(١) وجهاتها ، ثار منهم عبد الرحمن جد أبى بكر ، ثم حسن ، ثم عامر أخوه ، وإلى هذا أشار أبو بكر بن مهيّب بقوله فى بعض شعره :

إن لم أكن ملكاً فكنتُ ريساً

وأشد فى الصلة الزبيرية^(٢) قوله رحمه الله :

ألمى من الدنيا المباحة كثيرة أبقي بها رمقى ودارُ نايبة
قد أضرب الزمان عن سكانها فكأنها فى القفر دارُ خالية
ومن شعره فى المقطوعات :

ترحل صبرى والولوع مقيم وصحّ اشتياقى والسُّوء سقيم
فيا ليت شعرى هل أفوز بعطف من زينت خدى ورداً عليه أقوم

(١) طيرة Tavera ، هى بلدة من بلاد ولاية الغرب الأندلسية تقع فى جنوبى البرتغال على شاطئ المحيط ، على مقربة من مصب نهر وادى يانة . وقد وقعت بها عدة ثورات فى أوائل العهد الموحدى فى ، منتصف القرن السادس الهجرى .

(٢) الصلة الزبيرية ، يتفصّل بها كتاب «صلة الصلة» لأبى جعفر بن الزبير .

ويا جنة قد حيل بيني وبينها بقلبي من شوقتي إليك جعيم

دخوله غرناطة

قال الشيخ ، دخل غرناطة مرتين ، أخبرني بذلك الشيخ القاضي أبو الحسن ابن عبيدة ، وهو بصير بأخباره ، إذ هو من أصحاب سلفه ، ومن رائق جده في الكتب عن بعض الأمراء مدة ، وفي الخطابة بالمرية أخرى .
توفي بسبئة أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وستمائة

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي

حاله

من صلة ابن الزبير : كان كاتباً باوعاً ، شاعراً مجيداً ، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام ، وغير ذلك ، مع نباهة وحسن فهم ، [ذو فضل وتعقل]^(١) وحسن سمّت . وورد على غرناطة ، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة ، وكان معلوم^(٢) القدر ، معظماً عند الكافة^(٣) . ثم إنه رجع إلى مرسية ، وقد ساءت أحوالها ، فأقام بها مدة ، ثم انفصل عنها ، [وقد اشتدت أحوالها]^(٤) ، وانقر بالعدوة بعد مكابدة .

قلت ، أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب رحمه الله ، قال ، كان شكس^(٥)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (ذا نباهة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (عظيم) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (صنفه) .

(٤) هذه الجملة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (شكه) وهو تحريف .

الأخلاق ، متقاطبا ، زاهياً^(١) بنفسه ؛ ابتداء يوماً كتاباً ، صُدِّراً بخطابته ، فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفو العفو »^(٢) ، وتركه لأمر عرض له ، فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشى ، وهو كاتب المقام السلطاني ، فظن لقصوره أنه وهم ، وأراد « الصفوة » فأصلحه ، فلما عاد ونظر إليه مزقه ، وكسر الآلة ، وقال لا أقيم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر]^(٣) ، ويتسوّره الإصلاح ، على قلم يطعم بعد في مقامه . وانصرف ، واستقر بتهلّسان ، كاتباً عن صلواتها أبي يحيى بقمّراسن^(٤) . بن زيّان . وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبي زكريا ، استقدمه على عادته في استدعاء الكتّاب المشاهير والعلماء^(٥) وبعث إليه ألف دينار من الذهب المّين ، فاعتذر ورد عليه المال ، وكانت^(٦) ، أشق ما مر على المستنصر ، [وظهر له علوّ شأنه]^(٧) ، وبعد همتّه .

مشيخته

روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي بكر بن مُحرز ، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي ، وقرأ وسمع على هؤلاء ببغداد ، [وأجاز له كتابةً أبو الزبيع بن سالم وغيره]^(٨) .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذاها) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ومعها (خيرة الخيرة) . ووردت في المخطوطين (صفوة الصفوة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (يحصل فيه هذا الغلّز) .

(٤) هكذا ووردت في المخطوطين . وهو الاسم الكامل . ووردت في الإسكوريال (بنمور) وهو مختصر الاسم .

(٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فكان ذلك) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال «والزيتونة» (لأجل بآؤه) .

(٨) هذه الجملة واردة في الإسكوريال «والزيتونة» . وساقطة في «ج» .

شـمـرـه

من ذلك قوله :

أقنع بما أوتيته تَنَلُ الغِنَا وإذا دَهَتْكَ مِلَّةٌ فَتَصَبَّرْ
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو رُمْنَا زِيَادَةَ ذَرَّةٍ لَمْ تَقْدِرْ
والله أرحم بالعباد فلا تسل أَحَدًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُؤْجِرْ
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة ورأيت نفسك [قد غَوَتْ فلتبصر] (١)
وانظر [إلى من كان دونك] (٢) تَدَّكِرْ لعظيم نعمته عليك وتشكر

[ومما قاله في صباه :

يا دعوة شاكٍ ما قد دَهِاهُ مِنْ لِحَاطِ رِشَاكِ
ظبي تصدى للفلوب يصيدها مِنْ نَاطِرِيهِ فِي سِلَاحِ شَاكِ
ورمى وإن قالوا رننا عن فَاتِرِ سَاجٍ عَلَيْهِ سِيمِ النَّسَّاكِ
قد كنت أحنو بظشه لو أننى أَبْصُرْتَ مِنْهُ مَخَايِلَ الْفَتَّاكِ
أو ما عليه ولا عليه حاكم يَحْمِي ثُغُورَكَ أَوْ يُحَوِّطُ حِمَاكَ
أو ما لجارك ذمة مرعية أَبْدَا يَظْلُ دُمُ الْغَرِيبِ طِلَاكَ
إني استنمت إلى ظلالك ضلة فَإِذَا ظَبَاءُكَ مَاضِيَاتِ ظَبَاكَ
مالى أخطب بانه ما أن تعى قَوْلَا وَلَا تَرْنِي لَدَمْعَةِ بَسَاكِ
أكرمة الحيين هل لمُتَّيِّم رَحْمَى لَدَيْكَ فَأَرْجِي أَرْحَاكَ
أصبتنى بعد المشيب وليس من عَذْرُ لِمَنْ لَمْ يُصْبِهِ ثَرَاكَ
لولا ما جذبت عذاني لوعه وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّنِي لَوَلَاكَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قد ثبت فاستغفر) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (إلى من دون حالك) .

لما دعا داعي هواك أجبته
أصليتني نار الصدود وإنني
وأبحت ما منع النشروع من دمي
وتركت قلبي طائراً متخبطاً
ومنعت أجفاني لذيذ منامها
ولقد عجبت وأنتِ جدُّ بخيلة
إني لأياسُ من وصلك تارة
أسماك أنك قد خفضت مكانتي
إني مُعَنَّاءُ المتيم فليكن
تنني معاطفك الصبياً خوطة
أبعدني منها بطعنة راح
أموت من عطش وثمرك مَوْرَدُ
هلا تني عن حُلوة فَلِيلَةٍ
وقال يجيب أبا عبد الله بن خميس رحمه الله ، عن قصيدة بعث بها

إليه أولها :

رُدْ في حدايق ما بها مرتادُ
زُرُقُ الأسنة دون زُرُقِ إحمائها
قد لذَّ مَوْرودُ وطاب مُرادُ
وظباً كما رنت العيون حِدادُ

هذه الأبيات :

نعم المراد لمن غدى يرتاد
سألت على العافي جداوله
مرعى يرفو نبساته ومهاد
إلى حيث السيادة تُبَتِّني وتُشاد
كما صالت على العادي بدا ناد
فشدت رَحْلَ معيَّتي منه

وربكتُ ناجيةً مبارية الصبا
 يفتادها سكانها قلب على
 عجباً لهم أحلامهم عادية
 خبر تِلْمَسَانَا بأنى جيتُها
 وعاقبتُ سمعاً ولم أر حُسْنُها
 ولربَّ حُسْنٍ لا ثَوَاهِ ناظرُ
 ودخلتُها فدخلت منها جنة
 ورأيت فضلاً باهراً ومكارماً
 أهل الرواية والدراية والنِّدَا
 فهم إذا سِيلُوا بحار معارف
 درجاتها ينحطُّ عنها غيرهم
 فأجلهم وأحلمهم من مهجتي
 وأودُّه حين أخطُ أطيب ذكرهم

خُفَرَاءُ فوق خضارة تُعتاد
 من كان من سكانها استبداد
 تَمُحُّ عليهم حكما أعواد
 لما دعاني نحوها الرُّواد
 إلا أناساً حَادَثُوا فَأَجَادُوا
 ويراها لا يخفى عليه فزاد
 سكانها لا تخفى ولا حياء
 وعلا تفاخر دونها التعداد
 فى نورهم أبداً لنا استمداد
 ولدى السكينة والنهى أطواد
 ومن الورى قَتَرٌ ومنه وهاد
 بمكانة ما فوقها مُرَدَاد
 لو أن أسود مقلتي مِدَاد

وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة :

رقت حواشى طبعك ابن خميس فهفا قريضك بى وهاج رَسَبِى
 ولمثله يَصْبُو الحليم ويمتري ما للشروق به وسيرُ العيس
 لك فى البلاغة والبلاغة بعض ما تحويه من أثرِ محل ريدى
 نَظْمٌ ونثر لا تُبَارَى فيهما تمهدت ذاك وذابعلم الطُّوس^(١)

وقال عند وفاته وربما نُسبت لغيره :

ربُّ أنت الحليم فاغفر ذنوبى ليس يعفو عن الذنوب^(٢) سواكا

(١) الشعر المحصور بين الخاصرتين وأورد كله فى الإسكوريال . وساقط فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (الذنب) .

ربُّ ثَبَّتْ عِنْدَ السُّؤَالِ لِسَانِي وَأَقْنَى عَنِّي طَرِيقَ هَذَا كَمَا
 رَبُّ كُنْ إِذَا وَقَفْتُ ذَلِيلًا نَاكِسَ الرَّأْيِ اسْتَحْيَ أَنْ أُرَاكَ
 رَبُّ مَنْ لِي وَالنَّارُ قَدْ قَرُبَتْ لِي [وَأَنَا قَدْ أَبْجَتُ عَهْدَ حِمَاكَ] ^(١)
 رَبُّ مَالِي مِنْ عُدَّةٍ لِمَا لِي ^(٢) غَيْرَ أَنِّي أَعْدَدْتُ صِدْقَ رَجَاكَ
 رَبُّ أَقْرَرْتُ أَنِّي عَبْدٌ سَوْءٌ حَلَمُكَ الْجَمُّ غَرَّهُ فَمَصَاكَ
 رَبُّ أَنْتَ الْجَوَادُ بِالْخَيْرِ دَوْمًا لَمْ تَزَلْ رَاحِمًا فَهَبْ لِي رِضَاكَ
 رَبُّ إِنْ لَمْ أَكُنْ لِفَضْلِكَ ^(٣) أَهْلًا بِاجْتِرَائِي فَأَنْتَ أَهْلُهُ لَذَاكَ

نثره

ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمصرية من مدينة إشبيلية :
 كُتِبَتْهُ ، كَتَبَ اللَّهُ لِسْكَما فوزاً بالحسنى ، وأجنا كما من نمرات ^(٤) إحسانه
 أكثر ما يجنى . من إشبيلية ، وحالى بحمد الله حسنة ، ونفسي بحب قريبكما
 مرتهنة ، وعلى بما لديكما من السراوة التي جيلتما على فطرتما ، [وامتزتما في الاجتلاء
 بفرقتها] ^(٥) ، علم لا يدخله الشك ، ويسبقني إلى ودكما الذي لبسته مملاً وتقلاطه
 محرماً ، لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال ، ولا ينفك . فلنثن عنان القلم عن
 مداده ، ونأخذ في حديث سواه . وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع
 الآخر ، ولقينا الإفانت ^(٦) على ميلين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين كالآتي (وإنا تحت
 أحمد وحمّاك) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (لما بي) والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (لذلك) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثمرة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وامتزتما بقوتها) .

(٦) الإفانت هنا يقصد بها «الإنفانتى» Infante ، وهو لقب يطلق على ولي عهد ملك قشتالة ،
 ويجب أن نذكر أن إشبيلية كانت في الوقت الذي يتحدث فيه الكاتب عنها قد سقطت في أيدي القشتاليين
 وذلك في شعبان سنة ٦٤٦ هـ (نوفمبر ١٢٤٨ م) ، وغدت مدينة نصرانية ، ثم جعلت عاصمة لمملكة قشتالة .

الخطر ، وقررة العين ، ونزلنا في الأخمية خارج البلد ، موضعا^(١) يعرف بالقنب ،
فد تفجر عيوننا ، وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنونا ، وعرض علينا النزول
في الديار داخل المدينة ، فرأينا المقام فيه^(٢) ، أحد الأسباب المسمدة^(٣) على
حفظ الصحة المعينة ، ورغبنا عن المدينة لحرها الوهاج ، وغبارها العجاج ،
وما بها الأجاج . ولما تاب من النشاط البارح ، واستقل من المطى الرازح ، طفت
في خارجها وداخلها ، ووقفت^(٤) على مبانيها المشيدة ومنازلها ، ورأيت انسياب
أراقشها ، وتقصبت آثار طريانتها^(٥) وبراقشها^(٦) فشاهدت من المباني العتيقة ،
والمنازة^(٧) الأنيقة ، ما يلا^(٨) أعين النظار ، وينفخ فيه مجال الاعتبار . على
أنى ما رأيتهما إلا بعد ما استولى عليها الخلف . وبان عنها الظرف ، ونبا عنها
الطرف ، فلا ترى من مغايبها إلا طللا دارسا ، ولا تلج من بدايعها^(٩) إلا لمحيا
عابسا ، لكن الراى إذا قدّر وضعها الأول ، وركب وهمه من مبانيها ما تحلل ،
وتخيل في ذهنه حسنهما وتمثل ، تصور حسنا يدعو إلى المجون ، ويُسلى عن الشجون

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (سيوضع) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي الإسكوريال (فيا) . وفي «ج» (القنب) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (المساعدة) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واطلعت) .

(٥) ماريانتها يقصد بها طريانة Triana ضاحية إشبيلية الجميلة الواقعة إزامها على الضفة
الغربية من نهر الوادى الكبير . وما تزال طريانة حتى اليوم من أجل ضواحي إشبيلية .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الاسكوريال (وفلسها) . وفي الزيتونة (وعشها) والأولى

أرجح وأنسب للسياق .

(٧) المنارة يقصد بها هنا منارة الجامع الأعظم الواقعة في قلب إشبيلية ، وهى التى حولت
فيما بعد من أعلاها إلى برج لأجراس كنيسة إشبيلية العظمى ، التى بنيت فوق موقع الجامع ، وما تزال
حتى اليوم من أعظم الآثار الأندلسية الباقية . وتعرف بالإسبانية باسم (لاخير الدا) La Giralda .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (بستيل) .

(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

[لولا أنها عُرِضَتْ لِأَشْطَرِّ رَاهِبٍ . لَمَا دَانَ إِلَّا بَدَنُ ، وَلَا تَقَرَّبَ بِغَيْرِ قَارِبٍ] ^(١)
 وحسبى أن أصفها بما يقيها من القبول ، وأقول إنها فى البلاد بمنزلة الربيع من
 الفصول ، ولولا أن خاطرى مُقَسِّمَ وفكرى حده مثل ، لقضيت من الإطناب وطراً ،
 ولم أدع من معاهدها ^(٢) عيناً إلا وصفتها ولا أثراً .

توفى بتلسان يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وستماية .

محمد بن عبد الله بن محمد بن باب الأعمى ^(٣)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الصايغ ، بالصاد المهملة ، والغين المعجمة ،
 من أهل المربة .

حاله

من خط شيخنا أبى البركات فى «الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» . كان
 سهلاً ، سلس القياد ، لذيد العشرة ، دمث الأخلاق ، ميالاً إلى الدعة ، نفوراً
 عن النصب ، يركن إلى فضل نباهة وذكاء ، يُحاسب بها عند التحصيل والدواسة ،
 والدثوب على الطلب ، من رجل يجرى من الألحان على مضمار لطيف ، ولم يكن
 له صوت رخيم ، يُساقق إنطباعه فى التلحين ، يخبر ذلك بالأوتار . وحاول من
 ذلك بيده مع أصحابه ، ملاذبه الظرفاء منهم . واستعمل بدار الأشراف بالمرية ،
 فأحكم تلك الطريقة فى أقرب زمان ، وجاء زمامه يروق من ذلك العمل شأنه . ثم

(١) مابين احصرتين ورد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) محذوف إسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

(٣) وردت هذه الترجمة فى مخطوط الإسكوريال فقط ولم ترد فى «ج» ولا «الزيتونة»

نَهَضَتْ بِهِ هَمَّتُهُ إِلَى أَرْفَعِ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى غِرْنَاطَةِ ، وَتَرَأَى بِهَا الْعَرَبِيَّةَ وَغَيْرَهَا ،
وَانْخَرَطَ فِي سِلْكِ نَهْيَاءِ الطَّلِبَةِ لِأَدْنَى مَدَّةٍ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ فِي حُدُودِ
الْعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَلَمْ يَتَجَاوِزِ الْقَاهِرَةَ لِمُوَافَقَةِ هَوَايَا عَالَةٍ ... كَانَ يَشْكُوهَا ، وَأَخَذَ
فِي إِقْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِهَا ، وَعُرِفَ بِهَا إِلَى أَنْ صَارَ يَدْعِي بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّحْوِي . قَالَ
شَيْخُنَا الْمَذْكُورُ ، وَرَأَى فِي صُغْرِهِ فَارَةً أَنْثَى ، فَقَالَ هَذِهِ قُرَيْنَةٌ ، فَلَقَّبَ بِذَلِكَ ،
وَصَارَ هَذَا اللَّقَبُ أَغْلَبَ مِنْ إِسْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ .

وَجَرَى ذِكْرُهُ فِي النَّاجِ بِمَانَصِهِ : لَيْشُ مَعْرِفَةٍ لَا يَفِيضُ ، وَصَاحِبِ فَنُونٍ
يَأْخُذُ فِيهَا وَيَفِيضُ . نَشَأَ بِيْلَدُهُ مَسْتَمِرًّا عَنْ سَاعِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَشَارَكَ فِي قُنَنِ الْعِلْمِ
وَوَهَادِهِ ، حَتَّى أَيْنَعَ رَوْضَهُ ، وَفَهَّقَ حَوْضَهُ . ثُمَّ أَخَذَ فِي إِرَاحَةِ ذَاتِهِ ، وَشَامَ بَارِقَةَ
لَذَاتِهِ ، ثُمَّ سَارَ فِي الْبَطَالَةِ سِيرَ الْجُلُوحِ ، وَوَاوَلَ الْغُبُوقَ بِالصَّبُوحِ ، حَتَّى قَضَى وَطْرَهُ ،
وَسِيمَ بَطْرَهُ ، وَرَكِبَ الْفُلْكَ ، وَخَاضَ اللَّجْجَ الْخُلْكَ ، وَاسْتَقَرَّ بِمَصْرِ عَلَى النِّعْمَةِ
الْعَرِيضَةِ ، عَلَى شَكِّ فِي قَضَاءِ الْحُجَّةِ الْعَرِيضَةِ ، وَهُوَ بِمَدْرَسَتِهَا الصَّالِحِيَّةِ ، نَبِيهِ
الْمَسْكَاةِ ، مَعْبُودٍ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْدِيَانَةِ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ بِالْمَرْيَةِ عَلَى الْمَكْتَبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَيْزُوقِي ، وَأَخَذَ عَنْ شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي
الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْعِيْشِ ، وَقَرَأَ بِالْحَضْرَةِ عَلَى الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِي وَغَيْرِهِ .
وَأَخَذَ بِالْقَاهِرَةِ عَنْ الْأَسَازِ أَبِي حَيَّانَ ، وَانْتَفَعَ بِهِ وَبِجَاهِهِ .

شَعْرُهُ

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ ، وَكَانَ أَخَذَ مِنْ قَرَضِ جِيدِ الشَّعْرِ بِالْحِطِّ الْوَافِرِ .
فَمِنْ شَعْرِهِ مَا نَقَلَهُ إِلَيْنَا الْحَاجُّ الْخَافِظُ الْمَكْتَبِيُّ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ غَصَنِ ، حَسْبَا
قَبْلَهُ عَنْهُ بِمَصْرِ .

بُمَدِّ الْمَزَارِ وَلَوْعَتِهِ أَشْوَاقُ حُكْمًا بِفَيْضِ مَدَامِقِ الْأَمَاقِ

أذكى لهيب فؤادى الخفاف
 من ذا الذى لغدٍ فديتك باق
 وإذا تولت لم تُنفل بلحاق
 صوبُ الغمام الواكف الرُّقراق
 قلبُ سليم ياله من راق
 لا كان فى الأيام يومُ فراق
 يفتري للعلا بنجائب ونياق
 خيرُ البرية ذى المنخل البراق
 حفظُ اليهود وصحةُ الميثاق
 والظاهر الأخلاق والأعراق
 وجبينه كالشمس فى الإشراق
 بالـجود والإرفاد والإدفاق
 سارت رسالته إلى الآفاق
 قبضت عنان المجد باستحقاق
 حى الوطيس وشمرت عن ساق
 وتجوّل سبجاً فى الدّم المِهراق
 من بعد إشراق مضى ونفاق
 ظلّ ظليل وارف الأوراق
 ما ناله كسفٌ ونكسٌ تحاق
 أمِن السفين غوايل الإغراق
 ذابت نفوسهم من الإشفاق
 والجاه والشرف القديم الباق

وخفوقٌ نجدى النسيم إذا سرى
 أمعللي إن التّواصل فى غمد
 إن الليالى سبقٌ قد أقبلت
 فصفح تمدّونه على الحمى سقى الحما
 فيه لذى القلب السليم وداده
 قلب غداة فراقهم فارقتـه
 يا سارياً والليل ساجر عاكف
 عرج على مثنوى النّبي محمد
 ورسول ربّ العالمين ومن له
 الظاهر الآيات قام دليلهما
 بذر الهدى البادى آياته
 الشافع المقبول من عمّ الورى
 والصّادق للمؤمن أكرم مرسل
 أعلى الكرام ندأ وأبسطهم يداً
 وأشدّ خاق الله إقداما إذا
 أمضاهم والخليل تنر فى القنا
 من صير الأديان ديناً واحداً
 وأحلنا من حرمة الإسلام فى
 لو أن للبذر المنير كماله
 لو أن للبحرين جود يمينه
 لو أن للآباء رحمة قلبه
 ذو العلم والخفى للنجلى

سحبُ النّوال تُدرُّ بالأرزاق
ورّبت ربّي الإيمان وهو الشاق
وهُدّى وتأديبٍ بحسن سياق
مرّسى الفخار وغاية السبّاق
كم آية فقدت وهنّ براق
فلق الصّباح وكان ذا إفلاق
الورى لقم صدق فوق ظهر بُراق
حتى تجاوزهنّ سبع طيماق

آياته شهبٌ وغرْبُ بذاته
فاحت فيوح الأرض وهو غياها
ذو رافة بالمؤمنين ورحمة
وخصال مجّد أفردت بالخصل في
ذو المعجزات الغرّ والآى التى
ننت للمعارض خيراً لما حكّت
يقظ الفزاد سرّى وقد هجّع
وسما وأملك السما تحفّة
منها :

وايّت من هذا للورى بعلاق
إنى من الأعمال ذو إملاق
تختال بين الوخذ والأعناق
تطوى الفلا ممتدة الأعناق
وتقودهنّ أزمة الأشواق
وهى القيّ برين كالافواق
وسع الورى بالنائل الدقاق
وكفى بها هبة من الرزاق
تحى النفوس بنشرها الفتاق
أرج الندى بمدحك المصداق

ياذا الذى اتصل الرّجا بحبله
حبيّ إليك وسيلتى وذخيرتى
وإليك أعملت الرّواحل ضمراً
تجبا إذا نشرت تلك الفلا
يحدو بهنّ من النّجيب مرّد
غرض إليه فوقنا أسهما
وانحسها بفنايك الرّحب الذى
وقوى مؤمّلك الشفاعة فى غد
وعليك ياخير الأنام تحية
تتأرج الأرجاء من لفحاتها
منها :

مسك الأئوف وأئمّد الأحداق
لمعامل الرّحمن أى نفاق

قسماً بذيّب تراب طيبة إنه
وأثبار مسجده الذى برحابه

لا جود فيه بأدمع أسلاكها
 أغدو بتقبيل على حصبايه
 وعليك ذا الثورين تسليم له
 كفووا لنبي وكفوا على جنة
 وعلى أب السبطين من سبق الألى
 الطاهر الصهر ابن عم المصطفى
 مبدى القضا من وراء حجابها
 يغزو العداة بغلظة فيعيدهم
 راياته لاشيء من عقيانها
 وعلى كرام سنة عثرت بهم
 ما بين أروع ما جد نيرانه
 وأخى حروب صده وشف القنا
 ما غردت شجوا مطوقة وما
 وعلى القرابة والصحابة كلهم
 ولما سني الله في الروم الواقعة المبيرة والوقعة الشهيرة^(١)، التي أجلت عن قتل مليكهم
 معركتها، وانتهت للفتح معركتها وحركتها، وعمت الإسلام بآتاس فل الكفر بركنها،
 قدّم مع الوفود من أهل بلده، وهنأ أمير المسلمين^(٢) بفتح ذلك، وطلوع رلده، فقال :

(١) الإشارة هنا إلى الموقعة التي نشبت بين القشتاليين بقيادة الدون بيدرو والدون خوان
 الوصيين على ملك قشتالة ألفونسو الحادى عشر، والجيش الفرناطى بقيادة شيخ الغزاة أبى سعيد عثمان
 ابن أبى العلاء فى هضبة إلبيرة على مقربة من غرناطة، وذلك فى ٢٠ ربيع الثانى سنة ٧١٨ هـ (مايو
 سنة ١٣١٨ م) وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة، وقتل دون بيدرو وزميله دون خوان وجمهرة
 من النبلاء والقادة والكبراء النصارى، وغرق من النصارى عدد جم بئر شليل، وحصل المسلمون على
 مقادير عظيمة من الغنائم والأسلاب. وكان ذلك فى عهد السلطان أبى الوليد إسماعيل (٧١٣ - ٧٢٥ هـ)
 (٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا هو السلطان أبو الوليد إسماعيل السابق ذكره.

أَمْلِكُ أَمْ بَدْرُ الدُّجَا الْوَضَّاحِ
أَعْلَى الْمَسَالِكِ مَا بَنَتْهُ يَدُ الثَّقِيِّ
وَأَحَقُّ مَنْ يَدْعَى خَلِيفَةً رَبَّهُ
كَأَمِيرِ أُنْدُلُسٍ وَنَاصِرِهَا الَّذِي
أَسْمَى الْمُلُوكِ أَبُو الْوَلِيدِ الْمُتَرَفِّعِ
هُوَ دَوْحَةُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ فَرُوعُهَا
وَبِمَحْوَ رَسْمِ عِدَاتِهِ بَلْبَسَاتِهِ
بَدْرُ الْكَمَالِ لَوْ أَنَّ بَدْرًا مِثْلَهُ
بَحْرُ النِّوَالِ لَوْ أَنَّ بَدْرًا مِثْلَهُ
وَلَمِثْلَهُ قَادَ الْجِيَادِ عَدُوَّهُ
أَهْوَاهُ شَيْطَانِ الْهَوَى فِي جُلَّةِ
طَمَعِ الشَّقَى أَضْلَلَهُ وَأَذَلَّهُ
فَأَبَادَهُمْ وَمُلُوكَهُمْ فَتَحُّ بَدَا
وَقَوَاصِلُ تُبْرَى بَيْنَ مَفَاصِلِ
لَمْ تُفْنِ كُلَّهُمْ سَيُوفُ الْهِنْدِ بِلِ
مَا زَالَ حَتَّى عُدَاكَ يَحْسُدُ مَيْتَهُمْ
فَاقْتُلْ كَبِيرَهُمْ وَاحِدِي صَغِيرَهُمْ
تَسْتَبِيحُ مَا حَاطَ الْعُدَاةُ وَمَا حَوَا
يَا مَةَ الْكُفْرَانِ تَفْنِيدًا وَهَلْ
أَتَرَكْتُمْ يَطْرُو^(١) وَحِيدًا مُفْرَدًا

وَحُسَامُهُ أَمْ بَارِقُ الْمَسَاحِ
وَعِمَادُهَا الْأَعْلَامُ وَالْأَرْمَاحِ
مَلِكٌ خَلَّافَتُهُ هُدًى وَنَجَاحِ
أَفْنَى الْعُدَاةِ حُسَامُهُ السَّفَاحِ
وَأَعَزُّ مَنْ شَرُفَتْ بِهِ الْأُمْدَاحِ
وَبِرَاحَتِيهِ نَرْزُقُ الْأَذْوَاحِ
نَطَقَ الْكِتَابُ وَخَطَّتْ الْأَوَاحِ
لَمْ يَبْدُ خَشْيَةُ نَوْرِهِ الْإِصْبَاحِ
لَا رَتَاعَ خَشْيَةٍ فَيَضُهُ الْمَالِحِ
فَخَبَا لَهُ قِدْحٌ وَخَابَ قِدَاحِ
إِنْ الْهَوَى بِأَلْفِهِ طَمَاحِ
كُلُّ الْمَطَامِعِ لِلْغَبَى فُصَّاحِ
وَبَسْعَدَ جَدُّكَ وَبُنَا فَتَاحِ
وَصِفَاحُ يُقْرَى بَيْنَ صِفَاحِ
لِسَيُوفِ جُودِكَ فِي النَّفَرِ جِرَاحِ
وَبَحْثُ فُوتَا عَاجِلَا فَيُرَاحِ
وَاسِبُ النَّفْسَا فَمَا عَلَيْكَ جُنَاحِ
وَرِحَاكَ يَأْمَنُ صُورِ لَيْسَ يُبَاحِ
لِجَفُونِ أَعْنَى يَنْجَلِي مَصْبَاحِ
يَشْدُو عَلَيْهِ الطَّائِرُ الصَّبَاحِ

(١) بطرو هنا هو الدون يبدرو (و بالعربية بطروه) الوصي علي ملك قشتالة المتقدم ذكره .

وَجُوانٌ^(١) يرتشف الندى فـديمه غربانه ووساده الصّباح
وكذلك المطران جاد رسومه قطر المنايا الصارم الطّماح
أروسٌ أم تبديض النعام بمرّجنا أصنافكم هندي أم الأشباح
ماللّمطامير اشتكت من ضيقها بالمال والأسرى وهنّ فساح
جارتكم بكم أبطالنا فكانكم كَشَحْ وجيش المسلمين وشاح
تبا لرؤى يهيم براحة أيرام عن خيل الإله براح
قُصّت قِصائدكم فما إقدامكم ولليل جنح الكفر تفيض جناح
هنا فلا تستعجلوا ببلادكم سترون كيف يكون الاستفتاح
قد انثنت بطحاؤنا بحطامكم ونباتها الریحان والنفاح
تالله ما كنتم بأول عسكر أمل النجاح وحينه يمجّتاح
القس غرّكم ليهلك نسلكم بسيفنا إن إفكّه الصراح
كم ذا يسخرّكم ويسخر منكم غـدراً ومكرّاً إنه لوفّاح
منها:

وفوارس نشوا لنهب فراس طلبوا انتشاوا الدّما للراح
أربوا على الأسد المزبر بسالة مع أنهم غرّ الوجوه صباح
خاضوا بحار الحرب يطأو بحرّها ووطيسها حامى الصّلى لفاح
ماهم يبذل نفوسهم ونفيسهم عن النوال والنّزال سباح
وإذا هم ذكروا بنادٍ فاندشّق مسكا تضوع عرفه النفاح
فغدا وراح النصر يقدم جمعهم ويحفهم حيث اعتدوا أوداح
سنالك مولانا بسعدٍ قبل خُلصاء قد عمّتهم له أفراح

(١) جوان هو الدون جوان الوصي على مالك وتشتالة المشار إليه فيما تقدم .

وبنجلك البدر الذى آفاقه
 بدرُ البدور فلا يدار عليه
 فلکم عدوٌّ أفلَّ بزوغه
 ومنا وذاك بالأمير تجدد
 قد جاء بعد العسر يسرٌ شامل
 فالحمد لله الذى قد خصنا
 وعلى المقام المولوى تحية
 ما خط مدحك فى الطروس محبر
 ملكٌ وهالته هدى وصلاح
 وبذا نارت أربع وبطاح
 خسفت به الأوجال والأتراح
 كلُّ بحبك نفسه ترتاح
 قد جاء بعد الشدة الإنجاح
 ولنا بحمدك بعده إفصاح
 كالزهر إذ شهدى شذاه رياح
 ونحي دجاجة الأصيل صباح

وقال يرئى الخطيب ببلده ، الشهير الفاضل ، أبا الحسن بن شعيب
 رحمه الله .

بوادى لقد حملت ما ليس لقواه
 بليت بذا التفريق فاصبر فرما
 شجا كل نفس فقد أنفست جوهر
 بكى كلنا حزناً عليه كما بكى
 فله خطب جليل لقد روى
 فولولكم يغلب تأسينا الأوى
 فلم يبق إلا من جفا جفنه الكرى
 وفاة لمرى وفى فوقى أجره
 أبى الحسن العدل الرضا المحسن الذى آتته بأضماف الزيادة حسناه
 خطيبٌ جلا فصل الخطاب ببيانه
 وأعدل قاض فاضل فى قضايه
 وجسم الهدى الرحب السبيل وروحه
 فراقٌ ولى شرف الأرض تقواه
 بلغت بحسن الصبر ما تمنناه
 تعد ولا تحصى كرام سجايه
 لفرقتة محرابه ومصلاه
 أجل خطيب بالجلالة مضمناه
 ولم يشمل الشمل النفع لولاه
 ومن جانبته وصل المضاجع جنباه
 وأصفى بإصفاه الإله وصافاه
 وأعدل قاض فاضل فى قضايه
 وأعدل قاض فاضل فى قضايه
 وأعدل قاض فاضل فى قضايه

مطيعٌ رفيعٌ خاضعٌ متواضعٌ كريمٌ
 متى يمشى هو نأ ليس إلا لمسجد
 تكلمه عرفٌ وذكرٌ وحكمةٌ
 كذا صمته خوفٌ وفكرٌ وخشيةٌ
 يصوم وقد طال النهار مهجراً
 فكم دارسٌ أحياء من أربع الثقا
 فياطيباً أصلاً وذكراً وترية
 وفي حشقة تحن ومرتبجاً وباطناً
 محياً يروى النـاظرين تهلاًلاً
 بحبك هامت كل نفس منيية
 فما أنعم الأرض التي بك قدست
 بشراك إنا قد شغلنا بحزننا
 عزاً لأهلبيه الأهله أنهم
 نال شعيب في الزمان بدوره
 أعزى أولى الإيمان كلا بقلبه
 سقى الله وتسمى الحيا ذلك الترى
 كما قد سقاه ليلة الدفن وبه
 ترضوا عن القاضي الإمام خطيبكم
 وصلوا على هادى الأنام نبيكم
 عليك سلام الله ما الروض فاح
 حلیم طاهر القلب أوّاه
 تمید خجلاً أروض بها حظّ نعلاه
 تلذ بها الأسماع ما كان أحلاه
 فما زال يخشى الله والكل يخشاه
 وتبحر بالليل للتغمض عيناه
 وكم غاسق من حیدس الليل أحياء
 ومنه استفاد الطيب أطيب ربابه
 وأمن سنى شمس الضحى من محياه
 فتعرفه فى الصالحين بسياه
 كذا من أحبّ الله حبيه الله
 وآثر ذياك الضريح وأنذاه
 ورضوان بشراه بذلك بشراه
 لهم يعترى من بعده العرش والجاه
 ولم تكن الشمس المنيرة إلاّ
 نعم وأسنيه بحبه ماواه
 وغاداه صوب الغاديات ومياه
 من الغيث وكاف السحاب وأسخاه
 فقد رضى الرحمن عنه وأرضاه
 صلاة بها يمحو المسىء خطاياہ
 إن سرت سحراً وبع الصبا بخزاماه

توفي رحمه الله في رمضان تحفيقاً من سنة خمس على شك وسبع مائة^(١) ،
أخبرني بذلك من يؤثق به .

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة^(٢)

من أهل مالقة ، وتردد كثيراً على الحضرة ، مُسترفداً ومُشداً ، وفي غير
ذلك من الأغراض يكنى أبا عبد الله .

حاله وشعره

من الإكليل^(٣) : شاعر اتخذ النظم بضاعة ، وماترك السعي في مذاهبه
ساعة ، أجرى في الملا ، لا في الخلا ، وجعل ذكره دُلوه في الدُّلا ، وركن
في حَلبة النجبا النجايب ، ورمى في الخراطى بسهم صايب ، فخرج بِمُرجِه وَفَقَّ ،
وارتَفَدَ بسببه وارْتَفَقَ . وهو الآن قد سالمته السنون ، وكأَنَّمَا أَمِنَ المَنُون ، من
رجل مَكْفُوفٍ الأذى ، حسن الحالة إلا إذا ، هذا قُلْتُ ، ثبت هذا والمذكور
حي ، وقد مات رحمه الله .

ومن شعره :

(١) من الواضح أن تاريخ وفاة ابن لب الأُمي ، لا يمكن أن يكون سنة ٧٠٥ هـ حسبما يذكر ابن الخطيب
وقد فاتته ما ذكره من قبل من أنه قدم مع الوفود إلى غرناطة للتهنئة في النصر الذي أحرزه أمير المسلمين
على النصارى في الواقعة التي حدثت سنة ٧١٨ هـ ، وأنه أي ابن لب قد ذكر في شعره دون يبدرو
ودون بخوان قائدَي القشتاليين الذين ألكا في الموقعة ، كما أنه هنا السلطان أبي الوليد في شعره .
ولم يحكم السلطان أبو الهيثم لا من سنة ٧١٣ هـ . وربما كان التاريخ الصحيح لفاتة ابن لب الأُمي هو
سنة ٧٢٥ هـ .

(٢) . ردت هذه الرحمة فقط في مخطوط الإسكوريال .

(٣) سبق التعريف بكتاب «الإكليل الزاهر» .

رجاى فى المولى العظيم عظيم غنيت به حيث الغنى بهديم
وحسبى الرجا فيمن عليه معولى حديث حديث لم يزل وخدم
وما عرفت نفسى سوى باب فضله على ثقة أن الكريم كريم
فإن قيل عني مذنب قلت سيء ——— كفى بغفران الذنوب رحيم
وما اعتصم المملوك إلا بحبله فجانبه نعمى لنا ونعم
رضاه سبيل للنجاة وجهه طريق لجنات النعم قديم
وأشد يوما الأمير ثالث الأمراء من بنى نصر^(١) يهنيه بالملك ويعز به :
على من تُنشر اليوم البنود وتحت لواء من تُسرى الجنود
وقال [على هذا الكذا ، الذى بين يديك]^(٢) فجل ، وعظم استظراف
الحاضرين لذلك .

توفى فى كذا وسبعائة .

محمد بن عبد الله بن فطيس^(٣)

يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة . وقال الأستاذ^(٤) من بيت فطيس
الأثيريين .

(١) ثالث الأمراء من بنى نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه . وكان ضريراً ،
ويلقب بمحمد المخلوع . وقد حكم من سنة ٧٠١ - ٧٠٨ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٨ م) .

(٢) وردت هذه العبارة فى الملحمة البدرية كالألى (عل هذا الزبلخ الذى ترى قدامك - يمنى
نفسه ص ٤٨) .

(٣) وردت هذه الترجمة فقط فى خطوط الإسكوريال .

(٤) الإشارة هنا إلى الأستاذ أبى جعفر بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة .

حاله

قال ، طبيبٌ ماهر ، وأديبٌ شاعر ، كان في أيام بني حشون^(١) ، يخنفُ عليهم ، وله فيهم أمداح كثيرة . يُذكر أنه دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حشون ، بعد انقطاع عن زيارته ، فعتبّه القاضي ، فاعتذر ، ثم أنشد :

يا حاملًا من عـُـلاء تاجًا ومن سنا وجهه سراجا
لو كان روى عـديـل وُدِّي لكنك من بابك الرنّاجا
إن لم يُـعـرّج عليك شخصي نقى وروحي عليك عاجا
وذكره ابن عسکر^(٢) في كتابه .

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن قنوح
[ابن محمد بن أيوب]^(٣) ابن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين

يكنى أبا عبد الله رندى النشأة ، إشبيلي الأصل ، يرجع بيته ، وبيت بني
حجاج ، وبيت بني عباد ، إلى جُرثومة واحدة ، وانتقل سلفه إلى رندة [في دولة
بني عباد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطّبه . وقدم ذو الوزارتين على

(١) الإشارة هنا إلى القاضي أبي الحكم بن حشون قاضي مالقة في أواخر العهد المرابطي . وقد ثار على المرابطين بمالقة واستولى على الحكم وذلك حوالي سنة ٥٤٠ هـ ، وتسمى بالأمير ، وجعل أخاه أبا الحسن بن حشون قائداً لجيشه . ولكن المرابطين في القواعد المجاورة تألبوا عليه ودبروا إسقاطه بالتفاهم مع بعض خدامه ، واستطاعوا الاستيلاء على القصبة . فامتنع ابن حشون بقصره ، واضطر في النهاية إلى الانتحار ، فاقترع المرابطون القصر ، وبعثوا برأسه إلى مراکش (سنة ٥٤٧ هـ) .

(٢) هو محمد بن علي بن الحضر بن هارون النسائي ويعرف بابن عسکر ، . قد ترجم له ابن الخطيب فيما تقدم من هذا المجلد (ص ١٧٢-١٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من الإسكوريال .

حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر، إثر قُوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رُشيد الفهرى، فألحقه السلطان بكتّابه، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء، إلى أن توفي هذا السلطان، وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله المخلوع، فقلّده الوزارة والسكرتارية، وأشرك معه في الوزارة، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدّاني. فلما توفي أبو سلطان، أفرده السلطان بالوزارة، ولقبه ذا الوزارتين، وصار صاحب أمره، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً، نفعه الله تعالى. غُدوة يوم الفطر، مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة، وذلك لتاريخ خلع سلطانه، وخلافة أخيه أمير المسلمين، أبي الجيوش، مكانه^(١).

حاله

[كان رحمه الله تعالى علماً في الفضيلة والسراوة، ومكارم الأخلاق، كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، عالى الهمة، كاتباً بليغاً، أديباً، شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطاً على أنواع، كلها جميلة الانطباع، خطيباً، فصيح القلم، زاكى الشيم، مؤثراً لأهل العلم والأدب، برّاً بأهل الفضل والحسب، نفقت بمدته للفضائل أسواق، وأشرفت بإمداده للفضائل آفاق]^(٢). ومن «عائد الصلة»: كان رحمه الله فريد دهره سماحة^(٣)، وبشاشة، ولوذعية، وانطباعاً، رقيق الحاشية، نافذ العزيمة^(٤)، مهتراً للمديح، طلقاً للأمل، كهفاً للغريب، برزكى

(١) هذه الفقرة الطويلة المصورة بين الحاصرتين واردة في النسخ وساقطة في «الزيتونة» وفي الإسكوريال. ونفقت وردت في هذين المخطوطين بعد كلمة رندة، وقبل بداية الفقرة، هذه العبارة «فتابعك من أصالة وجلالة وكرم طعمة».

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة». وفي الإسكوريال. ووراد في النسخ.

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة»: (ساحة).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (العزيمة).

للمائدة ، مُهَلَّبِي الْحُلَى^(١) . رِيَان من الأدب ، مضطاماً بالرواية ، مستكثراً من الفائدة . يقوم على المسائل القهية ، ويتقدم الناس في باب التحسين والتتبيح ، ورفع راية^(٢) الحديث والتحديث ، نفق بضاعة الطلب ، وأحيا معالم الأدب ، وأكرم العلم والعلماء^(٣) ، ولم تشغله السياسة عن النظر ، ولا عاقه تدبير الملك ، عن المسألة والسماع ، والإفراط^(٤) في اقتناء الكتب ، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها ، وأثرت أندية من ذخائرها . قام له الدهر على رجل ، وأخدمه صدور البيوتات ، وأعلام الرياسات ، وخوطف من البلاد النازحة ، وأمل من^(٥) الآفاق النائية .

رحلته ونباهته

وحل إلى الحجاز الشريف من بلده ، على فتاه سنه ، أول عام ثلاث وثمانين وستمائة ، فخرج وزار ، وتجول في بلاد المشرق ، مُتَجَمِّعاً عوالى الرواية في مظانها ، ومُنْقَرّاً عنها عند مُسَيِّ شيوخها ، وقيد الأناشيد الغريبة ، والأبيات المُرْقِصَة ، وأقام بمكة شرفها الله ، من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم ، فأخذ بها عن جماعة يأتي ذكرهم في مشيخته . وانصرف إلى المدينة المشرفة ، ثم قفل مع الركب الشامي إلى دمشق ، ثم كرك إلى المغرب ، لا يمر بمجلس علم أو تعلم إلا روى أو روى . واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة ، وأقام بها عينا في قرابته ، وعلماً في أهله ، مُعْظَماً عندهم^(٦) ، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء

-
- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخلوة) والأول أرجح .
 (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (روية) . وفي الإسكوريال (آية) . والأول أرجح .
 (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (العامل) .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (وأفراط) .
 (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (في) .
 (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (لديهم) والمؤدى واحد .

من بنى حبيب ، الوقيلة البرمسية . وورد رندة في أثر ذلك ، [في شهر جمادى
الآخرة من عام ستة وثمانين وسنمية] ^(١) فتمرض إليه ، ومدحه ^(٢) ، وهنأ بقضية
طويلة ، من أوليات شعره ، أولها :

هل إلى ردّ عَشِيَّات الوصال سبب أم ذاك من ضَرْب الحَال
فلما أنشدها إليه . أعجب به ، وبِحُسْن خَطِّه ونَصاعة ظَرْفه ، فأثنى عليه ،
واستدعاه إلى الوفادة على حَضْرته ^(٣) ، [فوفد إليها في آخر العام المذكور] ^(٤) ،
فأثبتته في خواصّ دولته ، [وأخطاه لديه] ^(٥) إلى أن رَفَّاه إلى كتابة الإنشاء
ببابه . واستمرّت حاله ، مُعْظَم القَدْر ، مخصوصاً بالمزية ، إلى أن توفي السلطان ،
ثاني الملوك من بنى نصر ، وتقلد الملك بعده ، وليّ عهده أبو عبد الله ، فزاد
في إحضائه وتقريبه ، وجمع له بين الكتابة والوزارة ، ولقبه بذي الوزارتين ؛
وأعطاه العلامة ، وتلقاه الأمر ، فبَعُد الصَّيْب وطاب الذِّكْر ، إلى أن كان من
الأمر ما يأتى [به الذكر] ^(٦) قريباً إنشاء الله تعالى .

مشيخته ^(٧)

قرأ بُرْندة على الشيخ النحوى أبى الحسن على بن يوسف العبّادى السَّفاح ،

- (١) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الحضرة) .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» كالاتى :
- (فوفد آخر عام ستة وثمانين .)
- (٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي «الزيتونة» (وأحيا ملكه) وفي الإسكوريال
(وأخطيا ملكه .)
- (٦) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٧) جاء في مخطوط الإسكوريال تحت كلمة «مشيخته» ما يأتى : «قلت لم أر في هذا الكتاب
مشيخة أطول منها فاختصرتها لطولها . على أنى في هذا الإختصار لهذا الكتاب أقيد المشيخة قاصداً
للتبرك بذكر أسياف العلم وحمله الدين وقادته ، جماعى الله من انتظم في غمارهم ، وسلك مسلك أتباعهم =

القرآن العظيم بالروايات السبع . والعربية وغير ذلك . وعلى الخطيب بها أبي القاسم ابن الأيسر ، وأخذ عن والده جميع مروياته . واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان ، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجلة]^(١) الذين يضيق عن أمثالهم الحصر .

فمنهم أبو اليمين جارا لله بن عساكر ، لقيه بالحرّم الشريف ، وانتفع به ، واستكثر من الرواية عنه . ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرّاني المعروف بابن هبة الله الحرّاني . [ومنهم الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى بن الإمام الجزائري ، جزائر المغرب ، نزيل بغداد . ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الخنبلي ، لقيه بالقاهرة . ومنهم الشيخ رضى الدين القسطنطيني أبو بكر . ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي إمام الديار المصرية في الحديث ومؤرخها وحافظها]^(٢) . ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخبسي شهاب الدين أبو عبد الله نزيل مشهد الحسين بن علي ، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها :

يا مَطْلَباً^(٣) ليس لي في غيره أرب إليك آل النّفْعِي وانتهى الطالب

== وآثارهم . وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو الثلاثة أوراق ، قال في آخر ذلك ، « إلى طائفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب » . ومن الواضح أن هذا كلام الناسخ الذي قام « باختصار » الكتاب . ولكننا رأينا أن لا نجاريه في ذلك ، وأن نذكر مشيخة ابن الحكيم مفصلة حسبما وردت في مخطوطي «ج» و«الزيتونة» .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت الأسماء المحصورة بين الحاصرتين في مخطوط الزيتونة على النحو الآتي : « وشرف الدين أبو العباسي من أهل الجزائر عمالة إفريقية ونزيل بغداد . ومنهم خليل بن أبي بكر بن بكر بن محمد المرادي فايق قاضي الخنابلة بالقاهرة المصرية يكنى أبا الصفا لقيه بالقاهرة المدزية ، ومنهم أبو بكر بن عمر بن علي القسطنطيني رضى الدين . ومنهم عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن ابن شرف الدين الخضرى الدميّاطي » .

(٣) هكذا وردت في «ج» ، وفي النّفْع . وفي الزيتونة (يا طالباً)

ومنها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه :

يا بارقاً بأعلى الرُقَمَين بدا لقد حَكَيْتَ ولكن فأنك السَّبب^(١)

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البَغْلَبَسْكِ، مولده سنة إحدى عشرة وستائة .
ومنهم محمد بن بكر بن خاف بن أبي القاسم الصَّفَّار . ومنهم الشيخ أبو الفضل
الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله بن رواحة . ومنهم محمد بن
يحيى بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق ، ومن تخريج الأربون المروية
بالأسانيد المصرية . وسمع الحَلَكِيَّات^(٢) من ابن عماد الحرَّانِي ، والشيخ
أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ، ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .
ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم . ومنهم الشيخ
محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنطاكي . ومنهم أبو البدر بن عبد الله
ابن أبي الزبير السكاتب المصري . ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن
خلف التدميري . ومن رؤساء شيوخه : الشيخ محيي الدين أبو الفضل . ومنهم
زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن علي]^(٣) البغدادي ،
تُكْنَى أم الفضل ، وسمعت^(٤) من أبيها . ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
أحمد الخراساني ، أبو عبد الله مَوْقُر الدين ، وألبسه خِرْقَة التصوف . ومنهم
الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشَّيْبَانِي شرف الدين . ومنهم الشيخ شهاب الدين
أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السَّلَفِي . ومنهم الشيخ
علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدُّشَقِي ، أبو الحسن ، ولد سنة سبع وتسعين

(١) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تحمل عن) .

وخسامة . ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي . ومنهم الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بحرم الخليل . سمع من أبي الحسن علي بن شجاع . [ومنهم يوسف بن دواد بن عيسى بن أيوب الحنفي]^(١) .

ومنهم الملك الأوحدي يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ، وداد بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري خطيب القدس . ومنهم الشيخ عبد الحفيظ ابن بدران ، ويدعى علي الدين من أهل بانياس ، سمع من ابن صيصري . ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي . ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم ابن يوسف بن أسلم القرشي ، جمال الدين . ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجي [البغدادى الإمام تقي الدين . ومنهم عبد الجليل بن أحمد بن الزجاج]^(٢) . ومنهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي ، الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير . ومنهم الشيخ يوسف ابن أبي ناصر السفاوي . ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد [بن زروع]^(٣) أبو محمد عفيف الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين . ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين . ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين الصوفي الأديب نزيل دمشق ، ومولده بتلمسان .

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» وساقط في «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البُستِّي القسطلاني قطب الدين ، الإمام المفتي شيخ دار الحديث السكاملية بالقاهرة المعزّية . ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين . ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية . ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة . ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنس كرت فخر الدين . ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق ، سمع على ابن المغيرة البغدادي . ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد الأهل الفسائي ^(١) . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي الأصل شرف الدين ، سمع من علم الدين الشيوخوني وغيره . ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي إمام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يدعى شمس الدين ، سمع من الزبيدي . ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري ، يعرف بابن عز الدولة .

وأجاز له جماعة ، منهم ابن عماد الحراني ، ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني كمال الدين ، وسمع من ابن الزجاج وابن رَوَّاح الحميري . ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي ، عُرف بابن الجوزي سمع على جماعة ، منهم شعيب الزعفراني ، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحاكبي . ومنهم الإمام مفتي المسلمين رضي الله عنه . ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسّة لأنى المسكني . ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رُحَيْمة الكِنْدَانِي خطيب بجاية . ومنهم قاضي القضاة بيلاد إفريقية أبو العباس

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

ابن الغمار^(١) البكّسى ، لقيه بتونس . ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزى السكّبي . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابي . ومنهم الشيخ المغربي أبو محمد الحجاج ابن يوسف بن إبراهيم بن عتاب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن يربوع السّبقى . ومنهم الإمام قدوة النجاة أبو الحسين^(٢) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي . ومنهم الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد ابن عبد الحق الزّواوى المِشدالى من أهل بجاية . ومنهم الخطيب انقاضى أبو عمرو إسحق بن أبي إسحق بن عبد الوهاب الرّندى . إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب .

محتة

أغرّى به الأمير ولى العهد ، بسبب أمور اختلف فيها ، منها أبحاث فى هجو الدولة النصرىة ، الله أعلم بصحة نسبتها إليه ، فأوقع به [وناله بين يديه نكالٌ كبير]^(٣) أفلّت منه برّقى^(٤) ، واخفى مدة فى المآذن المُقفلة والأماكن الخفية ، حتى أصبح له جوٌّ سخطه ، [وقضى الله برّده أمره إليه ، واستيلايه على ما وراء بابه]^(٥) .

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الغمار) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (أبو الحسن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال على النحو الآتى (فتنول بين يديه بنكال كبير) .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (برقى) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (وقضى الأمر باستلابه) .

من روى عنه (١)

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي العاصي ، وتدبج معه رفيقه
عبد الله بن رُشيد وغير واحد . وكان ممدوحاً ، ومن مدحه الرئيس أبو محمد
عبد المهيمن الحضرمي ، والرئيس أبو الحسن بن الجيَّاب ، وناهيك بهما . ومن
بديع مدح ابن الجيَّاب له ، قصيدة رائية رائقة ، يهنيه فيها بعيد الفطر منها
في أولها :

يا قادمًا عمت الدنيا بشائره	أهلاً بمتقدمك الميمون طاره
ومرحباً بك من عيد تحف به	من السعادة أجناد تطاهره
قدِمت فالخلق في نعمي وفي جدل	أبدى بك البشر ياديه وحاضره
الأرض قد لبست أثواب سندسها	والروض قد بسمت منه أزاهره
حاكت يد الغيث في ساحاته حُملاً	لما سقاها دواكاً منك باكره
فلاح فيها من الأنوار باهرها	وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلاً	والزهر قد رُصمت منه منابره
موشى ثوب طواه الدهر آونة	فها هو اليوم للأبصار ناشره
فالغصن من نشوة يثنى معاطفه	والطير من طرب تشدو مزاهره
وللسكّام انشقاق عن أزاهرها	كما بدت لك من خل ضمائرُه
لله يومك ما أذكى فضائله	قامت لدين الهوى فيه شعائرُه
فكم سريرة فضل فيك قد خبيثت	وكم جمال بدا للناس ظاهره
فأنخر بحمق على الأيام قاطبة	فما لفضلك من نِدْ يظاهره
فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا	قيست بفخر أولي العُلما مفاخره

(١) وردت الفقرة « الية تست هذا العراز والقصيدة التي تليها ، وهي من نظم ابن الجيَّاب

فقط في مخطوط جاييجوس . ولم ترد في « الزيتونة » ولا في « الإسكوريال » .

يَلْتَمَحُ مِنْهُ بِأَفْقِ الْمُلْكِ نَوْرُ هُدًى
 مَجْدُ صَمِيمٍ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ كَمَا
 وَزَارَةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الَّتِي رُفِعَتْ
 وَلَيْسَ هَذَا بِيَدِّ مَنْ مَكَارِمُهُ
 يَلْتَمِ الْأُمُورَ بِصَدْرِ مَنْ مَشْرِحُ
 رَاغِي أُمُورِ الرِّعَايَا مُعَمِّلًا نَظْرًا
 وَالْمُلْكُ سَيَّرَ فِي تَدْبِيرِهِ حُكْمًا
 سِيَاسَةُ الْحُكْمِ لَا بَطْشُ يَكْدِرُهَا
 لَا يَصْدُرُ الْمُلْكُ إِلَّا عَنْ إِشَارَتِهِ
 تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى أَقْصَى إِرَادَتِهِ
 وَكَمَ مَقَامُ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ
 فَفَضْلُهَا طَبِيقُ الْأَفَاقِ أَجْمَعِهَا
 فَلَيْسَ يَمُجِّدُهُ إِلَّا أَخُو حَسَدٍ
 لَا مُلْكُ أَكْبَرَ مِنْ مُلْكٍ يَدْبِرُهُ
 يَا عِزَّ أَمْرِ بِهِ اشْتَدَّتْ مَضَارِبُهُ
 تُثْنِي الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا بِمَا عَرَفُوا
 بُشْرَى لَأَمَلِهِ الْمَوْصُولُ مَأْمَلُهُ
 فَالْعِلْمُ قَدْ أَشْرَقَتْ نُورًا مَطَالَعُهُ
 وَالنَّاسُ فِي إِشْرٍ وَالْمُلْكُ فِي ظُلْمٍ
 وَالْأَرْضُ قَدْ مَلِئَتْ أَمْنًا جَوَانِبُهَا
 وَإِلَى أَيْدِيهِ مِنْ مَشْنَى وَوَاحِدَةٍ
 فَكُلُّهُ يَوْمَ تَلَقَّانَا عَوَارِفُهُ

تَضَاعَلَ الشَّمْسُ مَهْمَا لَاحَ زَاهِرُهُ
 طَالَتْ مَبَانِيهِ وَاسْتَعْلَتْ مَظَاهِرُهُ
 أَعْلَامُهُ وَالنَّدَى الْفَيَاضُ زَاخِرُهُ
 سَاوَتْ أَوَائِلُهُ فِيهِ أَوَاخِرُهُ
 بِحَرٍّ وَأَرَاؤُهُ الْعَظَمَى جَوَاهِرُهُ
 كَثُلَ عَلَيْهِ مَعْدُومًا نَظَائِرُهُ
 تَنَالُ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ عَمَّا كَرِهَ
 فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَمَا تُخْشَى بِوَادِرِهِ
 فَالْقُدْرَةُ لَا تَعْتَدَاهُ مَصَائِرُهُ
 كَأَنَّمَا دَهْرُهُ فِيهِ يُشَاوِرُهُ
 أَنْتَ مَوَارِدُهُ فِيهَا مَصَادِرُهُ
 كَأَنَّهُ مَثَلُ قَدْ سَاوَى سَائِرُهُ
 يَرَى الصَّبَاحُ فَيُعْشَى مِنْهُ نَازِرُهُ
 لَا مُلْكُ أَسْعَدَ مِنْ مُلْكٍ يُوَازِرُهُ
 يَا حُسْنَ مُلْكٍ بِهِ ازْدَانَتْ مُحَاضِرُهُ
 وَيَشْهَدُ الدَّهْرُ آتِيَهُ وَعَابِرُهُ
 تَعَسًّا لِحَاسِدِهِ الْمَقْطُوعِ دَابِرُهُ
 وَالْجُودُ قَدْ أَسْبَلَتْ سَحَابًا مَوَاطِرُهُ
 عَلِيٌّ عَلَى كُلِّ عَالِي الْقَدْرِ قَاهِرُهُ
 يَبْنِي مَنْ خَلَصَتْ فِيهَا سَرَائِرُهُ
 تَسَاجِلُ الْبَحْرُ إِنِ فَاضَتْ زَوَاخِرُهُ
 كَسَاهُ أُمُوَالُهُ الطُّوْلَى دَفَاتِرُهُ

فمن يؤدّي لما أولاه من نعم
يا أيها العبد بادِرْ كَتمِ راحتهِ
واخرِ بآن لَقيت ابن الحكيم على
وَلَى الصيامِ وقد عَظمت حرمتُه
وأقبل العيدُ فاستقبل به جَدلاً
شكراً ولو أن سَجَبانا يُظَاهره
فلثمها خيرُ مأمول تُبَادره
عصرِ يُباريك أو دهر تُفَاخره
فأجرُه لَكَ وافيهِ ووافره
واهناً به قادمًا عمت بشائره

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الخضرى له قوله :

ترأى سَحيرا والنسيم عليل
وللفجر نَهْرٌ خاضه الليل فاعتملت
بريقٌ بأعلى الرَّقْمَتين كأنه
فزق ساجى الليل منه شرارة
تبسم نغزُ الروض عند ابتسامه
ومالت غصون البان تشوى كأنها
وغنت على تلك الغصون حمام
إذا سَجَمَت فى لحنها نم قرقرت
سقى الله ربّما لا يزال يشوقنى
وجاد ريتاه كلما ذرّ شارق
ومالى أستسقى الغمام ومدّمنى
وعاذلة باتت تلوم على السرى
تقول إلى كم ذا فراقٌ وغربة
ذرىنى أسمى لاقى تُكسِبُ الملا
فأما تَرينى من مُمارسة الهوى
وفوق أنايب البراعة صفة

وللنجم طَرفٌ بالصباح كليل
شوى أَدُمُ الظلماء منه خجول
ملائع شُهْبُ والسما تجول
وخرق ستر الغيم منه نُصول
وفاضت عيونُ للغمام همول
يُدار عليها من صباه نُحول
لهن حفيفٌ فوقها وهديل
يطيح خفيفٌ دونها وثقيل
إليه رسومٌ دونها وطلول
من الودق هتانُ أجشُّ هُطول
سفوحٌ على تلك العيراص همول
وتكثُر من تَعَذُّلها وتُعطيل
ونأى على ما خيلت ورحيل
سناء وتُبقى الذُّكر وهو جميل
نحيلا فحدُ المَشْرِفى نحيـل
ترين وفى قدُ القنساء ذبول

ولولا السرى لم يَحْتَلِ البدرُ كاملاً
ولولا اغتراب المرء في طلب الملا
ولولا نوال ابن الحكيم محمد
وزير سما فوق السماء جلاله
من القوم أما في الندى فإنهم
حَوُوا شرف العلّيا وإثنا ومكسباً
وما جونة هطالة ذات هندب
لها زجل من رعدّها ولوامع
كما هدّوت وسط القلاص وأرسلت شقاشقها عند الهياج فحول
إذا ما توالى للسنين محول
يَمُ عليها أذخرٌ وجليل
تُعطر منها للنسيم ذيول
تردّدها أجفاتها وتُحيل
تفاقم خطبُ للزمان يهول
تفوت يَدَي مَنْ رامها وتطول
ونائلُ يَمناك الكريمة نيلُ
يَبخل وهل نال العلاء بخيل
فكان له مما أُراد حصول
إليك فلم يَعدل يمينك سؤل
نهوضٌ بما أعياسواك كفيل
مبيدُ العدا للمعتفين مُنيل
على وَجنتيه للتضار مَسيل

تهيم به العلياء حتى كأنها بُنِيَّةٌ في الحبِّ وهو جميل
 له عزِّمات لو أعير مضاًؤها حُسامٌ لما نالت ظُباه فلول
 سرى ذكره في الخاقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل
 وأغدَى قَرِيضَى جودُه وثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يميل
 إليك أيا خمر الوزارة أرقَلْتُ برحلى هوجاء الشجاء ذلول
 فليتُ إلى لقياك ناصيةَ الفلا بأيدي ركابٍ سيرهنَّ ذميل
 تُسدُّ ذنبي سهماً لكل ثنية ضوامرُ أشباه القسيِّ نمول
 وقد لفظتني الأرض حتى رمتُ إلى ذراك برحلى هوجل وهجول
 فقيدت أفراسي به وركابي ولذَّ مقامٌ لي به وحلول
 وقد كنت ذا نفسٍ عزوفٍ وهمَّة عليها لأحداث الزمان دُحُول
 ونهوى الملاحظى وتقرى بضده لذاك اعترته رقةٌ ونحول
 وتأبى لي الأيام إلا إدالةً فصونك لي أن الزمان مُدِيل
 فكل خضوعٍ في جنابك عِزَّةٌ وكل اعتزازٍ قد عداكُ خول^(١)

شعره

وبضاعته في الشعر مُزجاة ، وإن كان أعلم الناس بنقده^(٢) ، وأشدَّهم
 تيقظاً^(٣) [لمواقفه الحسنة وأضدادها]^(٤) . فمن ذلك قوله ، ورفعهُ إلى السلطان

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» فقط . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (به) «والزيتونة» (ينبره) .

(٣) هكذا وردت في «ج» «والزيتونة» . وفي الإسكوريال (تفظنا) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لموافقة الحسن وضده)

ببلده رُندة ، وهو إذ ذاك فتي يملأ العين أبهة ، ويستميل القلوب لباقة ، وهي (١) ،
ومن خطه نقلت :

هل إلى رد عَشِيَّات الوصال سبب أم ذاك من ضَرْب الحُجَال
حالة يسرى بها الوهم إلى أنها تُثَبِّتُ بُرْءاً باعْتِـلَال
وليالى ما تبقى بعدها غيرُ أشواقٍ إلى تلك اللَّيَالِ
إذ مجال الوصل (٢) فيها مسرّحى ونَعِمَى آمُرُ فيها ووال
ولحالات التّراضى جـوله مَزَجَتْ بين قَبُولٍ واقتبال
فبوادى الخيف خوفي مُسَعَّدُ وبأكناف مَنَى أُسْنَى نوال
لست أنسى الأنسُ فيها أبداً لا ولا بالعَذْلُ في ذاك أبال
وغزالٌ قد بدا لي وجهه فرأيتُ البَدْرَ في حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه لم يَكُنْ إلا على فضل اعتدال
خُصَّ بالحسن فما أنت ترى بعده للناس حظاً في الجمال
من تسلى عن هواه (٣) فأنا بسواه عن هواه غيرُ سال
فلئن أتعبني حُسبى له فكم نِلْتُ به أنعم حال
إذ لآلى حبيده من قبلى ووشاحاه يمينى وشمـال
خلف النوم لي الشَّهْدُ به وتراعى الشخص لا طيف الخيال
فيداوى بليام ظمئى مَزَجْتُ الصهباء بالماء لزلال
أو أشادت ثنا الملك الأوحـد الأسمى الهُمام المتعال
مَلِكُ إن قلت فيه مَلِكاً لم تكن إلا محققاً في المقال

(١) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي «ج» (الليل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» «الزيتونة» (هواما) . والأولى

أَيْدِ الْإِسْلَامِ بِالْعَدْلِ فَمَا
ذُو أَيْدٍ شَمَلَتْ كُلَّ الْوَرَى
هَمَّةٌ هَامَتْ بِأَحْوَالِ التَّقَى
وَقَفَ النَّفْسُ عَلَى إِجْهَادِهَا

ومنها في ذكر القوم الموقع بهم :

وَفَرِيقٌ مِنْ غَنَاهُ^(٣) عَانَدُوا
غَرِّهِمْ طُولُ التَّجَافَى عَنْهُمْ
فَلَقَدْ كَانَتْ بِهِمْ رُنْدَةٌ أَوْ
وَلَقَدْ كَانَ النِّفَاقُ مَذْهَبًا
مَا يَعُودُ الْيَوْمَ إِلَّا بِأَحْدَرُوا
طُوقُوا النَّعْمَى فَلَمَّا أَنْكَرُوا
[مَا طَلَّ الدَّهْرُ بِهِمْ غَرِيمَهُ
وَلَقَدْ كُنْتُ غَرِيمَ الدَّهْرِ إِذْ
وَلَسَكُمُ نَافَرَتُهُ مُجْتَهِدًا عِنْدَمَا
أَعْقَبُوا جَزَاءَ مَا قَدْ أَسْلَفُوا

وهي طويلة ومنها :

أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَعْمَاؤُهُ
أَعْجَزَتْ عَنْ شُكْرِهَا كُنْهُ الْمَقَالِ

(١) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (أرباب) .

(٢) هذا البيت وارد في «ج» والإسكوريال . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «ج» (عقاد) ، وفي «الزيتونة» (عناة) . والأولى

أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (النكال) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (دال) .

(٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «ج» و«الزيتونة» .

ها أنا أنشدكم مهنتاً من بديع النظم بالسحر اخلال
فأنا العبد الذى حُبكم لم يزل والله فى قلبى وبال
أورقت روضة آمالى لكم وتولاها الكبير المتعال^(١)
واقننت الجاه من خدمتكم فهو ما أدخره من كثر مال^(٢)
ومنها :

يا أمير المسلمين هذه خدمة تنبى عن أصدق^(٣) حال
هى بنت ساعة أو ليلة سهلت الحب فى ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيد الفهم يلغىها وقال
فهى فى تأدية الشكر لكم أبداً بين احتفاء واحتفال
وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس :

حى حى بالله يارب نجد^(٤) وتحمل عظيم شوقى ووجدى
وإذا ما بنشت حالى فبلغ من سلامى لم على قدر ودّى
ما تناسيتهم [وهل فى مغبى]^(٥) هم^(٦) نسوى على نطاول بقدى
بى شوق إليهم ليس يعزى لجليل ولا لسكان^(٧) نجد
يا نسيم الصبا إذا جئت قوماً ملئت أرضهم بشيح ورند
[فتلطف عند المرور عليهم وحقوقاً لهم على فادّ

(١) وردت هذه الشطرة فى «الزيتونة» والإسكوريال والنفع على النحو الآتى : (مد تولاها
الرباب المنوال).

(٢) هذا البيت وارد فى «الزيتونة» والإسكوريال ، وساقط فى «ج» .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و«الزيتونة» والنفع . وفى الإسكوريال (صادق) .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة والإسكوريال . ووردت فى «ج» (مجد) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و«الزيتونة» والنفع . وفى الإسكوريال (وها فى يقينى)

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» والنفع والإسكوريال (ما) .

(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفع . ول «ج» (أسكان) . وفى الزيتونة (كساكن) .

قل لهم قد شفوت من وجعهم^(١) في حال شوق لكل رُند^(٢) وزند^(٣)
 وإن استفسروا حديثي فإني باعتناء الإله بلغت قصدي
 فله الحمد إذ حباني بلطف عنده قل كل شكر وحمد

[قال شيخنا أبو بكر ولده ، وجدت بخطه رحمة الله عليه ، رسالة خاطب بها أخاه
 أبا إسحق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها^(٤) .

ذَكَرَ الْوَلَّى شَوْقًا إِلَى أَفْئَادِهِ
 وَعَلَا زفيرُ حريق^(٥) نَارِ ضُلُوعِهِ
 لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ خَطَّةَ فِي خَدِّهِ
 يَا عَاذِلِيهِ اقْصِرُوا فَلْيَبْغَا^(٦)
 إِنْ لَمْ تَعَيِّنْهُ — وَهُوَ عَلَى بَرَجَائِهِ
 مَا كَانَ أَكْثَمَهُ لِأَسْرَارِ الْهَوَى
 مَا ذُنْبُهُ وَالْبَيْنُ قَطَعَ قَلْبَهُ
 بَنَى الْوَلَّى بِالْأَلْوَى بِالسَّائِكِيهِ وَطِيفِهِمْ
 يَا بَرَقَ خُذْ دَمِي وَعَرِّجْ بِالْأَوَى
 قَضَى أَمِّي أَوْكَادَ مِنْ تَذَكُّرِهِ
 فَرَمَى عَلَى وَجْهَاتِهِ بِشِرَاهِهِ
 لَقَرَأَتْ سِرَّ الْوَجْدِ مِنْ أَسْطَارِهِ
 أَفْضَى عَنَابُكُمْ إِلَى إِضْرَارِهِ
 لَا تُشْكِرُوا بِاللَّهِ خَلَعَ عِذَارِهِ
 لَوْ أَنَّ جُنْدَ الصَّرِّ مِنْ أَنْصَارِهِ
 أَسْفَا وَأَذْكَى النَّارِ فِي أَغْشَارِهِ
 وَحْدَيْهِ وَنَسِيمِهِ^(٧) وَمِزَارِهِ
 فَأَفْجَحُهُ فِي بَانَاتِهِ وَعَرَارِهِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أجلهم) .

(٢) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «ج» . وفي «الزيتونة» (ورخذ وندي) .

(٣) هذان البيتان ساقطان في الإسكوريال وواردان في «ج» وفي «الزيتونة» والدمج .

(٤) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ووردت في «ج» على النحو الآتي :
 (وافتح مخاطبته لأخي الأكبر أبي إسحق إبراهيم بقصيدة أولها) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والنفع . وفي الإسكوريال (رحيق) .

(٦) هكذا وردت في «ج» والنفع . وفي الإسكوريال (فلشدنا) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي «ج» (ونسيمه) .

وإذا لقيت بها الذي بإخائه ألقى خطوط الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدّر محبتي فيه وترفعني إلى مقاداره
وألهم بسائر أخوتي وقرابتي من لم أكن لجوارهم بالكره
ما منهم إلا أخ أو سيد أبداً أرى دأبي على إكباره
فأثبت لذلك الحى أن أخاهم فى حفظ عهدهم على استبصاره
ما منزل اللذات فى أوطانه كلاً ولا الشلوان من أوطاره^(١)

وقال رحمه الله فى غرض كافه سلطانه القول فيه :

ألا واصل مواصلة العقار ودع عنك التخلّق بالوقار
وقم واخلع عذارك فى غزال يحقّ لملكه خلع العذار
قضيب مائس من فوق دغص نعم بالذبحى فوق النهار
ولاح بخدّه ألف ولام فصار ممرّفاً بين الدراى^(٢)
رماني قاسم والسين صاد بأشفار تنوب عن الشفار
وقد قصمت محاسن وجنتيه على صيدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمي عليه وتلك النار من فرط استعمار
عجبت له أقام برقع قاسمى على ماشبّ فيه من الأوار
ألفت الحب حتى صار طبعاً فما احتساج فيه إلى اذكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب وهذا فيه أشمارى شعار

وقال العلامة ابن رُشيد فى «دلىء العبّية» ، لما قدّمنا المدينة سنة ٥٦٨٤هـ ، كان
معى رفيق الوزير أبو عبد الله بن أبى القاسم الحكيم ، وكان أرمداً ، فلما دخلنا
ذا الحليفة أوقفناها ، نزلنا عن الأكوار ، وقوى الشوق لقرب المزار ، فنزل وبادر

(١) هذا البيت زائد فى الإسكوريال . هذا ولم ترد هذه القصيدة فى مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى الإسكوريال (الدراى) .

إلى المشى على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظماً لمن حلّ في تلك الديار ،
فأحسّ بالشفاء ، فأشدّ لنفسه في وصف الحال قوله :

ولما رأينا من ربوع حبيبتنا يئنّرب أعلاماً أترنّ لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلّنا جفوننا شُفينا فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدّى للعيون جمالها ومن بعدها عنا أدبالت لنا قربا
نزلنا من الأكوار نمشي كرامة لمن حلّ فيها أن نلّم به ركبنا
نُسحّ سِجَال الدمع في عَرَصاتها ونلّم من حبّ لواطئه الثربا
وإن بقائى دونه لخسارة ولو أن كفى تملأ الشرق والغربا
فياعجباً ممن يحبّ بزعمه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلى لا تعدّ كثيرة وبُعدي عن المختار أعظمها ذنباً^(١)
ومن شعره قوله :

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إشاره
يصوّن بالعقل الفنى نفسه كما يصون الحرّ أسراره
لاسيما إن كان في غربّة يحتاج أن يُعرّف مقداره^(٢)
وقوله رحمه الله :

إني لأعير أحياناً فيلحقتى يُسرّ من الله أن العسر قد زالا
يقول خيرُ الورى في سُنّة ثبتت أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلا^(٣)
وهو من أحسن ما قاله رحمه الله .
ومن شعره قوله :

(١) لم ترد هذه القصيدة في مخطوط «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

فقدتُ حياتي بالفراق^(١) ومن غدا بحال نوى عن محب فقد فقد
ومن أجل بعدى من ديار ألفتهم جعيم فزادى قد تلظى وقد وقّد
وحكى أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه السكاكيب ابن أبي مدين.
أنشده ابن أبي مدين :

عشقتُكمو بالسمع نبل لقاكم وسمعُ الفتى يهوى لعمري كطرفة
وعشيتُني ذكرُ الجاليس إليكم فلما التقينا كنتم فوق وصفه^(٢)
فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله :

مازلت أسمع عن عليّك كلّ مني أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت أذننى فوق بين السمع والبصر^(٣)
ومن نظمه مما بكتب على قوس :

أنا عُدّة للدين فى يد من غدا لله منتصراً على أعدائه
أحكى الهلال وأنهمى فى رجبهما لمن اعتدى تحكى رجوم سماه^(٤)
قد جاء فى القرآن أنى عُدّة إذ نصّ خير الخلق تحكم آية^(٥)
وإذا العدو أصابه سهى فقد سبق القضاء بهلكه وفنائه

ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده أبى بكر فى كتابه المسمى «بالموارد المستعذبة»،
وكان [بمدينة وادى آش]^(٦) الفقيه [الكندى أبو عبد الله محمد بن غالب]^(٧)

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال . وفى «ج» (بالعراق) .

(٢) لم يرد هذان البيتان فى «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان فى «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (نجوم) والأولى وجن .

(٥) هذا البيت ساقط فى الزيتونة .

(٦) هكذا وردت فى الزيتونة والإسكوريال . وفى «ج» (بوادى آش) .

(٧) هذه كلها زيادات وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال .

الطريق ، فكتب يوماً إلى [الشيخ]^(١) خاصة والدى [وخلاصته]^(٢) أبي جعفر ابن داود قصيدة [طويلة]^(٣) على روى السنين يشتكى فيها من [جور]^(٤) مشرف بلدهم إذ ذاك أبي القاسم بن حسان منها :

فياصنيّ أبي العباس كيف ترى وأنت كيّس^(٥) من فيهما من أكياس^(٦)
ولوّه إن كان ممن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف في فاس^(٧)
ومنها يستطر ذكر ذى الوزارتين [رحمه الله]^(٨) :

للشرق فضلٌ منه أشرقت شهبٌ من نورهم اقتبسونا كل ميقباس^(٩)
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه [وروضانه]^(١٠) :

إن أفرطت بآبن حسان غوائله فالأمريكسوه ثوب الذل والياس^(١١)
وإن تزلّ به في جورّه قدّم كان الجزاء له ضرباً على الرأس
فقد أقامنى المولى بنعمته لبث أحكامه بالمدل في الناس

كتابه

وهي مرتفعة^(١٢) عن نمط شعره^(١٣) . فمن ذلك رسالة كتبها عن سلطانه في فتح مدينة قيجاطة^(١٤) :

- (١) هذه كلها زيادات وردت في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (أكيس) .
- (٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .
- (٤) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (جلاس) .
- (٥) هذه الزيادة من الإسكوريال .
- (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (أقباس) .
- (٧) الزيادة من الزيتونة .
- (٨) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الباس) . والأولى أرجح .
- (٩) هكذا في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (مرتفعة) وهو تحريف .
- (١٠) هكذا في «ج» و«الزيتونة» وفي الإسكوريال (تطمه) .
- (١١) قيجاطة وبالإسبانية Quesada ، مدينة أندلسية من أعمال ولاية جيان تقع هل مقربة من نهر الوادى الكبير شمال شرق مدينة جيان . وينتسب إليها عدد من العلماء .

من الأمير فلان ، أيده الله ونصره ، [ووفقه لما يحب ، حتى يكون ممن قام بفرض الجهاد ونشره]^(١) . إلى ابننا الذي نمنحه الحب والرضى ، [ونسأل الله أن يهبه الخلال التي تُستحسن]^(٢) ، والشيم التي تُرتضى ، الولد الأنجب^(٣) ، الأرضى ، الأنجد ، الأرشد ، الأبعد ، محمد ، وإلى الله تعالى إسماعله ، وتولى بالتوفيق والإرشاد سدادته^(٤) ، وأطلع عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر للمنوح ، ما يكمل من بُغيته في نصر دين الإسلام [ويُسنى]^(٥) مراده .

أما بعد حمد الله ، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال ، [الذي يقربه إلى رضاه]^(٦) ، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه ، فقال يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ، تنبيها على محل الثقة ، بأن الفتن القليلة من أوليائه ، تغلب الفتن الكثيرة من أعدائه ، وتُدارك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله ، وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، على رغم أنف من ظن [أنه خاذله ، تعالى الله عن خذلان جنده]^(٧) . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومُجْتَبَاه ، لهداية الخلق لسلوك سبيل الحق ، والعمل بمقتضاه . قال تعالى فيما أنزل : قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ، تَحْرِيقًا عَلَى أَنْ يَمْحُو ظِلَامَ ضَلَالِهِمْ بِنُورِ هُدَاهُ . صلى الله عليه وسلم ؛ وعلى آله الأبرار ، وأصحابه الأشداء على الكفار ، الذين جرّدوا في نُصرة دينه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال كالاتي (وكافأ سعيه الذي وقفه على إقامة فرض الجهاد ونصره) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونشكر الله على ما وهبنا من الخلال) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الأحب) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (مراده) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال . وورد مقابلها في «الزيتونة» (وينى) .

(٦) الزيادة من الزيتونة .

(٧) ورد مكان هذه العبارة في الزيتونة والإسكوريال ما يأتي (إنه إن خذله أفاض الكفر دماءه) .

صَوَّارِمَ^(١) العزم ، وأَمْضُوا ظُبَاهُ ، وفتحوا ما رَوَى له من مشارق الأرض ومغاربها ، حتى عمَّ الإسلام حدَّ المعمور ومنتهاه . فإنا كتبنا لكم . كتب الله لكم من سماع البشائر ما يعود بتحويل^(٢) الأحوال ، وأطلع عليكم من أنباء الفتوح ما يلوح بأفاق الآمال^(٣) ، مُبَشِّرًا بِالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ . من قيجاطة ، وبركات ثقتنا بالله وحده ، تُظْهِرُ لَنَا عَجَائِبَ مَكْنُونَاتِ الْطَافَةِ ، وَتَجْنِيْدُنَا نَمَارَ النَّصْرِ فِي إِبَّانِ قِطَافِهِ ، وَتُسَخِّرُ^(٤) لَنَا وَرْدَ مُشْرِعِ الْفَتْحِ فَتَرْدَ عُنْبِ نِطَافِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَأَنْ نَتَقَلَّدَ نِجَادَهَا ، وَنَمْتَطِيَ جَوَادَهَا ، وَنَسْتَوْرِيَ زَنَادَهَا ، وَنَسْتَفْتَحَ بِهَا^(٥) مَغَالِقَ الْمَآرِبِ ، [وَلَطَائِفَ الْمَطَالِبِ]^(٦) حَتَّى دَخَلَتْ الْمِلَّةُ الْخَنِيفِيَّةُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، أَغْوَارَهَا وَانْجَادَهَا . وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَاشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ . اِشْتِهَارُ الصَّبْحِ فِي سَوَادِ الظَّلَامِ ، أَنَا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جُهْدَنَا فِي أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَنَسْمَحَ فِي ذَلِكَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ، لَا لِفَرَضٍ^(٧) دُنْيَا ، وَأَنَا مَا قَصَّرْنَا فِي الْاسْتِنْفَارِ وَالْاسْتِنْفَارِ [وَلَا قَصَّرْنَا عَنْ الْاِعْتِضَادِ لِكُلِّ مَنْ أَمْلَأْنَا مَعُونَتَهُ^(٨) وَالْاِسْتِظْهَارِ]^(٩) ، وَلَا اِكْتَفَيْنَا بِمُطَوَّلَاتِ الرِّسَائِلِ وَبِنَاتِ الْأَفْكَارِ ، حَتَّى اقْتَحَمْنَا بِنَفُوسِنَا أُبْجَعَ الْبَحَارِ ، وَسَمَحْنَا بِالطَّارِفِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَالتَّلَادِ ، وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ [نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ]^(١٠) مَوْفُورِ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (صارم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (بتهيد) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الإيمان) . والأولى أرجح وأنسب للسباق .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (وتسجل) . والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونستعمل مصاعب المطالب) .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (لعرض) .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (معاملته) . والأولى أرجح .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (نصر الله) .

واشتريتنا بما أنعم الله به علينا ، ما فرَضَ الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد ، فلم يكن بين تلبية المدعوِّ وزُهدِهِ ، وبين قبوله وورْدِهِ ، إلا كما يجسُو الطائرُ ماءَ الثَّمَادِ ، وبأبي الله أن يسكل نصر هذه الجزيرة إلى سواه ، وأن يجعل فيها سبباً^(١) إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه. ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية^(٢) إلى مشاويهِ ، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباديهِ ؛ ألقينا إلى الثقة بالله تعالى [وحده]^(٣) يدَ الاستسلام ، وشكرنا عن ساعد الجدِّ والاجتهاد في جهاد عبدة الأصنام ، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَخَذَ الْأَعْرَافَ ، فَأَمَدَّنَا اللَّهُ تَعَالَى بِتَوَالِي الْبَشَائِرِ ، وَتَصَرَّنَا بِالطَّافِ أَغْنَى فِيهَا خُلُوصُ الضَّمائرِ عَنْ قُوَادِ^(٤) المساكِرِ ، وَنَقَلْنَا عَلَى أَيْدِي قُوَادِنَا وَرَجَالِنَا مِنَ السَّيَاسِ وَالْقَنَاقِ ، مَا عُدَّ ذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ كَلَمَلُ السَّائِرِ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، وَكَيْفَ يُحْصِيهَا الْمُحْصِي أَوْ يُحْصِرُهَا الْحَاصِرُ . وَحِينَ أَبَدَّتْ لَنَا الْعَنَاءُ الرَّبَّانِيَّةَ وَجُوهَ الْفُتُوحِ^(٥) سَافِرَةَ الْحَيَا . وَانْتَشَقْنَا [نَسِيمَ]^(٦) النَّصْرِ الْمُنَوَّحِ عَمِيقِ الرِّيَا ، اسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي الْغَزْوِ بِأَنْفُسِنَا ، وَنَعْمَ الْمُسْتَخَارِ ، وَكَتَبْنَا إِلَى مَنْ قَرَبَ مِنْ عَمَلَانَا بِالْخُصْ عَلَى الْجِهَادِ وَالِاسْتِنْفَارِ . وَحِينَ وَافَى مِنْ خَفِّ الْجِهَادِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالْمُطَوِّعِينَ ، وَغَدَوْا بِحُكْمِ رَغْبَتِهِمْ فِي الثَّوَابِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُجْتَمِعِينَ ، خَرَجْنَا بِهِمْ ، وَنَصَرُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْدَى دَلِيلَ ، وَعَنَاءُ اللَّهِ بِهِمُ الْفَتْنَةُ الْمُفْرَدَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، تَقْضَى^(٧) بِتَقَرُّيبِ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (شيئا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الغربية) والزيتونة (العربية) . والأولى

أرجح بالنسبة للمعنى المقصود .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (قود) .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (الفتح) والأولى أرجح وأكثر

مشياً مع السياق .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (تقتضى) .

البعيد من آمالنا، وتكثير القليل . ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول ، وأن يرشدنا إلى طريق يفضى إلى بلوغ الأمنية والمأمول ، إلى أن حللنا عشية يوم الأحد ثانی يوم خروجنا بمقربة^(١) حصن القوة^(٢) ، فأدّرنا به . التدبير ، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما يشير ، فاقضى الرأى المقترن بالرّشاد ، المؤذن بالإسعاد ، قصد قيجاطة [لما رعى من]^(٣) تيسير فتحها ، وأملا في إضاءة فجر الأمانى لديها ، وبيان صُبْحها ، فسرّنا [نحوها]^(٤) في جيش ؛ يجرّ على المجرّة ذيل النقع المثار ، ويضيق عن كثرتة واسع^(٥) الأقطار ، ويقرّ عين الإسلام ، بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار [تطير بهم نياتهم]^(٦) بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار . فلما وصلنا إلى وادى يانه^(٧) على مقربة منها ، نزلنا به نريح الجياد ، ونسكل التأهب للقتال والاستعداد ، وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم^(٨) الإعانة بتأييده والإمداد . وحين فجر الفجر وأنار النهار ، وقدحت به الأصباح زئد الأنوار ، رَكِبْنَا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها ، والسيوف قد كادت تلفظها عُقودها ، وبصائر الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معبودها . فلما وصلناها ، وجدنا ناسنا قد سَبَقُوا إليها باليُوس ، وهَتَكُوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (بمقربة) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت فى «ج» و«الزيتونة» . وفى الإسكوريال (اللقون) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» (رغبة فى تيسير) .

وفى «الزيتونة» (من تيسير) .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (واسعة) وفى الإسكوريال (واسعات) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت بحرفة فى «ج» (يطير بهم ثباتهم) و«الزيتونة»

(يطير بهم ثباتهم) .

(٧) الإشارة هنا إلى نهر وادى يانه وبالإسبانية Guadiana ، الذى تقع قيجاطة على مقربة

من شرقه .

(٨) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (يلهم) وفى الإسكوريال (إلههم) .

سِتْرَ عِصْمَتِهَا المحروس، [وَأُذِنَ لَهَا] ^(١) بزوال النعم، وذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها نُحْرَ المنايا من زُرْقِ النَّصَالِ، [وَرَشَقُوا جنودها بالنُّبَالِ، وَجَدُّوا بنات الآجال] ^(٢)، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به، لاذوا بالفرار من الأسوار، وولّوا الأدبار، وودّعوا الديار وما فيها من الآثار. وتَسَنَّمَ المسلمون ذِرْوَةَ البلد الأول فملسكوه، وخرّقوا حجاب السِتْرِ المسلول عليه وَهَسَكُوهُ، وتسرعوا إلى البلد الثاني، [وقد ملأ النصارى أسواره] ^(٣) من حُجّة وجلهم، وانتقمهم من مُتَخَيَّرِي أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم ^(٤) المسلمون سَحْلَةَ عَرَفُوهم بها كيف يكون اللقاء، [وَصَرَفُوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشقاء] ^(٥)، وأظهروا لهم [من صدق العزائم] ^(٦) ما علموا به أن لدين الإسلام أنصاراً لا يرغبون بأنفسهم عن الذبّ عنه وحماية راياته، ولا يَصْدُرُونَ إلا إلى طاعة الله ابتغاء مَرْضَاتِهِ. وبادر جماعة إلى إضرام باب المدينة بالنيران، وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان، ورموا النصارى [من النُّبَالِ] ^(٧) بِشَهْبٍ تتبع منهم كل شيطان. فهزم الله النصارى؛ وولوا أدبارهم، وقنف الله في قلوبهم الرعب، فأخْلَوْا بروجهم وأسوارهم، وتَسَنَّمَا المسلمون مُعْلَنِينَ شعار الإسلام، رافعين من الرايات الخمر كواكب في سماء السعادة

(١) وردت في «ج» (وغذلوها) وفي «الزيتونة» (وأخرجها). والتصويب من الإسكوريال.
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في الإسكوريال و«الزيتونة» كالاتي:
(ورشقوا جردا بمدييات من الآجال).

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ووردت في «ج» (وقد ملئوا أسواره).
وفي الزيتونة (القصرالى).

(٤) وردت في «ج» (عليه). والتصويب من «الزيتونة» والإسكوريال.

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في الإسكوريال والزيتونة كالاتي:
(وأعلموهم بصدقها أن أقرب الأحوال إليهم الشقاء).

(٦) وردت هذه العبارة في «ج» (وأظهروا لهم من الصدق عن الغنائم). والتصويب من «الزيتونة» والإسكوريال.

(٧) الزيادة من لإسكوريال.

تُبَشِّرُ بتيسير كل مرام^(١) . ودخلوا المدينة ، فآلفوا بها من القوت والعتاد ، والمتاع الفاخر ، الذي يربو على التعداد ، [ما ملأ^(٢) كل يمين وشمال ، وظهروا عليها بعد بلوغ الأمانى على السكال ، [وقتلوا بها من الحماة أعداء ، أبدوا فى حماية ضلالم ماضى الفنا والاعتزام]^(٣) وأعملوا فيهم ماضى العوامل وشبا الإضرار . وارتفع النصارى إلى القَصْبَةِ لائذين بامتناعها ، مُتَمَصِّمين بعلوها وارتفاعها ، مُتَخَيِّلِينَ [لضلالم ، وعدم استبصارهم]^(٤) أن نور الهدى لا يحلُّ بديارهم . فرأينا أن تُرْفَى الرجال إلى أبراج البلد وأسواره ، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مُضَيِّقِينَ على من اعتصم بالقصبة فى حصاره ، وعهدنا بالسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصورة واستقراره . فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق ، ولاح وجهه^(٥) الغزالة طارحاً شعاعه على الآفاق ، أمرنا بترتيب العساكر على القصبة للحصار ، وعيَّنا لكل جماعة منهم جهةً يبادرون إلى منازلها بالقتال أشدَّ^(٦) البدار ، فاتمهى للمسلمون من ذلك [إلى غاية لم]^(٧) تَخْطُرُ للكافرين ببال ، وجراً عُوْم كؤوس النايابا ، وأذاروا بها بنات الحنايا ، [فأنقضت السَّجَال]^(٨) وأظهر الكفار ، مع وقوعهم فى بحر الموت صبرا وطمعوا ، أن يقيموا بذلك لصلبانهم

(١) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (مراد) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» . وفى «ج» (فعلوا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى «الزيتونة» مع تحريف يسير . ووردت فى «ج» كالآتى (وقتلا من بها من أهل الضلال والظلام) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» (متخيلين لاستبصارهم فى ضلالم) .

(٥) هكذا وردت فى «ج» وفى الإسكوريال و«الزيتونة» (قرن) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (أوفى) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى «ج» (الذى لم) والأولى أفصح وأنسب للسياق .

(٨) الزيادة من الإسكوريال .

عُدُّوا . فلما رأوا من عَزَمْنَا ما لم تتخيله ظنُونَهُمْ وأوهامهم ، وصابرهم المسلمون عند
النَّزَالِ مصابرةً عَظُمَ فيها إقدامهم [وثَبَّتَتْ أقدامهم] ^(١) ألقوا بأيديهم إلى
التَّهْلُكَةِ ، إلقاء [من هاله لَمَعَانِ الأَسِنَّةِ ، واهْتَزَّازَ رُدَيْنِيَّاتِ القَنَا] ^(٢) ، ولأذوا
بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل ، بعد ما أشرف على الفناء وهبط زعيمهم ،
مقمتها خطر تلك المسالك ، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي
المهالك ، وشرط أن يَمْلِكُنَا القَصْبَةَ . ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة
[والسَكْرِيَّةِ] ^(٣) المنتخبة ، فلم يظهر له عند ذلك قَبُولًا ، [ولم نجعل له] ^(٤) إلى
تسكيل ما رغب فيه سبيلاً ، فقادته البأس الشديد إلى الإذعان ، ووعب أن يُسَكِّلَ
ما نريده على شرط ^(٥) الأمان . فأسعقنا رغبته على شروط ، بَعْدَ عَهْدِ المسلمين
بمنلها ، [وهَيَّئَتْ الأسباب بما نعتده] ^(٦) من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها ،
وذلك على كذا وكذا . وحين كَمُلَتْ الشروط حق التسكيل ، وظهرت لنا
[منه] ^(٧) إموات الوفاء الجميل ، دخلنا القصبه حماها الله ، وقد أغنى [يوم] ^(٨)
النصر عن شَهْرِ السلاح ، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح] ^(٩) ، ورفعت
على أبراجها حمر الأعلام ، ناطقةً عن الإسلام ، بالتريف والإعلام . وفي الحين
وجهنا من يَقْبِضُ تلك الحصون ، ويُرْزِل ما بها من جُرم ^(١٠) الكفر المأفون ، أمناه

(١) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (ولا جعلنا له) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (شروطاً) .

(٦) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وهيات أسبابها ما يعتمد) .

(٧) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٨) هذه الكلمة زائدة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (عن فعل الصفايح) و«الزيتونة» (عن فعل

المصباح) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» وفي الزيتونة والإسكوريال (حريم) .

رجالنا . فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارا ، وخففت [عَلَمَ التَّنْثِيلِ] ^(١) ، ورفعت للتوحيد منارا ، وأظهرت للعلة الخفيفة على أعدائها اعتلاء واستكبارا . وهذا القدر من الفتح [وإن كان] ^(٢) سامي الفخر ، باقي الذكر بقاء الدهر ، فإننا لنرجو من فضل الله أن يُتبعه ^(٣) بما هو أعلى منه متانة ، وأعظم ^(٤) في قلوب أهل الإيمان موقعا وأعز مكانة ، وأن يرغم بما يظهر على أيدينا من عز الإسلام ، أنف من أظهر له عنادا وخذلانا . فاستبشروا بهذا الفتح العظيم وبشروا ، واشكروا الله عليه ، فواجب أن تشكروا . وقد كتبنا هذا ، ونحن على عزنا في غزو بلاد الكفار ، والسعي الحميد [إلى التنكيل بهم] ^(٥) والإضرار ، والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار ^(٦) ، ويمتلكون الأنجاد منها والأغوار ، ويكثرون القتل والأسار ، ويحكمون أينا نزلوا السيوف والنار ، [والسلام] ^(٧) .

ومن نثر آخر إجازة ما صورته :

[وها أنا أجرى منه على حسن مُعْتَقَدِهِ ، وأَكِلَهُ في هذا الغرض إلى ماواه بمقتضى تَوَدُّدِهِ ، وأَجِيزَ له ولولديه ، أقرَّ الله بهما عينه ، وجمع بينهما وبينه ، رواية جميع ما نقلته وحملته ، وحُسْنُ إطلاعه يُفَضِّلُ من ذلك ما أجملته ، قد أطلّقتُ لهم الإذن في جميعه ، وأَبَحْتُ لهم الحُلَّ عني ، ولهم الاختيار في تنويحه . والله سبحانه وتعالى يُخلص أعمالنا لذاته ، ويجعلها في ابتغاء مُرضاته . قال هذا محمد بن

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (علما) . وفي الإسكوريال (للشرك علما) .

(٢) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٣) هكذا . وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يشفعه) .

(٤) هكذا في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وأسنى) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة والإسكوريال (في القطع بهم) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الفارات) . وفي الإسكوريال (المفرار) .

(٧) واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وساقطة في «ج» .

عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله عز وجل ، ومصلباً ومسلماً^(١) .

وفاته

قُتِلَ رحمه الله صَبِيحَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ يَوْمِ ثَمَانِيَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَذَلِكَ لِتَارِيخِ خَلْعِ سُلْطَانِهِ . وَاسْتَوْلَتْ يَدُ الْغَوْغَاءِ عَلَى مَنَازِلِهِ ، شَغَلَهُمْ بِهَا مُدَبَّرُ الْفِتْنَةِ ، خِيفَةً مِنْ أَنْ يَاجُلُوهُ قَبْلَ تِمَامِ أَمْرِهِ . فَضَاعَ بِهَا مَالٌ لَا يُكْتَبُ ، وَعُرُوضٌ لَا يُعْلَمُ لَهَا قِيَمَةٌ مِنَ الْكُتُبِ ، وَالذَّخِيرَةُ وَالْفَرَشُ وَالْأَنْيَّةُ وَالسَّلَاحُ وَالْمَتَاعُ وَالْخُرْقَتَانِ ، وَأُخْفِرَتْ ذِمَّتُهُ ، وَتَعَدَّى بِهِ عُذُوةُ الْقَتْلِ إِلَى الْمُثَلَّةِ ، وَقَانَا اللَّهُ مَصَارِعَ السُّوءِ ، فَطِيفَ بِشُلُوهِ ، وَاتَّهَبَ فِضَاعَ [وَلَمْ يُقْبَرْ]^(٢) ، وَجَرَتْ فِيهِ شَنَاعَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مولده

بُرْنَدَةُ ظَهَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ ، مِنْ عَامِ سِتِينَ وَسِتْمِائَةٍ^(٣) . وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَبْرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ :

[سَقَى اللَّهُ أَشْلَاءَ كَرُمْنَ عَلَى الْبِلَى	وَمَا غَضَّ مِنْ مَقْدَارِهَا حَادِثَ الْبَلَا
وَمَا شَجَانِي أَنْ أَهْبَنَ مَكَائِهَا	وَأَهْمَلُ قَدَرُ مَا عَهْدَنَاهُ مَهْمَلَا
أَلَا أَصْنِعُ بِهَا يَادَهُرُ مَا أَنْتَ صَانِعُ	فَمَا كُنْتَ إِلَّا عَبْدَهَا الْمُتَذَلِّلَا ^(٤)
سَفَسَكْتَ وَمَا كَانَ الرُّقُوءُ نَوَالَهُ	لَقَدْ جِئْتَهَا شَنْعَاءَ فَاصِحَّةَ الْمَلَا
يَكْفِي سِبْنَتِي أَزْرَقَ الْعَيْنِ مُطْرِقُ	عَدَا فَعْدَا فِي غَيْهِ مَسْوَعًا
لِنِغَمٍ قَتِيلُ الْقَوْمِ فِي يَوْمِ عِيدِهِ	قَتِيلُ تَبْكِيهِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا

(١) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين وردت فقط في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (فلم يجبر) والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .

(٣) هذه الفقرة الخاصة بمولد ابن الحكيم لم ترد في «ج» . ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت فقط من القصيدة في «الزيتونة» .

إلا إن يوم ابن الحكيم مُشْكِلٌ
 فَقَدَّناه في يوم أَعْرَ مُحْجَلٌ
 تَمَّتْ نَحْوُهُ الأَيامُ وهو عَمِيدُها
 تَعَاوَرَتِ الأَسِيافُ مِنْهُ مُمَدَّحًا
 وَخَانَتْهُ رِجْلُ في الطَّوْافِ بِهِ سَعَتٌ
 وَجَدَلٌ لَمْ يَخْضُرْهُ في الحَيِّ نَاصِرٌ
 يَدُ اللَّهِ في ذاك الأَدِيمِ مُزْنًا
 وَمِنْ حَزَنِي أَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ مَلْحَدًا
 رُوَيْدُكَ يَا مَنْ قَدْ غَدَا شَامِنًا بِهِ
 وَكُنَّا نَفَادِي أَوْ نُرَاحُ بِأَبِهِ
 ذَكَرْنَاهُ يَوْمًا فَاسْتَهَلَّتْ جَفُونُنَا
 وَمَازَجَ مِنْهُ الحُزْنَ طُولَ اعْتِبَارُنَا
 وَهَاجَ لَنَا شَجْوًا تَذَكُّرُ مَجْلِسِ
 بِهِ كَانَتْ الدُّنْيَا تُؤَخِّرُ مُدْبِرًا
 لَتَبَيْكِ عَيُونُ البَاكِياتِ عَلَى فِتْنَى
 عَلَى خَادِمِ الأَثَارِ تُتْلَى صَحَائِحُهَا
 عَلَى عَضُدِ المَلِكِ الذِي قَدْ تَضَرَّعَتْ
 عَلَى قَاسِمِ الأَمْوَالِ فِينَا عَلَى الذِي
 وَأَنْتَ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ مُتَعَلِّلٌ
 أَلَا يَا قَصِيرَ العُمُرِ يَا كَامِلَ العُلَا
 يَسُوءُ المُصَلَّى أَنْ هَلَاكَتْ وَلَمْ تَقُمْ

فَوَادَى فَمَا يَنْفَكُ مَاعَشْتُ مُشْكَلًا
 فِي الحَشْرِ نَلْقَاهُ أَعْرَ مُحْجَلًا
 فَلَمْ تَشْكُرِ التَّعْنَى وَلَمْ تَحْفَظِ الوَلَا
 كَرِيمًا سَمَافُوقِ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنَزَلًا^(١)
 فَنَاءَ بِصَدْرِ اللُّغُومِ نَحْمًا
 فَمَنْ مُبْلَغُ الأَحْيَاءِ أَنْ مُهْلَهَلًا
 تَبَارَكَ مَا هَبَّتْ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 لَهُ فَأَوَى لِلتُّرْبِ مِنْهُ مَقْبَلًا
 فَبِالْأَمْسِ مَا كَانَ الْعَمَادُ الْمُؤَمَّلًا
 وَقَدْ ظَلَّ في أَوْجِ العُلَا مُتَوَقِّلًا
 بَدَمَعَ إِذَا مَا أُحْمِلَ الْعَامُ أَخْضَلًا
 وَلَمْ نَذَرِ مَاذَا مِنْهَا كَانَ أَطْوَلًا
 لَهُ كَانَ يَهْدِي الحَيِّ وَالْمَلَأُ الأَلَى
 مِنْ النَّاسِ حَتْمًا أَوْ تُقَدِّمُ مُقْبَلًا
 كَرِيمَ إِذَا مَا أُسْبِغَ العُرْفُ أَجْزَلًا
 عَلَى حَامِلِ القُرْآنِ يُتْلَى مَفْصَلًا
 مَكَاوِمُهُ فِي الأَرْضِ مِسْكًَا وَمُنْدَلًا
 وَضَعْنَا لَدَيْهِ كُلَّ إِصْرٍ عَلَى عِلَا
 وَمَا كَانَ فِي حَاجَاتِنَا مُتَعَلِّلًا
 يَمِينًا لَقَدْ غَادَرَتْ حُرْنًا مَوْتَلًا
 عَلَيْكَ صَلَاةٌ فِيهِ يَشْهَدُهَا المَلَأُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (مرحلا) . والأول أرجح .

وذاك لأن الأمر فيه شهادة
 فيا أيها المليت الكريم الذي قضى
 لتنهك من رب السماء شهادة
 وثبتك عن حب نوى في جوانحي
 ويارب من أوليته منك نعمة
 تناسك حتى ما تمر بيباله
 يرايض في مشواك كل عشية
 لكى الله من ينسى الأذمة رافضاً
 حنانيك يا بدّر الهدى فلشد ما
 وكنت لأمالى حياة هنيئة
 فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى
 فانت الذى آويتنى مُتغرباً
 [فإن لم أنل منك الذى كنت آملاً
 فأليت لا ينفك قلبى مُكمداً

وسنتها محفوظة لن تبدلاً
 سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
 تلاقى بيشرى وجهك المتهللاً
 فما ودّع القلب العميد [وما قلاً] ^(١)
 وكنت له ذخراً عتيلاً وموئلاً
 ولم يدكر ذاك الندى والتفضلاً
 صيف شواء أو قديداً مُعجلاً
 ويذهل مهما أصبح الأمر مُشكلاً
 تركت بدور الأفق بعد أفلاً
 فعادرت منى اليوم قلباً مُقتلاً
 على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
 وأنت الذى أكرمتنى مُتطفلاً
 فما كنت إلا الحُسن المُتفضلاً ^(٢)
 عليك ولا ينفك دمعى مُسبلاً

محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوى ^(٣)

من أهل وادى آش ، وسكن غرناطة .

حاله

فقيه أديب مُتطبّب ، متقن فى علوم جمة ، شاعر مطبوع ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا فى «وج» . وفى الإسكوريال (ولا قلاً) .

(٢) هذا البيت زائد فى الإسكوريال .

(٣) هذه الترجمة واردة فقط فى مخطوط الإسكوريال .

مدح الأمير علي بن يوسف اللمتوني بقوله :

رحلوا الركائب موهناً فأذاع عُرفهم السنا
والحلى قد أغرى بهم لما ترتم مُعلنا
كم حفّ حول حِمام من كل خطار القنا

قال أبو جعفر بن الزبير ، ينفك منها قصايد :

رحلوا الركائب موهناً ليكنتموا ظعن الحمول وهل توارى الأنجم
فأذاع سرهم السنا ورمى بهم فلّ الذميل شذام المنفسم
كم حفّ حمل قباهم وركبهم من ليث غاب في برائنه الدم
من كل خطار القناة مموه بين الرحيل نصبه يستسلم
وهي طويلة ، خاطب بها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين . وقال
في وصف القصيدة :

أيا ملكا يسمو بسعد مُساعد وقدّر على علو الكواكب صاعد
نظمت قصيداً في علاك مُضْمِناً ثلاث قواف في ثلاث قصايد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإن وصلت كانت ككعب وساعد
فأجازه بظهير كريم بتحرير ماله وتنويه .

محمد بن عبد الرحمن ^(١) المتأهل

من أهل وادي آش يعرف ^(٢) بهما

حسالة

من التاج : ناظم أبيات ، وموضح غُرر وشيآت ، وصاحب توقيعات

(١) هكذا وردت في أواخر الجزء الأول من مخطوط الزيتونة . ووردت في الإسكوريال

(عبد الرحيم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (المعروف) .

رفيعات ، وإشارات ذوات شارات : وكان شاعراً مكشوراً ، وجواداً لا يخاف^(١)
 عِشَاراً . أُدْخِلَ عَلَى أمير بلده المخلوع عن مُلْكِهِ ، بعد انتِشَار^(٢) سَيْلِكِهِ ، وخروج
 الحُضْرَةِ عن ملكه ، واستقراره بوادي آتش ، مروع^(٣) البال ، معللاً بالأمال ،
 وقد بلغه دخول طبرنش في طاعته ، فأَنشده من ساعته :

خَذَمْنَا إِلَيْكَ طَبْرَنشَا شَفَعُ بِهَا وَادِي الْأَشَا
 وَالْأُمُ تَتَّبِعُ بَنَتَهَا وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
 وَمِنْ نَوَادِرِهِ الْعَذِيبَةِ يُطَلِّبُ خُطَّةَ الْحُسْبَةِ :

أَنْلَنِي يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ خُطَّةً تَرْفَعُنِي قَدْرًا وَتَكْسِبُنِي عِزًّا
 فَأَعْتِزُّ فِي أَهْلِي كَمَا اعْتِزَّ بَيْدَقُ عَلَى سَفَرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا انْتَفَى فِرْزَا
 فَوَقَعَ الْأَمْرُ بِظَهْرِ رَقْعَتِهِ ، مَا ثَبَتَ فِي حَرْفِ النُّونِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ، وَالِاحْتِجَاجُ
 بِفَضْلِهِ .

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبع مائة . وفد على الحضرة مرات كثيرة .

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طُفَيْلِ الْقَيْسِي
 من أهل وادي آتش ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يخلف) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (استنثار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (موروع) .

حاله ^(١)

كان عالماً ، صدراً ، حكماً ، فيلسوفاً ، عارفاً بالمقالات والآراء ، كلفاً بالحكمة المشرقية ، محققاً ، متصوفاً ، طبيباً ماهراً ، فقيهاً بارع الأدب ، ناظماً ، ناثراً ، مشاركاً في جملة من الفنون .

مشيخته

روى عن أبي محمد الرشاشي ، وعبد الحق بن عطية وغيرهما .

حظوته ودخوله غرناطة

اختص بالريس أبي جعفر ، وأبي الحسن بن ملحان . قال ابن الأبار في تحفته ، وكتب لوالى غرناطة وقتاً .

توالياه

رسالة حتى بن يقطان ، والأرجوزة الطبية المجهولة ، وغير ذلك .

شعره

قال ، وهو القايل من قصيدة في فتح قفصة سنة [ست وتسعين] ^(٢) وأنفذت إلى البلاد :

ولما انقضى الفتح الذي كان يُرتجى وأصبح حزب الله أغلبَ غالب
وانجزنا وعدُّ من الله صادق كفيل بإبطال الفنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بينت مقاصدنا مشروحة بالعواقب

(١) واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وهو تحريف ، وصحته (ست وسبعين) أعنى عام ٥٧٦ هـ وهو العام الذي افتتح فيه الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف مدينة قفصة ، التي خرجت على طاعته ، وكان في ركابه طبيبها الخاص أبو بكر بن طفيل المترجم له . وقد أنفذت قصيدة ابن طفيل مع رسالة الفتح التي بعثت إلى البلاد .

وأذن من عليا هلال بن عامر
وهبوا إذا هب النسيم كما سرى
ينص بهم عرض الفلا وهو واسع^(١)
كان بسط الأرض حلقة خاتم
ومد على حكم الصغار لسلنا
يصرح بالرويا وبين ضلوعه
وعى من لسان الحال أفصح خطبة
وأبصر متن الأرض كفة حامل
أشرنا بأعناق الجياد إليكم
إلى بقعة قد بين الله فضلها
على الصفوة الأذنين منّا تحية
وله أيضا :

ألت وقد نام الرقيب^(٢) وهو ما
وراح إلى تجدي فرحت منجدا
وجرت على تراب المختصب ذيلها
تناقله أيدي التجار لطيمة
ولما رأت أن لا ظلام يجنّها
سرت^(٤) عذبت الربط عن حرّ وجهها فأبدت شعاعا يرفع اليوم مظلمها^(٥)

(١) وفي بعض النصوص تروى هذه الشطرة كالآتي (يفص بهم عرض الفيافي وطولها).

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب لعبد الواحد المراكشي (المشيع).

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (إلى الوادي).

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المعجب (نفت).

(٥) وردت هذه الشطرة في المعجب كالآتي (فأبدت محيا يدهش المتوسل).

فكان تجليها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها العارف كلما
ولما رأته زهر السكواكب أنها هي النير الأسمى وإن كان باسما
بكت أسفاً أن لم تفرج بجوارها وأسمدها صوب الغمام فاستجما
فجأت يمج القطر ريان بردها فتنفضه كالدر فذاً وتوأما
يضم علينا الماء فضل زكاتها كل ليل سقط الغل نوراً مكمما
ويقتق نضج الغيث طيب عرفها نسيم الصبا بين العرار مذمما
جلت عن ثناياها وأومض برقها^(١) فلم أدر من شق الدجنة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكا فلم أدر وجداً^(٢) أينما كان أسجما
ونظم سيطى ثغرها ووشاحها فأبصرت دُر الثغرا حلى وأنظما
تقول وقد ألمت أطراف كهتا يدي وقد أنمكت أنخصها الغما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً يسهل صعباً أو يرخس مائماً
فأقصرت لا مستغنياً عن نوالها ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرماً^(٣)
وقال :

أنذكر إذ مسحتُ بفيك عيني وقد حل البكا فيها عقوده
ذكرت بأن ريقك ماء ورد فقابلت الحرارة بالبروده
وقال :

سألت من الملية برء داي برشف برودها المنب المزاج
فما زالت تقبل في جفوني وتبهرني بأصناف الحجاج
وقالت إن طرفك أصلاً لدايك فليقدم في العلاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (بارق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (دما) .

(٣) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وحضر السلطان^(١) جنازته .

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله

ابن عيَّاش التَّجِيبِي البُرْشَانِي

من أهل حصن بُرشانة^(٢) المحسوب في هذه العمالة ، يكنى أبا عبد الله ،
كاتب الخلافة .

حاله

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك^(٣) ، كان كاتباً بارعاً ، فصيحاً ،
مُشرفاً على علوم اللسان ، حافظاً للغات الآداب ، جَزْلاً ، سَرىَ الهمة ، كبير المقدار ،
حسن الخلق ، كريم الضمير ، نفاعاً بجاهه وماله ، كثير الاعتناء بطلبه العلم ،
والسعى الجليل لهم ، وإفاضة المعروف على قُصاده ، مستعِيناً على ذلك بما نال من
الثروة والحظوة والجاه ، عند الأمراء من بني عبد المؤمن ، إذ كان صاحب
القلم الأعلى ، على عهد المنصور وابنه ، رفيع المنزلة والمسكنة لديهم ، قاصداً
الإعراب في كلامه ، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس ، على تفاوت أحوالهم ،
إلا بكلام مُعَرَّب ، وربما استعمله في مخاطبته قديمته وأُمته ، من حُوشِي الألفاظ ، ما لا يكاد
يستعمله ، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم ، عادة ألفتها واستمرت
حاله عليها .

(١) المقصود بالسلطان هنا : هو الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، وكان ابن طفيل طبيبه الخاص ، وصديقه الأثير لديه .

(٢) برشانة وبالإسبانية Purchina بلدة تقع على نهر المنصورة شمال المريوة وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الذيل والتكملة» . وقد سبق التعريف به .

• شَيْخْتَهُ •

روى عن أبى عبد الله بن حميد ، وابن أبى القاسم [الشَّهْلِي] ^(١) ، وابن حُبَيْش ، [وروى عنه بنوه أبو جعفر ، وأبو القاسم ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر ابن عثمان ، وأبو القاسم البلوى] ^(١) .

توالياً

له اختصارٌ حسنٌ فى إصلاح المنطق ، ورسائل مشهورة ، تناقلها الناس ، وشهرٌ يُحْسِنُ فى بعضه .

جاهه

حدث الشيخ أبو القاسم البلوى ، قال كنت أخِفُّ إليه ، وأشفع عنده فى كبار المسائل ، فيسرع فى قضائها . ولقد عَرَّضْتُ لبعض أصحابى من أهل بلاد الأندلس حاجةً مُهمَّةً كبيرةً ، وجب على السعى فيها ، والتماس قضائها وفاءً لربها ، ولم يكن لها إلا ما قَدَرْتُ من حسن نظره فيها ، ورجوته من جميل أثره فى تيسير أمرها ، وكان قد أصابه حينئذ التَّيَّاشُ لَزِمَ من أجله داره ، ودخلت عليه عابداً ، فأطال السؤال عن حالى ، وتبسَّط معى فى الكلام ، مبالغة فى تأنيسى ، فأجلت ذكر الحاجة ، ورغبت منه فى الشَّفاعَةِ عند السلطان فى شأنها ، وكان مضطجماً ، فاستوى جالساً ، وقال لى ، جهل الناس قَدْرى ، وكرَّرها ثلاثاً ، فى مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ، هات الدواء والقرطاس ، فناولته إياها ، فكتب برغبتي ، ورفعها إلى السلطان ، فصُرِفَ فى الحين مُعلِّماً ، فاستدعانى ، ودفعه إلىّ ، وقال يا أبا القاسم ، لا أَرْضَى منك أن تُحْجِمَ عني فى التماس قضاء حاجة تعرَّضْتُ لك خاصة ، وإن كانت لأحد من معارفك عامة ، كَبُرَتْ أو صَغُرَتْ ؛ فَالْتَزِمَ قضاءها ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى «الزيتونة» وساقط فى الإسكوريال .

وعلى الوفا ، فإن لكل مكسب زكاة ، وزكاة الجاه بذله .

وحدثني شيخى أبو الحسن بن الجيَّاب ، عن حدثه من أشياخه ، قال ، عرض أبو عبد الله بن عياش والكتاب ابن القالى ^(١) على المنصور كتابين ، وهوى بعض الغزوات ، فى كلب البرد ، وبين يديه كأنون حجر . وكان ابن عياش بارع الخط ، وابن القالى ركيكه ، ويفضله فى البلاغة ، أو بالعكس الشك منى . وقال المنصور أى كتب لو كان بهذا الخط ، وأى خط لو كان بهذا الكتاب ، فرضى ابن القالى ، وسخط ابن عياش . فانتزع الكتاب من يد المنصور ، وطرحه فى النار وانصرف . قال ، فتغير وجه المنصور ، وابتدر أحد الأشياخ ؛ فقال يا أسير المؤمنين ، طعنتم له فى الوسيلة التى عرفته بياكم ، فظمت غيرته لمعرفته بقدر السبب للوصول إليكم . فسرى عن المنصور ، وقال لأحد خدامه ، إذهب إلى السبي ، فاختر أجمل نساء الأبيكار ؛ وأت بابن عياش ، فقل له هذه تطفى من خلقتك . قال ابن عياش بخاطب ولدته ، وقد حدث الحديث : هى أمك يا محمد أو فلان .

بعض أخباره مع المنصور

ومحاورته الدالة على جلالة قدره

قال ابن خيس ؛ حدثني خالى أبو عبد الله ابن عسكر ، أن الكتاب أبابعد الله بن عياش ، كتب يوماً كتاباً ليهودى ، فكتب فيه ، ويحمل على البر والكرامة . فقال له المنصور ^(٢) ، من أين لك أن تقول فى كافر ، ويحمل على البر والكرامة . فقال ففكرت ساعة ، وقد علمت أن الاعتراض يلزمنى ، فقلت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذا أتاكم كرم قوم ، فأكرمواهم ؛

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (ابن القالى) .

(٢) وردت بعد هذه الكلمة فى الإسكوريال الكلمات الآتية (فكرت ساعة وقد علمت) . وهى

مكررة وقد جاء مكانها بعد .

وهذا عام في الكافر ، وغيره . فقال نعم هذه الكرامة ، فالبيرة أين أخذتها ، قال فسكت ولم أجد جوابا ، قال فقرأ المنصور ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « لا ينهاكم الله عن الدين ، لم يقاتلوا في الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبزؤهم وتقسروا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » . قال فشهدت بذلك ؛ وشكرته .

شعره

من شعره :

بانسية بئني عن العلياء سلوة فإنك روض لا أحن لزهرك
وكيف يجب المرء داراً تقسمت على صارم جذع^(١) وفتنه مشرك

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في « زاد المسافر » عند اسم ابن عيَّاش ؛ قال ، اجتمعنا في ليلة بمراكش ، فقال أبو عبد الله ابن عيَّاش :

وليلة من ليالى الصّفح قد جمعت إخوان صدق ووصل للدهر غير مختلس
كانوا على سنة الأيام قد بعدوا فالفّت بينهم لو ساعد الغلس

وقال من قصيدة :

أشفارها^(٢) أم صارم الحجاج وجفونها أم فتنة الحلاج
فإذا نظرت لأرضها وسماها لم تلتف غير أسنة وزجاج

وقال في المصحف الإمام ، المنسوب إلى عثمان بن عفان ، لما أمر المنصور بتحليلته بنفيس الدر من قصيده :

(١) وردت في الإسكوريال (جوع) والتصويب من « الزيتونة » .

كما في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (أشفارها) .

وَنَقَلْتُ مِنْ كُلِّ مَلِكٍ ذَخِيرَةً كَاتِبُهُمْ كَانُوا بِرَسْمٍ مَكْسُوبَةٍ
فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ قَدْ أَخْلَوْا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَالْبَسْتُهُ الثَّدْرَ وَالْيَاقُوتَ حِلْيَةً وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهِ

كتابته

قال ابن سعيد^(١) في المرقصات والمطربات ، أبو عبد الله بن عباس ، كاتب الناصر وغيره ، من بني عبد المؤمن ، وواسطة عقد ترسيمه ، قوله في رسالة كتبها في نزول الناصر على المهديّة بجرّاً وبرّاً ، واسترجاعها من أيدي الملمّنين^(٢) :

وَلَمَّا حَلَلْنَا عُرَى السَّفَرِ ، بَأَن حَلَلْنَا حِجَى الْمَهْدِيَّةِ ، تَنَاهَا لَنَا بِأَن تَكُونَ لِمَنْ
حَلَّ بِسَاحَتِهَا هَدِيَّةٌ ، فَأَحْدَقْنَا بِهَا إِحْدَاقَ الْهَدَبِ بِالْعَيْنِ ، وَأَطَرْنَا لِمُخْتَلَسِ
وَصَالِهَا غَرِيبَانِ الْبَيْنِ ، فَبَانَتْ بِلَيْلَةٍ بِأَمْرِيَّةٍ^(٣) ، وَصَابَحَ يَوْمًا صَاحِغَتَهُ فِيهِ يَدُ الْمَنِيَّةِ .
وَلَمَّا اجْتَلَيْنَا مِنْهَا عُرُوسًا ، قَدْ مَدَّ بَيْنَ يَدَيْهَا بِسَاطَ الْمَاءِ ، وَتَوَجَّهَتْ بِالْهَلَالِ ، وَقَرَّطَتْهُ
بِالثُّرَيَّا ، وَوُشَّجَتْ بِنَجُومِ السَّمَاءِ ، وَالسُّحُبُ تَسَحَّبَ عَلَيْهَا أَزْدَانُهَا ، فَتَرَدَّدَتْ بِهَا تَارَةً
مُتَأَثِّمَةً ، وَطُورًا سَافِرَةً ، وَكَأَنَّمَا شُرُفَاتُهَا الْمُشْرِفَةُ أَنْأَمِلَ مُحَضَّبَةً بِالْدِّيَاجِي ،

(١) هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي ، وأصله من سادة قلمة يحصب من أعمال غرناطة . وهو سليل أسرة من الأدباء تعاقبت في تصنيف مؤلف أدبي وتاريخي ضخم أنتمى على بن موسى آخر من نبغ من الأسرة ، وهو يضم كتابين كبيرين هما «المشرق في حلّ المشرق» و«المغرب في حلّ المغرب» وموضوعهما الحديث عن فضائل مدن المشرق والمغرب . ولابن سعيد كتب أخرى منها «المرقص والمطرب» ، و«الطالع السعيد في تاريخ بني سيد» «وملوك الشعر» ، وغيرها . مولده سنة ٦١٠ هـ وتوفي بدمشق في سنة ٦٧٣ هـ . وسوف يتّرجم له ابن الخطيب فيما بعد .

(٢) يقصد بالملمّنين هنا بنو غانية ، سادة ميورقة ، وأولياء المرابطين (الملمّنين) . وكانوا قد غزوا إفريقية ، في أواخر القرن السادس الهجري ، واستولوا على معظم قواعدها ومنها ثغر المهديّة ، الذي استرده الموحدون من يحيى بن غانية الميورقي في سنة ٦٠٢ هـ ، في عهد الخليفة الناصر بن يعقوب المنصور .

(٣) هكذا وردت هذه الكلمة في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال كلمة محرفة رسمها (هانية) .

مُخْتَمَةً بالسكواك الزاهرة، تُضْحِي عن شَذَبٍ لَا تَزَالُ تُقْبَلُهُ أَفْوَاهُ الْجَانِيقِ،
وَمُسَى بِاسْمَةٍ عَنْ لَعْنٍ، لَا تَبْرَحُ تَرْشِفُهُ شِفَاهُ سِهَامِ الْحَرِيقِ. خَطَبْنَاهَا،
فَارَادَتِ التَّنْبِيهَ عَلَى قَدَرِهَا، وَالتَّوْفِيرَ فِي إِعْلَاءِ مَهْرِهَا، وَمِنْ خُطَبِ الْحَسَنَاءِ،
لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ، فَتَمَنَعَتْ تَمَنُّعَ الْمُقْصُورَاتِ فِي الْخِيَامِ، وَأَطَالَتِ إِعْمَالَ الْعَامِلِ
فِي خِدْمَتِهَا، وَتَجَرِيدِ الْحَسَامِ، إِلَى أَنْ تَحَقَّقَتْ عِظَمَ مَوْقِعِهَا فِي النَفُوسِ، وَرَأَتْ (١)
كَثْرَةَ مَا أُلْقِيَ لَهَا مِنْ نِشَارِ الرُّؤُوسِ، جَنَحَتْ إِلَى الْإِخْصَانِ بَعْدَ النُّشُوزِ، وَرَأَتْ
الْأَجَاجَ فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ قَبُولِ الْإِحْسَانِ لَا يَجُوزُ، فَأَمْسَكَتْ زِمَامَهَا مِنْ يَدِ خَاطِبِهَا،
بَعْدَ مَطَاوِلَةِ خُطْبِهَا وَخِطَابِهَا، وَأَمْتَمَتْهُ عَلَى رَغَمِ رُقْيِهَا بِعِنَاقِهَا، وَرَشَفِ رُضَائِهَا،
فَبَانَتْ مُعْرَسًا، حَيْثُ لَا حِجَالَ إِلَّا مِنَ الْبُنُودِ، وَلَا خُلُوقَ إِلَّا مِنْ [دَمَاءِ] (٢)
أَبْطَالِ الْجُنُودِ، فَأَصْبَحَ وَقْدَ تَلَالَاتٍ بِهِذِهِ الْبَشَائِرُ وَجُوهَ الْأَفْكَارِ، وَطَارَتْ بِمَسَارِهَا
سَوَائِحُ الْبِرَارِ، وَسَوَانِحُ الْبَحَارِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَأَ الْحَقَّ فِي نَصَابِهِ،
وَاسْتَرْجَعَهُ مِنْ أَيْدِي غُصَّابِهِ، حَمْدًا يَجْمَعُ شَمْلَ النِّعَمِ، وَيُلْقِعُهَا كَمَا تُلْقِصُ الرِّيحُ
الدَّيْمَ، فَسَنَّفُوا الْأَسْمَاعَ بِهِذِهِ الْبَشَائِرِ، وَامْلَأُوا الصُّدُورَ بِمَا يَرِيهِ لَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِهَا
كُلِّ وَارِدٍ وَصَادِرٍ، فَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي تَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ [وَعِمَّ الْخَيْرِ وَالْبَيْنِ
بِهِ] (٣) بِسَيْلِ الشَّرْقِ وَالْمَاءِ، فَشَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَضَهُ، فِي كُلِّ قَطْرِ مِنْ
أَقْطَارِ الْأَرْضِ.

دخل غرناطة، مُرْتَادًا، وَمُتَعَلِّمًا، وَجُنْتَازًا.

مولده: بْبُرْشَانَةَ بِلَادِهِ، عَامَ خَمْسِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ.

وفاته: تَوَفَّى بِمَرَاكُشَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ عَشْرَةٍ وَسِتْمِائَةٍ،

رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (وزادت) وهو تعريف.

(٢) الواردة في الإسكوريال، وماقتلة في «الزيتونة».

(٣) هذه العبارة الواردة في الإسكوريال. وساقطة في «الزيتونة».

محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني^(١)
من أهل وادي آش ، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان محدثاً حافظاً ، راويةً مكثراً ، ثقةً ضابطاً ، شهيراً
بم حفظ كتب كثيرة ، من الحديث ، وغيره ، ذا نظر صالح في الطلب ، أديباً
بارعاً ، كاتباً بليغاً ، مكثراً لجيده ، سريع البديهة في النظم والنثر ، والأدب
أغلب عليه . قال أبو القاسم بن المواضي ، ما رأيت في عباد الله ، أسرع
ارتجالاً منه .

مشيخته

روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ، وأبي بكر بن زرقون ،
وابن قيد ، وابن إبراهيم بن الملل ، وابن النعمة وصحبه^(٢) ، ولقيه بمرأ كش ،
ووليد بن موفى ، وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة ، ولزمه أزيد من ست
سنين ، وأكثر عنه ، وابن العُمري ، وأبي العباس بن إدريس ، والخروبي ،
وتلا عليه بالسبع ، وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيراً ، وابن
مضاء ، وأبي علي بن عرب ، وأبي القاسم بن حبيش ، وابن عبد الجبار ،
وأبي محمد بن سهل الضرير ، وعاشر وقاسم بن دحمان ، وأبي يوسف بن طلحة .
وأجاز له أبو بكر بن العربي ، وابن خير ، وابن ممدلة . وابن تمارة ،

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط ، وساقطة في «الزيتونة» و«ج» .

(٢) وردت في الإسكوريال (ونجبه) ، وهو فيما يبدو تحريف اقتضى التصويب .

وأبو الحسن شريح ، وابن هذيل ، ويونس بن مغيث ، وأبو الجليل مفرج بن سلمة ،
 وأبو عبد الله حفيد مكي ، وأبو عبد الرحمن بن مساعد ، وأبو عامر محمد بن
 أحمد السالمي ، وأبو القاسم بن بشكوال ، وأبو محمد بن عبيد الله وأبو مروان
 البياضي ، وابن قزمان ، وأبو الوليد بن حجاج .

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم ، وأبو الحسن بن محمد بن بقي الغساني ، وأبو
 عبد الله محمد بن يحيى الشكري ، وأبو العباس النبائي ، وأبو عمرو بن عبيد ،
 وهو أسن منه وأبو الكرم جودي .

تأليفه

صنّف في الأدب مصنفات منها « بهجة الأفكار » وفرصة التذكار ،
 في مختار الأشعار ، ومباشرة ليلة السفح ، ومقاله في الإخوان ، خرّجها من شواهد
 الحكم ، ومصنّف في أخبار معاوية ، والدر المنظم في الإحसार العظيم ، ومجموع في
 الألفاظ ، وروضة الحقائق في تأليف الكلام الرائق ، مجموع نظمه ونثره ، وملقى
 السبل في فضل رمضان ، وقصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطرات
 الواحد في رثاء الواحد ، ورجوم الإنذار بهجوم العذار ، إلى غير ذلك .

محبته

غرّبه الأمير ابن سعد^(١) من وطنه ، وألزمه سكنى مرسية ، ثم بلكنسية .
 ولما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبيع وستين وخمس مائة ، عاد إلى وطنه
 واستقر به يفيد الدية ، إلى آخر عمره .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنیش الجذامي أمير بلكنسية ومرسية ، وقد سبق أن ترجم له
 ابن الخطيب فيما تقدم (ص ١٢٠ - ١٢٧) .

شعره

وشعره كثير . فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر صحابته :

ساقمك هاتفة على نغماتها	بالمضرب هضْب زرود أو تلعاتها
فبيد نَفْثُ السُّحْرِ في نَفْثاتها	مصدورة تفتن في جميعها
جَنَحُ الدُّجَا سَيَّانٌ في ذكراتها	إن راغها راد الضحى أو راعها
والموت في يَقْظاتها وسِناتها	هذا يُمْتَعُّها وذاك يشوقها
نضحت فزور الطيف برح شكلاتها	ولولا التعلل بالكركى يفتنباها
خرزاً تثير النهب في كراتها	لكن بين جفونها وهنامها
يلقى الرياح بملقى هباتها	ولئن نذقت لها به فتقول من
كثفاً ويلشها إلى زهراتها	مطلولة الفرعين يلحفها الرشي
لغياضها من مجتقى نجلاتها	وتسيفها ماء النخيلة جرعة

منها :

بالواضحات الغر من آياتها	يا من تبلج نوره عن صايع
وسدأ فغالت مستدام حياتها	يا شاعراً في أمة جعلت به
حيث الشباب يرف في جناتها	في دار خلد لا يشيب وليدتها
وشيم الرياح من جنباها	وتدشم الرضوان في أكنافها
يا كنفها يا منتهى علياتها	يا مصطفاه مرفع قدرها
يا هاشم الصلبان في نزواتها	يا منتقاه من أزومة هاشم
يا يافعا للرب في جمراتها	يا خاضداً للشرك شوكة حربه

قلت ، نقل الشيخ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه . إلى أن قال ، وهي طويلة ، قلت وثقيلة الروح . ولقد صدق في قوله .

ومن شعره :

يا بَدْرُ تَمَّ طالِعاً في الحَشِيِّ بَرَّحَ بِي مِنْكَ أَوَانُ الْمَغِيبِ
حُظُّكَ مِنْ قَلْبِي تَعْذِيبُهُ وَحُظُّهُ مِنْكَ الْأَمَى وَالْوَجِيبِ
فَمَنْ يَكُنْ يُزْهِى بِلَبْسِ الْمُنَى فَإِنْ زَهْوَى بِلِحَاسِ النَّحِيبِ
فِي سَاعَةِ قَصْرِ أَنْبِيَائِهَا غَيْبَتُهُ لِي وَحُضُورِ الرَّقِيبِ
لَعَلَّ مِنْ بَاعِدٍ مَا بَيْنَنَا يُفَرِّجُ الْكَرْبَةَ عَمَّا قَرِيبِ
[وقال] ^(١) :

رَوِّا الْقِيَابَ بِأَدَمِ مَفْضُوزَةٍ ذَوَى الْفِرَاقِ وَأَكْبِدِ تَصْغِيرِ
فَلَانَفْسٍ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ حَبِيبَةٍ وَالْقَلْبِ فِي إِثْرِ الْوَدَاعِ مُقْسِمِ
هَلْ لِي بِهَاتِيكَ الظُّبَا الْمَاعَةِ أَمْ هَلْ لِذَاكَ السَّرْبِ شَمْلٌ يُنْظَمِ
حَقًّا فَقَدْتُ الذَّاتَ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ فَالشَّخْصَ يُوجِدُ وَالْحَقِيقَةَ تَعْدَمِ

وفاته

توفي ببغداد لثلاث بقين من رمضان ست وتسعين وخمس مائة . قال أبو القاسم
المواعيني ، عَرَفَ فِي مَشْيِهِ فَسْقَطَ ، فَكَانَ سَبَبَ مَمَاتِهِ ، وَدَخَلَ غَرْنَاطَةَ ، فِي غَيْرِ
مَا رُجِّهَتْ مِنْهَا ، وَأَوَايَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْفَرَسِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَحْوَاظِهَا
وَبُنْيَانِهَا .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ^(٢)
من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من كتاب الإكليل ما نصه : ممن شكَّله اليراعة ، وفقدته البراعة ، تأدَّب

(١) وضعنا هذه الكلمة لاختلاف الشعر .

(٢) وردت لمحمد بن خاتمة الأنصاري أيضاً في «الزيتونة» ترجمة مؤلفة لا تعدو أربعة عشر سطراً .

بأخيه^(١)، وتهذب، وأراه في النظم المذهب، وكساه من التفهم والتعليم البرد المذهب، فاقتنى واقدي، وراح في الخلبة واغتنى، حتى نبيل وشدا. ولو أمهله الدهر لمبلغ الدا. وأما خطه فقيد الأبصار، وطرفة من طرف الأمصار، واعتبط يانع الشبيبة، مخضر الكتيبة.

شعره

كفوا الملام فلا أضنى إلى العذل عقلى وسمعى عن العذل فى شغل
[يقول فى هذه القصيدة :

هزلُ المحبة جدُّ والموان هوى والصبُّ يتلف بين الجدِّ والهزل
من مسعدٍ وفؤادى لا يساعدى أو من شفيعى وذلى ليس يشفع لى
أعللُ النفس بالآمال أطعمها حتى وقعت من التعليل فى علل
لئن كنت تبجل ما فى الحب من محن أنا الخبير فغبرى اليوم لا تسك
أنا الذى قد حلبت الحب أشطره فلم يندنى لا حولى ولا حيل
لا أشرب الزاحكى أخلو براحتها لكن لأدفع ما بالنفس من كسل
ولا أجول بطرفى فى الرياض سوى ذكرى لأيامنا فى ظلها الأول
أنا العهد مضى ما كان أعذبه لم يبق لى غير آيات من الخبل
كم فديتك يا قلبى وأنت على تلك الغواية لم تبرح ولم تزل
فاختر لنفسك إما أن تصاحبنى خلوا وإلا فدعنى منك وارتحل
فقد تبعثك حتى سرت من شغفى ولو عنى فى الهوى أعجوبة للثل

ومن شعره :

ومضَ البرقُ فنارَ القلق ومضى النرم وحلَّ الأرق

(١) وردت ترجمة أخيه أحمد بن خاتمة فى المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٢٣٩ - ٢٥٩.

وَيَنْعَانِي مِنْ غَرَامِي قَدْ شَكَا
وَدَلِيلِي فِي غَلِيلِي لِي زَفَرَتِي
وَحَسُودِي مِنْ وَقُودِي رَقَّ لِي
وَعِشِّيَّاتُ تَقَضَّتْ بِالْأَوَى
إِذْ شَبَابِي وَالتَّصَابِي جُمَا
شَتَّ يَوْمَ الْبَيْنِ شَمَلِي
أَهْ مِنْ يَوْمِ قَضَى لِي فُرْقَةً
وَمِنْ ذَلِكَ :

أَيَا جَبِرَةَ الْحَيِّ الْمُمْنَعِ جَارُهُ
مَتَى غَبِثْتُمْ عَنِّي فَأَنْتُمْ بِخَاطِرِي
عَذَابِكُمْ قُرْبٌ وَبُخْلُكُمْ نَدَى
وَأَنْتُمْ نَعِمِي لَا نَعِمْتُ بِغَيْرِكُمْ
وَمِنْ ظَرِيفِ نَزَعَاتِهِ قَوْلُهُ :

الرَّقْعُ نَعْتُكُمْ لَا خَابَكُمْ أَمَلُ
هَلْ مِنْكُمْ لِي عَطْفٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ
وَالْخَفْضُ شِمَةٌ شَانِي وَالْهَوَى دُولُ
إِذْ لَيْسَ لِي مِنْكُمْ يَا سَادَتِي بَدَلُ

وفاته

اعتُبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبع مائة . وَرَدَ إِلَى
الْحَضْرَةِ غَيْرَ مَا مَرَّةَ

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى (١)

من أهل قرطبة يكنى أبا بكر

حاله

نسيجُ وحده ، أدباً وظرفاً ولَوْذَعِيَّةً وشهرة . قال ابن عبد الملك ، كان أدبياً بارعاً ، محسنًا ، شاعراً خلوا الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل . قلتُ وهذه الطريقة بديمةٌ يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسُ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مَبْلَغًا حَجَرَهُ اللهُ عن سواه . فهو آيتُها المعجزة ، وحجَّتُها البالغة ، وفارسُها العَلَمُ ، والمُبْتَدِئُ فيها والمُنْتَمِ ، رحمه الله . وقال الفتح (٢) فيه : « مبرزٌ في البيان ، ومحرزُ السبق عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالاً رقباه إلى مجالس ، وكساه ملابس ، واقتطع أسمى الرثب وتبوأها ، ونال أسمى الخطط وماتملاًها » .

شعره

قال الفتح ، وقد أثبت له ما يُعلم به رفيع قدره ، ويُعرف كيف أسا الزمن بغيره ، قوله :

ركبوا السيول (٣) من الخيول وركبوا فوق العوالي السمرزرق قِطاف
وتجلبأوا القُدُون من ماذيهم مرتجةً إلا على الأكثاف (٤)

(١) لنا في خاتمة هذا المجلد تعليق على هذه الترجمة .

(٢) هو الفتح بن خاقان صاحب كتاب «قلائد المقيان» المتوفى سنة ٥٣٤ هـ .

(٣) وردت في الإسكوريال (الخيول) والتصويب من القلائد .

(٤) وردت هذه الشطرة في الإسكوريال كالآتي : (مرتجةً إلا على الأكثاف) . والتصويب

[وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال يستدعيه إلى مجلس أنس:]

أنى أهرُك هزَّ الصَّارم الخَدم
ذاك شاك من قطع أنس أنت واصله
وشتَّ شملُ كرام أنت ناظمه
ولو دُعيت إلى أمثالها لسمتُ
وإن نشطت لتعريفى صرفتُ له
وما أريد سوى عفو تجود به
أنت المُقدَّم فى خير وفى أدب
فأجابه رحمه الله:

أنى من المجد أمرٌ لا مرَد له
لبَّيك لبيك أضعافاً مضاعفة
لى همَّة ولأهل العِزِّ مطمَحها
وإن حقَّكَ معروف وملتزم
زَفَن^(١) ورقص وما أُجبت من ملح
حتى يكون كلامُ الحاضرين بها
يا ليلة السَّفح هلاً عُدت ثانية

وقال فى غرض النَّسيب:

ياربَّ يوم زادنى فيه
ذوشَمَّة لمياء معسولة
من أطلع من غرِّبه كوكبا
يَنشَعُ من خديهِ ماء الصَّبَا

(١) زفن أى طرب ورقص .

(٢) الشعر الذى بين الحاضرتين كله ساقطه فى «الزيتونة» .

قلت له وهب لي بها قُبْلَةً
فَذَقْتُ شَيْئًا لَمْ أَذُقْ مِثْلَهُ
أَسْعَدَنِي اللَّهُ بِإِسْعَادِهِ
وَقَالَ :

جنت لتوديعه وقد ذرفت
في موكب البَيْنِ بأكين ولا
معانقاً جيدَه على حذر
نقص توديعه لعاشقه

وقال يعتنق اورتجالاً وأحسن ما أوداد :

يا أهل ذا المجلس السامى سَراوِثُهُ
وإن أكن مُظْغَمًا مصباح بينكم
وقال يهنى بعرس :

صَرَفَتْ إِلَيْكَ وجوهها الأفراح
فاقضى للآرب في زمان صالح
إن كان كالشمس للنيرة حُسْنُهَا
لا فرق بينكما لرأى فاستوى
هل يُوقد للمصباح عند كما مُهَجَّبًا
أحرزت يا عبد العزيز محاسنا
يا من له كفى تجود وأضلع
ما أَلَقْتُ الحاجات دوني قُفْلُهَا
في كل ما تنحو إليه ملاحه

ونسكتنفتك سعادة ونجاح
لا سدُّ عنك من الزمان صلاح
فالبدر أنت وما عليك جُفاح
زى النساء قلادة ووشاح
وكلا كما يبهاته مصباح
كثرت فلم تستوفها الأملح
مطوى على حفظ الوداد شجاع
إلا وبين يمينك للفتح
وكذاك أفعال اللبّيح ملاح^(١)

(١) الشعر الذى بين الحاصرتين ساقط فى الزيتونة .

ومن حكمه قوله :

كثير المال تبدّله فيبقى ولا يبقى مع البخل القليل
ومن غرست يده ثمار جودٍ ففي ظلّ الثناء له مقيـل
وقال رحمه الله :

وعهدى بالشباب وحسن قدي حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأتى أقدس في التراب على الشاب
وقال رحمه الله :

بمسك الفارس رُحماً وأنا أمسك فيها قصبة^(١)
وكلانا بئال في حربيه إن الأقلام رِماح الكتّبة

قال ابن عبد الملك : أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرُّعيني ، قال ، أخبرنا
الراوية أبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، قال سألته ، يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذا ،
أن ينشد شيئاً من شعر أبيه المُرَبِّ^(٢) ، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده . وقال
أنشدني أبي رحمه الله لنفسه :

أحسن ما نيط في الدُّعَا لمن رُتِّبَ في حُطَّةٍ من الخطط
خَلَّصَك اللهُ من عَوَاقِبِهَا ودُمَّتْ في عِصْمَةٍ من الغلط
مُقَرَّباً منك ما تُسرُّ به وكل مكروهة على شَحَط
الكلُّ بالعدل منك مُقْتَبِط وليس في الناس غيرُ مُقْتَبِط
وليس يخلِّيك من أنا لكها^(٣) من عملٍ بالنَّجَاةِ مُرْتَبِط

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (القصبة) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (المرب) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «الزيتونة» (أما لكها) .

فانقذ بعون الله مجتهدا بقلب|صفي بالضمير|^(١) مرتبط
يا صاحب الأمر والذي^(٢) يده نايِلها للمُغفاة غير بط
رفعتم يا بني رفاة ما كان من المعلّوات | في هَبَط |^(٣)
ومنبر الحق من سواه بكم فيها هو الآن غيرُ مُختلط
وانضبط الأمر واستقام لكم ولم يكن من قبل ذا بمنضبط
أتيت في كل ما أتيت به فالغيثُ بعد الرجا والنعط
جملت عن ميّاك منزلةً فلست من ميّاك في نعط
أنت من المجد والعلا طرفُ وكلهم في العلا من الوسط

كتابتة

وقفتُ من ذلك على أفانين . منها في استهلال شهر رمضان قوله :

سلام على أنس المجتهدين ، وراحة المتجهدين ، وقرّة أعين المهتدين ، والذي
زين الله به الدنيا ، وأعزّ به الدين . شرف الله به الإسلام ، وجعل أيامه رُقوما
في عواتق الأيام . وشهوره غُررًا في جباه الأعلام ، وحلّ به عن رقاب الأمة
قلايد الآثام ، ونزّه فيه الأسماع عن المسكاره ، وحصان الأفواه من رفث الكلام .
أشهد أن الله أنقذني عليك ، وأدخل من شاء الجنة على يدك ، وخصّك من
الفضائل بما يمشق فيه التفسير حتى يكلّ ويسأم ، ذلك اللسان ويملّ ، وأبادت ذنوب
الأمة بمثل ما أبادت الشمس الظلّ ، ذلك الذي يتهلل للسماء هلاله ، ويهتزّ العرش
جلاله ، وترتج الملايكة في حين إقباله ، وتدخل الحور العين في زينتها تسكريناً ، وتلتزم
إجلاله وتعظيمه ، ويهتدى فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً ، وتغلّ الشياطين على ما

(١) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (صاف الضمير) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (التي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (منهبط) .

خُيِّلَتْ . وتذوق وبال ما كادت به وتخيَّلت ، ويشعرُ النقي لعبادة ربِّه ذليلاً ، وتهبط الملائكة إلى سماء^(١) الدنيا ليلاً ، وينتظم المُتَّقُونَ في ديوانه انتظام السُّلُك . ويكون خُلُوف فَم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، وتفتح الجنة أبواباً ، ويُغفر لمن صامه إيماناً واحساباً ، جزاءً من ربك عطاءً حساباً ، وبما فضلك الله على سائر المشهور ، وقضى لك بالشرف والفضل المشهور . فرَضَكَ في كتابه . ومدحك في خطابه ، حيث قال ، شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، يعنى تكبيرُ الناس عليك ، وتقليبُ أحداقهم بالنظر إليك ، حين لُثِمَت بالسحاب ، ونظرت من تحت ذلك النُّقَاب ، وقد يمتاز الشَّيْبُ وأن استتر بالخضاب ، حتى إذا وقف الأئمة منك على الصَّحِيح ، وصرَّحوا برؤيتك كلَّ التصريح ، فَطَرَتْ كل جماعة في اجتماعها ، وتأهَّبت القراء لإشفاعها ، واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها ، وتضرعت^(٢) الألباب ، وطلبت المواقف أواخر الأعراس والأحزاب ، وابتدیت آلم^(٣) ذلك الكتاب ، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بدَّت من الصباح ، ورقصت وقص النواهد عند هبوب الرياح ، والله نُور السموات والأرض ، مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباح ، فأملأه المسلمون في سرِّ وجهر ، وحُطَّت أُنقال السيئات عن كل ظَهَر ، والتبسَّت الليلة التي هي خير من ألف شهر ، ففشط الصالحون بك صوماً ، وهجر المتَهَجِّدون في ليلك نوماً ، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً . فيا أيها الذي رَحَلَ ، رحل^(٤) بعد مُقامة ، وقام للسفر من مقامه ، ورأى من قضى حقَّه ، ومن قعَّر في صيامه ، فشى الناس إلى تشييعه ، وبسكوا لفراقه وتوديعه ، ونَدِمَ المُضَيِّع على ما كان من تضييعه ، ولم ينق

(١) وردت في الإسكوريال (السماء) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (واصرطعت) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال (أ.ل.م) .

(٤) هكذا وردت هذه الكلمة مكررة في الإسكوريال . ولم تكرر في الزيتونة .

بدوام العيش إلى وقت رجوعه ، فعرض على كفه ندماً ، وبكت عينه ماء وكبره دماً . رويدا حتى أفرح في ميدان فراقك ، وأنزع إلى حنانك وإشفاقك ، وأنشئ من تقبيلك وعناقك . وأسألُ منك حاجة إن أراد الله قضاها ، وشاء نفوذها وإمضاها ، إذا أنت وقفت لرب العالمين ، فقيلك من قوم ، وردك في وجوه آخرين . إن تُنفي جميلاً ، فعسى يصفح لعبدته وإن أسأ ، فعلم الله أني نويت التوبة أولاً وآخرأ ، وأملت الأداء باطنا وظاهراً ، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً ، وإنما علم ، من تقصير الإنسان ما علم ، والمرء ما قضى عليه به وحكم ، وإن النفس لأماراة بالشوء إلا من رحم ، فإن غفر فبطوله وإحسانه ، وإن عاقب فيما قدمت يدُ العبد من عصيانه ، فيأوحشهُ لهذه الفرقة ، ويأسفا على بعد الشقة ، ويأشده^(١) ما خلقتهُ لنا بفراقك من الجهد والمشقة ، ولطالما هجر الإنسان بك ذنبه ، وراقب إعظاما لكربه ، وشرحت إلى أعمال البر قلبه . ومع هذا أترك ترجع وتري ، أم تُصمُّ علينا دونك أطباق التري . فيأويلنا إن حل الأجل ، ولم أقض دينك ، ورجعت وقد حال الموت بيني وبينك . فأغرب ، لا جملة الله آخر التوديع ، وأنى قلب يستطيع .

وقال في استهلال شوال :

ولكل مقام مقال . الله أكبر هذا هلال شوال قد طاع ، وكر في منازل وقطع ، وغاب أحد عشر شهراً ، ثم رجع . مالى أراه رقيق الاستهلال ، خفي الهلال ، وروحاً تردد في مثل انلال ، ما باله أسمى الله رسمه ، وصحج جسمه ، ورفع في شهور العام اسمه ، على وجهه صفرة بيضة ، ونار إشراقه ليئة ، وأرى السحاب تعتمده وتقف ، وتنشاه سوية وتنصرف ، ما أراه إلا يطول ذلك المقام ، وتوالى الأهوال العظام . أصابه مرض في فصل من فصول العام ، فعادته كما يعاد المريض ، وبسكته

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وياسر) والأولى أرجح .

الأيام الغُر والليالي البيض ، وَقُلْنَ كَلَّا إِنَّ اللَّهَ وَكَفَاكَ ، وحاطك وشفاك ، وَقُلْ
 كيف نجدك ، لَأَفْضُ فَكْ ، هذا على الظَّن لا على التحقيق ، ومجاز لا يحكم
 التصديق . وإنه لَيَبْعُدُ مثل هذا المقدار ، أن يَقْدَحَ فيه طول الغَيْب ، وتواتر
 الأسفار . أليس هو قد أَلِفَ بجالي الرياح ، وَصَحِبَ بَرْدَ الصُّبْح ، وشاهد الأهوية
 مع الغدو والرواح ، وطواها بتجربته طي الوشاح . ما ذاك إلا أَنَّهُ رَأَى الشمس
 في بعض الأيام ماشية ، والحسن يأخذ منها مَسَطًا وحاشية ، ودلائل شبابها ظاهرة
 فاشية ، فوقع منها في نفسه ما وقع ، وثَبَّتَ على قلبه من النظر ما زرع ، ووقع في
 شَرَكها ، وحق له أن يقع . فَرَأَتْ هِيَ لِحَاله وأشفقت ، وَهَجَّتْ بوصالها وتأثقت ،
 وقطعت من معدن نيلها وأنفقت ، ودرأت أنها له شاكلة يبلغ أَمَلها ، وتبلغ
 مَأْمَله ، ولذلك ما مَدَّتْ لذيد السباح ، فتعرَّضت بالعشي ، وارتصدها في الصباح ،
 مع ما أيقنا به من الانقطاع ، ويمسنا من الاجتماع ، كما نَفِدَ القَدَر ، وصدر الخبر .
 وقال تعلن لا الشمس ينبغي لها أن تُدْرِكَ القمر ، فوجَدَ لذلك وجدًا شديدًا ،
 وأذاقه مع الساعات شوقًا جديدًا ، وأصبح بها دَفْعًا ، وأمسى عميدًا ، حتى سَلَبَ
 ذلك بهاء ، وأذهب سَنَاه ، وردَّه النحول كما شاه ، ولقي منها مثل ما لقي عُثْلَانُ
 من سَيْتِه ، وجعل من بُتَيْتِه ، وحن إليها حنين عُرْوَة إلى عَفْرَا ، وموعدها
 يوم وهب ناقة الصِّفراء . على رِسْلك أنى وَهَمْتُ ، وَحَسِبْتُ ذلك حقًا وتَوَهَّمْتُ ،
 والآن وقد فَطِنْتُ ، وأصبت الفَصَّ فيما ظننت ، إنه لقي رمضان في إنباله .
 وَضَمَّه نَقْصَانُ هلاله ، وصامه نَجَاةٌ ولم يَكُ في باله ، فَأَثَّرَ ذلك في وجهه الطَّلَق ،
 وأضعفه كما فعل بسائر الخلق ، وها هو قد أقبل من سفره البعيد ، فَقُلْ هو هلال
 الْفِدَرِ أَوْ قُلْ هو هلال العيد ، فَلَقَهُ صباح مَرَشَى الناس فيه مَرَشَى الحَبَاب ، ولبسوا
 أَفْضَلَ الثياب ، وبرزوا إلى مُصْلَاحٍ من كل باب ، فارتفعت هِمَّةُ الإسلام .
 وَشَرُفَتْ أمة محمد عليه السلام ، وَخَطَبَ بالناس ودعا للإمام ، عندما طلعت

الشمس بوجه كدور المرأة ، ولون كصفا المهرأة . وخرج لا يُنسيها ريمُ الفلاة .
وقضوا السنة ، وبذلوا الجهد في ذلك والمنّة ، وسألوا من الله أن يُدخلهم الجنة ،
ثم خطبوا حمداً لله وشكراً ، وذكروه كذكرهم آبائهم أو أشدّ ذكراً ، ثم انصرفوا
راشدين ، وافترقوا حامدين ، وشبك الشيخ بيديه ، ونظر الشاب في كفيه ،
ورجموا على غير الطريق الذي أتوا عليه ، فلقد استشقى من الرؤية ذو عينين ،
وتذكر العاشق موقف البين ، وشق المتنزّه بين الصّفين ، فنقل عينيه من الوشي
إلى الديباج ، ووجه كضوء السراج ، وعيون أقتل من سيف الحجاج ،
ونظرات لا يدفع داؤها بالعلاج ، وقد زينت العيون بالتكجيل ، والشمود
بالترجيل ، وكرّر السواك على مواضع التقبيل ، وطوّقت الأعناق بالعمود ،
وضرب الفكر في صفحات الخدود ، ومُدّ بالغالية على مواضع السجود ، وأقبلت
صنعا بأوشيتها ، وعنت بأرديتها ، ودخلت العروس في حليتها ، ورقت الكفوف
بالحناء ، وأثني على الحسن وهو أحقّ بالثناء ، وطلّقت التوبة ثلاثاً بعد البناء ،
وغصّ الذراع بالسوار ، ونختم في اليمين واليسار ، وأمسكت الثياب بأيدي
الأبكار ، ومشت الأماء أمام الأحرار ، وتقدمت الدآيات بالأطفال الصغار ،
وامتلأت الدنيا سروراً ، وانقلب السكل إلى أهله مسروراً . وبينما كانت الحال
كما نصّصت ، والحكاية كما قصّصت ، إذ الألات الدنيا برقا ، وامتدّ مع الأفقيين
غرباً وشرقاً ، وردّ لماته عيون الناظرين زرقاً ، ولولا أنه جرب حتى يدرا ،
لقيل قد طلعت مع الشمس شمس أخرى ، حتى أقبل من شرفت العرب بنسبه ،
وفخر الإسلام بسببه ، من انتسب إلى زهرة وقصي ، وازدانت به آل غالب
وآل لؤي ، من إذا ذكر المجد فهو نمسك بنده ، أو الفضل فهو لابس برّده ،
أو الفخر فهو واسطة عقده ، أو الحسن فهو نسيج وحده ، الذي رفع لواء العليا ،
وعارضت مكارمه صوب^(١) الحبا ، وحكّت محاسنه زهرة الحياة الدنيا . فاما

(١) أول الكلمة في المخطوط مخفف تحت الخبر وفتح هذه القراءة .

وجهه فكما شَرَقَت الشمس وأشْرَقَت ، وغَرُبَت كواكب سمايها وشَرُقت ،
 وتفتَحَت أطواق الليل عن غُرر مجده ونشَقَّت . ولولا حياءُ يغلب عليه ، وخَفَرُ
 يصحبه إذا نظرت إليه ، لاستحال النهار ، وغارت لنوره كواكب الأسحار ،
 ولكاد سنا بَرْقه يذهب بالأبصار ، لا يحفل بالصباح إذا انفلق ، ولا بالفجر إذا
 عمَّ آفاق الدُّجَا وطَبَّق ، ولو بدا للمسافر في ليله لَطَرَق ، قد عجم الأبنوس على
 العاج ، وأدار جَفَنًا كما عَطَفَ على أطفالها التَّمعاج ، يَضْرِبُ بها ضرب السيف ،
 ويُلِمُّ بالفؤاد إلمام الطَّيِّف ، ويتلقَّها السَّحَرُ تلقَّى الكريم للضيف ، لو جرَّدها
 على الرِّيم لوقف ، أو على فِرْعَوْنَ ما صرف من سحره ما صرف ، أو على رِبْطام
 ابن قَيْسٍ لالتقى سلاحه وانصرف . وأما أدواته فكما انشَقَّت الأرض عن نباتها ،
 وأخنت زُخْرُفها في إنباتها ، ونَفَّحَ عَرَفَ النِّسيم في جَفَنياتها ، يتفنَّنُ أفانين
 الزهر ، ويتقلب تقلب الدهر ، وتطلُّعُ له نوادر كالنجوم الزُّهر ، لو أبصره
 مُطَرِّف ما شبر بخطه ، ولا جرَّ من العُجب ذيل مرَّطه ، ولا كان المخبر معه من
 شَرَطه . وأما أنه لو قرى على سحبان كتابه ، وانحدر على نهره عُبابه ، وملأت
 مسامعه أطنابه وأسبابه ، ما قام في بيانه ولا قعد ، ولنزل عن مقامه الذي إليه
 صعد ، ولا خَلَفَ من بلاغته ما وعد . لَعَمْرُكَ ما كان بِشَرِّين المعتمر يتقنن
 للبلاغة فنونًا ، ولا يتتَبَّلُها بدلونًا ومُتَوْنًا ، ولا أبو العتاهية يُشْرِطُها كلامًا
 موزونًا ، ولا نَمِقُ الحَسَنُ بن سهل الألفاظ ، ولا رَفَعَ قسُّ بن ساعدة صوته
 بِمُكَاظ ، ولا أَعَاظ زيدُ بن علي . هشامًا بما أَعَاظ . وأما مكارمه فكما
 انسَكَب الغيث عن ظلاله وخرج المودقُ من غلاله ، فتدارك النعمة عن فوتها ،
 وأحيا الأرض بعد موتها . ذلك الشريف الأجلُّ ، الوزير الأفضَل ، أبو طالب
 ابن القُرشيِّ الزُّهري ، أدام الله اعتزازه ، كما رَقِمَ في حُلَمِ الفخر طِرَازَه ، فاجتمعت
 به السيادة بعد افتراقها . وأشرق وجه الأرض لإشراقها ، والنفتُ الشاب

باليثاب ، وُضِمَ الرُّ كَابُ بالرُّ كَابِ ، ولا عهدُ كأيام الشباب ، فوصل القريب
 البعيد ، وهنوه كما جرت العادة بالعيد ، فوقت مع رِ كَابِه وسَلَّمَت ، وجرت كلاماً
 وبه تَسَكَّلَمَت ، فقلت تَقَبَّلَ اللهُ سَعِيكَ ، ورَزَّكِي عَمَلِكَ ، وبلَّغَكَ فيما تودُه أَمَلَك ،
 ولا تأملتَ وجهاً من الشُّرور إلا تأمَلَك ، ونَفَعَكَ بما أوليت ، وأجزلَ حَقَّكَ
 على ما صُمَّت وصَلَّيت ، ووافَقْتكَ لعلَّ وساعدتك لَيْت ، وهناك عيد الفطر
 وهنَّاتُه ، وبداك بالمسرات وبدأته ، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأته . وهكذا
 بحول الله أعيادُ واعتياد ، وعمرُ في دوام ، وعزٌّ في ازدياد ، والشَّنة تفصح
 بفضلِكَ إفصاح الخطباء من إِياد ، وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضُّحا ، ودَام
 الفِطْر والأضحى (١) .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة ، وتردَّد إليها غير ما مرة ، وأقام بها ، وامتدح ابن أضحى (٢)
 وابن هاني ، وابن سعيد وغيرهم من أهلها . قال ابن سعيد في « طالعهِ » (٣) ، وقد
 وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة ، واجتماعه بجنته بقرية الزاوية (٤) من خارجها ،
 بترهون القليعية الأديبة ، وما جرى بينهما ، وأنها قالت له بعقب ارمجال بديع ،
 وكان لبس غِفَاوَة صفراء ، أحسنت يا بقره بنى إسرائيل ، إلا أنك لا تُسَرُّ
 الناظرين ، فقال لها إن لم أُسَرِّ الناظرين ، فأنا أُسَرُّ السامعين ، وإنما يُطلب سرور

(١) وردت هذه الرسالة التي قيلت في شوال ، في مخطوط الإسكوريال فقط ، (لوحه ٥٧-٥٩)

ولم ترد في « الزيتونة » .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى ، وهو أحد ثوار الأندلس ، في أواخر عهد

المرابطين . وقد ثار بغرناطة في سنة ٥٣٩ هـ ولكنه لم يستطع الصمود ضدَّهم ، فاعتصم بالقصبة وتوفى

سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) .

(٣) سبق التعريف بابن سعيد ، و« طالعهِ » أى كتابه (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) .

(٤) الزاوية هي قرية صغيرة تقع على مقربة من غرناطة . وبالإسبانية La Zubia

الناظرين منك ، يا فاعلة يا صانعة . وتمسك السكر من ابن قزمان ، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة ، فما خرج منها إلا وثيابه تقطر ، وقد شرب كثيراً من الماء ، فقال إسمع يا وزير ثم أنشد :

إيه أبا بكر ولا حَوَل لى بدفع أعيان وأنذال
وذا تَجْرُحٍ واسع دافق بالماء يحكى حال أذبال
غرقتنى فى الماء يا سيدى كغفره بالتفريق فى المال

فأمر بتجريده ، وخلع عليه ما يليق به [ولم يمر]^(١) لهم بعد عهدهم بمثله . ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة ، إلا بعد ما أجزل له من الإحسان ، ومدحه بما هو فى ديوان أزعج له .

محدثه

جرت عليه بابن حمدين^(٢) محنة كبيرة ، عظم لها نكاله ، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفاً بها ، وحادثة شقي بسببها . وقد ألم الفتح فى قلايده بذلك ، واختلت حاله بآخرة ، واحتاج بعد انفصال أمر مخدمه الذى نوه به . توفى بقرطبة لليلة بقيت من رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة . رحمه الله .

محمد بن غالب الرضاوى

يكنى أبا عبد الله ، بلنسى الأصل ، سكن غرناطة مدة ، ثم مالقة

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (ومر) والأولى أرجح وبها يستقيم المعنى .

(٢) هو القاضى أبو جعفر بن حمدين قاضى قرطبة . ثار بقرطبة عندما ضعف أمر المرابطين

فى سنة ٥٣٩ هـ ، وأعلن نفسه أميراً عليها واستمرت رياسته بها نحو عام . ثم تغلب عليه ابن غانية قائد المرابطين . وجرت له بعد ذلك خطوط لا يتمكن خلالها من استرداد رياسته . وتوفى سنة ٥٤٦ هـ .

حاله

قال الأستاذ^(١) ، كان فحلاً من فحول الشعراء ، ورئيساً في الأدباء ، عفيفاً ، ساكناً ، وقوراً ، ذا شمت وعقل . وقال القاضي^(٢) ، كان شاعراً مجيداً ، رقيق الغزل ، سلس الطبع ، بارع التشبيهات ، بديع الاستعارات ، نبيل المقاصد والأغراض ، كاتباً بليغاً ، ديناً ، وقوراً ، عفيفاً ، متفقها ، على المهمة ، حسن الخلق والخلق والسمت ، تام العقل ، مقبلاً على ما يعنيه من التعميش بصناعة الرقي^(٣) التي كان يعالجها بيده ، لم يبتذل نفسه في خدمة ، ولا تعرض لانتجاع بقافية ، خلا وقت سكناه بقرنطة ، فإنه امتدح واليها حينئذ ، ثم نزع عن ذلك ، راضياً بالتحول حالاً ، والقناعة مالاً ، على شدة الرغبة فيه ، واغتنام ما يصدر عنه .

أخبار عقله ومسكونه

قال الفقيه أبو الحسن شاكر بن الفخار المالقي ، وكان خبيراً بأحواله : ما رأيت عمرى رجلاً أحسن شمتاً ، وأطول صمتاً ، من أبي عبد الله الرصافي . وقال غيره من أصحابه ، كان رفاه ، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد . وقال أبو عمرو ابن سالم ، كان صاحباً لأبي ، ولقيته غير مارة ، وكان له موضع يخرج إليه في فصل المصير ، فكنت أجتاز عليه مع أبي فآلم يده ، فربما قبّل رأسه ، ودعاني ، وكان أبي يسأل الدعاء فيخجل ، ويقول أنا والله أصغر من ذلك . قال ، وكان بإزايه أبو جعفر البكديسي . وكان متوقفاً لخطاير ، فربما تسكلم مع أحد التجار ، فكان منه هفوة ، فيقول له جلساؤه ، شتان والله بينك وبين أبي عبيد الله في العقل والصمت ، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها . فما يزيد على التبسّم .

(١) الأستاذ هنا ، يعني الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (مسألة الصلاة) .

(٢) القاضي يقصد بها هنا ، القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب «الدين والتكملة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (الرفو) .

فلما كان أحد الأيام، جاء البانسي ليفتح دكانه . فتمعد إلقاء العلق من يده ، فوق
على رأس أبي عبد الله . وهو مقبل على شغله ، فسأل دمه ، فما زاد على أن قام
ومسح الدم ، ثم ربط رأسه ، وعاد إلى شغله . فلما رأى ذلك منه أبو جعفر ترمى
عليه ، وجعل يقبل يديه ، ويقول ، والله ما سمعت برجل أصبر منك ،
ولا أعقل .

شعره

وشعره لا نهاية فوفه رونقا ومائية ، وحلاوة وطلاوة ، ورقة ديباجة ، وتمكن
الفاظ ، وتأصل معنى . وكان رحمه الله ، قد خرج صغيرا من وطنه ، فكان أبداً
يكتر الحنين إليه ، ويقصر أكثر منظومه عليه . ومحاسنه كثيرة فيه ، فن
ذلك قوله :

خليلي ما لليد قد عبيت نثرا	ومارؤوس الركب قد رجعت سكرًا
هل المسك مفتوتا بدرجة الصبا	أم القوم أجروا من بانسية ذكرا
خليلي عوجا بي قليلا فإنه حديث	كبرد الماء في الكبد الحرا
قفا غير مأمورين ولتصدّيا	على ثقة للوزن فاستسقى النظرا
بجسر معان والرصافة إنه على القطر	أن يسقى الرصافة والجسرا
بلادى التي ريشت قويد متى بها	فريحا وأورثنى قرارتها وكرا
فبادى أنيق العيش في ريق الصبا	أبي الله أن أنسى اغترارى بها غرا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها	ولسكن عرينا من حلاه ولم تعرا
أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذى	طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا
محل أغر العهد لم نبذ ذكره	على كبد إلا امترى أدمعا خرا
أكل مكان كان في الأرض مسقطا	لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا
ولا مثل مدحوخ من المسك تربة	تلى الصبا فيه حقيقها عطرا

نباتٌ كأنَّ الخلدَ يحملُ نوره
وما كتر صيغِ المجرَّة جَلَّتْ
أنيقُ كريَّان الحياة التي خلَّتْ
وقالوا هل الفردوس ما قد وصفته
بلنسيَّة تلك الزُمردة التي
كأنَّ عروساً أبدع الله حسنُها
يويده منها شمسُ عمانية الضحى
ترأجم أنفاس الرياح بزهرها
وإن كان قد مدَّت يدُ البين بيننا
هي الدرة البيضاء من حيث جدتها
خليلي أن أصدر لها فإنها
ولم أطوِّعها الخلو هجرًا لها إذا
ولكن إجلالاً لترتبتها التي
أكارمُ عاث الدهر ما شاء فيهم
هجوُّع بيطن وأرضٌ قد ضرب الردى
تقصوا فن نجم سالك ساقط
ومنَّ سابق هذا إذا شا غايَةً شا
أناسٌ إذا لاقت من شيت منهم
وقد درجت أعمارهم فتعلموا
ثلاثة أيجاد من النفر الألى
تسكَّتهم تسكلاً دهمي العين والحنى
كفى حزناً أنى تباعدت عنهم

تخال لجيناً في أعاليه أو تبرا
نواصيه الأزهار واشتبتك زهرا
طليقُ كريَّمان الشباب الذى مرّا
فقلت وما الفردوس فى الجنة الأخرى
تسيل عليها كل لؤلؤة نهرى
فصير من شرخ الشباب لها عمرا
مضاحكة الشمس البهيرة والبحرا
نجوماً فلا شيطان يُغرِّبها ذعرا
من الأرض ما يهوى المجدبة شهرا
أضاعت ومن للدر أن يشبه الدررا
هى الوطن المحبوب أو كلته الصدرا
فلا لثمت لعلى مساكنها الخضرى
تضم فتاها الندب أو كهلها الحررا
فبادت لياليهم فهل أشكى الدهرا
عليهم قبيبات فويق الترى غبرا
أبى الله أن يرعى السماك أو الذئبرا
وغير محمود جياذ العلى خضرى
تلقوك لا غث الحديث ولا غمرا
هلال ثلاث لو شفا رقى أو بدرا
زكوا خبراً بين الورى وزكوا خبرا
فعبر ذا أمّا وسجر ذا جمرا
فلم ألق من سرى منها ولا سورا

لِيُظْمَرُ لِي خَيْرًا تَأْبِطُ لِي شِرا
فَيَسْبُغُنِي بِمَا يَقْصِمُ الظُّمَرُ ——— را
وَسَا كُنْ قَصْرٍ أُخْرَى مَسْكَنُهُ الْقُبْرَا
سَنَاءً كَمَا يَسْتَقْبِلُ الْأَرْقُ الْفَجْرَا
وَلَمْ يَنْقَاسِ الْجُودُ أَصْرَمَ أَمْ أَثْرَا
أَنَامَلَهُ لَا بَلْ هُوَ أَطْلَعَهُ الْغُرَا
مَخْطُئِي بِهِ فِي الْبَرْدِ خَطِيئَةَ سَمْرَا
خَلَّاقُ هُنَّ الْخُمْرُ أَوْ تَشْبَهُ الْحَمْرَا
مُحْيَاهُ فِي وَجْهِ الْأَصِيلِ لَمَّا أَصْفَرَا
لَمَنْ بَلَّ فِي شَفَرِي ضَرْحٍ لَهُ شَفْرَا
طَوَّيْنِ عَنِ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرَا
تَرَى مَبْسَمَ النُّوَارِ عَنَبَرٍ مُعْتَرَا
إِذَا مَا جَعَلْتَ الْبُعْدَ عَنْ قُرْبِهِ عُدْرَا^(١)

وإلى متى أَسْلُ بِهِمْ كُلَّ رَاكِبٍ
أَبَاحُهُ عَنْ صَالِحَاتٍ عَهْدُهَا هُنَا
مُحْيَا خَلِيلٍ غَاضَ مَاءَ حَيَاتِهِ
وَأَزْهَرَ كَالْإِصْبَاحِ قَدْ كُنْتُ أَجْتَلِي
قَتَى لَمْ يَكُنْ خِلْوُ الصَّفَاتِ مِنَ النَّدَى
يَعْرِفُ مَا بَيْنَ الْبِرَاعَةِ وَالْقَنَا
طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ لِأَنْ كَانَمَا
سَقَتْهُ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ أَرْحِيَةِ
وَنَشَرُ مُحْيَا لِلْمَكَارِمِ لَوْ سَرَتْ
[هَلِ السَّعْدُ إِلَّا حَيْثُ حَطَّ صَعِيدُهُ
طَوَّيْنِ اللَّيْلِ طَيِّبَيْنِ وَإِنَّمَا
فَلَا حُرْمَتِ سَقِيَاهُ أَدْمَعُ مُزْنَةٍ
وَمَا دَعْوَتِي لِلْعَزْزِ عُدْرًا لِدَعْوَتِي

وقال برني أبا محمد بن أبي العباس بمالقة :

أَبْنَى الْبَلَاحَةِ فِيمَ حَفْلُ النَّادَى
أَمَّا الْبَيَانُ فَقَدْ أَجَرَ لِسَانَهُ
عَرَّشَتْ سَمَاءُ عَلَايَكُم مَّا أَنْتُمْ
حُطُّوا عَلَى عُمْدِ الطَّرِيقِ فَقَدْ خَيَّمَتْ
مَا فُلَّ لَحْزَمُهُ الصَّقِيلُ وَإِنَّمَا
إِيهِ عَمِيدُ الْحَيِّ غَيْرُ مُدَافِعِ
مَا عَنَدَ سِلَاحِي كُنْتُ عِقْدَ نَظَامِهِ
هَبَّهَا عُكَّازُ فَاثِنٍ قِسْ أَيْادِ
فِيكُمْ بَقْنَتُكَ الْخَمَامُ الْعَادِ
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّهَابِ الْهَادِي
لَأَلَى ذَاكَ السَّكُوبِ الْوَقَادِ
نُزْتُ كُوبَ قَنَاكَ الْمَنَادِ
إِيهِ فِدَى لَكَ غَابِرُ الْأَجَادِ
إِنْ لَمْ يَصِرْ بُرْدًا إِلَى الْأَبَادِ

(١) الأبيات المحصورة بين النفاختين ، واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

حيث الزمان عليك شكلاً أن يرى
 يومى بأنجمه لما قلده
 كشف الحجاب فما ترى متفضلاً
 ألم بربعك غير مأمور فقد
 خبراً يبلغه إليك ودونه
 قد طأطأ الجبل المنيف قداله
 أعد التفاتك نحونا وأظنه
 وامسح لنا عن مقتلتيك من الكرى
 هذا الصبح ولا تهب إلى
 وكأنما قال الردى تمّ وادعاً
 أموسداً تلك الرخام بمرقد
 خصيت بقدرك حفرة فكانها
 وثر جنبك من أثار تخيم
 يا ظاعناً ركب الشرى في ليلة
 أعزز عايننا أن حططت بمنزل
 جار الأفراد هنالك جيرة
 الساكنين إلى المعاد قبا بهم
 من كل ملقبة الجراب بمضرب
 بمرس السفر الألى ركبوا
 سريان فيهم ليلة ونهارها
 لحق البطون من اللعب على الطوى
 لله هم فلشد ما نفصوا من

من طول ليل في قيص جداد
 من درّ الفاظ وبيض أباد
 في ساعة تصفى به وتناد
 غصّ الفنا بأرجل القصاد
 أمن العداة وراحة الحساد
 للجبار بعدك واقشعر الواد
 مثل الحديث لديك غير معاد
 نوماً تكابد من بكنى ومهاد
 متى طال الرقاد ولات حين رقاد
 سبقت إلى البشرى بحسن معاد
 أخشين به من مرقد ووساد
 من جوفها في مثل حرف الصاد
 ترّب ندّ وصفاح أنصاد
 طار الدليل بها وحاد الحاد
 تبيل عن الزوار والعواد
 سقياً لتلك الجيرة الأفراد
 منشورة الأطناب والأغداد
 ناب اليملى فيه عن الأوتاد
 الشرى بجهولة الغايات والآماد
 ما أشبه التأويب بالإستاد
 وعلى الرّواحل غنفوان الزاد
 أمتعة الحياة في حقايب الأجساد

إيه عن الكذبة البيضاء إن لها
 راوح بها السهل من أكنافها
 وانضح نواحيها من مقلتيك وسل
 وقل لسرحتك يا سرحة كرممت
 يا عذبة الماء والظل انعمي
 ما ذا على ظلك الألمي وقد قلصت
 أهكنا تنقضي نفسي لديك ظمأ
 لولاك يا سرح لم يبق الفلا عطلا
 ولم نبت تنقاضي من مدامعنا
 إنا إذا ما تصدى من هوى طلل
 مستعطفين سخييات الشتون له
 سكي تخيلتك الريا بأية ما
 عن فتية نزلوا على سرارها
 محافظين على العليا وربما
 حتى إذا ما قضا من كأسها وطرا
 را حواروا حآ وقد ريدت عما بهم
 لا يظهر الشكر حالا في ذوايهم
 المنزلين التواني من معاقلها
 ومن مقطوعاته قوله :

دعاك خليل والأصيل كأنه
 إلى شط منساب كأنك مأوه
 عليل يقضى مدة الزمن الباق
 صفا ضميرا وعذوبة أخلاق

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

ومَهْوَى جَنَاحٍ لِلصَّبَا يَمْسَحُ الرُّبَا
وفَتَيَانُ صَدَقِ كَالنَّجُومِ تَأَلَّفُوا
على سَينِ رَاحِ البرقِ في الجَوْمِ مُعَمَّاءَ
وجالَتِ بَعِينِي في الرِّياضِ التَّفَاقَةُ
على سَطَرِ خَيْرِي ذِ كَرْتِكَ فَاثْنِي
وَقِفْ وَقَفَةً المَحْبُوبِ مِنْهُ فَإِنِهَا
وَصِلْ زَهْرَاتِ مِنْهُ صَفَرُ كَأَنِهَا
وَقَالَ وَكَلَّفَهَا فِي حَايِكَ [وهو بديع] (١).

قَالُوا وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي جِهَةِ عَدَلُ
فَقُلْتُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي فِي الصُّبَابَةِ لِي
فِي كُلِّ قَلْبٍ عَزِيزَاتٍ مُدَلِّلَةً لِلْحُسْنِ
عَلَّقْتُهُ حَبِيبِي الثَّغْرَ عَاطٍ رُهِ
إِذَا تَأَمَّلْتُهُ أَعْطَاكَ مَلْتَفَتاً
هِيَمَاتٍ أَبْغَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ بَدَلاً
غَزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغَزْلِ جَايِلَةً
جَذْلَانِ تَلْعَبُ بِالمَحْرَاكِ أَمَلَهُ
مَا أَنَّ يَتَنِي تَعْبُ الْأَطْرَافِ مُشْتَغِلاً
ضَرْباً بِكَفِّهِ أَوْ فُخْصاً بِأَخْصِهِ
وَقَالَ:

ومَهْفُفٌ كَالْفَصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
أَضْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَخَدَّدُ (٢) خَدُّهُ

(١) هاتان الكلمتان وردتان في الإسكوريال ، وساقطتان في «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (تحيب) .

وقال :

أدِرْهَا فالغمامة قد أجالت سيوف البرق في لَمَم البطاح
وراق الروض طاووساً بهيئاً تهبُّ عليه أنفاس الرياح
تقول وقد ثنى قُرْحُ عليه ثياب الغيم مُعلَمة النواح
خذوا للصحو أهبتكم فإني أعرْتُ المزن قَادِمَتِي جَنَاح

وقال :

أدِرْهَا على أمر فما نَم من بأس وإن جدَّت آذانها ورقُ الآس
وما هي إلا ضاحكات غمام لواعبُ من وفض البروق بمقياس
ووفد رياح رَعَزَع النهر مدة كما وطيت درعاً سَنَابك أفراس
وقال في وصف مغنٍّ مُحسن :

ومُطَارح مما تحس بنسائه صوتاً أفاض عليه ماء وقاره
يُنِنِي الحمام فلا يروح لوكره طرباً ورزق بنيه في منقاره
وقال يصف جدول ماء عليه سَرَحَة ، ولها حكاية معروفة :
ومَهْدَل الشَّطِين تحسب أنه مُتَسَيِّلٌ ^(١) من درةٍ لصفاه
فاعت عليه مع العَشِيَّة ^(٢) سرحة صدئت لفيئتها صفيحةُ ما به
فتراه أزرَق في غِلالة مُنْمرة كالذَّارِع استلقى بظلِّ لوابه ^(٣)

نثره

قال من مقامة يصف القلم :

قصير كالأنابيب لكنه يطول مضاً طَوَال الرِّمَاح
إذا عبَّ للنفس في دَامِسٍ ودبَّ من الطُّرس فوق الصَّفَاح
تجلَّت به مُشكلات الأمور ولان له الصعب بعد الجَاح

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (متسائل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (الهجرة) .

(٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .

فلولا هو ^(١) لغدت أغصان الا كتساب ذاوية ^(٢)، وبيوت الأموال خاوية،
 وأسرعت إليها البومى، وأصبحت كفراد أم موسى، فهو لا محالة تجرُّها الأربع،
 وميزانها الأرجح. به تُدرُّ البانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها،
 وهو رأس مالها، وقطبُ عُملها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها،
 ومحكم في طيها ونشرها، وهو قطب مدارها، وجهينة أخبارها، وسرُّ اختيارها
 واختبارها، ومظهر مجدها ونغارها، يعقد الرايات لكل وال، ويمنحهم من
 اللبنة كل صافية المقييل، ضافية السربال، يُطفى جَمرة [الحرب] ^(٣) العوان،
 ويكايد العدو بلا صارم ولا سينان، يُقدُّ المفاصل، ويتخلل الأباطح والمعازل،
 ويقمع الحوasd والمواذل.

وفاته : توفي بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقيت من رمضان سنة اثنين
 وسبعين وخمسماية. وقبره مشهور بها.

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها

حاله

كان ليبيالودعيا. جامعاً لخصال، من خطِّ بارع وكتابة، ونظم، وشرنخ،
 إلى نادرٍ حار، وخاطر ذكي، وجُرأة. توجه إلى العدو، وارتسم بها طبيبا،
 وتولى النظر على المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة وخمسين وسبعمائة

شعره

أنشدني بمدينة فاس عام ستة وخمسين، في وُجْهتي رسولا إلى المغرب، قوله
 في رجل يقطع في الكاغد:

(١) هكذا في الإسكوريال «والزيتونة». وهي مقابل الرسم الحديث (فلولاه).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال، (خاوية) وهو تحريف.

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال.

أبا على حَسِينِسا
 قد بين الدمع وجدى
 أين الوفا منك أينما
 وأنت تزداد زينما
 بليت لحاظك قلبي
 تا لله ما قلتُ مينما
 قط المقص لهذا
 سبب الصب مينما
 بقيت تقرر حُسنا
 ودمتَ تزداد زينما

وقال أيضاً :

فَصُلُّ التجارات باد في الصناعات لولا الذى هو فيها هاجر عات
 حاز الجمال فأعيانى وأعجزنى وإن دعيت بوصاف ونعات
 وكان شديد المغالطة ، ذاهباً أقصى مذاهب القحة ، يحرك من لا يتحرك ، ويغضب
 من لا يغضب . عتب يوماً جدته على طعام طبخته له ، ولم يستطع به ، وكان بين يديه
 [القَط] يصدعه بصياح طابه ، فقال له ضجراً ، خمسمائة سوط ، فقالت له جدته
 لم تعط هذه السياط للقط ، إنما عنيتني بها ، وأعطيتها باسم القط ، فقال لها حاش
 لله يا مولاتى ، وبهذا البخل تدرينى أو الزحام عليها ، بل ذلك للقط حللاً طيباً ،
 ولك أنت ألف من طيبة قلب ، فأرسلها مثلاً ، ومازلنا نتفكك بذلك ، وكان
 في هذا الباب لا يشق غباره .

مولده : بمالقة عام ثلاثة وسبع مائة .

وفاته : بعث إلى الفقيه أبو عبد الله الشديد ، يعرفني أنه توفي في أواسط عام
 مائة وخمسين وسبع مائة .

محمد بن سليمان بن القصير

أبو بكر ، كاتب الدولة الأمتونية ، وعلم وقته .

حاله

قال ابن الصيرفي^(١) الوزير الكاتب ، الناظم ، النائر ، القايم بعمود الكتابة ، والحامل للواء البلاغة ، والسابق الذي لا يُشَقُّ غباره ، ولا تخمد أبداً أنواره . اجتمع له براعة النثر ، وجزالة النظم ، رقيق النسيج ، حصيف المتن ، رُقمته ماشيت في العين واليد . قال ابن عبد الملك ؛ وكان كاتباً مجيداً ، بارع الخط ، كتب عن يوسف بن تاشفين .

مشيخته

روى عن أبي الحجاج الأعلم ، وأبي الحسن بن شريح ، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم ، لقيه بمرّاكش .

شعره

وهو عندي في نمط دون ما وُصف به . فمن ذلك قوله من قصيدة أنمى فيها على ابن ذى النون ، ومدح ابن عباد ، عند خلع ابن جهور ، أبي الوليد ، وتصيير قرطبة إليه :

فسل عنه أحشاء ابن ذى النون هل	سرى إليهما سكون منذ زلزلها الذعر
وهل قدّرت مذأ وحشته طلايع	الظهور عليه أن تؤنسه الحمر
[ألم يحن يحى من تعاطيك ظله	سجالك هيهات الشهى منك يابدر
لجارك واستوقيت أبعد غاية	وأخره عن شأوك السكف والعثر
فأحرزت فضل السبق عفواً	وكفه على رنحه مما توهمه صفر
وياشد ما أغرته قرطبة وقد	أبشرتها خيلنا فكان لك الدر ^(٢)

(١) ابن الصيرفي ، مؤرخ الدولة المرابطية . سبق التعريف به .

(٢) الأبيات الأربعة التي بين الحاصرتين ساقطة في «الزيتونة» .

ومنها :

[أَتَتِكَ وَقَدْ أَرَزَى بِبَهْجَةِ حُسْنِهَا وَلَا لِأَنِّهَا مِنْ جَوْرِ مَالِكِهَا طَعْرُ
فَالْبِسْتَهَا مِنْ سَائِغِ الْعَدْلِ حَلَّةً زَهَاهَا بِهَا تَبَهُ وَغَاظَهَا كِبَرُ
وَجَاءَتْكَ مَتَفَالًا فَضَمَّخَ حَيْبَهَا وَازْدَانَهَا مِنْ ذِكْرِكَ الْمُعْتَلَى عَطْرُ
وَأَجَرِيتَ مَاءَ الْجُودِ فِي عَرَصَاتِهَا فَرَوْضَ حَقٍّ كَادَ أَنْ يُورِقَ الصَّخْرُ
وَطَابَ هُوَا أَفْقَهَا فَكَانَهَا نَهَبٌ نَسِيماً فِيهِ أَخْلَاقُكَ الزُّهْرُ
وَمَا أَذْرَكَهُمْ فِي هَوَاكَ هَوَادَةً وَمَا أَثْمَرُوا إِلَّا لِمَا أَمَرَ الْبَرُّ
وَمَا قَلْدُوكَ لِأَمْرِ إِلَّا لَوَاجِبَ جَنَّتَهُ فِيهِ الْمُجْرِبُ وَالْغَمَرُ
وَبَوَّأَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ مَعْقِلًا حَرَامٌ عَلَى الْأَيَّامِ إِلِمَامُهُ حَبَرُ
وَأَوْرَدَهُمْ مِنْ فَضْلِ سَيِّبِكَ مُورِدًا عَلَى كَثْرَةِ الْوَارِدِ مَشْرَعُهُ غَمَرُ
فَلَوْلَاكَ لَمْ تُفْصَلْ عُرَى الْإِضْرَ عَنْهُمْ وَلَا انْفَكَ مِنْ رَبِّقِ الْأَذَى لَهُمْ أَسْرُ
أَعَدَّتْ نَهَارَ لَيْلِهِمْ وَلَطَالَمَا أَوَامُهُمْ نَجْمُ اللَّيْلِ فِي أَفْقِهِ الظَّهْرُ
وَلَا زَلَّتْ تَوْبِهِمْ إِلَى ظِلِّ دَوْحَةٍ مِنْ الْعَزِّ فِي أَرْحَابِهَا النَّعْمُ الْخَضِرُ^(١)

كِتَابُهُ

وهي من قِلَّةِ التَّصْنُوعِ وَالْإِخْشِوْشَانِ ، بِحَيْثُ لَا يَخْفَى غَرَضُهَا . وَلِسَكُلِ زَمَانٍ
رِجَالَهُ . وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تُزِينُهَا السَّنَادُجَةُ ، وَتَشْفَعُ لَهَا الْفَضَاضَةُ . كَتَبَ عَنْ الْأَمِيرِ
يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينٍ وَلَايَةَ عَهْدِهِ لَوْلَدِهِ :

« هَذَا كِتَابُ تَوَلِيَّةٍ عَظِيمٍ جَسِيمٍ ، وَتَوْصِيَةٍ حَمِيمٍ كَرِيمٍ ، مُهْدَتْ^(٢) عَلَى
الرِّضَا قَوَاعِدِهِ ، وَأُكْدِتْ بِيَدِ^(٣) النُّقُوصِ [مَوَاعِدِهِ]^(٤) وَمَعَاقِدِهِ ، وَسُدَّتْ

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال . وساقطة في « الزيتونة » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنيت) وفي نص آخر (صدرت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (على) .

(٤) الزيادة من « الزيتونة » .

إلى الحُسنى مقاصده ، وأبعدت عن [الهوادة والحوى] ^(١) . صادرة وموارده .
أنفذه أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله
أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه منه ، ويرضى به عنه عمره ، غير مُحابٍ ،
ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين ، مَوْضِعُ أَرْتِيَابِ أَرْتَابٍ ، للأمير
الأجل أبي الحسن على ابنه ، المُتَقَبِّلُ هَمَّةَ وشِيَعِهِ ، المُتَأَنِّلُ حِلْمَهُ وتَحْلُمَهُ ، الناشئ
في حِجْرِ تَقْوِيهِ وتَأْدِيبِهِ ، المتصرف بين يدي تخريجهِ وتذريبهِ ، أدام الله عزه
وتوفيقه ، ونهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه ، وقد تهمم بن تحت عصاه من
المسلمين ، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين] ، ولم ير أن يتركهم بعد
سُئى غير مدينين ^(٢) . واعتماد في النُّصَابِ الرفيع ، واختار واستنصح أولى
الرأى والدين ، واستشار فلم يوقع ^(٣) . بعد طول تأمل ، وتراخي مدة ، وتمثل
اختياره ، واختبار من فاضله في ذلك من أولى التقوى ^(٤) . والخسكة واستشارة
الأعلية ، ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلا إليه ، ولا التقى رؤاد الرأى
والنشاور إلا لديه . فولاه عن استحكام بصيرة ، وبعد طول مشورة ، عهده ، وأففى
إليه الأمر والنهى ، والتبضُّ والبسط [عنده] ^(٥) . بعده ، وجعله خليفته السَّاد
في رعاياه مسَّده ، وأوطأ عقبيه جماهير الرجال ، وناط به مهمات الأمور والأعمال ،
وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سَمَتِ العدل وحُكْمِ الكتاب
والسُّنة ، في أحد عصا أو أطاع ، ولا ينام عن حُماهِ ^(٦) الخيف والخوف بالاضطجاع ،
ولا يتلَّين دون معان شكوى ، ولا يتصام عن مُستصرخ لذى بَلْوى ، وأن ينظم

(١) وردتا هكذا في الإسكوريال . ومكانهما في « الزيتونة » (الحوادث) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (يوافقه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (التقى) .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (جملة) .

أقصى البلاد وأدناها في سلك تدبيره ، ولا يكون بين القريب والبعيد بؤن في إحصائه^(١) وتقديره . ثم دعا أدام الله تأييده ، لمبايعته ، أدام الله عزه ونصره ، من حضر ودنا من المسلمين ، فلبّوا مسرعين ، وأتوا مُهْطِينَ ، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرّعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة ، وال التزام سنن^(٢) الجماعة ، وبذل الصيحة جهد^(٣) الاستطاعة ، ومناصفة من ناصفه . ومحاربة من حاربه ، ومكاييد من كايده ، ومُعَانِدَة من عانده ، لا يدّخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة ، ولا يحتجون^(٤) في حالتي الرضا والسخط إلى معذرة . ثم أمر بمخاطبة سائر أهل^(٥) البلاد لمبايعته ، كل طائفة منهم في بلدها^(٦) ، وتمطيه كما أعطاه من حضر ، صفقة يدها ، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بحبل دعوته ، الغايب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة ، وتنام عيون لم تزل مخافة إقذائها مودقة^(٧) ، ويشمل الناس كافة السرور والاستبشار ، وتمكن لديهم الدعة ، ويتمهّد القرار ، وتنشأ لهم في الصلاح آمال ، ويستقبلهم جيّد صالح وإقبال . والله يبارك لهم بيعة رضوان ، وصقّة رُجحان ، ودعوة يمين وأمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو ، نعم المولى ونعم النصير . شهد على إشهاد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته ، ولقيه حملة^(٨) عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل ، وأعطى صفقته طائفاً متبرعاً

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (أحكامه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (سنة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (قدر) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (محمجون) والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وطنها) .

(٧) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حملة) .

بها . وبالله التوفيق . وكتب بحضرة قرطبة في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

دخل غرناطة غير ما مرة ، وحُدّه ، وفي ركاب أميره .
توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسمائة ^(١) .

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
من أهل سَرَقِسطَة ، ودخل غرناطة ، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها ،
يكنى أبا الطاهر . وله المقامات اللزوميات المعروفة .

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً ، مُتَمَدِّداً في الأدب ، فرداً ، متقدماً في ذلك في وقته ،
وله المقامات المعروفة ، وشعره كثير مُدَوَّن .

مشيخته

روى عن أبي علي الصّدفي ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ،
وأبي عبد الله بن سليمان المعروف بابن أخت غانم ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي
الحسن بن الباذش ، وأبي محمد عبد الله بن محمد التّجيبى الدّكلى ، وأبي القاسم
ابن صوابه ^(٢) ، وأبي عمران بن أبي تليد ، وغيرهم . أخذ عنه القاضي أبو العباس
ابن مضاء ، أخذ عنه الكامل المُبرّد ، قال . وعليه اعتمد في تَقْيِيدِهِ . وروى
عنه المُقَرّى المُسِين ، الخطيب أبو جعفر بن يحيى السّكتاني ، وذكره هو
وابن مضاء .

(١) وردت في الإسكوريال (وربماثة) . وهو تحريف . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) حكاه في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (صرافه) .

توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادى والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بزمانه لازمه نحواً من ثلاثة أعوام، نفعه الله .

شعره

أيا قمر أتطلع من وشاح	على غضٍ فاخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خيراً	مُعْتَقَةً فَأَسْكِرَ كُلَّ صَاحٍ
وأهدى إذ تهادى كل طيب	كحُوطِ البان في أبدي الرياح
وأحيا حين حيا نفس صَبَّ	غدت في قبضة الحب المتاح
وسوَّغ منه عَتَبَى بعد عتب	وعَلَّى براح فوق راح
وأجنانى الأمانى في أمان	وجُنَحُ الليل مسدول الجناح

وقال أيضاً :

ومَنَعَمَ الأعْزَافُ معسول الأما	ماشيت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرتُ بلبلة من وصله	والصَّبْ غيرُ الوصل لا يشفيه
أنضحتُ وردة خدَّه بنفسي	وظللتُ أشرب ماءها من فيه

وقال أيضاً :

حَكَتِ السَّلاَفُ صفاته بحبابها	من نَفَرِه ومذاقها من رَشْفِه
رتوردتُ حُكَّتْ شقايق خدَّه	وتأرجحتُ فيسِيمِها من عُرْفِه
وصفَّتْ فوق ^(١) أديمها فكأنها	من حُسْنِ رونق وجنتيه ولُطْفِه
لعبتُ بالباب الرجال وغادرت	أجسامهم صَرَعَى كِفَعْلَةِ طَرْفِه

(١) هكذا في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (فرق) وهو تحريف .

« ومن الغرباء في هذا الحرف »

محمد بن حسن العمراني الشريف

من أهل فاس

حاله

كان جهويًا ساذجًا ، خشن البزة ، غير مُرهف التَّجَنُّد ، ينظم الشعر ، ويذكر
كثيراً من مسائل الفروع ، ومعانات الفرائض ، يُجمِّع بها في مجالس الدُّروس ،
تشقى به المدرسون ، على وتيرة من صحة السَّجِّية ، وحسن العهد ، وقلة التصنُّع .
وجرى ذكره في الإكليل : كريم الالتئام ، مستظل^(١) بأغصان الشجرة
السَّماء ، من رجل ، سليم الضمير ، ذى باطن أصفى من الماء النُّير ، له في الشعر طبع
يشهد بعروية أصوله ، ومضاء نصوله .

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين ، وقد أمر له بكسوة :

مَنْحَتْ مُنَحَّتِ النَّصْرُ وَالْعِزُّ وَالرِّضَا	ولازلت بالإحسان له مُقرَضاً
ولا زلت للعَلَمِ جَفَى مُكَلِّمًا	وللإمر للملك العزيز مُقيضاً
ولا زالت الأملاك باسمك تُتَّقَى	وحيشك وفرّاً يَبْلُغُ الأَرْضَ وَالْفِضَا
ولا زلت ميمون النَّقِيبَةِ ظَافِراً	مهيِّباً ووهاباً وسيفك مُقتضاً
تَقَرُّ بِهِ الدِّينُ الْخَنِيفُ وَأَهْلُهُ	وتقمع جَبَّاراً وتهلك مُبَغِضاً
وَصَلَتْ شَرِيفُ الْبَيْتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وخولته أَسْنَى مَرَادٍ وَمُقْتَضَا
وَجَدْتَ بِإِعْطَاءِ اللَّجِينِ وَكُنُودِهِ	سُكُنَى ثَوْباً مِنَ النُّورِ أَيْضَا
وما زالت الأنصار تفعل هكذا	نال على في الزمان الذي مضى

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ ، متظلل .

هم نصروا الهادى وآووا وجدّوا
 نُخْذُ ذا أبا الحجاج من خير مادح
 فقد كان قبل اليوم غاض قريضة
 ونظّمُ القى يسمو على قدر ما يرى
 ومن حِكْمِ القولِ اللّهي مَتَحَ اللّهي
 فلا زال يهديك الشريف قصائدا
 وقال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه ، وخابت لديه وسائل قوافيه :
 الشعر أسنى كلام خُصَّ بالعرب
 وأفضل الشعر أبيات يقدّمها
 فما يُوفى كريمٌ حقَّ مادحه
 المسال يفتنى إذا طال الثّواء به
 وقد مدحتُ لأقوام ذى حسب
 مدحتهم بكلام لو مدحتُ به
 فعاد مدحى لهم هجواً يضدقه
 فكان ما قلتُ من مدحهم كذبا
 وقال فى غرض يظهر من الأبيات ، يخاطب السلطان :
 مالى أرى تاج الملوك وحواله
 فكأنه البازى الصُّبُود وحواله
 يا أيها الملك الكرام جدوده
 أبدلها من بالبيض من صَفِينِها
 عُمِدان لا حلم ولا آداب
 فخرٌ يقلب ريشه وغراب
 أسنى المحافل غيرها أتراب
 إن العبيد محلّها الأبواب

وفاته

توفى فى حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة أو بعد ذلك .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب
قرطبي الأصل ، تولى الولادة والمنشأ ، ابن نعمة وغذى جاه وحرمة

حاله

كان حبيباً فاضلاً كريماً ، سخياً . ورد على الأندلس ، مُفْلِتاً من نسكة أبيه ،
وقد عَرَكَ كَنَّهُ عَرَكَ الرِّحَى لنقلها ، على مَنٍّ من الوفاة والديانة والحماء ، يقوم على
بعض الأعمال النبيلة .

وجرى ذكركه في الإكليل بما نصه : جواد لا يتعاطى طلقه ، وصبح
فضل لا يُبائِل فلقه . كانت لوالده رحمه الله ، من الدول الحفصية منزلة لليفة
الحل ، ومفاوضة في العقد والحل ، ولم يزل يسمو ^(١) به قدم النجابة ، من العمل
إلى الحجابة . ونشأ ابنه هذا ، مَقْضَى الديون ، مُقْدَى بالأنفس والعيون . والدهر ذو
ألوان ، ومارق حرب عوان ، والأيام كُرَات تُتَلَقَّف ، وأهوال ^(٢) لا تتوقَّف ،
فالوى بهم الدهر وأنحى ، وأغام جَوْهم ^(٣) بَعَقَب ما أضحى ، فشملهم الاعتقال ؛
وتعاورتهم الثوب الثقيل ، واستقرَّت بالمشرق رِكابه ، وحطَّت به أقبابه ؛ فنجح
واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر ، وعكف على كتاب الله فجود الحروف ،
[وأحكم الخلف المعروف] ^(٤) وقيد وأسند ، وتكرَّر إلى دور الحديث وتردد ،
وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل . ولما استقر به ^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (تسو) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (أحوال) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جوه) . والتصويب من النفح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النفح (وقرأ المعروف) .

(٥) هكذا في النفح . وفي الإسكوريال (بها) .

قراره ، واشتمل على جفنه غراره ، بادرتُ إلى مؤانسته ، وثابتت على مجالسته .
فاجنلت للسرو شخصاً ، وطالمت ديوان الوفا مُستَقصاً .

شعره

وشعره ليس بحايد عن الإحسان ، ولا غفلٍ من النكت الحسان . فمن ذلك
ما خاطبني به :

يُيَمِّنُ أَبِي عَبْدَ اللَّهِ مُحَمَّدُ يُنَـ	هَذَا الْقَطْرُ وَانْجَمَ الْقَطْرُ
أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَايِهِ	بِحُورِ الدَّيَمِ الْمَدِّ لَيْسَ لَهَا جَزْرُ
وَأَنْسَلَمَا عَدِينَا مَغَانِيَا	إِذَا ذُكِرْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرٍ هَا عِبِرْ
هَنِيئَا بِمَيْدِ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَا جَدِ	كَرِيمٍ بِهِ تَسْمُو السِّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدَمَّتْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ	تُطِيعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْنُو لَكَ الدَّهْرُ

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال :

لَعَلَّ عَفْوَكَ بَعْدَ الشُّحْطِ يَمْشَانِي	يَوْمًا فَيُنْعِشُ قَلْبَ الْوَالِدِ الْعَانِ
مَوْلَايَ رَحْمَاكَ إِنِّي قَدْ عَهْدْتُكَ	ذَا حُلِمَ وَعُفُو وَإِشْفَاكِ وَتَحْنَانِ
فَاصْرِفْ حَنَانَكَ وَاعْظِفْ عَلَيَّ	وَجُدْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تَحْيِي جِسْمِي الْفَانِ
فَقَدْ تَنَاهَى الْأَمْسَى عِنْدِي وَعَذَّبَنِي	وَشَرَّدَ النَّوْمُ عَنْ عَيْنِي وَأَعْيَانِ
وَحَقُّهُ أَلَا يَكُ الْحَسَنَى وَمَالِكُ مِنْ	طَوْلٍ وَفَضْلٍ وَإِنْعَامٍ وَإِحْسَانِ
إِنِّي وَلَوْ حُلْتُ الْبُلُوَى عَلَى كَيْدِي	وَأُسْبِكَتُ فَوْقَ خَدِّ دَمْعِي الْقَانِ
لَوَاتِقُ بَحْنَانٍ مِنْكَ يَطْرُقُنِي	عَمَّا قَرِيبٍ وَعَفْوٍ عَاجِلِ دَانِ
دَامَتْ سَعُودُكَ فِي الدُّنْيَا مَضَاعِفَةٌ	تَنْزِلُ طَوْعًا كُلَّ سُلْطَانِ

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد

ابن سعيد الأنصارى الأوسى

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك، من أهل مراکش، وسكن
غرناطة.

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله غريب المنزع ، شديد الانقباض ، محجوب
المحسن ، تذبو العين عنه جهامة ، وغرابة شكل ، ووحشة ظاهر ، فى طي ذلك
أدب غض ، ونفس حرة ، وحديث ممتع ، وأبوة كريمة ، أحد الصابرين
على الجهد ، المتسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة . وأبوه قاضى القضاة ،
نسيح وحده ، الإمام العالم ، التاريخى ، المتبحر فى الأدب ^(١) ، تقلبت به أيدي
الدهر بعد وفاته لتبعية سلطت على نسبه ، فاستقر بمالقة ، متحارفا مقدورا عليه ،
لا يهتدى لمكان فضله ، إلا من عثر عليه جزافا .

شعره

من لم يصن فى أمل وجهه عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرف به حيث أحل النفس من قصده
ومما خاطبنى به قوله :

وليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه ذى القدر ليس لها بمدرك
وأنشدنى فى ذلك أيضاً رحمه الله عليه :

وليت فقيل أحسن خير وال فعاق مدى مداركها بفضله

(١) الإشارة هنا إلى أبيه القاضى ابن عبد الملك المراكشى صاحب « الذيل والتكملة » .

وكم والِ أساء قبيـــــــــل دنا فحبا نحاسنها بفـــــــــاله
ومما خاطب به السلطان يستعديه على من مكله من العمال ، وعذر عليه واجبه
من الطعام والمال :

مولای نصیراً فكم یضام من ماله غیرك اعتصام
أمرت لی بالخللاص فر لی عنده المال والطعام
فقال ما اعتاده جواباً وحسبی الله والإمام
هذا مقامٌ ولا فمال بغیر مولای والسلام

وفاته

فقد في وقعة على المسلمين من جيش مالقة بأحواز إستبة^(١) في ذى قعدة من
عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة .

محمد [بن خميس]^(٢) بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد

ابن خميس الحجري حَجْرُ ذِي رُعين التلمساني

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله نسيج وحده زهداً وانباضاً ، وأدبا وهمة ،
حسن الشئبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيدا عن الريا

(١) يبدو أن هناك لبساً في إيراد هذا الاسم . لأن إستبة تقع جنوب شرق مدينة إستجة
على مقربة من قرطبة . والظاهر أن المقصود هنا ، هو ثغر إستبونة Estepona الصغير الواقع على
شاطئ البحر المتوسط بين مربلة وجبل طارق ، على مقربة من ثغر مالقة .
(٢) هذه الزيادة في النسبة من الزيتونة . (ج ٢ لوحة ٢٣٩)

والموادة^(١) عاملاً على الياحة والعزلة ، علماً بالمعارف القديمة . مضطاماً بتفاريق النحل ، قائماً على صناعة العربية والأصلين ، طبقة الوقت في الشعر . وخل الأوان في النظم المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ووزج الجزالة بالسلاسة ، ووضع الألفاظ البيانية مواضعها . شديد الانتقا وإلارجا ، خامد نثر الروية ، منافسا في الطريقة منافسة كبيرة . كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان ، ثم فر عنهم ، وقد أوجس منهم خيفة . لبعض ما يجري بأبواب الملوك . وبعد ذلك بمدة ، قدم غرناطة ، فاهتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه ، ومث إليه بالوسيلة العلمية ، واجتدبه بخطبة^(٢) التلميد ، واستقره^(٣) بتأنيسه وبره ، وأقعد له للإقراء بجواره . وكان يروم الرحلة ، وينوى السفر ، والقضاء يُشبطه . حدثني شيخنا الرئيس أبو الحسن بن الجياب ، قال بلغ الوزير أبا عبد الله الحكيم أنه يروم السفر فشق ذلك عليه ، وكلفنا تحريك الحديث بحضرته . وجرى ذلك . فقال الشيخ أنا كالأدم بجامعي ، أتحرك في كل ربيع .

شعره

وشعره بديع . فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر ، ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خطّاب :

مشوق زار ربك يا إماما	محا آثار دمنتها التثام
تتبع ريقه الطل ارتشافاً	فما نفعت ولا نفعتم أواما
وقبل خد وردتها جهارا	وما راعى لضرته إذا ما
وما لحريم بيتك أن يداني	ولا لئلا قدرك أن يساما
ولكن عاش في رسم مغنى	تجشمه سلاماً واستلاماً

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي أزهار الرياض (الهموي) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بمخططة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال ربما قرئت (واستفسره) .

نَفْسٌ رَوْضَةُ الْمَطْلُولِ وَهَذَا شِنْ وَشَمْ رِيَّاهُ فَهَامَا
تَلَقَى طَيْبٌ بِ... تَه (١) حَدِيثًا رَوَتْ مُسْنَدًا عَنْهُ النُّعَامَا
فِيَا نَفْسَ الصَّبَا إِنْ جِيتِ سَاخَا وَلَمْ تَعْرِفِ لِسَا كُنْهَا مَقَامَا
وَأَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ إِلَى حِمَاهَا فَرَدَّتْكَ الْعِرَادَةُ وَالْخِزَامَا
فَلَا تُبْصِرُ بِسَرِّحَتِهَا قُضِيَا وَلَا تُدْعِرُ بِسَرِّحِهَا سَوَامَا
وَعَانِقُ قُرْبَانَتِهَا ارْتِبَاطًا وَصَافِحُ كَفِّ سَوْسِنِهَا التَّرَامَا
وَنَافِحُ عَرَفِ زَهْرَتِهَا كِيَا تَعَاطِكَ مَاءُ رَيْقَتِهَا مُدَامَا
وَيَا بَرْقًا أَضَاءَ (٢) عَلَى أَوَالِ يَمَانِيَا مَتَى جِيتِ الشَّامَا
أَنْغَرِ إِمَامَةً أَنْتِ ابْتِسَامَا أُمُّ الدُّرِّ الْأَوَامِي انْتِظَامَا
خَفَقَتْ بِيْطَانُ وَادِيهَا لَوَا وَنَلَحْتَ عَلَى ثَنِيَّتِهَا حُسَامَا
أَمْشِيهِ قَلْبِي الْمَضَى احْتِدَامَا عَلَى مَذْدَتْ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا
وَلَمْ | أَنْسَهَرْتَنِي وَطَرَدْتَ | (٣) عَنِي خَيَالًا كَانِ يَأْتِينِي لِامَامَا
وَأَبْلَغُ مِنْهُ تَأْرِيقًا لَجَفَى كَلَامُ أَنْخَنِ الْأَحْشَا كِلَامَا
تَعَرَّضْ لِي فَأَيْقِظْتَ (٤) الْقَوَافِي وَلَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا يَوْمًا لِنَامَا
وَقِيلَ وَمَا أَرَى يَوْمِي كَأَمْسِي جَدَعْتَ رَوَاطِبَا وَقَلْبَتِهَا مَامَا
وَجَرَّعْتَ الْعَدُوَّ مُمَحًّا زُعَافَا فَسَكَانَ لِحْسِدِي مَوْتًا زُومَا
دَعَوْتُ زَعِيمَهُمْ ذَاكَ ابْتِيَامَا وَرُعْتُ خَمِيْسَهُمْ ذَاكَ اللَّامَامَا
نَزَعْتُ شَوَاهِ كَبِشَهُمْ نَطَاحَا وَلَمْ أَتْرَكْ لِقَرَمِهِمْ سِنَامَا
أَضَامُ فِي يَدِي قَلْبِي لِمَاذَا أَضَامُ أَبَا سَعِيدِ (٥) أَوْ عَلَامَا

(١) هكذا في الإسكوريال حرفان بينهما بياض .

(٢) وفي نص (أطلر) .

(٣) وفي نص (أسكرتني وصددت) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فأنبطت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي نص آخر (بغير جرم) .

به وبما أذلق من لسانى
وغرام الوزير أبى سعيد
به وبجمله البر انتصارى
أعشمن بن عامر لا تَكْفَى^(١)
وردت فلم أُرِدْ إلا سرابا
قَطَعْتُ الأرضَ طولاً ثم عرضاً
وجا جانبي على كرم ندائم
وذلت للمذامع من إبابي
ومن أدبي نصبتُ لهم جبالا
فلم أَرِ مثل رَبِّعى دار أنس
ولا كآبيه أو كُنَى أبيه
كفانى بآبن عامر خَفَضُ عَيْشٍ
وإني من ولايك فى يَفَاعٍ
ومن شعره رحمه الله قوله :

تُراجِع من دنياك ما أنت تارك
تؤمل بعد الترك رجوع وِدادها
حلالك منها ما خلا^(٢) لك فى الصِّبا
تظاهر بالشَّلوان عنها تَجَمُّلا
وتَسَلَّها^(٣) العُتَيِّ وهامى فارك^(٤)
وشر وداد ما تود الترائك
فأنت على حُلوايه متهاك
فقلبك محزون وشرُّك ضاحك

(١) وردت هذه الشطرة فى نص آخر كالآتى (خليل إن قدرت فلا تكلمى).

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (تسألها).

(٣) ورد فى خطوط الإسكوريال (اللوحة ٦٨ فى أسفل الصفحة) ما يأتى : الفرق بفض

المرأة زوجها ، وقد فرقته تفرقه فهى فارك .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (حلا) والأول أرجح .

تزهتُ عنها نَحْوَةٌ لا زهادة
 ليالى تُغْرِى بى وإن هى أَعْرَضَتْ
 غصون قُدُودٍ فى حِفافِ رِوَادِفِ
 تُطَاعِنُنِي مِنْهُنَّ فى كُلِّ مَلْعَبِ
 وَكَمْ كَلِمَةٍ فِيهَا هَتَكْتُ وَدُونَهَا
 وَلَا خِدْنٌ إِلَّا مَا أَعَدْتُ رَدِينَهُ
 تُضِلُّ فُؤَادَ الْمَرْءِ عَنْ قَصْدِ رَشْدِهِ
 وَفِي كُلِّ سِنٍّ لَابِنِ آدَمَ وَإِنْ تَطَلَّ
 وَإِلَّا فَسَالَى بَعْدَ مَا شَابَ مَقَرِّقِي
 أَجُوبَ إِلَيْهَا كُلِّ بَيْدَاءٍ مَخْلُوقِ
 وَاسْتَرْشِدَ الشَّهْبُ الشَّوَابِكِ جَارِ
 نُهَازِرِ أَمْثَالِ الْجِيَادِ تُوُودَةً
 ظِلًّا ، وَمَا غَيْرَ السَّمَاءِ مَوْرِدِ
 ذُو أَهْلٍ عَنْ عَضِّ الرِّجَالِ ظُهُورَهَا
 إِذَا مَا نَبَاعَنَ سُنْبُكَ الْأَرْضِ سُنْبُكَ
 تَقْدُهُ بِنَا فِي كُلِّ قَاعٍ وَفَدَقْدِ
 فَأَمَامُهَا رَى كَالسَّحَابِ مَوَالِيعِ
 قِلَاصٍ بِأَطْوَافِ الْجَدِيلِ بِوَالِيعِ
 تَرَامِي بِهَا لَيْدَ الثُّنُوقِ كُلِّ مُرْتَمِي
 وَكَمْ مَنْزِلَ خَلِيقَتِهِ لَطَالِبَهَا

وَشَعْرَ عِذَارِي أَسْوَدُ اللَّوْنِ حَالِكِ
 زَنَابٍ مِنْ ضَوَائِهَا وَعَوَانِكِ
 تَمَائِلُ مِنْ ثِقَلٍ بَيْنَ الْأَرَايِكِ
 تُدْبِي كَأَسْنَانِ الرِّمَاحِ فَوَانِكِ
 صُدُورُ الْعَوَالِي وَالشَّيُوفِ الْبَوَانِكِ
 لَطَالِمًا أَوْ مَا تَحْيِرُ هَالِكِ
 فَوَاتِرُ الْخَاطِطِ لِلظُّبَا الْفَوَانِكِ
 سَنُوهُ طِبَاعِ جَمَّةٍ وَعَوَايِكِ
 وَأَعْجَزُ رَأْيِي عَجَزُ مَنْ الرُّكَارِكِ
 تَرَاقِقِي فِيهَا الرِّجَالُ الْخَوَانِكِ (١)
 إِذَا اشْتَبَهَتْ فِيهَا نَسَبُ الْمَسَالِكِ
 أَغْوَارِبِ أَمْثَالِ الْهَضَابِ تَوَامِكِ
 وَيَنْحَى وَمَا دُونَ الصَّوَاةِ مَبَارِكِ
 إِذَا مَا اشْتَكْتَ عَضَّ السَّرُوجِ الْمَوَارِكِ
 هَلَعْنَ فَلَانَتْ تَحْتَهُنَّ السَّنَابِكِ
 بَوَايِكُهَا وَالْمُنْعِيَاتِ الدَّرَاهِكِ
 وَأَمَامُهَا رَكَ كَأَنَّ كَلْبِيَّاحَ بَوَاشِكِ
 وَجُرْدُ لَأَوْسَاطِ الشَّكِيمِ عَوَالِكِ
 فَهِنَّ نَوَاحٍ لِلرَّدَى أَوْ هَوَالِكِ
 تُعَفِّيهِ تَعْدَى السَّافِيَاتِ السَّوَاهِكِ

(١) الخواتك من حتك أى أمرع فى السير .

يَمْزُ بِهِ زُورَاهُ وَعَفَاتُهُ
 وَأَتَارُتُنَا تَقْسَادُ عَهْدِهِمْ
 لِرَأْرِبِ أَفْرَاسٍ وَنَزَى حَذَاةِ
 تَمْزُ عَلَيْهِ نَسَمَةُ الْفَجْرِ مِثْلَمَا
 وَأَرْكَبُ كَالشَّهْدِ يَنْفُخُ بُرْدَهُ
 يَطْلُبُهَا مِثِّي غَرِيمٌ مُمَاحِكُ
 أَحَاوِلِ مِنْهَا لِمَا تَعَذَّرَ فِي الصُّبَا
 يَسْتَلِي الْفَتَى مِنْهَا وَإِنْ رَاقَ حُسْنُهَا
 فَمِنْهَا مَلَالٌ دَائِمٌ لَا تَمَلُّهُ
 تَهَاوَنَ بِالْإِفْكِ الرِّجَالُ جِهَالَةً
 تَزِنُ طَوْلَ تَسْهَادِي وَقَدْرِي تَمَلُّمِي
 تَغْيِيرَ عَلَى الدَّهْرِ مِنْهُ جَحَافِلُ
 فَلَيْتَ الَّذِي سَوَّدَتْ فِيهَا مَعْوِضُ
 أَلَا لَا تَذْكُرْنِي تِلْكَ سَانَ وَالْهَوَى
 فَإِنَّ أَدْكَارَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهَا
 وَلَا تَصِفَنَّ أَمْوَاهُهَا لِي فَإِنَّهَا
 وَمَنْ حَالَ عَنْ عَهْدٍ أَوْ أَخْفَرَ ذِمَّةً
 سَقَى مَنَزَلِي فِيهَا وَإِنْ نَحَّ رَمْعُهُ
 وَجَادَتْ تَمْزِي قَبْرِ بِمَسْجِدِ صَالِحٍ
 وَلَا أَقْلَمْتُ عَنْ دَارِ يُونُسَ مُرْنَةً

وَمَا أَنْ بِهِ إِلَّا الصَّوُوقُ الْجَبَايِكُ
 وَهَنَّ عَلَيْهِ جَانِيَاتُ بَوَارِكُ
 ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالْخَمَامِ سَوَادِكُ
 تَمْزُ عَلَى طَيْبِ الْعُرُوسِ الْمَدَاوِكُ
 لِلْجَهُولِ حَقٌّ مَا لَهُ لِلدَّهْرِ مُبَانِكُ
 وَيَمْتَطِّلُنِي مِنْهَا عَدِيمٌ مُمَاعِكُ (١)
 وَمَنْ دُونَهُ وَقَعَ الْخَلَامُ الْمُوَاتِكُ
 حَسَايِفُ لَا تَحْصِي وَمَبَارِكُ
 وَتُرُورُ إِفْكِ عَنْ رِضَى الْحَقِّ آفِكُ
 وَمَا أَهْلَكَ الْأَحْيَاءُ إِلَّا الْأَفَاكُ
 طَوَالَ اللَّيَالِي وَالنَّجُومِ النَّوَابِكُ
 كَأَنَّ مُدَوِّمَ الرِّجْمِ فِيهَا نِيَارِكُ
 بِنَا بَيَّضَتْ مِنِّي دُجَاهَا الْخَوَالِكُ
 وَمَا ذَهَبَتْ مِنْهَا الْخَطُوبُ الدَّوَاهِكُ
 لِجَسْعِي وَلِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِنَاهِكُ
 لِنِيرَانِ أَشْوَاقِي إِلَيْهَا مُحَارِكُ
 فَإِنِّي عَلَى تِلْكَ الْعَهْدِ لِرَامِكُ
 عِمَادُ الْغُرَادِي وَالْذَمُّوعِ السَّوَابِكُ
 دَوَاعِدُهَا وَالْمُدْخِجَاتُ الْحِمَارِكُ
 يَرَوِي صِدَاهُ لِقَطَرِهَا الْمَتَدَارِكُ

(١) وَرَدَّ فِي هَامِشِ الْمُخَطُوطِ : مُمَاعِكُ (الْمَاعِظِل) وَالْمَلِكُ (الْبَاجِ) . وَفِي التَّحْقِيقِ : مَلِكُ ،

إلى أن يروق النّاعرين رُواوُها
 ويصبح من حول الحيا في عِراضها
 ولا برحت منه ملايكة الرّضى
 وطوبى لمن روى منازلها
 ألا ليت شعري هل تُقضى لُبائى
 وهل تمكّن الطّيفُ المعبُودُ زيادة
 وهل تغفلُ الأيامُ عنها بقدر ما
 وبأليت شعراى أَرْضُ تَقْلُنِي إذا
 وأى غرار من صفاها يحنّني
 إذا جهل الناس الزمان فإنني
 تثبّت إذا ما قمتَ تعملُ خطوة
 ولا تَبْدِلُ وجهاً لصاحب نعمة
 تَحْشُمُ ما استطعت واحذر أذام
 فكلُّ على ما أنعم الله حاسد
 ولا تأنس ريبة الزمان فإنه
 تمّنى مصاب بربر وأعاره
 وبدرت الليالى الجون حَوْضِي بالاجها
 فما أذعنت إلا إلى عِشارٍ
 ولا قصدت إلا فَنائِي وقودها
 به شَرُفتُ أذواها وملوكها
 فلا تَدْعُون غيبي لدفع مُلِمّة
 ويرضى الرّعاوى نَبْهَها المتلاحك
 زُرّقَ تحكى بُسْهَها ودَرَائِكُ (١)
 تصلّى على ذاك الصّدى وتبارك
 وبُشْرِى لمن صلّت عليه الملائك
 إذا ما انقَضَت عشرُ عليها دكادك
 فيرقب أو تلقى إليه الرّوامك
 تُودى إليها بالعتاب الخالك
 كلٌّ عن رحلى الجلال اللّكالك
 إذا فقدتني مَسْهًا والدّكادك
 بدوهم دون الأنام لحائِك
 فإن بقاع الأرض طُرّاً شوائك
 فما مثلُ بذل الوجه للسترهاتك
 ولا تلقهم إلّا وهرك شأنك
 وكلُّ إذا لم يعصم الله حاسك
 بمنّ فات منا لا محالة فانك
 وترضى ذكامى فارس والهنداك
 وتعرف إقدامى عليها المهالك
 ولا أصفقت إلا على الشكاشك
 ولن أملت إلا قنّامى الضرارك
 كما شَرُفت بالثّوبهار البرامك
 إذا ما دهى من حادث الدهر ذاهك (٢)

(١) في هامش المخطوط : الدرّائك ضرب من البسطة .

(٢) مكذبا في الإسكوريال . وفي النسخ (داعك) .

وما إن لبيت المجد بَعْدِي سَامِك
بما أَوْزَعْتَنِي خَيْرٌ وَالسَّكَاكِ
وطيب ثنأى ^(١) لاصق بِي صَاكِ
وقد شَمِطَ مِنَّا اللَّحَا وَالْأَفَانِك ^(٢)
إذا عاد للدُّنْيَا عَقِيلٌ وَمَالِك

فما إن لَذَاكَ الصَّوْتُ غَيْرِي ^(١) سَامِع
يَغْصُرُ وَيَشْجَى نَهْشَلٌ وَمُجَاشِع
تَفَارِقَنِي رُوحِي ^(٢) الَّتِي أَسْتُ غَيْرَهَا
وماذا عسى تَرْجِرُ لِدَاتِي وَأُرْتَجِبِي
يعود لنا شَرْخُ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
ومن شعره أيضاً قوله :

وَتَصَرَّمَتْ سَفَاً عَلَيْكَ الْأَضْلَعُ
جَاوَى مُؤَلِّكَ الْفَيُوثُ الْمُهْمَعُ
قد كنت أعلم أنها لا ترجع
بنسيم أنفاس البديع تُشْعِشِعُ
مَرَعَى لِأَفْكَارِ النَّدَامِ ^(١) وَمَشْرَعُ
أَجْدَى بِمِيدَانِ الْكَلَامِ وَأُسْرَعُ
بِجَنَابِهَا وَهُوَ الْجَنَابُ الْأَمْنَعُ
وَالنَّفْتُ فِي عَقْدِ الثَّرَى لَا يَمْنَعُ
وَكَا رُبَاهَا وَشَيْهِ الْمَتَنُوعُ
يَدْعَا تَفَرُّقَ تَارَةٍ وَتُجْمَعُ
إِذْ بُتْ مِنْهَا مَا تَفَرَّقَ مُصْقَعُ

سَحَتْ بِسَاحِكٍ يَا مَحَلَّ الْأَدْمَعُ
ولطالما جادت نرى الآمال من
لله أيام بها قضيتها
فلقد رَشَفَتْ بِهَارُضَابٍ مُدَامَةٍ
في روضة يرضيك منها أنها
تجري بها قَرَسُكَنت ^(١) وَهَاتِيهَا
فَقَرُّ كَرِيمَانَ الشَّبَابِ وَعَهْدُنَا
نَفَاةَ الْأَنْوَاءِ فِي عَقْدِ الثَّرَى
حتى إذا حاك الربيع برودها
بدأت كليم زهرها تُبْدِي بها
قد صُمِّمَتْ مِنْهَا مَا تَجْمَعُ مُغْلَقُ

(١) وردت في الإسكوريال (نير) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الروح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ثنائي) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الافانك) .

(٥) وفي نص (النداء) .

(٦) وفي نص (كيت) .

وكلاهما مهما أردت مُسالم
كل له شرع البيان مُحَلَّل
حيث ازدهت أنوار كل حديقة
فمرَّجَل من رفقها ومُهَلَّل
أبدى البديع بها بدايع صنعه
ومَوْشَح ومُرَشَّح ومُصَدَّر
كل بروق بها بِحُسْن^(١) رُوايه
ولقد غدوت بها وفي وَكُنَّاتِهَا
بمَطَهَم الفكر الذي ما إن له
قيد المَنَالِب لا يزال نَحْبَهُ
أرمى به الأمدَ البعيد وإنه
من بعد ما عَفَت الـوَادِى مُبَلِّه
لكفى جَدَّدَت دَانِر رَشْمَهُ
أوضحت فهم حَدُودِهِ وَضُرُوبِهِ
حتى وَرَدَتْ من السَّماع مَوَارِدًا
مع كل مصقول الذكاء خَدْسُهُ
يرتاد من نَجْمِ العنَاصِر نَجْمَةُ
لا شيء أبدع من تَجَاوُرِهَا وَمَا
فَإِذَا تَنَشَّعَ مزجها أوردى بها

ومُحَارِب ومُؤْمِن ومُرَوِّع
الْمُنْكَرُ في مثل هذا مُدْفَع
أدبًا يُنْظَم تارة وَيُسَجَّع
وَمُسَيَّطٌ من نظمها ومُصَرَّع
فُجَّس ومُبْدَل ومُرْصَع
ومَكْرَر ومُفْرَع ومُتَبَّع
وإذا تُزِين به كلامك تبرع
طيرُ لها فوق الغصون تُرْجَع
إِلَّا بِمُسْتَن الأَدلة مرتع^(٢)
بين الجياد لعنته أو يوضع
حُلُّ يضلُّ به الدليل الأضع
وَحَتَّ معالهُ الرِّيح الأربع
فطريقه من بعد ذلك مَهْمُجٌ
والسَّكَلُ في كلِّ المسالك يَنْفَع^(٣)
فيها لظَمَان المباحث مَكْرَع
لذكاء أسرار الطبايع مَطْلَع
فيها مصيْفُ للعقول ومَرْتَع
يُبْتَدِى بها ذاك التجاور أبدع
نار الحباب مَرَجَّها المُنْشَعِش

(١) وردت في الإسكوريال (حسن) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مصرع) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يدفع) .

فَكَيْفَ سِرُّ حَيَاتِهِ بِجَبَابِهَا من بعد قَدْح زنادها مستودع
وهنا تَفَاضَ عليه صورته التي لبهاها شَمُّ الطَّبَايعِ تَخْضَعُ
من واهب الصُّورِ [التي قد خَعَّها] ^(١) يبدع حكمته الحكيمُ المبدع
ربُّ له في كل شيء حِكْمَةٌ يقضى بها البدعى والمتشرع
وحلَّتْ من أرض الرياضة أربعاً نفسى الغداء لها وهذى الأربع
قامتْ زواياها فما أوتادها إلا تقوم ما تقيم الأضلع
وتناسب أقدارها نسباً لها لو كنت تبصرها فروعُ فروع
فأجل ما تدبّرته بحـ — لوها من بارق كجذاب رُشدى يلع
لا شك أن وراءه مطاراً له فى كل ضرب من قياى موقع
بحر روى مُترَعٌ ملاحه من فيضه هذا الروى المترع
لم لا أضيع بها عهاد مدامى إني إذاً لعُوها لمضِيع
خلى لو لم تسعدانى فى البكا لقطعتُ من جبلِكما ^(٢) ما يقطع
أرأيتما نفساً تفارق جسمها وبه تنعمُها ولا تتوجع
عظمت رزيتها وأى رزية ظلت لها أكبادنا تتصدع ^(٣)
هذى . حمالك ياعلى سواجع وأخالها أسفاً عليها تسجع
إن طارحتنى ورقها فبأضلنى شوق يطارحه اذ كارٌ موجد
آه على جسمى الذى فارقتُه لا كنتُ بمن جسمه لا يرجع
ومن العُجاب رجوعُ ما أودى ^(٤) به دهرُ بتشتت ^(٥) الأجيّة مولع

(١) وردت فى الإسكوريال (الذى قد خصه) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (جبلكما) والتصويب أرجح للوزن والسياق .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (تنقطع) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (أردى) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (بتشتت) .

الجورُ منه إذا استمر طبعهُ
 هذه عقوبة زلة سلفت بها
 قد كنتُ أُنْعِمُ رَسْخَ نفسى قبلها
 لم لا وقد أصبحتُ بعد محلة
 دار يدرُ الرزق من أخلاقها
 وكأن مجلسها البهى بصرها
 وكان مجمر عنبر بفنائها
 وكأنها المتوكلية بهجة
 فى حجر ضب خافض بجواره
 يا نفثة للصدور كم لك قبلها
 وعساك تنفع غلة بك إنها
 لله أنت مذاعة أودعتها
 بدوية فى لفظها ونظامها
 لم لا تشفع فى الذى أشكوها
 كملت وما افتريت فأى خريدة
 بارت على فأصبحت لحياها
 والعدلُ منه إذا استقام تطبع
 من أكل طعمته التى لا تشبع
 واليوم أوجب أنه لا يمنع
 فيها انسحاب بالراغب تهمع
 ولكم دعا داع بها من يوضع
 ملك بأعلى دسسته (١) متربع
 يذكى ما قد سيف (٢) منه يسطع
 وعلى بن الجهم فيها يُبدع
 من كان قبل له العوامل تُرفع
 من زفرة بين الجوانح تسفع
 بجحيم ما أسبلته لا تنفع
 من كل سِرٍّ بالضائر يُودع
 حضرية فيما به يُترجع
 ومائلها فى مثله يُتشفع (٣)
 لو كان يفرعها همام أروع
 منى بضافى مرطها تنلقع

ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم ، وهى من
 مشاهير أمداحه :

(١) وردت فى الإسكوريال (دسها) . والتصويب أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (ضاع) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تشفع) والتصويب أرجح .

سَلَّ الرِّيحُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السَّفْنَ أَنْوَاءُ
وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَإِنِّي لَأُصِيبُ لِلصَّبَا كُلَّمَا سَرَّتْ
وَأُهِدِي إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ^(١) تَحِيَّةً
وَاسْتَجْلِبِ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجِعِي
لَعَلَّ خِيَالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي
وَكَيْفَ خُلُوصِ التَّيْفِ مِنْهَا وَحَوْلَهَا ^(٢)
وَإِنِّي لَمُسْتَأَقٍ إِلَيْهَا وَمُنْبِيءٍ
وَكَمْ قَائِلٍ تَقْنِي غَوَامًا بِحَيْثُهَا
لَعَشْرَةٌ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّعَتْ
يَطْنَبُ فِيهَا عَابَثُونَ ^(٣) وَخَزَبُ
كَأَنَّ رِمَاحَ الذَّاهِبِينَ لِمُلْكِهَا
فَلَا تَبْغِينَ فِيهَا مَنَاسِكَ لِرَاكِبِ
وَمِنْ عَجَبِي ^(٤) أَنْ طَالَ سَقَمِي وَتَزَعَّيْهَا
وَكَمْ أُرْجِفُوا غَيْظًا بِهَا نَمِ أَرْجَوْا
يُرَدِّدُهَا عِيًّا بِهَا الدَّهْرُ مَثَلًا
فِيَا مَنَزَلًا نَالَ الرَّدَى مِنْهُمَا اشْتَهَى تَرَى
فَمَعْدُ صَبَابِهَا مِنْ تِلْمِيزَانِ أَنْبَاءِ
إِلَيْكَ بِمَا تُنْعَمُ إِلَيْهَا وَإِيَاءِ
وَلِلْأَذْنِ إِصْفَاءُ وَلِلْعَيْنِ إِكْلَاءُ
وَلِلنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ أَصْبَاءُ
وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءِ
قَتَادُ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسُلَاءُ
فَفِي مَرَّةٍ بِي مِنْ جَوَى الشُّوقِ إِبْرَاءُ
عَيُونَُ لَهَا فِي كُلِّ طَالَمَةٍ رَاءُ
بِبَعْضِ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَسَّكَنْ إِنْبَاءُ
وَقَدْ أَخْلَقْتَ مِنْهَا مِلَاءً وَإِمْلَاءُ
إِذَا مَضَى قَيْظُهَا جَاءَ إِهْرَاءُ
وَيَرْحَلُ عَنْهَا قَاطِنُونَ وَأَحْيَاءُ ^(٥)
قِدَاحٍ وَأَمْوَالِ الْمَنَازِلِ أَبْدَاءُ
فَقَدْ قَلَصَتْ مِنْهَا ظِلَالُ وَأَفْيَاءُ
وَقَسَمَ إِضْنَاؤِي عَلَيْهَا وَإِطْنَاءُ
فَيَكْدُبُ إِرْجَافُ وَيَصْدُقُ إِرْجَاءُ
يُرَدِّدُ حَرْفُ الْفَنَاءِ فِي النَّطْقِ فَنَاءُ
تَرَى وَهْلَ لَعْمَرِ الْآسِ بَعْدَكَ إِنْسَاءُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زوم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ودونها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عائون) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وثناء) والأول أرجح .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (عجب) .

وهل للظي الحرب التي فيك تلتظي
 وهل لي زمان أوتجى فيه عودة
 فواسي حالي^(١) إن هلكت ولم أقل
 ولم أطرق الدير الذي كنت طارقاً
 أطفئ به حتى تم — ر كلابه
 ولا صاحب الأحسام ولهزم
 وأسم قارى كشعري حلكة
 فما لشرابي في سواك مرارة
 وبإدارى الأولى بدوب [حلاوة]^(٢)
 أما [آن] أن يحمي حماك كهده
 أما أن أن يمشو لنارك طارق
 يرجى نوالاً أو يؤمل دعوة
 أحسن لها ما أطت النيب حولها
 فما فاتها منى نزاع على النوى
 كذلك جدى في صحابي وأمرتى
 ولولا جوار ابن الحكيم محمد
 حماني فلم تنتب محلى نوايب
 وأكفاه يتي في كفالة جاهه

إذا ما انقضت أيام بؤسك إطفاء
 إليك ووجه البشر أزهر وضاء
 لصحبى بها الغر الكرام الأهاؤا
 كعادى^(٢) وبدوا لافق أسلغ مسناء
 وقد نام عساس وهوم سباء
 وطرف لحد الليل مذ كان وطاء
 تلاً فيه من سنى الصبح أضواء
 ولا لطعامى دون بابك إمراء
 وقد جد عيث في بلاها وأزداء
 وتجتاز أحاش^(٤) عليك وأحماه
 جنب له رفع إليك ودأء
 فما زال قارى ذراك وقرأء
 وما عاقبا عن مورد الماء إظاء
 ولا فانتى منها على القرب إجشاء
 ومن لى به من^(٥) أهل ودى إن فاؤوا
 لما فات نفسى من بنى الدهر إقفاء
 بسوء ولم ترزأ فؤادى أزراء
 فصاروا عبيداً لى وهم لى أكفاء

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (فواجريال) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص آخر (بليل) .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (أصحاب) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (فى) .

يُؤْمِنُونَ قَصْدِي طَاعَةً وَحُبَّةً
دَعَانِي إِلَى الْمَجْدِ لَذِي كُنْتُ أَمَلًا
وَبَوَّأَنِي مِنْ هَضْبَةِ الْعَزِّ تَلْعَةً
إِشْيَاعِي فِيهَا^(١) إِذَا سَرْتُ حَافِظًا
وَلَا مِثْلُ نَوْمِي فِي كِفَالَةِ غَيْرِهِ
بَغِيضَةً لَيْثٍ أَوْ بِمَرْقَبِ خَلْبٍ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ كِفَافًا
وَأَخْوَانُ صَدَقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ
سُرَاعُ الْمَأْرُجِي مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ
إِلَيْكَ أَيَا عَبْدِ الْآلَةِ صَنَعْتُهَا
مُبَرَّاةٌ مِمَّا يَعِيبُ لَزُومَهَا
أَذَعْتُ بِهَا السِّرَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ^(٢) أَمَلًا
وَمَنْ يَتَكَلَّفُ مُفْعَمًا شُكْرَ مَنَّةٍ
إِذَا مُنْشِدٌ لَمْ يَكُنْ عَنْكَ وَمُنْشَى
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ .

أَطَارُ فَوَادِي بَرْقِ أَلَا حَا قِمِّ ضَمِّ بَعْدَ لَوْ كَرَّ جَنَاحَا

- (١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (شَاهُوا) .
- (٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (مَنْهَا) .
- (٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (يَشْيَعِي مِنْهَا) .
- (٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَبَز) .
- (٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (أَنْتِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

كَانَ تَالِقَهُ فِي الدُّجَا
 أَضَاءَ وَلِلْعَيْنِ إِغْفَاءُ
 كَعَنَى خَفَى بِدَا بَعْضُهُ
 كَانَ النُّجُومُ وَقَدْ غَرُبَتْ
 لَوَاغِبٌ ^(١) بَاتَتْ تُجِدُّ الشَّرَى
 وَقَدْ لَبَسَ اللَّيْلُ أَمْسَالَهُ
 وَأَيَقُظُ رَوْضَ الرُّبَا زَهْرَهُ
 كَانَ النَّهَارُ وَقَدْ غَالَمَا
 أَنَّى يَسْتَفِيزُ دَمْعَى امْتِيحَا
 فَلَمْ يَلَقَ دَجْنَ انْتِحَابِي شَجِيحَا
 وَلَوْلَا تَوَقُّدُ نَارِ الْحَنَى
 وَمَا يُشْرِدُ عَنَى السَّكْرَى
 يَنُوحُ عَلَى وَأَبْكِي لَهُ
 أَهِنِ أَرْجِي أَطْلَتِ الْأَسَى
 دَعْنِي أَرُدُّ مَاءَ دَمْعِي ^(٢) فَلَمْ
 أَحْنُ إِلَيْكَ إِذَا سَفَتْ رِيحَا
 وَأَفْنَى النِّيَاحَا إِلَيْكَ وَكَمْ
 وَلَوْلَا سَخَايِمُ قَوْمِ أَبْوَا
 أَبْأَحْوَا حَيَّ وَكَمْ مَرَّةً

حُسَامُ جَبَانٍ يَهَابُ الْكَفَا
 تَلَدُّ إِذَا مَا سَنَى الْفَجْرَ لَاحَا
 وَزَيْدٌ بَيَانَا فَزَادَ اتِّضَا
 نَوَاهِلُ مَاءٍ صَدَرْنَ قُمَا ^(١)
 فَأَدْرَكَهَا الصَّبْحُ رَوْحِي طِلَا
 فَمَجَّتْ ^(٢) عَلَيْهِ بَلَاً وَانْصِيَا ^(١)
 فَنِيَا نَسِيمُ صَبَاهُ الصَّبَا
 مَبِيتُ مَالِ حَوَاهِ اجْتِيَا
 وَيُلْهَبُ نَارُ ضُلُوعِي اقْتِدَا
 وَلَمْ يَلَفْ زَنْدَ اشْتِيَاقِي شَحَا
 لَا نَفَقْتُ مَاءَ جَفُونِي امْتِيحَا
 هَدِيلُ حَمَامٍ إِذَا نَمَتْ صَا
 فَأَقْطَعُ لَيْلِي بَسْكَاً أَوْ نِيَا
 عَلَيْكَ وَمَا زِدْتَ إِلَّا انْتِرَا
 أُرْدُ بَعْدَ مَا يَكُ مَاءُ قَرَا
 وَأَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا ذُقْتَ رَا
 أَشَحْتُ بِوَجْهِ عَنكَ انْشَا
 لِيَابِي رَكِبْتُ إِلَيْكَ الرُّيَا
 حَمَيْتُ حَيَّ عَرَضَهُمْ أَنْ يُبَا

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : قمح البعير إذا رفع رأسه وامتنع من الشراب ربا -

لواغب رَوْحِي طِلَا : كل ذلك بمعنى أعيا - مع الثوب إذا بلى ، وانصاح الثوب إذا انشق .

(٢) وفي نص : عيني .

ودافعتُ عنهم بشعري انتصارا
 أباعوا ودادي بخمسا فسلَّ
 وأغروا بنفسى طلابها
 وآو يميني على أنَّ ما
 فشاورتُ نفسي في ذا فما
 فبتُ أناغى نجوم الدُّجا
 أجوب الدياجير وحدي ولا
 وإلا الذئب تحبس في
 أجوز الأفاحيص فيحاً قفارا
 فأعي شوارد هذى عداء
 وجواب بدو إذا استنبحوا
 يرون قتالي في الحجر حلاً
 قصدتُ هنام^(١) فلم أخطهم
 فسلَّ كيف كان خلاص من
 ولا مثل بيت تيممته فلم
 عيابا ملاء ونيباً سمنا
 وإلا أغارب شُم الأنوف
 وإلا يعافير سودُ العيون
 يردُّن فينا لحاظاً مرأضا
 فكان الجزاء جلای المتاحا
 أكان سماحهم بي رباحا
 سراراً فجاءوا لقتلي صراحا
 توهمت لم يكُ إلّا مزاحا
 رأت لي بغير الفلاة فلاحا
 نجاء فلم ألق^(٢) إلا نباحا
 مؤانس إلّا القطا والسرّاحا^(٣)
 مبيتى فتملأ سمعى ضباحا^(٤)
 وأعرو الأداحي غربا فساحا
 وأعلو لوأغى تلك صياحا
 أجابوا عواء وأمّوا النباحا
 وإذهاب نفسي فيه مباحا
 أعاجم شوس العيون قباحا
 أسارهم أسرى أم سراحا
 ألفَ إلّا الغنا والسماحا
 وغيداً خدالاً^(٥) وعوداً أفا
 كرام الجدود فصاحاً صبا
 يرين فساد الحُب صلاحا
 يمرض منّا القلوب الصّباحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (ألف) .

(٢) في الهامش : جمع سرّحان وهو الذئب . (٣) التنباح هو صوت الثعلب .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (سنام) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (حسانا) .

وتحت الوجاج طلاً رُبَّ
 أراني محاسن منه فلم
 حُبّاً وسياً وفرعاً أثبتنا
 وأبدى لعيني بدائع لم
 إذا لم يُرد غير سَفك دمي
 وما زلتُ مُنحاً بنفسي كذا
 وبابن رُشيد تعوّذت من
 وقد ضاق صدوي عن كُتْمه
 وبابن رُشيد تعوّذت من
 ألح الزمان بأحداثه
 أعاد شبابي مَشِيئاً كما
 وفرّق بيني وبين الأهيل
 أخى وسميَّ أصيخاً مُسعداً^(٢)
 فقد جبّ ظهري على ضعفه
 وطوّح بي عن تِلْسان ما
 وأعجل سيري عنه ولم
 نأى بصديقك عن رُبّيه
 وكلّك عزيزاً على قومه
 فيها هو إن قال لم يلتفت
 عجبتُ لدهري هذا وما
 لو أنّ القيان رفعن الوجاجا
 أطق عن حماء بقلبي براحا
 وقدّأ قويمًا وردّفاً رداحا
 يدع لي عقلاً بها حين راحا
 فحلّ ويل له ما استباحا
 متى ما رأيتُ الوجوه الملاحا
 هواه فقد زدتُ فيه افتضاحا
 وأودعته جفن عيني فباحا
 خطوب أجلن على القداحا
 فالتقيتُ طوعاً إليه السّلاحا
 سمعت وصير نسكي طلاحا^(١)
 ولم يرَ ذا عليه جناحا
 لشجو حزين إليك استراحا
 كدماً وأدهى شواتي نطاحا
 ظننتُ فراق لها أن يُتاحا
 يدعني أودّع تلك البيطاحا
 فكان له النّأى موتاً صراحا
 إذا هاج خاضوا إليه الرّماحا
 إليه امتهاناً له واطّراحا
 ألقى مساءً به وصباحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (صلاحا) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مسعداً) .

لقد هدني مقي ركناً شديداً
وقيت الردى من آخر مخلص
وإني على فيح ما بيننا
أحن إليه حنين الفحول^(١)
وأسأل عنه هبوب النسيم
وإن شئت عرفان حالي وما
فقلب يذوب إليك اشتياقا
وغرس وداد أصاب قضاء
كراسخ مجد تأثله
وعلياء بوتهما لو بقى
مكلام جمعت أفذاذا
ودرس علوم تهيم بها
نشأت عن الخير واعتدته
وقت^(٢) لها آيما رحلة
بهت رجال الحديث اقتداء
فما [إن جليس]^(٣) إذا قلت قال
ولو لم تمحجج بها مكة
وأما أنا بعد نهى النهى

وذلل مني حياء لقاحا
لو استطعت طرت إليه ارتياحا
لأتبع ذاك الشدا حيث فاحا
ونوح الحمام إذا هو ناحا
وخقق الوميض إذا ما ألحا
يعانيه جسمي ضئ أو صحاحا
وصدر يفاح إليك انشراحا
نديا وصادف أرضا برأحا
فلم تخش بعد عليه امتصاحا
سواء إليها السكك لطاحا
فكانت لعطف^(٤) علاك وشاحا
عمرت الغدو به والرواحا
فلم تدري إلا التقي والصلاحا
كسحت المعارف فيها اكتساحا
وفت رجال الكمال اقتراحا
أو أن الخطيب إذا لحت لاحا
لحج الملايك عنك صراحا
فما زادني^(٥) الطبع إلا جماحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (المجول) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (لغضب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (رحلت) .

(٤) وردت محرفة في الإسكوريال (ابن حبيش) .

(٥) وردت في الإسكوريال (زاد) والتصويب لازم لاستقامة الوزن والسياق .

أدير كؤوسَ هواى اغْتِيَابَا وأشرب ماء دموعى اضْطَبَاحَا
فبرّد جوى بردّ جواب تُوجّ فيه مَشَى الوُفَاحَا
وهنّ بنيّات فكري وقد أتيتك فَاخْفِضْ لهنّ الجَنَاحَا

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره ، ويذكر غفارة وجهها له مع هديه :

كَبَتَ الْعِدَى إِنْصَامَكَ الْبَغْتُ فَلَیْ الْهِنَا وَلِلْعِدَى الْكَبْتُ
يَا مَنْ إِلَى جَدْوَى أَنْصَامِهِ يُرْجَى ^(١) لِلْسَفِينِ وَتُرْجَرُ الْبُخْتُ
لَوْلَاكَ لَمْ يُوصَلْ بِنَاحِيَةِ وَخُدْ وَلَمْ يَقْطَعْ بِهَا دَشْتُ ^(٢)
لَوْلَاكَ لَمْ يُطْلَعْ بِهَا نَشْرُ مِنْهُ وَلَمْ يَهْبِطْ بِهَا خَبْتُ
خَوَّلْتَنِي مَالَمَ تَسْعُهُ يَدِي فَأَصَابَنِي مِنْ كَثْرَةِ نَعْمَتُ
شَيْءٌ أَيَادِي كُلِّهَا عَظُمَتْ عِنْدِي تِلْكَ خَاطِرِي الْهَيْتُ
يَعْنِي لِسَانِي عَنْ إِذَاعَتِهَا وَيَضِيقُ عَنْ شُكْرِي لَهَا الْوَقْتُ
وَطَأَتْ لِي الدُّنْيَا فَلَا عِوَجُ فَمَا أَرَى مِنْهَا وَلَا أَمْتُ
أَمْكَنْتَنِي مِنْهَا فَمَا لِيَدِي رَدُّهُ وَلَا لِمَقَالَتِي عَتُ
بَانَتْ فِي بَرِّي وَلَا نَسَبُ أَذْلِي إِلَيْكَ بِهِ وَلَا حَسَبُ
لَكِنْ حَسْبِي إِنْ مَتَّ بِهِ يَوْمًا إِلَيْكَ وَدَادِي الْبَحْتُ
بُورَكَتْ مِنْ دَجَلِ بَرُوْنِهِ يُوسَى الضَّنَا وَيُعَالِحُ الْفَتْ
لَوْ سَارَ فِي بِهِمَاءِ مُقْفَرَةٍ فِي حَيْثُ لَا مَاءَ وَلَا نَبْتُ
لِنَفْجَرِ الْمَاءِ النَّمِيرِ بِهَا وَلَا عَشَبَتْ أَرْجُلُوهَا ^(٣) الْمَرْتُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يرجى) .

(٢) الدشت هنا بمعنى الصحراء .

(٣) مكانها بياض بالخطوط . والإضافة من (المنتخب النفيس) .

لا تحسبن البُحْت نيل عني
 آلت جلالته وحق لها
 أظهرت دين الله في زمن
 شيدته وهددت مُتعضاً
 أمنت أرض المسلمين فلا
 وحفظها من كل نائية
 ونهجت سبيل المكرمات فما
 لم تبق غفلاً من متاعها
 هادين طغاة الكفر ما هدأت
 دُعها تودّع في معاقها
 كم دذّتها عنا وقد هبّت
 بوقوف طرفك عند شدته
 ويشكر ما أظهرت من كرم
 لك من ممالكها وإن دُعمت
 ولكل أصيد من بطارقها
 لولا لباك البيض ما أركت
 عنده لمن ينتابه مقّة
 ولو أن ييضك لم تسئل لما
 يا ابن الحكيم أمنت صرف ردّي
 ويؤمنه أمنت من أملى

بيل الرضا منه هو البُحْت
 أن لا يحيط بكنهها نعمت
 ما زال يغلب حقه البهت
 لضياعه ما شيد الجبت
 ذنب يخاف بها ولا لصت
 تخشى فانت حفيظها الثبت
 لمؤل عن غايه ألت
 إلا وفيه لحاير برت
 حتى يجيء نهارها ألحت
 ما لم تعد جفتها العفت
 لمراسنا أشتاقها الهرت
 يئاي ويفخر ملكها الرت
 في ذاك تفصح عجمها المورت
 ما جال فيه جوادك الحث
 في كل أرى له دعت
 للقيام أفراسنا السكت
 ولن يئيب لغيره ممت^(١)
 ذلت أنوف طغاتها السلت
 أبداً له في أثلي نحت
 ما لم يكن يوماً له عـرت

مَشْنِي الوزارة . موئلي وله
 وبيأسه أَطْنِي شرارةً من
 عمّ الورى جوداً وفضلَ غِنَى
 وهمي على عالٍ ومُنْخَفِضِ
 ظلٍ إذا نصْطافُ معتدِلُ
 يتضائل الصبح المنير إذا
 حتى كأنَّ شمس الضحى قرّ
 وغريّة في لُطف صَنَعَتِها
 يَنأى الندى بها إذا لَبِسَتْ
 زنجيّةً لكن لَحْتِهَا
 مثلُ العروس على مَنَصَّهَا
 لا كون أنحلّ ما أكون هُدَى
 وبمثل شَيْبِي فوق حُلُكَّتِها
 تُظهِرُنِي بلباسِها وبه
 لازلتَ تُؤثرُنِي بها أبداً
 وبقيتَ تُدرِك ما تُريد وما

مادمت أملك قدرتي أقتُ
 يَعْثُو وأقْدَحُ أنف من يَعْثُ
 حتى تساوى العَدُو والغُلْتُ
 لم يبق فُوقُ لا ولا تَحْتُ
 عَطِر الشَّذاً وحياً إذا نَشْتُ
 لاقى سَناء جبينك الصَّلْتُ
 وكان ضوء شاعها نُفْتُ
 يَمْخِي الزمان وما لها أُخْتُ
 ويَتِيه إن طُوِيَتْ بها التَحْتُ
 في الرُّوم يعنو النفسُ والشَّنْتُ (١)
 من شأنها التَّزْيِين والزُّنْتُ
 فيها فيَعْبُلُ جَسَمُ الشَّنْتُ
 يُبْدُو الوقارُ ويحفظُ السَّمْتُ
 عندي لها الإيثار ما عِشْتُ
 ولا تَف من يَشْقَى (٢) بذا السَّلْتُ
 تهوى بقاء ماله فتُ

ومن شعره أيضاً في المدح قوله رحمه الله من قصيدة ثبتت في ديوان مجموع
 من أمداحه منها قوله :

طارقتك وهناً أخت آل علاج والرَّكْبُ بين دَ كلاك وجراج
 في ليلة ليلاء لم ينبج بها كلبٌ ولم يصرخ أذِينُ دجاج

(١) يرمز بها هنا إلى القداسة - مثل شنت ياقب ، وشنت مريه . وبالإسبانية Santo

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يشجى) .

أَنِّي اهْتَدَيْتَ لِمُضَلِّينَ تَوَهَّنُوا
 مُتَسَرِّبِي بُرْدَ الظَّلَامِ كَأَنَّهُمْ
 وَثِقُوا بِمَحْمُودِ الشَّرَى وَتَسَلَّمُوا
 وَمَنَازِلُ دُرُسُ الرُّسُومِ بِلَاقِعُ
 بَحْتِ مُعَالِمِينَ غَيْرِ مَثَلِ
 وَمَوَائِلُ مِثْلُ الْحَمَامِ جَوَانِمُ
 وَمُشَجِّجُ مَازَالِ مَنَهْلِ الْحَيَا
 حَتَّى أَعَادَ لِعُودِهِ أَوْرَاقَهُ
 وَكَسَا عِرَاقَ عِرَاصِهِ مِنْ وَشْيِهِ
 لَا مِثْلَ لَيْلَاتِ [مَضْنِينَ سَرِيعَةً] (١)
 أَتَرَكْتُ مِنْهَا فِي صَبَإٍ مَطَالِبِي
 كَمْ لَيْلَةً مَرَّتْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا
 بَقْنَا نُدِيرَ إِلَى انْبِلَاجِ صَبَاحِهَا
 وَتُدِيرَ أَعْيُنُنَا حَدِيثَ غَرَامِنَا
 بِمَآرَجِ (٢) النَّفْعَاتِ مِنْ دَارِينِ أَوْ
 وَخُلُوصِ وَدٍّ فِي تَقَاءِ سَرِيرَةٍ
 أَمَحَضْتَهُ حَظْلِي مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي
 وَاخْتَرْتُ قَرَبَ جَوَارِهِ لَخُلُوصِهِ
 مَا فِي زَمَانِكَ غَيْرِهِ فَاخْلَصْ لَهُ
 مِنْهَا لَهْتُكَ دِيَاجِرٍ وَدَيَّاجِ
 فِيهِ قِدَاحٌ فِي رِمَايَةِ سَاجِ
 لِمَخَارِمَ مَجْهُولَةٍ وَفَجَاجِ
 أَخْوِينِ (٣) مِنْ هَيْجٍ وَمِنْ هَيْجَاجِ
 كِسْوَارِ تَاجٍ أَوْ كَدَمَلَجِ عَاجِ
 وَزُقُ وَأُسَمِّجُ دَائِمَ التَّشْجَاجِ
 يَبْكِي صَدَاهُ بِدَمْعِهِ التَّجْجَاجِ
 خُضِرَ الظَّلَالِ ذَكِيَّةَ الْآرَاجِ
 خُلِّلَا ثُبُورَ صُنْعَةِ الدِّيَاجِ
 بَرَدَتْ حَرَارَةُ قَلْبِي الْمَهْتَاجِ
 وَقَضَيْتُ مِنْهَا فِي شَبَابِي حَاجِ
 غَيْرِي وَغَيْرِ مَنَادِي وَسِرَاجِ
 كَأَسِ الْهَوَى حَيْرَةً بِغَيْرِ مِرَاجِ
 بِمَوَازِي مِنْ فِطْنِهَا (٤) وَأَحَاجِ
 بِمَدَارِجِ النَّسَمَاتِ مِنْ دَرَاجِ
 كَسِيلَافِ رَاحٍ فِي صَفَاءِ زُجَاجِ
 أَعْيَ مِرَاسِي أَهْلِهِ وَعَسَلَاجِ
 وَتَرَكْتُ كُلَّ مُمَازِقِ مَرَّاجِ
 غَيْبًا وَدَاهِنًا مِنْ أَرْدَتِ وَدَاجِ

(١) وردت في الإسكوريال (أفوين) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنجب سويقة) . والتصويب من (المتخبط) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص (فضة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (بمؤرج) .

لا تحنلن^(١) بغيره واستعفين
 أترك بنى الدنيا وأعرض عنهم
 نزّهت نفسى عنهم بنوالة
 أصبحت من آلايه وولايه
 ولو أنى عجت الركب^(٢) مئيمما
 طلق^(٣) إذا احتلك الزمان أنا فى
 طود الرصانة والرّزانة والحجا
 وغمامه الهامى على آماله
 وهزبر^(٤) آجام القى الضارى إذا
 ضمن^(٥) الإله له على أعدايه
 أبقى أبو عبد الإله محمد^(٦)
 وبنى أبو إسحق قبل وصنوه
 وجرى على آثار^(٧) أسلاف لهم
 ما منهم إلا أعز^(٨) مبارك^(٩)
 بيت^(١٠) بنوه من سراوة خير
 كم كان فى الماضين من أسلافهم
 أساس^(١١) كل رياسة ورؤس^(١٢)
 أعيت^(١٣) نجوم الليل من سهر وما

بوقاره عن كل غمر ماج
 فمساك^(١٤) تطعم لذّة الإثلاج
 وحفظتها من جاهه بسياج
 فى عزّة ضحيا وعز^(١٥) داج
 أحدا سواه ما تحدث^(١٦) معاج
 ظلما كالكوكب الوهاج
 بحر^(١٧) الندى المتلاطم الأمواج
 من غير إرعاد ولا إرعاج
 سقطت عواتمها^(١٨) على الأرزاج
 ما شاء من ظفر ومن إفلاج
 ما شاد والده أبو الحجاج
 ركننا الضعيف ومعدنا^(١٩) المحتاج
 درجوا وكلهم على منهاج
 مصباح ليل أو صباح عجاج
 فى الذروة العلّيا من صنهاج
 من رب^(٢٠) إكليل وصاحب تاج
 كل سياسة وليوث كل هياج
 أعيأ أبو موسى من الإدلاج

(١) وردت فى الإسكوريال (بأسا).

(٢) وردت فى الإسكوريال (عواملها). والتصويب من المتن.

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى نص (بؤلا).

(٤) وردت فى الإسكوريال (أسال).

حتى أصارته لرحمة ربه يوم العقاب وقيعة الأعلاج
 وأقيم نَجْلُ أخيه بعد مقامه فيهم يطاعن مثله ويواج
 فردا يَلْفُ كِتَابِيَا بكتايب ويكبُّ أفواجا على أفواج
 حتى تَجَلَّى دَجْنُ كل عِجَاجَةٍ عنهم وأمسك رعد كل ضجاج
 مَنْ مِثْلُ يوسف في قراع^(١) كِتَابِ ولقاء أعداء وخوض لجاج
 أو مَنْ يَشْقُ من الأَنَامِ غُبَارَه في ردِّ آراء وتقض حُجَاج
 إن خاض يوماً في بيان حقيقة [أنهى عن]^(٢) الثَّورَى والحَلَّاج^(٣)
 وإذا تكلم في الغريب وضبطه لم يعبأ بالعُتْبَى والزُّجَاج
 أنست قصايد جرول^(٤) أشعاره وأراجز العجلى^(٥) والعجَّاج
 جمع الفصاحة والصَّباحة والتقا والجلود في وَجْدٍ وفي إخراج
 تخشاه أَسَدُ الغاب في أجماتها والرُّوم في الأسوار والأبراج
 إننا بنى قحطان لم نُخْلَقْ لَنـ ير غِيَاثٍ ملهوفٍ ومنعة لاج
 بُرَى طَلا الأعراب في الهيجا وفي اللأواء سوف نمارى الأعراج
 بسيوفنا البيض اليمانية التي طُبعت لحزِّ غَلَاصِمٍ ووِداد
 تأتي لنا الإحجام عن أعدائنا يوم اللِّقاء طهارة الأمشاج
 أنصارُ [خير العالمين]^(٥) وحزبه وحماته في الجحفل الرُّجراج
 وفُداته بنفوسهم ونفيسهم من غَدَرٍ مُقْتَسَلٍ وسُبَّةِ هاج
 هم صَفْوَةُ الخلق التي اختيرت له وسواهم مَمَّجٌ من الأُمَاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (نزال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي نص (أربى على) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (الحجاج) . والأولى أرجح .

(٤) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : جرول هو الخطيئة . والعجل هو أبو النجم .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (دين الهاشمي) .

إِلَّا الْأَلَى سَبَقُوا بِيَاهِرِ فَضْلِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ
وَكُنِي بِحِكْمَتِنَا إِقَامَةً حُجَّةً وَبِرُكْنَيْنَا مِنْ كَعْبَةِ الْحَبَاجِ
وَلَنَا مَفَاخِرُ فِي الْقَدِيمِ شَهِيرَةٌ كَالصُّبْحِ فِي وَضَحٍ وَفِي إِبْلَاجِ
مِنَّا التَّبَاعَةُ الَّذِينَ يَسَابِهِمْ كَانَتْ تُفَيِّخُ جُبَاةَ كُلِّ خَرَاكِ
وَلَأَمْرُهُمْ كَانَتْ تُدِينُ مَمَالِكُ السُّدُنَا بِلَا قَهْرٍ وَلَا إِحْرَاجِ
مَنْ يَقْتَدِحُ زَنْدًا فَإِنْ زِنَادَهُمْ فِي الْجُودِ وَارِيَةٌ بِلَا إِخْرَاجِ
أَبْوَابُهُمْ مَفْتُوحَةٌ لَصُيُوفِهِمْ أَبَدًا بِلَا قُفْلٍ وَلَا مِزْلَاجِ
وَمَا اشْتَهَرَ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَرْقَ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أَثَالٍ كَأَنَّهُ فِي جُنْحٍ لَيْلِي ذُبَالٌ
أَنَارَ شَوْقًا فِي ضَمِيرِ الْحَشَى^(١) وَعَبَّرَنِي فِي صَحْنِ خَدْيِ أَسَالٍ
حَكِي فَوَادِي قَلْقًا وَاشْتِمَالٍ وَجَفَنَ عَيْنِي أَرْقًا وَانْهَمَالٍ
[جَوَانِحُ تَلْفَحُ نِيرَانُهَا وَأُدْمَعُ تَنْهَلُ مِثْلَ الْعَزَالِ]^(٢)
قُولُوا وَشَاءَ الْحُبُّ مَا شِئْتُمْ مَا لَذَّةُ الْحُبِّ سِوَى أَنْ يُقَالَ
عُذْرًا لِلْوَأَمَى وَلَا عَنُورِي فَرْزَةُ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالَ
قَمِ نَطْرِدِ الْهَمَّ بِمَشْمُولَةٍ تَقْصُرُ اللَّيْلُ إِذَا اللَّيْلُ طَالَ
وَعَاطِلُهَا صَفْرَاءُ ذَمِّيَّةٌ تَنْمَعُهَا الذِّمَّةُ مِنْ أَنْ تُنَالَ
كَالْمِسْكِ دِيمًا وَالْأَمَّا مَطْعَمًا وَالتَّبَرُّ لَوْنًا وَالْهَوَا فِي اعْتِدَالٍ
عَتَقَهَا فِي الدَّنِّ حَمَارُهَا وَالْيَكْرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ
لَا تُثَقِّبِ الْمَصْبَاحَ لَا وَاسِقِنِي عَلَى سَنَى الْبَرْقِ وَضُوءِ الْهَلَالِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحشا) .

(٢) هذا البيت وارد في النسخ . وساقط في الإسكوريال .

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمٍ مِسْطَارِهَا بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِ
 فِي رَوْضَةٍ بَاكِرٍ وَنَمِيهَا ^(١) أَخْلَ دَارِينَ وَأُنْسَى أَوَالِ
 كَأَنَّ فَاةَ الْمِسْكَ مَغْبُوقَةٌ ^(٢) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَاً أَوْ شِمَالِ
 مِنْ كُلِّ ^(٣) سَاجِي الطَّرْفِ الْخَاضِهُ مُفَوَّاتٍ أَبَدًا لِلنِّضَالِ
 مَنْ عَازَرِي وَالْكَلِّ لِي عَازِلٌ ^(٤) مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ
 مَنْ خَلَّيَ الْوَعْدَ كَذَابُهُ لَيَّانٌ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمَطَالِ
 كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيُّْ أَمْرٍ يَبْقَى عَلَى حَالٍ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 أَمَا تَرَانِي أَخْذًا نَاقِضًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي ^(٥) مِنْ مَحَالِ
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَائِبًا كَنَلُ مَا عَابَتْهُ قَبْلِي رِجَالِ
 يَأْبَى نَرَاءَ الْمَالِ عِلْمِي وَهَلْ يَجْتَمِعُ الضَّدَّانُ عِلْمٌ وَمَالِ
 وَتَأْنَفُ الْأَرْضُ مُقَامِي بِهَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
 لَوْلَا بَنُو زِيَّانَ مَا لَذَى الْعَيْشُ وَلَا هَانَتْ عَلَى اللَّيَالِ
 هُمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهُمْ خَفَّفُوا عَلَى بَنِي الدَّهْرِ ^(٦) خُطَاهُ الثَّقَالِ
 وَرِثْتُ ^(٧) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا غَمَرَ رِذَاءَ الْحَمْدِ عَمْرٌ ^(٨) النَّوَالِ
 وَكِبَةُ لِلْجُودِ مَنْصُوبَةٌ يَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَالِ ^(٩)

(١) وردت في الإسكوريال (وسميته) . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (مفتوحة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (كف) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (عاذر) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سوفي) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الدنيا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (لقيت) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جم) .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بال) .

خُذْهَا أَبَازِيَّانَ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَمَلِحِ النَّزْعَةِ عَذْبِ الْمَقَالِ
يَلْتَفِظُ الْأَلْفَافَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظُمُ الْأَلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ
بُحَارِيًّا مَهْيَارَ فِي قَوْلِهِ مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ^(١)
ومما قال أيضاً ، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره . وهذا الرجل مُقَرَّبُ
النزعة ، في شغوف نظمه على نثره :

عَجِبًا لَهَا أَيْدُوقُ طَعْمٍ وَصَالِهَا مِنْ لَيْسٍ يَطْمَعُ^(٢) أَنْ يَمُرَّ بِبِالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّةٍ سَاعَةٍ مِنْهَا وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
كَمْ [ذَا وَعَنْ]^(٣) عَيْنِي السَّكْرَى مَتَأَنَفٌ^(٤) يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفَى مَطَالِهَا
يَسْمُو لَهَا بَدْرُ الدُّجَا مُتَضَايِلًا كَتَضَاوُلِ الْحُسْنَاءِ فِي أَسْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ يَقْبَسُ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيْفُ خِيَالِهَا فَتَصِيْبُنِي الْحَاضِرُ بِذِبَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَادَتْ بِهِ فَكَأَنَّمَا رُفَّتْ عَلَى ذِكَاةٍ وَقْتِ زَوَالِهَا
أُسْرِى فِعْطَرُهَا^(٥) وَعُطِّلُ شُهِبِهَا يَا بَى شَذَا الْمِطَارِ مِنْ مِعْطَالِهَا
وَسَوَادُ طَرَّتِهِ كَجَنَحِ ظَلَامِهَا وَبَيَاضُ غُرَّتِهِ كَضَوْءِ هَالِهَا
دَعْنِي أَشْمُ بِالْوَمِ أَدْنَى لِحْمَةٍ^(٦) مِنْ ثَغْرِهَا وَأَشْمُ مِسْكَةٍ خَالِهَا
مَا رَادَ طَرَفِي فِي حَدِيقَةِ خَدِّهَا إِلَّا لِفَتْنَتِهِ بِحُسْنِ دَلَالِهَا

(١) وقصيدة مهيار مطلعها : ما كنت لولا طمعي في الخيال أنشد ليل بين طول الليال
(النفع ج ٣ ص ١٨٧) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (يأمل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كم ذاد عن) والتصويب من النفع .

(٤) وردت في الإسكوريال (متألق) . والتصويب من النفع .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (فطلها) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (لمعة) .

أنسبُ شعري رَقٍّ مثل نسيمها فشمول راحك مثل ربح شمالها
 وانقل أحاديث الهوى وشرح غريب لغاتها وأذكر ثقات رجالها
 وإذا مررت برامة فتوق من أطلالها وتمش في أطالها
 وانصب لمغز لها حباله قانص ودع الكرى شر كالأصيد غزالها
 وأميل جداولها بفيض دموعها وانضح جوانحها بفضل سجالها
 أنا من بقية معشر عركتهم هذى النوى عرك الرحي بشقالها
 أكرم بها فئة أريق نعيمها بقيا فراق العين حسن جمالها^(١)
 حلت مدامة وصلها وحلت لهم فإن انتشوا فبطوها وحلالها
 بلغت بهر مس غاية مانالها أحد وناء بها لبعده منالها
 وعدت على سقراط صورة^(٢) كأسها فهريق ما في الدن من جريالها
 وسرت إلى فاراب منها نفحة قدسية جاءت بنخبة آلها
 ليصوغ من ألحانه في حانها ماسوغ القيس من أرمالها
 وتعلقت^(٣) في سهر ورد قائمهرت عيناً يورقها طروق خيالها
 فحبا شهاب الدين لما أشرقت وخبا^(٤) فلم يثبت لنور جلالها
 ما جن مثل جنونه أحد ولا تمحت يد بيضا بمثل نوالها
 وبنت على الشوذي منها نفحة^(٥) ملاح منها غير لمعة آلها
 بطلت حقيقته وحالت حاله فيما يقبر عن حقيقته حالها
 هذى صبا بهم ترق صبا به فيروق شاربها صفاء زلالها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مالها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سورة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وتلغلت)

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وغوى) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (نشوة)

أعلم أبا الفضل بن يحيى أنى
 فإذا رأيت مؤلهاً مثلى فخذ
 لا تعجبين لما ترى من شأنها
 فصلاحها بفسادها ونعيمها
 ومن العجايب أن أقوم بملدة
 شغلوا بدنيهم أما شغلهم
 حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
 وإن انتسبت فإننى من دويحة
 من حمير^(١) من ذى وعين من ذرى
 وإذا رجعت لطينتى معى فما
 لله دوىك أى نجل كريم
 ولأنت لا عدي متك والد فخرها
 أغلظ على من عاث من أبنائها^(٢)
 والبس بها^(٣) أوليتها من نعمة
 خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة
 ما جال فى مضلها شعر ولا

من بعدها أجرى على آسائها
 فى عدله إن كنت من عدائها
 فى حيلها إن كان أو ترحلها
 بمناهبها ورشادها بضلالها
 يوماً وأسلم من أذى جهلها
 عنى فكم ضيقت من أشغالها
 شمس الهدى عشوا^(٤) بضوء ذبائها
 تنقيل الأقبال برد^(٥) ظلالها
 حجب من العطاء من أقبالها
 سلسلهم بأرق من صلصالها
 ولقدته فاس^(٦) ملك بعد جبالها^(٧)
 وسماك سؤدد دها وبدركالها
 واخشم لمن تلقاه من أبنائها^(٨)
 حلل النساء وجور من أذيالها
 جاءتك لم ينسج على منوالها
 سمحت^(٩) قريحة شاعر بمنالها

- (١) هكذا فى الإسكوريال . وفى أزهار الرياض (عشوا) .
 (٢) فى الإسكوريال (أرد) . والتصويب من الزيتونة .
 (٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة .
 (٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (فلس) .
 (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة .
 (٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (أبنائها) .
 (٧) وردت فى الإسكوريال (أبنائها) . التصويب من الزيتونة .
 (٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لما) .
 (٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (سمحت) .

وانلُ أبا البركات من برّكاتها وادفع بحال شكوكه بمحالمها
 هذه أمتع الله ببقاياك، وأسعد ببقاياك. وأراها بما تؤمله من شريف اعتنايك،
 وترجوه من جميل احتفايك، ما تعرفُ به من احتذايك، وتعترفُ له ببركة
 اعتفايك، كريمة الأحياء، وعقيلة الأموات والأحياء، بنت الأذواء والأقيال،
 ومقصورة الإسرّة والحجال؛ بل أسيره الأساوير والأحجال. على أنها حليفة
 آلام وأوصاب، وأليفة أشجان وأطراب، صباية أغراب من صياغة أعراب،
 جاورت سيفَ بن ذى يزن فى رأس عُمدان، وجاوزت مسلمةَ بن مخلد يوم
 جابية الجولان، وذلقت لسان ابن أخته حسان، فتضاءلت لركة حدهُ جُسوم
 بنى عبد المدان، وقرّبه وماشيم من غمده قيد ابن الإطنابة بين يدي النعمان،
 قربت ببني جفنة مزار جِلَّتْ، وسعرت لبني تميم نار تخلاق، ومرّت على مُعتاد
 غالب، فما أنست ناره، وطافت ببيت عبد الله بن دارم، فلم ترض جواره،
 ولو حلت بقناية، واستحلت ما أحل لها من مبدول حبيائه، لاغتفر لها ما جنته
 بيطن أوأاره، وكَلَّتْ لها حبوتها بجاشع وزراوة، مزقت على مزيقها جُللاً، وأذهبت
 يوم حليلة مثلاً، وأركبت عفرًا شر يومها بجَدَع^(١) جَللاً، وناطت بأذن
 مارية^(٢) قِرطها، وجرت على أثر الكندي مرطها، وقفها بين الدخول فحوّل
 فوقفت، وأنفياها يومَ دارة جُلْجُل فأنفت منه وما ألفت، عقر نافته وانتَهَس
 عبيطها، ودخل خدو عُزَيْرَة وأمال غبيطها. أغرت أبا قابوس بزياد، واسترَجَت
 للزبيدي فرسَ أبي داود^(٣)، ونافرت بحاتم طيّ كعب إِياد، وساورت للمساور

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (يحدج) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ربه) والتصويب من (المنتخب) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (أدواد) .

بمثل جوده السّائر . ولئن بليت الجعفرى لييدا ، فلقد استعبدت الأسدى عبيداً ،
وقطعت به فى أنر سلّيماه الأمدية^(١) بيذاً ، أرتة المنية على حربة هندها الملحوب ،
وما حال [قريضه]^(٢) دون جريضه ، وأقفر من أهله مَلْحُوب : وما زالت تحبّط
فى شباب الأنساب ، فترشيد ، وتُنشد ضالتها اليمانية ، فتنشد :

إن كنت من سيف بن ذى يزن فانزل بسيف البحر من عدن
وذِر الشّام وما بنّاه به الرّومى من قصر ومن قدن^(٣)

تعلف سَيْلُ العِرم، وترد غسان، وتمهد لها أهضام تباله، فتقول مرعى ولا كالسّمدان،
تساجل عن سَمِيحة بابن خُرام ، وتناضل بسير يوم خزام ، وتنفق قاتل ستة آلاف ،
وكاسى بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف ، فلو ساجلت بنبعها أبا كَرْب، وأوته ضراعة
خدها الثّرب ، لسا جلت به أخضر الجلدة فى بيت العرب ، ماجداً يملأ الدّلو إلى عقْد
السّكّرب ، بل لو حطت بفناء بيتها الحجرى رَحْلها^(٤) ، وساجلت بفناء جدّها ذى
رُعين ، لاسْتَوَتْ سَجْلها . كم عاذت بسيفها التّيزنى ، فأدوكت ذحلها ، ولاذت
برُكنها البنى فأجزل محلّها . ولو استسقت بأوديتها ، لأذهبت محلّها . كاخفت عن
دينها الحنفيّ ، فما كُهم حُسامها ، ونافعت عن نبئها الأُمى ، فأيدت بروح القدس
سبامها . سَدَّتْ باب الدرب دون بنى الأصفر ، وشَدَّتْ لموته ثوب موتٍ أحمر ،
وما شغلها كسْرُ تاج كِسرى عن قرع هامة قيصر . ولقد حلت من سنام نسبها
اليعرى باسمك ذُرّوة ، وتعلقت من ذمام نبياها العربى بأوثق عُرْوَة . تفرّد صاحب
تيام بأبلقه الفرد فعزّ ، وتمرد ربّ دَوْمَة الجندل لما كان من مارد فى حِرز ، فما

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الأهرية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المنتخب .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى رواية (مدن) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (رجلها) .

ظنك ، أعزك الله ، بن حلٍّ من قُدسَى عقله ، بِمَعْقِلِ قُدس ، يُطار إليه فلا يُطار ،
وراد من فردوس أدبه ، في جَنَّةٍ لا يُضام رايدها ولا يُضار . زها بمجاورة الملك
فازدهى رؤساء الملك ، وشُعِفَ بمجاورة الملك ، فاشتغل عن مطالعة المسالك ، أُشِيقُ
غُبارَه ، وعلى جبين المرزم مَشارَه ، أو يُنْتَمَك ذماره ، وقابُ الأسد بيتَه ، ودار
أخيه أسامة زاره . ولما قُضت من أنديتها العربية أوطارها ، واستوفت على أشرف
منازِعها الأدبية أطوارها ، وعطرت بنوافح أنفاسها الذِّكِيَّة آثارها ، وأطلعت
في ظلم أنفاسها الدُّجُوجِيَّة كواكبها النيرة وأقمارها ، عطف على مَعْقِلِها الشاذلية
فحلت عِقالها ، وأمر لها فراق الوطن . فلما استمر [لها] ^(١) حلالها ، استودعت بطنان
تبالة آله ، وتركت أهضامها المُخَصَّصة وحلالها . أطلت على دارات العرب فحيت
أطلالها ، ودعت لزيارة أختها اليونانية ، أدواء خير وأقبالها . أطمعها بلعِيَّة المَعِيَّتها
الأعْجَمِيَّة ، ومثلها يُطمع ، وجاء بها من قُدَماء الحِكماء كلُّ أوحدى الأُحوذِيَّة ،
فباتت تحبُّ إليه وتوضع ، باحثة عن مركز داورهم ^(٢) الفيشاغورية ، آخذة
في إصلاح هيتهم الإنكساغورية ^(٣) ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا
علوم مقاييسهم البرهانية ، وتشير إليه رموزُ كنوز وصايا علماء نوايسهم
الكلدانية ، من ماثور تأثير لا هوتية قوام السِّماوية ، راغبة فيما يُفاض على
على مادتها الجُسمانية ، ويظراً على عاقليتها الهَيولانية ، من علويات آثار مواهبها
الربانية ، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة ، موافقة لما وافق من شوارِد آوايهم
المُؤَفِّقة أحسن موافقة . وتحت هذه الأستار مُخَذَّرات أسرار أضربها الإسرار ،
وطالما نكر معارفها الإنكار ، ونُفُت من صُدُور أولئك الصُّدُور ، إلى بعلون

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي نص (دانرهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي نص (الإنكسارية) .

هذه الأوراق ، في ظهور فوق دفاتر فلسفيات معاني علومهم الرقاق . وفي تلك
 المغاني ، أبكار معاني ، سكن الجوانح والصدور ، بدل الأوايك والحدود ، ولكن
 في دياجى ظلم هذه الأحاجى ، كأقمار في أطمار ، بهرن وما ظهرن ، وسطن
 وما لمعن ، فمشتقن وما رمقن ، واستملحن وما لمعن . أدرن خور أجفانن على
 ماخوريات ألتانن ، فهيجت البلبل نعم هذه البلبل ، واستفرغته الأكياس ،
 مثرعات تلك الأكواس . ماسخر بابل ، كخمر بابل ، ولا [منتقى] ^(١) أغانيهن
 الأوايل ، كحمائمكم الهوادل ، إن وصلت هديلها بخفيف ، وصلن ثقيلهن بخفيف .
 إيه أيها الشمرى المشمل ، دعنا من حديثك المضمحل ، سيربنا أيها الفارس الندس ،
 من حظيرة النفس ، إلى حضرة القدس ، صرح بإطلاق الجمال ، وجل من
 عالميتك الملكوتية في أفصح بحال ، تمش بين مقاصر قصورها ، ومعاصر
 خورها ، وخي البال ، مرخي السريل ، فما ينسج لك على منوال ، نادم عليها من
 شغف دن صقراط ، إن استحسننت لها حسان ، فما يصلح لك ، صالح بن علاط .
 بت صريع محياها ، قد أوصت بمعالجة عقير معاورة هقارها بقراط ، لا تخش
 صاحب شرطها ، فلا شرط له عليك ولا اشتراط ، مالك غير مبديك الأول ،
 من قال امتثل الأمر ، وما عليك من أمر وال . على رسلك ما هذا المعجل ،
 لا خطأ توقعه ولا خطل ، أمكره أنت في هذه السكربة ، أم بطل . لو علم أنك
 ضابرة هذا الخيس ، وخبثة ^(٢) ذلك الخيس ، لما عانى اليم رسيس ، شوقاً إليك
 نحمد بن خيس ، على أن لا غالب اليوم لا تى غالب ، ولا طالب يُدرك شأو هذا
 الطالب ، فقه بلا تفهيق ، وحذق في تحذلق . أقسم أبا الفضل بمالك على أبي
 البركات [من الفضل] ، ذلك العراقي الأرومة ، لا هذا الفارسي الجرثومة ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مقلات) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنسنة) .

وإن يك ذلك ، إسرائيلى الأصل ، وهذا يستعمل الجنس ، علوى الفضل . فلنلك الذات ، شرف تلك الأدوات . قدّم لى غالبنا المذكور ، من بأسه الغر لا رُفع ، وأسمى من مقعد ، وقوطيهم المشهور ، من أغرناطة الحبراء ، ومن متجوّأ أبى أميتهم المرحوم ، من جنات جزيرتهم الخضراء ، فيما لنت أبا الفضل من هذه العريجة^(١) ، وألوك^(٢) . أوأيت فى عمرك ، مثل هذا الصلوك ، لا والله ما على ظهر هذه الغبراء ، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة فى بئى غبراء . فأى شيء هذا المترع إيش ، لاحال لنا معك ولا عيش ، من يضحك على هذا العيش . ما هذا الخبل ، أخار بك أم نمل ، إرجع إلى ما كنت بصددّه ، وقيت الزلل ، خذ فى الجدّ فما يليق بك الهزل . وق عن ذلك فحك لنا منه أرقّ غزل ، ماذا أقول ، وأى عقل يطاوعنى على هذا المقول . أفحمتنى والله عن مكالتكم هذه المحن ، ومنعتنى من طلب مسالتكم ، مالكم علىّ فى دنياكم هذه من الإحن . إن تكلمت كُلمت ، وإذا استعجبت عُجِبت . أما لهذه العلة آس ، أم على هذه الفيلة مواس ؛ ما حيلتى فى طبع بلدكم الجاسى . إما يلين لضعفى [أما يرق] ^(٣) قلب زمانكم القاسى . ما هذه الدّمن يا بنى حضراوات الدمن ، اظهرتم المعن ، فقلب لكم ظهر الميخن . إن مرّ بكم الولي حقتموه ، وإن زجركم العالم فجرتهم عليه فسقتموه ، وإذا نجم فيكم الحكيم ، غصصم به ، فكفرتموه وزندقتموه ، كونوا فوضى ، فما لكم اليوم [مسرّاً سيواه] ^(٤) واذهبوا من مراعيكم المستوبلة ، حيث شتم ، فقد أهملكم الرعاة . ضيعتم النص

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (العجرتة) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (والدك) .

(٣) وردت فى الإسكوريال ، (أما يلين) مرة أخرى . والتعديل من كتاب (المنتخب

النفيس) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (سراه) والتصويب من الزيتونة .

والشرائع ، وأظهرتم في يدِعِكم العجايب والبدائع . نَفَقْتُمُ النِّفاقَ ، وأقمتُم سوق
 الفسوق على ساق . استَصَغَرْتُمُ الكُباير ، وأبَحَثْتُمُ الصِّغَاير . أَيْنَ غَفِيْتُكمُ الشَّاكر ،
 يتفقَد فقيركم الصَّابر ، أَيْنَ عالِمكم الماهر ، يرشد مُتعلِّمكم الحابر . مات العلمُ
 بموت العلاء ، وحكم الجبل بقطع دابر الحكماء . جرَّد لنا شريعَتَكَ يا أَفْضَلُ
 الشَّارعين . أَرِيتُمُ فيها . وعظمتك يا أفصح التَّابعين . لا والله [ما يوقظكم] ^(١)
 من هذا الوَسَن ، وعظ الحَسَن ، ولا يُفقدكم من فِتْنِ هذا الزَّمن ، إلا سَيْفُ مُعلِّمه
 أُنبي الحسن والسلام .

قدم غرناطة في أواخر عام ثلاثة وسبعماية . وتوفى في يوم مقتل صاحبه الوزير
 أبي عبد الله بن الحكيم ، فرَّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام ، بعد أن
 نهبت ثيابه ، حسبما جرى على غيره من الحاضرين ، وهو يقول ، هكذا تقوم
 الساعة بغتة . ولقيه بعض قرابة السلطان ، ممن كان الوزير قد وَتَرَه ، فشرع الرَّمح
 إليه ، فتوصل إليه برسول الله ، فلم يقبل منه ، وطعنه ، فقتله يوم عيد الفطر عام
 ثمانية وسبعماية ، وآخر العهد به ، مطرَحاً بالعراء ، خارج باب الفخارين ، لا يُعلم
 قبره ^(٢) ، لمكان الهرج في تلك الأيام . نَسَلُ الله جميل ستره . وساء بأثر قتله إياه
 حال [ذلك الرجل] ^(٣) وفَسَدَ فكره ، وشرَّدَ نومه وأصابته علَّةٌ ودِيَّةٌ ، فكان
 يَثِيبُ المرة بعد الأخرى ، يقول ابن خنيس يقتلني ، حتى مات لأيام من مقتل
 المذكور ^(٤) .

(١) هذه الزيادة من الزيتونة ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مكانه) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قاتله) .

(٤) نود أن نشير هنا إلى أننا قد اتفقنا بمراجعة شعر ابن خنيس ونثره ، على ما ورد منهما في

كتاب (المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خنيس - تلمسان سنة ١٩٦٥) لصديقنا العلامة الأستاذ
 عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية .

محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكنشي

يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان فاضلاً ، متخلقاً ، أديباً ، شاعراً ، صوفياً ، جميلَ العشرة ، حسنَ الخلق كريمَ العهد ، طيبَ النفس . كتب عن الأمراء يافريقية ، ونال حظوة ، ثم شَرِّقَ وحجَّ ، ولقى جَلَّةً ، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعمائة ، فلقى بغرناطة حفايةً ، وانسَحَبَتْ بها عليه جِراية ، ثم انصرف إلى وطنه ، وناله به اعتقال ، ثم تخلص من النسكة ، وأقام به ، يُزجى وقته إلى آخر عمره .

وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » : كاتبُ الخلافة ، ومُشعشعُ الأدب المزمري بالسلافة ، كان يرحمه الله ، بدلَ مجال ، وربَّ رويةً وارتجال ، قدم على هذه البلاد ، وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عَطْنُهُ ، فتلوم بها تلوم النسيم بين الحمايل ، وحلَّ بها محلَّ العُطيف من الوشاح الجليل ، ولبت مدة إقامته تحت جِراية واسعة ، ومبرة يانعة . ثم أثر قطره ، فوَلَّى وجهه شطره ، واستقبله دهره بالإنبابة ، وقلده خُطَّةَ الكتابة ، واستقامت حاله ، وحطَّت رحاله ، وله شعر أنيق ، وتصوفٌ وتحقيق ، ورحلته إلى الحجاز ، صَبَّها في الخبر وثيق ، ونسبتها في الصالحات ^(١) دريق .

شعره

نقلت من خطِّ الوزير أبي بكر بن ذي الوزاتين ، مما قيَّد عنه ، وكان خبيراً بحاله :

(١) وردت في الإسكوريال (الصاحمت) . والتصويب من النفع .

رضى نلت من كل ما بهـوى فلا توقفتى موقف الذل والشكوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه كفاه الذى يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية أرق من النجوى وأحلى من السلى
قفى أتشكى لوعة البين ساعة^(١) ولايك هذا آخر العهد بالنجوى
قفى [ساعة فى] ^(٢) عرصة الدار وانظرى إلى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقاً إليكم فما حنّ مسراها إلى ولا أوى
فياريح حتى أنت من يغار بي ويأجحد حتى أنت هوى الذى أهوى
خلفت ولى قلب جليد على النوى ولا كن على قد الأحبة لا يقوى

وحدث بعض من عنى بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره ؛ أنه لقي ليلة يباب
الملعب فى أبوابها ظميمة من ظبيات الألس ، [وفتنة من قتن] ^(٣) هذا الجنس ،
فخطب وصالها ، واتقى بفؤاده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت أنعطاف
الغصن للباد ، فأبقى على نفسه ، وأمسك ، وأنف من خلع العذار ،
بعد ما تنسك ، وقال :

لم أنس وقتنا يباب الملعب بين الرجا واليأس من مُتَجَنَّب
وعدت فكنت مراقباً لحديثها ياذل وقفة خائف مُتَرْقَّب
وتدللت فدللت بعد تعزّز يأتى الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها ما شئت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنباً فتكاد تحسبها مهاة الربرب
ورنت بلحظ فآثر لك فآثر أنضى وأمضى من حسام للضرب

(١) وردت فى الإسكوريال (ياعاولا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ساعدينى) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى النسخ (قينة من قينات) .

وأرتك^(١) بابل سحرها بجفونها
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها
بنظم في عقد سحطى جوهـر
وتمايلت كالغصن أخضله الندى
تذنيه أرياح^(٢) الصبابة والصبا
أبت الروادف أن تميل بميله
مُتوجاً بهلال وجه لاح في
يامن رأى فيها محباً مُغرماً
ما زال مذولاً بمحاول حيلة
فأجال ناراً الفكر حتى أوقدت
فتلاقت الأرواح قبل جسومها

ومن مقطوعاته البديعة ، مما سَمِعَ منه بغرناطة ، حرسها الله ، أيام مقامه

بها قوله :

أرى لك يا قلبي قلبي محببةً
فقابله بالبشر واقبل عشيةً
بعثتُ بها سرى إليك وسولا
فأحسن ما يأتى للنسيم بليلا
ولا تعتذر بالقطر أو بلل الندى

ونقلت من خط الفقيه القاضى أبى جعفر الرُعيني ، مما أملاه على بمنزله بغرناطة .

قال وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعماية ، يوم إحرام الكعبة العلية ، وذلك

(١) وردت في الإسكوريال (وأتاك) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لمعان) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرواح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السحاب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مسك) .

في شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك ، وصِفَتْهُ أَن يَتَزَيَّنَ سَدَنَةُ الْبَيْتِ مِنْ شَيْبَةٍ
بِأَحْسَنِ زِيٍّ ، وَيَعْمَدُوا إِلَى كُرْسِيٍّ ، يَصِلُ فِيهِ صَاعِدُهُ ، إِلَى ثَلَاثِ الْكُسُوفِ ،
وَيَقْطَعُهَا مِنْ هُنَاكَ ، وَيَبْقَى الثَّلَاثَانِ إِلَى الْمَوْسَمِ ، وَهُوَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ عِنْدَ سُكَّانِ الْحَرَمِ ،
يَحْتَفِلُ لَهُ ، وَيَقُومُ الْمُنْشِدُونَ أَجْوَاجَ الْكُفَّةِ يَنْشُدُونَ . فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ تَرَهَا قَدْ شَمَرَتْ تَطْلُبُ الْجَدًّا وَتَحْزَنُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ بَلَغَ الْحَدًّا
فُجِدَ كَمَا جُدْتَ إِلَيْهَا وَشَمَّرَ عَنْ السَّاعِدِ الْأَقْوَى تَنَلُ عِنْدَهَا سَعْدًا
طَوَّتْ بُرْدَهَا طَى السَّجَلِ كُنَايَةً لِأَمْرِ خَفِيَ سِرُّهُ طَوَّتِ الْبُرْدَا
وَأَنْدَتْ حَيَّاهَا فَحْيَا جَمَاهُ وَقِيلَ عَلَى صَوْنِ الْمُقَلَّةِ ذَلِكَ الْخُلْدَا
فَسَكَمَ سَمَرَتْ سَوْدُ الْبُرُودِ جَمَاهَا وَغَطَّتْهُ لَا كُنْ عَنْ سَهْمِ الرَّمْدَا
وَكَمْ خَالَ ذَاكَ الْخَالَ عَمَّا مُقَصَّرٍ عَنْ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ لَا يَعْرِفُ الْحَدَّا
لَقَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْكُفَّةُ الَّتِي لَهَا الْمَسْفِي فِي حُسْنِهَا الْمُبْدَا
وَقَالَتْ أَلَا أَيْنَ مُسَكَّلِي ، قَصِدُوا إِلَى جَمَالِي فَقَدْ أَبْدَى الْحِجَابُ الَّذِي أَبْدَا
فَلَبَّتْ لَهَا الْعِشَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يَوْمُومُنَهَا يَسْتَقَرُّونَ لَهَا التَّبَعِدَا
فَمَنْ نَدَفَ أَشْفَى عَلَى تَلَفٍ وَمَنْ مُحِبٌّ عَلَى قَرَبٍ يَهِيمُ بِهَا وَجَدَا
وَمَنْ سَاهَرَ عَلَى النُّجُومِ وَلَمْ يَذُقْ بَعِينِيهِ طَعْمَ النُّورِ أَوْ يَبْلُغَ الْقَصْدَا
يَسْأَلُ عَنْ بَدْرِ وَبَدْرٌ تَجَاهَهُ كَذَلِكَ اشْتَرَاكَ اللَّفْظُ قَدِ ابْتِغَصَّ الْخُلْدَا
وَمَنْ مُسْتَهَامٌ لَا يَقْرَأُ قَرَارَهُ كَأَنَّ بِهِ مِنْ حَرٍّ أَشْوَاقُهُ وَقَدَا
يَقْلِبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْهِ مَوْرِيَا أَوَارِ الْأَمْسَى فِيهِ فَتَحْسِبُهُ زِنْدَا
إِذَا مَا حَادَى الرَّكَّابَ وَكَابَهُ كَأَنَّ قُلُوبَ الرَّاكِبِينَ لَهُ تَجْمِدَا
أَحَادِثُهَا إِنْ أَنْتَ جِئْتَ بِهَا مِنِّي وَنَلْتَ الْمُتَى وَالْأَمْنَ فَانْزِلْ وَرُدُّورْدَا
وَلَا خَوْفَ هَذَا الْخَلِيفُ وَالْتَرَبَةُ الَّتِي سَرَتْ قَدْ عَيْنُ الْمُصْطَفَى عَدَا
وَفِي عِرْفَاتٍ فَاعْتَرَفَ وَانْصَرَفَ إِلَى مَشَاعِرٍ فِيهَا يَرْحَمُ الْمَالِكُ الْعَبْدَا

وإن كنت من أوفى العبيد جرايما
 فحسن نبيل العقد من ربك العفدا
 لين صدقت فيك الوعيد جرايم
 فعموا لجميل الصفح يصدقك الوعدا
 وعُد مفضياً للبيت طُف واستلم وقم
 بها للمقام الرحب واسجدو كن عبدا
 ورد في الثناء والحمد والشكر واجتهد
 فن عرف الإحسان زادته حمدا
 وعُجْ نحو فرض الحب وأقض حقوقه
 وزر قبر من أولئك من هديه رشدا

قال ، وكنت في زمن الحداثة ، أفضل الأصيل على السحر ، وأقول فيه ورقة
 المودع ورقة المندحر . فلما كان أوان الأسفار ، واتصلت ليالى السير ، إلى أوغلت
 الأسفار ، وأيت أفق الشرق أشرق ، ووجدت القاييل بفضل السحر أصدق ،
 فابتدأت راكباً ، فلما جيت لذكر الجنب العلى النبوى ، أتممت ماشياً ، وأنا
 فى رملة بين مصر وعقبة إيله ، وقلت :

ما أحسن الأفق الشرقى إسفاروا
 إذا بدا سارت الأظمان هاديةً
 يجلو غياهب ليل طالما سدلت
 ونم منه نسيم ثم ذا بعد على
 ممرت سحيرا فبرّت سرّذى سحر
 سرت بيانات أ كنانى اللوى
 طابت بطيئة أرواح معطرة
 كأنما فلق الصباح حين بدا
 حتى بدت وتبدت حسن صورتها
 كأنه دعوة المختار حين بدت
 من نوره كل نور أنت تبصره
 فكم هدا فى دُجى الإدلاج أسفاروا
 له وصارت به الظلماء أنوارا
 على المحبين فى الظلماء أمتاروا
 أحاديث كانت ثم أسراروا
 أهدت له ريح من بهواه معطاروا
 ففدت كأن دارين قد أصبحت دارا
 بها فأصبح أفق الشوق عطّاروا
 خدر بهجة حسن الشمس قد وارا
 فعنته الأرض أنجاداً وأغواروا
 دانت لها الخلق إعلانا وإصراروا
 وتوره زاد الأبصار إبصاروا

هذا به الله أقواماً به سعاد
 هو الشفع الذي قالت شفاعته
 هو العفو عن الجاني وإن عظمت
 هو الكريم الذي مارد سائله
 هو الحبيب الذي ألقى محبته
 أحبه كل مخلوق وهام به
 واشتق بدر الدجاء من نور غرته
 ولولاه كانوا مع الكفر كفاروا
 للمؤمنين ألا لا تدخلوا الناروا
 من المسيء ذنوب كان غفاروا
 يوما ولو كرر التساكن تسكراروا
 في كل قلب فقلبي نحوه طاروا
 حتى الجمادات أحجاراً وأشجاروا
 وانهلكت السحب من كفيه أنهاروا
 ومن مقطوعاته ، قال ، ومما نظمته في ليل الشرى ، وتخيل طيف الكرى ،
 أ قصيد قصده أي معنى أردته ، أشغل عنه ما بي منه :

منع المحجر من سليمي هجوعا فانتني طبعها يريد الرجوعا
 بعثته ليلا يعلل قلبا مستهما بها محباً ولوعا
 لم يجد غير طرف جفن قريح شاخصا يحوها يذر الدموعا
 وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من بحاية ، وهو معتقل بقصبتها ،
 وقد امتحنه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس :

شرح حالي لمن يريد سؤالي إنني في اعتقال مولى الموالي
 مطلق الحمد والثناء عليه وهو للعطف والجميل موالي
 لا أرى للولاء في احتكاما وولي مال على كل وال
 أرتجى بالمصاب تكفير ذنبي حسبما جاء في الصّاح العوالي
 لا تدوم الدنيا ولا الخير فيها وكذا الشر ذا وذا للزوال
 فافتم ساعة الوصال وكم من محنة وهى منحة من نوال
 فإذا غبت عنك فاحضر تجدها للجواب المفيد عن السؤال

فهى نورٌ للنهار والنور منها وهى الانس فى الليالى الطوال
 فاستدِمْهَا تَدُمُ ولا تَضَجْ منها وأدِرْهَا على اليمين ووال
 فإنَّ الكأس مجراها على اليمين ، ومسراها لى الصبح المبين ، تغنى عن
 الإصباح والمصباح ، وتدنى لهم معنى النور المشرق فى الوجوه الصُّباح ، وتجرى
 فى الأشباح ، فتسرى فى الأرواح . وهذه الرسالة طويلة ، فيها كل بديع من
 نظم ونثر .

فأجابه رحمه الله :

أرغمنَّ هذه القيود الثقال	ربَّ وُدِّ مصيره للتغال
طال صبرى على الجديدين حتى	كدت مما لقيت أن يُشقَّال
إن بعض الرضا لديه فسيح	أىَّ مدد به وأىَّ ابتقال
حاش لله أن أكون لشيء	شاده الصانع القديم بنال
إن عندى من الثناء عليه	لأمانى لم يملنَّ القال
يا إمامو الذى بودى لو	أمكن لهى إليه أوار قال
أوجُ دنياك وأرج مولاك واعلم	أن راجى سواء غير مُقال
وابتغاء الثواب من ربك اعمل	فهو يُجزى الأعمال بالمتقال
واغتم غيبة الرقيب فقها	لقلوب الرجال أىَّ صقال
وأحل فى الوجود فكر غنى	عن ضروب الإنعام والأحقال
وإذا الوقت ضاق وسَّعه	بالصبر ولا تنس من شهير المقال
ربما تكره النفوس من الأمر	له فرحة كحل العقبال

لا غرو أن وقع توان ، أو تلوم دهر ذو ألوان ، فالأمر بين الكاف والتون ،
 ومن صبره لم ينبوء بصفة المغبون . وللسعداء تخصيص ، ومع التريب تمحيص ،

وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير معنوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادى أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامى العلية نظره، ناطقاً بلسان التفويض، سارحاً من الرضا في القضاء المريض، لا يذاً بالانقياد والتسليم، قائماً على أسكفة باب الأدب، لمثابة حكم الحكيم.

ومنها: والوقائع عافاكم الله وعُظا ونحن هُجود. وفي الحى إيقاظ، وما كل المعانى تؤديها الألفاظ. وهذا الفنا الذى نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، وما هى إلا فتون، وجنون فنون، وحديث كله بُجون. وقد يجمع الله الشقيةين، ولن يغلب عسرٌ يُسرين ولا باس، وياخطب لا مساس، وأبعد الله اليأس، وإنما يوفى الأجر الصابرون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وهى طويله بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها، وارتسم فى جملة الكتاب بها، وحدث عن رضى الدين أبى أحمد إبراهيم الطهرى، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، بسماعه من أبى الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبى حفص عمر بن طراد المعرى القاضى بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الحميد المكدانى، وعن الإمام بهاء الدين الخيرى عن أبى الظاهر السلفى، وعن جماعة غيرهم. وكان وروده على الأندلس فى أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقى من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها فى أوائل عام ثمانية عشر، وأحلّ بسبنة، فأكرم وبيسها أبو عمر يحيى بن أبى طالب العزفى قدومه، وأنزله بدار جلييلة، كان بها علو مغل على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لا، راقضى ذلك، فكتب إليه:

يا صاحب البلد المليح المشرق ما مثله فى مغرب أو مشرق

منها :

وخفضت عيشي فيه فارفع منزلي حتى أرى الدنيا بطرفٍ مُطرق
وتجول في البلاد ، ولقي من بها ، واتصل بالأمير أبي علي بسجدة . ومدحه
بقصيدة حفظ له منها :

فيا يوسف الحسن والصفح والرضا تصدق على الدنيا بسلمائك العدل
ثم اتصل بوطنه .

وفاته

نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور : وفي عام أربعين وسبعمائة ، توفي
بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف ، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي
المليكني الشهير بابن عمر ، صدوق في الطلبة والكتاب ، شهير ذو تواضع
وإيثار ، وقبول حسن ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسن بن راجع الحسني

من أهل تونس يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل الفاضل ، صاحب رُواء وأبهة ، نظيف البزّة ، فارهُ المُرْكَب ،
صدوق عن الملة ، مقيم للرّمم ، مطفّف في مكيال الإطراء ، جوح في إيجاب الحقوق ،
متراحم إلى أقصى إمام التوغل ، سخيّ اللسان بالثناء نثراره ، فكهٌ معابوعٌ ، حسن الخلق ،

عنب الفكاهة ، مخصوصٌ حيث حلّ من الملوك والأمراء بالأنزة ، وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ، ينظم الشعر ، ويحاضر بالآبيات ، ويتقدّم في باب التحسين والتّقييح ، ويقوم على تاريخ بلده ، وينابر على لقاء أهل المعرفة ، والأخذ عن أولى الرواية . قدّم على الأندلس في إحدى جمادين ، عام خمسين وسبعماية ، مُقلّناً من الوقعة بالسلطان أبي الحسن بالجهات الشرقية ، بأيدي بنى زيّان وأحلافهم^(١) ، فمهد له سلطانيّتها ، رحمه الله ، كنفَ برّه ، وأواه إلى سعة رعيه ، وثأ كدت يبتى وبينه صحبة .

شعره

كُتِبَتْ إليه لأول قدومه بما نصه ؛ أخذوا حنو أبيات ، ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبها بها :

أَمِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَفْعُهُ بَارُوح	سَرَتْ مِنْهُ أَرْوَاحُ الْجَوَى فِي الْجَوَانِحِ ^(٢)
قَدَحَتْ بِهَا زَنْدُ الْغَرَامِ وَإِنَّمَا	تَجَافَيْتُ فِي دِينِ الشُّلُوقِ لِقَادِحِ
وَمَا هِيَ إِلَّا نَسْمَةٌ حَاجِرِيَّة	رَمَى الشَّوْقُ مِنْهَا كُلَّ قَلْبٍ بِقَادِحِ
وَجَحَنَّا لَهَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ^(٣) كَانَهَا	شَمَائِلُ أَخْلَاقِ الشَّرِيفِ ابْنِ رَاجِحِ

(١) الوقعة التي يشير إليها ابن الخطيب ، وقعت بين السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب وبنى زيّان ، على أثر عودته من حملته إلى تونس بعد فقدها ، وبعد غرق أسطوله في مياهها ، مرتدّاً بفلول قواته عبر الجزائر في طريقه إلى المغرب الأقصى . وكان بنو زيّان ملوك تلمسان السابقين ، قد استطاعوا استردادها ، وقت سير السلطان أبي الحسن إلى تونس . فحاول السلطان أبو الحسن عند عودته مهاجمتها لاستعادتها ، فنصدى له بنو زيّان في قواتهم بقيادة أبي ثابت بن زيّان ، أخى سلطان تلمسان عثمان ابن عبد الرحمن ، فهزم السلطان أبو الحسن ، ونهب معسكره ، وقتل ولده الناصر . وارتد في فلوله ميمناً صوب المغرب من طريق الجنوب ، وكان ذلك في أواخر سنة ٧٥٠ هـ . ويلوح لنا أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر السنة التي قدّم فيها المترجم إلى الأندلس وأنها سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الجوارح) .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (مكر) والأول أرجح .

فَتَى هَاشِمٌ سَبْتًا إِلَى كُلِّ عِلْيَةٍ
أَصِيلُ الْعَلَّاجِ السَّيَادَةُ ذَكَرَهُ
وَفُرْقَانٌ مَجْدٍ يَصَاعُ الشُّكُّ نَوْرُهُ
وَفَارِسٌ مِيدَانِ الْبَيَانِ إِذَا انْتَضَى
رَقِيقٌ كَمَا رَاقَتْكَ نَعْمَةٌ سَاجِعٌ
إِذَا مَا احْتَبَى مُسْتَحْفَظًا فِي بِلَاغَةٍ
وَقَدْ شُرِعَتْ فِي تَجْمَعِ الْخَفْلِ نَحْوَهُ
فَمَا ضَعُضَتْ مِنْهُ لَصُولَةُ صَادِحٍ
تَذَكَّرْتُ قَسًا قَائِمًا فِي عُكَاظِهِ
لِيَهْنِكَ شَمْسُ الدِّينِ مَا حَزَّتْ مِنْ
رَعَى اللَّهِ رَكْبًا أَطْلَعَ الصَّبِيحَ مُسْفَرًا
وَمِنْهَا :

أَقُولُ لِقَوْمِي عِنْدَمَا حَظَّ كَوْرُهَا
ذَرُوهَا وَأَرْضُ اللَّهِ لَا تَعْرِضُوا لَهَا
إِذَا مَا أَرَدْنَا الْقَوْلَ فِيهَا فَمَنْ لَنَا
بَقِيَتْ مَنَى نَفْسٍ وَتُحْمَةٌ رَايَدُ
وَلَا زَلَّاتٍ تَلْقَى الرَّحْبَ وَالْبَرْحَيْنَا
فَأَجَابَنِي بِمَا نَصَحَ :

أَمِنْ مَطْلَعِ الْأَنْوَارِ لِحُجَّةٍ لَاحِ
وَهَلْ بِالْمُنَى مِنْ مَوْرِدِ الْوَصْلِ يَدْتَوِي
[تَعَارُ لِمَقْشُودٍ]^(١) عَنْ الْحَيِّ نَازِحُ
غَلِيلُ غَلِيلٍ لِلتَّوَاصِلِ جَانِحُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مغار الفتل) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ كالآتي (تماد لمقود) .

فَيَا فَيْضَ عَيْنِ الدَّمْعِ مَالِكِ وَالْحَمْدِ
 مَرَّابِعَ آرَامِي وَمُورِدُ نَاقِي
 سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الْحَمْدَ وَذَقَا فَإِنَّهُ
 وَأَبْدَى لَنَا حُورَ الْخِيَامِ نُزْفُ فِي
 تَرَى حَيْ تِلْكَ الْحُورُ لِلْحُورِ مَهْنِجِ
 وَيَا دَوْحَةَ الرُّؤْيَا هَلْ لِي عَوْدَةٌ
 وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا طَالَةٌ^(١) حَامِيَّةٌ
 أَقَامَ بِهَا الْفَخْرُ ابْنَ الْخَطِيبِ مَنَابِرًا
 وَشَفَعَ بِالْإِنْجِيلِ مُحَمَّدٌ مَدِيحَهُ
 وَفَرَّقَ بِالْفُرْقَانِ كُلَّ فَرِيقَةٍ
 وَهَلْ هُوَ إِلَّا لِلْبَرِيَّةِ مُرْشِدُ
 [فَبُشِّرْكَ شَمْسَ الدِّينِ]^(٢) سَادِيكَ الْوَرْدِي وَأَوْزَى الْهُدَى لِلرُّشْدِ أَوْضَحَ
 فَإِنْ لَمْ تَقُلْ لَمْ يَغْنِ حَمْدُ^(٣) لِمَادِحِ
 وَعَامَ يَبْحِرُ مِنْ عَطَائِكَ طَافِحِ
 وَيَقْدُو بِذَلِكَ الْبَحْرُ أَسْبَحَ مَاجِ
 وَبُشِّرِي لَهُ قَدْ رَاحَ أَرْجَحِ
 وَتُبْدِي لِمَنْ خَمَضَتْ سَبِيلُ الْمَنَاجِحِ
 مَتَى قُلْتَ لَمْ تَتْرَكَ مَقَالًا لِقَابِلِ
 فَمَنْ حَامَ بِالْحَمْدِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ^(٤)
 يَحْقُوقُ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ الْحَمْدُ بَالِغُنَا
 وَيَا فَوْزَ مَلِكٍ دُمْتَ صَدْرَ صَدُورِهِ
 بِأَوَائِكَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْهُدَى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النفع (الأشايخ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (لامح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (حلة) .

(٤) وردت في الإسكوريال (التورية) . والتصويب من النفع .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (بُشِّرِي لِسَانَ الدِّينِ) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مدح) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (رد) .

مَلَكَتْ خِصَالَ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَمَلَكَتْ مَنْ مَلَكَتْ يَا ابْنَ الْجَحَاجِ
 مَطَامِحُ آمَالٍ لَا تُشْرِفُ هِمَّةٌ أَقْلُ مَرَامِيهَا أَجَلُ الْمَطَامِحِ
 فَدُونَكُمَا يَا مُهْدِي الْمَدْحِ مَدْحَةٌ أَجَبْتُ^(١) بِهَا عَنْ مَدْحِ أَشْرَفِ مَادِحِ
 يُهْنِيكَ بِالْعَامِ الَّذِي عَمَّ تَحْمَدُ مَوَاهِبُ هَاتِيكَ الْبَحَارِ الطَّوَافِحِ
 فَخَذَهَا مَحْيَى الْفَخْرِ يَا خَيْرَ مُسْبِلٍ عَلَى الْخَلْقِ أَغْضَا سِتُورَ التَّسَامِحِ
 وَدَمَ خَاطِبُ الْعَالِيَا خَيْرَ خَاطِبٍ وَأَتَوَقَّ تَوَاقٍ وَأَطْمَحَ طَامِحِ
 وَتَلَقَّانِي بِمَالَقَةٍ هُنْدٍ قَدُومِي مِنَ الرُّسَالَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فِي مُحَرَّمِ عَامِ سَنَةِ وَخَمْسِينَ
 وَسَبْعِمِائَةٍ، وَنَظَّمْتُ لِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :

قَدُومُكَ ذَا أَبَدِي لَذَى الرَّايَةِ الْحُرَا
 وَأَيْنَعُ فُجْرُ الرُّشْدِ مِنْ فَلَقِ الْهُدَى
 سَرِينَا لَهُ كِي يُحْمَدُ السَّيْرُ وَالشَّرَى
 وَنَصْبِحُ فِي أَحْيَانِ الْمُنِّ نَسْتَلِمُ
 وَنَخْطُبُ مَا يَأْتِي ابْنَ الْخَطِيبِ تَشَا
 فَقَابَلْتُ بِالْإِقْبَالِ وَالْبَرِّ وَالرُّضَا
 فَأَبْدَا قُدُسَ الْحَمْدِ حَضْرَةَ قُدُسِنَا
 هُنِيَّا لَنَا نَلْنَا وَنَلْنَا وَلَمْ نَزَلْ
 دَرِينَا وَزِيرَ الْمَلِكِ وَالْمُلُوكِ وَاللَّوَى
 سَجَدْنَا وَكَبَّرْنَا وَقَلْنَا رَسُولُنَا
 وَيُهْنِي الْوَدَى هَذَا الْإِيَابَ فَإِنَّ فِي
 أَرَانَا مَنَا ذَا الْيَوْمِ أَجَلُ مُنْظَرِ
 أَمَا وَالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ نِعْمَةٍ غَدَّتْ
 نَعُورُ الرُّضَا تَعْبِرُ عَنْ شَذْبِ الْبُشْرَا
 وَكَوْنُهُ نَهْ—رَا وَفُجْرُهُ فُجْرَا
 وَنَرَقِبُ شَمْسَ الدِّينِ مِنْ فِرْعَاقِ الْفَجْرَا
 مَوَاطِنُكُمْ شَفَعًا وَأَنَارُكُمْ وَنَرَا
 مِنْ كَرَامِمْ ذَاكَ الْحَى إِذْ نَهَزَ الشُّرَا
 وَأَقْرَيْتَ مَنْ يَقْرَأُ وَأَقْرَدْتَ مَنْ قَرَا
 وَأَقْدَامُنَا تَبَلَا وَأَمْدَا حُكْمَ تَقْرَا
 نَنَالُ وَلَا كُنْ هُنَا الْمُنَّةُ الْكُبْرَا
 وَحَزْبُ اللَّوَى كُلُّ شَيْءٍ بِهِ أُزْرَا
 أَتَى بِالَّذِي يُرْضَى بُشْرَى لَنَا بُشْرَا
 تَتَابَعَهُ لِلدَّهْرِ مَا يُشْهِرُ الدَّهْرَا
 وَجَلَّى لَنَا مِنْ وَجْهِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرَا
 تَعَلَّمْنَا لِلنِّعَمِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرَا

(١) وردت في الإسكوريه، (أصبحت). والتصويب من النسخ.

لَأَنْتَ لِسَانُ الدِّينِ لِلدِّينِ حُجَّةٌ تُوْبِدُهُ سِرًّا وَتَعْمُدُهُ جَهْرًا
بَقِيتَ لَنَا كَيْتِفًا مَنِيعًا مَشْرِفًا وَدُمْتَ لَهُ عَضُدًا وَدُمْتَ لَهُ نَصْرًا
وَدُمْنَا بِكُمْ فِي كُلِّ أَمِينٍ وَمِنَّةٍ نُدِيرُ الْمُنَافِرَ أَوْ نُصَلِّي الْعِدَا جَهْرًا
وَمَنْ أَمِثَلَ مَا مَدَحَ بِهِ السُّلْطَانُ لِأَوَّلِ قُدُومِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شِعْرِهِ :
أَمَّا وَالْعُيُونُ النَّجَلُ تَرْمُقُ عَنْ سِحْرِ وَوَرْدُ بَاضِ الْخَلْدِ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ
وَرَبْحَانُهُ وَالرَّاحُ وَالطَّلُّ وَالطَّلَا وَنَرْجِسُهُ وَالزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنَّهْرُ
وَنُورُ جَبِينِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَا وَهَالَةٌ بِدْرِ التَّمِّ مُنْتَصِفِ الشَّهْرِ
لَقَدْ قَلَّدْتَ آرَاءَ يُوسُفَ مُلْكُهُ قَلَايِدَ نَصْرِ بْنِ تَبَيْدٍ مَعَ الدَّهْرِ
وَقَدْ أَيْدَى الْإِسْلَامَ مِنْهُ بِنَاصِرٍ نَصِيرٍ وَخَيْرُ النَّصْرِ نَصْرُ بَنِي نَصْرِ
هَمُّ الْقَوْمِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَحِزْبُهُ وَعَصْبَةُ الْأَعْلَامِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
وَحُسْبُكَ مِنْ قَوْمِ حَمَوَاسِيهِ الْوَرَى وَقَامُوا بِنَصْرِ الْحَقِّ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ
سَقَى شَرْعَةَ الْإِسْلَامِ وَذُقُّ سِيُوفِهِمْ رَحِيقُ الْأُمَامِ طَيْبُ الْعَرَفِ وَالنَّشْرِ
فَأَصْبَحَ رَوْضُ الرُّشْدِ يَبْقَى طَيْبُهُ وَدَوَّحُ الْهَدْيِ بِالزَّهْرِ أَزْهَارُهُ تُزْرَى
فِي سَائِلِي عَنْهُ وَعَنْ سَطَوَاتِهِ إِذَا لَاحَ مُحْفُوقًا بِرَايَاتِهِ الْخُمْرُ
وَجُزَّ مَعَ الْأَقْدَامِ جَيْشًا عَرَمَرَمَا وَشَرَّدَ بِالتَّأْيِيدِ شِرْدَمَةَ الْكُفْرِ
نَخْلِيلِي تَنْبِيكَ عَمَّا وَرَاءَهَا وَلَا غَرُّوَ فَالْإِفْصَاحَ يَعْرِفُ بِالْعَجْرِ
فِيَا فَوْزَ مَنْ أَدْنَاهُ بِالْعُغْمِ وَالْعِنَا وَيَا وَبِلَ مَنْ أَقْصَاهُ لِلْقَفْرِ وَالْمَقْرِ
مَيْنًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَحْرَزْتَ مِنْ الْمُلْكِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّهْنِئَةِ وَالْأَمْرِ
لَقَدْ أَصْعَدَتْهُ نَجْدِي مَدَائِجُكَ الَّتِي وَبِحَدِّكَ وَالْعَلِيَّا مَدَحْتَ بِهَا شِعْرِي
وَحَقُّ لِمَثَلِي يُشْفَعُ الْحَمْدُ بِالشَّنَا وَيَتَلَوُّ مَعَانِيَهُ مَعَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ
فَأَخْنَى نِيعَارَ الْأَنْسِ مِنْ رَوْضَةِ الْمُنَا وَأَقْطَفَ زَهْرَ الْحَمْدِ مِنْ شَجَرِ الشُّكْرِ
وَأَشْرَبَ مَاءَ الْفَوْزِ عَذْبًا خِنَامَهُ رَحِيقَ بَرَاكِ السُّمْحِ فِي أَكُوسِ الْبَشْرِ

ولا بَرَحْتَ أَمْدًا حَكَمَ تَعَجُّزُ النَّهْيِ وَإِلَّا فَسَكَمَ تَنْجَفَى مِنَ الْمُسْرِ لِلْمُسْرِ
ولا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَخْدُمُ رَأْيَكُمْ وَرَأْيَاتِكُمْ مَا دَامَ نَجْمٌ لِلْسُّرَى يَسِيرُ
وَكُتِبَ إِلَيَّ فِي غَرَضٍ يَظْهَرُ مِنْهُ نَصُّ الْمَرَا جَعَةِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ :
أَمَّا وَالَّذِي لِي فِي حُلَاكٍ مِنَ الْحَدِّ وَمَالِكٍ مَلَكَ كِيٍّ عَلَىَّ مِنَ الرَّفْدِ
لَقَدْ أَشْعَرَتْنِي النَّفْسُ أَنَّكَ مُعْرِضٌ عَنِ الْمُسْرِفِ الْإِلَاحِيِّ لِفُطْرِكَ يَسْتَجِدُّ
فَإِنْ زَلَّةٌ بَدَتْ لَكَ جَهْرَةً فَصَفْحَا فَمَا وَاللَّهِ إِذَا كُنْتُ عَنْ عَمْدٍ
فَرَا جَعْتَهُ يَقُولِي :

أَجَلْتُكَ عَنْ عَتَبٍ يَغُضُّ مِنَ الْوُدِّ وَأَكْرَمَ وَجْهَ الْعَذْرِ مِنْكَ عَنِ الرَّدِّ
وَلَا كُنْتُ أَهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَتِي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَهْدَيْتُهَا نَمٌ لَمْ تُجِدْ
إِذَا مَقُولُ الْإِنْسَانِ جَاوَزَ حُدَّه تَحَوَّلَتْ الْأَغْرَاضُ مِنْهُ إِلَى الضُّدِّ
فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْجُدُّ هَزَلًا مُذَمَّمًا وَأَصْبَحَ مِنْهُ الْهَزَلُ فِي مَعْرِضِ الْجُدِّ
فَمَا اسْتَطَمَتْ فَيْضًا لِلْعَيْنَانِ فَإِنَّهُ أَحَقُّ السَّجَايَا بِاللَّامِلِ وَالْمَجْدِّ

توفي يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعماية، وقد ناهز السبعين سنة، ودفن بروضتنا بباب البيرة، وأُعْفِيَ شارب الشعر من نابي مقصه. وغير هذه الدعوى قرارها تجاوز القضية.

محمد بن علي بن عمر العبدري

من أهل تونس، شاطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.

حاله

كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاف العافية، وتلى أبوه الحجابة بتونس عن

سلطانها برهة ، ثم عدا عليه الدهر ، واضطُر ولده هذا إلى اللحاق بالشرق ،
فاتصل به سُكناه وحجَّ ، وآب إلى هذه البلاد . ظريف التزعة ، حُلُو الضريبة ،
كثير الانطباع ، يكتبُ ويُسمر ، ويكُلف بالأدب ، ثم انصرف إلى وطنه .
وخاطبني إلى هذا العهد ، يُعرِّفني بتقلده خُطَّة العلامة ، والحمد لله .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » ، بما نصه : غذى نعمة هامية ، وقرب
رتبة سامية ، صُرفت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق بإفريقية إلا من يخافه ويرجوه ،
وبلغ هو مدة ذلك الشرف ، الغاية من الترف . ثم قلب الدهر له ظهر الجنى ،
واشتد به ^(١) الحمار عند فراغ الدن ، ولحق صاحبنا هذا بالشرق ، بعد خطوب
مديدة : وشدة كبيرة ، فامزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم ينل في أوطانه ،
واكتسب الشايل العذاب ، وكان كابن الجهم ، بُعث إلى الرصافة ، ليرق فذاب ،
ثم حوِّم على وطنه تحويم الطائر ، وألم بهذه المدينة ^(٢) ، إمام الخيال الزاير ، فاغتنمت
صفقة ودّه ، ولحن وروده ، وخطبت مولاته على انقباضه وشروده ، فحصلت
منه على درة تفتى ، وحديقة طيبة الجنى .

شعره

أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببره :

لكل أناس مذهبٌ وسجيةٌ	ومذهبُ أولاد النظام المكارم
إذا كنت فيهم ناوياً كنت سيِّداً	وإن غبت عنهم لم تنأك المظالم
أولئك صبحي لا عِدمت حياتهم	ولا عدوا السعد الذي هو دايم
أُعنى بذكرهم وطيب حديثهم	كما غرّدت فوق الفُصون الحمام

(١) وردت في الإسكوريال (هم) . والتصويب من النسخ

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البلاد)

ومن شعره يشوق إلى تلك الديار ، ويتعلل بالتذكار ، قوله :

أَحْبَبْتُ ————— بمصر لو رأيتم بكائي عند أطراف النهار
لكنكم تشفقون لفرط وجدي وما ألقاه من بُعد المزار^(١)

ومن شعره :

تَغَنَّى حمام الأيـك يوماً بذكرهم فأطرب حتى كدتُ من ذكرهم أفنا
فقلت حمام الأيـك لا تُبـك جيرةً ناعوا وانقضت وصلهم عنا
فقال ولم يُردِّد جواباً لسائل ألا ليتنا كنا جميعاً بذنا ألحقنا
ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته ، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن
في ميلاد عام سبعة وأربعين وسبعمائة :

تقر ملوك الأرض أنك مولاها وإن الدنيا وقف عليك قضاياها
ومنها :

طلعت بأفق الأرض شمساً منيرة أنار على كل البلاد محياها
حكيت لنا للفاروق حتى كأننا بعين لا نُسكذب رؤياها
وسرت على آثاره خيرَ سيرة قطعنا بأن الله ربك يرضاها
إذا ذُكرت سيرُ الملوك بمحفل ونادى بها النّادى وحسن دنياها
فجودك رؤاها ومالكك زائها وعدلك زأها وذكرك حلأها
وأنت لها كهفٌ حصين ومَعْقِل تلوذ بها أولى الأمور وأُخراها
ومنها بعد كثير :

ومنكم ذوو التّيجان والمهم التي أناف على أعلى السّماكين أدناها
إذا غاب منهم مالكٌ قام مالكٌ مجدّد للبيت المقدّس عليها

(١) مكذافي الإسكوريال . وفي النفع (الديار)

بناها على التقوى وأسس بينها أبو يوسف الزاكي وسير مبناها
وأورثها عمن خير خليفة وأحلم من ساس الأنام وأندائها
وقام على بعده خير مالك وخير إمام في الورى راقب الله
على بن عمر بن يعقوب ذو الملا مديق الأعادى حينما سار بَلّواها
أدام الله وأعطى الخلافة وقتها ونور أخلاك الخطوب وجَلّاها

ووصلنى كتاب منه مؤرخ فى التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام
أربعة وستين وسبعماية جدد عهدى من شعره بما نصه :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ففاضت لروعات الفراق عيون
فيا أدمى مُنهلةً إثر بينهم كأن جفونى بالدموع عيون
فيا معهداً قد بنت عنه مكلفاً بدلى منه أنه وحنين
سقتك غواذى المزن كرشية ودادك محلول النطاق هتون
فإن تكن الأيام لم تقض بيننا بوصل فأيقضى فدوف يكون
يعز علينا أن نفارق ربكم وأنا على أيدى الخطوب نهون
ولو بلغتني المير عنكم رسالة وساعد دهر باللقاء ضنين
لكتبنا على ما تعلمون من الهوى ولا كن لأحداث الزمان فنون

تم المجلد الثانى

من كتاب «الإحالة»

ملحق

في التعليق على ترجمة

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى ، أبو بكر
(الواردة في صفحة ٤٩٤ - ٥٠٥)

نقل ابن الخطيب في بداية هذه الترجمة ، ما وصفه به ابن عبد الملك المراكشى في قوله : « كان أديباً ، بارعاً ، محسناً ، شاعراً ، حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل » . ثم علق على ذلك بقوله : « وهذه الطريقة بديعة ، يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً ، حجره الله عن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العليم ، والمبتدى فيها والمتتم » .

وهذا كلام لا غبار عليه ، إذا ذكرنا أن اسم صاحب الترجمة ، هو بالفعل اسم ابن قزمان ، أمير الزجل الأندلسي المشهور ، وأن تاريخ وفاته الذى يقدمه إلينا ابن الخطيب هو بالفعل التاريخ الصحيح . ولكن ابن الخطيب ، يورد لنا بعد ذلك في وصفه ، فقرة من كلام صاحب « القلائد » ، وفيها أنه اتصل بالمتوكل ابن الأفطس ، وحظى لديه . وهنا يتغير الاتجاه ويبدأ الخطأ ، ويغدو ابن الخطيب ، فيما يقدمه إلينا من نظمه ونثره - وهو مالا يحتوى على أية مقطوعة من الزجل - وهو يقدم إلينا في الواقع ترجمة شخص آخر من بنى قزمان ، هو عم إمام الزجل ، واسمه الحقيقى هو أبو بكر ، محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القوطى .

وقد أورد لنا ابن بشكوال في « الصلة » ترجمة المذكور في أسطر قلائل ، ووصفه بأنه كان « من أهل العلم والذكاء والفهم ، وكانت عنده دراية ورواية ولغة ، وأدب وافر » . ثم قال إنه توفى في سنة ٥١٨ هـ (كتاب الصلة - القاهرة - ج ١ ص ٥٤٠) .

وذكره الفتح في كتاب « القلائد » ، ووصفه بالوزير الكاتب ، وأنه كتب للمتوكل ابن الأفطس ، أمير بطليوس ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وحظى لديه .

وأضاف إلى ذلك أنه اتصل في أواخر عمره بالقاضي ابن حمد بن المتغلب على قرطبة، وخدمه، ثم لقي بعد ذلك على يده شر الحوان والأذى، لحدّة كانت في طبعه . وهذه الفقرة الأخيرة ، لا يمكن نسبتها إلى ابن قزمان الأكبر لأن ابن حمد بن لم يحكم قرطبة الا في سنة ٥٣٩ هـ ، على أثر انهيار سلطان المرابطين في الأندلس . وإذن فهي تتعلق بحياة ابن قزمان الأصغر ، وهو أمير الزجل (قلائد العقيان - القاهرة - ص ١٨٧) .

وقد أوضح لنا هذه التفرقة بين ابن قزمان الأكبر (العم) ، وابن أخيه ابن قزمان الأصغر (أمير الزجل) ابن سعيد الأندلسي ، في كتابه « المغرب في حلى المغرب » ، فيمن ذكره من بيت بنى قزمان . فترجم لنا أولا لأبي بكر محمد الأكبر ابن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي ، وأشار في ذلك إلى ما ذكره عنه ابن بسام في « الذخيرة » من خدمته للمتوكل صاحب بطليوس ، ولكنه وقع بعد ذلك في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفتح في « القلائد » من ذكر اتصاله بابن حمد بن (المغرب في حلى المغرب - القاهرة - ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠) .

ثم ترجم بعد ذلك لأبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر (ج ١ ص ١٠٠) . ثم عاد لترجمه مرة أخرى (ج ١ ص ١٦٧ - ١٧١) . ووصفه في الترجمتين بأنه « إمام الزجالين بالأندلس » . وأورد له في الترجمة الثمانية عدداً من مقطوعاته الزجلية الشهيرة .

ومن الواضح أن رواية ابن سعيد ، وقد كتب كتابه « المغرب » حول منتصف القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٧٣ هـ ، وكان بذلك أقرب إلى عصر ابن قزمان من ابن عبد الملك وابن الخطيب ، هي أقرب إلى التحقيق والثقة .

وأخيراً فقد أشار ابن خلدون في مقدمته ، في الفصل الذي عقده عن « الموشحات والأزجال بالأندلس » إلى ابن قزمان ، ووصفه بأنه كان إمام الزجالين على الإطلاق، وذكر أنه كان لعهد الملتصين ، أي المرابطين (المقدمة بولاق - ص ٥٢٤) . وهذا تأييد آخر لرواية ابن سعيد ، لأن عهد المرابطين بالأندلس كان بين سنتي ٤٨٤ و ٥٥٠ هـ ، وقد توفي ابن قزمان ، أمير الزجل حسبما تقدم في سنة ٥٥٥ هـ .

فهارس المجلد الثانى
من كتاب «الإحاطة»

صفحة

- ١ - فهرست التراجم..... ٥٨٤
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التى ورد ذكرها خلال الكتاب ٥٩٨
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

فهرست التراجع

صفحة

٣	مقدمة
	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن
١٣	نصر الخزر جى
١٨	الملوك على عهده
٢٣	الأحداث فى أيامه
٢٦	الحادثة التى جرت عليه.....
٣١	ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور
٣٩	الملوك على عهده
٤٨	بعض مناقب الدولة لهذا العهد
٦٥	الأحداث
٧٨	الجهاد فى شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة
٨٢	الغزاة إلى حصن أشر
٨٢	الغزاة المعملة إلى أطيريرة
٨٣	الغزاة إلى فتح جيان
٨٤	الغزاة إلى مدينة أبدة
٨٨	الحركة إلى الجزيرة الخضراء.....
	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزر جى
٩٢	الأنصارى
٩٧	الملوك على عهده
٩٨	لمع من أخباره

صفحة.

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن عبد الملك
 ١٠١ المعافى ، المنصور بن أبي عامر
 محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أسلم
 ١٠٨ ابن عمرو بن عطف بن نعيم
 محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الحذامي
 ١٢١ محمد بن يوسف بن هود الحذامي
 ١٢٨ محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد ... بن زيد بن منخل الغافقي
 ١٣٣ محمد بن أحمد بن محمد الأشعري
 ١٣٦ محمد بن فتح بن علي الأنصاري
 ١٣٨ محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي
 ١٣٨ محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج
 ١٣٩ محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم الغيري
 ١٤١ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن عامر
 ابن سعد الخير بن عياش (ابن الحاج البليقي)
 ١٤٣ محمد بن عبد الله بن منظور القيسي
 ١٧٠ محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني (ابن عسكر)
 ١٧٢ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ... بن سعد الأشعري المالقي
 ١٧٦ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ... بن ناصر بن حيون بن
 القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 ١٨١ محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
 ١٨٧ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر
 ابن علي القرشي المقرئ
 ١٩١ محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى البحصي
 ٢٢٦ محمد بن عياض بن موسى بن عياض ... بن موسى بن عياض البحصي
 ٢٢٩ محمد بن أحمد بن جبير ... بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني
 ٢٣٠

صفحة

- ٢٣٩ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ... بن عبد الرحمن بن علي بن شبر بن ...
- ٢٥٠ محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٣ محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٣ محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٤ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٥ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٦ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكابي
- ٢٦٦ محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي (أبو القاسم)
- ٢٦٩ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ... بن محمد اللوثي اليحصبي ...
- ٢٧٢ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي (أبو بكر)
- ٢٨١ محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
- ٢٨٢ محمد بن مالك المري الطغري
- ٢٨٤ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي (العقرب) ...
- ٢٨٦ محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي
- ٢٨٧ محمد بن علي بن العابد الأنصاري
- ٢٨٨ محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي
- ٢٩٣ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني الرجى الغرناطي
- ٣٠٠ محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي (ابن زمرك)

مخطوط الإسكوريال المفتوح بالسفر السابع

- ٣١٥ محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الحناني

صفحة

٣١٥	محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
٣٣٠	محمد بن أحمد بن علي الهواري
٣٣٣	محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي
٣٣٧	محمد بن إبراهيم بن خيرة (ابن المواعيني)
٣٣٨	محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
٣٤١	محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
٣٤٣	محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (ابن مرج الكحل)
٣٤٨	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ابن الحنان)
٣٦٠	محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
٣٦٤	محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي
٣٦٧	محمد بن محمد بن حزب الله
٣٧١	محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري
٣٧٩	محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل
٣٨١	محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي
٣٨٢	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد الباوي
٣٨٦	محمد بن محمد بن الشديد
٣٨٨	محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي
٤١٨	محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي
٤٢٦	محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي
٤٣٣	محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي
٤٤٢	محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة
٤٤٣	محمد بن عبد الله بن فطيس
					محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد
٤٤٤	ابن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي (ذو الوزارتين)
٤٧٦	محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي

صفحة

٤٧٧	...	محمد بن عبد الرحمن المتأهل
٤٧٨	...	محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي
٤٨٢	...	محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني
٤٨٨	...	محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الحمداني
٤٩١	...	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري
٤٩٤	...	محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري
٥٠٥	...	محمد بن غالب الرصافي
٥١٥	...	محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي
٥١٦	...	محمد بن سليمان بن القصيرة
٥٢١	...	محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
٥٢٣	...	محمد بن حسن العمراني الشراف
٥٢٥	...	محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي، ابن العشاب
٥٢٧	...	محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي
		محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري
٥٢٨	...	التلمساني
٥٦٣	...	محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي
٥٧١	...	محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني
٥٧٧	...	محمد بن علي بن عمر العبدري

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٤٨ رسالة في مناقب الحالم والكظم من مآزق الجهاد الأكبر لابن الخطيب ...
رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد صادرة عن السلطان
الغنى بالله ، بقلم ابن الخطيب ، وهى المعروفة « بحمل الجمهور على السنن
المشهور »
٥٤ رسالة أخرى عن السلطان الغنى بالله بقلم ابن الخطيب في شرح أحداث
الثورة التي أطاحت بملك الغنى بالله ، وتمكنه بعد ذلك من استرداد
ملكه
٦٦ رسالة أخرى بقلم ابن الخطيب في الحث على الجهاد لمناسبة محاولة استرداد
نغر الجزيرة الخضراء
٨٨ ما نقش على قبر السلطان محمد بن الأحمر الكبير (محمد بن يوسف بن نصر)
نثراً ونظماً
١٠٠ رسالة المعتمد بن عباد إلى ولده الرشيد عقب موقعة الزلاقة
١١٤ رسالة أبي البركات ابن الحاج إلى ابن الخطيب عن كتبه وأحواله
١٤٨ رسالته إلى ابن الخطيب عن تقلده رئاسة ديوان الإنشاء
١٦٨ رسالة من ابن الخطيب إلى قاضى الجماعة محمد الفشتالى
١٨٨ رسالة الفشتالى في الرد على ابن الخطيب
١٨٩ رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان في طلب الشفاعة في شأن قاضى
الجماعة أبي عبد الله المقرئ الكبير
١٩٧ قطعة في الحكم لابن جبير
٢٣٧ رسالة من ابن شبرين إلى الحكم بن مسعود شاهد المواريث يداعبه فيها
٢٤٦ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي بكر بن الحكيم
٢٧٥ رد ابن الحكيم على ابن الخطيب
٢٧٩

صفحة

- رسالة من ابن زمرك إلى ابن الخطيب ٣١٠
- رسالة أخرى منه إلى ابن الخطيب ٣١٣
- رسالة من محمد بن أحمد الإستنجي الحميري إلى أبي الوليد اسماعيل بن قنبري
الإيادي يمنحه فيها إجازته العلمية ٣١٩
- رسالة ابن الجنان في الرد على أبي المطارف بن عميرة حين عتب عليه أن
جعل الحاء المهمة قاعدة السجع في وثيقة البيعة الخاصة بالوائق بن هود ٣٥٣
- رسالة أدبية لمحمد بن داود الحميري تتخللها بعض طوعات شعرية ... ٣٧٢
- رسالة طويلة لأبي عبد الله بن أبي الخصال موجهة إلى أبي بكر بن عبد العزيز
والى بلنسية ٤٠٤
- نص المرسوم الصادر من محمد بن الأحمر الكبير بالخرابات اللازمة لابن
مهيب اللخمي ٤٢٠
- رسالة لمحمد بن عبد الله بن داود الغافقي يتحدث فيها عن زيارته لإشبيلية
النصرازية إلى صديقين من مرسية ٤٣٢
- رسالة لأبي عبد الله بن الحكيم اللخمي عن لسان السلطان محمد بن محمد
ابن الأحمر (الفقيه) عن منازلة قيحاظة وفتحها سنة ٦٩٥ هـ ... ٤٦٦
- قطعة من رسالة أبي عبد الله بن عياش التجيبي البرشاني في وصف نزول
الخليفة الناصر الموحدى على ثغر المهدي واسترجاعه من أيدي المملوكين ٤٨٦
- مقامة لابن قزمان الزهرى الكبير في استهلال رمضان ٤٩٨
- مقامة له في استهلال شوال ٥٠٠
- نص كتاب البيعة بولاية العهد الذى أصدره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
لولده على بن يوسف من إنشاء كاتبه أبي بكر بن القصيرة ... ٥١٨
- مقامة خيالية مغربة لابن خميس الحجرى ملحقة بقصيدته «عجبا أيندوق
طعم وصالحا» أوردها ابن الخطيب ليدلل على أن نظم ابن خميس
يشف على نثره ٥٥٧

فهرست الشعر والشعراء^(١)

صفحة

- وشادن تيمنى حبه ٢٦٣
نهار وجه وليل شعر ٢٦٤
زارت ليلا وأطلعت فجرها ٢٦٤
أبج لى فى رياض المحاسن نظرة ٢٦٤
وصديق شكى بما حلوه ٢٦٥
تلك الذؤابة ذبت من شوق لها ٢٦٥

ابن الجنان (محمد بن محمد الانصارى)

- مضى رمضان وكان بك قد مضى ٣٥٠
تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا ٣٥١

ابن الجياب (أبو الحسن عل)

- لامرجباً بالناشر الفارك ١٨٣
يا قادما عمت الدنيا بشائره ٤٥٣

ابن الحاج البليقى (أبو البركات)

- تأسفت لآكن حين عز التأسف ١٥١
يأبى شئون جديث الإفصاح ١٥٥
خذها على رغم الفقيه سلافة ١٥٧
إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتى ١٥٨
يلوموننى بعد العذار على الهوى ١٥٨
ومصفرة الخدين مطوية الحشا ١٥٨
لا تذلن نصيحة إلا لمن ١٥٨
مارأيت الهموم تدخل إلا ١٥٩
حزنت عليك العين يا مغنى الهوى ١٥٩
أبحث فيما أنا حصلته ١٥٩
تطالبنى نفسى بما ليس لى ١٥٩
ما رأيت النساء يصلحن إلا ١٦٠
قد هجرت النساء دهرأ فلم ١٦٠
رعى الله إخوان الخيانة لهمم ١٦٠

صفحة

ابن أبى الحصال الغافقى (أبو عبد الله)

- هبت النسيم هبوب ذى إشفاق ٣٩٠
وليلة عنبرية الأفق ٣٩١
يا حبذا ليلة لنا سلفت ٣٩٢
وأنى وقد عظمت على ذنوبه ٣٩٢
ألم تعلموا والقلب رهن لديكم ٣٩٢
الله أعطاك فتحاً غير مشترك ٣٩٣
الدهر ليس على حر بمؤمن ٣٩٤
بدت لهم بالغور والشمل جامع ٣٩٦
(قصيدة قرطبة الخيامية الكبرى)
عيشنا كله خداع ٤١٤
أنى أهزك هز الصارم الخدم ٤٩٥

ابن باق الاموى (محمد بن ابراهيم)

- أحرز الحصل من بنى سلمة ٣٣٩

ابن جبير الكنانى (محمد بن احمد)

- أقول وأنست بالليل فاراً ٢٣٥
هنيئاً لمن حج بيت الهدى ٢٣٧
إذا بلغ المرء أرض الحجاز ٢٣٧
لا يستوى شرق البلاد وغربها ٢٣٧
عليك بكتان المصائب واصطبر ٢٣٧
وصانع المعروف فلتة عاقل ٢٣٧

ابن جزى الكلبي (محمد بن محمد بن احمد)

- منى يتلاقى شايق ومشوق ٢٥٨
ومورد الوجنات معسول اللى ٢٥٩
ذهبت حشاشة قلبى المصدوع ٢٦٠
وقالوا عدلك البخت والحزم عندما ٢٦٢
لا تمد ضعيفك إن ذهب لصاحب ٢٦٣

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

- قالوا أبو البركات جيم مائة ... ١٦١
قد كنت معذوراً بعلمي وما ... ١٦١
زعم الذين عقولهم قدرها ... ١٦١
من منصف من جارتي جارت علي ... ١٦٢
رحلت وقطمير كلبي رفيق ... ١٦٢
لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها ... ١٦٤
زعموا أن في الخيال قوما ... ١٦٥
جزى الله بالخبر أعداءنا ... ١٦٥
خلصنا ليلة من كف دهر ... ١٦٧

ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله)

- رجاى فى المولى العظيم عظيم ... ٤٤٣
يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤

ابن الحداد الوادى آشى

- شقيقك غيب فى لحده ... ٣٣٤
حديثك ما أحلى فزيدى وحدتى ... ٣٣٥
لعلك بالوادى المقدس شاطىء ... ٣٣٥
مجاهلة السلوان بعث حسنه ... ٣٣٦
أقبلن فى الخبرات يقصرن الخطا ... ٣٣٧
يا وادى شرق البلاد وغربها ... ٣٣٧

ابن حزب الله (محمد بن محمد)

- سراى يا قلبى المشوق وناظرى ... ٣٦٩
تألق برق العلا واستنارا ... ٣٧٠
حللت لبرق لاح من سرحتى نجاد ... ٣٧٠

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد ابو القاسم)

- وهبت فهزت عندما رأت به ... ٢٦٧
شربنا وزنجي الدياجي موقد ... ٢٦٧
لاح فى الدر العقيق فحيا ... ٢٦٧
ويوم أنس صقيل الجو ذى نظره ... ٢٦٨
بنفسى حبيب صال عامل قده ... ٢٦٨
بأبى وغير أبى غزال نافر ... ٢٦٨
ليل الشباب انجاب أول وهلة ... ٢٦٩

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد ابو بكر)

- أيا من له الحكم فى خلقه ... ٢٨٠
تصبر إذا ما أدركتك ملمة ... ٢٨٠

صفحة

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن عبد الرحمن
أبو عبد الله)

- هل إلى رد عشيات الوصال ... ٤٥٨
حى حى بالله يارايح نجد ... ٤٦٠
ذكر اللوى شوقا إلى أقباره ... ٤٦١
ألا واصل واصله العقار ... ٤٦٢
ولما رأينا من ربوع حبيبتنا ... ٤٦٣
ما أحسن العقل وآثاره ... ٤٦٣
إنى لأعسر أحيانا فيلحقنى ... ٤٦٣
فقدت حياتى بالفراق ومن غدا ... ٤٦٤
أنا عدة للدين فى يد من غدا ... ٤٦٤
إن أفرطت بآبن حسان غوائله ... ٤٦٥

ابن خاتمة الانصارى (محمد بن علي)

- كفوا الملام فلا أصنى إلى العذل ... ٤٩٢
ومض البرق فثار القلق ... ٤٩٢
أيا حيرة الحى الممتع جواره ... ٤٩٣
الرفع نعتكم لا خابكم أمل ... ٤٩٣

ابن الخطيب السلمايى (لسان الدين)

- خليفة الله ساعد القدر ... ١٩
أنعام أرضك تقهر الأسادا ... ٢٠
ظلمت إلى السقيا الأباطح والربا ... ١١٦
من ذا يعد فضائل الفشتال ... ١٨٨
جوانحنا نحو اللقاء جوانح ... ٢٥٢
الأم على أخذ القليل وإيما ... ٢٧٥
بعث بشيء كالحفاف وإيما ... ٢٧٨
أمن جازب الغربى نفحة بارح ... ٥٧٢
أجلك عن عتب يغض من الود ... ٥٧٧

ابن محبس الحجرى التلمسانى (محمد بن محبس)

- مشوق زار وبعك يا إماما ... ٥٢٩
تراجع من دنياك ما أنت تارك ... ٥٣١
سحت بساحلك يا خل الأدمع ... ٥٣٥
سل الريح إن لم تسد السفن أنواء ... ٥٣٩
أطار فؤادى برق ألاحا ... ٥٤١
كبت البدى أنعامك البنت ... ٥٤٦
طرقتك وهنا أخت آل علاج ... ٥٤٨
أرق عيني بارق من أثال ... ٥٥٢
عجبا لها أيزرق طم وصالها ... ٥٥٤

صفحة

- قد كان عيبي من قيل في غيب ... ٢٤٥
 قفا نفسا فالخطب فيها يهون ... ٢٤٥
 سقى الله أشلاء كرم من على البلى ... ٤٧٤
 أرغمن هذه القيود الثقال ... ٥٦٩

ابن الشدييد (محمد بن محمد)

- لنا في كل مكرمة مقال ... ٣٨٦

ابن شملطور الهاشمي

- أثرك أم سطر من الدر ينظم ... ٣٦١
 نامت جفونك يا سؤلى ولم أتم ... ٣٦٢
 قف بي وناد بين تلك الطلول ... ٣٦٢
 تالله ما أوردى زناد القلق ... ٣٦٢

ابن صفوان القيسي

- بدر تجل على غصن من الآس ... ٣٨١
 يا عالما بالسر والجهر ... ٣٨١

ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك)

- ولما انقضى الفتح الذى كان يرتجى ... ٤٧٩
 ألمت وقد نام الرقيب وهوما ... ٤٨٠
 أتذكر إذ مسحت بفيك عيني ... ٤٨١
 سألت من المليحة برة داني ... ٤٨١

ابن عبد الصمد

- ملك الملوك أسمع فأنادى ... ١٢٠

ابن عسكر (محمد بن علي بن القضر)

- ولما انقضى إحاي وخسون حجة ... ١٧٥
 وأحذب تحسب في ظهره ... ١٧٥
 أجبته لأنى لما رمته أهل ... ١٧٥

ابن العشاب (محمد بن ابراهيم)

- بيمن أبى عبد الله محمد يمن ... ٥٢٦
 لمل عفوك بعد السخط يثشانى ... ٥٢٦

ابن عياش التجيبى البرشاني (محمد بن عبد العزيز)

- بلنسية بينى عن العلياى سلوة ... ٤٨٥
 ليلة من ليالى الصفح قد جمعت ... ٤٨٥
 أشفاهها أم صارم الحجاج ... ٤٨٥

الإحاطة - ٣٨

صفحة

ابن داود الحميرى (محمد بن ابراهيم)

- يا نازحين ولم أفارق منهم ... ٣٧٢
 كذلك تركته ملقى بأرض ... ٣٧٣
 يوم يدأوى زماناقى من أزمانى ... ٣٧٣
 ذكر الديار فهاجه تذكاره ... ٣٧٤
 الأبرق يبدو تسطير الجوانح ... ٣٧٧

ابن راجح الحسينى (محمد بن علي)

- أمن جانب الغربى نفحة بارح ... ٥٧٢
 أمن مطلع الأنوار لمحة لامح ... ٥٧٣
 قدومك ذا أبلى لذى الراية الحمرا ... ٥٧٥
 أما والعيون النجل ترمق عن سحر ... ٥٧٦
 أما والذى لى فى حلاك من الحمد ... ٥٧٧

ابن زمرك (محمد بن يوسف الصريحي)

- رضيت بما تقضى على وتحكم ... ٣٠٣
 مماذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا ... ٣٠٥
 لولا تالق بارق التذكار ... ٣٠٦
 تأمل أطلال الهوى فتألم ... ٣٠٧
 حياك يا دار الهوى من دار ... ٣٠٧
 لقد زادنى وجدا وأغرى فى الجوى ... ٣٠٧
 أزور بقاءى معهد الأنس والهوى ... ٣٠٨
 قيادى وقد تملكه الغرام ... ٣٠٨
 وهشمت بالحسن أحوى مهفهم ... ٣٠٩
 بالايى فى الجود والجود شيمتى ... ٣٠٩
 لقد علم الله أنى امرؤ ... ٣٠٩
 ومسررى ركاب لأصبا قد وئت ... ٣١٠
 مالى يحمل الهوى يدان ... ٣١٠

ابن شبرين ، ابو بكر

- أخلفت بكظم الروح بإساعة النوى ... ٢٤٣
 بانوا فن كان باكيا يبك ... ٢٤٣
 يا أيها المعرض اللامى ... ٢٤٣
 يا من أعاد صباحى ففده حلكا ... ٢٤٤
 أشكو إلى الله فرط بلبالى ... ٢٤٤
 لى همة كلها حاولت مسكها ... ٢٤٤

صفحة

ابن قطبة الدوسي (محمد بن احمد)

دعني ومطاول الرياض فإني ... ٢٥١

وليل أدرناها سلافا كأنها ... ٢٥١

يومنا يوم سرور فلتقم ... ٢٥١

وفي منك ما لو كان للشرب مائعا ... ٢٥٢

كم قلت للبدر المنير إذا بدا ... ٢٥٢

لعمرك ما يوي إذا كنت حاضرا ... ٢٥٢

ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)

إذا شئت من نحو الحمى في الدجا برقا ... ٢٥٤

ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)

ابن احمد)

حلقت بمن ذاد عنى الكرى ... ٢٥٥

ابن كسرى المورى (ابو على)

أعشر أهل الأرض بالطول والعرض ... ٣٢٨

ابن لب الأمل (محمد بن عبد الله)

بعد المزار ولوعته أشواق ... ٤٣٤

أملك أم بدر الدجا الوضاح ... ٤٣٨

بوادى لقد حملت ما ليس لقواه ... ٤٤٠

ابن مالك الطغفري

بينما نحن في المصل نناق ... ٢٨٣

صب على قاي هوى لاجع ... ٢٨٣

خليل عرج على قبري تجد ... ٢٨٤

ابن مرج الكحل

عرج بمنعرج الكتيب الأعفر ... ٣٤٤

أرأت جفونك مثله من منظر ... ٣٤٥

وعشية كانت قنبصة فتية ... ٣٤٥

وعندى من مرأشها حديث ... ٣٤٦

عذيري من الآمال خابت قصودها ... ٣٤٦

أبا عرو متى تقضى الليالى ... ٣٤٦

طفل المساء وللنسيم تضوع ... ٣٤٦

ألا بشروا بالصبح متى باكيا ... ٣٤٧

مثل الرزق الذى تطلبه ... ٣٤٧

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملككم ... ٣٤٧

صفحة

ونقلت من كل ملك ذخيرة ... ٤٨٦

ابن غالب الرصافي (ابو عبد الله)

خليلي ما لليد قد عبت نشرأ ... ٥٠٧

أبني البلاغة فيم حفل النادى ... ٥٠٩

عاد الحديث إلى ما جر أطييه ... ٥١١

دعاك خليل والأصيل كأنه ... ٥١٢

قالوا وقد أكثروا في حبه عدل ... ٥١٣

ومنهف كالفصن إلا أنه ... ٥١٣

أدراها فالقائمة قد أجالت ... ٥١٤

أدراها على أمر فاثم من بأس ... ٥١٤

ومطارح مما تحس بنانه ... ٥١٤

ومهدل الشطين تحسب أنه ... ٥١٤

قصير كالأنابيب لكنه ... ٥١٤

ابن فضيلة المعافى (محمد بن ابراهيم)

سرت ريح نجد من ربي أرض يابل ... ٣٤١

بهرت كشمس في غلالة عسجد ... ٣٤٢

ابن فطيس (محمد بن عبد الله)

يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤

ابن قزمان الزهرى (محمد بن عيسى)

ركبوا السيول من الخيول وركبوا ... ٤٩٤

أتى من المجد أمر لا مرد له ... ٤٩٥

يارب يوم زادنى فيه ... ٤٩٥

جئت لنوديمه وقد ذرفت ... ٤٩٦

يا أهل ذا المجلس السامى سراوته ... ٤٩٦

صرفت اليك وجوهها الأفراح ... ٤٩٦

كثير المال تبذله فيبقى ... ٤٩٧

وعهدى بالشباب وحسن قلبى ... ٤٩٧

يمسك الفارس ربحا ... ٤٩٧

أحسن ما فيط في الدعاء لمن ... ٤٩٧

إيه أبا بكر ولا حول لى ... ٥٠٥

ابن القصيرة (محمد بن سليمان)

فسل عنه أحشاء ابن ذى النون هل ... ٥١٧

صفحة

نهياً لإقدام العقول عقلاً ... ٢٢٢

محمد بن أحمد بن عبد الله الاستنجي

حتى التسم إذا أم بأرضهم ... ٣١٦

تضوا في ربي نجد في القلب مرساه ... ٣١٧

سرت من ربي نجد معطرة الريا ... ٣١٨

بحياك أم نور الصباح تبسما ... ٣١٩

فا على الحبيب من اعتراض ... ٣٢٠

فلو كان رحما واحدا لاتفقته ... ٣٢٢

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان ... ٣٢٢

معان لبسن ثياب الجلال ... ٣٢٤

كتبت ولو أني أستطيع ... ٣٢٥

محمد بن أحمد بن علي الهواري

سلوا سر ذلك الخال في صفحة الخلد ... ٣٣٠

عرج على بان المذيب وناد ... ٣٣١

على لكل ذي كرم دنام ... ٣٣١

محمد بن أحمد الفشتال

وافت يجر الفضل فضلة بردها ... ١٨٩

محمد بن أحمد بن منغل الغافقي

يا أيها المرتجي لطف خالقه ... ١٣٦

محمد بن حسان

وكل عدو أنت تهزم عرشه ... ١٠٢

محمد بن حسن العمراني الشريف

منحت منحت النصر والعز والرضا ... ٥٢٣

الشعر أسنى كلام خص بالعرب ... ٥٢٤

مالي أرى تاج الملوك وحوله ... ٥٢٤

محمد بن سعيد الأشعري المالقي

هام الفؤاد في بشت التبع والنثم ... ١٧٨

محمد بن عبد الله بن داود الغافقي

أقنع بما أوتيته تمل الغنا ... ٤٢٨

يا دعوة شاك ما قد ... ٤٢٨

نعم المراد لمن غدى يرتاد ... ٤٢٩

رب أنت الحكيم فاغفر ذنوبي ... ٤٣٠

صفحة

يا قائلا إذا رأى مرجى وحرته ... ٣٤٨

ابن مشتعل الأسلمي

هفاني من بين المغاني عقيها ... ٣٦٥

من عادي ومن ناصري ومنص ... ٣٦٦

ما للأحبة في أحكامهم جاروا ... ٣٦٦

ابن مقاتل ، أبو بكر

ومهفهف هاف المعاطف أحور ... ٣٨٠

أيا لبني الرفاء تنضى طلباتهم ... ٣٨٠

ابن منظور القيسي

ما للعطاس ولا للفأل من أثر ... ١٧٢

ابن مهيب اللخمي (أبو بكر)

أليل النوى هل من سبيل إلى فجر ... ٤٢٢

لصالحين إلى الصلاح طريق ... ٤٢٢

جفوت ومازال الجفاء سجية ... ٤٢٤

أمل من الدنيا المباحة كسرة ... ٤٢٥

ترحل صبري والواويع مقيم ... ٤٢٥

ابن هاني الأزدي الألبيري الغرناطي

أحب بيتاك القباب قبابا ... ٢٩٠

أليتنا إذ أرسلت واردا وجفا ... ٢٩٠

أبو بكر بن عبادة المري

وقالوا كفه جرحت فقلنا ... ١١١

أبو العباس بن الغماز

لبس البرنس الفقيه فباهي ... ٢٢٣

أبو عبد الله العنبري (محمد بن علي الأوسي)

لله حي يا أميم حواك ... ٢٨٥

السالمي الكاتب

أدر كؤوس المدام والرز ... ١٢٣

عبد المنعم بن محمد بن يوسف الحيمي

يا مطلبيا ليس لي في غيره أرب ... ٤٤٨

عبد المهيم الحضرمي (أبو محمد)

ترامى سميحا والنسيم عليل ... ٤٥٥

فخر الدين (الامام)

صفحة

محمد بن عبد الرحمن العقيلي

رحلوا الركائب موهنا ... ٤٧٧

أيا ملكا يسمر بسعد مساعد ... ٤٧٧

محمد بن عبد الرحمن المتاهل

خذها إليك طبرنشا ... ٤٧٨

أنلني يا خير البرية خطة ... ٤٧٨

محمد بن علي بن عمر العبدري

لكل أناس مذهب وسجية ... ٥٧٨

أحبتنا بمصر لو رأيتم ... ٥٧٩

تفنى حمام الأيك يوما بذكرهم ... ٥٧٩

تقر ملوك الأرض أنك مولاها ... ٤٧٩

ومنكم ذوو التيجان والهم التي ... ٤٧٩

رحلنا فشرقتا وراحوا ففرجوا ... ٥٨٠

محمد بن علي بن محمد الهمداني

بالهضب هضب زرود أو تلعاتها ... ٤٩٠

يا بدر تم طالما في الحشى ... ٤٩١

رثوا القباب بأدمع مفضوضة ... ٤٩١

محمد بن عمر بن علي المليكتي

رضى نلت من كل ما يهوى ... ٥٦٤

لم أنس وقفنا بباب الملعب ... ٥٦٤

أرى لك ياقلبي بقلبي محبة ... ٥٦٥

ألم ترها قد شمردت تطلب الجدا ... ٥٦٦

ما أحسن الأفق الشرق إسفارا ... ٥٦٧

منع الهجر من سليبي هجوعا ... ٥٦٨

شرح حالي لمن يريد سؤالي ... ٥٦٨

يا صاحب البلد المليح المشرق ... ٥٧٠

فيا يوسنى الحسن والصفع والرضا ... ٥٧١

محمد بن قاسم بن أبي بكر المالقي

أبا على حسينا ... ٥١٦

فضل التجارات باد في الصناعات ... ٥١٦

محمد بن محمد بن جهود

يا مرج الكحل ومن هذى المروج له ... ٣٤٨

صفحة

محمد بن محمد بن عبد الله الانصاري

من لم يصن في أمل وجهه ... ٥٢٧

وليت ولاية أحسنت فيها ... ٥٢٧

وليت فقيل أحسن خير وال ... ٥٢٧

مولاي نصيرا فكم يضام ... ٥٢٨

محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي

راؤني وقد أغرقت في عبراتي ... ٢٧١

سيخطب قس العزم في منبر السرى ... ٢٧١

محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي

لا عذر لي عن خدمة الإعدار ... ٣٨٣

تبسم ثغر الدهر في القضب الملد ... ٣٨٤

عللوني ولو بوعد محال ... ٣٨٥

محمد بن يحيى الفسائي البرجي

أصنى إلى الوجد لما جد عاتبه ... ٢٩٥

صحا القلب عما تملين فأقلما ... ٢٩٩

نهاه النهى بعد طول التجارب ... ٣٠٠

محمد بن يوسف التميمي المازني

أيا قمر أطلع من وشاح ... ٥٢٢

ومنم الأعطاف معسول الها ... ٥٢٢

حكمت السلاف صفاته بجباها ... ٥٢٢

المعتمد بن عباد

إن يسلم القوم العدا ... ١١٢

قل لمن جمع العلم ... ١١٣

كذبت مناكم صرحوا أو جمجما ... ١١٣

وكواكب لم أدر قبل وجوها ... ١١٥

قبر الغريب سقاك الرائح القادى ... ١١٩

شعر مرفوع إليه

أيها الملك الأغر الأعظم ... ١١٣

القرى أبو بكر (محمد بن محمد القرشي)

رفضت السوى وهو الطهارة عنما ... ٢٠٤

النصور بن ابي عامر

- رमित بنفسى هول كل عظيمة ... ١٠٥ ...
 ما كتب على قبره
 آثاره تنبيك عن أخباره ... ١٠٨ ...
 شعر فى وصف المتوكل ابن هود
 همام به زاد الزمان طلاقة ... ١٣٢ ...
 ما نقش على قبر محمد بن الأحمر الكبير
 هذا محل الدلى والمجد والكرم ... ١٠٤ ...

- وكم وقف لى فى الهوى خضت دونه ٢٠٦
 تبدت ليمنى من جمالك لمحة ... ٢٠٧ ...
 أزور اعتبارا أرضها بتنسك ... ٢٠٩ ...
 سرت بفؤادى إذ سرت فيه نظرقى ... ٢١٠ ...
 إليك بسطت الكف أستزل الفضلا ... ٢١٢ ...
 وجد تسعره الضلوع ٢١٣ ...
 نحن إن تسأل بناس معشر ... ٢١٣ ...
 أنبت عودا بنعماء بدأت بها ... ١٤ ...

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩ ، ٤٢٤

تاريخ ألمرية ؛ ١٤٨

تاريخ غرناطة ؛ ٢٥٧

تبصرة الضمري ؛ ٣٢٦

تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ؛ ١٧٢

تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب ؛ ٢٩٠

تحفة القادم لابن الأبار ؛ ٤٧٩

كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن مالك ؛ ١٨٥

التصوير والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ؛ ٣٢٦

تفسير الرغزى ؛ ٢٨٦

ثورة المريدين ؛ ١٢٢

ج - خ

حركة الدخولية في المسألة المالكية ؛ ١٤٨

كتاب الحقائق والرقائق ، للمقرى الجد ؛ ٢٠٣

حل الجمهور على السنن المشهور ؛ ٦٥

حي بن يقظان ، رسالة ابن طفيل ؛ ٤٧٩

الخبر المختصر في السلو عن ذهاب البصر ؛ ١٧٤

خطر قبطر ، ونظر فحظر ؛ ١٤٨

خطرات الواحد في رثاء الواحد ؛ ٤٨٩

خطرة المجلس في شعراستنصر به أهل الأندلس ؛ ١٤٨

د - ز

الدر المنظم في الإحصار العظيم ؛ ٤٨٩

درر الشحط في خبر السبط ؛ ١٨٥

الدرر المنظومة الموسومة في حروف الهجاء المرسومة ؛

٣٤٢

ديوان ابن جبير ؛ ٢٣٤

ديوان ابن الحداد الوادى آشى ؛ ٣٣٤

ديوان ابن شبرين ؛ ٢٤٠

الذخيرة لابن بسام ؛ ٥٨٢

الذيل، والتكملة لكتايب الموصول والصلة ؛ ١٧٢

— ١ —

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧٠٦

الاحتفال في استيفاء ما للخيال من الأحوال ؛ ١٤٢

كتاب الأحكام ، لعبد الحق الإشبيلي ؛ ٢٨٧

أخبار معاوية ؛ ٤٨٩

الأخبار المذهبة ؛ ٢٧٥

الأرجوزة العلية المجهولة ، لابن طفيل ؛ ٤٧٩

كتاب الاستيعاب للرازي ؛ ١٣٣

الإشارة الصوفية ، والكتب الأدبية ؛ ٢٧٥

إصلاح المنطق لابن عياش ؛ ٤٨٣

إصلاح النية في المسئلة الطاعونية ؛ ٣٦٥

الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح ؛ ١٤٨

إقامة المريد لأبي عبد الله المقرى الجد ؛ ٢٠٣

إقتراح المعلمين في إصلاح المتكلمين ؛ ٣٢٦

الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛

٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ،

٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ،

٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٨

ألفية ابن الفارض ؛ ٢٠٣

كتاب الأمثال السائرة ؛ ٣٣٨

أنشدت على أهل الردة ؛ ٦٥

إيضاح الفارسي ؛ ٢٣٨

ب - ث

البرهان والدليل في خواص سور التنزيل ؛ ١٧١

بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب ؛ ٢٧٥

بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار ؛ ٤٨٩

البيان المغرب لابن عذارى ؛ ٩٨

التاج المحلى في القدرح الممل ؛ ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧

صلة الصلة لابن الزبير ؛ ٢٨٢ ، ٣٥٩ ، ٤٢٥ ،
٤٢٦

الصيب المتهان الواكف بغايات الإحسان... من
الأحاديث النبوية والقرآن ؛ ١٧٣
الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ؛ ٥٠٤
طرفة العصر في أخبار بني نصر ؛ ١٤٦ ، ٢٦٩ ،
٢٨١

ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ؛ ٣٢٥

ع - غ

عائذ الصلة ؛ ١٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ،
٣٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩ ،
٤٤٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨
العذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج ؛
١٤٨
عرايس بنات الخواطر المحلولة على منصات المنابر ؛
١٤٨
الغلسيات لابن الحاج ؛ ١٤٩
الغيرة على أهل الحيرة ؛ ٦٥

ف - ك

الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عنى من الشيوخ
والأئمة والأصحاب ؛ ١٤٩
الفعل المبرور والسعى المشكور... من نوازل
القاضي أبي عمر بن منظور ؛ ١٧٢
كتاب في الفقه والأصول لابن الحاج ؛ ٢٠٣
الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة ؛ ٢٧٤
قدر جم في نظم الجمل ؛ ١٤٨
قد يكبو الجواد في أربعين غلطة ؛ ١٤٨
قلائد المقيان ؛ ١٠٩ ، ٣٨٩ ، ٥٠٥ ، ٥٨١ ،
٥٨٢
كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ؛ ٣٢٦
الكمال والإتمام في صلة الأعلام... من أهل مالقة
الكرام ؛ ١٧٤

رجز في ألفاظ فصيح ثعلب ؛ ٣٦٥
رجز في علم الكلام ؛ ٣٦٥
رجوم الإنذار بهجوم المذار ؛ ٤٨٩
رحلة ابن جبير ؛ ٢٣١
رحلة المتبتل للمقرئ الجدي ؛ ٢٠٣
رسالة في ادخار الصبر وافتخار القصر والفقر ؛
١٧٤

رسالة في الأسطرلاب الخطي ؛ ١٤٣
رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ؛ ١٨٥
وقم الخلل في نظم الجمل ؛ ٣٢٦
روضة الجنان ؛ ٣٤٢
روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ؛ ٤٨٩
الروض المظنور في أوصاف بني منظور ؛ ١٧٠
رياضة الأبي في قصيدة الخزرجي ؛ ١٨٥
ريحان الآداب وريحان الشباب ؛ ٣٣٨
زاد المسافر لصفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥
زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغري ؛ ٢٨٢
الزهرة الفايحة في الزهرة اللايحة ؛ ٣٢٦

س - ظ

السحب الواكفة والظلال الوارقة... من اعتقاد
الفلاسفة ؛ ١٧١
سلوة خاطر فيما أشكل من نسبة النسب المرتب إلى
الذاكر ؛ ١٤٨
سمط الجنان ؛ ٣٨٩
كتاب سيويه ؛ ٣٢٨
شجرة أنساب العرب ؛ ١٤٣
شرح غريب البخاري ؛ ٣١٥
كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ؛ ٣١٠
شمس البيان في لمس البنان ؛ ٣٢٦
صحيح البخاري ؛ ٣١٦
صحيح مسلم ؛ ١٤٩ ، ١٧٩
كتاب الصلة لابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٥٨١

الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن ؛ ١٤٨ ، ٤٣٣
كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ١٩٧

ل - م

اللؤلؤ والمرجان من العذب والأجاج يستخرجان ؛
١٤٨

ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات ؛ ١٤٩
ما رأيت وما رمى لي من المقامات ؛ ١٤٩
ما كثر وروده في مجلس القضاء ؛ ١٤٩
مختصر الإحاطة ؛ ٦

المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك ؛ ١٤٩
المرقصات والمطربات لابن سعيد ؛ ٤٨٦
مساجلة البيان ؛ ٢٩٤

مشبهات اصطلاح العلوم ؛ ١٤٩
المشرع الروى في الزيادة على المروى ؛ ١٧٤
مطلع الأنوار ونزهة الأبهار ... من الرؤساء
والأعلام والأخبار ؛ ١٧٤
المغرب في حل المغرب ؛ ٥٨٢
مفتاح الإحسان في إصلاح البيان ؛ ٣٢٦

مقالة الإخوان ؛ ٤٨٩

مقامات التيمى ؛ ٣٢٦ ، ٥٢١

المقامات الحيرية ؛ ٢٥٣

مقدمة ابن خلدون ؛ ٥٨٢

ملق السبل في فضل رمضان ؛ ٤٨٩

ملء العيبة ؛ ٤٦٢

الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة ؛ ٢٧٤ ، ٤٦٤

ميزان العمل لابن رشيق ؛ ٢٧٥

ن - ي

نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح ؛ ٢٣٤

نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر ؛ ١٧٤

نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان ؛ ٢٣٤

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٢٩٥

نفح الكامات في شرح المقامات ؛ ٣٢٦

نفحات المسوك وعيون التبر المسوك في أشعار

الخلقاء والوزراء والملوك ؛ ١٧١

الوشاح المفضل ؛ ٣٣٨

فهرست القبائل والطوائف والدول

دولة الشام ؛ ٤١٨	الإسلام ؛ ١٥ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
الدولة اللتونية ؛ ٥١٦	٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠
الدولة النصرية ؛ ١٧ ، ٢٧٠ ، ٤٥٢	بنو إسرائيل ؛ ٥٠٤
الروم ؛ ٢٢ ، ١٤٠ ، ٤٣٧	بنو بطرون ؛ ٦٥
الصحابه ؛ ٤٩٠	بنو تميم ؛ ٥٥٣
الصوفية ؛ ١٩٤ ، ٣٠١	بنو جفنة ؛ ٥٥٣
الطوائف ؛ ١١٦	بنو حجاج ؛ ٤٤٤
العرب ؛ ٤٣ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٤١٦ ، ٥٥٨	بنو حسون ؛ ٤٤٤
الفرنج ؛ ٤٦	بنو زيان ؛ ٥٧٢ ، ٥٢٩
المتونيون ؛ ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦	بنو هباد ؛ ٤٤٤
المرايطون ؛ ١١٠ ، ١١١ ، ٥٨٢	بنو العباس ؛ ٣٢٤
المسلمون ؛ ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥٣	بنو عبد المؤمن ؛ ٤٨٢ ، ٤٨٦
٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٧ ، ٩٠	بنو غانية ؛ أنظر الملتشون
١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	بنو غرون ؛ ٦٥ ، ٧٤
٤٧٢	بنو مريين ؛ ٦٤
المصامدة ؛ ٤١٨	بنو نصر ؛ ١٨٢ ، ٢٤٥
الملتشون (بنو غانية) ؛ ٤٨٦	حمير ، ٥٥٩
الموحدون ؛ ١٢٧ ، ١٢٨	الخرزج ؛ ٩٢
النصارى ؛ ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٤١٦ ،	الدين - المدجنون ؛ ٣٢ ، ١٤٠
٤٧٠ ، ٤٧١	اندولة الحكية ؛ ٢٤٩
النصرانية ؛ ٣٣ ، ١٠٥	الدولة العامرية ؛ ١٠٣ ، ١٠٥

فهرست البلدان والأماكن

المرية ؛ ٤٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤ -
 ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ٣٣٠ ،
 ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٠ ، ٣٣١ ،
 ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،
 ٤٩١

أنقرة ؛ ٢٨

الأنكيرة ؛ ٤٣ ، ٤٦

أندرش ؛ ١٩٥

الأندلس ؛ ٧ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٩ - (٣١)
 ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ،
 ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٦ ،
 ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٣ - ١٤٥ ،
 - ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ -
 ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٣٩ ،
 ، ٤١٧ ، ٤٩٤ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢

أوريولة ؛ ٣٤٩

أى ولاتن ؛ ١٩٢

ب - ت

باب البيرة ؛ ٢٤٩ ، ٢٦٩

باب البنود ؛ ٦٥ ، ٧٥

باب الرض ؛ ٧٦

باب عبد الجبار ؛ ٤١٦

باب الفخارين ؛ ٥٦١

باب الفرج ؛ ١١١

باب القنطرة ؛ ١٢٥

باجة ؛ ١١٩ ، ٢٣٩

باغة ؛ ٧٩

بحانة ؛ ١٦٢

بحاية ؛ ٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٢ ،

، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

- ١ -

أبلة ؛ ٤٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٦

أبقة ؛ ٩٠

أجدونية ؛ ٤٤

أرجدونة ؛ ٥٢

أرجونة ؛ ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٧١

الأرض الكبيرة ؛ ٤٤

الأرك ؛ ٩٩

إستبة ؛ ٥٢٨

إستجة ؛ ١٢٦ ، ٣١٥

الإسكندرية ؛ ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩

الإسكوريال ؛ أنظر مكتبة الإسكوريال

أشونة ؛ ٨٦ ، ٨٧

إشبيلية ؛ ٤٣ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ،

، ٩٨ ، ١٠٨ - ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،

، ١٤٠ ، ١٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

، ٤٣١ ، ٤٣١

أشتبونة ؛ ٢٤ ، ١٤٥ ، ٥٢٨

أشونة ؛ ٩٠

إصبيان ؛ ٢٢٨ ، ٢٣٣

إطرابلس ؛ ١٠٣

أطيرة ؛ ٨١

أغاث وريكة ؛ ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩

إفراغة ؛ ١٢١

إفرنسية ؛ ٨٥ ، ٨٦

إفريقية ؛ ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٩ ، ٤٥١ ، ٥٦٣

أكاديمية التاريخ بمدرية ؛ ٣

البنول ؛ ١٤٥

إلبيرة ؛ ١٠٩ ، ١٣٠ ، ٢٩٣ ، ٣٤٤

١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٩ ، ٤٥٠ ،

٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٧

ج-خ

جامع الزيتونة ؛ ٣-٦ ، ١٣ ، ٢٢٣

جبال المرية ؛ ١٦٥

جبال غمارة ؛ ٢١

جبل الفتوح ؛ ٢٣-٢٥ ، ٥١ ، ٨٧ ، ٨٨

الجزيرة الخضراء ؛ ٨٨ ، ١٠٢ ، ١١٨ ،

١٣١ ، ١٧١ ، ٢٢٨ ، ٥٦١

جزيرة شقر ؛ ٣٤٣

جنة المريف ؛ ٢٧

جيان (وكونة) ؛ ٣٨ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٩٣ ،

٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٦ - ١٢٨ ،

٢٧١ ، ٣٨٨

جيرة ؛ ٧٩

الحجاز ؛ ٤٤٦ ، ٥٦٣

الحجر الأسود ؛ ٣٣

حران ؛ ٢٣٣

حصن أشرف ؛ ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٢

حصن إقليج ؛ ١٢٦

حصن برج الحكيم ؛ ٨٥

حصن برشانة ؛ ٨٢

حصن برغة ؛ ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١

حصن بليش ؛ ٩٩

حصن جلال ؛ ١٢١

حصن الحويز ؛ ٨٧

حصن زمرة ؛ ٨٧

حصن السهلة ؛ ٧٨

حصن شرانية ؛ ١٢٦

حصن شلب ؛ ٢٣٩

حصن القشور ؛ ٨٥

حسن اللقوة ؛ ٤٦٩

حصن مسقوط ؛ ١٢٥

٢٤٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٨

برجلونة (برشلونة) ؛ ٣٣ ، ٤٢ ، ٨٥ ،

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٣

برجة ؛ ١٤٥ ، ١٥٩ ، ٣٤٤

برشانة ؛ ١٤٢ ، ٤٨٧

برغش ؛ ٤٨

برقة ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣

برطغال (البرتغال) ؛ ٤٣ ، ٨٧

بسطة ؛ ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٨

بطليوس ؛ ٥٨١

بغداد ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٣٣ ،

٤٤٨

بلاد الريف ؛ ١٥١

بلاد القبلة ؛ ١٠٥

بلاد الهند ؛ ١٦٠

البلد الجديد ؛ ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠

بلد العناب ؛ ١٣٥

البلد القديم ؛ ٤٠

بلش ؛ ١٣٨

بلنسية ؛ ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٧٩ ،

٤٨٥ ، ٥٠٧

بنبلونة ؛ ٤٤

البيت الحرام ؛ ٥٥٨

بياسة ؛ ١٢٦

بيت المقدس ؛ ٢٣٢ ، ٤٥٠

بيرة ؛ ١٤٦

بيونة ؛ ٤٣

تاكرونا ؛ ٩٢

تدمير ؛ ١٠٦

تكرنت ؛ ١٣٥

التكرور ؛ ١٩٢

تلمسان ؛ ٢١ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٩٢ ،

١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٢٩

تونس ؛ ٣ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ١٣٥ ،

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ،

السيكة ؛ ١٠٠

سجلاسة ؛ ٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٧٩ ، ٥٧١

سقرطونة ؛ ٩٢

سكون ؛ ٢٨٨

سلا ؛ ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٧١

شاطبة ؛ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩

الشام ؛ ١٠٨

شذونة ، كورة ؛ ٢٣٠

شرق الأندلس ؛ ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ٣٠٠

شقورة ؛ ٣٨٨

شلب ؛ ٤١٨

الصخور ؛ ١٢٨ ، ١٢٩

طبرنش ؛ ٤٧٨

طيرة ؛ ٤٢٥

طرطوشة ؛ ١٢٦

طريانة ؛ ٤٣٢

طريف ؛ ١٨٠

طشانة ؛ ١٠٨

طليلة ؛ ٤٧ ، ١٣٣ ، ٤١٦

طنجة ؛ ٣١ ، ١١٢ ، ١١٧

طيبة (المدينة) ؛ ٢١٩ ، ٢٣٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢

ع - غ

العدوة ٩٥٣ ، ١٠٩ ، ١٤١ ، ١٩١ ، ٢٩٤

٤٢٦ ، ٣٧١

البريش ؛ ١٠٨

عقبة إيلة ؛ ٥٦٧

غرناطة ؛ ٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٦

١٢٧ ، ١٢٩ - ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨

١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ١٨٧

١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢

حصن مطرنش ؛ ١٢٦

حصن متيل ؛ ٨٥ ، ٨٧

حصن وحبر ؛ ٨١

الحراء (قصر وقلمة) ؛ ٢٦ ، ٥٢ ، ٨٠

١٩٨ ، ١٤٦

حصص ؛ أنظر لإشبابة

الحمة ؛ ١٦٢

حمة مرشانة ؛ ٣٦٤

حومة الدرب ؛ ٤١٦

خراسان ؛ ١٦٠

الخزانة الملكية بالرباط ؛ ٣

د - ز

دار الحديث الكاملية ؛ ٤٥١

دانية ؛ ١٢٦

درب الفرعوني ؛ ٤١٦

دلالية ؛ ١٤٥

دمشق ؛ ٢٢٩ ، ٣٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠

دومة الجندل ؛ ٥٥٨

ذكوان ؛ ٢٨

رابطة العقاب ؛ ١٥٥

رباط آسني ؛ ١٢٩

ربض البيازين ؛ ١٢٧ ، ٣٠٠

الربض الشرق ؛ ٤١٦

روحة أبان ؛ ٤١٦

رغون ؛ ٤٧ ، ٤٨ ، ٩٨

رندة ؛ ٣٠ - ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٧

١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠

٣٦٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤

روطة ؛ ٨٧

ريه ، كورة ؛ ٢٧٥

الزاوية ؛ ٥٠٤

س - ط

سنة ؛ ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ١١٦

القنب ؟ ٤٣١

قيجاطة ؟ ٤٦٧

كدية مردنيش ؟ ١٢٧

الكعبة ؟ ٥٦٥ ، ٥٦٦

ل - م

لوثة ؟ ٢٨ ، ٢٦٩ ، ٣٤٣

ماردة ؟ ١٣٠

المارستان الأعظم ؟ ٥١٥ ، ٥٢٠

مارستان مصر ؟ ٥٠

مالقة ؟ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٧

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٦

١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨

المدينة ؟ أنظر طيبة

مدينة سالم ؟ ١٠٧

مراكش ؟ ٤١ ، ١٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٤

٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥١٧

مربلة ؟ ٢٨ ، ١٤٥

مرج الرقاد ؟ ١٢٧

مرسى تلهى ؟ ١٦١

مرسية ؟ ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ -

٣٤٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣١

مرشانة ؟ ٩٠ ، ٤١٩

المشرق ؟ ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢

٢٧٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٥٢٥

مشهد الحسين ؟ ٤٤٨

مصر ؟ ١٠٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠

المغرب ؟ ١٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣

٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٤

١٠٥ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

٢٨٩ ، ٣٧٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٥١٥ ، ٥٧٥

٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣

٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ - ٥٠٦

٥٠١ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٦١ - ٥٦٣ ، ٥٦٥

٥٧٠

غليسية ؟ ٤٣

غمدان ؟ ٥٥٧

ف . ق . ك

فاس ؟ ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٤٠

١٤١ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٢١

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٥١٥

٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

فحص الفت ؟ ٢٨

فرغليط ؟ ٣٨٨

القساط ؟ ٢٢٩

فنيانة ؟ ١٤٥

القاهرة ؟ ٤٣٤ ، ٤٥١

قرطبة ؟ ٤٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢

١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

٣٣٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ، ٤٩٤

٥٠٠ ، ٥٣٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢

قرطمة ، معقل ؟ ٢٧٥

قرمونة ؟ ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٢٦

قرية الخزر ج ؟ ٩٣

قشتالة ؟ ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٦ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ٣٠٠

قصبه المري ؟ ٦٥ ، ١٩

قصبه قيحاطة ؟ ٤٧١ ، ٤٧٢

قنصه ؟ ٤٧٩

قنالش : غزوة ؟ ١٠٧ ، ١٤٥

مقبرة ابن عباس ؛ ٤١٦

المقرمدة ؛ ١٤١

مكتبة الإسكوريال ؛ ٦ - ٣

المكتبة الزيدانية ؛ ٥

مكة ؛ ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦

المنكب ؛ ١٣٥ ، ٣١٠ ، ٣٦٤

منورقة ؛ ٢٤٩

المهدية ؛ ٤٨٦

موقعة بكركي ؛ ٢٩٣

موقعة الزلاقة ؛ ١١٤

موقعة طريف ؛ ٣٦٨

موقعة العقاب ؛ ٣٢٩

ن - ي

لبارة ؛ ٤٤٤

نجد ؛ ٣١٧ ، ٣١٨

النهر الأعظم (الوادي الكبير) ؛ ١٠٨

نهر الغدائق ؛ ٣٤٣

هنين ؛ ١٦١

وانى آش ؛ ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩ ،

١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١ ،

١٨٧ ، ٣٦٧

وادي الحجارة ؛ ١٠٧

وادي الغيران ؛ ٣٦٠

وادي لو ؛ ١٥١

ادى هدارة ؛ ٢٦

وادي يانة ؛ ٤٦٩

يوميين ؛ ١٠٨

فهرست الأعلام

ابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٣٩٠ ، ٤١٦ ، ٤٨٩ ، ٥٨١

ابن بطرون ؛ ٧٤

ابن بق (أبو الحسن بن محمد) ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩

ابن تافرايين ، أبو محمد ؛ ٢٢

ابن تيمية ؛ ٢٠٣

ابن جابر (محمد بن أحمد الهواري) ؛ ٣٣٠

ابن جبير ، عبد السلام ؛ ٢٣٠

ابن جبير ، محمد بن أحمد ؛ ٧ ، ٢٣٠

ابن جزى الكلبي ، أبو عبد الله (محمد بن محمد)

ابن أحمد ؛ ٢٥٦ ، ٢٥٧

ابن جزى الكلبي (محمد بن عبد الله بن يحيى) ؛

٤٥٢

ابن جهور ، أبو الوليد ؛ ٥١٧

ابن الجنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري) ؛

٣٤٨ ، ٦

ابن الحباب ، أبو الحسن علي ؛ ١٨٣ ، ٢٢٧ ،

٢٨٢ ، ٤٥٣

ابن الحاج البلقيني ، أبو أنبركات ؛ ١٨ ، ١٤٣ ؛

١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ؛

٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤١٨ ؛

٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤

ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله) ؛ ٤٤٢

ابن الحاج (محمد بن علي) ؛ ١٣٩

ابن الحاجب ؛ ٢٠٣ ، ٢٢٣

ابن حبيش ، أبو القاسم ؛ ٣٩٠ ، ٤٨٣ ؛

٤٨٨

ابن الحداد الوادي آشي ؛ ٦ ، ٣٣٣

ابن حزب الله (محمد بن محمد) ؛ ٣٦٧

ابن حزم ، أبو محمد ؛ ١٧٦

ابن حسون ، أبو مروان ؛ ٤٤٤

— ١ —

إبراهيم بن أبي بكر الحفصی ، السلطان ؛ ٢٢

إبراهيم بن أبي الفتح ؛ ٢٦

إبراهيم بن أبي الوليد ؛ ٣٢٥

إبراهيم بن أبي يحيى الحفصی ، السلطان ؛ ٤٢

إبراهيم بن إسحاق الفسافي ؛ ٢٣٢

إبراهيم بن الحكيم ، أبو إسحاق ؛ ٤٦١

إبراهيم بن حكيم الكنانی ؛ ٢٠١

إبراهيم بن المل ؛ ٤٨٨

ابن الأبار القضاي ، أبو عبد الله ؛ ١٤٤ ،

٤٧٩

ابن أبي اليقاء ؛ ٣٤٣

ابن أبي خالده ؛ ٩٨

ابن أبي الخصال (محمد بن مسعود بن خالصة) ؛

٧٤٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٤١٦ ، ٤٩٥

ابن أبي خيشة الجباني ؛ ٣١٥

ابن أبي زيد ؛ ٢١٧

ابن أبي السداد الباهلي ، أبو محمد ؛ ١٣٩ ،

١٧٠ ، ١٧٩

ابن أبي العيش ، أبو الحسن محمد ؛ ٢٢٣

ابن أبي القاسم السبيلي ؛ ٤٨٣

ابن أرقم الفيرى ؛ ١٤١

ابن الأزرق ؛ ١٢٢

ابن أضحى (أبو الحسن علي بن عمر) ؛ ٥٠٤

ابن الأقطس ، عمر المتوكل ؛ ١١٨ ، ١١٩ ،

٤٩٤ ، ٥٨١ ، ٥٨٢

ابن الباذش ، أبو الحسن ؛ ٣١٥ ، ٥٢١

ابن باق الأموي ؛ ٣٣٨

ابن برطلة ، أبو محمد عبد الرحمن ؛ ٣٤٣

ابن بسام ؛ ٣٣٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

ابن سيد الناس البصري (محمد بن محمد) ؟ ١٨٠
 ابن شبرين ، أبو بكر ؟ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٣٧٩ ، ٤٧٤
 ابن الشديد (محمد بن محمد) ؟ ٣٨٦ ، ٥١٦
 ابن شرف ؟ ٢٩٠
 ابن شلبطور الهاشمي ؟ ٣٦٠ ، ٣٦٤
 ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) ؟ ١٠٧
 ابن صاحب الصلاة ؟ ١٠٧ ، ١٤٤
 ابن صفوان القيسي ؟ ٣٨١
 ابن الصيرفي ؟ ١١٨ ، ١٢٠ ، ٥١٧
 ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك) ؟ ٦ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨٢
 ابن طلحة ؟ ١٤٤
 ابن عبد الصمد ؟ ١٢٠
 ابن عبد الملك المراكشي ؟ ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
 ٥٨١ ، ٥١٧
 ابن عبد الواحد البلوي (محمد بن محمد) ؟ ٣٨٢
 ابن عذارى المراكشي ؟ ٩٨
 ابن عساكر (عبد الرحمن بن الحسين) ؟ ٢٣٣
 ابن عسكر (محمد بن علي بن الأخضر) ؟ ١٧٢ ،
 ٣٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٨٤
 ابن عماد الحارثي ؟ ٤٤٩
 ابن عمار ؟ ١٠٩
 ابن عمر الفدوي ؟ ٢١٩
 ابن عميرة ، أبو المطوف ؟ ١٤٧ ، ٣٥٣
 ابن عياش التجيبي البرشاني ؟ ٦ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٤ ، ٤٨٧
 ابن عياض (والى بلنسية) ؟ ١٢١
 ابن غالب الرصاصي ؟ ٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧
 ابن غانية المسوقي ، يحيى ؟ ١٢١ ، ٤١٨
 ابن الفواز البلنسي ، أبو العباس ؟ ٢٢٣ ، ٤٥٢
 ابن فرتون ؟ ١٤٤
 ابن الفرس ، أبو القاسم ؟ ٤٩١

ابن حكيم ، أبو عثمان ؟ ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٤٩
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر ؟ ٢٧٢ ، ٤٦١
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله (ذو الوزارتين)
 ١٣٦ ، ٧ ، ٤٦٢ ، ٢٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو القاسم ؟ ٢٦٦
 ابن حمادة (محمد بن أيوب بن غالب) ؟ ١٢٢
 ابن حدين ، أبو جعفر ؟ ٥٠٥ ، ٥٨٢
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ؟ ٢٣٤ ، ٣٢٧
 ابن حوط الله ، أبو محمد ؟ ٣٢٧
 ابن الخطيب ، لسان الدين ؟ ٤ - ٧ ، ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ابن خفاجة ، أبو إسحاق ؟ ٣٩٠
 ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين ؟ ٢٩٩ ، ٥٨٢
 ابن خميس الحجري ؟ ٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٥٢٨
 ابن خير ؟ ٤٨٧
 ابن خيرة الموايني ؟ ٣٣٧
 ابن دراج القسطل ؟ ١٠٧
 ابن ذي النون ، يحيى ؟ ٥١٧
 ابن رضمير ؟ ١٢١
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله ؟ ١٣٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٥٣ ، ٤٦٢
 ابن الزبير ، أبو جعفر ؟ ٣٧ ، ١٣٩ ،
 ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٠٦
 ابن رزيق ، أبو الحسن محمد ؟ ٣٤٩
 ابن زرك (محمد بن يوسف الصريحي) ؟ ٤ ،
 ٣٠٠ ، ٧
 ابن الزيات الكلاعي ؟ ١٣٨
 ابن زيدون ؟ ١٠٩ ، ١١٣
 ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى) ؟ ٦ ، ٥٨٢

ابن هشك . إبراهيم : ١٢٦ ، ١٢٧
ابن هود . الشوكل (محمد بن يوسف) : ٧ .
٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٨ - ١٣٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩

ابن ميثن : ٩٣

أبو إسحق بن أبي العاصي : ٥٣

أبو إسحق الإلبيري : ١٥٥

أبو إسحق البلقي : ٢١

أبو إسحق الزوالى : ١٧٣

أبو إسحق بن الحاج : ٤١٩ ، ٤٢٠

أبو إسحق بن حبيب : ٢٣٣

أبو إسحق بن حكم السلى : ٢١٥ ، ٢١٨

أبو إسحق ، شرف الدولة : ١٣١

أبو إسحق الطيار : ٢٠١

أبو إسحق بن عبد الرقيق : ٢٤٢

أبو إسحق النفاق : ١٨٤ ، ٢٤٢ ، ٢٨٢

أبو إسحق الموحدي ، السيد : ٣٢٨

أبو البدر بن عبد الله بن الزبير : ٤٤٩

أبو بكر ، الخليفة : ٣٢١

أبو بكر بن إبراهيم بن يربوع السبي : ٥٢

أبو بكر بن خيس : أنظر ابن خيس

أبو بكر بن خيرة : ٣٣٨

أبو بكر الداني : ١١٥

أبو بكر بن زرقون : ٤٨٨

أبو بكر بن سابق : ٣١٥

أبو بكر بن السعيد ، السلطان : ٢١ ، ٢٢

أبو بكر بن صهيب : ١٤٤

أبو بكر بن عباد المرى : ١١١

أبو بكر بن عبد العزيز : ٣٢٨ ، ٤٠٤

أبو بكر بن عبدة الإشبيل : ٢٤٢

أبو بكر بن العربي : ٢١٣ ، ٣٨ ، ٤٨٧

أبو بكر الكاتب : ٩٨

أبو بكر بن محمد اليحصي : ٩٦

ابن فطوس (محمد بن عبد الله) : ٤٤٣

ابن القاسم : ٢١٤ ، ٢١٥

ابن القائل الكاتب : ٤٨٤

ابن قزمان الزهرى (محمد بن عيسى) : ٦ ، ٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥

ابن القصيرة ، أبو بكر : ٦ ، ٧ ، ٥١٦

ابن قطبة الدوسي (محمد بن أحمد) : ٢٥٠

ابن قطبة (محمد بن محمد بن أحمد) : ٢٥٣

ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد) : ٢٥٥

ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) : ٢٥٤

ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) : ٢٥٥

ابن قطرال : ٣٤٩

ابن قيد : ٤٨٨

ابن الكاد ، أبو عبد الله : ١٧١ ، ١٧٩

ابن لب الأي (محمد بن عبد الله) : ٤٣٣

ابن مجاهد الرندي : ١٧١

ابن مرج الكحل (محمد بن إدريس) : ٦ ، ٧ ، ٣٤٧

ابن مرزوق ، الخطيب ، أبو عبد الله : ٣٠٣ ، ٣١٠

ابن مشعل (محمد بن محمد بن جعفر) : ٣٦٤

ابن مضاء ، أبو العباس : ٣٩٠ ، ٥٢١

ابن مقاتل (محمد بن محمد) : ٣٧٩

ابن منخل النفاق (محمد بن أحمد) : ١٣٣

ابن منذر الإشبيل (أبو العباس أحمد) : ٤٢١

ابن منظور القيسي : ١٧٠

ابن مهيب اللخمي ، أبو بكر : ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٥

ابن النعمة : ٤٨٨

ابن هاني الأزدي الإلبيري : ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٥٠٤

ابن هبة الله الحراني : ٤٤٨

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
 أبو بكر بن هود ، الواصل بالله ؛ ١٣١
 أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦
 أبو جعفر الإلييري ؛ ٣٣٠
 أبو جعفر البلقى ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
 أبو جعفر التيزولى ؛ ٩٨
 أبو جعفر بن أحمد بن جزى ؛ ٣٧
 أبو جعفر الحريرى ؛ ٢٧٤
 أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
 أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
 أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
 أبو جعفر الشقورى ؛ ١٧٨
 أبو جعفر بن عثمان ؛ ٤٨٣ ، ٣٤٣
 أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
 أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
 أبو جعفر الوقشى ؛ ١٢٤
 أبو جعفر بن يحيى الكنانى ؛ ٥٢١
 أبو الحجاج الأعلم ؛ ٥١٧
 أبو الحجاج الشتمرى ؛ ١١٥
 أبو الحجاج الطرطوشى ؛ ٢٢٥
 أبو الحجاج المنتشافرى ؛ ٣٦٧
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
 أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
 أبو الحجاج بن يسعون ؛ ٢٣٢
 أبو الحسن بن أبي الموالى ؛ ٢٨٨
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن برى ؛ ٢٢٥
 أبو الحسن بن التلمسانى ؛ ٣٠٣
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
 أبو الحسن الرعنى ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
 أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥
 أبو الحسن بن سهل ؛ ٣١٥ ، ٣٤٩
 أبو الحسن بن شريح ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩ ، ٥١٧
 أبو الحسن بن شعيب ؛ ٤٤٠
 أبو حسن الشقورى ؛ ١٧٣
 أبو الحسن بن عبيده ؛ ٢٤٦
 أبو الحسن عضد الدولة ؛ ١٣١
 أبو الحسن بن عقيل الرندى ؛ ١٧١
 أبو الحسن بن على الشاذى ؛ ٢٣٤
 أبو الحسن بن فرحون ؛ ٢١٩ ، ٢٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ؛ ١٧٩
 أبو الحسن القيحاوى ؛ ٢٧٤ ، ٤٣٤
 أبو الحسن المربى ، السلطان ؛ ٤١
 أبو الحسن بن مستقور ؛ ٢٤٢
 أبو الحسن بن ملحان ؛ ٤٧٩
 أبو الحسن بن موسى ؛ ٢٢٦
 أبو حفص بن عبد المؤمن الموحدى ؛ ٣٣٨
 أبو حو (موسى بن يوسف) ؛ ٢٢ ، ٤١ ،
 ١٩٣
 أبو الخطاب بن واجب ؛ ١٧٣
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
 ٤٢٦
 أبو زكريا بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو زكريا الإصبهانى ؛ ١٧٣
 أبو زيان (محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمن) ؛
 ٤٠
 أبو زيد بن الإمام ؛ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،
 ٢١٨
 أبو زيد السهلى ؛ ٣٢٨
 أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) السلطان ؛ ٢١
 ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٩ - ٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦
 أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧ ، ٣٢٨
 أبو سعيد بن لب ؛ ٣٠٣
 أبو طالب بن القرشى الزهرى ؛ ٥٠٣

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
 أبو بكر بن هود ، الواصل بالله ؛ ١٣١
 أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦
 أبو جعفر الإلييري ؛ ٣٣٠
 أبو جعفر البلقى ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
 أبو جعفر التيزولى ؛ ٩٨
 أبو جعفر بن أحمد بن جزى ؛ ٣٧
 أبو جعفر الحريرى ؛ ٢٧٤
 أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
 أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
 أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
 أبو جعفر الشقورى ؛ ١٧٨
 أبو جعفر بن عثمان ؛ ٤٨٣ ، ٣٤٣
 أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
 أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
 أبو جعفر الوقشى ؛ ١٢٤
 أبو جعفر بن يحيى الكنانى ؛ ٥٢١
 أبو الحجاج الأعلم ؛ ٥١٧
 أبو الحجاج الشتمرى ؛ ١١٥
 أبو الحجاج الطرطوشى ؛ ٢٢٥
 أبو الحجاج المنتشافرى ؛ ٣٦٧
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
 أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
 أبو الحجاج بن يسعون ؛ ٢٣٢
 أبو الحسن بن أبي الموالى ؛ ٢٨٨
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن برى ؛ ٢٢٥
 أبو الحسن بن التلمسانى ؛ ٣٠٣
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
 أبو الحسن الرعنى ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
 أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥

أبو عبد الله بن النجار ؛ ٢٢٣
 أبو عبد الله بن نصر ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن هارون ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن هاني ؛ ١٥٠ ، ١٨٣
 أبو عبد الله بن هشام الشواش ؛ ٤٢١
 أبو عبد الله الآبلي ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ٢٢٨
 أبو عبد الله الترجالي ؛ ٢٢٥
 أبو عبد الله الديباغ المالقي ؛ ٢٢٤
 أبو عبد الله السلال ؛ ١٧١
 أبو عبد الله الشطلي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله الطرسوفي ؛ ١٣٤
 أبو عبد الله الطنجالي ؛ ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٤٢ ،
 ٣٤٠ ، ٢٧٤
 أبو عبد الله المقرب (محمد بن علي الأوسي) ؛
 ٢٨٤ ، ٢٨٥
 أبو عبد الله العلوي التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله الفهاري ؛ ١٨٤
 أبو عبد الله الفاسي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله اللؤثي اليحصبي ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٣
 أبو عبد الله الميرقي ؛ ٤٣٤ ، ٤٨٩
 أبو عبد الحميد المالقي ؛ ١٤٤
 أبو عبيد بن يوسف بن سعادة ؛ ٤٨٨
 أبو عبيد الله بن أبي القاسم الأنصاري ؛ ١٧٩
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ٣٤٠
 أبو علي بن أبي الشرف ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن حدون ؛ ٢٨٩
 أبو علي بن خلاص ؛ ٣٤٩
 أبو علي بن طاهر بن ربيع ؛ ١٧٩
 أبو علي بن علوان ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن كسرى المورى ؛ ٣٢٨
 أبو علي الحداد ؛ ٢٢٨
 أبو علي الراندي ؛ ٣٦٤
 أبو علي الشلوين ؛ ٣٤٩
 أبو علي الصدقي ؛ ٥٢١

أبو الطاهر السلق ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٨
 أبو العباس بن إدريس ؛ ٤٨٨
 أبو العباس بن الأشقر ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن غالب ؛ ٣٢٧
 أبو العباس الرندي ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن عبد المؤمن البناي ؛ ٢٣٤
 أبو العباس الغبريني ؛ ٢٤٢
 أبو العباس الغربي ؛ ٢٢٨
 أبو العباس النباي ؛ ٤٨٩
 أبو العباس الوزعي ؛ ٣١٦
 أبو عبد الرحمن بن مساعد ؛ ٤٨٩
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ١٧٤ ، ٣٤٢
 أبو عبد الله بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو عبد الله بن أحمد بن عروس ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن أضحى ؛ ٩٧
 أبو عبد الله بن بكر الإلييري ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن برطال ؛ ٢٤٢
 أبو عبد الله بن بيش ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله بن حريث ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن حسن بن مجير ؛ ٢٣٤
 أبو عبد الله بن الحصار ؛ ١٧٩
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ٤٨٣
 أبو عبد الله بن الرميحي ؛ ٩٦ ، ١٢٩ ،
 ٤١٩ ، ١٣٢
 أبو عبد الله بن الزبير ؛ ١٧١
 أبو عبد بن زنون ؛ ١٢٩
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن سلمان ؛ ٥٢١
 أبو عبد الله بن عيسى التميمي ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن الفخار ؛ ١٣٤ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله بن محمد الكرسوفي ؛ ٢٠٠
 أبو عبد الله بن مسلمة ؛ ٣٣٩

أبو علي الفسافي ؛ ٣١٥

أبو عمر الطنجي ؛ ١٧١

أبو عمر الاوشى ؛ ٢٧٠

أبو عمران بن أبي تلب ؛ ٥٢١

أبو عمرو بن أحمد النفزي ؛ ٢٢٩

أبو عمرو بن سالم ؛ ٥٠٦

أبو عمرو بن عباد ؛ ٤٨٩

أبو عمرو بن الملا ؛ ٢١٧

أبو عثمان فارس ، السلطان ؛ ١٧ ، ١٨ ،

٢٠ ، ٢١ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٤

أبو عيسى بن أبي السداد ؛ ٣٤٩

أبو الفتح بن زيان بن مسعدة ؛ ٢٢٦

أبو الفرج بن الجوزي ؛ ٢٣٣

أبو القاسم البلوي ؛ ٤٨٣

أبو القاسم بن بق بن نافحة ؛ ٢٢٨

أبو القاسم بن حزب الله ؛ ١٥٠

أبو القاسم بن حسان ؛ ٤٦٥

أبو القاسم بن الشاط ؛ ١٨٤

أبو القاسم بن صوابه ؛ ٥٢١

أبو القاسم بن الطليسان ؛ ٤٩٧

أبو القاسم بن عباد ؛ ١٠٨

أبو القاسم بن عمران ؛ ١٧٤

أبو القاسم بن نبيل ؛ ٣٤٩

أبو القاسم بن يسر ؛ ٤٤٨

أبو القاسم الحسيني ؛ ١٥٠ ، ١٩٧

أبو القاسم السهيلي ؛ ٣٢٨

أبو القاسم الملاحي (محمد بن عبد الواحد الغافق) ؛

١٣٣ ، ٣٨٩

أبو القاسم المواعيني ؛ ٤٨٧ ، ٤٩١

أبو القمر هلال ؛ ١٢٧

أبو المجد بن الأحوص ؛ ١٧١

أبو محمد بن أبي الأحوص ؛ ١٧٤

أبو محمد بن أبي الدياس ؛ ٥٠٩

أبو محمد بن حسن الواقي ؛ ٢٣٤

أبو محمد الرشاطي ؛ ٤٧٩

أبو محمد بن سميل الضرير ؛ ٤٨٨

أبو محمد بن السيد ؛ ٥٢١

أبو محمد بن الصايغ ؛ ١٤٦

أبو محمد بن عتاب ؛ ٥٢١

أبو محمد بن عطية ؛ ١٧

أبو محمد بن المؤذن ؛ ٢٤٢

أبو محمد البسطي ؛ ٩٩

أبو محمد الدلاصي ؛ ٢٢٢

أبو محمد القرطبي ؛ ٣٢٨

أبو مدين ، شعيب بن الحسين ؛ ١٩١ - ١٩٣

أبو مروان البياضي ؛ ٤٨٩

أبو مروان بن مسرة ؛ ٣٢٧

أبو النجاة سالم ، عماد الدولة ؛ ١٣٠ ، ١٣١

أبو الوليد بن حجاج ؛ ٤٨٩

أبو الوليد بن شبكة ؛ ٢٣٢

أبو الوليد بن يحيى بن سعد ؛ ٣٢٥

أبو يحيى بن عبد الحق ؛ ٩٧

أبو يحيى بن الكاتب ؛ ٩٦

أبو يعقوب الموحدي ، السيد ؛ ١٢٧

أبو يوسف بن طلحة ؛ ٤٨٧

أبي بن كعب ؛ ٣٢٠

أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني ؛ ٤٤٩

أحمد بن أبي الوليد (أبو القاسم) ؛ ٣٢٥

أحمد بن أحمد الزجاجي البغدادي ؛ ٤٥٠

أحمد بن إسحاق ، أبو المعالي ؛ ١٨٠

أحمد بن زيد بن الحسن ؛ ١٣٣

أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ؛ ٤٤٨

أحمد بن أبي غالب الرصافي ؛ ١٠٧

أحمد بن قاسم الأصولي ؛ ٢٨٨

أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٨٠

أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري ؛ ٣٢٦

إدريس المأمون ، الخليفة الموحدي ؛ ٩٧ ، ١٣٠

إدريس الواثق ، أبو دبوس ، الخليفة الموحدى ؛

٩٧

إدفونش بن فردلانده ؛ ١١٠ ، ١١٤

إسحاق بن أبي العاص ؛ ٢٧٤

إسماعيل بن تير الأيادي ؛ ٣١٩

إسماعيل بن قريش بن عباد ؛ ١٠٨

إسماعيل بن موسى ؛ ٢٢٩

إعتماد الرميكية ؛ ١١٠ ، ١١٩

إمروء القيس ؛ ٢٢٠

أندريق (الكونت) ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

أنس بن مالك ؛ ٢٢٩

أيوب بن عبد الله الفهرى ؛ ٢٢٨

ب — ث

باديس بن حبوس ؛ ١١٨

برقسين ؛ ٤٣

بركات الخشوعي ، أبو الطاهر ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣

البرنس ؛ ٤٤ — ٤٦

بطره بن أدفتش بن هرائده ؛ ٨١

بطره بن الهنشه بن هرائده ؛ ٢٢ ، ٤٢

بلج بن بشر القشيري ؛ ١٠٨ ، ٢٣٠

بلج بن يحيى بن أبي بردة ؛ ١٧٦

بوديل ، الكونت ؛ ١٠٦

تاج الدين الأمدى ؛ ٢٢٢

الترمذى ، أبو إسماعيل ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٩

تاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٣

ثابت بن علي بن عبد العزيز ؛ ٤٥١

ج — خ

جار الله بن عساكر ، أبو اليمن ؛ ٤٤٨

جايماش بن بطره (خايى الفاتح) ؛ ٩٨

جاينجوس ، المستشرق ؛ ٣ ، ٤

جرور ، القائد ؛ ١١٦

جعفر بن علي بن فلاح ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٠

جودى بن عبد الرحمن ؛ ١٤١

جوهر الصقل ؛ ٢٨٩

الحاج اللباس ؛ ٤٩

الحارث بن أسد ؛ ٣٢٢

حارثة بن العباس بن مرداس ؛ ٤٣

حازم القرطاجنى ، أبو الحسن ؛ ١٨٥

حسان بن مالك بن هاني ؛ ١٠٧

الحسن بن أيوب بن زيد ؛ ١٧٣

الحسن بن قاسم الحلالي ؛ ٢٧٥

حسين بن حسين ؛ ٢١٨

الحسين بن هبة الله الربيعى ؛ ٢٣٣

حسين بن يوسف الحسنى ؛ ٢٢٦

الحصرى القيروانى ؛ ١١٢

الحكم المستنصر ؛ ١٠٣

هزة بن يوسف السهمى ؛ ٢٢٦

حيانة بن عبد العزيز ؛ ٢٣٣

خليل بن أبي بكر المرادى ؛ ٤٤٨

الخليل النحوى ؛ ٣٢٢

الخونجى ؛ ٢١٧

د — ز

الدارقطنى ؛ ١٤٨ ، ٣٥١

داود بن الملك المعظم عيسى ؛ ٤٥٠

الدليل البركى ؛ ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣

الدليل المورورى ؛ ٢٦

الدك (الدوق) ؛ ٤٤

دنفية ؛ ٤٥

ديرنبور ، هارتفج ؛ ٣

الرازى ، أحمد بن محمد بن موسى ؛ ١٣٣

الرشيد بن عباد ؛ ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٧

رشيد الدين المطار ؛ ٢٣٤

الرشيد ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧

رضوان النصرى ، أبو النعم ؛ ١٥ ، ٢٦

رضى الدين القسطنطينى ؛ ٤٤٨

رميك بن حجاج ؛ ١١٠

زيان بن مردنیش ، أبو جیل ؟ ٩٨
زینب بنت عبد اللطیف البغدادی ؟ ٤٤٨

س — ظ

السالمی الکاتب ؟ ١٢٣
سعد بن عبادة ؟ ٩٢
سعد بن الغی بالله ؟ ٣٦
سعد بن إبراهیم الخياط ؟ ٢٠١
سعيد بن عبد الله الشترینی ؟ ١٠٧
سليمان بن علی بن عبد الله التلمسانی ؟ ٤٥٠
سماجة الوزیر ؟ ٢٨٢ ، ٢٨٣
سهل بن مالك ، أبو الحسن ؟ ٣٢٩ ، ٣٥٩
سيبويه ؟ ٢١٥
الشافعي ، الإمام ؟ ٢١٧ ، ٢٢٦
شاكر بن الفخار المالقي ؟ ٥٠٦
شرف الدين بن التلمسانی ؟ ٢١٥
شرف الدين الهمياني ؟ ٢٢٢
شمس الدين بن قيم الجوزية ؟ ٢٠٣
شيخ الفزاة ؟ ١٦
صاعد بن الحسن اللغوي ؟ ١٠٦
صدر الدين التماري ؟ ٢٠٣
صفوان بن إدريس ؟ ٤٨٥
ضمرة بن كنانة بن بكر ؟ ٢٣٠
طارق بن زياد ؟ ١٠٢
طاهر بن محمد (المهند) ؟ ١٠٧

ع — غ

عاتكة ، أم الحجد ؟ ٢٣٢ ، ٢٣٤
العادل ، الملك ؟ ٢٢٢
عباس بن عطية ، أبو عمرو ؟ ٤٢٠
عبد الحق بن ربيع ؟ ٢٢٣
عبد الرحمن بن أبي حمو ، أبو تاشفين ؟ ٢١٤
عبد الرحمن الصنهاجي ؟ ٢٢٤
عبد الرحمن بن علي بن عمر ، الأمير ؟ ٣٩

عبد الرحمن بن قاسم ؟ ٢٢٨
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ؟ ٢٠١
عبد الرحيم بن عبد المنعم التدميري ؟ ٤٤٩
عبد العزيز بن سلطان الداني ؟ ٤٤٥
عبد العزيز الجزيري ؟ ٢٤٢
عبد العزيز المريني ، السلطان ؟ ٤١
عبد الكبير الإشبيل ، أبو محمد ؟ ٤٢١
عبد الكريم بن عطاء الله ، أبو محمد ؟ ٢٣٤
عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي ؟ ٤٥١
عبد اللطيف الحجري ، أبو محمد ؟ ٢٣٣
عبد الله بن أحمد بن الملجوم ؟ ٢٢١
عبد الله بن بلقين ؟ ١١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣
عبد الله بن عباد ، أبو بكر ؟ ١١٠
عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ؟ ٤١٨
عبد الله بن قيس ؟ ١٧٦
عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ؟ ٤٥١
عبد الله بن محمد التجيبي الدكلي ؟ ٥٢١
عبد الملك بن إدريس الجزيري ، ١٠٧
عبد الملك بن سهل ؟ ١٠٧
عبد الملك بن صناديد ، أبو مروان ؟ ٩٦
عبد الملك المافري ؟ ١٠٥
عبد الملك بن مفضل الواسطي ؟ ٤٥١
عبد المنعم بن سهاك ، أبو محمد ؟ ٣١٦ ، ٣٢٩
عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمي ؟ ٤٤٨
عبد المنعم بن يحيى القرشي الزهري ؟ ٤٥٠
عبد المهيم بن محمد الحضري ؟ ٤٥٣
عبد المؤمن بن خلف الدمياني ؟ ١٨٠ ، ٤٤٨
عبيد الله بن أحمد بن أبي ربيع القرشي ؟ ٤٥٢
عتبة بن يحيى الجزولي ؟ ١٢٩
عثمان بن أبي العلاء ؟ ١٣٧ ، ١٤١
عثمان بن أبي محمد بن جندرة ؟ ٤٥١
عثمان بن عبد القوي البلوي ؟ ١٨٠
عثمان بن عبد المؤمن ، السيد أبو سعيد ؟ ٢٣١ ، ٢٣٨

الغزيري ، ميخائيل ٣ ؛

الغشقي ، المقدم ١٢٨ ، ١٢٩

ف - ك

فاطمة بنت إبراهيم البعلبكي ٤٥٠ ؛

فاطمة بنت الرسول ٥٩ ؛

الفتح بن خاقان ، أبو نصر ١٠٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥

فخر الدين الرازي ٢٠٢ ، ٢٢٢

فرج بن محمد بن نصر ، أبو سعيد ٩٦ ؛

فضل بن فضيلة المافري ١٣٩ ، ٢٧٤ ؛

قاسم بن أحمد بن السكوت ١٧٩ ؛

القاسم بن محمد الصنهاجي ٢٢٥ ؛

قص بن ساعدة ٣٢٤ ؛

ل - م

المازري الإمام ٣٢٧ ؛

مالك بن أنس ، الإمام ٢١٤ ، ٢١٥ ؛

مالك بن عباد ١١٧ ؛

المأمون بن عباد ١٠٩ ، ١١٦ ؛

المتنب ، أبو الطيب ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ؛

محمد بن إبراهيم الحكيم ٩٧ ؛

محمد بن إبراهيم بن داود الحميري ٣٧١ ؛

محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل الأنصاري ٩٦ ؛

محمد بن إبراهيم بن فضيلة ٣٤١ ؛

محمد بن إبراهيم المرادي (ابن المشاب) ٥٢٥ ؛

محمد بن أبي بكر ١٧٧ ؛

محمد بن أحمد الأقصري القاسي ١٧١ ؛

محمد بن أحمد البغدادي ٢٢٩ ؛

محمد بن أحمد الحسني ٣٠٣ ؛

محمد بن أحمد الرازي (ابن الخطاب) ٢٢٩ ؛

محمد بن أحمد السالمي ٤٨٩ ؛

محمد بن أحمد الصندلاني ٢٢٨ ؛

محمد بن أحمد بن عبد الله الإستنجي ٣١٥ ، ٥ ؛

عثمان بن علي ٩٧ ؛

عثمان بن يحيى بن عمر بن رحو ٣٨ ، ٧٦ ؛

عزيز بن خطاب ، أبو بكر ٣٤٩ ؛

عطاف بن نعم ١٠٨ ؛

علم الدين الشيخوني ٤٥١ ؛

علي بن إبراهيم الشيباني ٩٦ ؛

علي بن أحمد الميموني القسطلاني ٤٥١ ؛

علي بن بلدر الدين بن موسى بن رحو ٣٨ ؛

علي التللسي الجراحي ٢٠١ ؛

علي بن عبد الرحمن المقدسي ٤٥٠ ؛

علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي ٤٤٩ ؛

علي بن عبد الله بن الحسن ٣٧ ؛

علي بن محمد بن أبي القاسم ٤٥٠ ؛

علي بن محمد بن سعيد اليحصبي ٩٦ ؛

علي بن نصر ٧٤ ؛

علي بن يوسف ، أمير المسلمين ٤٧٧ ، ٥١٩ ؛

علي بن يوسف العبدي السفاح ٤٤٧ ؛

علي بن يوسف بن كاشة ٣١ ؛

عمر بن أبي ربيعة ٢٧٦ ؛

عمر بن أبي سعيد ، الأمير ١٤١ ؛

عمر بن الخطاب ٣٢١ ؛

عمر بن شاذكر ٢٢٩ ؛

عمر بن عبد الله بن علي ٢٩ ، ٣٩ - ٤١ ؛

عمر بن عبد المجيد الأزدي ٣٢٧ ؛

عمر بن عبد المجيد المياجي ٢٣٣ ؛

عمر اللوشي ٤٥٧ ؛

عمر بن المنجم البغدادي ١٠٦ ؛

عمران بن موسى المشدالي ٢٠١ ، ٢١٤ ؛

عياض بن موسى اليحصبي ٢٢٣ ؛

عيسى بن الحسن بن أبي منديل ٢٣ ؛

عيسى بن محمد بن عبد الله ٢٠١ ؛

غازي بن أبي الفضل بن الجلاوي ٤٥٠ ؛

محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ؛ ٤٥١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٣٥
 محمد بن أحمد بن محمد الحديدي ؛ ١٨
 محمد بن أحمد بن ناصر بن حيون ؛ ١٨١
 محمد بن إسماعيل الزبيدي ؛ ١٠٧
 محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأنماطي ؛ ٤٤٥
 محمد بن إسماعيل بن فرج ؛ ٢٦
 محمد بن حسان ؛ ١٧٢
 محمد بن الحسن البروني ؛ ٢٠١
 محمد بن حسن العمراني الشريف ؛ ٥٢٣
 محمد بن الحسن القرشي ؛ ١٠٧
 محمد بن سعد بن مردنيش ؛ ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥
 محمد بن صالح بن رحيمة الكتافي ؛ ٤٥١
 محمد بن عباس الأشعري ؛ ٤٤٩
 محمد بن عبد الرحمن العقيلي ؛ ٤٧٦
 محمد بن عبد الرحمن المتأهل ؛ ٤٧٧
 محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ؛ ٤٢٦
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ؛ ٢٠١
 محمد بن عبد الملك بن جهور ؛ ١٠٧
 محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ؛ ٤٩١
 محمد بن علي بن العابد الأنصاري ؛ ٣٨٧
 محمد بن علي بن عبد الله القيسي ؛ ٢٨٦
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ؛ ٥
 محمد بن علي بن محمد الهمداني ؛ ٤٨٨
 محمد بن عياش الخزرجي ؛ ١٧٩
 محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ؛ ٩٧ ، ٢٢٦
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 محمد بن غالب الطريقي ؛ ٤٦٤
 محمد بن فتح الإشبيلي (الأشبرون) ؛ ٩٧ ، ١٣٨
 محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ؛ ٥١٥
 محمد بن قائد الكلاعي ؛ ٢٤١

محمد بن مالك الطغفري ؛ ٢٨٢
 محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني ؛ ٢٣٣
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزوي ؛ ٢١٣
 محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٩٣
 محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ؛
 ٥٢٧
 محمد بن محمد القرشي ؛ ٤٢٧
 محمد بن محمد بن نصر ؛ ٩٥
 محمد بن محمد بن يوسف ... بن نصر الخزرجي ،
 السلطان ؛ ٥
 محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، السلطان ؛
 ٤٤٥ ، ٤٤٧
 محمد بن مطرف بن شخيص ؛ ١٠٧
 محمد بن هارون ؛ ١٧٩
 محمد بن يحيى الأشعري المالقي ؛ ١٧٦
 محمد بن يحيى الباهلي (ابن المسفر) ؛ ٢٠٢ ،
 ٢٠٣
 محمد بن يحيى السكري ؛ ٤٨٩
 محمد بن يحيى النسافي البرجي ؛ ٢٩٣ ، ٢٩٥
 محمد بن يحيى بن هيرة الشيباني ؛ ٤٤٩
 محمد بن يوسف بن إسماعيل (السلطان الغني بالله) ؛
 ٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
 ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ،
 ٥٤ ، ١٣٤
 محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي ؛ ٥٢١
 محمد بن يوسف ... بن نصر (محمد بن الأجر
 الكبير) ؛ ٧ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ،
 ١٣٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٥
 المرتضى بالله ، الخليفة الموحد ؛ ٩٧
 المستنصر بالله الحفصي ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 المستنصر بالله العباسي ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١
 المعتمد بن عباد ؛ ١٠٨ - ١١٦ ، ١١٦ - ١٢٠ ،
 ٥١٢

و ليد بن موفق ؛ ٤٨٨
 يحيى بن جاد البعلبكي ؛ ٤٤٩
 يحيى الحكيم ؛ ٤٤٤
 يحيى بن عبد الرحمن الأشعري ؛ ٩٦
 يحيى بن عبد الله القرشي ؛ ٤٤٩
 يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ؛ ٩٧
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ١٦ ، ٣٨
 يحيى بن محمد بن أبي الفصن ؛ ٢٣٤
 يحيى بن الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧
 يزيد بن حاتم بن قبيصة ؛ ٢٨٩
 يزيد الراضي (ابن عياد) ؛ ١١٠ ، ١١٦
 يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف ، السلطان ؛
 ٩٧
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٥
 يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ؛ ٤٥٠
 يغمراس بن زيان ؛ ٩٧ ، ٢٧٩
 يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ؛ ٤٨٨
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ١٤ ، ٩٦
 يوسف بن أبي ناصر السفاوي ؛ ٤٥٠
 يوسف بن قاشفين ؛ ١١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٩
 يوسف بن عبد الحق ، أبو يعقوب ، السلطان ؛
 ١٩٧
 يوسف بن هارون الزياي ؛ ١٠٦
 يونس بن مفيث ؛ ٤٨٩

المعز لدين الله الفاطمي ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
 مفرج بن سلمة ؛ ٤٨٩
 المقرئ ، عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ ١٩١
 المقرئ ، محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ؛
 ١٩١ ، ١٩٨ ، ٣٠٢
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥
 منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي ؛ ٤٥٢
 منصور الزواوي ، أبو علي ؛ ٣٠٢ ، ٣٩١
 منصور بن سليمان ؛ ٢١
 المنصور بن عبد الحق ، أبو يوسف ؛ ١٤٠
 موسى بن نصير ؛ ١٠٢

ن — ي

ناصر الدين المشدالي ، أبو علي ؛ ٢٠٠ ، ٢٠٢
 ٢٤٢
 الناصر بن المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٦
 نزهون القليمية ؛ ٥٠٤
 النبي العربي ؛ ٥٩ ، ٨٩
 نصر ، أبو الجيوش ، السلطان ؛ ١٤٠ ،
 ٤٤٥
 هرانده بن الهنشه بن شانجه (فرناندو الثالث) ؛
 ٩٨
 هشام المؤيد ، الخليفة ؛ ١٠٣
 هشام بن يوسف بن الملبوم ؛ ٥١٧

كامل طبع المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر ، بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٤ هـ الموافق لليوم
الرابع من شهر يولييه سنة ١٩٧٤ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRANADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades.
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal,
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. II

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1974